(فهرسة الجزء الثاني من مروج الذهب ومعادن الجوهر)

صحيفة

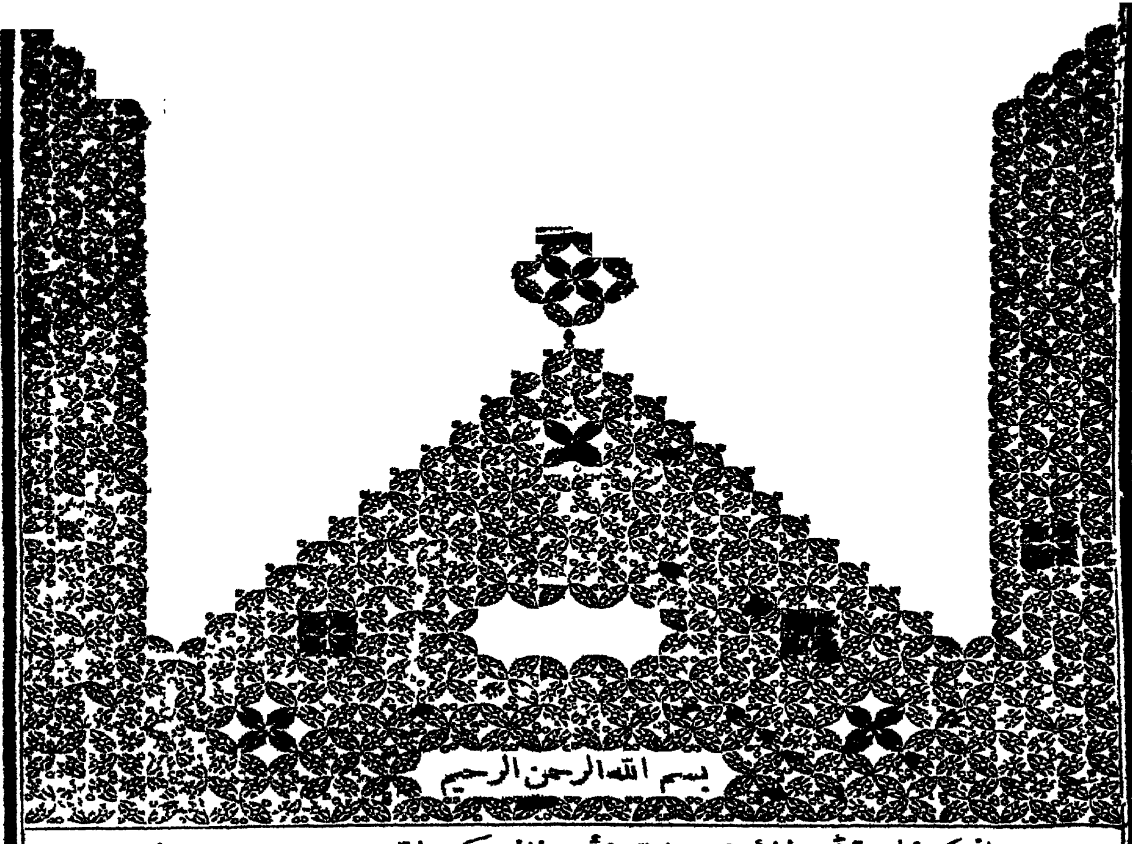
صحيفة

صحيفة

الجزء الثاني من مروج الذهب ومعادن الجوهر
في التاريخ للشيخ العالم العلامة
أبي الحسن علي بن الحسين
المسعودي رحمه
الله تعالى
امين

٢

و قال صاحب الفهرس هو من آل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه



(ذكر خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه)

بويع على بن أبى طالب فى اليوم الذى قتل فيه عثمان بن عفان رضى الله عنه فكانت خلافته الى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وقيل أربع سنين وتسعة أشهر الا يوما وكانت الفرقة بينه وبين معاوية على ماذكرنا فى خلافته وكان مولده فى الكعبة وقيل ان خلافته كانت خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة وعاش بعد الضربة الجمعة والسبت وتوفى ليلة الاحد وقد قيل فى مقدار عمره أقل مما ذكرنا وقد تنوزع فى موضع قبره فمنهم من قال انه دفن فى مسجد الكوفة ومنهم من قال انه حمل الى المدينة فدفن عند فاطمة ومنهم من قال حمل فى تابوت على جمل وان الجمل تاه ووقع الى وادى طيئ وقد قيل من الوجوه غير ماذكرنا وقد أتينا على ذلك فى كتابنا فى أخبار الزمان والكتاب الاوسط (ونذكر نسبه ولمعا من أخباره وسيره) هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ويكنى أبا الحسن وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ولم يكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا من خلافة المتقى من اسمه على غيره والمكتفى بالله على بن المعتضد وكان أول من ولدها شميا من الخلفاء وقد قيل انه بويع البيعة العامة بعد قتل عثمان بأربعة أيام وقد ذكرنا البيعة الاولى فيما سلف من هذا الكتاب وتنازع الناس فى اسم أبى طالب أبيه وولد أبى طالب بن عبد المطلب أربعة

ذكروا بنات أبى طالب وعقيل وجعفر وعلى وفاختة وجمانة لأب وأم أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم وبين كل واحد من البنين عشر سنين بين جعفر وعلى عشر سنين وبين جعفر وعقيل عشر سنين وبين عقيل وطالب عشر سنين وأخرج مشركو قريش طالب بن أبى طالب يوم بدر الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرها ومضى ولم يعرف له خبر وحفظ من قوله هذا اليوم

يارب أما نخرجوا بطالب * فى مقنب من تلكم المقانب
فاجعلهم المغلوب غير الغالب * والرجل المسلوب غير السالب

وكان زوج فاختة بنت أبى طالب أبو وهب هبيرة بن عمرو بن عابد بن عمرو بن مخزوم وخلف عليها ابناء وبنات وهاجرت ومات زوجها بنجران مشركا وفيها يقول ببلاد نجران من أبيات كثيرة

أشاقتك هند أم نآك سؤالها * كذاك النوى أسبابها وانتقالها
وأرقنى فى رأس حصن ممرد * بنجران يسرى بعد نوم خيالها
فان تك قد تابعت دين محمد * وقطعت الارحام منك حبالها

وهى طويلة وكانت تكنى أم هانئ وقد استعمل على حين أفضت الخلافة اليه ابنها جعدة ابن هبيرة وجعدة هو القائل

وانى من مخزوم ان كنت سائلا * ومن هاشم أمى لخير قبيل
فمن ذا الذى ينأى على بخاله * وخالى على ذو الندى وعقيل

وجمانة بنت أبى طالب كان بعلها سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهى أول هاشمية ولدت بهاشمى كذلك ذكر الزبير بن بكار فى كتابه فى أنساب قريش وأخبارها وهاجرت وماتت بالمدينة فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم وكان مسير على الى البصرة فى سنة ست وثلاثين وفيها كانت وقعة الجمل وذلك فى يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى منها وقتل فيها من أصحاب الجمل وأهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا وقتل من أصحاب على خمسة آلاف وقد تنازع الناس فى مقدار ما قتل من الفريقين فمن مقلل ومكثر فالمقلل يقول قتل بينهم سبعة آلاف على حسب ميل الناس وأهوائهم الى كل فريق منهم وكانت وقعة واحدة فى يوم واحد وقيل انه كان بين خلافة على الى وقعة الجمل وبين أول الهجرة خمس وثلاثون سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام وبين دخول على الى الكوفة وبين التقائه مع معاوية للقتال بصفين ستة أشهر وثلاثة عشر يوما وبين ذلك وأول الهجرة ست وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوما وقتل بصفين سبعون ألفا من أهل الشام ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام وقتل بها من الصحابة ممن كان مع على خمسة وعشرون رجلا منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سمية وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وكانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشام سبعون وقعة وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الاشعرى بأرض البلقاء من أرض دمشق وقيل بدومة الجندل وهى على عشرة اميال من دمشق وكان من

قوله وجمانة كذا فى نسخ وفى نسخ جمانة بالجيم

قوله فاختة بنت أبى طالب وقيل اسمها هند وهو الذى فى الابيات الآتية اه مصحح

قوله وانى من مخزوم البيتين فيه عيب الاقواء وهو اختلاف المجرى بكسر وضم اه مصحح

أمرهما بالكتاب الشهير وسنورد في هذا الكتاب جوامع ما ذكرنا وان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما سلف من كتبنا وفي هذه السنة حلت الخوارج وهم الشراة وكان ممن شهد صفين مع علي رضي الله عنه من أصحاب بدر سبع وثمانون رجلا منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الانصار وشهد معه من الانصار ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة وفي سنة ثمان وثلاثين كان خروجه مع أهل النهروان من الخوارج وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا الا الخروج عن الامر منهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله ابن عمر وبايع يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان ومنهم قدامة بن مظعون ووهبان ابن صيفي وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة الثقفي وممن اعتزل من الانصار كعب بن مالك وحسان بن ثابت وكانا شاعرين وأبو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة حليف بني عبد الاشهل وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة ومسلمة بن خالد في آخرين ممن لم نذكرهم من العثمانية من الانصار وغيرهم من بني امية وسواهم وانتزع علي رضي الله عنه أملاكا كانت لعثمان أقطعها جماعة من المسلمين وقسم ما في بيت المال على الناس ولم يفضل أحدا على أحد وبعث أم حبيبة بنت أبي سفيان الى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضبا بدمائه مع النعمان بن بشير الانصاري واتصلت بيعة علي رضي الله عنه بالكوفة وغيرها من الامصار وكانت أهل الكوفة أسرع اجابة الى بيعته وأخذ له البيعة على أهلها أبو موسى الاشعري رضي الله عنه حتى تكاثر الناس عليه وكان عليها عاملا لعثمان وأتاه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بني امية منهم سعيد بن العاص ومروان ابن الحكم والوليد بن عقبة بن أبي معيط فجرى بينه وبينهم خطب طويل وقال له الوليد انا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك لكنا قوم وترنا الناس وخفنا على نفوسنا فعذرنا فيما نقول واضح أما أنا فقتلت أبي صبرا وضربتني حدا وقال سعيد بن العاص كلاما كثيرا وقال له الوليد أما سعيد فقتلت أباه صبرا وأهنت مثواه وأما مروان فانك شتمت أباه وكبت عثمان في صنعه اياه وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى أن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير قبل نفوذه بالقميص أتوا عليا في آخرين من العثمانية فقال كعب بن مالك يا أمير المؤمنين ليس مسيئا من أعتب وخير كفيء ما محاه عذر في كلام كثير ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعا وقد كان عمرو بن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه وتوليته مصر غيره فنزل الشام فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة علي رضي الله عنه كتب الى معاوية يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان وكان فيما كتب به اليه ما كنت صانعا اذا قشرت من كل شيء تملكه فاصنع ما أنت صانع فبعث اليه معاوية فسار اليه فقال له معاوية بايعني قال والله لا أعينك من ديني حتى أنال من دنياك قال سل قال مصر طعمة فأجابه الى ذلك وكتب له به كتابا وقال عمرو بن العاص في ذلك

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل * به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصرا فاربح صفقة * أخذت بها شيخا يضر وينفع

وأتى المغيرة بن شعبة عليا فقال له ان حق الطاعة النصيحة وان الرأي اليوم تحوز به ما في غد

وان

وان التصانع اليوم تضييع به ما فى غد أقرر معاوية على عمله واقرر ابن عامر على عمله وأقرر العمال على أعمالهم حتى اذا أتتك طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت قال حتى انظر نخرج من عنده وعاد اليه من الغد فقال انى أشرت عليك بالامس برأى وتعقبته وانما الرأى أن تعاجلهم بالنزع فتعرف السامع من غيره ويستقل امرك ثم خرج فتلقاه ابن عباس خارجا وهو داخل فلما انتهى الى على قال رايت المغيرة خارجا من عندك ففيم جاءك قال جاءنى امس بكيت وكيت وجاءنى اليوم بذيت وذيت فقال أما أمس فقد نصحك وأما اليوم فقد غشك قال فما الرأى قال كان الرأى أن تخرج حين قتل عثمان او قبل ذلك فتأتى مكة فتدخل دارك فتغلق عليك بابك فان العرب كانت جايلة مضطرة فى اثرك لا تجد غيرك فأما اليوم فان بنى أمية سيحسنون الطلب بأن يلزموك شعبة من هذا الامر ويشبهون فيك على الناس وقال المغيرة نصحته فلم يقبل فغششته وذكر انه قال وأما انا فنصحته قبلها ولا انصحه بعدها (قال المسعودى) وجدت فى وجه آخر من الروايات أن ابن عباس قال قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال فجئت عليا أدخل عليه فقيل لى عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم على وقال متى قدمت قلت الساعة ودخلت على على وسلمت عليه فقال اين لقيت الزبير وطلحة قلت بالنواصف قال ومن معهما قلت ابو سعيد ابن الحارث بن هشام بن قتيبة من قريش فقال على أما انهم لم يكن لهم بد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان والله يعلم انهم قتلة عثمان فقلت اخبرنى عن شان المغيرة ولم خلا بك قال جاءنى بعد مقتل عثمان بيومين فقال اخلنى ففعلت فقال ان النصح رخيص وانت بقية الناس وأنا لك ناصح وأنا اشير عليك ان لا ترد عمال عثمان عامك هذا فاكتب اليهم باثباتهم على اعمالهم فاذا بايعوا لك واطمأن أمرك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت فقلت له والله لا أداهن فى دينى ولا أعطى الرياء فى امرى قال فان كنت قد أبيت فانزع من شئت واترك معاوية فان له جراءة وهو فى أهل الشام مسموع منه ولك حجة فى اثباته فقد كان عمر ولاه الشام كلها فقلت له لا والله لا استعمل معاوية يومين ابدا فخرج من عندى على ما أشار به ثم عاد فقال انى اشرت عليك بما اشرت به وابيت على فنظرت فى الامر واذا انت مصيب لا ينبغى ان تأخذ امرك بخدعة ولا يكون فيه دلسة قال ابن عباس فقلت له اما أول ما اشار عليك فقد نصحك وأما الآخر فقد غشك وانا اشير عليك ان تثبت معاوية فان بايع لك فعلى أن أقلعه من منزله قال لا والله لا اعطيه الا السيف ثم تمثل

فما منة ان منها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غالها

فقال يا أمير المؤمنين انت رجل شجاع أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال على بلى قلت اما والله لئن أطعتنى لأصدرن بهم بعد ورود ولا تركنهم ينظرون فى آثارهم الأمر ولا يدرون ما كان وجهها من غير نقص لك ولا اثم عليك فقال يا ابن عباس لست من هنياتك وهنيات معاوية فى شئ يسير مالك عندى الطاعة والله ولى التوفيق

(ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحرب وغيره) ودخل طلحة والزبير مكة وقد كانا استأذنا عليا فى العمرة فقال لعلكما تريدان البصرة والشام فاقسما انهما لا يقصدان

غير مكة وقد كانت عائشة رضي الله عنها بمكة وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة
هرب عنها حين أخذ البيعة لعلي بها على الناس حارثة بن قدامة السعدي ومصير عثمان
ابن حنيف الانصاري اليها على خراجها من قبل علي رضي الله عنه وانصرف عن اليمن عامل
عثمان وأعطى عايشة وطلحة والزبير اربعمائة درهم وكراعا وسلاحا وبعث الى عايشة بالجمل
المسمى عسكرا وكان شراؤه عليه باليمن مائتي دينار فارادوا الشام فصدهم ابن عامر وقال ان
بها معاوية ولا ينقاد اليكم ولا يطيعكم لكن هذه البصرة لي بها صنايع وعدد فجهزهم بالف
الف درهم ومائة من الابل وغير ذلك وسار القوم نحو البصرة في ستماية راكب فانتهوا في الليل
الى ماء لبني كلاب يعرف بالحوأب عليه ناس من بني كلاب فعوت كلابهم على الركب فقالت
عائشة ما اسم هذا الموضع فقال لها السائق بجملها الحوأب فاسترجعت وذكرت ما قيل لها
في ذلك فقالت ردوني الى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لي في المسير فقال ابن
الزبير بالله ما هذا الحوأب ولقد غلط فيما اخبرك به وكان طلحة في ساقة الناس فلحقها فاقسم
أن ذلك ليس بالحوأب وشهد معهما خمسون رجلا ممن كان معهم فكان ذلك اول شهادة
زور اقيمت في الاسلام فأتوا البصرة فخرج اليهم عثمان بن حنيف فمانعهم وجرى قتال ثم
انهم اصطلحوا بعد ذلك على كف الحرب الى قدوم علي فلما كان في بعض الليالي بيتوا عثمان
ابن حنيف فأسروه وضربوه ونتفوا لحيته ثم ان القوم استرجعوا وخافوا على مخلفيهم بالمدينة
من اخيه سهل بن حنيف وغيره من الانصار فخلوا عنه وارادوا بيت المال فمانعهم الخزان
والموكلون به وهم السابحون فقتل منهم سبعون رجلا غير من جرح وخمسون من السبعين
ضربت رقابهم صبرا من بعد الاسر وهؤلاء اول من قتلوا ظلما في الاسلام وصبروا وقتلوا حكيم
ابن جبلة العبدي وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعة ونساكها وتشاح طلحة والزبير
في الصلاة بالناس ثم اتفقوا على أن يصلي بالناس عبد الله بن الزبير يوما ومحمد بن طلحة يوما في
خطب طويل كان بين طلحة والزبير الى ان اتفقا على ما وصفنا وسار علي من المدينة بعد اربعة
اشهر وقيل غير ذلك في سبعمائة راكب منهم اربعمائة من المهاجرين والانصار منهم سبعون
بدريا وباقيهم من الصحابة وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف الانصاري فانتهى الى
الربذة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة وفاته طلحة والزبير وقد كان علي اراد هم فانصرف
حين فاتوه الى العراق في طلبهم ولحق بعلي من اهل المدينة جماعة من الانصار فيهم خزيمة بن
ثابت ذو الشهادتين وأتاه من طيء ستماية راكب وكاتب علي من الربذة ابا موسى الاشعري
ليستنفر الناس فثبطهم ابو موسى وقال انما هي فتنة فنمى ذلك الى علي فولى على الكوفة قرظة
ابن كعب الانصاري وكتب الى ابي موسى اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموما مدحورا
فما هذا اول يومنا منك وان لك فيها لهنات وهنيات وسار علي بمن معه حتى نزل بذي قار وبعث
بابنه الحسن وعمار الى الكوفة يستنفر الناس فسارا عنها ومعهما من اهل الكوفة نحو من
سبعة الاف وقيل ستة الاف وخمسمائة وستون رجلا فانتهى الى البصرة وراسل القوم
وناشدهم الله فأبوا الا قتاله وذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به ابو حنيفة الفضل بن
الحباب الجمحي عن ابن عائشة عن معن بن عيسى عن المنذر بن الجارود قال لما قدم علي رضي

الله عنه البصرة دخل مما يلى الطف فأتى الزاوية فخرجت أنظر اليه فورد موكب نحو الف فارس يتقدمهم فارس على فرس اشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفا معه راية واذا تيجان القوم الاغلب عليها البياض والصفرة مدججين فى الحديد والسلاح فقلت من هذا فقيل ابو ايوب الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الانصار وغيرهم ثم تلاهم فارس اخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية على فرس اشقر فى نحو ألف فارس فقلت من هذا فقيل هذا خزيمة بن ثابت الانصارى ذو الشهادتين ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميت معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء وعليه قباء أبيض مصقول متقلد سيفا متنكب قوسا فى نحو الف فارس من الناس ومعه راية فقلت من هذا فقيل لى ابو قتادة بن ربعى ثم مر بنا فارس آخر على فرس اشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه ومن خلفه شديد الادمة عليه سكينة ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية بيضاء فى ألف من الناس مختلفى التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كأن قد اوقفوا للحساب أثر السجود قد أثر فى جباههم فقلت من هذا فقيل عمار بن ياسر فى عدة من الصحابة من المهاجرين والانصار وابنائهم ثم مر بنا فارس على فرس اشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوسا متقلد سيفا تخط رجلاه فى الارض فى ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء قلت من هذا قيل هذا قيس بن سعد بن عبادة فى الانصار وابنائهم وغيرهم من قحطان ثم مر بنا فارس على فرس أشهل ما راينا أحسن منه عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه بلواء قلت من هذا قيل هو عبد الله بن العباس فى عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالاولين قلت من هذا قيل قثم بن العباس أو سعيد ابن العاص ثم اقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضا واشتبكت الرماح ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات فى أوله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنما كسر وجبر (قال ابن عائشة وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره الى الارض اكثر من نظره الى فوق كذلك تخبر العرب فى وصفها اذا اخبرت عن الرجل انه كسر وجبر) كأنما على رؤسهم الطير وعن ميسرتهم شاب حسن الوجه قلت من هؤلاء قيل هذا على ابن ابى طالب وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى وهذا الذى خلفه عبد الله بن جعفر بن ابى طالب وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بنى هاشم وهؤلاء المشايخ اهل بدر من المهاجرين والانصار فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية فصلى أربع ركعات وعفر خديه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ثم رفع يديه يدعو اللهم رب السموات وما أظلت والارضين وما أقلت ورب العرش العظيم هذه البصرة اسالك من خيرها واعوذ بك من شرها اللهم انزلنا فيها خير منزل وانت خير المنزلين اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتى وبغوا على ونكثوا بيعتى اللهم احقن دماء المسلمين وبعث اليهم من يناشدهم الله فى الدماء وقال علام يقاتلونى فابوا الا الحرب فبعث رجلا من اصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعو الى الله فرموه بسهم فقتلوه فحمل الى على وقالت أمه

يارب ان مسلما اتاهم * يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم * وأمه قائمة تراهم

وامر علي رضي الله عنه ان يصافوهم ولا يبدأوهم بقتال ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم ولا يطعنوهم برمح حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي من الميمنة بأخ له مقتول وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمي بسهم فقتل فقال علي اللهم اشهد وأعذروا الى القوم ثم قام عمار ابن ياسر بين الصفين فقال ايها الناس ما انصفتم نبيكم حيث كففتم عقائلكم في الخدور وابرزتم عقيلته للسيوف وعائشة على جمل في هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر وجعلوا دونه اللبود قد غشي على ذلك بالدروع فدنا عمار من موضعها فنادى الى ماذا تدعينني قالت الى الطلب بدم عثمان فقال قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق ثم قال ايها الناس انكم لتعلمون اينا الممالئ في قتل عثمان ثم انشأ يقول وقد رشقوه بالنبل

فمنك البكاء ومنك العويل * ومنك الرياح ومنك المطر
وانت امرت بقتل الامام * وقاتله عندنا من أمر

وتواتر عليه الرمي واتصل فحرك فرسه وزال عن موضعه فقال ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم الا الحرب فقام علي رضي الله عنه فقال ايها الناس اذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا اسيرا ولا تتبعوا موليا ولا تطلبوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل ولا تهتكوا سترا ولا تقربوا من أموالهم الا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح اوكراع او عبد او امة وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله وخرج علي بنفسه حاسرا على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سلاح عليه فنادى يا زبير اخرج الي فخرج شاكي سلاحه فقيل لعائشة فقالت واحرباه يا أسماء فقيل لها ان عليا حاسر فاطمأنت واعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال له علي ويحك يا زبير ما الذي أخرجك قال دم عثمان قال قتل الله اولانا بدم عثمان اما تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني بياضة وهو راكب حماره فضحك الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحكت انت معه فقلت انت يا رسول الله ما يدع علي زهوه فقال لك ليس به زهو أتحبه يا زبير فقلت اني والله لأحبه فقال لك انك والله ستقاتله وانت له ظالم فقال الزبير استغفر الله لو ذكرتها ما خرجت فقال يا زبير ارجع فقال وكيف ارجع الآن وقد التقت حلقتا البطان هذا والله العار الذي لا يغسل فقال يا زبير ارجع بالعار قبل ان تجمع العار والنار فرجع الزبير وهو يقول

اخترت عارا على نار مؤججة * ما ان يقوم لها خلق من الطين
نادى علي بأمر لست اجهله * عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت حسبك من عذل أبا حسن * فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

فقال ابنه عبد الله أين تدعنا فقال يا بني أذكرني ابو حسن بأمر كنت قد انسيته فقال لا والله ولكنك فررت من سيوف بني عبد المطلب فانها طوال حداد تحملها فتية انجاد قال لا والله ولكني ذكرت ما أنسانيه الدهر فاخترت العار على النار ابالجبن تعيرني لا أبا لك ثم أمال سنانه وشد في الميمنة فقال علي أفرجوا له فقد هاجوه ثم رجع فشد في الميسرة ثم رجع فشد في القلب

ثم

ثم عاد الى ابنه فقال أيفعل هذا جبان ثم مضى منصرفا حتى اتى وادى السباع والاحنف ابن قيس معتزل فى قومه من بنى تميم فاتاه آت فقال له هذا الزبير مار فقال ما اصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضا وهو مار الى منزله سالما فلحقه نفر من بنى تميم فسبقهم اليه عمرو بن جرموز وقد نزل الزبير الى الصلاة فقال أتؤمنى أو أؤمك فامه الزبير فقتله عمرو فى الصلاة وقتل الزبير رضى الله عنه وله خمس وسبعون سنة وقد قيل ان الاحنف ابن قيس قتله بارسال من أرسل من قومه وقد رثته الشعراء وذكرت غدر ابن جرموز به وممن رثاه زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل اخت سعيد بن زيد فقالت

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم اللقاء وكان غير معدّد
يا عمرو لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
هبلتك امك أن قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد
ما ان رايت ولا سمعت بمثله * فيمن مضى ممن يروح ويغتدى

وأتى عمرو عليا بسيف الزبير وخاتمه ورأسه وقيل انه لم يات برأسه فقال على سيف طال ما جلا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه الحين ومصارع السوء وقاتل ابن صفية فى النار ففى ذلك يقول عمرو بن جرموز التميمى

اتيت عليا برأس الزبير * وقد كنت أرجو به الزلفة
فبشر بالنار قبل العيان * وبئس بشارة ذى التحفة
لسيان عندى قتل الزبير * وضرطة عنز بذى الجحفة

قوله الزلفة فيه مع التحفة والجحفة عيب الاصراف والاختلاف هنا بالفتح مع الكسر اه مصحح

ثم نادى على رضى الله عنه طلحة حين رجع الزبير يا أبا محمد ما الذى أخرجك قال الطلب بدم عثمان قال على قتل الله أولانا بدم عثمان أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنت أول من بايعنى ثم نكثت وقد قال الله عز وجل ومن نكث فانما ينكث على نفسه فقال استغفر الله ثم رجع فقال مروان بن الحكم رجع الزبير ويرجع طلحة ما ابالى رميت هاهنا أم هاهنا فرماه فى أكحله فقتله فمر به على بعد الوقعة فى موضعه فى قنطرة قرة فوقف عليه فقال انا لله وانا اليه راجعون والله لكنت كارها لهذا أنت والله كما قال القائل

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه * اذا ماهو استغنى ويبعده الفقر
كان الثريا علقت فى يمينه * وفى خده الشعرى وفى الآخر البدر

وذكر أن طلحة رضى الله عنه لما ولى سمع وهو يقول

ندامة ما ندمت وضل حلمى * ولهفى ثم لهف أبى وأمى
ندمت ندامة الكسعى لما * طلبت رضى بنى حزم برغمى

قوله بنى حزم برغمى فى نسخة بنى عمرو بن حزم

وهو يمسح عن جبينه الغبار وهو يقول وكان أمر الله قدرا مقدورا وقيل انه سمع وهو يقول هذا الشعر وقد جرحه فى جبهته عبد الملك ورماه مروان فى أكحله وقد وقع صريعا يجود بنفسه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم الله وهو ابن عم ابى بكر الصديق ويكنى أبا محمد وأمه الصعبة وكانت ابنة أبى سفيان صخر بن حرب كذلك ذكر

الزبير بن بكار فى كتابه فى انساب قريش وقتل وهو ابن اربع وستين سنة وقيل غير ذلك ودفن بالبصرة وقبره ومسجده الى هذه الغاية وقبر الزبير بوادى السباع وقتل محمد بن طلحة مع ابيه فى ذلك اليوم ومرّ به علىّ فقال هذا رجل قتله بره بابيه وطاعته وكان يدعى بالسجاد وقد تنوزع فى كنيته فقال الواقدى كان يكنى بابى سليمان وقال الهيثم بن عدى كان يكنى بابى القاسم وفيه يقول قاتله

واشعث سجاد بآيات ربه * قليل الاذى فيما ترى العين مسلم
شككت له بالرمح جيب قميصه * فخرّ صريعا لليدين وللفم
على غير شئ غير ان ليس تابعا * عليا ومن لا يتبع الحق يندم
يذكرنى حاميم والرمح شارع * فهلا تلا حاميم قبل التقدم

وقد كان اصحاب الجمل حملوا على ميمنة علىّ وميسرته فكشفوها فأتاه بعض ولد عقيل وعلىّ يخفق نعاسا على قربوس سرجه فقال له يا عم قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى وانت تخفق نعاسا قال اسكت يا ابن اخى فان لعمك يوما لا يعدوه والله لا يبالى عمك وقع على الموت أو وقع الموت عليه ثم بعث الى ولده محمد بن الحنفية وكان صاحب رايته احمل على القوم فابطأ محمد عليه وكان بازائه قوم من الرماة ينتظر نفاد سهامهم فأتاه علىّ فقال هلا حملت فقال لا اجد متقدما الا على سهم او سنان وانى لمنتظر نفاد سهامهم وأحمل فقال احمل بين الاسنة فان للموت عليك جنة فحمل محمد فشكن بين الرماح والنشاب فوقف فأتاه علىّ فضربه بقائم سيفه وقال ادركك عرق من أمك وأخذ الراية وحمل وحمل الناس معه فما كان القوم الا كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف وطافت بنو أمية بالجمل واقبلوا يرتجزون ويقولون

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل * ننازل الموت اذا الموت نزل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل * عثمان ردوه بأطراف الاسل
والموت أحلى عندنا من العسل

وقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بنى ضبة منهم كعب بن سور القاضى متقلدا مصحفا كلما قطعت يد واحد منهم قام آخر فأخذ الخطام وقال انا الغلام الضبى ورمى الهودج بالنشاب والنبل حتى صار كأنه قنفذ وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت أعضاؤه واخذته السيوف حتى سقط ويقال ان عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل وهو لا يقع وقد ناشده علىّ فخلى عنه ولما سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن أبى بكر فادخل يده فقالت من انت قال أقرب الناس قرابة وابغضهم اليك أنا محمد أخوك يقول لك أمير المؤمنين هل أصابك شئ قالت ما أصابنى الا سهم لم يضرنى فجاء علىّ حتى وقف عليها فضرب الهودج بقضيب وقال يا حميراء رسول الله أمرك بهذا ألم يأمرك أن تقرّى فى بيتك والله ما أنصفك الذين أخرجوك اذ صانوا عقائلهم وأبرزوك وأمر أخاها محمدا فأنزلها فى دار صفية بنت الحارث بن أبى طلحة العبدى وهى ام طلحة الطلحات ووقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون والتقى الاشتر ابن مالك بن الحارث النخعى وعبد الله ابن الزبير فاعتركا وسقطا الى الارض عن فرسيهما

قوله جنة كذا فى النسخ ولعله محرف عن منة

والناس حولهم يجولون وابن الزبير ينادي

اقتلوني ومالكا * واقتلوا مالكا معي

فلا يسمعهما احد لشدة الجلاد ووقع الحديد ولا يراهما راء لظلمة النقع وترادف العجاج وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الى علي فقال يا أمير المؤمنين لا تنكس اليوم رأس محمد واردد اليه الراية فدعا به ورد عليه الراية وقال

اطعنهم طعن ابيك تحمد * لا خير في حرب اذا لم توقد

بالمشرفي والقنا المسرد

ثم استسقى فأتى بعسل وماء فحسا منه حسوة وقال هذا الطائفي وهو غريب البلد فقال له عبد الله بن جعفر ما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا قال انه والله يا بني ما ملا بصدري شيء قط من امر الدنيا ثم دخل البصرة وكانت الوقعة في الموضع المعروف بالخريبة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين على حسب ما قدمنا آنفا من التاريخ وخطب الناس بالبصرة خطبته الطويلة التي يقول فيها يا اهل المسجد يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلك من الدهر ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة يا أتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم رقاق واعمالكم نفاق ودينكم زيغ وشقاق وماؤكم اجاج زعاق وقد ذم علي أهل البصرة بعد هذا الموقف مرارا كثيرة وبعث بعبد الله بن عباس الى عائشة يأمرها بالخروج الى المدينة فدخل اليها بغير اذنها واجتذب وسادة فجلس عليها فقالت يا ابن عباس أخطأت السنة المأمور بها دخلت الينا بغير اذننا وجلست على رحلنا بغير أمرنا فقال لها لو كنت في البيت الذي خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخلنا الا باذنك وما جلسنا على رحلك الا باذنك ان أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الأوبة والتأهب للخروج الى المدينة فقالت ابيت ما قلت وخالفت ما وصفت فمضى الى علي فخبره بامتناعها فرده اليها وقال ان أمير المؤمنين يعزم عليك ان ترجعي فأنعمت وأجابت الى الخروج وجهزها علي وأتاها في اليوم الثاني ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقي أولاده واولاد اخوته وفتيان اهله من بني هاشم وغيرهم من شيعته من همدان فلما بصرت به النسوان صحن في وجهه وقلن يا قاتل الأحبة فقال لو كنت قاتل الاحبة لقتلت من في هذا البيت واشار الى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم فضرب من كان معه بايديهم الى قوايم سيوفهم لما علموا من في البيت مخافة ان يخرجوا فيغتالوهم فقالت لهم عائشة بعد خطب طويل كان بينهما اني أحب ان اقيم معك فاسير الى قتال عدوك عند سيرك فقال بل ارجعي الى البيت الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته ان يؤمن ابن اختها عبد الله بن الزبير فأمنه وتكلم الحسن والحسين في مروان فأمنه وامن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني أمية وأمن الناس جميعا وقد كان نادى يوم الوقعة من ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن واشتد حزن علي على من قتل من ربيعة قبل ورود البصرة وهم الذين قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة وجدد حزنه قتل زيد بن صوحان قتله في ذلك اليوم عمرو بن سبرة ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن سبرة في ذلك

اليوم أيضا وكان علي يكثر من قوله

يا لهف نفسي على ربيعه * ربيعة السامعة المطيعه

وخرجت امرأة من عبد القيس تطوف القتلى فوجدت ابنين لها قد قتلا وقد كان قتل زوجها واخوان لها فيمن قتل قبل مجيء علي البصرة فانشأت تقول

شهدت الحروب فشيبنني * فلم ار يوما كيوم الجمل

أضر على مؤمن فتنة * واقتله لشجاع بطل

فليت الظعينة في بيتها * وليتك عسكر لم ترتحل

وقد ذكر المدائني أنه رأى بالبصرة رجلا مصطلم الاذن فسأله عن قصته فذكر انه خرج يوم الجمل ينظر الى القتلى فنظر الى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا * فلم تنصرف الا ونحن رواء

أطعنا بني تيم لشقوة جدنا * وماتيم الا أعبد واماء

فقلت سبحان الله اتقول هذا عند الموت قل لا اله الا الله فقال يا ابن اللخناء اياي تأمر بالجزع عند الموت فوليت عنه متعجبا منه فصاح بي ادن مني لقني الشهادة فصرت اليه فلما قربت منه استدناني ثم التقم أذني فذهب بها فجعلت ألعنه وأدعو عليه فقال اذا صرت الى امك فقالت من فعل هذا بك فقل عمير بن الاهلب الضبي مخدوع المرأة التي أرادت ان تكون أمير المؤمنين وخرجت عائشة من البصرة وقد بعث معها علي اخاها عبد الرحمن بن أبي بكر وثلاثين رجلا وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس وهمدان وغيرهما البسهن العمايم وقلدهن السيوف وقال لهن لا تعلمن عائشة أنكن نسوة كأنكن رجال وكن اللاتي تلين خدمتها وحملها فلما اتت المدينة قيل لها كيف رأيت مسيرك قالت كنت بخير والله لقد أعطى علي بن أبي طالب فاكثر ولكنه بعث معي رجالا فعرفها النسوة أمرهن فسجدت وقالت ما ازددت والله يا ابن أبي طالب الا كرما ووددت أني لم اخرج وان اصابتني كيت وكيت من امور ذكرتها وانما قيل لي تخرجين فتصلحين بين الناس فكان ما كان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن الذي قتل من اصحاب علي في ذلك اليوم خمس الاف ومن اصحاب الجمل وغيرهم من اهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر الفا وقيل غير ذلك ووقف علي على عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد بن أبي العاص بن امية وهو قتيل يوم الجمل فقال لهفي عليك يعسوب قريش قتلت الغطاريف من بني عبد مناف شفيت نفسي وجدعت انفي فقال له الاشتر ما اشد جزعك عليهم يا أمير المؤمنين وقد ارادوا بك ما نزل بهم فقال لي انه قامت عني وعنهم نسوة لم يقمن عنك واصيب كف ابن عتاب بمنى القاها عقاب وفيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب وكان اليوم الذي وجد فيه الكف بعد يوم الجمل بثلاثة ايام ودخل علي بيت مال البصرة في جماعة من المهاجرين والانصار فنظر الى ما فيه من العين والورق فجعل يقول يا صفراء غري غيري وادام النظر الى المال مفكرا ثم قال اقسموه بين اصحابي ومن معي خمسمائة خمسمائة ففعلوا فما نقص درهم واحد وعدد الرجال اثنا عشر الفا وقبض ما كان في عسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك فباعه وقسمه بين أصحابه وأخذ لنفسه ما أخذ لكل واحد

ممن معه من أصحابه واهله خمسمائة درهم فأتاه رجل من أصحابه فقال يا أمير المؤمنين انى لم
آخذ شيأ وخلفنى عن الحضور كذا وأدلى بعذر فاعطاه الخمسمائة التى كانت له   وقيل لابى
لبيد الجهمى من الازد أتحب عليا قال وكيف أحب رجلا قتل من قومى فى بعض يوم الفين
وخمسمائة وقتل من الناس حتى لم يكن أحد يعزى أحدا واشتغل اهل كل بيت بمن لهم وولى
على على البصرة عبد الله بن عباس وسار الى الكوفة فكان دخوله اليها لاثنتى عشرة ليلة
مضت من رجب وبعث الى الاشعث بن قيس يعزله عن اذربيجان وارمينية وكان عاملا
لعثمان فكان فى نفس الاشعث على على ما ذكرنا من العزل وما خاطبه به حين قدم عليه
فيما اقتطع هنالك من الاموال   ووجه بجرير بن عبد الله الى معاوية وقد كان جرير قال لعلى
ابعثنى اليه فانه لم يزل لى مستنصحا ووادا فآتيه وأدعوه الى أن يسلم هذا الامر وأدعو اهل
الشام الى طاعتك فقال الاشتر لا تبعثه ولا تصدقه فوالله انى لاظن هواه هواهم ونيته
نيتهم فقال على دعه حتى ننظر ما يرجع به الينا فبعث به وكتب الى معاوية معه يعلمه مبايعة
المهاجرين والانصار اياه واجتماعهم عليه ونكث الزبير وطلحة وما أوقع الله بهما ويامره
بالدخول فى طاعته ويعلمه أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة فلما قدم عليه جرير دافعه
وسأله أن ينتظره وكتب الى عمرو بن العاص على ما قدمنا فى صدر هذا الباب فاشار عليه
عمرو بالبعثة الى وجوه الشام وأن يلزم عليا دم عثمان ويقاتلهم به فقدم جرير على على فاخبره
خبرهم واجتماع اهل الشام مع معاوية على قتاله وأنهم يبكون على عثمان ويقولون ان عليا قتله
وآوى قتلته ومنع منهم وانهم لا بد لهم من قتاله حتى يفنوه أو يفنيهم فقال الاشتر قد كنت
اخبرتك يا أمير المؤمنين بعداوته وغشه لو بعثتنى لكنت خيرا من هذا الذى ارخى خناقه وأقام
حتى لم يدع بابا نرجو منه الا فتحه ولا بابا يخاف منه الا اغلقه فقال جرير لو كنت ثم اقتلوك والله
لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان قال الاشتر لو أتيتهم والله يا جرير لم يعينى جوابهم ولا ثقل على
خطابهم ولحملت معاوية على خطة أعجلته فيها عن الفكر ولو أطاعنى أمير المؤمنين قبل لحبسك
وأشباهك فى محبس فلا تخرجون منه حتى يستقيم هذا الامر فخرج جرير عند ذلك الى بلاد
قرقيسياء والرحبة من شاطئ الفرات وكتب الى معاوية يعلمه ما نزل به وأنه أحب مجاورته
والمقام فى داره فكتب اليه معاوية بالمسير اليه وبعث معاوية الى المغيرة بن شعبة الثقفى عند
منصرف على من الجمل وقبل مسيره الى صفين بكتاب يقول فيه قد ظهر من رأى ابن أبى طالب
ما كان تقدم من وعده لك فى طلحة والزبير فما الذى بقى فى رأيه فينا وذلك أن المغيرة بن شعبة
لما قتل عثمان وبايع الناس عليا دخل عليه المغيرة فقال يا أمير المؤمنين ان لك عندى نصيحة
فقال وما هى قال ان اردت ان يستقيم لك ما انت فيه فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة
والزبير بن العوام على البصرة وابعث الى معاوية بعهده على الشام حتى تلزمه طاعتك فاذا
استقر قرارها رأيت فيه رايك قال أما طلحة والزبير فسأرى رأيى فيهما وأما معاوية فلا والله
لا يرانى الله استعين به ما دام على ابدا ولكنى ادعوه الى ما عرفته فان أجاب والا حاكمته الى
الله فانصرف المغيرة وقال

نصحت عليا فى ابن هند مقالة * فردت فلا يسمع لها الدهر ثانيه

وقلت له ارسل اليه بعهده * على الشام حتى يستقر معاويه
ويعلم اهل الشام ان قد ملكته * وام ابن هند عند ذلك هاويه
فلم يقبل النصح الذى جئته به * وكانت له تلك النصيحة كافيه

(قال المسعودى) رحمه الله وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ما كان من المغيرة مع علىّ وما اشار به وهذا أحد الوجوه المروية فى ذلك فهذه جوامع ما يحتاج اليه من أخبار يوم الجمل وما كان فيه دون الاكثار والتطويل وتكرار الاسانيد فى ذلك والله ولى التوفيق

(ذكر جوامع مما كان بين اهل العراق وأهل الشأم بصفين)

(قال المسعودى) رحمه الله وقد ذكرنا جملا وجوامع من أخبار على رضى الله عنه بالبصرة وما كان يوم الجمل فلنذكر الآن جوامع من سيره الى صفين وما كان فيهما من الحروب ثم نعقب ذلك بشأن الحكمين والنهروان ومقتله عليه السلام وكان سير علىّ من الكوفة الى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين واستخلف على الكوفة ابا مسعود عقبة بن عامر الانصارى فاجتاز فى مسيره بالمدائن ثم اتى الانبار وسار حتى نزل الرقة فعقد له هنالك جسرا فعبر الى جانب الشام وقد تنوزع فى مقدار ما كان معه من الجيش فمكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع تسعون الفا وقال رجل من اصحاب علىّ لما استقروا مما يلى الشام من ابيات كتب بها الى معاوية

اثبت معاوى قد اتاك الحافل * تسعون الفا كلهم مقاتل * عما قليل يضمحل الباطل

وسار معاوية من الشام وقد تنوزع فى مقدار من كان معه فمكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع خمس وثمانون الفا فسبق عليا الى صفين وعسكر فى موضع سهل افيح اختاره قبل قدوم علىّ على شريعة لم يكن على الفرات فى ذلك الموضع أسهل منها للوارد الى الماء وما عداها أخراق عالية ومواضع الى الماء وعرة ووكل ابا الاعور السلمى بالشريعة مع اربعين الفا وكان على مقدمته وبات علىّ وجيشه فى البر عطاشا قد حيل بينهم وبين الورود الى الماء فقال عمرو بن العاص لمعاوية ان عليا لا يموت عطشا هو وتسعون الفا من اهل العراق وسيوفهم على عواتقهم ولكن دعهم يشربون ونشرب فقال معاوية لا والله او يموتوا عطشا كما مات عثمان وعلىّ يدور فى عسكره بالليل فسمع قايلا وهو يقول

ايمنعنا القوم ماء الفرات * وفينا الرماح وفينا الجحف
وفينا علىّ له صولة * اذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير * وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالنا الامس أسد العرين * وما بالنا اليوم شاة النجف

والقى فى فسطاط الاشعث بن قيس رقعة فيها

لين لم يجل الاشعث اليوم كربة * من الموت عنا للنفوس تعلت
ونشرب من ماء الفرات بسيفه * فهبنا اناسا قبل كانوا افرت

فلما قرأها حمى واتى عليا رضى الله عنه فقال له اخرج فى اربعة آلاف من الخيل حتى تهجم فى وسط عسكر معاوية فتشرب وتستقى لاصحابك او تموتوا عن آخركم وانا أسير فى خيل ورجاله

وراءك فسار الاشعث وهو يقول مرتجزا

لاوردن خيلي الفراتا * شعث النواصي او يقال ماتا

ثم دعا علي الاشتر فسرحه في اربعة آلاف من الخيل والرجالة فصار يؤم الاشعث صاحب رايته وهو رجل من النخع يرتجز ويقول

يا أشتر الخيرات يا خير النخع * وصاحب النصر اذا عال الفزع

قد خرج القوم وعالوا بالفزع * ان تسقنا اليوم فما هو بالبدع

ثم سار علي رضي الله عنه وراء الاشتر بباقي الجيش ومضى الاشعث فما رد وجهه حتى هجم على عسكر معاوية فأزال أبا الاعور عن الشريعة وغرق منهم بشرا وخيلا واورد خيله الفرات وذلك ان الاشعث داخلته الحمية في هذا اليوم وكان يقدم رمحه ثم يحث اصحابه فيقول ارجوهم مقدار هذا الرمح فيزيلوهم عن ذلك المكان فبلغ ذلك من فعل الاشعث عليا فقال هذا اليوم نصرنا فيه بالحمية وفي ذلك يقول رجل من أهل العراق

كشف الاشعث عنا * كربة الموت عيانا

بعد ما طارت كلانا * طيرة مست لهانا

فلله المن علينا * وبه درات رحانا

وارتحل معاوية عن الموضع وورد الاشتر وقد كشف الاشعث القوم عن الماء وازالهم عن مواضعهم وورد علي فنزل في الموضع الذي كان فيه معاوية فقال معاوية لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله ما ظنك بالرجل اتراه يمنعنا الماء لمنعنا اياه وقد انحاز باهل الشام الى ناحية في البر نائيا عن الماء فقال له عمرو لا ان الرجل جاء لغير هذا وانه لا يرضى حتى تدخل في طاعته او يقطع حبال عاتقك فارسل اليه معاوية يستأذنه في وروده مشرعته واستقاء الناس من طريقه ودخل رسله عسكره فاباحه علي كلما سال وطلب منه ولما كان اول من يوم من ذي الحجة بعد نزول علي على هذا الموضع بيومين بعث الى معاوية يدعوه الى اتحاد الكلمة والدخول في جماعة المسلمين وطالت المراسلة بينهما فاتفقوا على الموادعة الى آخر المحرم في سنة سبع وثلاثين وامتنع المسلمون عن الغزو في البحر والبر لشغلهم بالحروب وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لشغله بعلي ولم يتم بين علي ومعاوية صلح على غير ما اتفقا عليه من الموادعة في المحرم وعزم القوم على الحرب بعد انقضاء المحرم ففي ذلك يقول حابس بن سعد الطائي صاحب راية معاوية

فما دون المنايا غير سبع * بقين من المحرم او ثمان

ولما كان في اليوم الآخر من المحرم قبل غروب الشمس بعث الى اهل الشام اني قد احتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم اليه واني قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فلم يردوا عليه جوابا الا السيف بيننا وبينك او يهلك الاعجز منا واصبح علي يوم الاربعاء وكان اول يوم من صفر فعبأ الجيش واخرج الاشتر امام الناس وأخرج اليه معاوية وقد تصاف اهل الشام واهل العراق حبيب بن مسلم الفهري وكان بينهم قتال شديد واسفرت عن قتلى من الفريقين جميعا وانصرفوا فلما كان يوم الخميس وهو اليوم الثاني اخرج علي هاشم بن عتبة

قوله عن الغزو اي غزو الروم بدليل ما بعده فلا منافاة اهـ مصحح

قوله حابس في نسخة جابر واحداهما محرفة عن الاخرى وحرر

ابن أبي وقاص الزهري المرقال وهو ابن اخي سعد بن أبي وقاص وانما سمي المرقال لانه كان يرقل في الحرب وكان أعور وأذهبت عينه يوم اليرموك وكان من شيعة علي" وقد اتينا على شيره في اليوم الذي ذهبت فيه عينه وحسن بلائه في ذلك اليوم في الكتاب الاوسط في فتوح الشام فاخرج اليه معوية ابا الاعور السلمي وهو سفيان بن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن علي" وكان بينهما الحرب سجالا وانصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثير وأخرج علي" في اليوم الثالث وهو يوم الجمعة ابا اليقظان عمار بن ياسر في عدة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار فيمن شرع معهم من الناس واخرج اليه معاوية عمرو بن العاص في تنوخ ونهر وغيرهما من اهل الشام وكانت بينهم سجالا الى الظهر ثم حمل عمار بن ياسر فيمن ذكرنا فازال عمرا عن موضعه والحقه بعسكر معاوية واسفرت عن قتلى كثيرة من اهل الشام ودونهم من اهل العراق واخرج علي في اليوم الرابع وهو يوم السبت ابنه محمد بن الحنفية في همدان وغيرها ممن خف معه من الناس فاخرج اليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب في حمير ولخم وجذام وقد كان عبيد الله بن عمر لحق بمعاوية خوفا من علي" ان يقيده بالهرمزان وذلك ان ابا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قاتل عمر كان في أرض العجم غلاما للهرمزان فلما قتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله وقال لا أترك بالمدينة فارسيا ولا في غيرها الا قتلته وكان الهرمزان عليلا في الوقت الذي قتل فيه عمر فلما صارت الخلافة الى علي" اراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله اياه ظلما من غير سبب استحقه فلجأ الى معاوية فاقتتلوا في ذلك اليوم وكانت على اهل الشام ونجا ابن عمر في آخر النهار هربا واخرج علي" في اليوم الخامس وهو يوم الاحد عبد الله بن العباس فاخرج اليه معاوية الوليد بن عقبة بن أبي معيط فاقتتلوا واكثر الوليد من سب بني عبد المطلب بن هاشم فقاتله ابن عباس قتالا شديدا وناداه ابرز الي" ياصفوان وكان لقب الوليد وكانت الغلبة لابن عباس وكان يوما صعبا واخرج علي" في اليوم السادس وهو يوم الاثنين سعيد بن قيس الهمداني وهو سيد همدان يومئذ فاخرج اليه معاوية ذا الكلاع وكانت بينهما الى آخر النهار واسفرت عن قتلى وانصرف الفريقان جميعا واخرج علي" في اليوم السابع وهو يوم الثلاثا الاشتر في النخع وغيرهم فاخرج اليه معاوية حبيب بن سلمة الفهري" فكانت بينهم سجالا وصبر كلا الفريقين وتكاثروا وتواقفوا للحرب واسفرت عن قتلى منهما والجراح في اهل الشام اعم" وخرج في اليوم الثامن وهو يوم الاربعاء علي" رضي الله تعالى عنه بنفسه في الصحابة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار وربيعة وهمدان قال ابن عباس رايت في هذا اليوم عليا وعليه عمامة بيضاء وكأن عينيه سراجا سليط وهو يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم ويحرضهم حتى انتهى الي" وأنا في كثيف من الناس فقال يامعشر المسلمين عموا الاصوات وأكملوا اللامة واستشعروا الخشية واقلقوا السيوف في الاجفان قبل السلة وألحظوا الشذر واطعنوا الهبر ونافحوا الصبا وصلوا السيوف بالخطا والنبال بالرماح وطيبوا عن أنفسكم أنفسا فانكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله عاودوا الكر واستقبحوا الفر فانه عار في الاحقاب ونار يوم الحساب ودونكم هذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان راكب

صعيده معترض ذراعيه قد قدّم للوثبة يدا واخّر للنكوص رجلا فصبرا جميلا حتى تنجلى عن وجه الحق وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم وتقدّم علىّ الحرب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء وخرج معاوية فى عدد اهل الشام فانصرفوا عند المساء وكل غير ظافر وخرج فى اليوم التاسع علىّ وهو يوم الخميس وخرج معاوية فاقتتلوا الى ضحوة من النهار وبرز أمام الناس عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى اربعة آلاف من الحضرية معممين بشقق الحرير الاخضر متقدمين للموت يطلبون بدم عثمان وابن عمر يقدمهم وهو يقول

انا عبيد الله ينميني عمر * خير قريش من مضى ومن غبر
غير نبى الله والشيخ الاغر * قد ابطات فى نصر عثمان مضر
والربعيون فلا أسقوا المطر

فناداه علىّ ويحك يا ابن عمر علام تقاتلنى والله لو كان ابوك حيا ما قاتلنى قال أطلب بدم عثمان قال انت تطلب بدم عثمان والله يطلبك بدم الهرمزان وأمر علىّ الاشتر النخعى بالخروج اليه فخرج الاشتر اليه وهو يقول

انى انا الاشتر معروف السير * انى انا الافعى العراقىّ الذكر
لست من الحىّ ربيع اومضر * لكننى من مذحج البيض الغرر

فانصرف عنه عبيد الله ولم يبارزه وكثرت القتلى يومئذ وقال عمار بن ياسر انى لأرى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنّا على الحق وكانوا على الباطل وتقدم عمار فقاتل ثم رجع الى موضعه فاستسقى فاتته امرأة من نساء بنى شيبان من مصافهم بعس فيه لبن فدفعته اليه فقال الله اكبر الله اكبر اليوم القى الاحبة تحت الاسنة صدق الصادق وبذلك خبر الناطق وهو اليوم الذى وعدت فيه ثم قال أيها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالى والذى نفسى بيده لنقاتلنكم على تأويله كما قاتلناكم على تنزيله وتقدم وهو يقول

نحن ضربناكم على تنزيله * فاليوم نضربكم على تاويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله
اويرجع الحق الى سبيله

فتوسط القوم واشتبكت عليه الاسنة فقتله ابو الهادية العاملى وابو حوّاء السكسكى واختلفا فى سلبه فاحتكما الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما اخرجا عنى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اوقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغت قريش بعمار مالهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة وقبره بصفين وصلى عليه علىّ عليه السلام ولم يغسله وكان يغير شيبه وقد تنوزع فى نسبه فمن الناس من الحقه ببنى مخزوم ومنهم من رأى انه من حلفائهم ومنهم من رأى غير ذلك وقد اتينا على خبره فى كتاب مروج الذهب ... الاخبار وطرائف الآثار عند ذكرنا الاشتراط الخمسين الذين بايعوا عليا على الموت وفى قتله يقول الحجاج بن عربة الانصارى ابياتا رثاه بها

ياللرجال لعين دمعها جارى * قد هاج حزنى ابو اليقظان عمار

قوله وتسعون هكذا فى النسخ وفى نسخة وسبعون وهو الاشبه بالصواب

اهوى اليه ابو حوا فوارسه * يدعو السكون والجيشين اعصار
فاختل صدر أبي اليقطان معترضا * للرمح قد وجبت فيناله النار
الله عن جمعهم لاشك كان عفا * اتت بذلك آيات وآثار
من ينزع الله غلا من صدورهم * على الاسرة لم تمسسهم النار
قال النبي له تقتلك شرذمة * سيطت لحومهم بالبغي فجار
فاليوم يعرف اهل الشام أنهم * أصحاب تلك وفيها النار والعار

ولما صرع عمار تقدم سعيد بن قيس الهمداني في همدان وتقدم سعد بن عبادة الانصاري في الانصار وربيعة وعدي بن حاتم في طي وسعيد بن قيس الهمداني في اول الناس فخلطوا الجمع بالجمع واشتد القتال وحطمت همدان اهل الشام حتى قذفتهم الى معاوية وقد كان معاوية صمد فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان وأمر علي الاشتر ان يتقدم باللواء الى اهل حمص وغيرهم من اهل قنسرين فاكثر القتل في اهل حمص وقنسرين بمن معه من القراء وأتى المرقال يومئذ بمن معه فلا يقوم له شئ وجعل يرقل كما يرقل الفحل في قيده وعلي وراءه يقول يا أعور لا تكن جبانا تقدم والمرقال يقول

قد اكثر القوم وما أقلا * أعور يبغي أهله محلا
قد عالج الحياة حتى ملا * لابد ان يفل او يفلا
اسلهم بذي الكعوب سلا

ثم قصد هاشم بن عتبة المرقال لذي الكلاع وهو من حمير فحمل عليه صاحب لواء ذي الكلاع وكان رجلا من عذرة وهو يقول

اثبت فاني لست من فزعى مضر * نحن اليمانيون مافينا ضجر
كيف ترى وقع غلام من عذر * ينعى ابن عفان ويلحى من غدر
يا أعور العين رمى فيها العور * سيان عندي من سعى ومن أمر

فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم المرقال فقتله وقتل بعده سبعة عشر رجلا وحمل هاشم المرقال وحمل ذو الكلاع ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا ان لا يرجعوا أو يفتحوا أو يقتلوا فاجتلد الناس فقتل هاشم المرقال وقتل ذو الكلاع جميعا فتناول ابن المرقال اللواء حين قتل ابوه في وسط المعركة وكر في العجاج وهو يقول

يا هاشم بن عتبة بن مالك * أعزز بشيخ من قريش هالك
يخبط الخيلين بالسنابك * ابشر بحور العين في الارائك
والروح والريحان عند ذلك

ووقف علي رضي الله عنه عند مصرع المرقال ومن صرع حوله من الاسلميين وغيرهم فدعا لهم وترحم عليهم وقال من ابيات

جزا الله خيرا عصبة أسلمية * صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
يزيد وعبد الله بشر بن معبد * وسفيان وابنا هاشم ذي المكارم
وعروة لا ينفد ثناه وذكره * اذا اسلت بالبيض الخفاف الصوارم

تصحيح تميم بن سعد

واستشهد في ذلك اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة بن اليمان وقد كان حذيفة عليلا بالكوفة في سنة ست وثلاثين فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي فقال أخرجوني وادعوا الصلاة جامعة فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وعلى آله ثم قال ايها الناس ان الناس قد بايعوا عليا فعليكم بتقوى الله وانصروا عليا ووازروه فوالله انه لعلى الحق آخرا وأولا وانه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقي الى يوم القيمة ثم اطبق يمينه على يساره ثم قال اللهم اشهد أني قد بايعت عليا وقال الحمد لله الذي أبقاني الى هذا اليوم وقال لابنيه صفوان وسعد احملاني وكونا معه فسيكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا ان تستشهدا معه فانه والله على الحق ومن خالفه على الباطل ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة ايام وقيل باربعين يوما واستشهد عبد الله بن الحارث النخعي اخو الاشتر واستشهد فيه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل بن ورقاء الخزاعي في خلق من خزاعة وكان عبد الله في ميسرة علي وهو يرتجز ويقول

لم يبق الا الصبر والتوكل * واخذك الترس وسيف مصقل

ثم التمشي في الرعيل الاول

فقتل ثم قتل عبد الرحمن اخوه بعده فيمن ذكرنا من خزاعة ولما راى معاوية القتل في أهل الشام وكلب اهل العراق عليهم استدعى بالنعمان بن جبلة التنوخي وكان صاحب راية قومه في تنوخ ونهد وقال له لقد هممت أن أولي قومك من هو خير منك مقدما وانصح منك دينا فقال له النعمان انا لو كنا ندعى الى جيش ممنوع لكان في لكع بعد الاناة فكيف ونحن ندعوهم الى سيوف قاطعة وردينية شاغرة وقوم ذي بصائر نافذة والله لقد نصحتك على نفسي وآثرت ملكك على ديني وتركت لهواك الرشد وانا أعرفه وحدت عن الحق وانا ابصره وما وفقت لرشد حين أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول مؤمن به ومهاجر معه ولو اعطيناه ما اعطيناك لكان أرأف بالرعية وأجزل في العطية ولكن قد بذلنا لك الامر ولا بد من اتمامه كان غيا اورشدا وحاشا ان يكون رشدا وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها اذ أحرمنا أثمار الجنة وأنهارها وخرج الى قومه وصمد الى الحرب وكان عبيد الله ابن عمر اذا خرج الى القتال قام اليه نساؤه فشددن عليه سلاحه ما خلا الشيبانية بنت هانئ بن قبيصة فخرج في هذا اليوم وأقبل على الشيبانية وقال لها اني قد عبأت اليوم لقومك وايم الله اني لارجو أن أربط بكل طنب من اطناب فسطاطي سيدا منهم فقالت ما أبغض الا ان تقاتلهم قال ولم قالت لانه لم يتوجه اليهم صنديد الا أبادوه وأخاف ان يقتلوك وكاني بك قتيلا وقد اتيتهم أسألهم ان يهبوا الى جيفتك فرماها بقوس فشجها وقال انها ستعلمين بمن آتيك من زعماء قومك ثم توجه فحمل عليه حريث بن جابر الجعفي فطعنه فقتله وقيل ان الاشتر النخعي هو الذي قتله وقيل ان عليا ضربه فقطع ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه وان عليا قال حين هرب فطلبه ليقيد منه بالهرمزان لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره وكلمن نساؤه معاوية في جيفته فأمر أن تاتين ربيعة فتبذلن في جيفته عشرة الاف ففعلن ذلك فاستامرت ربيعة عليا فقال انما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها ولكن

قد اجبتهم الى ذلك فاجعلوا جيفته لبنت هانئ بن قبيصة الشيبانى زوجته فقالوا النسوة عبيد الله ان شئتن شددناه الى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل الى عسكر معاوية فصرخن وقلن هذا أشد علينا وأخبرن معاوية بذلك فقال لهن ايتوا الشيبانية فسلوها ان تكلمهم فى جيفته ففعلن واتت القوم وقالت انا بنت هانئ بن قبيصة وهذا زوجى القاطع الظالم قد حذرته ما صار اليه فهبوا الى جيفته ففعلوا والقت اليهم بطرف خز فادرجوه فيه ودفعوه اليها فشد فى رجله الى طنب فسطاط من فساطيطهم ولما قتل عمار ومن ذكرنا فى هذا اليوم حرض على عليه السلام الناس وقال لربيعة انتم درعى ورمحى فانتدب له ما بين عشرة آلاف الى اكثر من ذلك من ربيعة وغيرهم قد جادوا بانفسهم لله عز وجل وعلى امامهم على البغلة الشهباء وهو يقول

من أى يومى من الموت أفر * ايوم لم يقدر أم يوم قدر

وحمل وحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشأم صف الا انتقض وأهمدوا كلما اتوا عليه حتى أتوا الى قبة معاوية وعلى لا يمر بفارس الا قده وهو يقول

أضربهم ولا ارى معاوية * الاخزر العين العظيم الهاويه
تهوى به فى النار أم هاويه

وقيل ان هذا الشعر للبديل بن ورقاء قاله فى ذلك اليوم ثم نادى على يا معاوية علام يقتل الناس بينى وبينك هلم احاكمك الى الله فاينا قتل صاحبه استقامت له الامور فقال له عمرو قد انصفك الرجل فقال له معاوية ما أنصفت وانك لتعلم انه لم يبارزه رجل قط الا قتله أو أسره فقال له عمرو وما تجمل بك الا مبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدى وحقدها عليه وقد قيل فى بعض الروايات ان معاوية أقسم على عمرو لما اشار عليه بهذا ان يبرز الى على فلم يجد عمرو من ذلك بدا فبرز فلما التقيا عرفه على وشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته وقال مكره أخوك لا بطل فحوّل على وجهه وقال قبحت ورجع عمرو الى مصافه وقد ذكر هشام بن محمد الكلبى عن الشرقى بن القطامى أن معاوية قال لعمرو بعد انقضاء الحرب هل غششتنى منذ نصحتنى قال لا قال بلى والله يوم أشرت على بمبارزة على وانت تعلم ما هو قال دعاك الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما ان تقتله فتكون قد قتلت قاتل الاقران وتزداد شرفا الى شرفك واما ان يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فقال معاوية يا عمرو الثانية اشر من الاولى وكان فى هذا اليوم من القتال ما لم يكن قبل ووجدت فى بعض النسخ من اخبار صفين ان هاشما المرقال لما وقع الى الارض وهو يجود بنفسه رفع راسه فاذا عبيد الله بن عمر مطروح الى قربه جريحا فجثا حتى دنا منه فلم يزل يعض على ثديه حتى ثبتت فيه اسنانه لعدم السلاح والقوة لانه أصيب فوقه ميتا هو ورجل من بكر بن وائل قد زحف الى عبيد الله فخشاه وانصرف القوم الى مواضعهم وخرج كل فريق منهم يحملون من امكن من قتلاهم ومر معاوية فى خواص من اصحابه فى الموضع الذى كان ميمنته فنظر الى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى معفرا بدمائه وقد كان على ميسرة على فحمل على ميمنة معاوية فاصيب على ما قدمنا انفا فاراد معاوية ان

يمثل به فقال عبد الله بن عامر وكان صديقا لابن بديل والله لا تركنك واياه فوهبه له فغطاه بعمامته فواراه فقال له معاوية قد والله واريت كبشا من كباش القوم وسيدا من سادات خزاعة غير مدافع لو ظفرت بنا خزاعة لا كلونا ولو أنا في جندل دون هذا الكبش وانشأ يقول متمثلا

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت يوما به الحرب شمرا
كليث هزبر كان يحمى ذماره * رمته المنايا قصدها فتقطرا

ونظر على الى غسان فى مصافهم لا يزولون فحرض اصحابه عليهم وقال ان هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطفح الطعام وتسقط منه المعاصم والاكف وحتى تشدخ جباههم بعد الحديد وتنتشر حواجبهم على الصدور والاذقان أين أهل الصبر وطلاب الاجر فثاب اليه عصابة من المسلمين من سائر الناس فدعا ابنه محمدا فدفع اليه الراية وقال امش بها نحو هذه الراية مشيا رويدا حتى اذا اشرعت فى صدورهم الرماح فامسك حتى ياتيك امرى ففعل واتاه على ومعه الحسن والحسين وشيوخ بدر وغيرهم من الصحابة وقد كردس الخيل فحملوا على غسان ومن يليها فقتلوا منها بشرا كثيرا وعادت الحرب فى آخر النهار كحالها فى أوله وحملت ميمنة معاوية وفيها عشرة آلاف من مذحج وعشرون الفا مقنعون فى الحديد على ميسرة على فاقتطعوا الف فارس فانتدب من اصحاب على عبد العزيز بن الحارث الجعفى وقال لعلى مرنى بامرك فقال شد الله ركبك سر حتى تنتهى الى اخواننا المحاط بهم وقل لهم يقول لكم على كبروا ثم احملوا ونحمل حتى نلتقى فحمل الجعفى فطعن فى عرضهم حتى انتهى اليهم فاخبرهم بمقالة على فكبروا ثم شدوا حتى التقوا بعلى وشدخوا سبعمائة من اهل الشام وقتل حوشب ذو ظليم وهو كبش من كباش اليمن فى اهل الشام وكان على راية هذيل بن سنان وغيرها من ربيعة الحصين بن المنذر بن الحارث ابن وعلة الذهلى وفيه يقول على فى هذا اليوم

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قلت قدمها حصين تقدما

فامره بالتقدم واختلط الناس وبطل النبل واستعملت السيوف وجنهم الليل وتنادوا بالشعار وتقصفت الرماح وتصادم القوم وكان يعتنق الفارس الفارس ويقعان جميعا الى الارض عن فرسيهما وكانت ليلة الجمعة وهى ليلة الهرير فكان جملة من قتل على بكفه فى يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا أكثرهم فى اليوم وذلك انه كان اذا قتل رجلا كبر اذا ضرب ولم يكن يضرب الا قتل ذكر ذلك عنه من كان يليه فى حربه ولا يفارقه من ولده وغيرهم واصبح القوم على قتالهم وكسفت الشمس وارتفع القتام وتقطعت الالوية ولم يعرفوا مواقيت الصلاة وغدا الاشتر يرتجز وهو يقول

نحن قتلنا حوشبا * لما غدا قد أعلما
وذا الكلاع قبله * ومعبدا اذ قدما
ان تقتلوا منا ابا ال * يقظان شيخا مسلما
فقد قتلنا منكم * سبعين راسا مجرما

اضحوا بصفين وقد * لاقوا انكا لا مؤلما

وكان الاشتر فى هذا اليوم وهو يوم الجمعة على ميمنة على وقد أشرف على الفتح ونادت مشيخة اهل الشام الله الله فى الحرمات والنساء والبنات وقال معاوية هلم مخبآتك يا ابن العاص فقد هلكنا وتذكر ولاية مصر فقال عمرو أيها الناس من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه فكثر فى الجيش رفع المصاحف وارتفعت الضجة ونادوا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام ومن لثغور العراق بعد أهل العراق ومن لجهاد الروم ومن للترك ومن للكفار ورفع فى عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف وفى ذلك يقول النجاشى بن الحارث

فاصبح أهل الشام قد رفعوا القنا * عليها كتاب الله خير قران
ونادوا عليا يا ابن عم محمد * اما تتقى أن تهلك الثقلان

فلما رأى كثير من اهل العراق ذلك قالوا نجيب الى كتاب الله وننوب اليه وأحب القوم الموادعة وقيل لعلى قد اعطاك معاوية الحق دعاك الى كتاب الله فاقبل منه وكان اشدهم فى ذلك اليوم الاشعث بن قيس فقال على أيها الناس انه لم يكن من أمركم ما احب حتى قرحتكم الحرب وقد والله اخذت منكم وتركت وانى كنت امس اميرا فاصبحت اليوم مأمورا وقد أحببتم البقاء فقال الاشتر ان معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك فاقدع الحديد واستعذ بالله وتكلم رؤساء اصحاب على بنحو من كلام الاشتر فقال الاشعث بن قيس انا لك اليوم على ما كنا عليه امس وليس ندرى ما يكون غدا وقد والله فل الحديد وكلت البصائر وتكلم معه غيره بكلام كثير فقال على ويحكم ما رفعوها لانكم تعلمونها ولا يعملون بها وما رفعوها لكم الا خديعة ودهاء ومكيدة فقالوا له انه ما يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنأبى أن نقبله فقال ويحكم انما قاتلتهم ليدينوا بحكم الكتاب فقد عصوا الله فيما أمرهم به ونبذوا كتابه فامضوا على حقكم وقصدكم وخذوا فى قتال عدوكم فان معاوية وابن العاص وابن أبى معيط وحبيب بن مسلمة وابن النابغة وعدة غير هؤلاء ليسوا باصحاب دين ولا قرآن وانا اعرف بهم منكم صحبتهم أطفالا ورجالا فهم شر أطفال ورجال وجرى له مع القوم خطب طويل قد اتينا ببعضه وتهددوه ان يصنع به ما صنع بعثمان وقال الاشعث ان شئت اتيت معاوية فسألته ما يريد قال ذلك اليك فأتيه ان شئت فأتاه الاشعث فسأله فقال له معاوية نرجع نحن وانتم الى كتاب الله والى ما أمر به فى كتابه تبعثون منكم رجلا ترضونه وتختارونه ونبعث برجل ونأخذ عليهما العهد والميثاق أن يعملا بما فى الكتاب ولا يخرجا عنه وتنقاد جميعا الى ما اتفقا عليه من حكم الله فصوب الاشعث قوله وانصرف الى على فأخبره بذلك فقال أكثر الناس رضينا وقبلنا وسمعنا وأطعنا فاختار أهل الشام عمرا بن العاص وقال الاشعث ومن ارتد بعد ذلك الى رأى الخوارج رضينا نحن بأبى موسى الاشعرى فقال على قد عصيتمونى فى أول الامر فلا تعصونى الآن انى لا أرى ان اولى ابا موسى الاشعرى فقال الاشعث ومن معه لا نرضى الا بأبى موسى الاشعرى قال ويحكم ليس بثقة قد فارقنى وخذل الناس وفعل كذا وكذا وذكر اشياء

فعلها ابو موسى ثم انه هرب شهورا حتى أمنته لكن هذا عبد الله بن عباس اوليه ذلك فقال الاشعث واصحابه والله لا يحكم فينا مضرى قال علي فالاشتر قالوا وهل هاج هذا الامر الا الاشتر قال فاصنعوا الآن ما اردتم وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه فبعثوا الى أبي موسى وكتبوا اليه القضية وقيل لابي موسى ان الناس قد اصطلحوا قال الحمد لله وقد جعلوك حكما قال انا لله وانا اليه راجعون

(ذكر الحكمين وبدء التحكيم)

كان ابو موسى الاشعري يحدث قبل وقعة صفين ويقول ان الفتن لم تزل في بني اسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى يبعثوا الحكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعهما فقال سويد بن علقمة اياك ان ادركت ذلك الزمان ان تكون أحد الحكمين قال أنا قال نعم انت فكان يخلع قميصه ويقول لا جعل الله لي اذا في السماء مصعدا ولا في الارض مقعدا فلقيه سويد بن علقمة بعد ذلك فقال يا ابا موسى اتذكر مقالتك قال سل ربك العافية وكان فيما كتب في الصحيفه ان يحيي الحكمان ما أحيا القرآن ولا يتبعان الهوى ولا يداهنان في شيء من ذلك فان فعلا فلا حكم لهما والمسلمون من حكمهما براء وقال علي للحكمين حين أكره على امرهما ورد الاشتر وكان قد أشرف في ذلك اليوم على الفتح فاخبره مخبر بما قالوا في علي وانه ان لم يرده سلم الى معاوية وفعل به ما فعل بابن عفان فانصرف الاشتر خوفا على علي ان تحكما بما في كتاب الله وكتاب الله كله لي فان لم تحكما بما في كتاب الله فلا حكم لكما وصيروا الاجل الى شهر رمضان على اجتماع الحكمين في موضع بين الكوفة والشام وكان الوقت الذى كتبت فيه الصحيفة لايام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين وقيل بعد هذا الشهر منها ومر الاشعث بالصحيفة يقرؤها على الناس فرحا مسرورا حتى انتهى الى مجلس لبني تميم فيه جماعة من زعمائهم منهم عروة بن الزبير التميمي وهو اخو بلال الخارجي فقرأها عليهم فجرى بين الاشعث وبين اناس منهم خطب طويل وان الاشعث كان بدء هذا الامر والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا الى امر الله وقال عروة بن أدية أتحكمون في دين الله وأمره ونهيه الرجال لا حكم الا الله فكان أول من قالها وحكم بها وقد تنوزع في ذلك وشد بسيفه على الاشعث فضم فرسه عن الضربة فوقعت في عجز الفرس ونجا الاشعث وكادت العصبية ان تقع بين النزارية واليمانية لولا اختلاف كلمتهم في الديانة والتحكيم وفي فعل عروة بن أدية بالاشعث يقول رجل من بني تميم في ابيات

عروياعرو كل فتنة قوم * سلفت انما تكون فتيه
ثم تنمي ويعظم الخطب فيها * فاحذرن غب ما أتيت عريه
اعلى الاشعث المعصب بالتا * ج حملت السلاح يا ابن أديه
انها فتنة كفتنة ذي الجمـ * ـل ايا عروة العصا والعصيه
فانظر اليوم ما يقول علي * واتبعه فذاك خير البريه

وقد تنوزع في مقدار من قتل من اهل الشام والعراق بصفين فذكر احمد بن الدورقي عن يحيى ابن معين ان عدة من قتل بها من الفريقين في مائة يوم وعشرة ايام مائة الف وعشرة آلاف من الناس من اهل الشام تسعون الفا ومن اهل العراق عشرون الفا ونحن نذهب الى ان

عدد من حضر الحرب من اهل الشام بصفين اكثر مما قيل فى هذا الباب وهو خمسون
ومائة الف مقاتل سوى الخدم والاتباع وعلى هذا يجب ان يكون مقدار القوم جميعا من
قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلثمائة الف بل اكثر من ذلك لان اقل من فيهم معه
واحد يخدمه وفيهم من معه الخمسة والعشرة من الخدم والاتباع واكثر من ذلك واهل
العراق كانوا فى عشرين ومائة الف مقاتل دون الاتباع والخدم واما الهيثم بن عدى الطائى
وغيره مثل الشرقى ابن القطامى وابى مخنف لوط بن يحيى فذكروا ما قدمنا وهو ان جملة من قتل
من الفريقين جميعا سبعون الفا من أهل الشام خمسة وأربعون ألفا ومن اهل العراق خمسة
وعشرون الفا فيهم خمسة وعشرون بدريا وان العدد كان يقع بالقضيب والاحصاء للقتلى
فى كل وقعة وتحصيل هذا يتفاوت لان فى قتلى الفريقين من يعرف ومن لا يعرف وفيهم
من غرق وفيهم من قتل فى البر فاكلته السباع فلم يدركهم الاحصاء وغير ذلك مما يعسر ما
وصفنا وسمعت امراة بصفين وقد قتل لها ثلاثة اولاد وهى تقول

أعينىّ جودا بدمع سرب * على فتية من خيار العرب
وماضرّهم غير حين النفوس * باىّ امرئ من قريش غلب

ولما وقع التحكيم تباغض القوم جميعا يتبرأ الاخ من أخيه والابن من ابيه وأمر علىّ بالرحيل
لعلمه باختلاف الكلمة وتفاوت الرأى وعدم النظام لامورهم وما لحقه من الخلاف منهم
وكثرة التحكيم فى جيش اهل العراق وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف وتسابوا ولام
كل فريق منهم الآخر فى رأيه وسار علىّ يؤم الكوفة ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام
وفرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده ولما دخل علىّ رضى الله عنه الكوفة انحاز عنه
اثنا عشر ألفا من القراء وغيرهم فلحقوا بحروراء قرية من قرى الكوفة وجعلوا عليهم شبيب
ابن ربعى التميمى وعلى صلاتهم عبد الله بن الكواء اليشكرى من بكر بن وائل فخرج علىّ اليهم
وكانت له معهم مناظرات فدخلوا جميعا الكوفة وانما سموا الحرورية لاجتماعهم فى هذه
القرية وانحيازهم اليها وقد ذكر يحيى بن معين قال حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن الصلت
ابن بهرام قال لما قدم علىّ الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر جزعت من البلية
ورضيت بالقضية وقبلت الدنية لا حكم الا لله فيقول حكم الله انتظر فيكم فيقولون ولقد
أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فيقول
علىّ فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء
الحكمين بدومة الجندل وقيل بغيرها على ما قدمنا فى وصف التنازع فى ذلك وبعث علىّ
بعبد الله بن العباس وشريح بن هانئ الهمدانى فى اربعمائة رجل فيهم ابو موسى الاشعرى
وبعث معاوية بعمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن الصمة فى اربعمائة فلما تدانى القوم من
الموضع الذى كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لابى موسى ان عليا لم يرض بك حكما لفضل
غيرك والمتقدمون عليك كثير وان الناس ابوا غيرك وانى لاظن ذلك لشر يراد بهم وقد ضم
داهية العرب معك ان نسيت فلا تنس ان عليا بايعه الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان وليس
فيه خصلة تباعده من الخلافة وليس فى معاوية خصلة تقربه من الخلافة ووصى معاوية عمرا

حين

حين فارقه وهو يريد الاجتماع بأبي موسى فقال يا أبا عبد الله ان أهل العراق قد أكرهوا عليا
على أبي موسى وأنا وأهل الشأم راضون بك وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأي
فأخذ الجد وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله ووافاهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله
ابن عمر وعبد الرحمن بن يغوث الزهري والمغيرة بن شعبة الثقفي وغيرهم وهؤلاء ممن قعد عن
بيعة علي في آخرين من الناس وذلك في شهر رمضان فلما التقى أبو موسى وعمرو قال عمرو
لأبي موسى تكلم وقل خيرا فقال أبو موسى بل تكلم أنت يا عمرو فقال عمرو ما كنت لأفعل
وأقدم نفسي قبلك ولك حقوق كلها واجبة لسنك وصحبتك رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأنت ضيف فحمد الله أبو موسى وأثنى عليه وذكر الحدث الذي حل بالاسلام
والخلاف الواقع بأهله ثم قال يا عمرو هلم الى أمر يجمع الله فيه الالفة ويلم الشعث ويصلح ذات
البين فجزاه عمرو خيرا وقال ان للكلام أولا وآخرا ومتى تنازعنا الكلام خطبا لم نبلغ آخره حتى
ننسى أوله فاجعل ما كان من كلام نتصادر عليه في كتاب يصير اليه أمرنا قال فاكتب فدعا
عمرو بصحيفة وكاتب وكان الكاتب غلاما لعمرو فتقدم اليه ليبدأ به أولا دون أبي موسى
لما أراد من المكر به ثم قال له بحضرة الجماعة اكتب فانك شاهد علينا ولا تكتب شيأ يأمرك به
أحدنا حتى تستأمر الآخر فيه فاذا أمرك فاكتب واذا نهاك فانته حتى يجتمع رأينا اكتب
بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان فكتب وبدأ بعمرو فقال له عمرو لا أم
لك أتقدمني قبله كأنك جاهل بحقه فبدأ باسم عبد الله بن قيس وكتب تقاضيا على أنهما
يشهدان أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ثم قال عمرو ونشهد أن أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسول الله حتى قبضه الله اليه وقد أدى الحق الذي عليه قال
أبو موسى اكتب ثم قال في عمر مثل ذلك ثم قال عمرو اكتب وأن عثمان ولي هذا الأمر بعد عمر
على اجماع من المسلمين وشورى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى منهم وأنه كان
مؤمنا فقال أبو موسى الاشعري ليس هذا مما قعدنا له قال عمرو والله لا بد من أن يكون مؤمنا
أو كافرا قال أبو موسى اكتب قال عمرو فظالما قتل عثمان أو مظلوما قال أبو موسى بل قتل
مظلوما قال عمرو أفليس قد جعل الله لولي المظلوم سلطانا يطلب بدمه قال أبو موسى نعم قال
عمرو فهل تعلم لعثمان وليا أولى من معاوية قال أبو موسى لا قال عمرو أفليس لمعاوية أن يطلب
قاتله حيثما كان حتى يقتله أو يعجز قال أبو موسى بلى قال عمرو للكاتب اكتب وأمره أبو موسى
فكتب قال عمرو فانا نقيم البينة أن عليا قتل عثمان قال أبو موسى هذا أمر قد حدث في
الاسلام وانما اجتمعنا لله فهلم الى أمر يصلح الله به أمة محمد قال عمرو وما هو قال أبو موسى قد
علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبدا وأن أهل الشأم لا يحبون عليا أبدا فهلم نخلعهما
جميعا ونستخلف عبد الله بن عمر وكان عبد الله بن عمر على بنت أبي موسى قال عمرو أيفعل ذلك
عبد الله بن عمر قال أبو موسى نعم اذا حمله الناس على ذلك فعل فعمد عمرو الى كل ما مال اليه
أبو موسى فصوبه وقال له هل لك في سعد قال له أبو موسى لا فعدد له عمرو جماعة وأبو موسى
يأبى ذلك الا ابن عمر فأخذ عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد أن ختماها جميعا

وقال عمرو أرأيت ان رضى اهل العراق بعبد الله بن عمر وأبى أهل الشام أيقاتل أهل الشام قال أبو موسى لا قال عمرو فان رضى أهل الشام وأبى أهل العراق أيقاتل أهل العراق قال ابو موسى لا قال عمرو أما اذا رأيت الصلاح فى هذا الامر والخير للمسلمين فقم فاخطب الناس واخلع صاحبينا وتكلم باسم هذا الرجل الذى تستخلف فقال ابو موسى بل أنت قم فاخطب فأنت أحق بذلك قال عمرو ما احب ان اتقدمك وما قولى وقولك للناس الا قول واحد فقم راشدا فقام ابو موسى فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس انا قد نظرنا فى امرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الامن والصلاح ولم الشعث وحقن الدماء وجمع الالفة خلعنا عليا ومعاوية وقد خلعت عليا كما خلعت عمامتى هذه واهوى الى عمامته فخلعها واستخلفنا رجلا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب ابوه النبى صلى الله عليه وسلم فبرز فى سابقته وهو عبد الله بن عمر وأطراه ورغب الناس فيه ونزل فقام عمرو فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس ان ابا موسى عبد الله بن قيس خلع عليا واخرجه من هذا الامر الذى يطلب وهو أعلم به ألا وانى خلعت عليا معه واثبت معاوية على وعليكم وان ابا موسى قد كتب فى الصحيفة ان عثمان قد قتل مظلوما شهيدا وان لوليه ان يطلب بدمه حيث كان وقد صحب معاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب ابوه النبى صلى الله عليه وسلم وأطراه ورغب الناس فيه وقال هو الخليفة علينا وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان فقال ابو موسى كذب عمرو ولم نستخلف معاوية ولكنا خلعنا معاوية وعليا معا فقال عمرو بل كذب عبد الله بن قيس قد خلع عليا ولم يخلع معاوية (قال المسعودى رحمه الله) ووجدت فى وجه آخر من الروايات انهما اتفقا على خلع على ومعاوية وانه يجعلا الامر بعد ذلك شورى يختار الناس رجلا يصلح لها فقدم عمرو ابا موسى فقال ابو موسى انى قد خلعت عليا ومعوية فاستقبلوا امركم وتنحى وقام عمرو من مكانه فقال ان هذا قد خلع صاحبه وانا اخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبى معاوية فقال ابو موسى مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الحمار يحمل اسفارا فقال له عمرو بل اياك يلعن الله كذبت وغدرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ثم وكز ابا موسى فالقاه لجنبه فلما راى ذلك شريح ابن هانئ قنع عمرا بالسوط وتحول ابو موسى فاستوى على راحلته ولحق بمكة ولم يعد الى الكوفة وقد كانت خطته واهله وولده بها وآلى ان لا ينظر الى وجه على ما بقى ومضى ابن عمر وسعد الى بيت المقدس وفى فعل الحكمين يقول ايمن بن خريم بن فاتك الاسدى

لو كان للقوم رأى يعصمون به * عند الخطوب رموكم بابن عباس

لكن رموكم بوغد من ذوى يمن * لم يدر ما ضرب اخماس باسداس

وفى اختلاف الحكمين والحكمة يقول بعض من حضر ذلك

رضينا بحكم الله لا حكم غيره * وبالله ربا والنبى وبالذكر

وبالاصلع الهادى على امامنا * رضينا بذاك الشيخ فى العسر واليسر

رضينا به حيا وميتا فانه * امام الهدى فى موقف النهى والامر

ولابي موسى يقول ابن عباس

ابا موسى بليت وكنت شيخا * قريب القعر مخزون اللسان
وما عمرو صفاتك يا ابن قيس * فيالله من شيخ يمانى
فأمسيت العشية ذا اعتذار * ضعيف الركن منكوب العنان
تعض الكف من ندم وماذا * يرد عليك عضك للبنان

وقيل انه لم يكن بينهما غير ما كتبناه فى الصحيفة واقرار أبى موسى بان عثمان قتل مظلوما وغير ذلك مما قدمنا وانهما لم يخطبا وذلك ان عمرا قال لابى موسى سم من شئت حتى انظر معك فسمى ابو موسى ابن عمر وغيره ثم قال لعمرو وقد سميت أنا فسم أنت قال نعم اسمى لك اقوى هذه الامة عليها وأسدها رأيا واعلمها بالسياسة معاوية بن أبى سفيان قال لا والله ما هو لذلك بأهل قال فآتيك بآخر ليس هو بدونه قال من هو قال ابو عبد الله عمرو بن العاص فلما قالها علم ابو موسى انه يلعب به فقال فعلتها لعنك الله فتسابا فلحق ابو موسى بمكة فلما انصرف ابو موسى انصرف عمرو بن العاص الى منزله ولم يات الى معاوية فارسل اليه معاوية يدعوه فقال انما كنت اجيئك اذا كانت لى اليك حاجة فاما اذا كانت الحاجة الينا فأنت أحق أن تأتينا فعلم معاوية ما قد وقع اليه فخدّ الرأى وأعمل الحيلة وأمر معاوية بطعام كثير فصنع ثم دعا بخاصته ومواليه واهله فقال انى ساغدو الى هذا فاذا دعونه فادعوا مواليه وأهله فليجلسوا قبلكم فاذا شبع رجل وقام فليجلس رجل منكم مكانه فاذا خرجوا ولم يبق فى البيت أحد فأغلقوا باب البيت واحذروا ان يدخل احد منهم الا أن آمركم وغدا اليه معاوية وعمرو جالس على فرشه فلم يقم له عنها ولا دعاه اليها فجاء معاوية وجلس على الارض واتكأ على الفرش وذلك ان عمرا كان يحدث نفسه انه قد ملك الامر واليه العهد يضعها فى من يرى ويندب للخلافة من يشاء فجرى بينهما كلام كثير وكان مما قال له عمرو هذا الكتاب الذى بينى وبينه عليه خاتمى وخاتمه وقد أقر بان عثمان قتل مظلوما فأخرج عليا من هذا الامر وعرض على رجالا لم أرهم أهلا لها وهذا الامر الى استخلف من شئته قد أعطانى أهل الشام عهودهم ومواثيقهم فحادثه معاوية ساعة واخرجه عما كانوا عليه وضاحكه وداعبه ثم قال يا أبا عبد الله هل من غداء قال اما والله شئ يشبع من ترى فلا فقال معاوية هلم يا غلام غداءك فجئ بالطعام المستعد فوضع فقال يا أبا عبد الله ادع مواليك وأهلك فدعاهم ثم قال له عمرو وادع انت اصحابك قال نعم يأكل اصحابك ثم يجلس هؤلاء بعد فجعلوا كلما قام رجل من حاشية عمرو قعد موضعه رجل من حاشية معاوية حتى خرج اصحاب عمرو وجلس أصحاب معاوية فقام الذى وكله بغلق الباب فاغلق الباب فقال له عمرو فعلتها فقال اى والله بينى وبينك أمران اختر أيهما شئت البيعة لى أو أقتلك ليس والله غيرهما قال عمرو فأذن لغلامى وردان حتى اشاوره وأنظر رأيه قال لا تراه والله ولا يراك الا قتيلا أو على ما قلت لك قال فاونى اذا مصر قال هى لك ما عشت فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه واحضر معاوية الخواص من اهل الشام ومنع أن يدخل معهم أحد من حاشية عمرو فقال لهم عمرو قد رأيت أن ابايع معاوية فلم أر احدا اقوى على هذا الامر منه فبايعه اهل الشام وانصرف الى

منزلة خليفة ولما بلغ عليا ما كان من أمر أبي موسى وعمرو قال اني كنت تقدمت اليكم في هذه الحكومة ونهيتكم عنها فأبيتم الا عصياني فكيف رأيتم عاقبة امركم اذ أبيتم علي والله اني لاعرف من حملكم على خلافي والترك لامري ولو أشاء أخذه لفعلت ولكن الله من ورائه يريد بذلك الاشعث بن قيس والله اعلم وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بني خثعم

أمرتهم امري بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد

من دعا الى هذه الخصومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتي هذه الا ان هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين قد تركا حكم الله وحكما بهوى انفسهما بغير حجة ولا حق معروف فأماتا ما أحيي القرآن وأحييا ما أماته واختلف في حكمهما كلاهما ولم يرشدهما الله ولم يوفقهما فبرئ الله منهما ورسله وصالح المؤمنين فتأهبوا للجهاد واستعدوا للمسير وأصبحوا في معسكركم ان شاء الله تعالى (قال المسعودي) وقد اختلفت الفرق من اهل ملتنا في الحكمين وقالوا في ذلك أقاويل كثيرة وقد اتينا على ما ذهبوا اليه في ذلك في كتاب المقالات وما قاله كل فريق منهم ومن أيد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق هذه الامة في كتابنا في المقالات في اصول الديانات وذكرنا في كتاب اخبار الزمان قول علي في مواقفه وخطبه وما قاله في ذلك وما اكره عليه وما بينه لهم بعد الحكومة وما تقدم الحكومة من تحذيره اياهم منها حين ألحوا في تحكيم أبي موسى الاشعري وعمرو وحيث قال الا ان القوم قد اختاروا لانفسهم اقرب الناس مما يحبون واخترتم لانفسكم أقرب الناس مما تكرهون انما عهدكم بعبد الله بن قيس بالامس وهو يقول الا انها فتنة فقطعوا اقيها وتاركم وكسروا قسيكم فان يك صادقا فقد اخطأ في مسيره غير مستكره عليه وان يك كاذبا فقد لزمته التهمة وهذا كلام أبي موسى في تخذيله الناس وتحريضه على الجلوس عن أمير المؤمنين علي في حروبه ومسيره الى الجمل وغيره ثم ما قاله في بعض مقاماته في معاتبته لقريش وقد بلغه عن أناس منهم ممن قعد عن بيعته ونافق في خلافته كلام كثير فقال وقد زعمت قريش ان ابن ابي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب تربت ايديهم وهل فيهم اشد مراسا لها مني لقد نهضت فيها وما بلغت الثلثين وها انا ذا قد أربيت على نيف وستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع (قال المسعودي) واذ قد تقدم ذكرنا الجمل من اخبار الجمل وصفين والحكمين فلنذكر الآن جوامع من اخبار يوم النهروان ونعقب ذلك بذكر مقتله عليه السلام وان كنا قد اتينا على مبسوط سائر ما تقدم لنا في هذا الكتاب وما تاخر فيما سلف من كتبنا والله اعلم

ذكر حروبه رضي الله عنه مع اهل النهروان وما لحق بهذا الباب من مقتل محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه والاشتر النخعي وغير ذلك

واجتمعت الخوارج في اربعة آلاف فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي ولحقوا بالمداين وقتلوا عبد الله بن خباب عامل علي عليها ذبحوه ذبحا وبقروا بطن امرأته وكانت حاملا وقتلوا غيرها من النساء وقد كان علي انفصل عن الكوفة في خمسة وثلاثين الفا واتاه من البصرة من قبل ابن عباس وكان عامله عليها عشرة آلاف فيهم الاحنف بن قيس وحارثة ابن قدامة السعدي وذلك في سنة ثمان وثلاثين فنزل على الانبار والتأمت اليه العساكر فخطب الناس وحرضهم على

الجهاد وقال سيروا الى قتلة المهاجرين والانصار قد طالما سعوا في اطفاء نور الله وحرضوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه الا ان رسول الله أمرني بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا اليهم والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم والمارقين ولم نلقهم بعد فسيروا الى القاسطين فهم أهم علينا من الخوارج سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين يتخذهم الناس اربابا ويتخذون عباد الله خولا ومالهم دولا فأبوا الا ان يبدؤوا بالخوارج فسار علي اليهم حتى اتى النهروان فبعث اليهم بالحرث بن مرة العبدى رسولا يدعوهم الى الرجوع فقتلوه وبعثوا الى علي ان تبت من حكومتك وشهدت على نفسك بالكفر بايعناك وان أبيت فاعتزلنا حتى نختار لانفسنا اماما فانا منك براء فبعث اليهم علي أن ابعثوا الي بقتلة اخواني فاقتلهم ثم أتارككم الى أن أفرغ من قتال أهل المغرب ولعل الله يقلب قلوبكم فبعثوا اليه كلنا قتلة أصحابك وكلنا مستحل لدمائهم مشتركون في قتلهم واخبره الرسول وكان من يهود السواد أن القوم قد عبروا نهر طبرستان في هذا الوقت وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان بين حلوان و بغداد من بلاد خراسان فقال علي والله ما عبروه ولا يقطعونه حتى نقتلهم بالرميلة دونه ثم تواترت عليه الاخبار بقطعهم لهذا النهر وعبورهم هذا الجسر وهو يأبى ذلك ويحلف انهم لم يعبروه وان مصارعهم دونه ثم قال سيروا الى القوم فوالله لا يفلت منهم الا عشرة ولا يقتل منكم عشرة فسار علي فاشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على ما قال لاصحابه فلما أشرف عليهم قال الله اكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصاف القوم ووقف عليهم بنفسه فدعاهم الى الرجوع والتوبة فابوا ورموا أصحابه فقيل له قد رمونا فقال كفوا فكرروا القول عليه ثلاثا وهو يامرهم بالكف حتى أتى برجل قتيل متشحط بدمه فقال علي الله اكبر الآن حل قتالهم احملوا على القوم فحمل رجل من الخوارج على اصحاب علي فخرج فيهم وجعل يغشى كل ناحية ويقول

أضربهم ولو أرى عليا * ألبسته أبيض مشرفيا

فخرج اليه علي رضي الله عنه وهو يقول

يا أيهذا المبتغي عليا * اني اراك جاهلا شقيا
قد كنت عن كفاحه غنيا * هلم فابرز ها هنا اليا

وحمل عليه علي فقتله ثم خرج منهم آخر فحمل على الناس ففتك فيهم وجعل يكر عليهم وهو يقول

أضربهم ولو أرى أبا حسن * ألبسته بصارمي ثوب غبن

فخرج اليه علي وهو يقول

يا أيهذا المبتغي ابا حسن * اليك فانظر اينا يلقى الغبن

وحمل عليه علي وشكه بالرمح وترك الرمح فيه فانصرف علي وهو يقول لقد رأيت ابا حسن فرأيت ما تكره وحمل ابو أيوب الانصارى على زيد بن حصن فقتله وقتل عبد الله بن وهب الذى قتل هانئ بن حاطب الازدى وزياد بن حفصة وقتل حرقوص بن زهير السعدى وكان جملة من قتل من اصحاب علي تسعة ولم يفلت من الخوارج الا عشرة وأتى علي على القوم

وهم اربعة الآف فيهم المخدج ذو الثدية الا من ذكرنا من هؤلاء العشرة وامر علي" بطلبه المخدج فطلبوه فلم يقدروا عليه فقام علي" وعليه اثر الحزن لفقد المخدج فانتهى الى قتلى بعضهم فوق بعض فقال أفرجوا فافرجوا يمينا وشمالا واستخرجوه فقال علي" رضي الله عنه الله اكبر ما كذبت على محمد وانه لناقص اليد ليس فيها عظم طرفها حلمة مثل ثدي المرأة عليها خمس شعرات أو سبع رؤسها معقفة ثم قال ايتوني به فنظر الى عضده فاذا لحم يجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود اذا مدت اللحمة امتدت حتى تحاذي بطن يده الاخرى ثم تترك فتعود الى منكبه فثنى رجله ونزل وخر لله ساجدا ثم ركب ومر بهم وهم صرعى فقال لقد صرعكم من غركم قيل ومن غرهم قال الشيطان وانفس السوء فقال اصحابه قد قطع الله دابرهم الى آخر الدهر فقال كلا والذي نفسي بيده انهم لفي أصلاب الرجال وارحام النساء لا تخرج خارجة الا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الاشمط يخرج اليه رجل منا اهل البيت فيقتلهم ولا يخرج بعدها خارجة الى يوم القيامة وجمع علي ما كان في عسكر الخوارج فقسم السلاح والدواب بين المسلمين ورد المتاع والعبيد والاماء الى اهليهم ثم خطب الناس فقال ان الله قد أحسن اليكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم فقالوا يا أمير المؤمنين قد كلت سيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت اسنة رماحنا فدعنا نستعد باحسن عدتنا وكان الذي كلمه بهذا الاشعث بن قيس فعسكر علي" بالنخيلة فجعل اصحابه يتسللون ويلحقون باوطانهم فلم يبق معه الا نفر يسير ومضى الحرث بن راشد الناجي في ثلاثمائة من الناس فارتدوا الى دين النصرانية وهم من ولد سامة بن لؤي عند أنفسهم وقد أبى ذلك كثير من الناس وذكروا أن سامة بن لؤي ما أعقب وقد حكي عن علي" فيهم ما قد ذكرنا في كتابنا في اخبار الزمان ولست ترى ساميا الا منحرفا عن علي" من ذلك ما ظهر عن علي بن الجهم الشاعر السامي من التعصب والانحراف وقد اتينا على لمع من شعره واخباره في الكتاب الاوسط ولقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعلي" عليه السلام انه كان يلعن اباه فسئل عن ذلك وبم استحق اللعن منه فقال بتسميته اياي عليا فسرح عليهم علي" معقل بن قيس الرياحي فقتل الحرث ومن معه من المرتدين بسيف البحر وسبى عيالهم وذراريهم وذلك بساحل البحرين فنزل معقل بن قيس بعض كور الاهواز بسبي القوم وكان هنالك مصقلة" بن هبيرة الشيباني عاملا لعلي" فصاح به النسوة امنن علينا فاشتراهم بثلثمائة الف واعتقهم وأدى من المال مائتي الف وهرب الى معاوية فقال علي" قبح الله مصقلة فعل فعل السيد وفر فرار العبد لو اقام أخذنا ما قدرنا على اخذه فان أعسر أنظرناه وان عجز لم نؤاخذه بشيء وانفذ العتق وفي ذلك يقول مصقلة" بن هبيرة من ابيات

تركت نساء الحي بكر بن وايل * واعتقت سبيا من لؤي بن غالب

وفارقت خير الناس بعد محمد * لمال قليل لا محالة ذاهب

وفي ذلك يقول الآخر

ومصقلة" الذي قد باع بيعا * ربيحا يوم ناجية ابن سام

ولمسئلة القسال اتاها وحيل عملها قد ذكرناها وما قالوا في ذلك من الشعر في الكتاب الاوسط
وقال علي بن محمد بن جعفر العلوي فيمن انتمي الى سامة بن لؤي بن غالب بن محمد

أسامة منا فابنوه * فأمرهم عندنا مظلم
اناس آتونا بانسابهم * خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصي وكل أقاويله محكم
اذا ما سئلت فلم تدر ما * تقول فقل ربنا أعلم

وفي سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرا بن العاص الى مصر في أربعة الاف ومعه معاوية بن خديج وابو الاعور السلمي واستعمل عمرا عليها حياته ووفى له بما تقدم من ضمانه فالتقوا هم ومحمد بن أبي بكر وكان عامل علي عليها بالموضع المعروف بالمسناة فاقتتلوا فانهزم محمد لاسلام اصحابه اياه وتركهم له وصار الى موضع بمصر فاختفى فيه فاحيط بالدار فخرج اليهم محمد ومن معه من اصحابه فقاتلهم حتى قتل فأخذه معاوية بن خديج وعمرو بن العاص وغيرهما فجعلوه في جلد حمار وأضرموه بالنار وذلك بموضع في مصر يقال له كوم شريك وقيل انه فعل به ذلك وبه شيء من الحياة وبلغ معاوية قتل محمد واصحابه فاظهر الفرح والسرور وبلغ عليا قتل محمد وسرور معاوية فقال جزعنا عليه على قدر سرورهم فما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعي عليه كان لي ربيبا وكنت اعده ولدا كان بي برا وكان ابن اخي فعلى مثل هذا نحزن وعند الله نحتسبه وولى علي الاشتر مصر وانفذه اليها في جيش فلما بلغ ذلك معاوية دس الى دهقان وكان بالعريش فأرغبه وقال اترك خراجك عشرين سنة فاحتل للاشتر بالسم في طعامه فلما نزل الاشتر العريش سأل الدهقان أي الطعام والشراب احب اليه قيل العسل فأهدى له عسلا وقال ان من امره وشانه كذا وكذا ووصفه للاشتر وكان الاشتر صائما فتناول منه شربة فما استقرت في جوفه حتى تلف وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه وقيل كان ذلك بالقلزم والاول أثبت فبلغ ذلك عليا فقال لليدين وللفم وبلغ ذلك معاوية فقال ان لله جندا من العسل وقبض اصحابه عن علي في هذه السنة ثلاثة ارزاق على حسب ما كان يحمل اليه من المال من أعماله ثم ورد عليه مال من اصبهان فخطب الناس وقال اغدوا الى عطاء رابع فوالله ما انا لكم بخازن وكان في عطايه يأخذ كما يأخذ الواحد منهم ولم يكن بين علي ومعاوية من الحرب الا ما وصفنا بصفين وكان معاوية في بقية أعمال علي يبعث سرايا تغير وكذلك علي كان يبعث من يمنع سرايا معاوية من أذية الناس وقد أتينا على ذكر السرايا والغارات فيما سلف من كتبنا (قال المسعودي رحمه الله) وقد تكلم طوائف من الناس ممن سلف وخلف من أهل الاراء في الخوارج وغيرهم من فعل علي يوم الجمل وصفين وتباين حكمه فيهما وفيمن قتل من أهل صفين مقبلين ومدبرين واجهازه على جرحاهم ويوم الجمل لم يتبع موليا ولا اجهز على جريح ومن القى سلاحه أو دخل داره كان آمنا وما اجابهم به شيعة علي في تباين حكم علي في هذين اليومين لاختلاف حكمهما وهو أن اصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون اليها وانما رجع القوم الى منازلهم غير محاربين ولا منابذين ولا لامره مخالفين فرضوا بالكف عنهم وكان الحكم فيهم رفع السيف اذ لم يطلبوا عليه أعوانا وأهل صفين كانوا

يرجعون الى فئة مستعدة وامام منتصب يجمع لهم السلاح ويسنى لهم الاعطية ويقسم لهم الاموال ويجبر كسيرهم ويحمل راجلهم ويردهم فيرجعون الى الحرب وهم الى امامته منقادون ولرأيه متبعون ولغيره مخالفون ولامامته تاركون ولحقه جاحدون ويأنه يطلب ما ليس له قايلون فاختلف الحكم لما وصفنا وتباين حكاهما لما ذكرنا ولكل فريق من السايل والمجيب كلام يطول ذكره ويتسع شرحه قد اتينا على استيعابه وماذكره كل فريق منهم فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن اعادته والله اعلم

ذكر مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وفي سنة اربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج فتذاكروا الناس وماهم فيه من الحرب والفتنة وتعاهد ثلاثه منهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص وتواعدوا واتفقوا على ان لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي يتوجه اليه حتى يقتله او يقتل دونه وهم عبد الرحمن ابن ملجم لعنه الله وكان من تجيب وكان عدادهم في مراد فنسب اليهم وحجاج بن عبد الله الصريمي ولقبه البرك وزادويه مولى بني العنبر فقال ابن ملجم انا اقتل عليا وقال البرك انا اقتل معاوية وقال زادويه انا اقتل عمرا بن العاص واتعدوا ان يكون ذلك ليلة سبع عشرة من شهر رمضان وقيل ليلة احدى وعشرين فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادي الى علي فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه وكان علي قتل أباها وأخاها يوم النهروان وكانت أجمل اهل زمانها فخطبها فقالت لا اتزوج حتى تسمي لي قال لا تسأليني شيأ الا اعطيته فقالت ثلاثة الاف وعبدا وقينة وقتل علي فقال ماسألت هو لك مهر الا قتل علي فلا اراك تدركينه قالت فالتمس غرة فان اصبته شفيت نفسي ونفعك العيش معي وان هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال والله ما جاء بي الى هذا المصر وقد كنت هاربا منه الا ذلك وقد اعطيتك ما سألت وخرج من عندها وهو يقول

ثلاثة الاف وعبد وقينة * وقتل علي بالحسام المصمم
فلا مهر أعلى من علي وان علا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

فلقيه رجل من اشجع يقال له شبيب بن بجرة من الخوارج فقال له هل لك في شرف الدنيا والآخرة فقال وماذاك قال تساعدني على قتل علي قال ثكلتك أمك لقد جئت شيأ اداً قد عرفت غناءه في الاسلام وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن ملجم ويحك اما تعلم انه قد حكم الرجال في كتاب الله وقتل اخواننا المصلين فنقتله ببعض اخواننا فاقبل معه حتى دخل على قطام وهي في المسجد الاعظم وقد ضربت كلة لها وهي معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فاعلمتهما ان مجاشع بن وردان بن علقمة قد انتدب لقتله معهما فدعت لهما بحرير فعصبتهما وأخذوا أسيافهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التي يخرج منها علي للمسجد وكان علي يخرج كل غداة اول الاذان للصلاة وقد كان ابن ملجم مر بالاشعث وهو في المسجد فقال له فضحك الصبح فسمعها حجر بن عدى فقال قتلته يا اعور قتلك الله وخرج علي رضي الله عنه ينادي أيها الناس الصلاة فشد عليه ابن ملجم واصحابه وهم يقولون الحكم لله لا لك وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف في قرنه واما شبيب فوقعت

ضربته

ضربته بعضادة الباب وأما ابن وردان فهرب وقال علي لا يفوتنكم الرجل وشد الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ويتناولونه ويصيحون فضرب ساقه رجل من همدان برجله وضرب المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وجهه فصرعه واقبل به الى الحسن ودخل شبيب بين الناس فنجا بنفسه وهرب حتى أتى رحله فدخل عليه عبد الله بن بجرة وهو احد بني ابيه فرآه ينزع الحرير عن صدره فسأله عن ذلك فخبره خبره فانصرف عبد الله الى رحله واقبل اليه بسيفه فضربه حتى قتله وقيل ان عليا لم ينم تلك الليلة وانه لم يزل يمشي بين الباب والحجرة وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت فلما صرخ بط كان للصبيان صاح بهن بعض من في الدار فقال علي ويحك دعهن فانهن نوائح وقد ذكر طائفة من الناس ان عليا رضي الله عنه أوصى الى ابنيه الحسن والحسين لانهما شريكاه في آية التطهير وهذا قول كثير ممن ذهب الى القول بالنص ودخل عليه الناس يسألونه فقالوا يا أمير المؤمنين أرأيت ان فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن قال لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما اوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شيء منها قولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضعيف وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ولا تأخذكما في الله لومة لائم ثم نظر الى ابن الحنفية فقال هل سمعت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك وتزيين أمرهما ولا تقطعن أمرا دونهما ثم قال لهما أوصيكما به فانه سيفكما وابن أبيكما فاكرماه واعرفا حقه فقال له رجل من القوم ألا تعهد يا أمير المؤمنين قال لا ولكن اتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فماذا تقول لربك اذا أتيته قال أقول اللهم انك أبقيتني فيهم ما شئت أن تبقيني ثم قبضتني وتركتك فيهم فان شئت أفسدتهم وان شئت أصلحتهم ثم قال أما والله انها الليلة التي ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع عشرة وقبض ليلة احدى وعشرين وبقي علي الجمعة والسبت وقبض ليلة الاحد ودفن بالرحبة عند مسجد الكوفة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخباره تنازع الناس في موضع قبره وما قيل في ذلك وقبض وقد أتى عليه اثنتان وسبعون سنة وقيل اثنتان وستون وقد قدمنا تنازع الناس في مقدار سنه وكان كما قال الحسن والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الاولون الا بفضل النبوة ولا يدركه الآخرون وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه وكان الذي صلى عليه الحسن ابنه وكبر عليه سبعا وقيل غير ذلك ولم يترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم بقيت من اعطائه أراد أن يشتري بها خادما لاهله وقال بعضهم ترك لاهله مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه ولما أرادوا قتل ابن ملجم لعنه الله قال عبد الله بن جعفر دعوني حتى أشفي نفسي منه فقطع يديه ورجليه وأحمى له مسمارا حتى اذا صار جمرة كحله به فقال سبحان الذي خلق الانسان انك لتكحل عمك بملمول بصاص ثم ان الناس أخذوه وادرجوه في بواري ثم طلوها بالنفط واشعلوا فيها النار فاحترق وفيه يقول عمران ابن حطان الرقاشي يمدحه في ضربته من شعر له طويل

يا ضربة من تقي ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره يوما فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

فأجابه القاضى أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعى

انى لابرأ مما أنت قائله * عن ابن ملجم الملعون بهتانا
يا ضربة من شقى ما أراد بها * الا ليهدم للاسلام أركانا
انى لاذكره يوما فألعنه * دينا وألعن عمرانا وحطانا
عليه ثم عليه الدهر متصلا * لعائن الله اسرارا واعلانا
فأنتما من كلاب النار جاء به * نص الشريعة برهانا وتبيانا

وزاد بعضهم على هذه الابيات بيتا آخر وهو

عليكما لعنة الجبار ما طلعت * شمس وما أوقدوا فى الكون نيرانا

معارضة لبيتى اللعين ابن حطان لعنه الله فى ابن ملجم أخزاه الله

قل لابن ملجم والاقدار غالبة * هدمت ويلك للاسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشى على قدم * وأول الناس اسلاما وايمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما * سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبى ومولانا وناصره * أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له * مكان هارون من موسى بن عمرانا
وكان فى الحرب سيفا صارما ذكرا * ليثا اذا مالقى الاقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر * فقلت سبحان رب الناس سبحانا
انى لاحسبه ما كان من بشر * يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد اذا عدت قبائلها * وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الاولى التى جلبت * على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم ان سوف يخضبها * قبل المنية ازمانا فأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله * ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله فى شقى ظل مجترما * ونال ما ناله ظلما وعدوانا
يا ضربة من تقى ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
بل ضربة من غوى أورثته لظى * مخلدا قد أتى الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته * الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

ولعمران بن حطان ولابيه حطان أخبار كثيرة قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان فى باب أخبار الخوارج من الازارقة والاباضية والحرية والصفرية والهجرية وغيرهم من فرق الخوارج الى سنة ثمان عشرة وثلثمائة وكان آخر من خرج منهم ربيعة المعروف بفروان فأدخل على المقتدر بالله بعث به ابن حمدان من هرموناء وقد كان خرج فى أيامه أيضا المعروف بأبى شعيب وقد رثى الناس أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه فى ذلك الوقت والى هذه الغاية وذكروا مقتله وممن رثاه فى ذلك الوقت أبو الاسود الدؤلى من أبيات

ألا ابلغ معاوية بن حرب * فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا * بخير الناس طرّا اجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا * وذللها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها * ومن قرأ المثاني والمبينا
اذا استقبلت وجه أبي حسين * رأيت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت * بانك خيرهم حسبا ودينا

وانطلق البرك الصريمي الى معاوية فطعنه بخنجر في اليته وهو يصلي فأخذ وأوقف بين يديه فقال له ويلك وما أنت وما خبرك قال لا تقتلني وأخبره قال انا بايعنا في هذه الليلة عليك وعلى علي وعلى عمرو فان أردت فاحبسني عندك فان كانا قتلا والا خليت سبيلي فطلبت قتل علي ولك علي ان أقتله وأن آتيك حتى أضع يدي في يدك فقال بعض الناس قتله يومئذ وقال بعضهم حبسه حتى جاءه خبر قتل علي فأطلقه وانطلق زادويه عمرو بن بكر التميمي الى عمرو ابن العاص فوجد خارجة قاضي مصر جالسا على السرير يطعم الناس في مجلس عمرو وقيل بل صلى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم وتخلف عمرو عن الصلاة لعارض فضربه بالسيف فدخل عليه عمرو وبه رمق فقال له خارجة والله ما أراد غيرك فقال عمرو ولكن الله اراد خارجة وأوقف الرجل بين يدي عمرو فسأله عن خبره فقص عليه القصة وأخبره ان عليا ومعاوية قد قتلا في هذه الليلة فقال ان قتلا أولم يقتلا فلا بد من قتلك فبكى فقيل له اجزعا من الموت مع هذا الاقدام فقال لا والله ولكن غما ان يفوز صاحبي بقتل علي ومعاوية ولا أفوز أنا بقتل عمرو فضرب عنقه وصلب وكان علي رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل

تلكم قريش تمناني لتقتلني * فلا وربك ما برّوا وما ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتي لهم * بذات ودقين لا يعفو لها أثر

وكان يكثر من ذكر هذين البيتين

اشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

وسمعا منه في الوقت الذي قتل فيه فانه قد خرج الى المسجد وقد عسر عليه فتح باب داره وكان من جذوع النخل فاقتلعه وجعله ناحية وانحل ازاره فشده وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين وقد كان معاوية دس اناسا الى الكوفة يشيعون موته واكثر الناس القول في ذلك حتى بلغ عليا فقال في مجلسه قد أكثرتم من نعي معاوية والله ما مات ولا يموت حتى يملك ما تحت قدمي وانما أراد ابن اكلة الاكباد ان يعلم ذلك مني فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ما عندي فيه وما يكون من أمره في المستقبل من الزمان ومرّ في كلام كثير يذكر فيه أيام معاوية ومن تلاه من يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج وما يسومهم من العذاب فارتفع الضجيج وكثر البكاء والشهيق فقام قائم من الناس فقال يا أمير المؤمنين لقد وصفت امورا عظيمة آلله ان ذلك كائن قال علي والله ان ذلك لكائن ما كذبت ولا كذبت فقال آخرون متى ذلك يا أمير المؤمنين قال اذا خضبت هذه من هذه ووضع احدى يديه على لحيته

والاخرى على رأسه فأكثر الناس من البكاء فقال لا تبكوا فى وقتكم هذا فستبكون بعدى طويلا فكاتب أكثر أهل الكوفة معاوية سرا فى أمورهم واتخذوا عنده الايادى فوالله ما مضت الأيام قلائل حتى كان ذلك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب بعد ذكرنا لزهده ولمع من كلامه وجمل من اخباره أيضا أخبار معاوية بن أبى سفيان والله ولى التوفيق

ذكر لمع من كلامه واخباره وزهده رضوان الله عليه

لم يلبس عليه السلام فى أيامه ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربعا الاشيأ كان له بينبع مما تصدق به وحبسه والذى حفظ الناس عنه من خطبه فى سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة تداول الناس ذلك عنه قولا وعملا (وقيل) له من خيار العباد قال الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا واذا ابتلوا صبروا واذا غضبوا غفروا (وكان) يقول الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها الدنيا مسجد أحباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحيه ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها ومثلت لهم ببلائها البلاء وشوقت بسرورها الى السرور وراحت بفجيعة وابتكرت بعافية تحذيرا وترغيبا وتخويفا فذمها رجال غب الندامة وحمدها آخرون غب المكافأة ذكرتهم فذكروا تصاريفها وصدقتهم فصدقوا احديثها فيا ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استذامت لك الدنيا بل متى غرتك من نفسها أبمضاجع آبائك من البلى أم بمصارع امهاتك من الثرى كم قد عللت بكفك ومرضت بيدك من تبغى له الشفاء وتستوصف له الاطباء لم تنفعه بشفائك ولم تسعف له بطلبتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك غداة لا ينفعك بكاؤك ولا يغنى عنك احباؤك ولا تسمع فى مدح الدنيا أحسن من هذا (ومما) حفظ من كلامه فى بعض مقاماته فى صفة الدنيا انه قال الا ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة وان الآخرة قد دنت مقبلة ولهذه أبناء ولهذه أبناء فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين فى الدنيا والراغبين فى الآخرة ان الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقوضوا الدنيا تقويضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن راقب الخير سارع فى الخيرات الا وان لله عبادا يرون أهل الجنة فى الجنة منعمين مخلدين قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة أنفسهم عفيفة وحاجتهم خفيفة صبروا اياما قليلة فصارت لهم العقبى راحة طويلة اما الليل فصافوا أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجأرون الى ربهم ويسعون فى فكاك رقابهم واما النهار فعلماء حكماء بررة اتقياء كأنهم القداح براهم الخوف والعبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالطهم أمر عظيم من ذكر النار وما فيها (وقال لابنه الحسن) يا بنى استغن عمن شئت تكن نظيره وسل من شئت تكن

حقيره واعظم من شئت تكن أميره (ودخل) عليه رجل من أصحابه فقال كيف أصبحت يا أمير المؤمنين قال أصبحت ضعيفا مذنبا آكل رزقي وانظر أجلي قال وما تقول في الدنيا قال وما أقول في دار أولها غم وآخرها موت من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن حلالها حساب وحرامها عقاب قال فأي الخلق أنعم قال اجساد تحت التراب قد امنت العقاب وهي تنتظر الثواب (ودخل) ضرار بن حمزة وكان من خواص علي على معاوية وافدا فقال له صف لي عليا قال اعفني يا أمير المؤمنين قال معاوية لابد من ذلك فقال اما اذا كان لابد من ذلك فانه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يعجبه من الطعام ما خشن ومن اللباس ما قصر وكان والله يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سالناه وكنا والله على تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له ولا نبتديه لعظمه في نفوسنا يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويرحم المساكين ويطعم في المسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة يكسو العريان وينصر اللهفان ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل وظلمته وكأني به وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري الي تعرضت أم الي تشوقت هيهات هيهات لا حان حينك قد ابنتك ثلاثا لا رجعة لي فيك عمرك قصير وعيشك حقير وخطرك يسير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق فقال له معاوية زدني شيأ من كلامه فقال ضرار كان يقول اعجب ما في الانسان قلبه وله موادّ من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجاء اماله الطمع وان مال به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه القنوط قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان أسعده الرضى نسي التحفظ وان أماله الخوف فضحه الجزع وان أفاد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة فضحه الفقر وان اجهده الجوع اقعده الضعف وان افرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد فقال له معاوية زدني كلما وعيته من كلامه قال هيهات ان آتي على جميع ما سمعته منه ثم قال سمعته يوصي كميل بن زياد يا كميل ذب عن المؤمن فان ظهره حمى الله ونفسه كريمة على الله وظالمه خصم الله وأحذركم من ليس له ناصر الا الله قال وسمعته يقول ذات يوم ان هذه الدار اذا اقبلت على قوم أعارتهم محاسن غيرهم واذا ادبرت عنهم سلبتهم محاسن انفسهم قال وسمعته يقول بطر الغنى يمنع من عز الصبر قال وسمعته يقول ينبغي للمؤمن ان يكون نظره عبرة وسكوته فكرة وكلامه حكمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان قتل جعفر بن أبي طالب الطيار بمؤتة من ارض الشام لا يبعث بعلي في وجهة من الوجوه الا يقول رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين وحمل علي يوم احد على كردوس من المشركين خشن فكشفهم فقال جبريل يا محمد ان هذه لهي المواساة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عليا مني قال جبريل وانا منكم كذلك ذكره اسحاق بن ابراهيم وغيره ووقف على علي سائل فقال للحسن قل لامك تدفع اليه درهما فقال انما عندنا ستة دراهم للدقيق فقال علي لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده ثم امر للسائل بالستة الدراهم كلها فما برح علي رضي الله عنه

حتى مر به رجل يقود بعيرا فاشتراه منه بمائة وأربعين درهما وانسأ أجله ثمانية اياما فلم يحل اجله حتى مر به رجل والبعير معقول فقال بكم هذا فقال بمائتي درهم فقال قد أخذته فوزن له الثمن فدفع علي منه مائة وأربعين درهما للذي ابتاعه منه ودخل بالستين الباقية على فاطمة عليها السلام فسألته من اين هي فقال هذه تصديق لما جاء به ابولنا صلى الله عليه وسلم من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومر ابن عباس بقوم ينالون من علي ويسبونه فقال لقائده أدنني منهم فأدناه فقال ايكم الساب لله قالوا نعوذ بالله ان نسب الله فقال ايكم الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نعوذ بالله ان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم الساب علي بن أبي طالب قالوا اما هذه فنعم قال أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سبني فقد سب الله ومن سب عليا فقد سبني فأطرقوا فلما ولى قال لقائده كيف رأيتهم فقال

نظروا اليك باعين محزورة * نظر التيوس الى شفار الجازر

فقال زدني فداك أبي وأمي فقال

خزر العيون منكسي اذقانهم * نظر الذليل الى العزيز القاهر

قال زدني فداك أبي وأمي قال ما عندي مزيد ولكن عندي

أحياؤهم تخزى على أمواتهم * والميتون فضيحة للغابر

وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن الحسين بن علي ان عليا قال في صبيحة الليلة التي ضربه فيها عبد الرحمن بن ملجم بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم كل امرئ ملاقيه ما يفر منه والاجل تساق النفس اليه والهرب منه موافاته كم اطردت الايام أبحثها عن مكنون هذا الامر فأبى الله عز وجل الا أخفاءه هيهات علم مكنون أما وصيتي فلا تشركوا به شيأ ومحمد لا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين حمل كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وامام عليم كنا في اعصار ودوي رياح تحت ظل غمامة اضمحل راكدها فخطها من الارض حيا وبقي من بعدي خبرها واسكنه بعد حركة كاظمة بعد نطق ليعظكم هدوءي وخفوت اطرافي انه أوعظ لكم من نطق البليغ ودعتكم وداع امرئ مرصد للتلاق وغدا ترون ويكشف عن ساق عليكم السلام الى يوم المرام كنت بالامس صاحبكم واليوم عظة لكم وغدا افارقكم ان افق فانا ولي دمي وان امت فالقيامة ميعادي والعفو اقرب للتقوى الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم

ومن خطبه قبل هذا وتزهيده في هذه الدنيا قوله في بعض مقاماته وخطبه ان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وان الآخرة قد اشرفت واقبلت باطلاع وان المضمار اليوم والسباق غدا الا انكم في ايام أمل ووراءه اجل فمن اخلص في ايام امله قبل حضور اجله فقد حسن عمله فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون في الرهبة الا واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم له الهدى يجزيه الضلال وقد امرتم بالطعن ودللتم على الزاد فان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل وفضائل

علي

علي ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه أكثر من ان يأتي عليه كتابنا هذا أو غيره من الكتب أو يبلغه اسهاب مسهب أو اطناب مطنب وقد اتينا على جمل من اخباره وزهده وسيره وأنواع من كلامه وخطبه في كتابنا المترجم بكتاب حدائق الاذهان في اخبار آل محمد عليه الصلاة والسلام وفي كتاب مزاهر الاخبار وطرائف الآثار للصفوة النورية والذرية الزكية ابواب الرحمة وينابيع الحكمة (قال المسعودي) والاشياء التي استحق بها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل هي السبق الى الايمان والهجرة والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقربى منه والقناعة وبذل النفس له والعلم بالكتاب والتنزيل والجهاد في سبيل الله والورع والزهد والقضاء والحكم والعفة والعلم وكل ذلك لعلي عليه السلام منه النصيب الاوفر والحظ الاكبر الى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين اصحابه انت اخي وهو صلى الله عليه وسلم لا ضد له ولا ند وقوله صلوات الله عليه انت مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي وقوله عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثم دعاؤه عليه السلام وقد قدم اليه انس الطائر اللهم ادخل الي أحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطائر فدخل عليه علي الى آخر الحديث فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق في غيره ولكل فضائل ممن تقدم وتأخر وقبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم مخبر عن بواطنهم بموافقتها لظواهرهم بالايمان وبذلك نزل التنزيل وتولى بعضهم بعضا فلما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي حدثت امور تنازع الناس في صحتها ولا يقطع عليهم بها واليقين من امورهم ما تقدم وما روي مما كان في احداثهم بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم فغير متيقن بل هو ممكن ونحن نعتقد فيهم ما تقدم والله أعلم بما حدث والله ولي التوفيق

(ذكر خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

ثم بويع الحسن بن علي بن أبي طالب بالكوفة بعد وفاة علي أبيه بيومين في شهر رمضان من سنة اربعين ووجه عماله الى السواد والجبل وقتل الحسن عبد الرحمن بن ملجم على حسب ما ذكرنا ودخل معاوية الكوفة بعد صلح الحسن بن علي لخمس بقين من شهر ربيع في سنة احدى وأربعين وكانت وفاة الحسن وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة بالسم ودفن بالبقيع مع امه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ولي التوفيق

(ذكر لمع من اخباره وسيره رضي الله عنه)

حدثنا جعفر بن محمد عن ابيه عن جده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال دخل الحسين على عمي الحسن بن علي لما سقي السم فقام لحاجة الانسان ثم رجع فقال لقد سقيت السم عدة مرار فما سقيت مثل هذه لقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني اقلبه بعود في يدي فقال له الحسين يا اخي من سقاك قال وما تريد بذلك فان كان الذي اظنه فالله حسيبه وان كان غيره فما احب ان يؤخذ بي بريء فلم يلبث بعد ذلك الا ثلاثا حتى توفي رضي الله عنه (وذكر) أن امرأته جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي سقته السم وقد كان معاوية دس اليها انك ان احتلت في قتل الحسن وجهت اليك بمائة الف درهم وزوجتك

يزيد فكان ذلك الذى بعثها على سمه فلما مات وفى لها معاوية بالمال وارسل اليها انا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه (وذكر) ان الحسن قال عند موته لقد حاقت شربته وبلغ امنيته والله ما وفى بما وعد ولا صدق فيما قال وفى فعل جعدة يقول النجاشى الشاعر وكان من شيعة على فى شعر له طويل

جعدة بكيه ولا تسأمى * بعد بكاء المعول الثاكل

لم يسبل الستر على مثله * فى الارض من حاف ومن ناعل

كان اذا شبت له ناره * يرفعها بالسند الغاتل

كيما يراها بائس مرمل * وفرد قوم ليس بالآهل

يغلى بنىء اللحم حتى اذا * أنضجه لم يغل كل آكل

اعنى الذى اسلمنا هلكه * للزمن المستحرج الماحل

وفى ذلك يقول آخر من شيعة على رضى الله عنه

تاس فكم لك من سلوة * تفرج عنك غليل الحزن

بموت النبى وقتل الوصى * وقتل الحسين وسم الحسن

(قال المسعودى رحمه الله) ووجدت فى كتاب الاخبار لابى الحسن على بن محمد بن سليمان النوفلى عن صالح بن على بن عطية الاصم قال حدثنا عبد الرحمن بن العباس الهاشمى عن أبى عون صاحب الدولة عن محمد بن على بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جده عن العباس بن عبد المطلب قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل على بن أبى طالب فلما رآه اسفر فى وجهه فقلت يارسول الله انك لتسفر فى وجه هذا الغلام فقال ياعم رسول الله والله لله اشد حبا له منى ولم يكن نبى الا وذريته الباقية بعده من صلبه وان ذريتى بعدى من صلب هذا انه اذا كان يوم القيامة دعى الناس باسمائهم واسماء امهاتهم سترا من الله عليهم الا هذا وشيعته فانهم يدعون باسمائهم وأسماء آبائهم لصحة ولادتهم ولما دفن الحسن رضى الله عنه وقف محمد بن الحنفية اخوه على قبره فقال لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك وكيف لاتكون هكذا وانت عقبة الهدى وخلف أهل التقوى وخامس اصحاب الكساء غذتك بالتقوى أكف الحق وارضعتك ثدى الايمان وربيت فى حجر الاسلام فطبت حيا وميتا وان كانت انفسنا غير سخية بفراقك رحمك الله أبا محمد (ووجدت) فى وجه آخر من الروايات فى اخبار اهل البيت ان محمدا وقف على قبره فقال أبا محمد لئن طابت حياتك لقد فجع مماتك وكيف لاتكون كذلك وانت خامس اهل الكساء وابن محمد المصطفى وابن على المرتضى وابن فاطمة الزهراء وابن شجرة طوبى ثم انشأ يقول رضى الله عنه

أأدهن رأسى ام تطيب مجالسى * وخدك معفور وانت سليب

أأشرب ماء المزن من غير مائه * وقد ضمن الاحشا منك لهيب

سأبكيك ماناحت حمامة أيكة * وما اخضر فى دوح الحجاز قضيب

غريب واكناف الحجاز تحوطه * الا كل من تحت التراب غريب

(ووجدت) فى بعض كتب التواريخ فى اخبار الحسن ومعاوية ان بخلافة الحسن صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة لأن أبا بكر الصديق رضى الله عنه تقلدها سنتين وثلاثة اشهر وثمانية ايام وعمر رضى الله عنه عشر سنين واحدى عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعثمان رضى الله عنه احدى عشرة سنة واحدى عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعلى رضى الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر ويوما والحسن رضى الله عنه ثمانية اشهر وعشرة ايام فذلك ثلاثون سنة (وحدث) محمد بن جرير الطبرى عن محمد بن حميد الرازى عن على بن مجاهد عن محمد بن اسحاق عن الفضل بن العباس بن ربيعة قال وفد عبد الله بن العباس على معاوية قال فوالله انى لفى المسجد اذ كبر معاوية فى الخضراء فكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير اهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها فقالت سرك الله يا أمير المؤمنين ماهذا الذى بلغك فسررت به قال موت الحسن بن على فقالت انا لله وانا اليه راجعون ثم بكت وقالت مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية نعما والله مافعلت انه كان كذلك اهلا أن يبكى عليه ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما فراح فدخل على معاوية قال علمت يا ابن عباس ان الحسن توفى قال ألذلك كبرت قال نعم قال والله ماموته بالذى يؤخر اجلك ولا حفرته بسادة حفرتك ولئن أصبنا به فقد أصبنا بسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين ثم بعد بسيد الاوصياء فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة فقال ويحك يا ابن عباس ما كلمتك الا وجدتك معدا (وفى نسخة) انه لما صالح الحسن معاوية كبر معاوية فى الخضراء وكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة من خوخة لها فقالت سرك الله يا أمير المؤمنين ماهذا الذى بلغك قال آتانى البشير بصلح الحسن وانقياده فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد أهل الجنة وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين فالحمد لله الذى جعل فئتى أحد الفئتين ولما صالح الحسن معاوية لما ناله من أهل الكوفة ومانزل به أشار عمرو بن العاص على معاوية وذلك بالكوفة أن يأمر الحسن فيقوم فيخطب الناس فكره ذلك معاوية وقال ما أريد أن يخطب قال عمرو ولكنى أريد أن يبدو عيه فى الناس بانه يتكلم فى امور لا يدرى ماهى ولم يزل به حتى أطاعه فخرج معاوية فخطب الناس وأمر رجلا أن ينادى بالحسن بن على فقام اليه فقال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد فى بديهته ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله هدا كم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل ان أدرى أقريب أم بعيد ماتوعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم قال فى كلامه ذلك يا أهل الكوفة لم تذهب نفسى عنكم الا لثلاث خصال أذهلت مقتلكم لابى وسلبكم ثقلى وطعنكم فى بطنى وانى قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا وقد كان أهل الكوفة انتهبوا اسرادق الحسن ورحله وطعنوا بالخنجر فى جوفه فلما تيقن مانزل به انقاد الى الصلح وقد كان على رضى الله عنه وكرم الله وجهه اعتل فأمر ابنه الحسن

رضى الله عنه أن يصلى بالناس يوم الجمعة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله لم يبعث نبيا الا اختار له نفسا ورهطا وبيتا فوالذى بعث محمدا بالحق لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد الا نقصه الله من عمله مثله ولا يكون علينا دولة الا وتكون لنا العاقبة ولتعلمن نبأه بعد حين ومن خطب الحسن رضى الله عنه فى أيامه فى بعض مقاماته أنه قال نحن حزب الله المفلحون وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقربون واهل بيته الطاهرون الطيبون وأحد الثقلين الذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى كتاب الله فيه تفصيل كل شئ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمعول عليه فى كل شئ لا يخطئنا تأويله بل نتيقن حقائقه فأطيعونا فاطاعتنا مفروضه اذ كانت بطاعة الله والرسول وأولى الامر مقرونه فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم واحذركم الاصغاء لهتاف الشيطان انه لكم عدو مبين فتكونون كأوليائه الذين قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى أرى مالا ترون فتلقون للرماح ازرا وللسيوف جزرا وللعمد حطأ وللسهام غرضا ثم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا والله أعلم

(ذكر خلافة معاوية بن أبى سفيان)

بويع معاوية فى شوال سنة احدى وأربعين ببيت المقدس فكانت أيامه تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وتوفى فى رجب سنة احدى وستين وله ثمانون سنة ودفن بدمشق بباب الصغير وقبره يزار فى هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة وعليه بيت مبنى يفتح كل يوم اثنين وخميس

(ذكر لمع من أخباره وسيره ونوادر من بعض أفعاله)

وفى سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عدى الكندى وهو أول من قتل صبرا فى الاسلام حمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها فلما صار على أميال من الكوفة يراد به دمشق أنشأت ابنته تقول ولا عقب له من غيرها

ترفع أيها القمر المنير * لعلك ان ترى حجرا يسير
يسير الى معاوية بن حرب * ليقتله كذا زعم الامير
ويصلبه على بابى دمشق * وتأكل من محاسنه النسور
تجبرت الجبابر بعد حجر * وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا حجر حجر بنى عدى * تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عليا * وشيخا فى دمشق له زئير
ألا ياليت حجرا مات موتا * ولم ينحر كما نحر البعير
فان تهلك فكل عميد قوم * الى هلك من الدنيا يصير

ولما صار الى مرج عذراء على اثنى عشر ميلا من دمشق تقدم البريد بأخبارهم الى معاويه

فبعث برجل أعور فلما أشرف على حجر وأصحابه قال رجل منهم ان صدق الزجر فانه سيقتل منا النصف وينجو الباقون فقيل له وكيف ذلك قال أما ترون الرجل المقبل مصابا باحدى عينيه فلما وصل اليهم قال لحجر ان أمير المؤمنين أمرني بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي لأبي تراب وقتل أصحابك الا أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم وتتبرؤن منه فقال حجر وجماعة ممن كان معه ان الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعونا اليه ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب الينا من دخول النار وأجاب نصف من كان معه الى البراءة من علي فلما قدم حجر ليقتل قال دعوني أصلي ركعتين فجعل يطول في صلاته فقيل له اجزعا من الموت فقال لا ولكني ما تطهرت للصلاة قط الا صليت وما صليت قط أخف من هذه وكيف لا أجزع واني لأرى قبرا محفورا وسيفا مشهورا وكفنا منشورا ثم قدم فنحر وألحق به من وافقه على قوله من أصحابه وقيل ان قتلهم كان في سنة خمسين وذكر ان عدي بن حاتم الطائي دخل على معاوية فقال له معاوية ما فعلت الطرفات يعني أولاده قال قتلوا مع علي قال ما أنصفك علي قتل أولادك وبقاء أولاده فقال عدي ما أنصفت عليا اذ قتل وبقيت بعده فقال معاوية أما انه قد بقي قطرة من دم عثمان ما يمحوها الا دم شريف من أشراف اليمن فقال عدي والله ان قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا وان أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن أدنيت الينا من الغدر فترا لندنين اليك من الشر شبرا وان حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن تسمع المساءة في علي فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف فقال معاوية هذه كلمات حكم فاكتبوها وأقبل على عدي محادثا له كأنه ما خاطبه بشيء (وذكر) ان معاوية بن أبي سفيان تنازع اليه عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة ابن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض فقال عمرو لاسامة كأنك تنكرني فقال أسامة ما يسرني نسبك بولائي فقام مروان بن الحكم فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس الى جانب أسامة فقام سعيد بن العاص فجلس الى جانب مروان فقام الحسين فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس الى جانب سعيد فقام عبد الله بن جعفر فجلس الى جانب الحسين وقام عبد الرحمن بن الحكم فجلس الى جانب ابن عامر فقام عبد الله بن العباس فجلس الى جانب ابن جعفر فلما رأى ذلك معاوية قال لا تعجلوا أنا كنت شاهدا اذ أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين وأقبل الامويون عليه فقالوا الا كنت أصلحت بيننا قال دعوني فوالله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين الا لبس علي عقلي وان الحرب أولها نجوى وأوسطها شكوى وآخرها بلوى وتمثل بأبيات امرئ القيس المتقدمة في هذا الكتاب في أخبار عمر رضي الله عنه وأولها

الحرب أول ما تكون فتية * تدعو بزينتها لكل جهول

ثم قال ما في القلوب يشب الحروب والامر الكبير يدفعه الامر الصغير وتمثل

قد يلحق الصغير بالجليل * وانما القرم من الافيل

وتسمى النغل من الغسيل

(قال المسعودى) ولما هم معاوية بإلحاق زياد بأبي سفيان أبيه وذلك في سنة أربعين شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازى ومالك بن ربيعة السلولى والمنذر بن الزبير بن العوام ان أباسفيان أخبرانه ابنه وان أباسفيان قال لعلى عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب

أما والله لولا خوف شخص * يرانى ياعلى من الاعادى
لبين أمره صخر بن حرب * ولم يكن المجمجم عن زياد
ولكنى أخاف صروف كف * لها نقم ونفى عن بلادى
فقد طالت محاولتى ثقيفا * وتركى فيهم ثمر الفؤاد

ثم زاده يقينا الى ذلك شهادة أبي مريم السلولى وكان أخبر الناس ببدء الامر وذلك انه جمع بين ابى سفيان وسمية أم زياد في الجاهلية على زنى وكانت سمية من ذوات الرايات بالطائف تؤدى الضريبة الى الحارث بن كلدة وكانت تنزل بالموضع الذى ينزل فيه البغايا بالطائف خارجا عن الحضر في محلة يقال لها حارة البغايا وكان سبب ادعاء معاوية فيما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن عليا كان ولاه فارس حين أخرج منها سهل بن حنيف فضرب زياد بعضهم ببعض حتى غلب عليها ومازال يتنقل في كورها حتى صلح أمر فارس ثم ولاه على اصطخر وكان معاوية يتهدده ثم أخذ بشر بن أرطاة عبيد الله وسلمان ولديه وكتب اليه يقسم ليقتلنهما ان لم يرجع ويدخل في طاعة معاوية ويرده على عمله فقدم زياد على معاوية وكان المغيرة بن شعبة قال لزياد قبل قدومه على معاوية أرم الغرض الاقصى ودع عنك الفضول فان هذا الامر لايمد اليه أحد يدا الا الحسن بن على وقد بايع لمعاوية فخذها لنفسك قبل التوطين قال زياد فأشر على قال أرى أن تنقل أصلك الى أصله وتصل حبلك بحبله وتعير الناس منك اذنا صماء فقال زياد يا ابن شعبة أأغرس عودا في غير منبته ولا مدرة فتحييه ولا عرق فيسقيه ثم ان زيادا عزم على قبول الدعوى وأخذ برأى ابن شعبة وأرسلت اليه جويرية بنت أبي سفيان عن أمر أخيها فأتاها فأذنت له وكشفت عن شعرها بين يديه وقالت أنت أخى أخبرنى بذلك أبو مريم ثم أخرجه معاوية الى المسجد وجمع الناس فقام أبو مريم السلولى فقال اشهدوا ان أباسفيان قدم علينا بالطائف وأنا خمار في الجاهلية فقال أبغنى بغيا فأتيته وقلت لم أجد الا جارية الحارث بن كلدة سمية فقال ائتنى بها على دفرها وقذرها فقال له زياد مهلا يا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فقال أبو مريم لو كنتم أعفيتمونى لكان أحب الى وانما شهدت بما عاينت ورأيت والله لقد أخذ بكم درعها وأغلقت الباب عليهما وقعدت دهشانا فلم ألبث أن خرج على يمسح جبينه فقلت مه يا أباسفيان فقال ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثديها ودفر من فيها فقام زياد فقال أيها الناس هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ولست أدرى حق ذلك من باطله وانما كان عبيد بنيا مبرورا أووليا مشكورا والشهود أعلم بما قالوا فقام يونس بن عبيد أخو صفية بنت عبيد بن أسد بن علاج الثقفى

وكانت

وكانت صفية مولاة سمية فقال يا معاوية قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش وللعاهر الحجر وقضيت أنت ان الولد للعاهر وان الحجر للفراش مخالفة لكتاب الله تعالى وانصرافا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة أبي مريم على زنى أبي سفيان فقال معاوية والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة بطيئا وقوعها فقال يونس هل الا الى الله ثم أقع قال نعم وأستغفر الله فقال عبد الرحمن ابن أم الحكم في ذلك ويقال انه ليزيد بن مفرغ الحميري

ألا أبلغ معاوية بن حرب * مغلغلة عن الرجل اليماني

أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زاني

فاشهد ان رحمك من زياد * كرحم الفيل من ولد الاتان

وفي زياد واخوته يقول خالد النجاري

ان زيادا ونافعا وأبا * بكرة عندي من أعجب العجب

ان رجالا ثلاثة خلقوا * من رحم انثى مخالفي النسب

ذا قرشي فيما يقول وذا * مولى وذا ابن عمه عربي

ولما قتل علي كرم الله وجهه كان في نفس معاوية من يوم صفين على هاشم بن عتبه بن أبي وقاص المرقال وولده عبد الله بن هاشم احن فلما استعمل معاوية زيادا على العراق كتب اليه أما بعد فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة فشد يده الى عنقه ثم ابعث به الي فحمله زياد من البصرة مقيدا مغلولا الى دمشق وقد كان زياد طرقه بالليل في منزله بالبصرة فادخل الى معاوية وعنده عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو بن العاص هل تعرف هذا قال لا قال هذا الذي يقول أبوه يوم صفين

اني شريت النفس لما اعتلا * وأكثر اللوم وما أقلا

أعور يبغي أهله محلا * قد عالج الحياة حتى ملا

لا بد أن يفل أو يفلا * أسلهم بذي الكعوب سلا

لا خير عندي في كريم ولى

فقال عمرو متمثلا

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا

دونك يا أمير المؤمنين الضب الضب فاشخب أوداجه على أسباجه ولا ترده الى أهل العراق فانه لا يصبر على النفاق وهم أهل غدر وشقاق وحزب ابليس ليوم هيجانه وان له هوى سيؤديه ورأيا سيطغيه وبطانة ستقويه وجزاء سيئة سيئة مثلها فقال عبد الله يا عمرو ان اقتل فرجل اسلمه قومه وادركه يومه أفلا كان هذا منك اذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك الى النزال وأنت تلوذ بشمال النطاف وعقائق الرصاف كالامة السوداء والنعجة القوداء لا تدفع يد لامس فقال عمرو أما والله لقد وقعت في لهاذم شذقم للاقران ذي لبد ولا أحسبك منفلتا من مخالب أمير المؤمنين فقال عبد الله أما والله يا ابن العاص انك لبطر في الرخاء جبان عند اللقاء غشوم اذا وليت هياب اذا لقيت تهدر كما يهدر العود

المكوس المقيد بين مجرى الشول لا يستعجل في المدة ولا يرتقي في الشدة أفلا كان هذا منك اذ غمرك أقوام لم يعنفوا صغارا ولم يمزقوا كبارا لهم أيد شداد وألسنة حداد يدعمون العوج ويذهبون الحرج يكثرون القليل ويشفون الغليل ويعزون الذليل فقال عمرو أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه وتبق أمعاؤه وتضطرب أصلاؤه كأنما انطبق عليه ضمد فقال عبد الله يا عمرو انا قد بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوبا غادرا خلوت بأقوام لا يعرفونك وجند لا يساومونك ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لحظ اليك عقلك ولتلجلج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حمله فقال معاوية ايها عنكما وأمر باطلاق عبد الله فقال عمرو لمعاوية

أمرتك أمرا حازما فعصيتني * وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه يا معاوية الذي * أعان عليا يوم حز الغلاصم
فلم ينثني حتى جرت من دمائنا * بصفين أمثال البحور الخضارم
وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه * ويوشك ان تقرع به سن نادم

فقال عبد الله يجيبه

معاوي ان المرء عمرا أبت له * ضغينة صدر غشها غير نائم
يرى لك قتلي يا ابن هند وانما * يرى ما يرى عمرو ملوك الاعاجم
على انهم لا يقتلون أسيرهم * اذا منعت منه عهود المسالم
وقد كان منا يوم صفين نفرة * عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى * ولا ما جرى الا كاضغاث حالم
فان تعف عني تعف عن ذي قرابة * وان ترقتلي تستحل محارمي

فقال معاوية

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة * الى الله في يوم العصيب القماطر
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم * بادراك ثاري في لؤي وعامر
بل العفو عنه بعدما بان جرمه * وزلت به احدى الجدود العواثر
فكان أبوه يوم صفين جمرة * علينا فأردته رماح نهابر

وحضر عبد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية فقال معاوية من يخبرني عن الجود والنجدة والمروءة فقال عبد الله يا أمير المؤمنين أما الجود فابتذال المال والعطية قبل السؤال وأما النجدة فالجراءة على الاقدام والصبر عند ازورار الاقدام وأما المروءة فالصلاح في الدين والاصلاح للمال والمحاماة عن الجار ولما صرف علي رضي الله عنه قيس بن سعد بن عبادة عن مصر وجه مكانه محمد بن أبي بكر فلما وصل اليها كتب الى معاوية كتابا فيه من محمد بن أبي بكر الى العاوي معاوية بن صخر أما بعد فان الله بعظمته وسلطانه خلق خلقه بلا عبث منه ولا ضعف في قوته ولا حاجة به الى خلقهم لكنه خلقهم عبيدا وجعل منهم غويا ورشيدا وشقيا وسعيدا ثم اختار على علم واصطفى وانتخب منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فانتجبه لعلمه واصطفاه لرسالته وائتمنه على وحيه وبعثه رسولا ومبشرا ونذيرا فكان أول من أجاب

وأناب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب صدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم ووقاه بنفسه كل هول وحارب حربه وسالم سلمه فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع حتى برز سابقا لا نظير له فيمن اتبعه ولا مقارب له في فعله وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو أصدق الناس نية وأفضل الناس ذرية وخير الناس زوجة وأفضل الناس ابن عم أخوه الشارى بنفسه يوم مؤته وعمه سيد الشهداء يوم أحد وأبوه الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حوزته وأنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الغوائل وتجهدان في اطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتؤلبان عليه القبائل على ذلك مات أبوك وعليه خلفته والشهيد عليك من تدنى ويلجأ اليك من بقية الاحزاب ورؤساء النفاق والشاهد لعلي مع فضله المبين القديم أنصاره الذين معه الذين ذكرهم الله بفضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والانصار وهم معه كتائب وعصائب يرون الحق في اتباعه والشقاء في خلافه فكيف يالك الويل تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ووصيه وأبو ولده أول الناس له اتباعا وأقربهم به عهدا يخبره بسره ويطلعه على أمره وأنت عدوه وابن عدوه فتمتع في دنياك ما استطعت بباطلك وليمددك ابن العاص في غوايتك فكأن أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى ثم يتبين لك لمن تكون العاقبة العليا واعلم انك انما تكايد ربك الذي آمنت كيده ويئست من روحه فهو لك بالمرصاد وأنت منه في غرور والسلام على من اتبع الهدى (فكتب اليه معاوية) من معاوية بن صخر الى الزارى على أبيه محمد بن أبي بكر أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في عظمته وقدرته وسلطانه وما اصطفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع كلام كثير لك فيه تضعيف ولابيك فيه تعنيف ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواساته اياه في كل هول وخوف فكان احتجاجك علي وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد ربا صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقه لازما لنا مبرورا علينا فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عنده وأتم له ما وعده وأظهر دعوته فأبلج حجته وقبضه الله اليه صلوات الله عليه كان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه وخالفه على أمره على ذلك اتفقا واتسقا ثم انهما دعواه الى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما فهما به الهموم وأرادا به العظيم ثم انه بايع لهما وسلم لهما وأقاما لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الاقاصي من أهل المعاصي فطلبتما له الغوائل وأظهرتما عداوتكما حتى بلغتما فيه مناكما فخذ حذرك يا ابن أبي بكر وقس شبرك بفترك يقصر عن أن توازي أو تساوي من يزن الجبال بحلمه لا يلين عن قسر قناته ولا يدرك ذو مقال أناته مهد مهاده وبنى للملك وشاده فان يك ما نحن فيه صوابا فأبوك استبد به ونحن شركاؤه ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلمنا اليه ولكنا رأينا أباك فعل

ذلك به من قبلنا فأخذنا بغلهم فعيب أباك بما أباك اودع ذلك والسلام على من أناب (ومما كتب به معاوية الى علي) أما بعد فلو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نرد به ما مضى ونصلح به ما بقي وقد كنت سألتك الشأم على ان لا تلزمني لك طاعة وأنا أدعوك اليوم الى ما دعوتك اليه أمس فانك لا ترجو من البقاء الا ما ارجو ولا تخاف من القتال الا ما أخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عزيز ويسترق به حر والسلام (فكتب اليه علي كرم الله وجهه) من علي بن أبي طالب الى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه انك لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وأنا واياك نلتمس منها غاية لم نبلغها بعد فأما طلبك مني الشأم فاني لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فلست بأمضى على الشك مني على اليقين وليس أهل الشأم على الدنيا بأحرص من أهل العراق على الآخرة وأما قولك نحن بنو عبد مناف فكذلك نحن وليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق وفي أيدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام (وحدث) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري عن محمد بن حميد الرازي عن أبي مجاهد عن محمد بن اسحاق بن أبي نجيح قال لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد فلما فرغ انصرف معاوية الى دار الندوة فأجلسه معه على سريره ووقع معاوية في علي وشرع في سبه فزحف سعد ثم قال أجلستني معك على سريرك ثم شرعت في سب علي والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحب الي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس والله لأن أكون صهرا لرسول صلى الله عليه وسلم لي من الولد ما لعلي أحب الي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قاله يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه أحب الي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قال له في غزوة تبوك ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي أحب الي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس وأيم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت ونهض (ووجدت) في وجه آخر من الروايات وذلك في كتاب علي بن محمد بن سليمان النوفلي في الاخبار عن ابن عائشة وغيره ان سعدا لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له اقعد حتى تسمع جواب ما قلت ما كنت عندي قط ألأم منك الآن فهلا نصرته ولم قعدت عن بيعته فاني لو سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم مثل الذي سمعت فيه لكنت خادما لعلي ما عشت فقال سعد والله اني لاحق بموضعك منك فقال معاوية يأبى عليك بنو عذرة وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة قال النوفلي وفي ذلك يقول السيد محمد الحميري

سائل قريشا بها ان كنت ذا عمه * من كان أثبتها في الدين أوتادا
من كان أقدمها سلما وأكثرها * علما وأطهرها أهلا وأولادا

من بعد الله اذ كانت مكذبة * رتله هو مبيح الله انداداً

من كان يقدم فى الهيجاء ان نكلوا * عنها وان بخلوا فى أزمة جادا

من كان أعدلها حكما وأقسطها * حلما وأصدقها وعدا وايعادا

ان يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن * ان أنت لم تلق للابرار حسادا

ان أنت لم تلق من تيم أخا صلف * ومن عدىّ لحق الله جحادا

أو من بنى عامر أو من بنى أسد * رهط العبيد ذوى جهل وأوغادا

أو رهط سعد وسعد كان قد علموا * عن مستقيم صراط الله صدادا

قوم تداعوا زنيما ثم سادهم * لولا خمول بنى زهر لما سادا

وكان سعد واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن سلمة ممن قعد عن علىّ بن أبى طالب وابوا ان يبايعوه هم وغيرهم ممن ذكرنا من القعاد عن بيعته وذلك انهم قالوا انها فتنة ومنهم من قال لعلى اعطنا سيوفا نقاتل بها معك فاذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم ونبت عن أجسامهم واذا ضربنا بها الكافرين سرت فى أبدانهم فاعرض عنهم علىّ وقال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون (وذكر) ابو مخنف لوط بن يحيى وغيره من الاخباريين ان الامر لما أفضى الى معاوية اتاه أبو الطفيل الكنانى فقال له كيف وجدك على خليلك أبى الحسن قال كوجد ام موسى على موسى وأشكو الى الله التقصير فقال معاوية أكنت فيمن حضر قتل عثمان قال لا ولكنى فيمن حضر فلم ينصره قال فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة قال منعنى ما منعك اذ تربص به ريب المنون وأنت بالشام قال أوما ترى طلبى بدمه نصرة له قال بلى ولكنك واياه كما قال الجعدىّ

لالفينك بعد الموت تندبنى * وفى حياتى ما زودتنى زادا

(ودخل) على معاوية ضرار بن الخطاب فقال له كيف حزنك على أبى الحسن قال حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها (ومما جرى) بين معاوية وبين قيس ابن سعد بن عبادة حين كان عاملا على مصر فكتب اليه معاوية اما بعد فانك يهودىّ ابن يهودىّ وان ظفر أحبّ الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان ظفر ابغضهما اليك نكل بك وقتلك وقد كان ابوك اوتر قوسه ورمى غرضه فأكثر الحز واخطأ القصد فخذله قومه وادركه يومه ثم مات بحوران طريدا فكتب اليه قيس بن سعد اما بعد فانما انت وثنىّ ابن وثنىّ دخلت فى الاسلام كرها وخرجت منه طوعا لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك وقد كان أبى أوتر قوسه ورمى غرضه فشعب به من لم يبلغ عقبه ولا شق غباره ونحن انصار الدين الذى منه خرجت واعداء الدين الذى فيه دخلت (ودخل) قيس بن سعد بعد وفاة علىّ ووقوع الصلح فى جماعة من الانصار على معاوية فقال لهم معاوية يا معشر الانصار بم تطلبون ما قبلى فوالله لقد كنتم قليلا معى كثيرا علىّ ولفللتم حدى يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى فى أسنتكم وهجوتمونى فى أسلافى بأشد من وقع الاسنة حتى اذا أقام الله ما حاولتم ميله قلتم ارع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم هيهات يأبى الحقير الغدرة فقال قيس نطلب ما قبلك بالاسلام الكافى به الله لا بما غت به اليك الاحزاب واما عداوتنا

لك فلو شئت كففتها عنك وأما هيبتنا اياك فقول يزول باطله ويثبت حقه واما استقامة الامر فعلى كره كان منا واما قتلنا حنظلة يوم صفين فانا كامع ريبل نرى طاعته طاعة واما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا فمن آمن به رعاها بعده واما قولك يا ابن الحقير الغدرة فليس دون الله يد تحجزك منا يا معاوية فقال معاوية يموه ارفعوا حوائجكم وقد كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل الى علي بالموضع العظيم وبلغ من خوفه الله وطاعته اياه انه كان يصلي فلما أهوى للسجود اذا في موضع سجوده ثعبان عظيم مطرق فمال عن الثعبان برأسه وسجد الى جانبه فتطوق الثعبان برقبته فلم يقصر من صلاته ولا نقص منها شيأ حتى فرغ ثم أخذ الثعبان فرمى به كذلك ذكر الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة عن معمر بن خلاد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضى وقال عمرو بن العاص لمعاوية ذات يوم قد أعياني ان اعلم أجبان أنت ام شجاع لاني اراك تتقدم حتى أقول اراد القتال ثم تتأخر حتى أقول اراد الفرار فقال له معاوية والله ما اتقدم حتى ارى التقدم غنما ولا أتأخر حتى ارى التأخر حزما كما قال القطامي

شجاع اذا ما امكنتني فرصة * والا تكن لي فرصة فجبان

(وذكر أبو مخنف) لوط بن يحيى عن أبي الاغر التميمي قال بينا انا واقف بصفين اذ مر العباس ابن ربيعة مغفرا بالسلاح وعيناه تبصان من تحت المغفر كأنهما شعلتا نار او عينا ارقم وبيده صفيحة له يمانية يقلبها والمنايا تلوح في شفرتها وهو على فرس صعب فبينا هو يبعثه ويمنعه ويلين من عريكته اذ هتف به هاتف يقال له غرار بن ادهم من اهل الشام يا عباس هلم الى النزال قال فالنزول اذا فانه اياس من الحياة فنزل اليه الشامي وهو يقول

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا * أو تنزلون فانا معشر نزل

وثنى العباس وركه وهو يقول

الله يعلم انا لا نحبكم * ولا نلومكم ألا تحبونا

ثم عصر فضلات درعه في حجزته يريد منطقته ودفع فرسه الى غلام له اسود كاني والله انظر فلافل شعره ثم زحف كل واحد منهما الى صاحبه وكف الفريقان أعنة الخيول ينظرون ما يكون من الرجلين فتكافحا بسيفيهما مليا نهارهما لا يصل واحد منهما الى صاحبه لكمال لامته الى ان لحظ العباس وهنا في درع الشامي فاهوى اليه بيده وهتكه الى ثندوته ثم عاد لمجاولته وقد أفرج له مفتق الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره فخر الشامي لوجهه فكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الارض من تحتهم وانساب العباس في الناس فاذا قايل يقول من ورائي قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين الآية فالتفت فاذا بعلي رضي الله عنه فقال يا ابن الاغر من المبارز لعدونا قلت ابن اخيكم العباس بن ربيعة قال وانه لهو العباس قلت نعم فقال يا عباس الم انهك وعبد الله بن عباس ان تخلا بمركز أو تبارزا أحدا قال ان ذلك كما قلت قال علي فما عدا فيما بدا قال أفادعى الى البراز فلا اجيب قال طاعة أمامك اولى بك من اجابة عدوك وتغيظ واستطار ثم تطامن وسكن ورفع يديه مبتهلا فقال اللهم اشكر للعباس

مقامه واطفأ ثائرة فتنته اللهم انى قد غفرت له فاغفر له وتأسف معاوية على عرار بن ادهم وقال متى ينتطف مثل هذا مثله أيطل دمه لاها الله ألا رجل يشرى نفسه يطلب بدم عرار فانتدب له رجلان من لخم من أهل الباس ومن صناديد الشأم فقال اذهبا فأيكما قتل العباس فله مائة اوقية من التبر ومثلها من اللجين وبعددهما من برود اليمن فأتياه فدعواه الى البراز وصاحا بين الصفين ياعباس ياعباس ابرز الى الداعى فقال ان لى سيدا أريد أن أؤامره فأتى عليا وهو فى جناح الميمنة يحرض الناس فأخبره الخبر فقال على والله لود معاوية انه ما بقى من بنى هاشم نافخ ضرمة الا طعن فى بطنه اطفاء لنور الله (ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) اما والله ليملكنكم منا رجال ورجال يسومونهم سوم الخسف حتى تعفو الآثار ثم قال ياعباس ناقلنى سلاحك بسلاحى فناقله ووثب على فرس العباس وقصد اللخميين فلم يشكا أنه العباس فقالا له أذن لك صاحبك فتحرج ان يقول نعم فقال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) وكان العباس اشبه الناس فى جسمه وركوبه بعلى فبرز له احدهما فما أخطأه ثم برز له الآخر فالحقه بالاول ثم اقبل وهو يقول (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ثم قال ياعباس خذ سلاحك وهات سلاحى فان عاد لك أحد فعدلى ونما الخبر الى معاوية فقال قبح الله اللجاج انه لعقور ماركبته قط الا خذلت فقال عمرو بن العاص المخذول والله اللخميان والمغرور من غررته لا انت المخذول قال اسكت ايها الرجل فليس هذا من شأنك قال وان لم يكن رحم الله اللخميين ولا اراه يفعل قال ذلك والله أضيق لحجتك واخسر لصفقتك قال قد علمت ذلك ولولا مصر وولاية بها ركبت المنجاة منها فانى اعلم أن على بن أبى طالب على الحق وانا على ضده فقال معاوية مصر والله أعمتك ولولا مصر لالفيتك بصيرا ثم ضحك معاوية ضحكا ذهب به كل مذهب قال مم تضحك يا أمير المؤمنين اضحك الله سنك قال أضحك من حضور ذهنك يوم بارزت عليا وابدائك سوأتك اما والله ياعمرو لقد واقعت المنايا ورأيت الموت عيانا ولو شاء لقتلك ولكن أبى ابن أبى طالب فى قتلك الا تكرما فقال عمرو أما والله انى لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت عيناك وبدا سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك من نفسك فاضحك اودع (وذكر أبو مخنف) لوط بن يحيى ان معاوية برز فى بعض ايام صفين امام الناس وكر على ميسرة على وكان على فيها فى ذلك الوقت يعبى الناس فغير على لامته وجواده وخرج بلامة بعض اصحابه وصمد له معاوية فلما تدانيا انتبه معاوية فغمز برجليه على جواده وعلى وراءه حتى فاته ودخل فى مصاف اهل الشام فاصاب على رجلا من مصافهم دونه ثم رجع وهو يقول

يالهف نفسى فاتنى معاويه * فوق طمر كالعقاب الضاريه

وقدم عمرو بن العاص من مصر على معاوية فى بعض الايام فلما رآه معاوية قال

يموت الصالحون وانت حى * تخطاك المنايا لا تموت

فأجابه عمرو

فلست بميت مادمت حيا * ولست بميت حتى تموت

(وذكر) ان معاوية لما نظر الى عساكر أهل العراق وقد اشرفت واستعدت الرجال من الصفوف ونظر الى علي على فرس اشقر سامر الرأس يرتب الصفوف كأنه يغرسهم في الارض غرساً فيثبتون كأنهم بنيان مرصوص قال لعمرو يا ابا عبد الله اما تنظر الى ابن أبي طالب وما هو عليه فقال له عمرو من طلب عظيماً خاطر بعظيم وقد كان معاوية في سنة اربعين بعث بسر بن ارطاة في ثلاثة آلاف حتى قدم المدينة وعليها ابو ايوب الانصاري فتنحى وجاء بسر حتى صعد المنبر وتهدد اهل المدينة بالقتل فاجابوه الى بيعة معاوية وبلغ الخبر علياً فانفذ جارية بن قدامة السعدي في الفين ووهب بن مسعود في الفين ومضى بسر الى مكة ثم سار الى اليمن وكان عبد الله بن العباس بها فخرج عنها ولحق بعلي واستخلف عليها عبد الله بن عبد المدان الحارثي وخلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند امهما جويرية بنت قارظ الكنانية فقتلهما بسر وقتل معهما خالاً لهما من ثقيف وقد كان بسر بن ارطاة العامري عامر بن لؤي ابن غالب قتل بالمدينة وبين المسجدين خلقاً كثيراً من خزاعة وغيرهم وكذلك بالجرف قتل بها خلقاً كثيراً من رجال همدان وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً من الابناء ولم يبلغه عن احد انه يمالئ علياً او يهواه الا قتله وقد اليه خبر جارية بن قدامة السعدي فهرب وظفر جارية بابن اخي بسر مع اربعين من أهل بيته فقتلهم وكانت جويرية ام ابني عبد الله بن العباس الذين قتلهما بسر تدور حول البيت ناشرة شعرها وهي من اجمل الناس وهي تقول ترثيهما

هامن أحس من ابني اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
هامن أحس من ابني اللذين هما * سمعي وقلبي فعقلي اليوم مختطف
هامن أحس من ابني اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا * من قولهم ومن الافك الذي وصفوا
انحى على ودجي ابني مرهفة * مشحوذة وكذاك الاثم يقترف

(وذكر الواقدي) قال دخل عمرو بن العاص يوماً على معاوية بعدما كبر ودق ومعه مولاه وردان فاخذا في الحديث وليس عندهما غير وردان فقال عمرو يا أمير المؤمنين ما بقي مما تستلذه فقال اما النساء فلا أرب لي فيهن واما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى وهي بها جلدي فما ادري ايها ألين واما الطعام فقد اكلت من لينه وطيبه حتى ما ادري ايه الذ واطيب واما الطيب فقد دخل خياشيمي منه حتى ما أدري ايه أطيب فما شيء الذ عندي من شراب بارد في يوم صائف ومن ان انظر الى بني وبني بني يدورون حولي فما بقي منك يا عمرو قال مال أغرسه فاصيب من ثمرته ومن غلته فالتفت معاوية الى وردان فقال ما بقي منك يا وردان قال صنيعة كريمة سنية اعلقها في اعناق قوم ذوي فضل وأخطار لا يكافؤنني بها حتى القى الله تعالى وتكون لعقبي في أعقابهم بعدي فقال معاوية تباً لمجلسنا سائر اليوم ان هذا العبد غلبني وغلبك وفي سنة ثلاث وأربعين مات عمرو بن العاص بن وائل بن سهم بن سعيد بن سعد بمصر وله تسعون سنة وكانت ولايته مصر عشر سنين واربعة اشهر ولما حضرته الوفاة قال اللهم لا براءة لي فأعتذر ولا قوة لي فانتصر امرتنا فعصينا ونهيتنا فركبنا اللهم هذه يدي الى ذقني ثم قال خذوا لي في الارض خداً وسنوا علي التراب سناً ثم وضع اصبعه في فيه حتى

مات

مات وصلى عليه ابنه عبد الله يوم الفطر فبدأ بالصلاة عليه قبل صلاة العيد ثم صلى بالناس بعد ذلك صلاة العيد وكان أبوه من المستهزئين وفيه نزلت ان شانئك هو الابتر (وولى معاوية) ابنه عبد الله بن عمرو ما كان لأبيه وخلف عمرو من العين ثلثمائة الف دينار وخمسة وعشرين الف دينار ومن الورق الفي الف درهم وضيعته المعروفة بالرهط قيمتها عشرة الاف الف درهم وفيه يقول ابن الزبير الاسدى الشاعر من ابيات

الم تر ان الدهر اخنت صروفه * على عمرو السهمي تجبى له مصر
فلم يغن عنه حزمه واحتياله * ولا جمعه لما اتيح له الدهر
وامسى مقيما بالعراء وضللت * مكايده عنه واموله الدثر

وفي سنة خمس وأربعين ولى معاوية زياد ابن ابيه البصرة واعمالها وقال لما دخلها

الا رب مسرور بما لا يسره * وآخر محزون بما لا يضره

وقد كان معاوية عزل في هذه السنة شقران بن عوف العامرى وأمره أن يبلغ الطوانه فاصيب معه خلق من الناس فعم الناس الحزن بمن أصيب بارض الروم وبلغ معاوية أن يزيد ابنه لما بلغه خبرهم وهو على شرابه مع ندمائه قال

اهون علي بما لاقت جموعهم * يوم الطوانه من حمى ومن شوم
اذا اتكأت على الانماط مرتفقا * بدير مروان عندى ام كلثوم

فحلف عليه ليغزون واردف به شقران فسميت هذه الغزاة غزاة الرادفة وبلغ الناس فيها الى القسطنطينية وفيها مات أبو أيوب الانصارى ودفن هنالك على باب القسطنطينية واسم أبي أيوب خالد بن زيد وقد قيل ان أبا أيوب مات في سنة احدى وخمسين غازيا مع يزيد وقد أتينا على خبر هذه الغزاة وما كان من يزيد فيها في الكتاب الاوسط وفي سنة تسع وأربعين كان الطاعون بالكوفة فهرب منها المغيرة بن شعبة وكان واليها ثم عاد اليها فطعن فمات فمر أعرابي عليه وهو يدفن فقال

ارسم ديار للمغيرة تعرف * عليها دواني الانس والجن تعزف
فان كنت قد لاقيت هامان بعدنا * وفرعون فاعلم أن ذا العرش منصف

(وذكر) أن المغيرة ركب الى هند بنت النعمان بن المنذر وهي في ديرها في الحيرة مترهبة وهو أمير الكوفة يومئذ وقد كانت هند عميت فلما جاء الدير استأذن عليها فأتتها جاريتها فقالت هذا المغيرة يستأذن عليك فقالت للجارية ألقي اليه أنا نا فالقت اليه وسادة من شعر فلما دخل قعد عليها وقال أنا المغيرة فقالت له قد عرفتك عامل المدرة فما جاء بك قال أتيتك خاطبا اليك نفسك قالت اما والصليب لو أردتني لدين أو جمال ما رجعت الا بحاجتك ولكني اخبرك الذى أردت ذلك له قال وما هو قالت اردت انك تتزوجني حتى تقوم في الموسم في العرب فتقول تزوجت ابنة النعمان قال ذلك أردت ولكن اخبريني ما كان أبوك يقول في هذا الحي من ثقيف قالت كان ينسبهم من اياد وقد افتخر عنده رجلان من ثقيف احدهما من بني سالم والآخر من بني يسار فسألهما عن أنسابهما فانتسب احدهما الى هوازن والآخر الى اياد فقال أبي ما الحى معد على اياد فضل فخرجا وأبي يقول

ان ثقيفا لم تكن هوازنا * ولم تناسب عامرا ومازنا
الا حديثا وأنبتوا المحاسنا

فقال المغيرة اما نحن فمن هوازن وأولئك اعلم قال فاخبريني أي العرب كان أحب الى أبيك قالت أطوعهم له قال ومن اوليك قالت بكر بن وائل قال فأين بنو تميم قالت ما استقمتم في طاعة قال فقيس قالت ما اقتربوا اليه بما يحب الا استعقبوه بما يكره قال فكيف أطاع فارس قالت كانت طاعتهم اياه فيما يهوى فانصرف المغيرة ولما هلك المغيرة ضم معوية الكوفة الى زياد فكان أول من جمع له ولاية العراقين البصرة والكوفة وفي سنة ثمان وأربعين قبض معاوية فدك من مروان بن الحكم وقد كان وهبها له قبل ذلك فاستردها وقد كان معاوية حج في سنة خمسين وأمر بحمل منبر النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشأم فلما حمل كسفت الشمس ورؤيت الكواكب بالنهار فجزع من ذلك واعظمه ورده الى موضعه وزاد فيه ست مراق وفي سنة ثلاث وخمسين هلك زياد بن ابيه بالكوفة في شهر رمضان وكان يكنى أبا المغيرة وقد كان كتب الى معاوية أنه قد ضبط العراق بيمينه وشماله فارغة فجمع له الحجاز مع العراقين واتصلت ولايته باهل المدينة فاجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجوا الى الله ولاذوا بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لعلمهم بما هو عليه من الظلم والعسف فخرجت في كفه بثرة ثم حكها ثم سرت واسودت فصارت أكلة سوداء فهلك بذلك وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل اثنتين وخمسين ودفن بالثوية من أرض الكوفة وقد كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن علي فمن أبى ذلك عرضه على السيف فذكر عبد الرحمن بن السائب قال حضرت فصرت الى الرحبة ومعي جماعة من الانصار فرأيت شيأ في منامي وأنا جالس في الجماعة وقد خفقت وهو أني رأيت شيأ طويلا قد أقبل فقلت ما هذا فقال أنا النقاد ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر فانتبهت فزعا فما كان الا مقدار ساعة حتى خرج خارج من القصر فقال انصرفوا فان الامير عنكم مشغول واذا به قد أصابه ما ذكرنا من البلاء وفي ذلك يقول عبد الله بن السائب من ابيات

ما كان منتهيا عما أراد بنا * حتى تأتى له النقاد ذو الرقبه
فاسقط الشق منه ضربة ثبتت * لما تناول ظلما صاحب الرحبه

يعني بصاحب الرحبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد ذهب جماعة الى أن عليا دفن في القصر بالكوفة ويقال ان زيادا طعن في يده وانه شاور شريحا في قطعها فقال له لك رزق مقسوم وأجل معلوم واني اكره ان كانت لك مدة أن تعيش أجذم وان حم أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فاذا سألك لم قطعتها قلت بغضا للقائك وفرارا من قضائك فلام الناس شريحا فقال انه استشارني والمستشار مؤتمن ولولا أمانة المشورة لوددت أن الله قطع يده يوما ورجله يوما وسائر جسده يوما وفي سنة تسع وخمسين وفد على معاوية وفد الامصار من العراق وغيرها فكان ممن وفد من اهل العراق الاحنف بن قيس في آخرين من وجوه الناس فقال معاوية للضحاك بن قيس اني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله فاذا فرغت

من كلامك فقل في يزيد الذي يحق عليك وادع الى بيعته فاني قد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عمارة الاشعري وثور بن معن السلمي ان يصدقوا قولك في كلامك وان يجيبوك الى الذي دعوتهم اليه فلما كان من الغد قعد معاوية فاعلم الناس بما رأى من حسن رعية يزيد ابنه وهديه وان ذلك دعاه الى ان يوليه عهده ثم قام الضحاك بن قيس فأجابه الى ذلك وحض الناس على البيعة ليزيد وقال لمعاوية اعزم على ما أردت ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عمارة الاشعري وثور بن معن فصدقوا قوله ثم قال معاوية اين الاحنف ابن قيس فقام الاحنف فقال ان الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف ومعروف زمان يوتنف ويزيد حبيب قريب فان توله عهدك فعن غير كبر مفن او مرض مضن وقد حلبت الدهور وجربت الامور فاعرف من تسند اليه عهدك ومن توله الامر من بعدك واعص رأى من يأمرك ولا يقدر لك ويشير عليك ولا ينظر لك فقام الضحاك بن قيس مغضبا فذكر أهل العراق بالشقاق والنفاق وقال اردد رأيهم في نحورهم وقام عبد الرحمن بن عثمان فتكلم بنحو كلام الضحاك ثم قام رجل من الازد فاشار الى معاوية وقال انت أمير المؤمنين فاذا مت فأمير المؤمنين يزيد فمن أبى هذا فهذا وأخذ بقائم سيفه فسله فقال له معاوية اقعد فأنت من اخطب الناس فكان معاوية أول من بايع ليزيد ابنه بولاية العهد وفي ذلك يقول عبد الله ابن هشام السلولي

فان تأتوا برملة او بهند * نبايعها اميرة مؤمنينا
اذا ما مات كسرى قام كسرى * نعد ثلاثة متناسقينا
فيا لهفا لو ان لنا الوفا * ولكن لا نعود كما عنينا
اذا لضربتمو حتى تعودوا * بمكة تلعقون بها السخينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا * دماء بني امية ما روينا
لقد ضاعت رعيتكم وانتم * تصيدون الارانب غافلينا

وأنفذت الكتب ببيعة يزيد الى الامصار وكتب معاوية الى مروان بن الحكم وكان على المدينة يعلمه باختياره يزيد ومبايعته اياه بولاية العهد ويأمره بمبايعته واخذ البيعة له على من قبله فلما قرأ مروان ذلك خرج مغضبا في اهل بيته واخواله من بني كنانة حتى أتى دمشق فنزلها ودخل على معاوية يمشي بين السماطين حتى اذا كان منه بقدر ما يسمعه صوته سلم وتكلم بكلام كثير يوبخه به معاوية منه اقم الامور يا ابن أبي سفيان واعدل عن تأميرك الصبيان واعلم ان لك من قومك نظراء وان لك على مناوأتهم وزراء فقال له معاوية انت نظير أمير المؤمنين وعدته في كل شديدة وعضده والثاني بعد ولي عهده وجعله ولي عهد يزيد ورده الى المدينة ثم انه عزله عنها وولاها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ولم يف لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد بن معاوية

(ذكر جمل من اخلاقه وسياسته وظرايف من عيون اخباره)

قد ذكرنا فيما تقدم جملا من اخباره وسيره فلنذكر الآن في هذا الباب جملا من اخلاقه وسياساته واخباره وغير ذلك مما لحق بهذا المعنى الى وفاته كان من اخلاق معاوية انه كان يأذن

في اليوم والليلة خمس مرات كان اذا صلى الفجر جلس القاص حتى يفرغ من قصصه ثم يدخل
فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه ثم يدخل الى منزله فيأمر وينهى ثم يصلي اربع ركعات ثم يخرج الى
مجلسه فيأذن لخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه ويدخل عليه وزراؤه فيكلمونه فيما
يريدون من يومهم الى العشي ثم يؤتى بالغداء الاصغر وهو فضلة عشائه من جدي بارد
أو فرخ أو ما يشبهه ثم يتحدث طويلا ثم يدخل منزله لما اراد ثم يخرج فيقول يا غلام أخرج
الكرسي فيخرج الى المسجد فيوضع فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي
ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمرأة ومن لا احد له فيقول
ظلمت فيقول أعزوه ويقول عدى علي فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بي فيقول انظروا في
امره حتى اذا لم يبق أحد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا الناس على قدر منازلهم
ولا يشغلني أحد عن رد السلام فيقال كيف اصبح أمير المؤمنين اطال الله بقاءه فيقول
بنعمة من الله فاذا استووا جلوسا قال يا هؤلاء انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم
بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول استشهد فلان
فيقول افرضوا لولده ويقول آخر غاب فلان عن اهله فيقول تعاهدوهم أعطوهم اقضوا
حوائجهم اخدموهم ثم يؤتى بالغداء ويحضر الكاتب فيقوم عند رأسه ويتقدم الرجل
فيقول له اجلس على المائدة فيجلس فيمد يده فيأكل لقمتين أو ثلاثا والكاتب يقرأ
كتابه فيأمر فيه بامر فيقال يا عبد الله أعقب فيقوم ويتقدم آخر حتى يأتي على اصحاب
الحوائج كلهم وربما قدم عليه من اصحاب الحوائج اربعون أو نحوهم على قدر الغداء ثم يرفع
الغداء ويقال للناس أجيزوا فينصرفون فيدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادى
بالظهر فيخرج فيصلي ثم يدخل فيصلي اربع ركعات ثم يجلس فيأذن لخاصة الخاصة فان كان
الوقت وقت شتاء اتاهم بزاد الحاج من الاخبصة اليابسة والخشكانج والاقراص المعجونة
باللبن والسكر من دقيق السميذ والكعك المنضد والفواكه اليابسة وان كان وقت
صيف أتاهم بالفواكه الرطبة ويدخل اليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا اليه بقية
يومهم ويجلس الى العصر ثم يخرج فيصلي العصر ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع
حتى اذا كان في آخر أوقات العصر خرج فجلس على سريره ويؤذن للناس على منازلهم
فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه مقدار ما ينادى بالمغرب ولا ينادى له باصحاب الحوائج ثم يرفع
العشاء وينادى بالمغرب فيخرج فيصليها ثم يصلي بعدها اربع ركعات يقرأ في كل
ركعة خمسين آية يجهر تارة ويخافت اخرى ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادى
بالعشاء الآخرة فيخرج فيصلي ثم يؤذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية
فيؤامره الوزراء فيما أرادوا صدرا من ليلتهم ويستمر الى ثلث الليل في أخبار العرب
وايامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وسائر ملوك الامم وحروبها ومكايدها وسياستها
لرعيتها وغير ذلك من أخبار الامم السالفة ثم تأتيه الطرف الغريبة من عند نسائه من الحلوى
وغيرها من المآكل اللطيفة ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر
فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون وقد وكلوا

بحفظها وقراءتها فيقرأ بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والآثار وأنواع السياسات ثم يخرج فيصلي الصبح ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم وقد كان هم بأخلاقه جماعة بعده مثل عبد الملك بن مروان وغيره فلم يدركوا حلمه ولا اتقانه للسياسة ولا التأني للامور ولا مداراته للناس على منازلهم ورفقه بهم على طبقاتهم وبلغ من احكامه للسياسة واتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه أن رجلا من اهل الكوفة دخل على بعير له الى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال هذه ناقتي أخذت مني بصفين فارتفع امرهما الى معاوية وأقام الدمشقي خمسين رجلا بينة يشهدون انها ناقته فقضى معاوية على الكوفي وامره بتسليم البعير اليه فقال الكوفي اصلحك الله انه جمل وليس بناقة فقال معاوية هذا حكم قد مضى ودس الى الكوفي بعد تفرقهم فاحضره وسأله عن ثمن بعيره فدفع اليه ضعفه وبره واحسن اليه وقال له ابلغ عليا أني اقاتله بمائة الف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرهم الى صفين الجمعة في يوم الاربعاء وأعاروه رؤسهم عند القتال وحملوه بها وركنوا الى قول عمرو بن العاص ان عليا هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الامر في طاعته الى أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير (قال المسعودي) وذكر بعض الاخباريين انه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم من أبو تراب هذا الذي يلعنه الامام على المنبر قال اراه لصا من لصوص الفتن (وحكى الجاحظ) قال سمعت رجلا من العامة وهو حاج وقد ذكر له البيت يقول اذا اتيته من يكلمني منه وأنه أخبره صديق له انه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ما تقول في محمد هذا أربنا هو (وذكر) ثمامة بن اشرس قال كنت مارا في السوق ببغداد فاذا انا برجل عليه الناس مجتمعون فنزلت عن بغلتي وقلت لشيء ما هذا الاجتماع ودخلت بين الناس واذا برجل يصف كحلا معه انه ينجح من كل داء يصيب العين فنظرت اليه فاذا عينه الواحدة برشاء والاخرى مأسوكة فقلت له يا هذا لو كان كحلك كما تقول نفع عينيك فقال لي أها هنا اشتكت عيناي انما اشتكتا بمصر فقال كلهم صدق وذكر انه ما انفلت من نعالهم الا بعد كد (وذكر) لي بعض اخواني ان رجلا من العامة بمدينة السلام رفع الى بعض الولاة الطالبين لاصحاب الكلام على جار له انه يتزندق فسأله الوالي عن مذهب الرجل فقال انه مرجئ قدري أباضي رافضي فلما نص عن ذلك قال انه يبغض معاوية بن الخطاب الذي قاتل علي بن العاص فقال له الوالي ما ادري على أي شيء أحسدك على علمك بالمقالات أو على بصرك بالانساب (واخبرني) رجل من اخواننا من أهل العلم قال كنا نقعد نتناظر في أبي بكر وعمر وعلي ومعاوية ونذكر ما يذكره اهل العلم وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا فقال لي ذات يوم بعضهم وكان من اعقلهم واكبرهم لحية كم تطنبون في علي ومعاوية وفلان وفلان فقلت له فما تقول انت في ذلك قال من تريد قلت علي ما تقول فيه قال أليس هو أبو فاطمة قلت ومن كانت فاطمة قال امرأة النبي عليه السلام بنت عائشة اخت معاوية قلت فما كانت قصة علي قال قتل في غزاة حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان عبد الله بن علي حين خرج في

بطلب مروان الى الشام وكان من قصة مروان ومقتله ما قدذكرونزل عبد الله بن على الشام ووجه الى أبي العباس السفاح اشياخا من اهل الشأم من ارباب النعم والرياسة فحلفوا لابي العباس السفاح انهم ما علموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ولا اهل بيت يرثونه غير بني أمية حتى وليتم الخلافة فقال فى ذلك ابراهيم بن المهاجر البجلي

أيها الناس اسمعوا أخبركم * عجبا زاد على كل العجب
عجبا من عبد شمس أنهم * فتحوا للناس ابواب الكذب
ورثوا احمد فيما زعموا * دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله ما نعلمه * يحرز الميراث الا من قرب

وقد كان ببغداد رجل فى ايام هارون الرشيد متطبب بطب العامة بصفاته وكان دهريا يظهر أنه من اهل السنة والجماعة ويلعن اهل البدع ويعرف بالسني تنقاد اليه العامة فكان يجتمع اليه فى كل يوم بقوارير الماء خلق من الناس فاذا اجتمعوا وثب قائما على قدميه فقال لهم معاشر المسلمين قلتم لا ضار ولا نافع الا الله فلاى شئ تسألونى عن مضاركم ومنافعكم الجأوا الى ربكم وتوكلوا على بارئكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم فيقبل بعضهم على بعض فيقولون اى والله قد صدقنا فكم من مريض لم يعالج حتى مات ومنهم من كان يتركه حتى يسكن ثم يريه الماء فيصف له الدواء فيقول ايمانك ضعيف ولولا ذلك لتوكلت على الله كما امرك فهو يبرئك فكان يقتل بقوله هذا خلقا كثيرا لتزهيده اياهم فى معالجة مرضاهم ومن اخلاق العامة ان يسودوا غير السيد ويفضلوا غير الفاضل ويقولوا بعلم غير العالم وهم اتباع من سبق اليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول والفضل والنقصان ولا معرفة للحق من الباطل عندهم ثم انظر هل ترى اذا اعتبرت ما ذكرنا ونظرت فى مجالس العلماء هل تشاهدها الا مشحونة بالخاصة من اولى التمييز والمروءة والحجى وتقصد العامة فى احتشادها وجموعها فلا تراهم الدهر الا مرقلين الى قائد دب وضارب بدف على سياسة قرد ومتشوقين الى اللهو واللعب أو مختلفين الى مشعبذ ممخرق أو مستمعين الى قاص كذاب أو مجتمعين حول مضروب أو وقوفا عند مصلوب ينعق بهم ويصاح بهم فلا يرتدعون لا ينكرون منكرا ولا يعرفون معروفا ولا يبالون أن يلحقوا البار بالفاجر والمؤمن بالكافر وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فيهم حيث يقول الناس اثنان عالم أو متعلم وما عدا ذلك همج رعاع لا يعبأ الله بهم وكذلك ذكر عن على وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق وأجمع الناس فى تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا ثم تدبر تفرقهم فى احوالهم ومذاهبهم فانظر الى اجماع ملتهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يدعو الخلق الى الله اثنتين وعشرين سنة وهو ينزل عليه الوحى ويمليه على اصحابه فيكتبونه ويدونونه ويلتقطونه لفظة لفظة وكان معاوية فى هذه المدة بحيث علم الله ثم كتب له صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهور فاشادوا من ذكره ورفعوا من منزلته بأن جعلوه كاتبا للوحى وعظموه بهذه الكلمة واضافوه اليها وسلبوها عن غيره واسقطوا ذكر سواه واصل ذلك العادة والالف وما ولدوا عليه وما نشأوا فيه فالغوا

وقت

وقت التفضيل أو البلوغ وقد حملت العادة عليها وبلغت مبالغها وفي العادة قالت الشعراء وتكلم أهل الدراية والادباء قال الشاعر

لا تهن بعد إذ أكرمتني * فشديد عادة منتزعة

وقال آخر معاتبا لصاحبه

ولكن فطام النفس أثقل محملا * من الصخرة الصماء حين ترومها

وقد قالت حكماء العرب العادة تاملك بالادب وقالت حكماء العجم العادة هي الطبيعة الثانية وقد صنف أبو عقال الكاتب كتابا في أخلاق العوام يصف فيه أخلاقهم وشيمهم ومخاطباتهم وسماسها الملهى ولولا اني أكره التطويل والخروج عما قصدنا اليه في هذا الكتاب من الايجاز لشرحت من نوادر العامة وأخلاقها وطرائف أفعالها عجايب ولذكرت مراتب الناس في أخلاقهم وتصرفهم في أحوالهم (فلنرجع) الآن الى أخبار معاوية وسياسته وما أوسع الناس من أخلاقه وما أفاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الأهل والقرابات من ذلك انه وفد عليه عقيل بن أبي طالب منتجعا وزائرا فرحب به معاوية وسر بوروده لاختياره اياه على أخيه وأوسعه حلما واحتمالا فقال له يا أبا يزيد كيف تركت عليا فقال تركته على ما يحب الله ورسوله والفيتك على ما يكره الله ورسوله فقال معاوية لولا انك زائر منتجع جنابنا لرددت عليك أبا يزيد جوابا تألم منه ثم أحب معاوية أن يقطع كلامه مخافة أن يأتي بشيء يخفضه فوثب عن مجلسه وأمر له أن ينزل وحمل اليه مالا عظيما فلما كان من غد جلس وأرسل اليه فأتاه فقال له يا أبا يزيد كيف تركت عليا أخاك قال تركته خيرا لنفسه منك وأنت خير لي منه فقال له معاوية أنت والله كما قال الشاعر

واذا عددت فخار آل محرق * فالمجد منهم في بني عتاب

محل المجد من بني هاشم منوط فيك يا أبا يزيد ما تغيرك الايام والليالي فقال عقيل

اصبر لحرب أنت جانيها * لا بد أن تصلى بحاميها

وأنت والله يا ابن أبي سفيان كما قال الآخر

واذا هوازن أقبلت بفخارها * يوما فخرتهم بآل مجاشع

بالحاملين على الموالي غرمهم * والضاربين الهام يوم القارع

ولكن أنت يا معاوية اذا افتخرت بنو أمية فبمن تفخر فقال معاوية عزمت عليك أبا يزيد لما أمسكت فاني لم أجلس لهذا وانما أردت أن أسألك عن أصحاب علي فانك ذو معرفة بهم فقال عقيل سل عما بدا لك فقال ميزلي أصحاب علي وابدأ بآل صوحان فانهم مخاريق الكلام قال أما صعصعة فعظيم الشان عضب اللسان قائد فرسان قاتل أقران يرتق ما فتق ويفتق ما رتق قليل النظير وأما زيد وعبد الله فانهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان رجلا جد لا لعب معه وأما بنو صوحان فكما قال الشاعر

اذا نزل العدو فان عندي * أسودا تخلس الاسد النفوسا

فاتصل كلام عقيل بصعصعة فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم ذكر الله أكبر وبه يستفتح

المستحفظون وانتم مفاتيح الدنيا والآخرة اما بعد فقد بلغ مولاك كلامك لعدو الله وعدوك فحمدت الله على ذلك وسألته ان يفيء بك الى الدرجة العليا والقضيب الاحمر والعمود الاسود فانه عمود من فارقه فارق الدين الازهر ولئن نزعت بك نفسك الى معاوية طلبا لماله انك لذو علم بجميع خصاله فاحذران تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة فان الله قد رفع عنكم أهل البيت ما وضعه في غيركم فما كان من فضل أو احسان فبكم وصل الينا فأجل الله اقداركم وحمى اخطاركم وكتب آثاركم فان أقداركم مرضية واخطاركم محمية وآثاركم بدرية وانتم سلم الله الى خلقه ووسيلته الى طرقه ايد علية ووجوه جلية وانتم كما قال الشاعر

فما كان من خير أتوه فانما * توارثه آبا آبائهم قبل

وهل ينبت الخطي الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

(وحدث) أبو الهيثم عن أبي سفيان عمرو بن يزيد عن البراء بن يزيد عن محمد بن عبد الله ابن الحارث الطائي ثم احد بني عفان قال لما انصرف علي من الجمل قال لآذنه من بالباب من وجوه العرب قال محمد بن عمير بن عطارد التميمي والاحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان العبدي في رجال سماهم فقال ايذن لهم فدخلوا فسلموا بالخلافة فقال لهم انتم وجوه العرب عندي ورؤساء اصحابي فأشيروا علي في امر هذا الغلام المترف يعني معاوية فافتنت بهم المشورة عليه فقال صعصعة ان معاوية ترفه الهوى وحببت اليه الدنيا فهانت عليه مصارع الرجال وابتاع آخرته بدنياهم فان تعمل فيه برأي ترشد وتصب ان شاء الله والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا أمير المؤمنين الرأي ان ترسل اليه عينا من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه الى بيعتك فان اجابه وانابه كان له مالك وعليه ما عليك والا جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين فقال علي عزمت عليك يا صعصعة الا كتبت الكتاب بيدك وتوجهت به الى معاوية واجعل صدر الكتاب تحذيرا وتخويفا وعجزه استتابة واستنابة وليكن فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين الى معاوية سلام عليك اما بعد ثم اكتب ما اشرت به علي واجعل عنوان الكتاب الا الى الله تصير الامور قال اعفني من ذلك قال عزمت عليك لتفعلن قال أفعل فخرج بالكتاب وتجهز وسار حتى ورد دمشق فأتى باب معاوية فقال لآذنه استأذن لرسول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبالباب ارفقة من بني أمية فأخذته الايدي والنعال لقوله وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وكثرت الجلبة واللغط فاتصل ذلك بمعاوية فوجه من يكشف الناس عنه فكشفوا ثم اذن لهم فدخلوا فقال لهم من هذا الرجل قالوا رجل من العرب يقال له صعصعة بن صوحان معه كتاب من علي فقال والله لقد بلغني امره هذا احد سهام علي وخطباء العرب ولقد كنت الى لقائه شيقا ايذن له يا غلام فدخل عليه فقال السلام عليك يا ابن أبي سفيان هذا كتاب أمير المؤمنين فقال معاوية أما انه لو كانت الرسل تقتل في جاهلية أو اسلام لقتلتك ثم اعترضه معاوية في الكلام واراد ان يستخرجه ليعرف قريحته اطبعا ام تكلفا فقال ممن الرجل فقال من نزار قال وما كان نزار قال كان اذا اغتزى نكس واذا لقي افترس واذا انصرف احترس قال فمن أي اولاده انت قال من ربيعة قال وما كان

ربيعة كان مطعاما يطيل النجاد ويعول العباد ويطعم بها في الارض العماد قال فمن أى أولاده انت قال من جديلة قال وما كان جديلة قال كان فى الحرب سيفا قاطعا وفى المكرمات غيثا نافعا وفى اللقاء لهبا ساطعا قال فمن أى أولاده أنت قال من عبد القيس قال وما كان عبد القيس قال كان خضرما أخصيبا أبيض وهابا لضيفه ما يجد ولا يسأل عما فقد كثير المرق طيب العرق يقوم للناس مقام الغيث من السماء قال ويحك يا ابن صوحان فما تركت لهذا الحى من قريش مجدا ولا فخرا قال بلى والله يا ابن أبي سفيان تركت لهم ما لا يصلح الا بهم ولهم تركت الابيض والاحمر والاصفر والاشقر والسرير والمنبر والملك الى المحشر وأنى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله فى الارض ونجومه فى السماء ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها فقال صدقت يا ابن صوحان ان ذلك لكذلك فعرف صعصعة ما أراد فقال ليس لك ولا لقومك فى ذلك اصدار ولا ايراد بعدتم عن انف المرعى وعلوتم عن عذب الماء قال فلم ذلك ويلك يا ابن صوحان قال الويل لاهل النار ذلك لبنى هاشم قال قم فأخرجوه فقال صعصعة الصدق ينبئ عنك لا الوعيد من أراد المشاجرة قبل المحاورة فقال معاوية لشيء ما سوّده قومه وددت والله أنى من صلبه ثم التفت الى بنى أمية فقال هكذا فلتكن الرجال (وحدث) منصور بن وحشى عن أبي الفياض عبد الله بن محمد الهاشمى عن الوليد بن البخترى العبسى عن الحارث بن مسمار البهرانى قال حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدى وعبد الله بن الكواء اليشكرى ورجالا من أصحاب على مع رجال من قريش فدخل عليهم معاوية يوما فقال نشدتكم بالله الا ما قلتم حقا وصدقا أى الخلفاء رأيتمونى فقال ابن الكواء لولا انك عزمت علينا ما قلنا لانك جبار عنيد لا تراقب الله فى قتل الاخيار ولكنا نقول انك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة قريب الثرى بعيد المرعى تجعل الظلمات نورا والنور ظلمات فقال معاوية ان الله أكرم هذا الامر بأهل الشام الذابين عن بيضته التاركين لمحارمه ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله والمحلين ما حرّم الله والمحرّمين ما أحل الله فقال عبد الله بن الكواء يا ابن أبي سفيان ان لكل كلام جوابا ونحن نخاف جبروتك فان كنت تطلق ألسنتنا ذببنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا يأخذها فى الله لومة لائم والا فانا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه قال والله لا يطلق لك لسان ثم تكلم صعصعة فقال تكلمت يا ابن أبي سفيان فابلغت ولم تقصر عما أردت وليس الامر على ما ذكرت انى يكون الخليفة من ملك الناس قهرا ودانهم كبرا واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا أما والله ما لك فى يوم بدر مضرب ولا مرمى وما كنت فيه الا كما قال القائل (لا حلى ولا سيرى) ولقد كنت أنت وأبوك فى العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أنت طليق ابن طليق أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنى تصلح الخلافة لطليق فقال معاوية لولا انى أرجع الى قول أبي طالب حيث يقول

قابلت جهلهم حلما ومغفرة * والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم (وحدث) أبو جعفر محمد بن حبيب قال أخبرنا أبو الهيثم يزيد بن رجاء الغنوى

[illegible] ابن صوحان [illegible] الكلام [illegible]
صوحان فى معاوية فقال له يا ابن صوحان انت ذو معرفة بالعرب وبحالها فأخبرنى عن
أهل البصرة واياك والحمل على قوم لقوم قال البصرة واسطة العرب ومنتهى الشرف
والسودد وهم أهل الخطط فى أول الدهر وآخره وقد دارت بهم سروات العرب كدوران
الرحا على قطبها قال فأخبرنى عن أهل الكوفة قال قبة الاسلام وذروة الكلام ومظان
ذوى الاعلام الا ان بها أجلافا تمنع ذوى الأمر الطاعة وتخرجهم عن الجماعة وتلك
أخلاق ذوى الهيئة والقناعة قال فأخبرنى عن أهل الحجاز قال أسرع الناس الى فتنة
وأضعفهم عنها وأقلهم غناء فيها غير ان لهم ثباتا فى الدين وتمسكا بعروة اليقين يتبعون
الائمة الابرار ويخلعون الفسقة الفجار فقال معاوية من البررة والفسقة فقال يا ابن
أبى سفيان ترك الخداع من كشف القناع علىّ وأصحابه من الائمة الابرار وأنت
وأصحابك من اولئك ثم أحب معاوية أن يمضى صعصعة فى كلامه بعد ان بان فيه الغضب
فقال أخبرنى عن القبة الحمراء فى ديار مضر قال أسد مضر بسلاء بين غيلين اذا أرسلتها
افترست واذا تركتها احترست فقال معاوية هنا لك يا ابن صوحان للعز الراسى فهل
فى قومك مثل هذا قال هذا لأهله دونك يا ابن أبى سفيان ومن أحب قوما حشر معهم
قال فأخبرنى عن ديار ربيعة ولا يستخفنك الجهل وسابقة الحمية بالتعصب لقومك قال والله
ما أنا عنهم براض ولكنى أقول فيهم وعليهم هم والله أعلام الليل وأذناب فى الدين والميل
لن تقلب رايتها اذا رجفت خوارج الدين براذخ اليقين من نصروه فلج ومن خذلوه
زلج قال فأخبرنى عن مضر قال كنانة العرب ومعدن العز والحسب يقذف البحر
بها أذيه والبر رديه ثم أمسك معاوية فقال له صعصعة سل يا معاوية والا أخبرتك بما تحيد
عنه قال وما ذاك يا ابن صوحان قال أهل الشام قال فأخبرنى عنهم قال أطوع الناس
لمخلوق وأعصاهم للخالق عصاة الجبار وخلفة الاشرار فعليهم الدمار ولهم سوء الدار
فقال معاوية والله يا ابن صوحان انك لحامل مديتك منذ أزمان الا ان حلم ابن أبى سفيان يرد
عنك فقال صعصعة بل أمر الله وقدرته ان أمر الله كان قدرا مقدورا (حدث)
أبو الهيثم قال حدثنى أبو البشر محمد بن بشر الفزارى عن ابراهيم بن عقيل البصرى قال
قال معاوية يوما وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب علىّ وعنده وجوه الناس الارض لله
وأنا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لى وما تركت منه كان جائزا لى فقال صعصعة

تمنيك نفسك ما لا يكو ... ن جهلا معاوى لا تأثم

فقال معاوية يا صعصعة تعلمت الكلام قال العلم بالتعلم ومن لا يعلم يجهل قال معاوية ما
أحوجك الى ان أذيقك وبال أمرك قال ليس ذلك بيدك ذلك بيد الذى لا يؤخر نفسا اذا
جاء أجلها قال ومن يحول بينى وبينك قال الذى يحول بين المرء وقلبه قال معاوية
اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير قال اتسع بطن من لا يشبع ودعا عليه
من لا يجمع (قال المسعودى) ولصعصعة بن صوحان أخبار حسان وكلام فى نهاية
البلاغة والفصاحة والايضاح عن المعانى على ايجاز واختصار (ومن ذلك) خبره مع عبد

الله

[illegible] قال ابن عباس فأى
[illegible] قال [illegible] يا ابن صوحان [illegible] قال ابن عباس فما السؤدد
فيكم فقال اطعام الطعام ولين الكلام وبذل النوال وكف المرء نفسه عن
السؤال والتودد للصغير والكبير وأن يكون الناس عندك شرعا قال فما المروءة
قال أخوان اجتمعا فان لقيا قهرا وان كان [illegible] فقليل وصاحبهما جليل [illegible]
الى [illegible] قال فهل تحفظ فى ذلك شعرا قال نعم أما سمعت قول مرة
ابن ذهل بن شيبان حيث يقول

ان السيادة والمروءة علقا * حيث السماك من السماء الأعزل
واذا تقابل مجريان لغاية * عثر الهجين وأسلمته الأرجل
ويجى الصريح مع العتاق معودا * قرب الجياد فلم يخنه الأفكل

فى أبيات فقال له ابن عباس لو أن رجلا ضرب آباط ابله مشرقا ومغربا لفائدة هذه
الأبيات ما عنفته انا منك يا ابن صوحان لعلى علم وسلم واستنباط ما قد عفا من أخبار
العرب فمن الحليم فيكم قال من ملك غضبه فلم يفعل وسعى اليه بحق أو باطل فلم يقبل ووجد
قاتل أبيه وأخيه فصفح ولم يقتل ذلك الحليم يا ابن عباس قال فهل تجد ذلك فيكم كثيرا
قال ولا قليلا وانما وصفت لك أقواما لا تجدهم الا خاشعين راهبين لله مريدين يتلون
ولا ينالون فأما الآخرون فانهم سبق جهلهم حلمهم ولا يبالى أحدهم اذا ظفر ببغيته حين
[illegible] من كان بعد ان يدرك زعمه ويقضى بغيته ولو وتره أبوه لقتل أباه أو أخوه لقتل أخاه
أما سمعت الى قول ريان بن عمرو بن ريان وذلك أن عمرا أباه قتله مالك بن [illegible] فأقام
ريان زمانا ثم غزا مالكا فأتى مائتى فارس صباحا وهو فى أربعين بيتا فقتله وقتل أصحابه
وقتل عمه فيمن قتل ويقال بل كان أخاه وذلك انه كان جاورهم فقيل لريان فى ذلك قتلت
صاحبنا فقال

فلو انى ثقفت بحيث كانوا * لبل ثيابها علق صبيب
ولو كانت أمية أخت عمرو * بهذا الماء ظل لها نحيب
شهرت السيف فى الأدنين منى * ولم تعطف أواصرنا قلوب

فقال ابن عباس فمن الفارس فيكم حدثنى حديثا أسمعه منك فانك تضع الأشياء مواضعها
يا ابن صوحان قال الفارس من قصر أجله فى نفسه وضغم على أمله بضرسه وكانت
الحرب أهون عليه من أمسه ذلك الفارس اذا وقدت الحروب واشتدت بالأنفس
الكروب وتداعوا للنزال وتزاحفوا للقتال وتخالسوا المهج واقتحموا بالسيوف اللجج
قال أحسنت والله يا ابن صوحان انك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء ما ورثت هذا عن كلالة
زدنى قال نعم الفارس كثير الحذر مدير النظر يلتفت بقلبه ولا يدير خرزات صلبه
قال أحسنت والله يا ابن صوحان الوصف فهل فى مثل هذه الصفة من شعر قال نعم لزهير بن
جناب الكلبى يرثى ابنه عمرا حيث يقول

فارس تكلأ الصحابة منه * بحسام يفر مر الحريق

لا ارامل ذى الوغى فى قتال * يغفل الضرب لا ولا فى مضيق
من يراه يخذق الحرب يوما * انه أخرق مضل الطريق

فى أبيات فقال له ابن عباس فأين اخوك منك يا ابن صوحان صفهما لا عرف وزنكم قال أما زيد فكما قال أخو غنى

فتى لايبالى أن يكون بوجهه * اذا نال خلات الكرام شحوب
اذا ما تراءآه الرجال تحفظوا * فلم ينطقوا العوراء وهو قريب
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه * اليه ويدعوه الندى فيجيب
يبيت الندى يا أم عمرو ضجيعه * اذا لم يكن فى المنقيات حلوب
كأن بيوت الحى ما لم يكن بها * بسابس ما يلفى بهن غريب

فى أبيات كان والله يا ابن عباس عظيم المروّة شريف الاخوة جليل الخطر بعيد الاثر كميش العروه أليف البدوه سليم جوانح الصدر قليل وساوس الدهر ذاكرا لله طرفى النهار وزلفا من الليل الجوع والشبع عنده سيان لا ينافس فى الدنيا وأقل أصحابه من ينافس فيها يطيل السكوت ويحفظ الكلام وان نطق نطق بعقام يهرب منه الدعار الاشرار ويألفه الاحرار الاخيار فقال ابن عباس ما ظنك برجل من أهل الجنة رحم الله زيدا فأين كان عبد الله منه قال كان عبد الله سيدا شجاعا مألفا مطاعا خيره وساع وشره دفاع قلبى النحيزة أحوذى الغريزة لا ينهنهه منهنه عما أراده ولا يركب من الامر الاعتاده سمام عدى وباذل قرى صعب المقاده جزل الرفاده أخو اخوان وفتى فتيان وهو كما قال البرجمى عامر بن سنان

سمام عدى بالنبل يقتل من رمى * وبالسيف والرمح الرديني مشعب
مهيب مقيد للنوال معوّد * بفعل الندى والمكرمات مجرّب

فى أبيات فقال له ابن عباس أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب (ومن أخبار صعصعة) ما حدث به أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمى عن أبى الهيثم يزيد بن رجاء الغنوى قال وقف رجل من بنى فزارة على صعصعة فاسمعه كلاما (منه) بسطت لسانك يا ابن صوحان على الناس فتهيبوك أما لئن شئت لاكونن لك لصاقا فلا تنطق الا جددت لسانك بأذرب من ظبة السيف بعصب قوى ولسان على ثم لا يكون لك فى ذلك حل ولا ترحال فقال صعصعة لو أجد غرضا منك لرميت بل أرى شبحا ولا اخال مثالا الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ أما لو كنت كفؤا لرميت حصائلك بأذرب من ذلق السنان ولرشقتك بنبال تردعك عن النضال ولخطمتك بخطام يحزم منك موضع الزمام فاتصل الكلام بابن عباس فاستضحك من الفزارى وقال أما لو كلف أخو فزارة نفسه نقل الصخور من جبال شمام الى الهضاب لكان أهون عليه من منازعة أخى عبد القيس خاب أبوه ما أجهله يستجهل أخا عبد القيس وقواه المريرة ثم تمثل

صبت عليه ولم تنصب من امم * ان الشقاء على الاشقين مصبوب

(وحدث) المبرد عن الرياشى عن ربيعة بن عبد الله النميرى قال أخبرنى رجل من الازد

قال

قال نظرت الى أبي أيوب الانصاري في يوم النهروان وقد علا عبد الله بن وهب الراسبي فضربه ضربة على كتفه فأبان يده وقال بؤ بها الى النار يا مارق فقال عبد الله ستعلم أينا اولى بها صليا قال وأبيك انى لاعلم اذ أقبل صعصعة بن صوحان فوقف وقال أولى بها والله صليا من ضل في الدنيا عميا وصار الى الآخرة شقيا أبعدك الله وانزحك أما والله لقد أنذرتك هذه الصرعة بالامس فأبيت الا نكوصا على عقبيك فذق يا مارق وبال أمرك وشرك ابا ايوب في قتله ضربه ضربة بالسيف أبان بها رجله وأدركه باخرى في بطنه وقال لقد صرت الى نار لا تطفأ ولا يبوخ سعيرها ثم احتزا راسه وأتيا به عليا فقالا هذا رأس الفاسق الناكث المارق عبد الله بن وهب فنظر اليه فقطب وقال شاه هذا الوجه حتى خيل الينا انه يبكي ثم قال قد كان اخو راسب ساقطا لكتاب الله تاركا لحدود الله ثم قال لهما اطلبا الى ذا الثدية فطلب فلم يوجد فرجعا اليه وقالا ما اصبنا شيأ فقال والله لقد قتل في يومه هذا وما كذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت عليه قوموا بجمعكم فاطلبوه فقامت جماعة من اصحابه فتفرقوا في القتلى فأصابوه في دهاس من الارض فوقه زهاء مائة قتيل فأخرجوه يجر برجله ثم اتي به علي فقال اشهدوا أنه ذو الثدية وقد ذكرنا اخبار ذي الثدية فيما سلف من هذا الكتاب ولعلي في ربيعة كلام كثير يمدحهم فيه ويرثيهم شعرا ومنثورا وقد كانوا أنصاره وأعوانه والركن المنيع من اركانه فمن بعض ذلك قوله يوم صفين

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حضين تقدما
فيوردها في الصف حتى يعلها * حياض المنايا تقطر الموت والدما
جزى الله قوما قاتلوا في لقائه * لدى الموت قدما ما أعز وأكرما
واطيب اخبارا وأكرم شيمة * اذا كان اصوات الرجال تغمغما
ربيعة اعني انهم اهل نجدة * وبأس اذا لاقوا خميسا عرمرما

(وذكر) المدائني ان معاوية اسر جميل بن كعب الثعلبي وكان من سادات ربيعة وشيعة علي وانصاره فلما وقف بين يديه قال الحمد لله الذي امكنني منك الست القائل يوم الجمل

اصبحت الامة في امر عجب * والملك مجموع غدا لمن غلب
قد قلت قولا صادقا غير كذب * ان غدا تهلك أعلام العرب

قال لا تقل ذلك فانها مصيبة قال معاوية وأي نعمة اكبر من ان يكون الله قد اظفرني برجل قد قتل في ساعة واحدة عدة من حماة اصحابي اضربوا عنقه فقال اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لانك ترضى قتلي ولكن قتلني على حطام الدنيا فان فعل فافعل به ما هو أهله وان لم يفعل فافعل به ما انت أهله فقال معاوية قاتلك الله لقد سببت فابلغت في السب ودعوت فبالغت في الدعاء ثم أمر به فاطلق وتمثل معاوية بابيات للنعمان بن المنذر لم يقل النعمان غيرها فيما ذكر ابن الكلبي وهي

تعفو الملوك عن الجليل من الامور بفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها
الا ليعرف فضلها * ويخاف شدة نكلها

(وذكر) لوط بن يحيى وابن دأب والهيثم بن عدى وغيرهم من نقلة الاخبار ان معاوية لما احتضر تمثل

هو الموت لا منجى من الموت والذى * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال اللهم اقل العثرة واعف عن الزلة وجد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ولم يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة مهرب فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال لقد رغب الى من لا مرغوب اليه مثله وانى لارجو أن لا يعذبه الله (وذكر) محمد بن اسحاق وغيره من نقلة الآثار أن معاوية دخل الحمام فى بدء علته التى كانت وفاته فيها فرأى نحول جسمه فبكى لفنائه وما قد اشرف عليه من الدثور الواقع بالخليقة وقال متمثلا

ارى الليالى اسرعت فى نقضى * اخذن بعضى وتركن بعضى

حنين طولى وحنين عرضى * اقعدننى من بعد طول نهضى

ولما أزف امره وحان فراقه واشتدت علته وأيس من برئه انشأ يقول

فياليتنى لم أعن فى الملك ساعة * ولم الـه فى اللذات اعشى النواظر

وكنت كذى طمرين عاش ببلغة * من الدهر حتى زار أهل المقابر

(قال المسعودى) ولمعاوية اخبار كثيرة مع على وغيره وقد أتينا على الغرر من أخباره وما كان فى ايامه فى كتابنا اخبار الزمان والاوسط وغيرهما من كتبنا مما افرد للآثار وهذا باب كبير والكلام فيه وفى غيره مما تقدم وتأخر فى هذا الكتاب كثير ومن ضمن الاختصار لم يجز له الاكثار وانما نذكر فى كل باب من هذا الكتاب طرفا من كل نوع من العلوم والاخبار وما انتخبناه من طرائف الآثار ليستدل الناظر فيه بما ذكرنا على المراد مما تركنا ذكره وقد تقدم وصفه وبسطه فيما سلف من كتبنا واذ قد تقدم ماذكرنا فلنذكر الآن جملا من فضل الصحابة وغيرهم عليهم السلام اذ كانوا حجة على من بعدهم وقدوة لمن تأخر عنهم وبالله التأييد

(ذكر الصحابة ومدحهم وعلى والعباس وفضلهما)

دخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش فلما سلم وجلس قال له معاوية انى اريد ان اسألك عن مسائل قال سل عما بدا لك قال ما تقول فى أبى بكر قال رحم الله ابا بكر كان والله للقرآن تاليا وعن المنكر ناهيا وبذنبه عارفا ومن الله خائفا وعن الشبهات زاجرا وبالمعروف آمرا وبالليل قائما وبالنهار صائما فاق اصحابه ورعا وكفافا وسادهم زهدا وعفافا فغضب الله على من بغضه وطعن عليه قال معاوية ايها يا ابن عباس فما تقول فى عمر بن الخطاب قال رحم الله أبا حفص عمر كان والله حليف الاسلام ومأوى الايتام ومنتهى الاحسان ومحل الايمان وكهف الضعفاء ومعقل الحنفاء قام بحق الله عز وجل صابرا محتسبا حتى أوضح الدين وفتح البلاد وامن العباد فاعقب الله على من ينقصه اللعنة الى يوم الدين قال فما تقول فى عثمان قال رحم الله ابا عمرو كان والله اكرم الحفدة وافضل البررة هجادا بالاسحار كثير الدموع عند ذكر النار نهاضا عند كل مكرمة سباقا الى كل منحة حييا ابيا وفيا صاحب جيش العسرة وختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فاعقب الله على من

يلعنه

يلعنه لعنة الله الى يوم الدين قال فما تقول فى على قال رضى الله عن أبى الحسن كان والله علم الهدى وكهف التقى ومحل الحجى وبحر الندى وطود النهى وكهف العلى للورى داعيا الى المحجة العظمى متمسكا بالعروة الوثقى خير من آمن واتقى وافضل من تقمص وارتدى وابر من انتعل واسعى وافصح من تنفس وقرأ واكثر من شهد النجوى سوى الانبياء والنبى المصطفى صاحب القبلتين فهل يوازيه احد وأبو السبطين فهل يقارنه بشر وزوج خير النسوان فهل يفوقه قاطن بلد للاسود قتال وفى الحروب ختال لم تر عينى مثله ولن ترى فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد الى يوم التناد قال ايها يا ابن عباس لقد اكثرت فى ابن عمك قال فما تقول فى ابيك العباس قال رحم الله العباس ابا الفضل كان صنو نبي الله صلى الله عليه وسلم وقرة عين صفى الله سيد الاعمام له اخلاق آبائه الاجواد واحلام اجداده الامجاد تباعدت الاسباب فى فضيلته صاحب البيت والسقاية والمشاعر والتلاوة ولم لا يكون كذلك وقد ساسه اكرم من دب فقال معاوية يا ابن عباس انا أعلم انك كلمانى اهل بيتك قال ولم لا اكون كذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام يا معاوية ان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه خص محمدا صلى الله عليه وسلم بصحابة آثروه على الانفس والاموال وبذلوا النفوس دونه فى كل حال ووصفهم الله فى كتابه فقال رحماء بينهم الآية قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت اسبابه وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضحت اعلامه وأذل الله بهم الشرك وازال روحه ومحا دعائمه وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية والارواح الطاهرة العالية فقد كانوا فى الحياة لله اولياء وكانوا بعد الموت احياء أصفياء رحلوا الى الآخرة قبل ان يصلوا اليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها فقطع عليه معاوية الكلام وقال ايها يا ابن عباس حدثنا فى غير هذا

(ذكر ايام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان)

وبويع يزيد بن معاوية فكانت ايامه ثلاث سنين وثمانية اشهر الا ثمانى ليال واخذ يزيد لابنه معاوية بن يزيد البيعة على الناس قبل موته ففى ذلك يقول عبد الله بن همام السلولى

تلقفها يزيد عن أبيه * فخذها يا معاوى عن يزيدا

فقد علقت بكم فتلقفوها * ولا ترموا بها الغرض البعيدا

وهلك يزيد بحوارين من ارض دمشق لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة اربع وستين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وفى ذلك يقول رجل من عنزة

يا أيها القبر بحوارينا * ضممت شر الناس اجمعينا

وقد رثاه الاخطل النصرانى فقال من قصيدة

لعمرى لقد دلى الى الخلد خالد * جنازة لا نكس الفؤاد ولا غمر

مقيم بحوارين ليس يريمها * سقته الغوادى من ثوى ومن قبر

فى أبيات

ولما مات معاوية أرسل أهل الكوفة الى الحسين بن علي انا قد حبسنا أنفسنا على بيعتك
ونحن نموت دونك ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك وطولب الحسين بالبيعة ليزيد بالمدينة
فسأل التأخير وخرج يتهادى بين مواليه ويقول

لا ذعرت السوام في فلق الصبح مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطي مخافة الموت ضيما * والمنايا ترصدنني أن أحيدا

ولحق بمكة فأرسل بابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة وقال له سر الى أهل الكوفة فان كان
حقا ما كتبوا به عرفني حتى ألحق بك فخرج مسلم من مكة في النصف من شهر رمضان حتى قدم
الكوفة لخمس خلون من شوال والامير عليها النعمان بن بشير الانصاري فنزل على رجل
يقال له عوسجة مستترا فلما ذاع خبر قدومه بايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألف رجل وقيل
ثمانية عشر ألفا فكتب بالخبر الى الحسين وسأله القدوم اليه فلما هم الحسين بالخروج الى
العراق أتاه ابن عباس فقال له يا ابن عم قد بلغني انك تريد العراق وانهم أهل غدر وانما
يدعونك للحرب فلا تعجل وان أبيت الا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص
الى اليمن فانها في عزلة ولك فيها أنصار واخوان فأقم بها وبث دعاتك واكتب الى أهل
الكوفة وانصارك بالعراق فيخرجوا أميرهم فان قووا على ذلك ونفوه عنها ولم يكن بها أحد
يعاديك اتيتهم وما أنا بغدرهم بآمن وان لم يفعلوا أقمت بمكانك الى ان يأتي الله بأمره فان فيها
حصونا وشعابا فقال الحسين يا ابن عم اني لأعلم انك لي ناصح وعلي شفيق ولكن مسلم بن
عقيل كتب الي باجتماع اهل المصر على بيعتي ونصرتي وقد أجمعت على المسير قال انهم من
جربت وجربت وهم أصحاب أبيك واخيك وقتلتك غدا مع اميرهم انك لو قد خرجت فبلغ ابن
زياد خروجك استنفرهم اليك وكان الذين كتبوا اليك اشد من عدوك فان
عصيتني وأبيت الا الخروج الى الكوفة فلا تخرجن نساءك وولدك معك فوالله اني لخائف
أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه فكان الذي رد عليه لأن أقتل والله بمكان
كذا أحب الي من أن أستحل بمكة فيئس ابن عباس منه وخرج من عنده فمر بعبد الله بن
الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير وانشد

يا لك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري

هذا حسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز وبلغ ابن الزبير أنه يريد الخروج الى الكوفة
وهو أثقل الناس عليه قد غمه مكانه بمكة لان الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين فلم يكن شئ
يؤتاه أحب اليه من شخوص الحسين عن مكة فأتاه فقال ابا عبد الله ما عندك فوالله لقد
خفت الله في جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستذلالهم الصالحين من عباد الله فقال حسين
قد عزمت على اتيان الكوفة فقال وفقك الله اما لو ان لي مثل انصارك ما عدلت عنها ثم
خاف ان يتهمه فقال ولو اقمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز الى بيعتك أجبناك وكنا اليك
سراعا وكنت احق بذلك من يزيد وابي يزيد (ودخل) أبو بكر بن الحارث بن هشام على

الحسين

الحسين فقال له يا ابن عم ان الرحم يظائرني عليك ولا ادري كيف انا في النصيحة لك فقال يا ابا بكر ما انت ممن يستغش فقال أبو بكر كان ابوك أشد بأسا والناس له ارجى ومنه اسمع وعليه اجمع فسار الى معاوية والناس مجتمعون عليه الا أهل الشام وهو اعز منه فخذلوه وتثاقلوا عنه حرصا على الدنيا وضنا بها فجرعوه الغيظ وخالفوه حتى صار الى ما صار اليه من كرامة الله ورضوانه ثم صنعوا باخيك بعد ابيك ما صنعوا وقد شهدت ذلك كله ورأيته ثم انت تريد ان تسير الى الذين عدوا على ابيك واخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعد منك وأقوى والناس منه اخوف وله أرجى فلو بلغهم مسيرك اليهم لاستطغوا الناس بالاموال وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك ان ينصرك ويخذلك من أنت احب اليه ممن ينصره فاذكر الله في نفسك فقال الحسين جزاك الله خيرا يا ابن عم فقد اجهدك رأيك ومهما يقض الله يكن فقال وعند الله نحتسب يا ابا عبد الله ثم دخل على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي والي مكة وهو يقول

كم نرى ناصحا يقول فيعصى * وظنين المغيب يلقى نصيحا

فقال وما ذاك فأخبره بما قال للحسين فقال نصحت له ورب الكعبة واتصل الخبر بيزيد فكتب الى عبيد الله بن زياد بتوليته الكوفة فخرج من البصرة مسرعا حتى قدم الكوفة على الظهر فدخلها في أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون وعليك السلام يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان بن بشير فتحصن فيه ثم أشرف عليه فقال يا ابن رسول الله ما لي ولك وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان فقال ابن زياد لقد طال نومك يا نعيم وحسر اللثام عن فيه فعرفه ففتح له وتنادى الناس ابن مرجانة وحصبوه بالحصباء ففاتهم ودخل القصر ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هانئ بن عروة المرادي ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه فوجه محمد بن الاشعث بن قيس الى هانئ فجاءه فسأله عن مسلم فانكره فاغلظ له ابن زياد القول فقال هانئ ان لزياد أبيك عندي بلاء حسنا وانا احب مكافأته به فهل لك في خير قال ابن زياد وما هو قال تشخص الى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين باموالكم فانه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك فقال ابن زياد أدنوه مني فأدنوه منه فضرب وجهه بقضيب كان في يده كسر انفه وشق حاجبه ونثر لحم وجنته وكسر القضيب على وجهه ورأسه وضرب هانئ بيده الى قائم سيف شرطي من تلك الشرط فجاذبه الرجل ومنعه السيف وصاح اصحاب هانئ بالباب قتل صاحبنا فخافهم ابن زياد وأمر بحبسه في بيت الى جانب مجلسه واخرج اليهم ابن زياد شريحا القاضي فشهد عندهم انه حي لم يقتل فانصرفوا ولما بلغ مسلما ما فعل ابن زياد بهانئ امر مناديا فنادى يا منصور وكانت شعارهم فتنادى أهل الكوفة بها فاجتمع اليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل فسار الى ابن زياد فتحصن منه فحصره في القصر فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل فلما نظر الى الناس يتفرقون عنه سار نحو ابواب كندة فما بلغ الباب الا ومعه منهم ثلاثة ثم خرج من الباب فاذا ليس معه منهم أحد

[illegible] لا يدري اين يذهب ولا يجد احدا يدله على الطريق فنزل عن فرسه ومشى متلددا في أزقة الكوفة لا يدري أين يتوجه حتى انتهى الى باب مولاة للاشعث بن قيس فاستسقاها ماء فسقته ثم سألته عن حاله فاعلمها بقضيته فرقت له وآوته وجاء ابنها فعلم بموضعه فلما أصبح غدا الى محمد بن الاشعث فاعلمه فمضى ابن الاشعث الى ابن زياد فاعلمه فقال انطلق فأتني به ووجه معه عبد الله بن العباس السلمي في سبعين رجلا فاقتحموا على مسلم الدار فثار عليهم بسيفه وشد عليهم فاخرجهم من الدار ثم حملوا عليه الثانية فشد عليهم وأخرجهم أيضا فلما راوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة وجعلوا يلهبون النار باطراف القصب ثم يلقونها عليه من فوق البيوت فلما راى ذلك قال أكلما أرى من الاحلاب لقتل مسلم بن عقيل يا نفس اخرجي الى الموت الذي ليس عنه محيص فخرج اليهم مصلتا سيفه الى السكة فقاتلهم واختلف هو وبكير بن حمران الاحمري ضربتين فضرب بكير فم مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع في السفلى وضربه مسلم ضربة منكرة في رأسه ثم ضربه اخرى على حبل العاتق فكاد يصل الى جوفه وهو يرتجز ويقول

اقسم لا اقتل الا حرّا * وان رأيت الموت شيأ مرّا

كل امرئ يوما ملاق شرّا * اخاف ان اكذب أو أغرّا

فلما رأوا ذلك تقدم اليه محمد بن الاشعث فقال له فأنك لا تكذب ولا تغر واعطاه الامان فامكنهم من نفسه وحملوه على بغلة وأتوا به ابن زياد وقد سلبه ابن الاشعث حين اعطاه الامان سيفه وسلاحه وفي ذلك يقول بعض الشعراء في كلمة يهجو فيها ابن الاشعث

وتركت عمك ان تقاتل دونه * فشلا ولولا انت كان منيعا

وقتلت وافد آل بيت محمد * وسلبت اسيافه ودروعا

فلما صار مسلم الى باب القصر نظر الى قلة مبردة فاستسقاهم منها فمنعهم مسلم ابن عمرو الباهلي وهو أبو قتيبة بن مسلم ان يسقوه فوجه عمرو بن حريث فأتاه بماء في قدح فلما رفعه الى فيه امتلأ القدح دما فصبه وملأه له الثانية فلما رفعه الى فيه سقطت ثناياه فيه وامتلأ دما فقال الحمد لله لو كان من الرزق المقسوم لشربته ثم أدخل الى ابن زياد فلما انقضى كلامه ومسلم يغلظ له في الجواب امر به فاصعد الى اعلى القصر ثم دعا الاحمري الذي ضربه مسلم فقال كن أنت الذي تضرب عنقه لتأخذ بثارك من ضربته فأصعدوه الى اعلى القصر فضرب بكير الاحمري عنقه فاهوى رأسه الى الارض ثم اتبعوا رأسه جسده ثم امر بهاني ابن عروة فاخرج الى السوق فضرب عنقه صبرا وهو يصيح يا آل مراد وهو شيخها وزعيمها وهو يومئذ يركب في اربعة الاف دارع وثمانية الاف راجل واذا اجابتها احلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع فلم يجد زعيمهم منهم أحدا فشلا وخذلانا فقال الشاعر وهو يرثي هاني بن عروة ومسلم بن عقيل ويذكر ما نالهما

اذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري * الى هاني في السوق وابن عقيل

الى بطل قد هشم السيف وجهه * وآخر يهوي في طمار قتيل

اصابهما امر الامير فاصبحا * احاديث من يسعى بكل سبيل

ترى

ترى جسداً قد غير الموت لونه * ونضح دم قد سال كل مسيل
أيركب أسماء الهمالج آمنا * وقد طلبته مذحج بذحول
فتى هو أحيى من فتاة حيية * وأقطع من ذي شفرتين صقيل

ثم دعا ابن زياد بكير بن حمران الذى ضرب عنق مسلم فقال اقتلته قال نعم قال فما كان يقول وانتم تصعدون به لتقتلوه قال كان يكبر ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله فلما أدنيناه لنضرب عنقه قال اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا فقلت الحمد لله الذى أقادنى منك وضربته ضربة لم تعمل شيأ فقال لى أو ما يكفيك وفى خدش منى وفاء بدمك أيها العبد قال ابن زياد أوفخرا عند الموت قال وضربته الثانية فقتلته ثم أتبعنا رأسه جسده وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذى الحجة سنة ستين وهو اليوم الذى ارتحل فيه الحسين من مكة الى الكوفة وقيل يوم الاربعاء يوم عرفة لتسع مضين من ذى الحجة سنة ستين ثم امر ابن زياد بجثة مسلم فصلبت وحمل رأسه الى دمشق وهذا أول قتيل صلبت جثته من بنى هاشم وأول رأس حمل من رؤسهم الى دمشق فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحارث بن يزيد التميمى فقال له أين تريد يا ابن رسول الله قال اريد هذا المصر فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره ثم قال ارجع فانى لم ادع خلفى خيرا ارجوه لك فهم بالرجوع فقال له اخو مسلم والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا أو نقتل كلنا فقال الحسين لا خير فى الحياة بعدكم ثم سار حتى لقى خيل عبيد الله بن زياد عليها عمرو بن سعد بن أبى وقاص فعدل الى كربلاء وهو فى مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته واصحابه ونحو مائة راجل فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص له فقال اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه وكان الذى تولى قتله رجل من مذحج واحتز رأسه وانطلق به الى ابن زياد وهو يرتجز

أنا قتلت الملك المحجبا * قتلت خير الناس اما وأبا
وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فبعث به زياد الى يزيد بن معاوية ومعه الرأس فدخل الى يزيد وعنده أبو بردة الاسلمى فوضع الرأس بين يديه فأقبل ينكث بالقضيب ويقول

نفلق هاما من رجال أحبة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له أبو بردة ارفع قضيبك فوالله ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع فمه على فمه يلثمه وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر وحاربه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة لم يحضرهم شامى وكان جميع من قتل مع الحسين فى يوم عاشوراء بكربلاء سبعة وثمانين منهم ابنه على بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول

انا على بن الحسين بن على * نحن وبيت الله اولى بالنبى
تالله لا يحكم فينا ابن الدعى

وقتل من ولد اخيه الحسن بن على عبد الله بن الحسن والقاسم بن الحسن وأبو بكر بن الحسن

[illegible] العباس بن علىّ وعبد الله بن علىّ وجعفر بن علىّ وعثمان بن علىّ و[illegible]
علىّ وهو الاصغر ومن ولد جعفر بن أبي طالب محمد بن عبد الله بن جعفر وعون بن عبد الله
ابن جعفر ومن ولد عقيل بن أبى طالب عبد الله بن عقيل وعبد الله بن مسلم بن عقيل وذلك
لعشر خلون من المحرم سنة أربع وستين وقتل الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل
ابن تسع وخمسين سنة وقيل غير ذلك ووجد بالحسين يوم قتل ثلاث وثلاثون طعنة وأربع
وثلاثون ضربة ضرب زرعة بن شريك التميمى كفه اليسرى وطعنه سنان بن انس
النخعى ثم نزل فاحتز رأسه وفى ذلك يقول الشاعر

وأىّ رزية عدلت حسينا * غداة تبيره كفا سنان

وقتل معه من الانصار أربعة وباقى من قتل معه من أصحابه على ما قدمنا من العدة من سائر
العرب وفى ذلك يقول مسلم بن قتيبة مولى بنى هاشم

عين جودى بعبرة وعويل * واندبى ان ندبت آل الرسول
وابن عمّ النبىّ غوثا اخاهم * ليس فيما ينوب بالمخذول
وسمىّ النبىّ غودر فيهم * قد علوه بصارم مصقول
واندبى كهلهم فليس اذا ما * عدّ فى الخير كهلهم كالكهول
لعن الله حيث كان زيادا * وابنه والعجوز ذات البعول

وأمر عمرو بن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين فانتدب لذلك اسحاق بن حياة
الحضرمى فى نفر معه فوطئوه بخيلهم ودفن أهل الغاضرية وهم قوم من بنى عامر من بنى
أسد الحسين واصحابه بعد قتلهم بيوم وكان عدة من قتل من أصحاب سعد فى حرب الحسين
عليه السلام ثمانية وثمانين رجلا

(ذكر اسماء ولد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه)

الحسن والحسين ومحسن وام كلثوم الكبرى وزينب الكبرى امهم فاطمة الزهراء بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحمد وأمه خولة بنت اياس الحنفية وقيل ابنة جعفر بن
قيس بن مسلمة الحنفىّ وعبد الله وأبو بكر امهما ليلى بنت مسعود النهشلى وعمر ورقيه
امهما تغلبية ويحيى وامه اسماء بنت عميس الخثعمية وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب
أن جعفرا الطيار استشهد وخلف عليها عونا ومحمدا وعبد الله وأن عقب جعفر منها من
عبد الله بن جعفر وان أبا بكر الصديق تزوجها بعده وخلف عليها محمدا ثم تزوجها علىّ
فخلف عليها يحيى وانها ابنة العجوز الجرشية التى كانت اكرم الناس اصهارا وقد تقدم
فيما سلف من هذا الكتاب تسمية أصهار العجوز الجرشية وأن أولهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجعفر والعباس وعبد الله امهم ام البنين بنت حرام الوحيدية ورملة وام الحسن
امهما ام سعد بنت عروة بن مسعود الثقفىّ وام كلثوم الصغرى وزينب وجمانة وميمونة
وخديجة وفاطمة أم الكرام ونفيسة وأم سلمة وام أبيها وقد أتينا على أنساب آل أبى
طالب ومن اعقب منهم ومصارعهم وغير ذلك من اخبارهم فى كتابنا أخبار الزمان (والعقب)
لعلىّ من خمسة الحسن والحسين ومحمد وعمر والعباس وقد استقصى انسابهم وأتى على

ذكر من لاعقب له منهم ومن له العقب وانساب غيرهم من قريش بني هاشم وغيرهم الزبير ابن بكار في كتابه في انساب قريش وأحسن من هذا الكتاب في انساب آل أبي طالب الكتاب الذي سمع من طاهر بن يحيي العلوي الحسيني بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم وقد صنف في انساب آل أبي طالب كتب كثيرة منها كتاب العباس من ولد العباس بن علي وكتاب أبي علي الجعفري وكتاب المهلوي العلوي من ولد موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي قتيل الطف يقول سليمان بن قبة يرثيه على ماذكره الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريش من أبيات

فان قتيل الطف من آل هاشم * أذل رقابا من قريش فذلت
فان يتبعوه عائذ البيت يصبحوا * كعاد تعمت عن هداها فضلت
ألم تران الارض أضحت مريضة * لقتل حسين والبلاد اقشعرت
فلا يبعد الله الديار وأهلها * وان أصبحت منهم برغمي تخلت

(ذكر لمع من أخبار يزيد وسيره ونوادر من بعض أفعاله)

ولما أفضى الامر الى يزيد بن معاوية دخل منزله فلم يظهر للناس ثلاثا فاجتمع ببابه أشراف العرب ووفود البلدان وأمراء الاجناد لتعزيته بأبيه وتهنئته بالامر فلما كان في اليوم الرابع خرج شعثا أغبر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان معاوية كان حبلا من حبال الله مده الله ماشاء ان يمده ثم قطعه حين شاء ان يقطعه وكان دون من قبله وخير من بعده ان يغفر الله له فهو أهله وان يعذبه فبذنبه وقد وليت الامر بعده ولست أعتذر من جهل ولا اشتغل بطلب علم فعلى رسلكم فان الله اذا أراد شيأ كان اذكروا الله واستغفروه ثم نزل ودخل منزله ثم أذن للناس فدخلوا عليه لايدرون أيهنئونه أم يعزونه فقام عصام بن أبي صيفي فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته أصبحت قد رزئت خليفة الله واعطيت خلافة الله ومنحت هبة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله له ذنبه واعطيت بعده الرياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزيه واحمده على أفضل العطيه فقال يزيد ادن مني يا ابن أبي صيفي فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن مازن فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين رزئت خير الاباء وسميت خير الاسماء ومنحت أفضل الاشياء فهنأك الله بالعطيه وأعانك على الرعيه فقد أصبحت قريش مفجوعة بعد ساستها مسرورة بما أحسن الله اليها من الخلافة بك والعقبى من بعده ثم أنشأ يقول

الله اعطاك التي لا فوقها * وقد أراد الملحدون عوقها
عنك فيأبى الله الا سوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

فقال له يزيد ادن مني يا ابن مازن فدنا منه حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن همام فقال آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزيه وصبرك على المصيبة وبارك لك في العطيه ومنحك محبة الرعيه مضى معاوية لسبيله غفر الله له وأورده موارد السرور ووفقك لصالح السياسة أصبت بأعظم المصائب ومنحت أفضل الرغائب فاحتسب عند الله أعظم الرزيه واشكره على أفضل العطيه وأحدث لخالقك حمدا والله يمتعنا بك ويحفظك ويحفظ لك

وعليك يا أنشأ يقول

اصبر يزيد فقد فارقت ذامقة * واشكر حباء الذى بالملك أصفاكا
أصبحت لا رزء فى الاقوام نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أعطيت طاعة خلق الله كلهم * وأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف * اما نعيت ولا نسمع بمنعاكا

فقال له يزيد ادن منى يا ابن همام فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام الناس يعزونه ويهنئونه بالخلافة فلما ارتفع عن مجلسه أمر لكل واحد منهم بمال على مقداره فى نفسه ومحله فى قومه وزاد فى اعطائهم ورفع مراتبهم وقد أتينا فى كتابنا أخبار الزمان على ما كان من خبر يزيد وغيبته فى حال وفاة أبيه معاوية ومسيره من ناحية حمص حتى بلغه ما بأبيه من العلة ووروده على ثنية العقاب من أرض دمشق فأغنى ذلك عن اعادة هذا الخبر فى هذا الكتاب وذكر عدة من الاخباريين وأهل السير ان عبد الملك بن مروان دخل على يزيد فقال أرضة لك الى جانب أرض لى ولى فيها سعة فأقطعنيها فقال يا عبد الملك انه لا يتعاظمنى كبير ولا أخدع عن صغير فاخبرنى عنها والا سألت غيرك فقال ما بالحجاز أعظم منها قدرا قال قد أقطعتك فشكره عبد الملك ودعا له فلما ولى قال يزيد ان الناس يزعمون ان هذا يصير خليفة فان صدقوا فقد صانعناه وان كذبوا فقد وصلناه وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين فأقبل على ساقيه فقال

اسقنى شربة تروى مشاشى * ثم صل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والامانة عندى * ولتسديد مغنمى وجهادى

ثم أمر المغنين فغنوا وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق وفى أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهى وأظهر الناس شرب الشراب وكان له قرد يكنى بأبى قيس يحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ وكان قردا خبيثا وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذللت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء فى بعض الايام سابقا فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى أبى قيس قباء من الحرير الاحمر والاصفر مشمر وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق وعلى الاتان سرج من الحرير الاحمر منقوش ملمع بأنواع من الالوان فقال فى ذلك بعض شعراء الشأم فى ذلك اليوم

تمسك أبا قيس بفضل عنانها * فليس عليها ان سقطت ضمان
ألا من رأى القرد الذى سبقت به * جياد أمير المؤمنين أتان

وفى يزيد وتملكه وتجبره وانقياد الناس الى ملكه يقول الاخوص

ملك تدين له الملوك مبارك * كادت لهيبته الجبال تزول
تجبى له بلخ ودجلة كلها * وله الفرات وما سقى والنيل

وقيل ان الاخوص قال هذا فى معاوية بعد وفاته يرثيه ولما قتل الحسين بن على رضى الله

عنهما بكربلاء وحمل رأسه ابن زياد الى يزيد خرجت بنت عقيل بن أبي طالب في نساء من قومها حواسر لما قد ورد عليهن من قتل السادات وهي تقول

ماذا تقولون ان قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي * نصف أسارى ونصف ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم * ان تخلفوني بشر في ذوي رحمي

وفي فعل ابن زياد بالحسين يقول أبو الاسود الدؤلي من قصيدة

أقول وذاك من جزع ووجد * أزال الله ملك بني زياد
وأبعدهم بما غدروا وخانوا * كما بعدت ثمود وقوم عاد

ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمهم ظلمه وما ظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصاره وما ظهر من شرب الخمور وسيره سيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه في رعيته وأنصف منه لخاصته وعامته أخرج أهل المدينة عامله عليهم وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وسائر بني أمية وذلك عند تنسك ابن الزبير وتألهه واظهار الدعوة لنفسه وذلك في سنة ثلاث وستين وكان اخراجهم لما ذكرنا من بني أمية وعامل يزيد عن اذن ابن الزبير فاغتنمها مروان منهم اذ لم يقبضوا عليهم ويحملوهم الى ابن الزبير فخرجوا السير نحو الشأم ونمى فعل أهل المدينة ببني أمية وعامل يزيد الى يزيد فسير اليهم بالجيوش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المري الذي أخاف المدينة ونهبها وقتل أهلها وبايعه أهلها على أنهم عبيد ليزيد وسماها نتنه وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وقال من أخاف المدينة أخافه الله فسمي مسلم هذا لعنه الله بمجرم ومسرف لما كان من فعله ويقال ان يزيد حين جرد هذا الجيش وعرض عليه أنشأ يقول

أبلغ أبا بكر اذا الامر انبرى * وأشرف القوم على وادي القرى
أجمع السكران من قوم ترى

يريد بهذا القول عبد الله بن الزبير وكان عبد الله يكنى بأبي بكر وكان يسمى يزيد السكران الخمير وكتب الى ابن الزبير

أدعوا الهك في السماء فانني * أدعو عليك رجال عك وأشعرا
كيف النجاة أبا خبيب منهم * فاحتل لنفسك قبل آتي العسكرا

ولما انتهى الجيش من المدينة الى الموضع المعروف بالحرة وعليهم مسرف خرج الى حربه أهلها عليهم عبد الله بن مطيع العدوي وعبد الله بن حنظله الغسيل الانصاري وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بني هاشم وسائر قريش والانصار وغيرهم من سائر الناس فممن قتل من آل أبي طالب اثنان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وجعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب ومن بني هاشم من غير آل أبي طالب الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وحمزة بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب وبضع وتسعون رجلا من سائر قريش ومثلهم من الانصار وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الاحصاء دون من لم يعرف وبايع الناس على

انهم عبيد ليزيد ومن أبى ذلك أمره مسرف على السيف غير على بن الحسين بن على بن
أبى طالب السجاد وعلى بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وفى وقعة الحرة يقول محمد
ابن أسلم

فان تقتلونا يوم حرة واقم * فنحن على الاسلام أول من قتل
ونحن تركناكم ببدر أذلة * وأبنا بأسياف لنا منكم تفل

ونظر الناس الى على بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو فأتى به الى مسرف وهو
مغتاظ عليه فتبرأ منه ومن آبائه فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده الى جانبه
وقال له سلنى حوائجك فلم يسأله فى أحد ممن قدم الى السيف الا شفعه فيه ثم انصرف عنه
فقيل لعلى رأيناك تحرك شفتيك فما الذى قلت قال قلت اللهم رب السموات السبع وما
أظللن والارضين السبع وما أقللن رب العرش العظيم رب محمد وآله الطاهرين أعوذ بك
من شره وأدرأ بك فى نحره أسألك ان تؤتينى خيره وتكفينى شره وقيل لمسلم رأيناك
تسب هذا الغلام وسلفه فلما أتى به اليك رفعت منزلته فقال ما كان ذلك لرأى منى
لقد ملئ قلبى منه رعبا وأما على بن عبد الله فان أخواله من كندة منعوه منه واناس من
ربيعة كانوا فى جيشه فقال على فى ذلك

أبا العباس قوم من لؤى * واخوالى الملوك بنو وليعه
هم منعوا ذمارى يوم جاءت * كتائب مسرف وبنى اللكيعة
أرادنى التى لا عز فيها * فحالت دونه أيدى ربيعة

... بأهل المدينة ما وصفنا من القتل والنهب والرق والسبى وغير ذلك مما عنه أعرضنا
... رف خرج عنها يريد مكة فى جيوشه من أهل الشأم ليوقع بابن الزبير وأهل مكة بأمر
يزيد وذلك فى سنة أربع وستين فلما انتهى الى الموضع المعروف بقديد مات مسرف لعنه
الله واستخلف على الجيش الحصين بن نمير فسار الحصين حتى أتى مكة وأحاط بها وعاذ ابن الزبير
بالبيت الحرام وكان قد سمى نفسه العائذ بالبيت وشهر بهذا حتى ذكرته الشعراء فى اشعارها
من ذلك ما قدمنا من قول سليمان بن قبة

فان تمنعوه عائذ البيت تصبحوا * كعاد تعمت عن هداها فضلت

ونصب الحصين فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال
والفجاج وابن الزبير فى المسجد ومعه المختار بن أبى عبيد الثقفى داخلا فى جملته منضافا الى
بيعته منقادا الى امامته على شرائط شرطها عليه لا يخالف له رأيا ولا يعصى له أمرا
فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت ورمى مع الاحجار بالنار والنفط ومشاقات
الكتان وغير ذلك من المحرقات وانهدمت الكعبة واحترقت البنية ووقعت صاعقة
فأحرقت من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلا وقيل أكثر من ذلك يوم السبت لثلاث
خلون من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة قبل وفاة يزيد بأحد عشر يوما واشتد
الامر على أهل مكة وابن الزبير واتصل الاذى بالاحجار والنار والسيف ففى ذلك يقول
أبو حرة المدينى

ابن

ابن نمير بئس ما ولى * قد أحرق المقام والمصلى

وليزيد وغيره أخبار عجيبة ومثالب كثيرة من شربه الخمر وقتل ابن الرسول ولعن الوصى وهدم البيت واحراقه وسفك الدماء والفسق والفجور وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه كورود ه فيمن جحد توحيده وخالف رسله وقد أتينا على الغرر من ذلك فيما سلف من كتبنا والله ولى التوفيق

ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم والمختار بن أبى عبيد الله وعبد الله بن الزبير ولمع من اخبارهم وسيرهم وبعض ما كان فى ايامهم

(قال المسعودى) وملك معاوية بن يزيد بن معاوية بعد ابيه فكانت ايامه اربعين يوما الى أن مات وقيل شهرين وقيل غير ذلك وكان يكنى بأبى يزيد وكنى حين ولى الخلافة بابى ليلى وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب وفيه يقول الشاعر

انى أرى فتنة هاجت مراجلها * والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا

ولما حضرته الوفاة اجتمعت اليه بنو أمية فقالوا له اعهد الى من رأيت من أهل بيتك فقال والله ما ذقت حلاوة خلافتكم فكيف اتقلد وزرها وتتعجلون انتم حلاوتها واتعجل مرارتها اللهم انى برىء منها متخل عنها اللهم انى لا اجد نفرا كأهل الشورى فاجعلها اليهم ينصبون من يرونه أهلا لها فقالت له أمه ليت أنى خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام فقال لها وليتنى يا أماه خرقة حيضة ولم أتقلد هذا الامر أتفوز بنو أمية بحلاوتها وأبوء بوزرها ومنعها أهلها كلا انى لبرىء منها (وقد تنوزع) فى سبب وفاته فمنهم من رأى أنه سقى شربة ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى انه طعن وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ودفن بدمشق وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ليكون الامر له من بعده فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتا قبل تمام الصلاة فقدم عثمان بن عتبة بن أبى سفيان فقالوا نبايعك قال على ان لا أحارب ولا اباشر قتالا فابوا ذلك عليه فصار الى مكة ودخل فى جملة ابن الزبير وزال الامر عن آل حرب فلم يكن فيهم من يرومها ولا يتشوف نحوها ولا يرتجى أحد منهم لها وبايع أهل العراق عبد الله بن الزبير فاستعمل على الكوفة عبد الله بن مطيع العدوى فقال المختار بن أبى عبيد الثقفى لابن الزبير انى لاعرف قوما لو أن لهم رجلا له رفق وعلم بما يأتى لاستخرج لك منهم جندا تغلب بهم أهل الشأم فقال من هم قال شيعة بنى هاشم بالكوفة قال كن أنت ذلك الرجل فبعثه الى الكوفة فنزل ناحية منها وجعل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم ويظهر الحنين والجزع لهم ويحث على أخذ الثار لهم والمطالبة بدمائهم فمالت الشيعة اليه وانضافوا الى جملته وسار الى قصر الامارة فاخرج ابن مطيع منه وغلب على الكوفة وابتنى لنفسه دارا واتخذ بستانا أنفق عليه أموالا عظيمة أخرجها من بيت المال وفرق الاموال على الناس بها تفرقة واسعة وكتب الى ابن الزبير يعلمه انه انما أخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها ويسوم ابن الزبير أن يحتسب له بما انفقه من بيت المال فأبى ابن الزبير ذلك عليه فخلع المختار طاعته وجحد بيعته وكتب المختار كتابا الى على بن الحسين السجاد يريده على أن

يبايع له ويقول بامامته ويظهر دعوته وانفذ اليه مالا كثيرا فأبي على أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه وسبه على رؤس الملا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر كذبه وفجوره ودخوله على الناس باظهار الميل الى آل أبي طالب فلما يئس المختار من على بن الحسين كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك فأشار عليه على بن الحسين ان لا يجيبه الى شئ من ذلك فان الذي يحمله على ذلك اجتذابه لقلوب الناس بهم وتقربه اليهم بمحبتهم وباطنه مخالف لظاهره في الميل اليهم والتولى لهم والبراءة من اعدائهم بل هو من اعدائهم لا من أوليائهم والواجب عليه ان يشهر امره ويظهر كذبه على حسب مافعل هو واظهر من القول في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى ابن الحنفية ابن عباس فأخبره بذلك فقال له ابن العباس لا تفعل فأنك لا تدرى ما أنت عليه من ابن الزبير فاطاع ابن عباس وسكت عن عيب المختار واشتد أمر المختار بالكوفه وكثر رجاله ومال الناس اليه وأقبل يدعو الناس على طبقاتهم ومقاديرهم في انفسهم وعقولهم فمنهم من يخاطبه بامامة محمد بن الحنفية ومنهم من يرفعه عن هذا فيخاطبه بان الملك يأتيه بالوحى ويخبره بالغيب وتتبع قتلة الحسين فقتلهم فقتل عمرو بن سعد بن أبي وقاص الزهري وهو الذي تولى حرب الحسين يوم كربلاء وقتله ومن معه فزاد ميل أهل الكوفة اليه ومحبتهم له واظهر ابن الزبير الزهد في الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة وقال انما بطنى شبر فما عسى ان يسع ذلك من الدنيا وأنا العائذ بالبيت والمستجير بالرب وكثرت اذيته لبني هاشم مع شحه بالدنيا على سائر الناس ففي ذلك يقول أبو حرة مولى الزبير

ان الموالى أمست وهي عاتبة * على الخليفة تشكو الجوع والحربا
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا * أى الملوك على ماحولنا غلبا

وفيه يقول بعد مفارقته اياه

مازال في سورة الاعراف يقرؤها * حتى فؤادى مثل الخز في اللين
لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد * افضلت فضلا كثيرا للمساكين
ان امرأ كنت مولاه فضيعني * يرجو الفلاح لعمرى حق مغبون

وفيه يقول أيضا

فنارا كما اعرضت فبلغن * كبير بنى العوام ان قيل من تعني
تخبر من لاقيت أنك عائذ * وتكثر قتلا بين زمزم والركن

وفيه يقول الضحاك بن فيروز الديلي

تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة * وبطنك شبر أو أقل من الشبر
وأنت اذا مانلت شيأ قضمته * كما قضمت نار الغضى حطب السدر
فلو كنت تجزى أو تثيب بنعمة * قريبا لردتك العطوف على عمرو

وذلك أن يزيد بن معاوية كان قد ولى الوليد بن عتبه بن أبي سفيان المدينة فسرح منها جيشا الى مكة لحرب ابن الزبير عليه عمرو بن الزبير اخوه وكان عمرو منحرفا عن عبد الله فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه فظفر به أخوه عبد الله فاقامه للناس بباب

المسجد الحرام مجردا ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات وحبس عبد الله بن الزبير الحسن بن محمد بن الحنفية في الحبس المعروف بحبس عارم وهو حبس موحش مظلم واراد قتله فعمل الحيلة حتى تخلص من السجن وتعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى وبها أبوه محمد بن الحنفية ففي ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت أنك عائذ * بل العائذ المظلوم في سجن عارم
ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى * من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمي نبي الله وابن وصيه * وفكاك اغلال وقاضي مغارم

وقد كان ابن الزبير عمد الى من بمكة من بني هاشم فحصرهم في الشعب وجمع لهم حطبا عظيما لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت أحد وفي القوم محمد بن الحنفية وحدث النوفلي علي بن سليمان عن فضيل بن عبد الوهاب الكوفي عن أبي عمران الرازي عن قطن بن خليفة عن الدبال بن حرملة قال كنت في من استنفره أبو عبد الله الجدلي من الكوفة من قبل المختار فنفرنا معه في أربعة آلاف فارس فقال أبو عبد الله هذه خيل عظيمة وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيعجل على بني هاشم فيأتي عليهم فانتدبوا معي فانتدبنا معه في ثمانمائة فارس جريدة خيل فما شعر ابن الزبير الا والرايات تخفق على رأسه قال فجئنا الى بني هاشم فاذا هم في الشعب فاستخرجناهم فقال لنا ابن الحنفية لا تقتلوا الا من قاتلكم فلما رأى ابن الزبير تمرنا له واقدامنا عليه لاذ بأستار الكعبة وقال انا عائذ الله (وحدث) النوفلي في كتابه في الاخبار عن ابن عائشة عن ابيه عن حماد بن سلمة قال كان عروة بن الزبير يعذر أخاه اذا جرى ذكر بني هاشم وحصره اياهم في الشعب وجمعه الحطب لتحريقهم ويقول انما اراد بذلك ارهابهم ليدخلوا في طاعته كما أرهب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لاحراقهم اذ هم أبوا البيعة فيما سلف وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا وقد اتينا على ذكره في كتابنا في مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب حدائق الاذهان وخطب ابن الزبير فقال قد بايعني الناس ولم يتخلف الا هذا الغلام محمد بن الحنفية والموعد بيني وبينه أن تغرب الشمس ثم اضرم داره عليه نارا فدخل ابن العباس لابن الحنفية فقال يا ابن عم اني لا آمنه عليك فبايعه فقال سيمنعه مني حجاب قوي فجعل ابن عباس ينظر الى الشمس ويفكر في كلام ابن الحنفية وقد كادت الشمس ان تغرب فوافاهم أبو عبد الله الجدلي فيما ذكرنا من الخيل وقالوا لابن الحنفية ايذن لنا فيه فأبى وخرج الى ايلة فأقام بها سنين ثم قتل ابن الزبير كذلك حدث عمر بن حبة التميمي عن عطاء بن مسلم فيما أخبرنا به أبو الحسن المهراني البصري بمصر وأبو اسحاق الجوهري بالبصرة وغيرهما وهؤلاء الذين وردوا الى ابن الحنفية هم الشيعة الكيسانية وهم القائلون بامامة محمد بن الحنفية وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم بامامة محمد ابن الحنفية فنهم من قطع بموته ومنهم من زعم انه لم يمت وانه حي في جبال رضوى وقد تنازع كل فريق من هؤلاء أيضا وانما سموا بالكيسانية لاضافتهم الى المختار ابن أبي عبيد الثقفي وكان اسمه كيسان ويكنى اباعمرة وهو غير المختار وقد اتينا على اقاويل فرق الكيسانية وغيرهم من فرق الشيعة وطوائف الامة في كتابنا في المقالات في أصول

الغيابات وذكرنا قول كل فريق منهم وما أيد به مذهبه وقول من ذكر منهم أن ابن الحنفية دخل الى شعب رضوى في جماعة من اصحابه فلم يعرف لهم خبرالى هذه الغاية وقد ذكر جماعة من الاخباريين ان كثيرا الشاعر كان كيسانيا ويقول ان محمد بن الحنفية هو المهدي الذي يملؤها عدلا كما ملئت جورا وحكى الزبير بن بكار في كتابه انساب قريش في انساب آل أبي طالب وأخبارهم منه قال أخبرني عمي قال قال كثير ابياتا له يذكر فيها ابن الحنفية رضي الله عنه وأولها

هو المهدي خبرناه كعب * اخو الاحبار في الحقب الخوالي
أقر الله عيني اذ دعاني * امين الله يلطف في السوال
وانني في هواي على خبلا * وسائل عن بني وكيف حالي

وفيه يقول أيضا كثير

الا ان الائمة من قريش * ولاة الحق اربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه * هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر * وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا تراه العين حتى * يقود الخيل يتبعها اللواء
يغيب لا يرى فيهم زمانا * برضوى عنده عسل وماء

وفيه يقول السيد الحميري وكان كيسانيا

الا قل للوصي فدتك نفسي * اطلت بذلك الجبل المقاما
اضر بمعشر والوك منا * وسموك الخليفة والاماما
وعادوا فيك أهل الارض طرا * مغيبك عنهم سبعين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت * ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمردف شعب رضوى * تراجعه الملايكة الكلاما

وفيه يقول السيد أيضا

ياشعب رضوى ما لمن بك لا يرى * وبنا اليه من الصبابة أولق
حتى متى والى متى وكم المدى * يا ابن الرسول وانت حي ترزق

وللسيد فيه اشعار كثيرة لا يأتي عليها كتابنا هذا (وذكر) علي بن محمد بن سليمان النوفلي في كتابه الاخبار مما سمعناه من أبي العباس بن عمار قال حدثنا جعفر بن محمد النوفلي قال حدثنا اسماعيل الساحر وكان راوية السيد الحميري قال مات السيد الاعلى قوله بالكيسانية وانكر قوله في القصيدة التي أولها (تجعفرت باسم الله والله أكبر) قال أبو الحسن علي بن محمد النوفلي عقيب هذا الخبر وليس يشبه هذا شعر السيد لان السيد مع فصاحته وجزالة قوله لا يقول تجعفرت باسم الله وذكر عمر بن شبة النميري عن مساور بن السائب أن ابن الزبير خطب أربعين يوما لا يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا يمنعني أن أصلي عليه الا أن تشمخ رجال بآنافها وذكر سعيد بن جبير أن عبد الله بن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير أنت الذي تؤنبني وتهجاني قال ابن عباس نعم سمعت رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم يقول ليس المسلم الذى يشبع ويجوع جاره فقال ابن الزبير انى لاكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ اربعين سنة وجرى بينهم خطب طويل فخرج ابن عباس من مكة خوفا على نفسه فنزل الطائف فتوفى هنالك ذكر هذا الخبر عمر بن شبة النميرى عن سويد بن سعيد يرفعه الى سعيد بن جبير فيما حدثنا به المهرانى بمصر والكلابى بالبصرة وغيرهما عن عمر ابن شبة وحدث النوفلى فى كتابه فى الاخبار عن الوليد بن هشام المخزومى قال خطب ابن الزبير فنال من على فبلغ ذلك ابنه محمد بن الحنفية فجاء حتى وضع له كرسى قدامه فعلاه وقال يامعشر قريش شاهت الوجوه أينتقص على وأنتم حضور ان عليا كان سهما صادقا أحد مرامى الله على أعدائه يقتلهم لكفرهم ويهوعهم مآكلهم فثقل عليهم فرموه بقرفة الاباطيل وانا معشر له على نهج من أمره بنو الحسبة من الانصار فان تكن لنا الايام دولة تنثر عظامهم وتحسر عن أجسادهم والابدان يومئذ بالية وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فعاد ابن الزبير الى خطبته وقال عذرت بنى الفواطم يتكلمون فما بال ابن الحنفية فقال محمد يا ابن أم رومان ومالى لا أتكلم أليست فاطمة بنت محمد حليلة أبى وأم اخوتى أوليست فاطمة بنت أسد بن هاشم جدتى أوليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدة أبى أما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت فى بنى أسد عظما الا هشمته وان نالتنى فيه المصائب صبرت (حدثنا) ابن عمار عن على بن محمد بن سليمان النوفلى قال حدثنى ابن عائشة والعتبى جميعا عن أبويهما وألفاظهما متقاربة قالا خطب ابن الزبير فقال ما بال أقوام يفتون فى المتعة وينتقصون حوارى الرسول وأم المؤمنين عائشة ما بالهم أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يعرض بابن عباس فقال يا غلام أصمدنى صمدة فقال يا ابن الزبير

قد أنصف القارة من راماها

انا اذا ما فئة نلقاها * ترد أولاها على أخراها

أما قولك فى المتعة فسل أمك تخبرك فان أول متعة سطع مجمرها لمجمر سطع بين أمك وأبيك يريد متعة الحج وأما قولك حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد لقيت أباك فى الزحف وأنا مع امام هدى فان يكن على ما أقول فقد كفر بقتالنا وان يكن على ما تقول فقد كفر بهربه عنا فانقطع ابن الزبير ودخل على أمه أسماء فأخبرها فقالت صدق (قال المسعودى) وفى هذا الخبر زيادات من ذكر البردة والعوسجة وقد أتينا على الخبر بتمامه وما قاله الناس فى متعة النساء ومتعة الحج وتنازعهم فى ذلك وما ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم من انه حرمها عام خيبر ولحوم الحمر الاهلية وما ذكر فى حديث الربيع بن سبرة عن أبيه وقول عمر كانتا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تقدمت بالنهى لفعلت بفاعل ذلك كذا وكذا وما روى عن جابر قال تمتعنا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر وصدر من خلافة عمر وغير ذلك من أقاويلهم فى كتابنا المترجم بكتاب الاستبصار وفى كتاب الصفوة وفى كتابنا المترجم بالكتاب الواجب فى الفروض اللوازم وما قال الناس فى غسل الرجلين ومسحهما والمسح على الخفين وطلاق السنة وطلاق العدة وطلاق التعدى وغير ذلك وقد حدث النوفلى عن أبى عاصم عن ابن جريج قال حدثنى منصور بن شيبة عن صفية

بنت أبي عبيد عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أمر من لم يكن معه هدى ان يحل قالت فأحللت فلبست ثيابي وتطيبت وجئت حتى جلست الى جنب الزبير فقال قومي عني فقلت ما تخاف أتخاف أن أثب عليك فهذا الذي أراد ابن عباس وقد ذكر هذا الحديث عن أبي عاصم غير النوفلي وقد تنازع الناس في ذلك فمنهم من رأى انه عنى متعة النساء ومنهم من رأى انه أراد متعة الحج لان الزبير تزوج أسماء بكرا في الاسلام زوجه أبو بكر معلنا فكيف تكون متعة النساء ولما هلك يزيد بن معاوية ووليها معاوية بن يزيد نمى ذلك الى الحصين بن نمير ومن معه في الجيش من أهل الشام وهو على حرب ابن الزبير فهادنوا ابن الزبير ونزلوا مكة فلاقى الحصين عبد الله في المسجد فقال له هل لك يا ابن الزبير أن أحملك الى الشأم وأبايع لك بالخلافة فقال له عبد الله رافعا صوته أبعد قتل أهل الحرة لا والله حتى أقتل بكل رجل خمسة من أهل الشأم فقال الحصين من زعم يا ابن الزبير انك داهية فهو أحمق أكلمك سرا وتكلمني علانية أدعوك أن أستخلفك فترفع الحرب وتزعم انك تقاتلنا فستعلم أينا المقتول وانصرف أهل الشأم الى بلادهم مع الحصين فلما صاروا الى المدينة جعل أهلها يهتفون بهم ويتوعدونهم ويذكرون قتلاهم بالحرة فلما أكثروا من ذلك وخافوا الفتنة وهيجها صعد روح بن زنباع الجذامي على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك الجيش فقال يا أهل المدينة ماهذا الايعاد الذي توعدوننا انا والله ما دعوناكم الى كلب لمبايعة رجل منهم ولا الى رجل من بلقين ولا الى رجل من لخم أو جذام ولا غيرهم من العرب ولكن دعوناكم الى هذا الحي من قريش يعني بني أمية ثم الى طاعة يزيد بن معاوية وعلى طاعته قاتلناكم فاياناتوعدون أما والله انا لابناء الطعن والعداء وفضلات الموت والمنون فما شئتم ومضى القوم الى الشأم وحمل الى ابن الزبير من صنعاء الفسيفساء التي كان بناها ابرهة الحبشي في كنيسته التي اتخذها هنالك ومعها ثلاث أساطين من رخام فيها وشي منقوش قد حشي النقش السندروس وأنواع الالوان من الاصباغ فن رآه ظنه ذهبا وشرع ابن الزبير في بناء الكعبة وشهد عنده سبعون شيخا من قريش ان قريشا حين بنت الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة البيت سبعة أذرع من أساس ابراهيم الخليل الذي أسسه هو واسماعيل عليهما السلام فبناه ابن الزبير وزاد فيه الاذرع المذكورة وجعل فيه الفسيفساء والاساطين وجعل له بابين بابا يدخل منه وبابا يخرج منه فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج عبد الله بن الزبير وكتب الى عبد الملك يعلمه بما زاده ابن الزبير في البيت فأمره عبد الملك بهدمه ورده الى ما كان عليه آنفا من بناء قريش وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وان يجعل له بابا واحدا ففعل الحجاج ذلك واستوثق الامر لابن الزبير وأخذت له البيعة بالشأم وخطب له على سائر منابر الاسلام الا منبر طبرية من بلاد الاردن فان حسان ابن مالك بن بحدل أبى ان يبايع لابن الزبير وأرادها لخالد بن يزيد بن معاوية وكان القيم بأمر بيعة ابن الزبير بمكة عبد الله بن مطيع العدوي ففي ذلك يقول قضاعة الاسدي وكان بايع لابن الزبير ثم نكث

دعا ابن مطيع للبياع فجئته * الى بيعة قلبي لها غير آلف

فتناولي حسناء المالمستها * بكف ليست من أكف البلاقف

وهلك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وعبيد الله بن زياد على البصرة أمير فخطب الناس وأعلمهم بموتهما وان الامر شورى لم ينتصب له أحد وقال لا أرض اليوم أوسع من أرضكم ولا عدد أكثر من عددكم ولا مال أكثر من مالكم في بيت مالكم مائة ألف ألف درهم عطاء مقاتلتكم ستون ألفا وعطاؤهم وعطاء العيال ستون ألف ألف درهم فانظروا رجلا ترضونه يقوم بأمركم ويجاهد عدوكم وينصف مظلومكم من ظالمكم ويوزع بينكم أموالكم فقام اليه أشراف أهلها ومنهم الاحنف بن قيس التميمي وقيس بن الهيثم السلمي ومسمع بن مالك العبدي فقالوا ما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الامير وأنت أحق من قام على أمرنا حتى تجتمع الناس على خليفة فقال اما لو استعملتم غيري لسمعت وأطعت وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعي عاملا لعبيد الله بن زياد فكتب اليه عبيد الله يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة ويأمره أن يأمر أهل الكوفة بما دخل فيه أهل البصرة فقام يزيد بن رويم الشيباني فقال الحمد لله الذي أطلق ايماننا لا حاجة لنا في بني أمية ولا في امارة ابن مرجانة وهي أم عبيد الله وأم أبيه زياد سمية على ما ذكرنا آنفا انما البيعة لاهل الجزيرة يعني أهل الحجاز فخلع أهل الكوفة ولاية أمية وامارة ابن زياد وأرادوا ان ينصبوا لهم أميرا الى ان ينظروا في أمرهم فقال جماعة عمرو بن سعد بن أبي وقاص يصلح لها فلما هموا بتأميره أقبل نساء من همدان وغيرهم من نساء كهلان والانصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات معولات يندبن الحسين ويقلن أما رضي عمرو بن سعد بقتل الحسين حتى أراد أن يكون أميرا علينا على الكوفة فبكى الناس واعرضوا عن عمرو وكان المبرزون في ذلك نساء همدان وقد كان علي عليه السلام مائلا الى همدان مؤثرا لهم وهو القائل

فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقال (عبيت همدان وعبوا حميرا) ولم يكن بصفين منهم أحد مع معاوية وأهل الشأم الا ناس كانوا بغوطة دمشق بقرية تعرف بعين برما مافيها منهم قوم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ولما اتصل خبر أهل الكوفة بابن الزبير أنفذ اليهم عبد الله بن مطيع العدوي على ما قدمنا آنفا فتولى أمرهم حتى وجه المختار في أثره ونظر مروان بن الحكم اطباق الناس على مبايعة ابن الزبير واجابتهم له فأراد أن يلحق به وينضاف الى جملته فنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشأم وقال له انك شيخ بني عبد مناف فلا تعجل فصار مروان الى الجابية من أرض الجولان بين دمشق والاردن واستمال الضحاك بن قيس الفهري الناس ورأسهم وانحاز عن مروان وأراد دمشق فسبقه اليها الاشدق عمرو بن سعيد بن العاص فدخلها وصار الضحاك الى حوران والبثنية وأظهر الدعوة لابن الزبير والتقى الاشدق ومروان فقال الاشدق لمروان هل لك فيما أقوله لك فهو خير لي ولك قال مروان وماهو قال ادعو الناس اليك وآخذها لك على أن تكون لي من بعدك فقال مروان لا بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية فرضي الاشدق بذلك ودعا الناس الى بيعة مروان فأجابوا

ومضى الاشدق الى حسان بن مالك بالاردن فارغبه فى بيعة مروان فجنح لها وبويع مروان ابن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى أبا عبد الملك وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان وذلك بالاردن وكان أول من بايعه أهلها وتمت بيعته وكان مروان أول من أخذها بالسيف كرها على ماقيل بغير رضى من عصبة من الناس بل كل خوفه الاعداد يسيرا حملوه على وثوبه عليها وقد كان غيره ممن سلف أخذها بعدد واعوان الامر وان فانه أخذها على ماوصفنا وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد ولعمرو بن سعيد الاشدق بعد خالد وكان مروان يلقب بخيط باطل وفى ذلك يقول عبد الرحمن بن الحكم

لحا الله قوما أمروا خيط باطل * على الناس يعطى مايشاء ويمنع

واشترط حسان بن مالك وكان رئيس قحطان وسيدها بالشأم على مروان ما كان لهم من الشروط على معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية بن يزيد منها ان يفرض لهم لالفى رجل ألفين ألفين وان مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه وعلى ان يكون لهم الامر والنهى وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن رأى منهم ومشورة فرضى مروان بذلك وانقاد اليه وقال له مالك ابن هبيرة اليشكرى انه ليست لك فى أعناقنا بيعة وليس نقاتل عن عرض دنيا فان تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك وان تكن الاخرى فوالله ماقريش عندنا الاسواء فأجابه مروان الى ماسأل وسار مروان نحو الضحاك بن قيس الفهرى وقد انحازت قيس وسائر مضر وغيرهم من نزار الى الضحاك ومعه أناس من قضاعة عليهم وائل بن عمرو العدوى وكانت معه راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابيه وأظهر الضحاك ومن معه خلافة ابن الزبير والتقى مروان والضحاك ومن معهما بمرج راهط على أميال من دمشق فكانت بينهم الحروب سجالا وكثرت اليمانية عليهم وبواديها مع مروان فقتل الضحاك ابن قيس رئيس جيش ابن الزبير قتله رجل من تيم اللات وقتل معه نزار وأكثرهم من قيس مقتلة عظيمة لم ير مثلها قط وفى ذلك يقول مروان بن الحكم

لما رأيت الناس صاروا حزبا * والمال لا يؤخذ الا غصبا
دعوت غسانا لهم وكلبا * والسكسكيين رجالا غلبا
والقين تمشى فى الحديد نكبا * والاعوجيات يشبن وثبا
يحملن سروات ودينا صلبا

وفى ذلك يقول أخوه عبد الرحمن بن الحكم

أرى أحاديث أهل الجد قد بلغت * أهل الفرات وأهل الفيض والنيل

وكان زفر بن الحارث العامرى ثم الكلابى مع الضحاك فلما أمعن السيف فى قومه ولى ومعه رجلان من بنى سليم فقص فرساهما وغشيتهما اليمانية من خيل مروان فقالا له انج بنفسك فانا مقتولان فولى راكضا ولحق الرجلان فقتلا وفى هذا اليوم يقول زفر ابن الحارث الكلابى من أبيات كثيرة

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط * لمروان صدعا بيننا متنائيا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا

أرى سلاحى لا أبالك انى * أرى الحرب لا يزداد الا تماديا

اتذهب كلب لم تنلها رماحنا * وتترك قتلى راهط هى ماهيا

فلم ير منى نبوة بعد هذه * فرارى وتركى صاحبى ورائيا

عشية أغدو فى الفريقين لا أرى * من القوم الا من على ولا ليا

ايذهب يوم واحد ان أسأته * بصالح أيامى وحسن بلائيا

ابعد ابن عمرو وابن معن تتابعا * ومقتل همام أمنى الامانيا

وتلاحق الناس ممن حضر الوقعة من أجنادهم بارض الشأم وكان النعمان بن بشير واليا على حمص قد خطب لابن الزبير عاملا للضحاك فلما بلغه قتله وهزيمة الزبيرية خرج عن حمص هاربا فسار ليلته جمعاء متحيرا لا يدرى أين يأخذ فأتبعه خالد بن عدى الكلاعى فيمن خف معه من أهل حمص فلحقه وقتله وبعث برأسه الى مروان وانتهى زفر بن الحارث الكلابى فى هزيمته الى قرقيسياء فغلب عليها واستقام الشأم لمروان وبث فيه رجاله وعماله وسار مروان فى جنوده من الشأم الى أهل مصر فحاصرها وخندق عليها خندق مما يلى المقبرة وكانوا زبيرية عليهم لابن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم وسيد الفسطاط يومئذ وزعيمها أبو رشدين كريب بن ابرهة بن الصباح فكان بينهم وبين مروان قتال يسير وتوافقوا على الصلح وقتل مروان اكدر بن الحمام صبرا وكان فارس مصر فقال أبو رشدين لمروان ان شئت والله أعدناها جذعة يعنى يوم الدار بالمدينة فقال مروان ما أشاء من ذلك شيأ وانصرف عنها وقد استعمل عليها ابنه عبد العزيز وقدم مروان الشأم فنزل الصبرة على ميلين من طبرية من بلاد الأردن فأحضر حسان بن مالك وأرغبه وأرهبه فقام حسان فى الناس خطيبا ودعاهم الى بيعة عبد الملك بن مروان بعد مروان وبيعة عبد العزيز بن مروان بعد عبد الملك فلم يخالفه فى ذلك أحد وهلك مروان بدمشق فى هذه السنة وهى سنة خمس وستين وقد تنازع أهل التواريخ وأصحاب السير ومن عنى بأخبارهم فى سبب وفاته فمنهم من رأى أنه مات مطعونا ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أن فاختة بنت أبى هاشم ابن عتبة ام خالد بن يزيد بن معاوية هى التى قتلته وذلك أن مروان حين أخذ البيعة لنفسه ولخالد بن يزيد بعده وعمرو بن سعيد بن خالد ثم بدا له غير ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده ثم لابنه عبد العزيز بن عبد الملك ودخل عليه خالد بن يزيد فكلمه وأغلظ له فغضب من ذلك وقال اتكلمنى يا ابن الرطبة وكان مروان قد تزوج بأمه فاختة ليذله بذلك ويضع منه فدخل خالد على امه فقبح لها تزوجها بمروان وشكى اليها ما نزل به منه فقالت لا يعيبك بعدها فمنهم من رأى انها وضعت على نفسه وسادة وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات ومنهم من رأى انها أعدت له لبنا مسموما فلما دخل عليها ناولته اياه فشرب فلما استقر فى جوفه وقع يجود بنفسه وامسك لسانه فحضره عبد الملك وغيره من ولده فجعل مروان يشير الى ام خالد يخبرهم انها قتلته وأم خالد تقول بأبى أنت حتى عند النزع لم تشتغل عنى انه يوصيكم بى حتى هلك فكانت ايامه تسعة أشهر وأياما قلائل وقيل ثمانية أشهر وقيل غير ذلك مما سنورده عند ذكرنا للمدة التى هلكت فيها بنو أمية من الاعوام فيما يرد من هذا الكتاب

ان شاء الله تعالى وهلك مروان وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد ذكر غير ذلك فى سنه وكان قصيراً أحمر ومولده لسنتين خلتا من الهجرة وهلك بعد أخذ البيعة لولده بثلاثة اشهر وقد ذكر ابن أبي خيثمة فى كتابه فى التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم توفى ومروان له ثمان سنين وكان لمروان عشرون اخا وثمانى أخوات وله من الولد أحد عشر ذكرا وثلاث بنات وهم عبد الملك وعبد العزيز وعبد الله وأبان وداود وعمرو وام عمرو وعبد الرحمن وأم عثمان وعمرو وام عمرو وبشر ومحمد ومعاوية وقد ذكرنا هؤلاء ومن اعقب منهم ومن لم يعقب وقد كان يزيد بن معاوية خلف من الولد أكثر مما خلف مروان وذلك أنه خلف معاوية وخالدا وعبد الله الاكبر وأباسفيان وعبد الله الاصغر وعمرا وعاتكة وعبد الرحمن وعبد الله الذى لقبه الاصغر وعثمان وعتبة الاعور وأبابكر ومحمدا ويزيد وام يزيد وام عبد الرحمن ورملة وصفية

(ذكر ايام عبد الملك بن مروان)

وبويع عبد الملك ابن مروان ليلة الاحد غرة شهر رمضان من سنة خمس وستين ثم بعث الحجاج ابن يوسف الى عبد الله بن الزبير ومن معه من الناس بمكة فقتل عبد الله يوم الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وكانت ولاية ابن الزبير تسع سنين وعشر ليال وسنذكر مدة ابن الزبير بعد هذا الموضع من هذا الكتاب عند ذكرنا الجامع ملك بنى امية ثم هاجت فتنة ابن الاشعث فى شعبان من سنة اثنتين وثمانين ثم توفى عبد الملك بن مروان بدمشق يوم السبت لاربع عشرة مضت من شوال سنة ست وثمانين وكانت ولايته من منذ بويع الى ان توفى احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا وبقى بعد عبد الله بن الزبير واجتماع من اجتمع عليه من الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر الا سبع ليال وسنذكر ما فعله من وقت استقامة من استقام له من الناس وقبض وهو ابن ست وستين سنة وقيل اكثر من ذلك وكان يحب الشعر والفخر والتقريظ والمدح وكان عماله على مثل مذهبه فالحجاج بالعراق والمهلب بخراسان وهشام بن اسماعيل بالمدينة وغيرهم بغيرها وكان الحجاج من اظلمهم واسفكهم للدماء وسنذكر فى هذا الكتاب جوامع من ذكره فيما يلى هذا الباب

(ذكر جمل من افعاله وسيره ولمع مما كان فى ايامه ونوادر من اخباره)

ولما أفضى الامر الى عبد الملك بن مروان تاقت نفسه الى محادثة الرجال والاشراف فى أخبار الناس فلم يجد من يصلح لمنادمته غير الشعبي فلما حمل اليه ونادمه قال له ياشعبي لاتساعدنى على ماقبح ولاترد على الخطأ فى مجلسى ولاتكلفنى جواب التشميت والتهنئة ولاجواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف اصبح الامير وكيف أمسى وكلمنى بقدر مااستطعمتك واجعل بدل المدح لى صواب الاستماع منى واعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول واذا سمعتنى اتحدث فلا يفوتنك منه شئ وارنى فهمك من طرفك وسمعك ولاتجهد نفسك فى تطرية صوابى ولاتستدع بذلك الزيادة فى كلامى فان اسوأ الناس حالا من استكد الملوك بالباطل وان اسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم وأعلم

ياشعبي

ياشعبى أن أقل من هذا يذهب بسالف الاحسان ويسقط حتى المرحمة فان الصمت فى موضعه ربما كان ابلغ من المنطق فى موضعه وعند اصابته وفرصته وقال عبد الملك للشعبى يوما من أين يهب الريح قال لاعلم لى يا أمير المؤمنين قال عبد الملك اما مهب الشمال فمن مطلع بنات نعش وأما مهب الصبا فمن مطلع الشمس الى مطلع سهيل وأما الجنوب فمن مطلع سهيل الى مغرب الشمس وأما الدبور فمن مغرب الشمس الى مطلع بنات نعش وفى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه ورأوا انهم قد اخطأوا خطأ كبيرا بدعاء الحسين اياهم ولم يجيبوه ولمقتله الى جانبهم فلم ينصروه ورأوا أنهم لا يغسل عنهم ذلك الجرم الا القتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا الى خمسة نفر منهم سليمان ابن صرد الخزاعى والمسيب بن محمد الفزارى وعبد الله بن سعد بن نفيل الازدى وعبد الله بن وال التيمى ورفاعة بن شداد البجلى فعسكروا بالنخيلة بعد أن كان لهم مع المختار ابن عبيد الثقفى خطب طويل بتثبيطه الناس عنهم ممن اراد الخروج معهم ففى ذلك يقول عبد الله بن الاحمر يحرض على الخروج والقتال من أبيات

صحوت وقد صحوا الصبى والعواديا * وقلت لأصحابى أجيبوا المناديا

وقولوا له اذ قام يدعو الى الهدى * وقبل الدعا لبيك لبيك داعيا

فى شعر طويل يحث فيه على الخروج ويرثى الحسين ومن قتل معه ويلوم شيعته بتخلفهم عنه ويذكر أنهم قد تابوا الى الله وانابوا اليه من الكبائر التى ارتكبوها اذ لم ينصروه ويقول أيضا فى هذا الشعر

الا وانع خير الناس جدا ووالدا * حسينا لاهل الدين أن كنت ناعيا

ليبك حسينا مرمل ذو خصاصة * عديم وأيتام تشكى المواليا

فاضحى حسين للرماح دريئة * وغودر مسلوبا لدى الطف ثاويا

فياليتنى اذ ذاك كنت شهدته * فضاربت عنه الشانئين الاعاديا

سقى الله قبرا ضمن المجد والتقى * بغربية الطف الغمام الغواديا

فيا أمة تاهت وضلت سفاهة * انيبوا فأرضوا الواحد المتعاليا

ثم ساروا يقدمهم من سمينا من الرؤساء وعبد الله ابن الاحمر يقول

خرجن يلمعن بنا أرسالا * عوابسا تحملنا أبطالا

تريد أن نلقى بها الاقيالا * القاسطين الغدر الضلالا

وقد رفضنا الولد والاموالا * والخفرات البيض والحجالا

نرضى به ذا النعم المفضالا

فانتهوا الى قرقيسياء من شاطئ الفرات وبها زفر بن الحارث الكلابى فاخرج اليهم الأنزال وساروا من قرقيسياء ليسبقوا الى عين الوردة وقد كان عبيد الله بن زياد توجه من الشام الى حربهم فى ثلاثين الفا وانفصل على مقدمته من الرقة خمسة أمراء منهم الحصين ابن نمير السلولى وشراحيل بن ذى الكلاع الحميرى وادهم بن محرز الباهلى وربيعة بن المخارق الغنوى وجبلة بن عبد الله الخثعمى حتى اذا صاروا الى عين الوردة التقى الأقوام وقد كان

قبل ذلك ايهم منا وشات فى الطلائع فاستشهد سليمان بن صرد الخزاعى بعد أن قتل من القوم مقتلة عظيمة وابلى وحث وحرض ورماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله فاخذ الراية المسيب بن نجبة الفزارى وكان من وجوه اصحاب على رضى الله عنه وكر على القوم وهو يقول

قد علمت ميالة الذوائب * واضحة اللبات والترائب
أنى غداة الروع والمقانب * اشجع من ذى لبدة مواثب

فقاتل حتى قتل فاستقتل التوابون وكسروا أجفان السيوف وسألت عليهم عساكر أهل الشأم كالسيل ينادون الجنة الجنة الى التقية من أصحاب أبى تراب الجنة الجنة الى الترابية وأخذ راية التوابين عبد الله بن سعيد بن نفيل وأتاهم اخوانهم يحثون السير خلفهم من أهل البصرة وأهل المدائن فى نحو من خمسمائة فارس عليهم المثنى بن مخرمة وسعيد بن حذيفة وهم يقولون اقلنا ربنا تفريطنا فقد تبنا فقيل لعبد الله بن سعيد بن نفيل وهو فى القتال ان اخواننا قد لحقوا من البصرة والمدائن فقال ذلك لو جاءوا ونحن أحياء فكان أول من استشهد فى ذلك الوقت ممن لحقهم من أهل المدائن كثير بن عمرو المدنى وطعن سعيد ابن سعيد الحنفى وعبد الله بن الخطل الطائى وقتل عبد الله بن سعيد بن نفيل فلما علم من بقى من التوابين ان لا طاقة لهم بمن بإزائهم من أهل الشأم انحازوا عنهم وارتحلوا وعليهم رفاعة بن شداد البجلى وتأخر ابو الحويرث العبدى فى جماعة الناس وطلب منهم أهل الشأم المكافة والمتاركة لما رأوا من بأسهم وصبرهم مع قلتهم فلحق أهل الكوفة بمصرهم وأهل المدائن والبصرة ببلادهم وسمع التوابون فى سيرهم ورجوعهم من عين الوردة قائلا يقول رافعا عقيرته

ياعين بكى ابن الصرد * بكى اذا الليل خمد
كان اذا الباس مكد * تخاله فيه أسد
مضى حميدا قد رشد * فى طاعة الاعلى الصمد

وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من اصحاب التواريخ والسير من قتل من التوابين مع سليمان ابن صرد الخزاعى على عين الوردة وأسماءهم فقللهم وحكى أبو مخنف فى كتابه فى اخبار التوابين المترجم بعين الوردة قصيدة عزاها الى اعشى همدان طويلة يرثى بها أهل عين وردة من التوابين ويصف ما فعلوه منها

توجه من دون الثوية سائرا * الى ابن زياد فى الجموع الكتائب
فساروا وهم من بين ملتمس التقى * وآخر مما جر بالامس تائب
فلاقوا بعين الوردة الجيش فاصلا * عليهم فحيوهم ببيض قواضب
فجاءهم جمع من الشأم بعده * جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى ابيدت جموعهم * ولم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر أهل الصبر صرعى فأصبحوا * تعاوروهم ريح الصبا والجنائب
واضحى الخزاعى الرئيس مجدلا * كأن لم يقاتل مرة ويحارب

[illegible] بنى سعد وفارس قومه * [illegible] الكتائب
وعمرو بن عمرو وابن بشر وخالد * وبكر وزيد والحليس بن غالب
أبوا غير ضرب يفلق الهام ضربه * وطعن بأطراف الاسنة صائب
فيا خير جيش للعراق وأهله * سقيتم روايا كل أسحم ساكب
فلا تبعدن فرساننا وحماتنا * اذا البيض أبدت عن خدام الكواعب
فان تقتلوا فالقتل أكرم ميتة * وكل فتى يوما لاحدى النوائب
وما قتلوا حتى أصابوا عصابة * محلين ثورا كالليوث الضوارب

وقيل أن وقعة الوردة كانت فى سنة ست وستين وفى أيام عبد الملك بن مروان توفى الحارث الاعور صاحب على عليه السلام وهو الذى دخل على على فقال يا أمير المؤمنين الا ترى الى الناس قد اقبلوا على هذه الاحاديث وتركوا كتاب الله قال وقد فعلوها قال نعم قال أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن اراد الهدى فى غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ عنه العقول ولا تلتبس به الالسن ولا تنقضى عجائبه ولا يعلم علم مثله هو الذى لما سمعته الجن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد من قال به صدق ومن زال عنه عدا ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم خذها اليك يا أعور (ولما كان) من وقعة عين الوردة ما قدمنا سار عبيد الله بن زياد فى عساكر الشأم يؤم العراق فلما انتهى الى الموصل وذلك فى سنة ست وستين التقى هو وابراهيم بن الاشتر النخعى وابراهيم على خيل العراق من قبل المختار بالخازر فكانت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها ابن مرجانة عبيد الله بن زياد والحصين ابن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع وابن حوشب ذى ظليم وعبيد الله بن اياس السلمى أبو سدس وغالب الباهلى واشراف أهل الشأم وذلك أن عمير بن الحباب السلمى كان على ميمنة ابن زياد فى ذلك الجيش وكان فى نفسه ما فعل بقومه من مضر وغيرهم من نزار يوم مرج راهط فصاح يا لثارات قيس يا لمضر يا لنزار فتزاحمت نزار من مضر وربيعة على من كان معهم فى جيشهم من أهل الشأم من قحطان وقد كان عمير كاتب ابراهيم بن الاشتر سرا قبل ذلك والتقيا فتواطآ على ما ذكرنا وحمل ابراهيم بن الاشتر رأس ابن زياد وغيره الى المختار فبعث به المختار الى عبد الله بن الزبير بمكة وقد كان عبد الملك بن مروان سار فى جيوش أهل الشأم فنزل بطنان ينتظر ما يكون من ابن زياد فأتاه خبر مقتله ومقتل من كان معه وهزيمة الجيش بالليل وأتاه فى تلك الليلة مقتل جيش ابن دلجة وكان على جيش بالمدينة لحرب ابن الزبير ثم جاءه خبر دخول نابل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير ومسير مصعب بن الزبير من المدينة الى فلسطين ثم جاءه مسير ملك الروم لاوى بن فلقط ونزوله المصيصة يريد الشأم ثم جاءه خبر دمشق وأن عبيدها وأوباشها ودعارها قد خرجوا على أهلها ونزلوا الجبل ثم أتاه أن من فى السجن بدمشق فتحوا السجن وخرجوا منه مكابرة وأن خيل الاعراب أغارت

من فضة وبسلسلة والبقاع وغير ذلك مما أتى اليه من المقطعات [illegible] ظهر من عبد الملك
فى ليلة قبلها أشد ضحكا ولا أحسن وجها ولا أبسط لسانا ولا أثبت جنانا منه تلك الليلة تجلدا
وسياسة للملوك بترك اظهار الفشل وبعث بأموال وهدايا الى ملك الروم فشغله وهادنه
وسار الى فلسطين وبها نابل بن قيس على جيش ابن الزبير فالتقوا باجنادين فقتل نابل بن
قيس وعامة اصحابه وانهزم الباقون ونمى خبر قتله وهزيمة الجيش الى مصعب بن الزبير
وهو فى الطريق فولى راجعا الى المدينة فنى ذلك يقول رجل من كلب من المروانية

قتلنا باجنادين سعدا ونابلا * قصاصا بما لاقى خنيس ومنذر

ورجع عبد الملك الى دمشق فنزلها وسار ابراهيم بن الاشتر فنزل نصيبين وتحصن منه أهل
الجزيرة ثم استخلف على نصيبين ولحق بالمختار بالكوفة وفى سنة سبع وستين سار مصعب
ابن الزبير من البصرة وقد كان اخوه عبد الله بن الزبير انفذه الى العراق واليا فنزل حروراء
والتقى هو والمختار فكانت بينهم حروب عظيمة وقتل ذريع وانهزم المختار وقد قتل محمد بن
الاشعث وابنان له ودخل قصر الامارة بالكوفة وتحصن فيه وكان يخرج كل يوم لمحاربة
مصعب وأصحابه وأهل الكوفة وغيرهم والمختار معه خلق كثير من الشيعة قد سموا
الحسينية من الكيسانية وغيرهم فخرج اليهم ذات يوم وهو على بغلة له شهباء فحمل عليه
رجل من بنى حنيفة يقال له عبد الرحمن بن أسد فقتله واحتز راسه وتنادوا بقتله فقطعه
أهل الكوفة واصحاب مصعب اعضاء وأبى مصعب أن يعطى الامان لمن بقى فى القصر من
اصحابه فحاربوا الى أن اضر بهم الجهد ثم أمنهم وقتلهم بعد ذلك فكان ممن قتل مع مصعب
عبد الله بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وله خبر مع المختار فى تخلصه منه ومضيه
الى البصرة وخوفه على نفسه من مصعب الى أن خرج معه فى جيشه وقد اتينا على خبره
ومقتله وما أومأنا اليه فى كتابنا اخبار الزمان فكان جملة من ادركه الاحصاء ممن قتله مصعب
مع المختار سبعة الاف رجل كل هؤلاء طالبوا بدم الحسين وقتلوا اعداءه فقتلهم مصعب
وسماهم الحسينية وتتبع مصعب الشيعة بالقتل بالكوفة وغيرها وأتى بحرم المختار فدعاهن
الى البراءة منه ففعلن الا حرمتين له احداهما بنت سمرة بن جندب الفزارى والثانية ابنة
النعمان بن بشير الانصارى وقالتا كيف نتبرأ من رجل يقول ربى الله كان صائم نهاره قائم
ليله قد بذل دمه لله ولرسوله فى طلب قتلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واهله وشيعته
فامكنه الله منهم حتى شفى النفوس فكتب مصعب الى اخيه عبد الله بخبرهما وما قالتاه
فكتب اليه ان رجعتا عما هما عليه وتبرأتا منه والا فاقتلهما فعرضهما مصعب على السيف
فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرأت منه وقالت لو دعوتنى الى الكفر مع السيف لكفرت
اشهد أن المختار كافر وأبت ابنة النعمان بن بشير وقالت شهادة أرزقها فاتركها
كلا انها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته والله لا يكون آتى مع ابن هند فأتبعه
وأترك ابن أبى طالب اللهم اشهد أنى متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته ثم قدمها
فقتلت صبرا فنى ذلك يقول الشاعر

ان من أعجب الاعاجيب عندى * قتل بيضاء حرة عطبول

قتلوها

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في هذا الكتاب أسر المهلب وقتله لهم وذلك في سنة خمس وسبعين وهو الذي تنسب اليه القطرية من الخوارج وقد أتينا فيما سلف من كتابنا أخبار الملقب بذي ... الخوارج مع المهلب ... ذكرنا أن مرداس بن عمرو بن بلال التميمي وعطية بن الأسود الحنفي وأبي فديك وسورة التميمي ... ابن الملبن والخارجي مع المهلب وغيره وظفر المهلب بهم في ذلك اليوم وخرج عبد ربه وأصحاب الخوارج الذي كان بكرمان ... ابن عوف الازدي وفيهم الهجيمي مع ما تقدم من ذكرنا لفرق الخوارج في كتابنا المقالات في أصول الديانات من الاباضية وهم سراة عمان من الازد وغيرهم من الازارقة والنجدات والحمرية والصفرية وغيرهم من فرق الخوارج وبلدانهم من الارض مثل بلاد سجستان وقيل انهم من بلاد ديار ربيعة والسن والبوازيج والحديثة مما يلي بلاد الموصل ثم من سكن من الاكراد بلاد اذربيجان وهم المعروفون بالشراة منهم واسلم المعروف بابن ساذلويه وقد كان ملك على أعمال ابن أبي الساج من بلاد اذربيجان وأران والبيلقان وارمينية ومن سكن منهم بلاد سجستان وجبال هراة وهشتانه وبوشنج من بلاد خراسان ومن بلاد مكران على ساحل البحرين بلاد السند وكرمان فاكثرهم صفرية وحرورية ومنهم ببلاد جيران اصطخر وصاهدين كرمان وفارس ومنهم ببلاد تيهرت المغرب ومنهم ببلاد حضرموت وغيرها من بقاع الارض وفي سلطنة عبد الملك مات أبو العباس عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب في سنة ثمان وستين وقيل في سنة تسع وستين بالطائف وأمه لبابة بنت الحارث بن حزن من ولد عامر بن صعصعة وله ج هار يا سبعون سنة وقيل انه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد ذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن عشر سنين وصلى عليه محمد بن الحنفية وكان قد ذهب بصره لبكائه على علي والحسن والحسين وكانت له وفرة طويلة يخضب شيبه بالحناء وهو الذي يقول

أن يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له حين وضع له الماء للطهر في بيت خالته ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقيل لابن عباس رضي الله عنه ما منع عليا رضي الله عنه أن يبعثك مكان أبي موسى يوم الحكمين فقال منعه من ذلك حائل القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثني مكانه لاعترضت مدارج نفسه ناقضا لما أبرم ومبرما لما نقض أسف اذا طار وأطير اذا أسف ولكن مضى قدر وبقي أسف ومع اليوم غد وللآخرة خير للمتقين وكان لابن عباس من الولد علي وهو أبو الخلفاء من بني العباس والعباس ومحمد والفضل وعبد الرحمن وعبيد الله ولبابة وأمهم زرعة بنت مسرح الكندية فأما عبيد الله ومحمد والفضل فلا أعقاب لهم وفي سنة سبعين قتل عبد الملك بن مروان

[illegible] سعيد بن العاص الاشدق وهو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان ذا شهامة وفصاحة وبلاغة واقدام وكان بينه وبين عبد الملك محادثات ومكاتبات ومخاطبات طويل طلبا للملك وكان فيما كتب اليه عبد الملك انك لتطمع نفسك بالخلافة ولست لها بأهل فكتب اليه عمرو استدراج النعم اياك أفادك البغي ورائحة الغدرة أورثتك الغفلة زجرت عما واقعت عليه وندبت الى ما تركت سبيله ولو كان ضعف الاسباب يؤيس الطالب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز وعن قريب يتبين من صريع بغي وأسير غفلة وقد كان عبد الملك سار الى زفر بن الحارث الكلابي وهو بقرقيسيا من بلاد الرحبة وخلف عمرو بن سعيد بدمشق فبلغه أن عمرا قد دعا الى بيعته بدمشق فكر راجعا اليها فامتنع عمرو فيها فناشده عبد الملك الرحم وقال له لا تفسد أهل بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة وفيما صنعت قوة ارجع الى بيعتك فاني سأجعل لك العهد فرضي وصالح ودخل عبد الملك وعمرو متحيز منه في نحو خمسمائة يزولون معه حيث زال وقد تنازع أهل السير في كيفية قتل عبد الملك اياه فنهم من رأى أن عبد الملك قال لحاجبه ويحك أتستطيع اذا دخل عمرو أن تغلق الباب قال نعم قال فافعل وكان عمرو رجلا عظيم الكبر لا يرى لاحد عليه فضلا ولا يلتفت وراءه اذا مشى الى أحد فلما فتح الحاجب الباب دخل عمرو فأغلق الحاجب الباب دون أصحابه ومضى عمرو لا يلتفت وهو يظن أن أصحابه قد دخلوا معه كما كانوا يدخلون فعاتبه عبد الملك طويلا وقد كان وصى صاحب حرسه أبا الزعيزعة بان يضرب عنقه فكلمه عبد الملك واغلظ له القول فقال يا عبد الملك اتستطيل علي كأنك ترى لك علي فضلا ان شئت والله نقضت العهد بيني وبينك ثم نصبت لك الحرب فقال عبد الملك قد شئت ذلك فقيه من بعد فعلت فقال عبد الملك يا ابا الزعيزعة شأنك فالتفت عمرو الى أصحابه فلم يرهم في الدار [illegible] من عبد الملك فقال ما يدنيك مني قال ليمسني رحمك وكانت ام عمرو عمة عبد الملك تحت الحكم بن أبي العاص بن وائل فضربه أبو الزعيزعة فقتله فقال له عبد الملك ارم برأسه الى اصحابه فلما رأوا رأسه تفرقوا ثم خرج عبد الملك فصعد المنبر وذكر عمرا فوقع فيه وذكر خلافه وشقاقه ونزل من المنبر وهو يقول

ادنيته مني لتسكن نفرة * فاصول صولة حازم مستمكن
غضبا وحماة لديني انه * ليس المسيء سبيله كالمحسن

وقيل ان عمرا خرج من منزله يريد عبد الملك فعثر بالبساط فقالت له امرأته نائلة بنت فريض ابن وكيع بن مسعود أنشدك الله أن لا تأتيه فقال دعيني عنك فوالله لو كنت نائما ما أيقظني وخرج وهو مكفر بالدرع فلما دخل على عبد الملك قام من هنالك من بني أمية فقال عبد الملك وقد أخذت الابواب اني كنت حلفت لئن ملكتك لاشدنك في جامعة فاتي بجامعة فوضعها في عنقه وشدها عليه فايقن عمرو أنه قاتله فقال أنشدك الله يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك يا أبا أمية مالك جئت في الدرع للقتال فأيقن عمرو بالشر فقال أنشدك الله أن تخرجني الى الناس في الجامعة فقال له عبد الملك وما كرني أيضا وأنا أمكر منك تريد أن اخرجك الى الناس فيمنعوك ويستنقذوك من يدي وخرج عبد الملك الى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز

وقد

وقد كان [illegible] حضر في ذلك اليوم بقتله اذا خرج وقد قيل ان ابنه الوليد بذلك فلما دنا
[illegible] عبد العزيز ناشده عمرو بالرحم فتركه فلما رجع عبد الملك من الصلاة ورآه حيا قال لعبد
العزيز والله ما أردت قتله من اجلكم الا أن لا يحوز هادوتكم ثم أضجعه فقال له عمرو أغدرا يا
ابن الزرقاء فذبحه ووافى اخو عمرو يحيى بن سعيد الى الباب بمن معه من رجاله ليكسره فخرج
اليه الوليد وموالي عبد الملك فقتلوا واختلف الوليد ويحيى فضربه يحيى بالسيف على
اليته فانصرع وألقى رأس عمرو الى الناس فلما رأوه تفرقوا من بعد أن ألقي عليهم من أعلى
الدار بدر الدنانير فاشتغلوا بها عن القتال وقال عبد الملك وأبيك لئن كانوا اقتلوا الوليد
لقد اصابوا بثارهم وقد كان الوليد فقد حين ضرب وذلك أن ابراهيم بن عدي احتمله فادخله
بيت القراطيس في المضعة وأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد واجتمعت الكلمة على عبد الملك
وانقاد الناس اليه وقد قيل في مقتله غير ما ذكرنا وقد اتينا على ذلك في كتابنا أخبار الزمان
وقد ذكرنا شعرا اخته فيه وكانت تحت الوليد بن عبد الملك فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار
المنصور اذ هو الموضع المستحق له دون هذا الموضع لما تغلغل بنا الكلام وتسلسل بنا
القول نحوه واقام عبد الملك بدمشق بقية سنة سبعين وقد كان مصعب بن الزبير خرج
حين صفا له العراق بعد قتل المختار وأصحابه حتى انتهى الى الموضع المعروف بباجميراء
مما يلي الجزيرة يريد الشأم لحرب عبد الملك فبلغه مسير خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد
من مكة الى البصرة في ولده وعدة من مواليه ناكثا لبيعة عبد الله بن الزبير فنزل بعض
نواحي البصرة وأن قوما قد انضافوا اليه من ربيعة ومنهم عبيد الله بن الوليد ومالك بن
مسمع البكري وصفوان بن الايهم التميمي وصعصعة بن معاوية عم الاحنف فكانت لهم
بالبصرة حروب كانت آخرا على خالد بن عبد الله فخرج هاربا بنيه حتى لحقوا بعبد الملك
وانصرف مصعب راجعا الى البصرة وذلك في سنة احدى وسبعين ثم عاد من العراق الى
باجميراء ففي ذلك يقول الشاعر

أبيت يا مصعب الاسيرا * في كل يوم لك باجميرا

ونزل عبد الملك بن مروان على قرقيسياء فحاصر بها زفر بن الحارث العامري الكلابي وكان
يدعو الى ابن الزبير فنزل على امامته وبايعه وسار عبد الملك فنزل على نصيبين وفيها يزيد
والحبشي موليا الحارث في الفي فارس ممن بقي من أصحاب المختار يدعو الى امامة محمد بن
الحنفية فحاصرهم فنزلوا على امامته وانضافوا الى جملته وخرج مصعب في أهل العراق وذلك
في سنة اثنتين وسبعين يريد عبد الملك ودلف اليه عبد الملك في عساكر مصر والجزيرة والشأم
فالتقوا بمسكن قرية من أرض العراق على شاطئ دجلة وعلى مقدمة عبد الملك الحجاج بن
يوسف بن أبي عقيل الثقفي وقيل على ساقته وقد حمد أمره في قيامه بما أهل له فكاتب
عبد الملك رؤساء أهل العراق ممن هو بعسكر مصعب وغيرهم وصار يرغبهم ويرهبهم فكان فيمن
كتب اليه ابراهيم بن الاشتر النخعي فلما أتاه كتابه مع الجاسوس اعتقله في رحله وأتى مصعبا
بالكتاب قبل أن يفضه ويعلم ما فيه فقال له مصعب أقرأته فقال اعوذ بالله أن أقرأه حتى يقراه
الامير وآتي يوم القيامة غادرا قد نقضت بيعته وخلعت طاعته فلما تأمل مصعب ما فيه

وجده أمانا له وولاية لما شاء من العراق وأقطاع غير ذلك ثم قال ابراهيم لمصعب هل أتاك أحد من اشراف العساكر بكتاب فقال مصعب لا فقال ابراهيم والله لقد كاتبهم وما كاتبني حتى كاتب غيري ولا امتنعوا من ايصالها اليك الا للرضى به والغدر بك فاطعني وابد أبهم فأسرهم على السيف أو استوثق منهم في الحديد والق هذا الرجل فأبى مصعب ذلك وتميزما كان في عسكره من ربيعة لقتله ابن زياد بن ظبيان البكري وكان من سادات ربيعة وزعماء بكر بن وائل وسار ابراهيم بن الاشتر على مقدمة مصعب في مشرعة الخيل فلقي خيل عبد الملك ومقدمته عليها اخوه محمد بن مروان وبلغ عبد الملك وورد ابراهيم ومنازلته محمدا أخاه فبعث الى محمد عزمت عليك أن لا تقاتل في هذا اليوم وقد كان مع عبد الملك منجم مقدم وقد أشار على عبد الملك أن لا تحارب له خيل في ذلك اليوم فانه منحوس وليكن حربه بعد ثلاث فانه ينصر فبعث اليه محمد وأنا أعزم على نفسي لاقاتلن ولا ألتفت الى زخاريف منجمك والمحالات من الكذب فقال عبد الملك للمنجم ولمن حضر الاترون ثم رفع طرفه الى السماء وقال اللهم ان مصعبا اصبح يدعو الى اخيه واصبحت ادعو لنفسي اللهم فانصر خيرنا الامة محمد صلى الله عليه وسلم فالتقى محمد بن مروان وابن الاشتر ومحمد يرتجز ويقول

مثلي على مثلك أولى بالسلب * محجل الرجلين أعرب الذنب

فاقتتلوا حتى غشيهم المساء فقال عتاب ابن ورقاء التميمي وكان مع ابن الاشتر يا ابراهيم أن الناس قد جهدوا فمرهم بالانصراف حسدا له لاشرافه على الفتح فقال ابراهيم وكيف ينصرفون وعدوهم بازائهم فقال عتاب فمر الميمنة أن تنصرف فأبى ابراهيم ذلك فمضى اليهم عتاب فأمرهم بالانصراف فلما زالوا عن مصافهم أكبت ميسرة محمد عليهم واختلط الرجال وصمدت الفرسان لابراهيم واشتبكت عليه الاسنة فيرى منها عدة رماح واسلمه من كان معه فاقتلع من سرجه ودارت به الرجال وازدحموا عليه فقتل بعد أن أبلى ونكى فيهم وقد تنوزع في أخذ رأسه فنهم من زعم أن ثابت ابن يزيد مولى الحصين ابن نمير الكندي هو الذي أخذ رأسه ومنهم من ذكر ان عبيد بن ميسرة مولى بني يشكر ثم من بني رفاعة هو الذي أخذ رأسه وأتى عبد الملك بجسد ابراهيم فالقي بين يديه فأخذه مولى الحصين بن نمير وأخذ حطبا وأحرقه بالنار وسار عبد الملك في صبيحة تلك الليلة من موضعه حتى نزل بدير الجاثليق من ارض السوداء واقبل عبيد الله بن زياد بن ظبيان وعكرمة بن أبي الى رايات ربيعة فأضافوها الى عسكر عبد الملك ودخلوا في طاعته ثم تصاف القوم فأفرد مصعب وتخلى عنه من كان معه من مضر واليمن وبقي في سبعة نفر منهم اسماعيل بن طلحة بن عبيد الله التميمي وابنه عيسى بن مصعب فقال لابنه عيسى يا بني اركب فانج فالحق بعمك بمكة فاخبره بما صنع بي أهل العراق ودعني فاني مقتول فقال له لا والله لا يتحدث نساء قريش أني فررت عنك ولا أحدثهم عنك أبدا فقال له مصعب اما اذ أبيت فتقدم أمامي حتى احتسبك فتقدم عيسى فقاتل حتى قتل وسأل محمد بن مروان اخاه عبد الملك ان يؤمن مصعبا فاستشار عبد الملك من حضره فقال له علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب لا تؤمنه وقال خالد بن يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان بل آمنه وارتفع الكلام بين علي وخالد حتى تسابا على مصافهما

فامر

فأمر عبد الملك اخاه محمدا أن يمضى الى مصعب فيؤمنه ويعطيه عنه ما اراد فمضى محمد ابن مروان وقال أمنك أمير المؤمنين على نفسك ومالك وكلما احدثت وأن تنزل أى البلاد شئت ولو اراد بك غير ذلك لانزل بك فأنشدك الله فى نفسك وأقبل رجل من أهل الشأم الى عيسى بن مصعب ليحتز رأسه فعطف عليه مصعب والرجل غافل فناداه أهل الشأم ويلك يافلان الاشدق أقبل تحولك وبلغه مصعب فقده وعرقب فرس مصعب وبقى راجلا فاقبل عليه عبد الله بن زياد بن ظبيان فاختلفا ضربتين سبق مصعب بالضربة الى رأسه وكان مصعب قد اثخن بالجراح وضربه عبد الله فقتله واحتز رأسه وأتى به عبد الملك فسجد عبد الملك وقبض عبيد الله بن زياد على قائم سيفه فاجتذبه من غمده حتى أتى على أكثره سلا ليضرب عبد الملك فى حال سجوده ثم ندم واسترجع فكان يقول بعد ذلك ذهب الفتك من الناس اذ هممت ولم أفعل فاكون قد قتلت عبد الملك ومصعبا ملكى العرب فى ساعة واحدة وتمثل عبيد الله عند مجيئه برأس مصعب

نعاطى الملوك الحق ما قسطوا لنا * وليس علينا قتلهم بمحرم

وقال عبد الملك متى تغذو قريش مثل مصعب وكان قد قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وأمر عبد الملك بمصعب وابنه عيسى فدفنا بدير الجاثليق ودعا عبد الملك أهل العراق الى بيعته فبايعوه وقد كان مسلم بن عمرو الباهلى من صنائع معاوية وابنه يزيد وكان فى ذلك اليوم فى جيش مصعب فأتى به عبد الملك وقد أخذه منه الامان فقيل له أنت ميت لاترجو الحياة لما بك من الجراح فما تصنع بالامان قال ليسلم مالى ويأمن ولدى بعدى فلما وضع بين يدى عبد الملك قال قطع الله يد ضاربك كيف لم يجهز عليك أكفرت صنائع آل حرب معك فأمنه على ماله وولده ومات من ساعته وفى مصرع مصعب بدير الجاثليق من أرض العراق يقول عبد الله بن قيس الرقيات

لقد أورث المصرين عارا وذلة * قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما نصحت لله بكر بن وائل * ولا صبرت عند اللقاء تميم
جزى الله بصريا بذاك ملامة * ولوفيهم أن المليم مليم

وفى ذلك يقول شاعر أهل الشأم من أبيات

لعمرى لقد أصحرت خيلنا * باكناف دجلة للمصعب
يهزون كل طويل القنا * ة معتدل النصل والثعلب
اذا ما منافق أهل العرا * ق عوتب يوما فلم يعتب
دلفنا اليه لدى موقف * قليل التفقد للغيب

وقد كان مصعب ذا حسن وجمال وهيئة وكمال فى الصورة وفيه يقول ابن الرقيات من كلمه

انما مصعب شهاب من الله * تجلت عن وجهه الظلماء

وقد اتينا على أخبار مصعب وسكينة بنت الحسين زوجه وعائشة بنت طلحة وليلى من نسائه وغير ذلك من أخباره فى الكتاب الاوسط (وحدث) المقرى قال حدثنى سويد بن سعيد قال

حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي مسلم النخعي قال رأيت رأس الحسين جيء به فوضع في دار الامارة بالكوفة بين يدي عبيد الله بن زياد ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد قد جيء به فوضع في ذلك الموضع بين يدي مصعب بن الزبير ثم رأيت رأس مصعب بن الزبير قد جيء به فوضع في ذلك الموضع بين يدي عبد الملك وقد قيل في وجه آخر من الروايات فرأى عبد الملك منى اضطرابا فسألني فقلت يا أمير المؤمنين دخلت هذه الدار فرأيته رأس الحسين بين يدي ابن زياد في هذا الموضع ثم دخلتها فرأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار فيه ثم دخلتها فرأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير وهذا رأس مصعب بين يديك فوقاك الله يا أمير المؤمنين قال فوثب عبد الملك بن مروان وأمر بهدم الطاق الذي على المجلس ذكر هذا الحديث عن الوليد بن خباب وغيره وسار عبد الملك من دير الجاثليق حتى نزل النخيلة بظهر الكوفة فخرج اليه أهل الكوفة فبايعوه ووافى الناس بما كان وعدهم به في مكاتبته اياهم سرا وخلع وأجاز وأقطع ورتب الناس على قدر مراتبهم وعمهم ترغيبه وترهيبه وولى على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسد وعلى الكوفة بشر بن مروان اخاه وخلف معه جماعة من أهل الرأي والمشورة من أهل الشأم منهم روح ابن زنباع الجذامي وبعث بالحجاج بن يوسف لحرب ابن الزبير بمكة وسار في بقية أهل الشام الى دار مملكته دمشق وكان بشر بن مروان أديبا ظريفا يحب الشعر والسمر والسماع والمعاقرة وقد كان أخوه عبد الملك قال له أن روحا عمك الذي لا ينبغي أن تقطع أمرا دونه لصدقه وعفافه ومناصحته ومحبته لنا أهل البيت فاحتشم بشر منه وقال لندمائه أخاف ان انبسطنا أن يكتب روح الى أمير المؤمنين بذلك واني لأحب من الأنس والاجتماع ما يحبه مثلي فقال له بعض ندمائه من أهل العراق بحسن مساعدته ولطيف حيلته أنا أكفيك أمره حتى ينصرف عنك الى أمير المؤمنين غير شاك ولا لائم فسر بشر ووعده الجائزة وحسن المكافأة ان هو تأتى له ما وعد به وكان روح شديد الغيرة وله جارية اذا خرج من منزله الى المسجد او غيره ختم بابه حتى يعود بعد ان يقفله فأخذ الفتى دواة وأتى منزل روح عشيا وخرج روح للصلاة فتوصل الفتى الى دخول الدهليز في حال خروج روح وكمن تحت الدرجة ولم يزل يحتال ليلته حتى توصل الى بيت روح فكتب على حائط في أقرب المواضع من مرقد روح

يا روح من لبنيات وارملة * اذا نعاك لأهل المغرب الناعي
ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع
ولا يغرنك انكار ومنعمة * واسمع هديت مقال الناصح الداعي

ورجع الى مكانه بالدهليز فبات فيه فلما أصبح روح خرج الى الصلاة فتبعه غلمانه والفتى متنكر في جملتهم مختلط بهم فلما عاد روح وافتتح باب حجرته تبين الكتابة وقرأها فراعه ذلك وانكره وقال ما هذا فوالله ما يدخل حجرتي انسي سواي ولاحظ لي في المقام ثم نهض الى بشر فقال يا ابن أخي أوصني بما أحببت من حاجة وسبب عند أمير المؤمنين قال أتريد الشخوص يا عم قال نعم قال ولم هل أنكرت شيأ أو رأيت وجها لا يسعك المقام عليه قال لا والله بل جزاك الله عن نفسك وعن سلطانك خيرا ولكن أمر حدث ولا بد لي من

الانصراف

الا انصرافه الى أمير المؤمنين فاقسم عليه أن يخبره فقال له ان أمير المؤمنين قد مات او هو ميت الى أيام قال ومن أين علمت ذلك فأخبره بخبر الكتابة وقال ليس يدخل حجرتي غيري وغير جاريتي فلانة وما كتب ذلك الا الجن أو الملائكة فقال له بشر أقم فاني أرجو أن لا يكون لهذا حقيقة فلم ينقضه شيء وسار الى الشأم فاقبل بشر على الشراب والطرب فلما لقي روح عبد الملك انكر أمره وقال ما اقدامك الا لحادثة حدثت أو لأمر كرهته فاثنى على بشر وحمد سيرته وقال لا بل لأمر لا يمكنني ذكره حتى نخلو فقال عبد الملك لجلسائه انصرفوا وخلا بروح فأخبره بقصته وأنشده الابيات فضحك عبد الملك حتى استغرب وقال ثقلت على بشر واصحابه حتى احتالوا لك بما رأيت فلا ترع ولما اتصل قتل مصعب باخيه عبد الله أضرب عن ذكره حتى تحدثت بذلك العبيد والاماء في سكك المدينة ومكة فصعد المنبر وجبينه يرشح فقال الحمد لله مالك الدنيا والآخرة يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير الا انه لن يذل الله من كان الحق معه ولن يعز من كان اولياء الشيطان حزبه انه اتانا خبر من العراق أحزننا وأفرحنا قتل مصعب فاما الذي احزننا من ذلك فان لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوى من بعد ذلك الى كريم الصبر وجميل العزاء وأما الذي أفرحنا فان القتل له شهادة ويجعل الله له ولنا في ذلك الخيرة أما والله انا لا نموت حتفا كميتة آل أبي العاص وانما نموت قعصا بالرماح وقتلا تحت ظلال السيوف ألا وان الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ولا يتبدل فان تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الاشر البطر وان تدبر عني لا ابكي عليها بكاء الحزين المهين فأتى الحجاج الطائف فاقام بها شهورا ثم زحف الى مكة فحاصر ابن الزبير بها وكتب الى عبد الملك اني قد ظفرت بابي قبيس فلما ورد كتابه على عبد الملك بحصار ابن الزبير بمكة والظفر بأبي قبيس كبر عبد الملك فكبر من في داره واتصل التكبير بمن في جامع دمشق فكبروا واتصل ذلك باهل الاسواق ثم سألوا عن الخبر فقيل لهم ان الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة وظفر بأبي قبيس فقالوا لا نرضى حتى يحمله الينا مكبلا على رأسه برنس على جمل يمر بنا في الاسواق التراب الملعون وكان حصار الحجاج لابن الزبير بمكة هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وفيها قتل مصعب ومنع ابن الزبير الحجاج أن يطوف بالبيت ووقف الحجاج بالناس محرما في درع ومغفر وهو من أبناء احدى وثلاثين سنة ونحر ابن الزبير بمكة ولم يخرج الى عرفة بسبب الحجاج فكانت مدة حصار الحجاج لابن الزبير بمكة خمسين ليلة ودخل ابن الزبير على امه اسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد بلغت مائة سنة لم تقع لها سن ولا ابيض لها شعر ولم ينكر لها عقل على حسب ما قدمنا من خبرها في هذا الكتاب فقال يا امه كيف تجدينك قالت اني لشاكية يا بني فقال لها ان في الموت راحة قالت لعلك تمنيه لي وما أحب أن اموت حتى يأتي على أحد طرفيك اما قتلت فأحتسبك واما ظفرت فقرت عيني بك وأوصى عبد الله بما يحتاج من امره وأمر نساءه اذا بلغن الواعية عليه أن يضممن امه اسماء اليهن وكان عروة ابن الزبير على رأي عمه عبد الملك بن مروان وكان كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يامره بتعاهد عروة وان لا يسوءه في نفسه وماله فخرج عروة الى الحجاج ورجع الى

أشيه فقال هذا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعمرو بن عثمان بن عفان يسألك أن يلقى عبد الملك على ما أحدثت أنت ومن معك وأن تنزل أي البلاد شئت لك بذلك عهد الله وميثاقه وغير ذلك من الكلام فأبى عبد الله قبول ذلك وقالت له امه اسماء أي بني لا تقبل خطة تخاف على نفسك منها مخافة القتل مت كريما واياك أن تؤسرا وتعطي بيديك فقال يا امه اني اخاف أن يمثل بي بعد القتل فقالت يا بني وهل تتألم الشاة من السلخ بعد الذبح ودخلوا على ابن الزبير في المسجد وقت الصلاة وقد التجأ الى البيت وهم ينادون يا ابن ذات النطاقين فقال ابن الزبير متمثلا

وعيرها الواشون أني احبها * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ونظر الى طائفة منهم قد اقبلوا نحوه بالسيوف فقال لاصحابه من هؤلاء قالوا أهل مصر قال قتلة عثمان أمير المؤمنين ورب الكعبة فحمل عليهم فضرب رجلا منهم به أدمة فقتله وقال صبرا يا ابن حام وتكاثر عليه الرجال من أهل الشأم ومصر فلم يزل يضرب فيهم حتى أخرجهم عن المسجد ورجع الى البيت وهو يقول

ولست بمبتاع الحياة بسبة * ولا ابتغي من رهبة الموت أسلما

فاستلم الحجر ثم تكاثروا عليه فحمل عليهم وهو يقول

قد سن اصحابك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

فأتاه حجر فصك جبينه فادماه وأوضحه فقال

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

فكشفهم عن المسجد ورجع الى من بقي من أصحابه عند البيت فقال لهم ألقوا أغماد السيوف وليصن كل منكم سيفه كما يصون وجهه لا ينكسر سيف أحدكم فيقعد كالمرأة ولا يسأل رجل منكم ابن عبد الله من يسأل عني فاني في الرعيل الاول ثم أنشا يقول

يا رب ان جنود الشأم قد كثروا * وهتكوا من حجاب البيت أستارا

يا رب اني ضعيف الركن مضطهد * فابعث الي جنودا منك أنصارا

وتكاثر أهل الشأم عليه الوفا من كل باب فحمل عليهم فشدخ بالحجارة فانصرع وأكب عليه موليان له وأحدهما يقول العبد يحمي ربه ويحتمي

حتى قتلوا جميعا وتفرق من كان معه من أصحابه وأمر به الحجاج فصلب بمكة وكان مقتله يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين وكلمت اسماء امه الحجاج في دفنه فأبى عليها فقالت للحجاج أشهد اني لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فهو المختار وأما المبير فما أظنك الا هو وسنذكر لمعا من اخبار الحجاج فيما يرد من هذا الكتاب وان كنا قد اتينا على مبسوطها فيما تقدم من كتبنا وأقام الحجاج واليا على مكة والمدينة والحجاز واليمن واليمامة ثلاث سنين ثم جمع له العراق بعد موت بشر بن مروان بالبصرة ومات جابر بن عبد الله الانصاري في أيام عبد الملك بالمدينة وذلك في سنة ثمان وسبعين وقد ذهب بصره وهو ابن نيف وتسعين سنة وقد كان قدم الى معاوية بدمشق فلم يأذن له أياما فلما أذن له قال

يا معاوية أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حجب ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم فاقته وحاجته فغضب معاوية وقال له لقد سمعته يقول انكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تردوا على الحوض أفلا صبرت قال ذكرتني مانسيت وخرج فاستوى على راحلته ومضى فوجه اليه معاوية بستمائة دينار فردها وكتب اليه

واني لاختار القنوع على الغنى * اذا اجتمعا والماء بالبارد المحض

وأقضي على نفسي اذا الامر نابني * وفي الناس من يقضي عليه ولا يقضي

وألبس أثواب الحياء وقد أرى * مكان الغنى أن لا أهين له عرضي

وقال لرسوله قل له والله يا ابن آكلة الاكباد لا وجد في صحيفتك حسنة انا سببها أبدا ومات محمد ابن الحنفية في سنة احدى وثمانين في أيامه بالمدينة ودفن بالبقيع وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان باذن ابنه أبي هاشم وكان محمد يكنى بأبي القاسم وقبض وهو ابن خمس وستين وقيل انه خرج الى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات بها وقيل انه مات ببلاد أيلة وقد تنوزع في موضع قبره وقد قدمنا قول الكيسانية ومن قال منهم انه بجبل رضوى وكان له من الولد الحسن وأبو هاشم والقاسم وابراهيم (حدثنا) نصر بن علي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري عن يونس بن أبي اسحاق قال حدثنا سهيل بن عبيد بن عمر الحابوري قال كتب ابن الحنفية الى عبد الملك ان الحجاج قد قدم بلدنا وقد خفته فأحب ان لا تجعل له علي سلطانا بيد ولا لسان فكتب عبد الملك الى الحجاج ان محمد بن علي كتب الي يستعفيني منك وقد أخرجت يدك عنه فلم أجعل لك عليه سلطانا بيد ولا لسان فلا تتعرض له فلقيه في الطواف فعض على شفته ثم قال لم يأذن لي فيك أمير المؤمنين فقال له محمد ويحك أوما علمت أن لله تبارك وتعالى في كل يوم وليلة ثلثمائة وستين لحظة أو قال نظرة لعله أن ينظر الي منها بنظرة أو قال بلحظة فيرحمني فلا يجعل لك علي سلطانا بيد ولا لسان قال فكتب بها الحجاج الى عبد الملك فكتب بها عبد الملك الى ملك الروم وقد كان توعده فكتب اليه ملك الروم ليست هذه من سجيتك ولا من سجية آبائك ما قالها الا نبي أو رجل من أهل بيت نبي (وذكر) الشعبي قال انفذني عبد الملك الى ملك الروم فلما وصلت اليه جعل لا يسألني عن شيء الا أجبته وكانت الرسل لا تطيل الاقامة عنده فحبسني أياما كثيرة حتى استحببت خروجي فلما اردت الانصراف قال لي من أهل بيت المملكة أنت قلت لا ولكني رجل من العرب في الجملة فهمس بشيء فدفعت الي رقعة وقيل لي اذا أديت الرسائل عند وصولك الى صاحبك أوصل اليه هذه الرقعة قال فأديت الرسائل عند وصولي الى عبد الملك ونسيت الرقعة فلما صرت في بعض الدار اذ بدأت بالخروج تذكرتها فرجعت فأوصلتها اليه فلما قرأها قال لي أقال لك شيأ قبل أن يدفعها اليك قلت نعم قال لي من أهل بيت المملكة أنت قلت لا ولكني رجل من العرب في الجملة ثم خرجت من عنده فلما بلغت الباب رددت فلما مثلت بين يديه قال لي اتدري ما في الرقعة قلت لا قال أقرأها فلما قرأتها فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره فقلت له والله لو علمت ما حملتها وانما قال هذا لانه لم يرك قال أفتدري لم كتبها قلت لا قال حسدني عليك واراد ان يغريني بقتلك قال فتأدى ذلك الى

ملك الروم فقال ما اردت الا ما قال وذكر عند معاوية عبد الملك فقال هو آخذ بثلاث وتارك لثلاث آخذ بقلوب الناس اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر الامرين اذا خولف تارك للمماراة تارك للغيبة تارك لما يعتذر منه وقال لعبد الملك بعض جلسائه يوما أريد الخلوة بك فلما خلا به قال له عبد الملك بشرط ثلاث خصال لا تطرينى عندك فأنا أعلم بها منك ولا تغتب عندى أحدا فلست اسمع منك ولا تكذبنى فلا رأى لمكذب قال أتأذن فى الانصراف قال اذا شئت وذكر الهيثم وغيره من الاخباريين أن عبد الملك بلغه عن عامل من عماله أنه قبل الهدايا فاشخصه اليه فلما دخل عليه قال له أقبلت هدية منذ وليت قال يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال قال أجب فيما سألتك عنه اقبلت هدية منذ وليتك قال نعم قال ان كنت قبلت ولم تعوض انك للئيم ولئن كنت أنت مهديا من غير مالك أو استكفيته مالم يكن مثله مستكفاه انك لخائن جائر وفيما أتيت أمر لا تخلو فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع وأمر بصرفه عن عمله (حدث) المنقرى عن الضبى قال قال الوليد بن اسحاق قال قال ابن عباس كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر تحت عبد الملك بن مروان فغضبت عليه فطلب رضاها بكل شئ فأبت عليه وكانت أحب الناس اليه فشكا ذلك الى خاصته فقال له عمرو بن بلال رجل من بنى أسد كان قد تزوج بنت زنباع الجذامى مالى عليك ان ارضيتها قال أحكمك فخرج وجلس ببابها يبكى فقالت خاصتها مالك أبا حفص قال فزعت الى ابنة عمى فاستأذنوا لى عليها فأذنت له وبينهما ستر فقال قد عرفت حالى مع أمراء المؤمنين معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك ولم يكن لى غير ابنين فعدا أحدهما على الآخر فقتله فقال أمير المؤمنين انا قاتل المتعدى قلت له انا ولى الدم وقد عفوت فأبى على وقال ما أحب أن أعود رعيتى هذا وهو قاتله بالغداة فانشدك الله الا ما طلبته منه فقالت لا أكلمه قال ما أظنك تكسبين شيأ هو أفضل من احياء نفس ولم يزل خواصها وخدمها وحاشيتها حتى قالت على بثيابى فلبست وكان بينها وبين عبد الملك باب وكانت قد ردمته فأمرت بفتحه ثم دخلت فاقبل الخصى يشتد فقال يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قال ويلك ورأيتها قال نعم اذ طلعت وعبد الملك على سريره فسلمت فسكت فقالت أما والله لولا مكان عمرو بن بلال ما أتيتك الله أن عدا أحد ابنيه على الآخر فقتله وهو ولى الدم وقد عفا أعزمت لتقتلنه قال اى والله وهو راغم فأخذت بيده فأعرض عنها فأخذت برجله فقبلتها فقال هو لك وتراضيا بعد أن نكحها ثلاثا وراح عبد الملك فجلس مجلسه للخاصة فدخل عمرو بن بلال فقال له يا أبا حفص ألطفت الحيلة فى القيادة ولك الحكم فقال يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة بما فيها من الآلات والرقيق قال هى لك قال وفرائض لولدى وأهل بيتى قال وذلك كله وبلغ عاتكة الخبر فقالت ويلى على القواد اياه خدعنى وكتب عبد الملك الى الحجاج أن صف لى الفتنة فكتب اليه ان الفتنة ليست بالنجوى وتحص بالشكوى وتنتج بالخطب فكتب اليه انك قد أصبت وأحسنت الصفة فان أردت أن يستقيم لك من قبلك فخذهم بالجماعة وأعطهم عطاء الفرقة وألصق بهم الحاجة (وحدثنا) المنقرى قال حدثنا أبو الوليد الصباح بن الوليد قال حدثنا

ابو رياش عتبة بن ثعامة عن مقلس بن سابق الدمشقي ثم السكسكي أن عبد الملك لما بلغه خلع ابن الاشعث صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان أهل العراق استعجلوا قدري قبل انقضاء أجلي اللهم لا تسلطنا على من هو خير منا ولا تسلط علينا من نحن خير منه اللهم سلط سيف أهل الشام على أهل العراق حتى يبلغ رضاك فاذا بلغه فلا تجاوز سخطك وكتب عبد الملك الى الحجاج أنت سالم فلم يعرف ما أراد بذلك فكتب الى قتيبة يسأله عن ذلك وبعث الكتاب مع رسول فلما ورد الى قتيبة وناوله الكتاب ضرط الرسول فخجل واستحيى فقرأ قتيبة وأراد أن يقول له اقعد فقال أضرط قال قد فعلت فاستحيى قتيبة وقال ما أردت الا أن أقول لك اقعد فغلطت فقال قد غلطت أنا وغلطت أنت قال قتيبة ولا سواء أغلط انا من فيّ وتغلط أنت من استك أعلم أمير المؤمنين أن سالما كان عبد الرجل وكان عنده أسيرا وكان يسعى به اليه كثيرا فقال

يديروننى عن سالم وأديرهم * وجلدة بين العين والانف سالم

فأراد عبد الملك انك عندى بمنزلة سالم فلما أتى الحجاج بالرسالة كتب له عهدا على خراسان وقد حكى نحو هذا الخبر عن رجل كان فى مجلس خالد بن عبد الله القشيرى فضرط فلما حضر الغداء قام ذلك الرجل فقال له خالد اقعد فأبى فقال له أقسمت عليك لتضرطن قال قد ضرطت فخجل خالد واعتذر اليه وأمر له بمال وأهدى الى عبد الملك أترسة مكللة بالدر والياقوت فأعجبته وعنده جماعة من خاصته وأهل خلوته فقال لرجل من جلسائه اسمه خالد اغمز منها ترسا وأراد ان يمتحن صلابته فقام فغمزه فضرط فاستضحك عبد الملك فضحك جلساؤه فقال كم دية الضرطة فقال بعضهم أربعمائة درهم وقطيفة فأمر له بذلك فانشأ يقول رجل من القوم

أيضرط خالد من غمز ترس * ويحبوه الامير ا دورا

فيالك ضرطة جلبت غناء * ويالك ضرطة أغنت فقيرا

يود الناس لو ضرطوا فنالوا * من المال الذى أعطى عشيرا

ولو نعلم بان الضرط يغنى * ضرطنا أصلح الله الاميرا

فقال عبد الملك أعطوه أربعة آلاف درهم ولا حاجة لنا فى ضراطك (وحدث) أحمد بن سعيد الدمشقى والطوسى وغيرهما فى كتاب الاخبار المعروف بالموقعيات عن الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن عتبة بن أبى لهب قال حج عبد الملك فى بعض أعوامه فأمر للناس بالعطاء فخرجت بدرة مكتوب عليها من الصدقة فأبى أهل المدينة من قبولها وقالوا انما كان عطاؤنا من الفيء فقال عبد الملك وهو على المنبر يا معشر قريش مثلنا ومثلكم أن أخوين فى الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا فى ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت اليهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته اليهما فقالا ان هذا من كنز فأقاما عليها ثلاثة أيام كل يوم تخرج اليهما دينارا فقال أحدهما لصاحبه الى متى ننتظر هذه الحية ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه فنهاه أخوه وقال ما تدرى لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه وأخذ فأسا معه ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت

برأسها ولم تقتلها فثارت الحية فقتلته ورجعت الى جحرها فقام أخوه فدفنه وأقام حتى
اذا كان من الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شيء فقال لها يا هذه انى والله
ما رضيت ما أصابك ولقد نهيت أخى عن ذلك فهل لك ان نجعل الله بيننا أن لا تضريني
ولا أضرك وترجعين الى ما كنت عليه قالت الحية لا قال ولم ذلك قالت انى لأعلم أن
نفسك لا تطيب لى أبدا وأنت ترى قبر أخيك ونفسى لا تطيب لك أبدا وأنا أذكر هذه الشجة
وأنشدهم شعر النابغة

فقالت أرى قبرا تراه مقابلى * وضربة فأس فوق رأسى فاغره

فيا معشر قريش وليكم عمر بن الخطاب فكان فظا غليظا مضيقا عليكم فسمعتم له وأطعتم
ثم وليكم عثمان فكان سهلا فعدوتم عليه فقتلتموه وبعثنا عليكم مسلما يوم الحرة فقتلناكم فنحن
نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبدا وأنتم تذكرون يوم الحرة ونحن لا نحبكم أبدا ونحن
نذكر قتل عثمان (وحدث) المدينى وابن دأب ان روح بن زنباع جليس عبد الملك رأى منه
اعراضا وجفوة فقال للوليد بن عبد الملك أما ترى ما أنا فيه من أمير المؤمنين باعراضه عنى
بوجهه حتى لقد فغرت السباع بأفواهها نحوى وأهوت بمخاليبها الى وجهى فقال له الوليد
احتل له فى حديث تضحكه به كما احتال مرزبان نديم سابور بن ملك فارس قال روح وما كان
من خبره مع الملك قال الوليد كان مرزبان هذا من سمار سابور فظهرت له من سابور جفوة
فلما علم ذلك تعلم نباح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وزقاء الديوك وشحيج البغل
وصهيل الخيل ومثل هذا ثم توصل الى موضع يقرب من مجلس خلوة الملك وفراشه وأخفى
أثره فلما خلا الملك نبح نباح الكلاب فلم يشك الملك أنه كلب فقال الملك ما هذا فعوى عوى
الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا ومضى الغلمان يتبعون الصوت
فكلما دنوا منه ترك ذلك الصوت وأحدث صوتا آخر من أصوات البهائم فأحجموا عنه ثم
اجتمعوا فهجموا عليه فأخرجوه فلما نظروا اليه قالوا للملك هذا مرزبان المضحك فضحك الملك
ضحكا شديدا وقال له ويلك ما حملك على هذا قال ان الله مسخنى كلبا وحمارا وكل خلق
لما غضبت على فأمر الملك بالخلع عليه ورده الى مرتبته التى كان فيها وتجدد للملك به سرور
فقال روح للوليد اذا اطمأن المجلس بأمير المؤمنين فاسألنى عن عبد الله بن عمر هل كان
يمزح أو يسمع مزاحا قال الوليد أفعل وكان ابن عمر صاحب سلامة لا يمزح ولا يعرف شيأ
من المزاح فتقدم الوليد وسبقه بالدخول فتبعه روح فلما اطمأن بهما مجلس عبد الملك
قال الوليد يا أبا زرعة هل كان ابن عمر يمزح أو يسمع المزاح قال روح حدثنى ابن أبى عتيق
ان امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية هجته فقالت

ذهب الاله بما تعيش به * وقمرت عيشك أيما قمر

أنفقت مالك غير محتشم * فى كل زانية وفى خمر

وكان ابن ابى عتيق صاحب غزل وفكاهة فأخذ هذين البيتين فى رقعة وخرج فاذا هو بابن عمر
فقال يا أبا عبد الله انظر فى هذه الرقعة وأشر على برأيك فيها فلما قرأها عبد الله استرجع
فقال له ما ترى فيمن هجانى بهذا الشعر قال أرى أن تعفو وتصفح قال والله يا أبا عبد الرحمن

لئن

لئن لقيته بناحية لا يكلمنه كلاما جيدا فأخذ ابن عمر خدلة وزعدة وابتدأ ونه وقال مالك غضب الله عليك قال ما هو الا ما قلت لك واقترها فلما كان بعد أيام لقيه فاعرض عنه ابن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن اني لقيت صاحب البيتين ونكتة فضحك عبد الله بن عمر فلما رأى ما حل به دنا منه وقال له في أذنه انها امر أتى فقبل ما بين عينيه وضحك وقال أحسنت فزدها فضحك عبد الملك حتى فحص برجله وقال له قاتلك الله يا روح ما أطيب حديثك ومد يده اليه فقام اليه روح فأكب عليه وقبل أطرافه وقال يا أمير المؤمنين الذنب فأعتذر ام الملامة فاصبر وأرجو عاقبتها قال لا والله ماذا الشئ تكرهه ثم عاد الى أحسن حالاته (وقد حكى) مثل هذا عن عبد الملك بن مهاهل الهمذاني وكان سميرا لسليمان بن المنصور وكان سليمان قد جفاه فأتاه يوما في قائم الظهيرة واحتدام الهجير فاستأذن فقال له الحاجب ليس هذا بوقت اذن على الامير فقال أعلمه بمكاني فدخل فاستأذن له فقال له سليمان حره يسلم قائما ويخفف فخرج الحاجب فأذن له وأمره بالتخفيف فدخل فسلم قائما ثم قال أصلح الله الامير اني انصرفت بالامس الى نحو منزلي وقد أمسيت فبينا أنا في طريق اذ أذن مؤذن فدنوت ثم صعدت الى مسجد مغلق فصعدت ثم صعدت ثم صعدت قال سليمان فبلغت السماء فكان ماذا قال فتقدم انسان اما كردى أوطمطاني فأم القوم بكلام ما أفهمه ولغة ما أعرفها فقال ويل لكل ومة رمأ مالا وعدّه قال يريد ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده فاذا اخلفه سكران ما يعقل سكرا فلما سمع قراءته ضرب بيديه ورجليه وجعل يقول أيرعنكى درليلكى في حر أم قارئك ومصليك فضحك سليمان حتى تمرغ على فراشه وقال ادن مني يا أبا محمد فأنت أطيب أمة محمد ثم دعا بخلعة وقال الزم الباب واغد في كل يوم وعاد الى أحسن حالاته عنده

(ذكر جمل من أخبار الحجاج وخطبه وما كان منه في بعض أفعاله)

كانت أم الحجاج عند الحارث بن كلدة فدخل عليها في السحر فوجدها تخلل فبعث اليها بطلاقها فقالت لم بعثت الى بطلاقي ألشئ رابك مني قال نعم دخلت عليك السحر وأنت تخللين فان كنت بادرت الغداء فأنت شرهة وان كنت بت والطعام بين اسنانك فأنت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن لكني تخللت من شظايا السواك فتزوجها بعده يوسف ابن عقيل الثقفي أبو الحجاج فولدت له الحجاج بن يوسف مشوّها لا دبر له فنقب عن دبره وأبى ان يقبل ثدى أمه وغيرها فأعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصوّر لهم في صورة الحارث ابن كلدة فقال ما خبركم فقالوا بني ولد ليوسف من الفارعة وكان اسمها وقد أبى ان يقبل ثدى أمه فقال اذبحوا جديا أسود وأولغوه دمه فاذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك فاذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له تيسا أسود وأولغوه دمه ثم اذبحوا له أسود سالخا فأولغوه دمه واطلوا به وجهه فانه يقبل الثدى في اليوم الرابع قال ففعلوا به ذلك فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في بدء أمره هذا وكان الحجاج يخبر عن نفسه ان أكثر لذاته سفك الدماء وارتكاب امور لا يقدم عليها غيره ولا سبق اليها سواه (حدثنا) أبو جعفر محمد بن سليمان بن داود البصرى المنقرى قال حدثني ابن

الثلثة وغيره قال سمعت أبي يقول لما غلبت الخوارج على البصرة بعث اليهم عبد الملك جيشا فهزموه ثم بعث اليهم آخر فهزموه فقال من للبصرة والخوارج فقيل له ليس لهم الا المهلب بن أبي صفرة فبعث الى المهلب فقال على أن لى خراج ما أجليتهم عنه قال اذن تشركني في ملكي قال فثلثاه قال لا قال فنصفه والله لا أنقص منه شيأ على ان تمدني بالرجال فاذا أمللت فلا حق لك على فجعلوا يقولون ولى عبد الملك على العراق رجلا ضعيفا وجعل يقول بعثت المهلب حتى يحارب الخوارج فركب دجلة ثم كتب المهلب الى عبد الملك انه ليس عندي رجال أقاتل بهم فاما بعثت الي بالرجال وأما خليت بينهم وبين البصرة فخرج عبد الملك الى أصحابه فقال ويلكم من للعراق فسكت الناس وقام الحجاج فقال أنا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج وقال أنا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج الثالثة فقال والله أنا لها يا أمير المؤمنين قال أنت زنبورها فكتب اليه عهده فلما بلغ القادسية أمر الجيش أن يقيلوا وان يروحوا وراءه ودعا بجمل عليه قتب فجلس عليه بغير خشبة ولا وطاء وأخذ الكتاب بيده ولبس ثياب السفر وتعمم بعمامته حتى دخل الكوفة وحده فجعل ينادي الصلاة جامعة ومامنهم رجل جالس في مجلسه الا ومعه العشرون والثلاثون وأكثر ذلك من أهله ومواليه وصعد المنبر متلثما متنكبا قوسه فجلس واضعا ابهامه على فيه فقال بعضهم لبعض قوموا حتى نحصبه قال له بعض أهل بيته أصلحك الله اكفف عن الرجل حتى نسمع ما يقول فمن قائل يقول حصر الرجل فما يقدر على الكلام ومن قائل يقول أعرابي ما أبصر حجته فلما غص المجلس بأهله سفر اللثام عن وجهه ثم قام ونحى العمامة عن رأسه فوالله ما حمد الله ولا أثنى عليه ولا صلى على نبيه وكان أول ما بدأهم به أن قال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

اني والله لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورؤسا قد أينعت وحان قطافها واني أنا صاحبها كأني أنظر الى الدماء ترقرق بين العمام واللحى

هذا أوان الحرب فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

وقال

قد لفها الليل بعصلبى * أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس بأعرابى

وقال

قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عردبد * مثل ذراع البكر أو أشد

ان أمير المؤمنين نثر كنانته فوجدني أمرها طعما واحدها سنانا وأقواها قدحا فان تستقيموا تستقم لكم الامور وان تأخذوا الى بنيات الطريق تجدوني لكل مرصد مرصدا والله لا أقيل لكم عثرة ولا أقبل منكم عذرة يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق

ومساوى الاخلاق والله ما أغمز تغامز التين ولا يقعقع لي بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة والله لالحونكم لحو العود ولاعصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل ولاقرعنكم قرع المروة يا أهل العراق طال ما سعيتم في الضلالة وسلكتم سبيل الغواية وسننتم سنن السوء وتماديتم في الجهالة يا عبيد العصا وأولاد الاماء أنا الحجاج ابن يوسف أما والله لا أعد الا وفيت ولا أحلق الا بريت فاياكم وهذه الزرافات والجماعات وقال وقيل وما يكون وما هو كائن وما أنتم وذاك يا بني اللكيعة لينظر الرجل في أمر نفسه وليحذر أن يكون من فرائسي يا أهل العراق انما مثلكم كما قال الله عز وجل "كمثل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف الآية" فأسرعوا واستقيموا واعتدلوا ولا تميلوا وتابعوا وبايعوا واصغوا واعلموا انه ليس مني الاكثار والاهذار ولا منكم الفرار والنفار انما هو انتضاء السيف ثم لا أغمده في شتاء ولا صيف حتى يقيم الله لامير المؤمنين أودكم ويذل صعبكم اني نظرت فوجدت الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة ووجدت الكذب مع الفجور ووجدت الفجور في النار ألا ان أمير المؤمنين أمرني باعطائكم واشخاصكم الى محاربة عدوكم مع المهلب وقد أمرتكم بذلك وأجلت لكم ثلاثا وأعطيت الله عهدا يؤاخذني به ويستوفيه مني أن لا أجد أحدا من بعث المهلب بعدها الا ضربت عنقه وانتهبت ماله يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقال الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فاني أحمد الله اليكم فقال الحجاج اسكت يا غلام ثم قال مغضبا يا أهل العراق والنفاق والشقاق ومساوى الاخلاق يا أهل الفرقة والضلال يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام أما والله لئن بقيت لكم لالحونكم لحو العود ولا ؤدبنكم أدبا سوى هذا الادب هذا ادب ابن سمية وهو صاحب شرطة كان بالعراق اقرأ يا غلام الكتاب فلما بلغ السلام قال أهل المسجد وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته ثم نزل وأمر للناس باعطائهم والمهلب يومئذ بمهرجان يقاتل الازارقة فلما كان اليوم الثالث جلس الحجاج بنفسه يعرض الناس فقربه عمير بن ضابئ البرجمي ثم أحد بني الحدادية وكان من اشراف أهل الكوفة وكان من بعث المهلب فقال أصلح الله الامير اني شيخ كبير زمن عليل ضعيف ولي عدة أولاد فليختر الامير أيهم شاء مكاني أشدهم ظهرا وأكرمهم فرسا وأتمهم أداة قال الحجاج لا باس بشاب مكان شيخ فلما ولى قال له عنبسة بن سعيد ومالك بن اسماء أصلح الله الامير أتعرف هذا قال لا قال هو عمير بن ضابئ التميمي الذي وثب على أمير المؤمنين عثمان وهو مقتول فكسر ضلعا من أضلاعه فقال انه كان حبس أبي شيخا كبيرا ضعيفا فلم يطلقه حتى مات في سجنه فقال الحجاج أما أمير المؤمنين عثمان فتغزوه بنفسك وأما الازارقة فتبعث اليهم بالبدل أوليس أبوك الذي يقول

همت ولم أفعل وكدت وليتني * فعلت وأوليت البكاء حلائله

أما والله أن في قتلك أيها الشيخ لصلاح المصرين ثم أقبل يصعد بصره اليه ويصوب على لحيته مرة ويسرحها أخرى ثم اقبل عليه فقال يا عمير سمعت مقالتي على المنبر فقال نعم قال والله انه لقبيح

يشتمنى أن يكون كذابا قم اليه يا غلام فاضرب عنقه ففعل فلما قتل ركب الناس كل صعب وذلول وخرجوا على وجوههم يريدون المهلب فازدحموا على الجسر حتى سقط بعض الناس فى الفرات فأتاه صاحب الجسر فقال أصلح الله الامير قد سقط بعض الناس فى الفرات قال ويحك ولم ذلك قال أهل هذا البعث ازدحموا على الجسر حتى ضاق بهم قال انطلق فاعقد لهم جسرين وخرج عبد الله بن الزبير الاسدى مذعورا حتى اذا كان عند الجبانين لقيه رجل من قومه يقال له ابراهيم فقال له ما الخبر فقال ابن الزبير الشر الشر قتل عمير من بعث المهلب وأنشأ يقول

اقول لابراهيم لما لقيته * ارى الامر أمسى مهلكا متصعبا
تجهز فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما ان تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حيرانا من البلج أشهبا
فأضحى ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أوهو أقربا
والا فما الحجاج مغمد سيفه * مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

وخرج الناس هربا الى السواد وأرسلوا الى أهاليهم أن زودونا ونحن بمكاننا وقال الحجاج لصاحب الجسر افتح ولا تحل بين أحد وبين الخروج ووجه العراض الى المهلب فأتت على المهلب عاشرة حتى ازدحموا عليه فقال من هذا الذى استعمل على العراق من هذا الذى ذكر الرجال فويل والله للعدو ان شاء الله تعالى وقد كان الحجاج استعمل عبد الرحمن بن محمد ابن الاشعث على سجستان وبست والرخج فحارب من هنالك من امم الترك وهم أنواع من الترك يقال لهم الطغرغر والخلج وحارب من يلى تلك البلاد من ملوك الهند مثل زنبيل وغيره وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب مراتب ملوك الهند وغيرهم من ملوك العالم وذكرنا مملكة كل واحد منهم والصقع الذى هو به وذوى السياسات منهم وبينا أن كل ملك يلى هذا الصقع من بلاد الهند يقال له زنبيل فخلع ابن الاشعث طاعة الحجاج وصار الى بلاد كرمان فشتى بخلع عبد الملك وانقاد الى طاعته أهل الرى والجبال من ما بين الكوفة والبصرة وغيرهما وسار الحجاج الى البصرة وسار ابن الاشعث اليه فكانت له حروب عظيمة وفى عبد الرحمن بن الاشعث يقول

خلع الملوك وسار تحت لوائه * شجر العرى وعراعر الاقدام

وكتب الحجاج بن يوسف الى عبد الملك يعلمه بخبر ابن الاشعث فكتب اليه عبد الملك لعمرى لقد خلع طاعة الله بيمينه وسلطانه بشماله وخرج من الدين عريانا وانى لارجو أن يكون هلاكه وهلاك أهل بيته واستيصالهم فى ذلك على يد أمير المؤمنين وما جوابه عندى فى خلع الطاعة الا قول القائل

أناة وحلما وانتظارا بهم غدا * فما انا بالقانى ولا الضرع الغمر
أظن صروف الدهر بينى وبينكم * ستحملكم منى على مركب وعر
ألم تعلموا أنى تخاف عزائمى * وان قناتى لا تلين على الكسر

ودخل ابن الاشعث الكوفة وكتب الحجاج كتابا الى عبد الملك يذكر فيه جيوش ابن الاشعث

وكثرتها

وكثرتها و يستغيث عبد الملك ويسأله الامداد وقال فى كتابه واغوثاه يا ألله واغوثاه يا ألله واغوثاه يا ألله فأمده بالجيوش وكتب اليه يا لبيك يا لبيك يا لبيك فالتقى الحجاج وابن الاشعث بالموضع المعروف بدير الجماجم فكانت بينهم وقائع نيف وثمانون وقعة تفانى فيها خلق وذلك فى سنة اثنتين وثمانين وكانت على ابن الاشعث فمضى حتى انتهى الى ملوك الهند ولم يزل الحجاج يحتال فى قتله حتى قتل وأتى برأسه فعلا الحجاج منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أهل العراق ان الشيطان استبطنكم فخالط اللحم منكم والعظم والاطراف والاعضاء وجرى منكم مجرى الدم وأفضى الى الاضلاع والامخاخ ففشى ماهنالك شقاقا واختلافا ونفاقا ثم أربع فيه فعشش وباض فيه ففرخ واتخذتموه دليلا تتابعونه وقايدا تطاوعونه ومأمرا تستأمرونه السم اصحابى بالاهواز حين سعيتم بالغدر بى فاستجمعتم على وحيث ظننتم أن الله سيخذل دينه وخلافته وأقسم بالله أنى لا أراكم بطرفى وأنتم تتسللون لواذا منهزمين سراعا مفترقين كل امرئ منكم على عنقه السيف رعبا وجبنا ويوم الزاوية وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم وتوليكم على اكتافكم السيوف هاربين لا يسأل الرجل عن بنيه ولا يلوى امرؤ على اخيه حين عض لكم السلاح وقصفتكم الرماح ويوم دير الجماجم بها كانت الملاحم والمعارك العظائم

ضرب يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

فما الذى ارجوه منكم يا أهل العراق ام ما الذى أتوقعه ولماذا استبقيكم ولاى شئ ادخركم ألللعجزات بعد العدوات أم للنزوة بعد النزوات وما الذى اراقب بكم وما الذى انتظر فيكم أن بعثتم الى ثغوركم جبنتم وأن امنتم أو خفتم نافقتم لا تجزون بحسنه ولا تشكرون نعمة يا أهل العراق هل استنجكم ناجح أو استشلاكم عاق أو استخفكم ناكث أو استنفركم عاص الا تابعتموه وبايعتموه وآويتموه وكنفتموه يا أهل العراق هل شعب شاعب أو نعب ناعب أو دبى كاذب الا كنتم أنصاره واشياعه يا أهل العراق لم ينفعكم التجارب وتحفظكم المواعظ أو تعظكم الوقائع هل يجمع فى صدوركم ما أوقع الله بكم عند مصادر الامور ومواردها يا أهل الشأم أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفى عنهن القذى ويعفهن من المطر ويحفظهن من الذباب ويحميهن من سائر الدواب لا يخاص اليهن معه قذى ولا يفضى اليهن بذاء ولا يمسهن اذى يا أهل الشام أنتم العدة والعدد والجند والحرب ان حارب محارب أو جانب مجانب وما أنتم وأهل العراق الا كما قال نابغة بنى جعدة

وأن تداعيكم حظهم * ولم ترزقوه ولم تكذب

كقول اليهود قتلنا المسيح * ولم يقتلوه ولم يصلب

فى أبيات ولما أسرف الحجاج فى قتل أسارى دير الجماجم وأعطى الاموال بلغ ذلك عبد الملك فكتب اليه أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك فى الدماء وتبذيرك فى الاموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لاحد من الناس وقد حكم عليك أمير المؤمنين فى الدماء فى الخطا الدية وفى العمد القود وفى الاموال ردها الى مواضعها ثم العمل فيها برايه فانما أمير

المؤمنين امين الله وسيان عنده منع حق واعطاء باطل فان كنت أردت الناس لهما أغناهم عنك وان كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك من أمير المؤمنين أمران لين وشدة فلا يؤنسنك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية وظن بأمير المؤمنين كل شئ الا احتمالك على الخطا واذا أعطاك الظفر على قوم فلا تقتلن جانحا ولا اسيرا وكتب فى أسفل كتابه

اذا أنت لم تطلب امورا كرهتها * وتطلب رضاءى بالذى أنت طالبه
وتخشى الذى يخشاه مثلى هاربا * الى الله منه ضيع الدر حالبه
فان ترمنى غفلة قرشية * فيار بما قد غص بالماء شاربه
وان ترمنى وثبة أموية * فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تلمنى والحوادث جمة * فانك مجزى بما أنت كاسبه
ولا تعد ما يأتيك منى وان تعد * يقوم بها يوما عليك نوادبه
ولا تدفعن للناس حقا علمته * ولا تعطين ماليس لله جانبه

وهى ابيات من جيد ما اخترناه من قول عبد الملك فلما قرأ الحجاج كتابه كتب أما بعد فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفى فى الدماء وتبذيرى فى الاموال ولعمرى ما بلغت فى عقوبة أهل المعصية ما هم أهله وما قضيت حق أهل الطاعة بما استحقوه فان كان قتلى اولئك العصاة سرفا واعطاءى أولئك المطيعين تبذيرا فليسوغنى أمير المؤمنين ما سلف وليحد لى فيه حدا انتهى اليه ان شاء الله تعالى ولا قوة الا بالله ووالله ما على من عقل ولا قود ما أصبت القوم خطأ فأفديهم ولا اعطيتهم الا لك ولا قتلت الا فيك وأما ما أنا منتظره من أمريك فالينهما عدة واعظمهما محنة فقد عبأت للعدة الجلاد وللمحنة الصبر وكتب فى أسفل كتابه

اذا أنا لم أتبع رضاك وأتقى * أذاك فيومى لا تزول كواكبه
وما لامرئ بعد الخليفة جنة * تقيه من الامر الذى هو كاسبه
أسالم من سالمت من ذى قرابة * ومن لم تسالمه فانى محاربه
اذا قارف الحجاج منك خطيئة * فقامت عليه فى الصباح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه * وأقصى الذى تسرى الى عقاربه
فمن ذا الذى يرجو نوالى ويتقى * مصاولتى والدهر جم نوائبه
فقف بى على حد الرضى لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعنى والامور فاننى * شفيق رفيق أحكمتنى تجاربه

وهى ابيات من جيد ما اخترناه من شعر الحجاج فلما انتهى كتابه الى عبد الملك قال خاف أبو محمد صولتى ولن أعود لشئ يكرهه (وحدث) حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة فقال لحرسى ائتنى بمحدث من المسجد فاعترض رجلا جسيما عظيما فقال اجب الامير فانطلق به حتى ادخله اليه فلم يسلم ولا نطق حتى قال له الحجاج ايه ما عندك فقال له الرجل يا ما عندك فقال الحرسى أخرجه أخرج الله نفسك أمرتك أن تأتينى بمحدث فأتيتنى بأعرابى قد ذهب فؤاده فخرج الحجاج ومعه صرة دراهم الى المسجد فجعل يناول الناس فيأخذونها حتى

انتهى الى شيخ فأعطاه فنبذها فاعادها الحجاج فردها ففعل ذلك الحجاج ثلاثا فقد نامته الحجاج وقال انا الحجاج ودخل القصر وقال للحرسي الحقني به فدخل فسلم بلسان ذلق وقلب شديد فقال له الحجاج ممن الرجل فقال من بني شيبان قال ما اسمك قال سبرة بن الجعد قال يا سبرة هل قرأت القرآن قال جمعته في صدري وان عملت به فقد حفظته وان لم أعمل به فقد ضيعته قال فهل تفرض قال اني لأفرض الصلب وأعرف الاختلاف في الجد قال فهل تبصر الفقه قال اني لأبصر ما أقوم به أهلي وأرشد ذا العمى من قومي قال فهل تعرف النجوم قال اني لأعرف منازل القمر وما أهتدي به في السفر قال فهل تروي الشعر قال اني لأروي المثل والشاهد قال المثل قد عرفناه فما الشاهد قال اليوم يكون للعرب من أيامها عليه شاهد من الشعر فاني اروي ذلك الشاهد فاتخذه الحجاج سميرا فلم يك يطلب شيأ من الحديث الا وجد عنده منه علما وكان يرى رأي الخوارج من اصحاب قطري بن الفجاءة التميمي والفجاءة امه وكانت من بني شيبان واتماهو رجل من تميم وكان قطري يومئذ يحارب المهلب فبلغ قطريا مكان سبرة من الحجاج فكتب اليه بأبيات منها

لشتان ما بين ابن جعد وبيننا * اذا نحن رحنا في الحديد المظاهر

نجاهد فرسان المهلب كلنا * صبور على وقع السيوف البواتر

وراح يجر الخز عند أميره * أمير بتقوى ربه غير آمر

أبا الجعد أين العلم والحلم والنهى * وميراث آباء كرام العناصر

ألم تر أن الموت لا شك نازل * ولا بد من بعث الاولى في المقابر

حفاة عراة والتراب لديهم * فمن بين ذي ربح وآخر خاسر

فان الذي قد نلت يفني وانما * حياتك في الدنيا كوقعة طائر

فراجع أبا جعد ولا تك مغضبا * على ظلمة أعشت جميع النواظر

وتب توبة تهدي اليك شهادة * فانك ذو ذنب ولست بكافر

وسر نحونا تلق الجهاد غنيمة * تفدك ابتياعا رابحا غير خاسر

هي الغاية القصوى الرغيب ثوابها * اذا نال في الدنيا الغنى كل تاجر

فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه وأخذ سلاحه ولحق بقطري وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ولم يرع الحجاج الا وكتاب قد بدر منه فيه شعر قطري الذي كان كتب به اليه وفي اسفل الكتاب الى الحجاج ابيات منها

فمن مبلغ الحجاج أن سميره * قلا كل دين غير دين الخوارج

رأى الناس الامن رأى مثل رأيه * ملاعين تراكين قصد المخارج

فاقبلت نحو الله بالله واثقا * وما كر بتي غير الاله يفارج

الى عصبة أما النهار فانهم * هم الاسد أسد الغيل عند التهايج

وأما اذا ما الليل جن فانهم * قيام بأنواح النساء النوائح

ينادون للتحكيم تالله انهم * رأوا حكم عمرو كالرياح الهوائج

وحكم ابن قيس مثل ذا فأعصموا * بحبل شديد المتن ليس بناهج

فطرح الحجاج هذا الكتاب الى عنبسة بن سعيد فقال هذا من سميرنا الشيباني وهو من الخوارج ولا نعلم به ولابي الجعد سيرة بن الجعد سمير الحجاج هذا اشعار كثيرة منها قوله من أبيات

عجبت لحالات البلاء والدهر * وللحين يأتي المرء من حيث لا يدريه
وللناس يأتون الضلالة بعدما * أتاهم من الرحمن نور من البدر
ولله لا يخفى عليه صنيعنا * حفيظ علينا في المقام وفي السفر
علا فوق عرش فوق سبع ودونه * سماء يرى الارواح من دونها تجري

وقد قيل أن هذا الشعر لغيره من الخوارج ولاصناف الخوارج اخبار حسان من الأزارقة والاباضية وغيرهما قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وذكرنا ما اتفقت عليه الخوارج واجتمعت عليه من الأصول من اكفارهم عثمان وعليا والخروج على الامام الجائر وتكفير من ركب الكبائر والبراءة من الحكمين أبي موسى عبد الله بن قيس الاشعري وعمرو بن العاص السهمي وحكمهما والبراءة ممن صوب حكمهما أو رضي به واكفار معاوية وناصريه ومقلديه ومحبيه فهذا ما اتفقت عليه الخوارج من الشراة والحرورية ثم اختلفوا بعد ذلك في مواضع العبارة عن التوحيد والوعد والوعيد والامامة وغير ذلك من آرائهم وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب ذكر الحكمين أن أول من حكم بصفين عروة بن أدية التميمي وقيل أن أول من حكم بصفين يزيد بن عاصم المحاربي وقيل ان أول من حكم رجل من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وكان أول من شرى بصفين من المحكمة رجل من بني يشكر وكان من وجوه ربيعة ممن كان مع علي فأنه حكم في ذلك اليوم قال لا حكم الا لله ولا طاعة لمن عصى الله وخرج عن الصف فحمل على أصحاب علي فقتل منهم رجلا ثم حمل على أصحاب معاوية فتحاموه ولم يقدر على قتل أحد منهم وكر على اصحاب علي فقتله رجل من همدان وقد أتى الهيثم بن عدي وأبو الحسن المدايني وأبو البختري القاضي وغيرهم على أخبار الخوارج واصنافهم فيما افردوه من كتبهم وذكر اصحاب المقالات في الآراء والديانات ما تنازعوا فيه من مذاهبهم وذلك في كتابنا في المقالات في اصول الديانات وذكرنا من خرج منهم من وقت التحكيم في عصر عصر الى آخر من خرج منهم بديار ربيعة على بني حمدان وذلك في سنه ثمان عشرة وثلثمائة وهو المعروف بعرون وخرج ببلاد كفر بيوبى وورد الى نصيبين فكانت له مع أهلها حروب آسر فيها وقتل منهم خلق عظيم والمعروف بأبي شعيب خرج في بني مالك وغيرهم من ربيعة وقد كان أدخل على المقتدر بالله وقد كان بعد العشرين والثلثمائة للاباضية ببلاد عمان مما يلي بلاد بروي وغيرها حروب وتحكيم وخروج وامام نصبوه فقتل وقتل من كان معه وفي سنة سبع وسبعين كانت للحجاج حروب مع شبيب الخارجي وولى عنه الحجاج بعد قتل ذريع كان في أصحابه حتى أحصى عددهم بالقضيب فدخل الكوفة وتحصن في دار الامارة ودخل شبيب وامه وزوجته غزالة الكوفة عند الصباح وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران فاتوا الجامع في سبعين رجلا فصلوا به الغداة

وخرجت غزالة مما كانت أوجبته على نفسها فقال الناس بالكوفة في تلك السنة

وفت الغزالة نذرها * يا رب لا تغفر لها

وكانت الغزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم وكذلك ام شبيب وقد كان عبد الملك حين بلغه خبر هرب الحجاج وتحصنه في دار الامارة بالكوفة من شبيب بعث من الشأم بعساكر كثيرة عليها سفيان بن الأبرد الكلبي لقتال شبيب فقدم على الحجاج بالكوفة فخرجوا الى شبيب فحاربوه فانهزم شبيب وقتلت الغزالة وامه ومضى شبيب في فوارس من أصحابه واتبعه سفيان من أهل الشأم فلحقه بالاهواز فولى شبيب فلما حصل على جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر فالقاه في الماء فقال له بعض اصحابه أغرقا يا أمير المؤمنين قال ذلك تقدير العزيز العليم فالقاه دجيل ميتا بشطه فحمل على البريد الى الحجاج فامر الحجاج بشق بطنه واستخراج قلبه فاستخرج فاذا هو كالحجر اذا ضربت به الارض نبا عنها فشق فاذا في داخله قلب صغير كالكرة فشق فاصيب علقة الدم في داخله وفي سنة اثنتين وثمانين قتل الحجاج ابن القرية لخروجه مع ابن الاشعث وانشائه الكتب له ووضعه الصدور والخطب وكان ابن القرية من البلاغة والعلم والفصاحة بالموضع الموصوف وقد أتينا على خبر مقتله وما كان من كلامه مع الحجاج وقد كان قتله صبرا في الكتاب الاوسط وأن قتله اياه كان بالسيف وقيل بل قدم اليه فضربه الحجاج بحربة في نحره فأتى عليه وابن القرية القائل الناس ثلاثة عاقل وأحمق وفاجر فاما العاقل فان الدين شريعته والحلم طبيعته والرأي الحسن سجيته ان نطق أصاب وان كلم أجاب وان سمع العلم وعى وان سمع الفقه روى وأما الأحمق فان تكلم عجل وان حدث ذهل وان حمل على القبيح حمل وأما الفاجر فان استأمنته خانك وان صاحبته شانك وان استكتم لم يكتم وان علم لم يعلم وان حدث لم يصدق وان فقه لم يفقه (وذكر المدايني) أن الحجاج لم يكن يظهر لاشد ما ثمه منه بشاشة ولا سماحة في الخلق الا في يوم دخلت عليه ليلى الاخيلية فقال لها بلغني أنك مررت بقبر توبة بن الحمير وعدلت عنه فوالله ما وفيت له ولو كان هو بمكانك وأنت بمكانه ما عدل عنك قالت أصلح الله الامير لي عذر قال وما هو قال سمعته وهو يقول

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت * علي وفوقي جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

وكان معي نسوة قد سمعن قوله فكرهت أن أكذبه فاستحسن الحجاج قولها وقضى حوائجها وانبسط في محادثتها فلم ير منه بشاشة وأريحية داخلته مثل ذلك اليوم (وذكر) حماد الراوية غير هذا الوجه وهو أن زوج ليلى حلف عليها وقد اجتاز بقبر توبة ليلا أن تنزل وأتى وتسلم عليه وتكذبه حيث يقول وذكر البيتين المتقدمين قال وأبت أن تفعل فاقسم عليها زوجها فنزلت حتى جاءت الى القبر ودموعها على صدرها كغزر السحاب فقالت السلام عليك يا توبة فلم تستتم النداء حتى انفرج القبر عن طائر كالحمامة البيضاء فضربت صدرها فوقعت ميتة فأخذوا في جهازها وكفنها ودفنت الى جانب قبره وللعرب فيما ذكرنا كلام كثير على

حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في آرائهم ومذاهبهم في الهام والصدى والصفر
وقد كانت العرب تعقل الى جانب قبر الميت اذا دفن ناقة وتجعل عليه برذعة وخشبة يسمونها
البلية وقد ضربوا بذلك أمثالهم وذكره خطباؤهم في خطبهم فقالوا البلايا على الولايا وقد
كان بعضهم يتطير بالسانح ويتيامن بالبارح وبعضهم يضاد هذا فيتطير بالبارح ويتيامن
بالسانح فأهل نجد يتيامنون بالسانح وأهل التهايم بالضد من ذلك على حسب ما قدمنا من
قول عبيد الراعي فيما سلف من هذا الكتاب (حدثنا) المنقري قال حدثنا عبد العزيز بن
الخطاب الكوفي قال حدثنا فضيل بن مرزوق قال لما غلب بشر بن أرطاة على اليمن
وكان من قتله لابني عبد الله بن العباس وأهل مكة والمدينة ما كان قام علي بن أبي طالب
رضي الله عنه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أن
بشر بن أرطاة قد غلب على اليمن والله ما أرى هؤلاء القوم الا سيغلبون على ما في أيديهم
وما ذلك بحق في أيديهم ولكن بطاعتهم واستقامتهم ومعصيتكم لي وتناصرهم وتخاذلكم
واصلاح بلادهم وافساد بلادكم وتالله يا أهل الكوفة لوددت أني صرفتكم صرف
الدنانير العشرة بواحد ثم رفع يديه فقال اللهم اني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني فابدلني
بهم خيرا منهم وابدلهم بي شرا مني اللهم عجل عليهم بالغلام الثقفي الذيال الميال يأكل خضرتها
ويلبس فروتها ويحكم فيها بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنها ولا يتجاوز عن مسيئها قال وما
كان ولد الحجاج يومئذ (حدثنا) الجوهري عن سليمان بن أبي شيخ الواسطي عن محمد بن يزيد
عن سفيان بن حسين قال سأل الحجاج الجوهري ما النعمة قال الأمن فاني رأيت الخائف
لا ينتفع بعيش قال زدني قال الصحة فأني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش قال زدني قال الشباب
فأني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش قال زدني قال الغنى فأني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش قال
زدني قال لا أجد مزيدا (حدثنا) الجوهري عن مسلم بن ابراهيم أبي عمرو الفراهيدي عن
الصلت بن دينار قال مرض الحجاج فأرجف أهل الكوفة فلما تماثل من علته صعد المنبر
وهو يتثنى على أعواده فقال أن أهل الشقاق والنفاق نفخ الشيطان في مناخرهم فقالوا مات
الحجاج ومات الحجاج فمه والله ما أرجو الخير كله الا بعد الموت وما رضي الله الخلود لاحد
من خلقه في الدنيا الا لأهونهم عليه ابليس والله لقد قال العبد الصالح سليمان بن داود رب
اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فكان ذلك ثم اضمحل فكأن لم يكن يا أيها
الرجل وكلكم ذلك الرجل كأني بكل حي ميت وبكل رطب يابس وقد نقل كل امرئ بثياب
طهره الى حفرته فخد له في الارض ثلاث اذرع طولا في ذراعين عرضا فأكلت الارض لحمه
ومصت من صديده ودمه وانقلب الحبيبان يقتسم أحدهما صاحبه حبيبه من ولده يقتسم
حبيبته من ولده ماله أما الذين يعلمون فسيعلمون ما أقول والسلام (حدثنا) المنقري عن
مسلم بن ابراهيم أبي عمرو الفراهيدي عن الصلت بن دينار قال سمعت الحجاج يقول قال الله
تعالى واتقوا الله ما استطعتم فهذه لله وفيها مثنوية وقال واسمعوا واطيعوا وهذه لعبد الله
وخليفة الله ونجيب الله عبد الملك أما والله لو أمرت الناس أن يدخلوا في هذا الشعب
فدخلوا في غيره لكانت دماؤهم لي حلالا لا عذيري من أهل هذه الحمراء يلقي أحدهم الحجر

قوله سأل الحجاج الجوهري هكذا في النسخ ولعله آخر غير الراوي

الى الارض وتقول الى أن يبلغها يكون فرج الله لا جعلتهم كالرسم الداثر وكالامس الغابر عذيرى من عبد هذيل يقرأ القرآن كأنه رجز الاعراب أما والله لو ادركته لضربت عنقه يعنى عبد الله بن مسعود عذيرى من سليمان بن داود يقول لربه رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى كان والله فيما علمت عبدا حسودا بخيلا (وحدثنا) المنقرى عن عبيد ابن أبى السرى عن محمد بن هشام بن السائب عن أبيه عن عبد الرحمن بن السائب قال قال الحجاج يوما لعبد الله بن هانئ وهو رجل من أود حى من اليمن وكان شريفا فى قومه وقد شهد مع الحجاج مشاهده كلها وشهد معه تحريق البيت وكان من أنصاره وشيعته والله ما كافأناك بعد ثم أرسل الى اسماء بن خارجة وكان من فزارة أن زوج عبد الله بن هانئ ابنتك فقال لا ولا كرامة فدعا له بالسياط فقال أنا أزوجه فزوجه ثم بعث الى سعيد بن قيس الهمدانى رئيس اليمامة أن زوج عبد الله بن هانئ ابنتك قال ومن أود والله لا أزوجه ولا كرامة قال هاتوا السيف قال دعنى حتى أشاور أهلى فشاورهم فقالوا زوجه لا يقتلك هذا الفاسق فزوجه فقال له الحجاج يا عبد الله قد زوجتك بنت سيد فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان وما أود هنالك فقال لا تقل أصلح الله الامير ذلك فان لنا مناقب ما هى لاحد من العرب قال وما هذه المناقب قال ما سب أمير المؤمنين عثمان فى نادلنا قط قال هذه والله منقبة قال وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلا وما شهد مع أبى تراب منا الا رجل واحد كان والله ما علمته امرأ سوء قال وهذه والله منقبة قال ومامنا أحد تزوج امرأة تحب أبا تراب ولا تولاه قال وهذه والله منقبة قال ومامنا امرأة الا نذرت أن قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها ففعلت قال وهذه والله منقبة قال ومامنا رجل عرض عليه شتم أبى تراب ولعنه الا فعل وقال وازيدكم ابنيه الحسن والحسين وامهما قال وهذه والله منقبة قال وما أحد من العرب له من الملاحة والصباحة مالنا وضحك وكان دميما شديد الادمة مجدورا فى رأسه عجر مايل الشدق احول قبيح الوجه مايل الحولة (المنقرى) عن جعفر بن عمرو الحرصى عن مجدى بن رجاء قال سمعت عمران بن مسلم بن أبى بكر الهذلى يقول سمعت الشعبى يقول أتى بى الحجاج موثقا فلما دخلت عليه استقبلنى يزيد بن مسلم فقال انا لله يا شعبى على ما بين دفتيك من العلم وليس بيوم شفاعة بؤ للامير بالشرك وبالنفاق على نفسك فبالحرى أن تنجو منها فلما دخلت استقبلنى محمد بن الحجاج فقال لى مثل مقالة يزيد فلما مثلت بين يدى الحجاج فقال وأنت يا شعبى فيمن خرج علينا وكثر قلت نعم أصلح الله الامير أحزن بنا المنزل وأجدب الجناب وضاق المسلك واكتحلنا السهاد واستحلسنا الخوف ووقعنا فى فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء قال صدق والله ما بروا بخروجهم علينا ولا قووا اذ فجروا أطلقوا عنه قال الشعبى ثم احتاج الى فريضة فقال ما تقول فى أخت وأم وجد قلت اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وزيد وعلى وعثمان وابن عباس قال فما قال فيها ابن عباس فلقد كان معنيا قلت جعل الجد ابا واعطى الام الثلث ولم يعط الاخت شيأ قال فما قال فيها عبد الله قلت جعلها من ستة فاعطى الاخت النصف وأعطى الام السدس وأعطى الجد الثلث قال فما قال فيها زيد قلت جعلها

تسعة فأعطى الام ثلاثة وأعطى الاخت سهمين وأعطى ابنة أربعة قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان قلت جعلها اثلاثا قال فما قال فيها أبو تراب قلت جعلها ستة أعطى الاخت النصف وأعطى الام الثلث وأعطى ابنة السدس قال فضرب بيده على أنفه وقال انه المرء يرغب عن قوله (المنقرى) عن أبي عبد الرحمن العتبي عن أبيه قال أراد الحجاج الحج فخطب الناس وقال يا أهل العراق انى قد استعملت عليكم محمدا أويه الرغبة عنكم أما انكم لا تستأهلونه وقد أوصيته فيكم خلاف وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصار فانه أوصى أن يقبل عن محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم أما انى اذا وليت عنكم انكم تقولون لا أحسن الله له الصحابة وما منعكم من تعجيله الا الفراق وانا أعجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة ثم نزل (العتبي) عن عبد الغنى بن محمد بن جعفر عن الهيثم بن عدى عن أبي عبد الرحمن الكنانى عن ابن عباس الهمدانى عن عبيد بن أبي المخارق قال استعملنى الحجاج على الفلوجة فقلت أما هنا دهقان يستعان برأيه فقالوا جميل بن صهيب فارسلت اليه فجاءنى شيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه فقال ازعجتنى وانا شيخ كبير قلت أردت عونك وبركتك ومشورتك فامر بحاجبيه فرفعا بخرقة حرير وقال ما حاجتك قلت استعملنى الحجاج على الفلوجة وهو ممن لا يؤمن شره فأشر على قال أيما أحب اليك رضى الحجاج أو رضى بيت المال أو رضى نفسك قلت ان أرضى كل هؤلاء وأخاف الحجاج فانه جبار عنيد قال فاحفظ عنى أربع خلال افتح بابك ولا يكن لك حاجب فيأتيك الرجل وهو على ثقة من لقائك وهو أجدر أن يخافك عمالك وأطل الجلوس لأهل عملك فانه قلما اطال عامل الجلوس الا هيب مكانه ولا تخلف حكمك بين الناس وليكن حكمك على الشريف والوضيع سواء فلا يطمع فيك أحد من أهل عملك ولا تقبل من أهل عملك هدية فان مهديها لا يرضى من ثوابها الا بأضعافها مع ما فى ذلك من المقالة القبيحة ثم اسلخ ما بين اقفيتهم الى عجوب اذنابهم فيرضوا عنك ولا يكون للحجاج عليك سبيل (المنقرى) عن يوسف بن موسى القطان عن جرير عن المغيرة عن الربيع بن خالد قال سمعت الحجاج يخطب على المنبر وهو يقول اخليفة أحدكم فى أهله أكرم عليه أم رسوله فى حاجته فقلت لله على أن لا أصلى خلفك ابدا ولئن رأيت قوما يجاهدونك لأقاتلنك معهم فقاتل فى دير الجماجم حتى قتل (المنقرى) عن العتبي عن أبيه أن الحجاج وجه الغضبان بن القبعثرى الى بلاد كرمان ليأتيه بخبر ابن الاشعث عند خلعه ففصل من عنده فلما صار ببلاد كرمان ضرب خباءه ونزل فاذا هو باعرابى قد اقبل عليه فقال السلام عليك فقال له الغضبان كلمة مقولة قال له الاعرابى من اين جئت قال من ورائى قال وأين تريد قال أمامى قال وعلام جئت قال على فرسى قال وفيم جئت قال فى ثيابى قال أتاذن لى أن أدنو اليك قال وراءك أوسع لك قال والله ما اريد طعامك ولا شرابك قال لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما قال أوليس عندك الا ما أرى قال بل هراوة من أرزن أضرب بها رأسك قال ان الرمضاء قد أحرقت قدمى قال بل عليهما يبردان قال فكيف ترى فرسى هذا قال أراه خيرا من شر منه وأرى آخر أفره منه قال قد علمت

هذا قال لو أحلته ما سألتني عنه فتركه الاعرابي وولى ثم دخل على عبد الرحمن بن الاشعث فقال ما وراءك يا غضبان قال الشر تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك ثم صعد المنبر فخطب بمعايب الحجاج والبراءة منه ودخل ابن الاشعث في أمره فلم يلبث الا قليلا ثم أسر ابن الاشعث فأخذ الغضبان فيمن أسر فلما أدخل على الحجاج قال يا غضبان كيف رأيت بلاد كرمان قال أصلح الله الامير بلاد ماؤها وشل وتمرها دقل ولصها بطل والخيل بها ضعاف وان كثر الجند بها جاعوا وان قلوا ضاعوا قال الست صاحب الكلمة الخبيثة تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك قال أصلح الله الامير ما نفعت من قيلت له ولا ضرت من قيلت فيه قال لأقطعن يديك ورجليك من خلاف ثم لاصلبنك قال لا أرى الامير أصلحه الله يفعل ذلك فأمر به فقيد وألقي في السجن فأقام به حتى بنى الحجاج خضراء واسط فلما استتم بناؤها جلس في صحنها وقال كيف ترون قبتي هذه قالوا ما بني لملك قبلك مثلها قال فان فيها مع ذلك عيبا فهل فيكم مخبري به قالوا والله ما نرى بها عيبا فأمر باحضار الغضبان فأتي به يرسف في قيوده فلما دخل عليه قال له الحجاج أراك يا غضبان سمينا قال أيها الامير القيد والرتعة ومن يكن ضيف الامير يسمن قال فكيف ترى قبتي هذه قال أرى قبة ما بني لأحد مثلها الا أن بها عيبا فان أمنني الامير أخبرته به قال قل آمنا قال بنيت في غير بلدك لغير ولدك لا تمتع به ولا تنعم فالمالا يمتع فيه من طيب ولا لذة قال ردوه فانه صاحب الكلمة الخبيثة قال أصلح الله الامير ان الحديد قد أكل لحمي وبرى عظمي فقال احملوه فلما استقل به الرجال قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال أنزلوه فلما استوى على الارض قال اللهم أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين قال جروه فلما جروه قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم قال أطلقوا عنه (المنقري) عن عبد الله ابن محمد بن حفص التميمي عن الحسين بن عيسى الحنفي قال لما هلك بشر بن مروان وولى الحجاج العراق بلغ ذلك أهل العراق فقام الغضبان بن القبعثرى الشيباني بالمسجد الجامع بالكوفة خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الكوفة ان عبد الملك قد ولى عليكم من لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الظلوم الغشوم الحجاج ألا وان لكم من عبد الملك منزلة بما كان منكم من خذلان مصعب وقتله فاعترضوا هذا الخبيث في الطريق فاقتلوه فان ذلك لا يعد منكم خلعا فانه متى يعلوكم على متن منبركم وصدر سريركم وقاعة قصركم ثم قتلتموه عد خلعا فأطيعوني وتغدوا به قبل أن يتعشى بكم فقال له أهل الكوفة جبنت يا غضبان بل ننتظر سيرته فان رأينا منكرا غيرناه قال ستعلمون فلما قدم الحجاج الكوفة بلغته مقالته وأمر به فأقام في حبسه ثلاث سنين حتى ورد على الحجاج كتاب من عبد الملك يأمره أن يبعث اليه بثلاثين جارية عشر من النجائب وعشر من قعد النكاح وعشرا من ذوات الاحلام فلما نظر الى الكتاب لم يدر ما وصفه من الجواري فعرضه على أصحابه فلم يعرفوه فقال له بعضهم أصلح الله الامير ينبغي أن يعرف هذا من كان في أوليته بدويا فله معرفة أهل البدو ثم غزا فله معرفة أهل الغزو ثم شرب الشراب فله بداء أهل الشراب قال وأين هذا قيل في حبسك قال ومن هو قيل الغضبان الشيباني فأحضر فلما مثل بين يديه قال أنت القائل لأهل الكوفة يتغدون بي قبل أن أتعشى بهم قال أصلح الله الامير ما نفعت من قالها

ولا ضربت من قبلك فيه قال ان أمير المؤمنين كتب الى كتابا لم أدر ما فيه فهل عندك شئ منه قال يقرأ على فقرئ عليه فقال هذا بين قال وما هو قال أما النجيبة من النساء فالتى عظمت هامتها وطال عنقها وبعد ما بين منكبيها وثدييها واتسعت راحتها وثخنت ركبتها فهذه اذا جاءت بالولد جاءت به كالليث وأما قعد النكاح فهن ذوات الاعجاز منكسرات الثدى كثيرات اللحم يقرب بعضهن من بعض فاولئك يشفين القرم ويروين الظمآن وأما ذوات الاحلام فبنات خمس وثلاثين الى الاربعين فتلك التى تبسه كما تبس الحالب الناقة فتستخرجه من كل شعر وظفر وعرق قال الحجاج أخبرنى بشر النساء قال أصلح الله الامير شرهن الصغيرة النقبة الحديدة الركبة السريعة الوثبة الواسطة فى نساء الحى التى اذا غضبت غضب لها مائة واذا سمعت كلمة قالت لا والله لا أنتهى حتى أقرها قرارها التى فى بطنها جارية ويتبعها جارية وفى حجرها جارية قال الحجاج على هذه لعنة الله ثم قال ويحك فأخبرنى بخير النساء قال خيرهن القريبة القامة من السماء الكثيرة الأخذ من الارض الودود الولود التى فى بطنها غلام وفى حجرها غلام ويتبعها غلام قال ويحك فأخبرنى بشر الرجال قال شرهم السبوط الربوط المحمود فى حرم الحى الذى اذا سقط لاحداهن دلو فى بئر انحط عليه حتى يخرجه فهن يجزينه الخير او يقلن عافاك الله فلانا قال على هذا لعنة الله فاخبرنى بخير الرجال قال خيرهم الذى يقول فيه الشماخ التغلبى

فتى ليس بالراضى بأدنى معيشة * ولا فى بيوت الحى بالمتولج
فتى يملأ الشيزى ويروى سنانه * ويضرب فى رأس الكمى المدجج

فقال له حسبك كم حبسنا عطاءك قال ثلاث سنين فأمر له بها وخلى سبيله (المنقرى) عن محمد ابن السرى عن هشام بن محمد بن السائب عن أبى عبد الله النخعى قال لما فرغ الحجاج من دير الجماجم وقدم على عبد الملك ومعه أشراف أهل المصرين أدخلهم عليه فبينما هم عنده اذ تذاكروا البلدان فقال محمد بن عمير بن عطارد أصلح الله الامير أن الكوفة أرض ارتفعت عن البصرة وحرها وعمقها وسفلت عن الشأم ووباءها وجاورها الفرات فعذب ماؤها وطاب ثمرها فقال خالد بن صفوان الاهتمى أصلح الله الامير نحن أوسع منهم برية وأسرع منهم فى السرية وأكثر منهم قندا وعاجا وساجا وبأسا ماؤنا صفو وخيرنا عفو لا يخرج من عندنا الا قائد وسائق وناعق فقال الحجاج اصلح الله امير المؤمنين انى بالبلدين خبير وقد وطئتهما جميعا فقال له قل فانت عندنا مصدق فقال أما البصرة فعجوز شمطاء ذفراء بخراء أوتيت من كل حلى وزينة وأما الكوفة فشابة حسناء جميلة لا حلى لها ولا زينة فقال عبد الملك فضلت الكوفة على البصرة (المنقرى) عن عمر بن الحباب الباهلى عن اسماعيل بن خالد قال سمعت الشعبى يقول سمعت الحجاج يقول بكلام ما سبقه اليه أحد سمعته يقول أما بعد فان الله عز وجل كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة فطول الامل يقصر الأجل (المنقرى) عن سهل بن تمام بن بزيع عن عباد بن حبيب بن المهلب عن أبيه قال لما قتل المهلب بن عبد ربه بن الصعتر بكرمان قال ائتونى برجل له بيان وعقل ومعرفة أوجهه

الى

قوله تبسه الخ هكذا فى النسخ ولم أقف له على معنى

الى الحجاج برؤس من قتلنا فدلوه على بشر بن مالك الجرشي فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك قال بشر بن مالك الجرشي قال كيف تركت المهلب قال تركته صالحا نال ما رجا وأمن ما خاف قال فكيف قاتلكم قطري قال كادنا من حيث كدناه قال أفلا طلبتموه قال كان الحسد أهم علينا من القتل قال أصبتم قال فكيف كان بنو المهلب قال كانوا أعداء البيات حتى يأمنوا وأصحاب السرج حتى يردوا قال أجل فأيهم أفضل قال ذلك الى أبيهم أيهم شاء ان يستكفيه أمرا كفاه قال انى أرى لك عقلا فقل قال هم كالحلقة المستوية لا يدرى أين طرفها قال أين هم من أبيهم قال فضله عليهم كفضلهم على سائر الناس قال كيف كان الجند قال أرضاهم الحق وأشبعهم الفضل وكانوا مع وال يقاتل بهم مقاتلة الصعلوك ويسوسهم سياسة الملوك فله منهم بر الاولاد ولهم منه شفقة الوالد قال هل كنت هيأت ما أرى قال لا يعلم الغيب الا الله قال فالتفت الحجاج الى عنبسة فقال هذا الكلام المخلوق لا الكلام المصنوع (وأخذ الحجاج) جرير بن الخطفى فأراد قتله فمشى اليه قومه من مضر فقالوا أصلح الله الامير لسان مضر وشاعرها هبه لنا فوهبه لهم (وكانت هند) بنت اسماء زوج الحجاج ممن طالب به فقالت للحجاج أتأذن لجرير على يوما استنشده من وراء حجاب فقال لها نعم فأمرت بمجلس لها فهيئ فجلست فيه والحجاج معها ثم بعثت الى جرير فدخل عليها يسمع كلامها ولا يراها فقالت يا ابن الخطفى أنشدنى ما شببت به فى النساء فقال لها ما شببت بامرأة قط ولا خلق الله شيأ هو ابغض الى من النساء قالت يا عدو الله وأين قولك

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام
تجرى السواك على أغر كأنه * برد تحدر من متون غمام
لو كنت صادقة بما حدثتنا * لوصلت ذاك فكان غير لمام
سرت الهموم فبتن غير نيام * وأخو الهموم يروم كل مرام

قال ما قلت هذا ولكنى أنا الذى أقول

لقد جرد الحجاج للحق سيفه * الا فاستقيموا لا يميلن مائل
وما يستوى داعى الضلالة والهدى * ولا حجة الخصمين حق وباطل

قالت دع عنك هذا فأين قولك

خليلى لا تستغزرا الدمع فى هند * أعيذ كما بالله أن تجدا وجدى
ظمئت الى شرب الشراب وحسنه * كذى قربة يرجو هداها وما يجدى

قال لها ما قلت هذا ولكنى أنا الذى أقول

ومن يأمن الحجاج أما عقابه * فمر وأما عقده فوثيق
يسر لك البغضاء كل منافق * كما كل ذى بر عليك شفيق

قالت دع عنك هذا فأين قولك

يا عاذلى دعا الملامة واقصرا * طال الهوى وأطلتما التفنيدا
انى وجدت ولو أردت زيادة * فى الحب عندى ما وجدت مزيدا

فقال باطل أصلحك الله ولكني أنا الذي أقول

من مبلغ مطلع النفاق عليهم * أم من يسول كسوة الحجاج
أم من يغار على النساء حفيظة * إذ لا يثقن بغيرة الأزواج
هذا ابن يوسف فافهموا وتفهموا * برح الخفاء وليس حيث يفاجي
فلرب ما كث بيعتين تركته * وخضاب لحيته دم الأوداج

فقال الحجاج يا عدو الله تعرض على النساء فقال لا والذي أكرمك أيها الأمير ما فطنت لهذا البيت قبل ساعتي هذه وما علمت بمكانك فأقلني جعلني الله فداك قال قد فعلت فأمرت له عند جارية وكسوة وأوفده الحجاج على عبد الملك ولما انهزم ابن الأشعث بدير الجماجم حلف الحجاج أن لا يؤتى بأسير إلا ضرب عنقه فأتى بأسرى كثيرة وكان أول من أتي به أعشى همدان الشاعر وهو أول من خلع عبد الملك والحجاج بين يدي ابن الأشعث بسجستان فقال له الحجاج إيه أنت القائل

من مبلغ الحجاج أني قد جنيت عليه حربا
ووضعت في كف امرء * جلدا إذا ما الأمر عبا
أنت الرئيس ابن الرئيس وأنت أعلى الناس كعبا
فابعث عطية بالخيو * ل يكبهن عليه كبا
وانهض هديت لعله * يجلي بك الرحمن كربا
نبئت أن بني يو * سف خر من زلق فتبا

وهي أبيات وأنت القائل

شطت نوى من داره الإيوان * إيوان كسرى من قوى الريحان
من عاشق أمسى بزالكسان * إن ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضي وكذاب ثان * أمكن ربي من ثقيف همدان
يوما من الليل يسلي ما كان

وأنت القائل

وسالتما في المجد أين محله * فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأشج وبين قيس باذخ * بخ لوالده وللمولود

قال لا ولكني الذي أقول

أبى الله إلا أن يتم نوره * ويطفي نور الفاسقين فيخمدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله * بما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما أحدثوا من بدعة وضلالة * من القول لم يصعد إلى ذروة العدى

قال لسنا نحمدك على هذا القول إنما قلته تأسفا على أن لا تكون ظفرت وظهرت وتحريضا لأصحابك وليس عن هذا أسألك أخبرني عن قولك

أمكن ربي من ثقيف همدان * يوما من الليل يسلي ما كان

فكيف ترى الله أمكن ثقيفا من همدان ولم يمكن همدان من ثقيف وعن قولك

بين

بين الاشج وبين قيس باذخ * بخ بخ لوالده وللمولود

والله لا تبخبخ لاسد بعدها وأمر به فضربت عنقه ولم يزل يؤتى برجل رجل حتى أتى برجل من بنى عامر وكان من فرسان الجماجم مع ابن الاشعث فقال له والله لاقتلنك شر قتلة قال والله ما ذلك لك قال ولم قال لان الله يقول فى كتابه العزيز فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها وأنت قد قتلت فأثخنت وأسرت فأثخنت فاما أن تمن علينا أو تفدينا عشائرنا فقال له الحجاج أكفرت قال نعم وغيرت وبدلت قال خلوا سبيله ثم أتى برجل من ثقيف فقال له الحجاج أكفرت قال نعم قال الحجاج لكن هذا الذى خلفك لم يكفر وخلفه رجل من السكون قال السكونى أعن نفسى تخادعنى بل والله لو كان شئ أشد من الكفر لبؤت به فخلى سبيلهما فهذه جمل من أخبار عبد الملك والحجاج وقد أتينا على مبسوط هذه الاخبار عما لم نورده فى هذا الكتاب فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط التالى له الذى كتابنا هذا تاليه وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الحجاج لمعا على حسب ما قدمنا من الشرط فيما سلف من هذا الكتاب وبالله العون والقوة

ذكر أيام الوليد بن عبد الملك

بويع الوليد بن عبد الملك بدمشق فى اليوم الذى توفى فيه عبد الملك وتوفى الوليد بدمشق للنصف من جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين فكانت ولايته تسع سنين وثمانية اشهر وليلتين وهلك وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وكان يكنى بأبى العباس

ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان من الحجاج فى أيامه

كان الوليد جبارا عنيدا ظلوما غشوما وخلف من الولد أربعة عشر ذكرا منهم يزيد وعمرو ويسر العالم والعباس وكان يدعى فارس بنى مروان لشهامته فعدل الوليد بالامر عن ولده بعده اتباعا لوصية عبد الملك على حسب ما رتبها وكان نقش خاتمة يا وليد انك ميت فكان كلما هم أن يجعل الامر فى ولده قلب الفص فقرأ انك ميت فيقول لا ها الله لا خالفت فيما أمر به انى لميت وفى سنة تسع وثمانين ابتدأ الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق ومسجد الرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأنفق عليهما الاموال الجليلة وكان المتولى للنفقه على ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وحكى عثمان بن مرة الخولانى قال لما ابتدأ الوليد ببناء مسجد دمشق وجد فى حائط المسجد لوح من حجارة فيه كتابة باليونانية فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته فوجه به الى وهب بن منبه فقال هذا مكتوب فى أيام سليمان بن داود عليهما السلام فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن ادم لو عاينت ما بقى من يسير اجلك لزهدت فيما بقى من طول أملك وقصرت عن رغبتك وحيلك وانما تلقى ندمك اذا زلت بك قدمك واسلمك اهلك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت تدعى فلا تجيب فلا أنت الى أهلك عائد ولا فى عملك زائد فاغتنم الحياة قبل الموت والقوة قبل الفوت وقبل أن يؤخذ منك بالكظم ويحال بينك وبين العمل وكتب

زمن سليمان بن داود فأمر الوليد أن يكتب بالذهب على اللازورد في حائط المسجد ربنا الله لا نعبد الا الله أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين في ذي الحجة سنة سبع وثمانين وهذا الكلام مكتوب بالذهب في مسجد دمشق الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ووفد الحجاج بن يوسف على الوليد فوجده في بعض نزهه فاستقبله فلما رآه ترجل له وقبل يده وجعل يمشي وعليه درع وكنانة وقوس عربية فقال له الوليد اركب يا ابا محمد فقال دعني يا أمير المؤمنين استكثر من الجهاد فان ابن الزبير وابن الاشعث شغلاني عنك فعزم عليه الوليد حتى ركب ودخل الوليد داره وتفضل في غلالة ثم أذن للحجاج فدخل عليه في حاله تلك واطال الجلوس عنده فبينما هو يحادثه اذ جاءت جارية فسارت الوليد ومضت ثم عادت فسارته ثم انصرفت فقال الوليد للحجاج أتدري ما قالت هذه يا أبا محمد قال لا والله قال بعثتها الي ابنة عمي ام البنين بنت عبد العزيز تقول ما مجالستك لهذا الاعرابي المتسلح في السلاح وأنت في غلالة فأرسلت اليها انه الحجاج فراعها ذلك وقالت والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق فقال الحجاج يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك ولا تطمعهن في غير أنفسهن ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن واياك ومشاورتهن في الامور فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن بحجبك ولا تملك الواحدة منهن من الامور ما يجاوز نفسها ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها ولا تطل الجلوس معهن فان ذلك أوفر لعقلك وابين لفضلك ثم نهض الحجاج فخرج ودخل الوليد على ام البنين فأخبرها بمقالة الحجاج فقالت يا أمير المؤمنين أحب أن تأمره غدا بالتسليم علي فقال أفعل فلما غدا الحجاج على الوليد قال له يا أبا محمد سر الى أم البنين فسلم عليها فقال أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين فقال لا بد من ذلك فمضى الحجاج اليها فحجبته طويلا ثم أذنت له فاقرته قائما ولم تأذن له في الجلوس ثم قالت ايه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الاشعث أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة ولا بقتل ابن ذات النطاقين وأول مولود ولد في الاسلام وأما ابن الاشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بأمير المؤمنين عبد الملك فأغاثك أهل الشأم وأنت في أضيق من القرن فأظلتك رماحهم وانجاك كفاحهم ولولا ذلك لكنت أذل من النقد وأما ما اشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فان كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فما أحقه بالاخذ عنك والقبول منك وان كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فانه غير قابل منك ولا مصغ الى نصيحتك قاتل الله الشاعر وقد نظر اليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك حيث يقول

أسد علي وفي الحروب نعامة * فزعاء يفزع من صفير الصافر

هلا برزت الى غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جناحي طائر

أخرجنه عني فدخل الى الوليد من فوره فقال يا أبا محمد ما كنت فيه فقال والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الارض أحب الي من ظاهرها فضحك الوليد حتى فحص

برجله ثم قال يا أبا محمد انها بنت عبد العزيز ولأم البنين هذه أخبار كثيرة في الجود وغيره وقد أتينا على ذكرها في غير هذا الكتاب وفي سنة خمس وتسعين قبض علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في ملك الوليد ودفن بالمدينة في بقيع الغرقد مع عمه الحسن بن علي وهو ابن سبع وخمسين سنة ويقال انه قبض سنة أربع وتسعين وكان عقب الحسين من علي بن الحسين وهو السجاد على ما ذكرنا وذو الثفنات وزين العابدين (وذكر المدايني) قال دخل الوليد على أبيه عبد الملك عند وفاته فجعل يبكي عليه وقال كيف أصبح أمير المؤمنين فقال عبد الملك

ومشتغل عنا يريد بنا الردى * ومستعبرات والعيون سواجم

أشار بالمصراع الاول الى الوليد ثم حول وجهه عنه وأشار بالمصراع الثاني الى نسائه وهن المستعبرات (وذكر العتبي) وغيره من الأخباريين أن عبد الملك لما سأله الوليد عن خبره وهو يجود بنفسه أنشأ يقول

كم عائد رجلا وليس يعوده * الا لينظر هل يراه يموت

وقيل ان عبد الملك نظر الى الوليد وهو يبكي عليه عند رأسه فقال يا هذا أحنين الحمامة اذا أنا مت فشمر واتزر والبس جلد نمر وضع سيفك على عاتقك فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه ومن سكت مات بدائه ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا فقال ان طويلك لقصير وان كثيرك لقليل وان كنا منك لفي غرور ثم أقبل على جميع ولده فقال أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية فالتقوى خير زاد وافضل في المعاد وهي أحصن كهف وليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير مع سلامة الصدور والأخذ بجميل الامور واياكم والبغي والتحاسد فبهما هلك الملوك الماضين وذوو العز المكين يا بني أخوكم مسلمة نابكم الذي تفترون عنه ومجنكم الذي تستجنون به اصدروا عن رأيه وأكرموا الحجاج فانه الذي وطأ لكم هذا الامر كونوا أولادا أبرارا وفي الحروب أحرارا وللمعروف منارا وعليكم السلام وسأله بعض شيوخ بني امية وقد فرغ من وصية أولاده هذه كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال كما قال الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الى قوله ما كنتم تزعمون فكان هذا آخر كلام سمع منه فلما قضى سجاه الوليد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لم أر مثلها مصيبة ولا مثلها نعمة فقدت الخليفة وتقلدت الخلافة فانا لله وانا اليه راجعون على المصيبة والحمد لله رب العالمين على النعمة ثم دعا الناس الى بيعته فبايعوا ولم يختلف عليه أحد ومات في أيام الوليد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وذلك في سنة سبع وثمانين وكان جوادا كريما وذكر أن سائلا وقف عليه فقال تصدق بما رزقك الله فاني نبئت أن عبيد الله بن العباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر اليه فقال وأين أنا من عبيد الله قال له أين أنت في الحسب أو في كثرة المال قال فيهما جميعا قال ان الحسب في الرجل مروءته وحسن فعله فاذا فعلت ذلك كنت حسيبا فأعطاه ألفي درهم واعتذر اليه فقال له السائل ان لم تكن عبيد الله فأنت خير منه وان كنت هو فأنت اليوم خير منك أمس فأعطاه ألفا أيضا فقال

لقد كنت عبيد الله انك لا سمح أهل دهرك وما اشك الامن وخط فيهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسألك بالله أنت هو قال نعم قال والله ما أخطأت الا باعتراض الشك بين حواجبي والا فهذه الصورة الجميلة والهيئة المنيرة لا تكون الا في نبي أو عترة نبي وذكر أن معاوية وصله بخمسمائة ألف درهم ثم وجه له من يتعرف له خبره فانصرف اليه فاعلمه أنه قسمها في جاره واخوانه حصصا بالسوية وأبقى لنفسه مثل نصيب أحدهم فقال معاوية ان ذلك ليسوءني ويسرني فأما الذي يسرني فان عبد مناف والده وأما الذي يسوءني فقرابته من أبي تراب (قال المسعودي) وقد قدمنا خبر مقتل ابني عبيد الله فيما سلف من هذا الكتاب وهما عبد الرحمن وقثم ومارثتهما به أمهما ام حكيم جويرية بنت قارظ بن خالد الكنانية وقد كان عبيد الله بن العباس دخل يوما على معاوية وعنده قاتلهما بشر بن أرطاة العامري فقال له عبيد الله أيها الشيخ أنت قاتل الصبيين قال نعم قال والله لوددت أن الارض انبتتني عندك يومئذ فقال له بشر فقد انبتتك الساعة فقال عبيد الله ألا سيف فقال بشر هاك سيفي فلما هوى عبيد الله الى السيف ليتناوله قبض معاوية ومن حضره على يد عبيد الله قبل أن يقبض على السيف ثم أقبل معاوية على بشر فقال أخزاك الله من شيخ قد كبرت وذهل عقلك تعمد الى رجل موتور من بني هاشم فتدفع اليه سيفك انك لغافل عن قلوب بني هاشم والله لو تمكن من السيف لبدأ بنا قبلك قال عبيد الله ذلك والله أردت (وكان علي عليه السلام) حين أتاه خبر قتل بشر لابني عبيد الله قثم وعبد الرحمن دعا على بشر فقال اللهم اسلبه دينه وعقله فخرف الشيخ حتى ذهل عقله واشتهر بالسيف فكان لا يفارقه فجعل له سيف من خشب وجعل في يديه زق منفوخ كلما تخرق ابدل فلم يزل يضرب ذلك الزق بذلك السيف حتى مات ذاهل العقل يلعب بخرئه وربما كان يتناول منه ثم يقبل على من يراه فيقول انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ابنا عبيد الله وكان ربما شدت يداه الى وراء منعا من ذلك فأنجى ذات يوم في مكانه ثم أهوى بفيه فتناول منه فبادروا الى منعه فقال أنتم تمنعوني وعبد الرحمن وقثم يطعماني ومات بشر في أيام الوليد ابن عبد الملك سنة ست وثمانين وفيها مات عبيد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي وعتبة مهاجر وهو اخو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن مخزوم بن صبح بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وكانت الرياسة في الجاهلية في صبح بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل وكان ولد عبيد الله ابن عتبة عبيد الله من كبار أهل العلم ذكر ابن أبي خيثمة قال سمعت ابن الاصبهاني يقول قال سفيان قال الزهري كنت أظن اني نلت من العلم حتى جالست عبيد الله بن عبد الله فكأنما هو البحر وفي سنة أربع وتسعين قتل الحجاج سعيد بن جبير فذكر عون ابن أبي راشد العبدي قال لما ظفر الحجاج بسعيد بن جبير وأوصل اليه قال له ما اسمك قال اسمي سعيد بن جبير قال بل شقي بن كسير قال أبي كان أعلم باسمي منك قال لقد شقيت وشقي أبوك قال له الغيب انما يعلمه غيرك قال لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى قال لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت الها غيرك قال فما قولك في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال

فاختر اى قتلة تريد أن أقتلك قال بل اختر يا شقى لنفسك فوالله ما تقتلنى اليوم بقتلة الا قتلتك فى الآخرة بمثلها فأمر به الحجاج فأخرج ليقتل فلما ولى ضحك فأمر الحجاج برده وسأله عن ضحكه فقال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك فأمر به فذبح فلما كب لوجهه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الحجاج غير مؤمن بالله ثم قال اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدى فذبح واحتز رأسه ولم يعش الحجاج بعده الا خمس عشرة ليلة حتى وقعت فى جوفه الآكلة فمات من ذلك ويروى انه كان يقول بعد قتل سعيد ياقوم مالى ولسعيد بن جبير كلما عزمت على النوم أخذ بحلقى واشتكى الوليد فبلغه عن اخيه سليمان تمنى لموته لماله من العهد بعده فكتب اليه الوليد يعتب عليه الذى بلغه وكتب فى كتابه هذه الأبيات

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد
لعل الذى يرجو فناءى ويدعى * به قبل موتى أن يكون هو الردى
فما موت من قد مات قبل بضائرى * ولا عيش من قد عاش بعدى بمخلد
فقل للذى يرجو خلاف الذى مضى * تزود لأخرى غيرها فكأن قد
منيته تجرى لوقت وحتفه * سيلحقه يوما على غير موعد

فأجابه سليمان فهمت ما قال أمير المؤمنين ووالله لئن كنت تمنيت ذلك لما يخطر بالبال انى لاحق به ومنعى الى أهله فعلام أتمنى زوال مدة لا يلبث متمنيها الا بقدر ما تحل السفر بمنزل ثم يظعنون عنه وقد بلغ أمير المؤمنين ما لم يظهر من لفظى ولا يرى من لحظى ومتى سمع أمير المؤمنين من أهل النميمة ومن ليست له روية أوشك أن يسرع فى فساد النيات ويقطع بين ذوى الارحام والقرابات وكتب فى اسفل الكتاب

ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

فكتب اليه الوليد ما أحسن ما اعتذرت به وحذوت عليه وأنت الصادق فى المقال والكامل فى الفعال وما شئ أشبه بك من اعتذارك ولا ابعد مما قيل فيك والسلام وكان الوليد محسنا على اخوته مراعيا لما أمر أوصاه به عبد الملك وكان كثير الانشاد لأبيات قالها عبد الملك حين كتب وصيته منها

انفوا الضغائن عنكم وعليكم * عند المغيب وفى حضور المشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم * أن مد فى عمرى وان لم يمدد
فلمثل ريب الدهر ألف بينكم * بتواصل وترحم وتودد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم * بمسود منكم وغير مسود
ان القداح اذا اجتمعن فرامها * بالكسر ذو حنق وبطش باليد
عزت فلم تكسر وان هى بددت * فالوهن والتكسير للمتبدد

وكان عبد الملك مواظبا على حث أولاده على اصطناع المعروف وبعثهم على مكارم الاخلاق وقال لهم يا بنى عبد الملك أحسابكم صونوها ببذل أموالكم فما يبالى رجل ما قيل

فيه من الهجو بعد قول الاعشى

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وما يبالى قوم ما قيل فيهم من المدح بعد قول زهير

على مكثريهم حق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

حدث عبد الله بن اسحاق بن سلام عن محمد بن حبيب قال صعد الوليد المنبر فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا قيل البيعة فأمر بهدمها وتولى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب اليه الأخرم ملك الروم أن هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك فان يكونوا أصابوا فقد أخطأت وان تكن أصبت فقد أخطأوا فقال من يجيبه فقال الفرزدق يكتب اليه وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ومات الحجاج فى سنة خمس وتسعين وهو ابن أربع وخمسين سنة بواسط العراق وكان تأمره على الناس عشرين سنة وأحصى من قتله صبرا سوى من قتل فى عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفا ومات وفى حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهن ستة عشر ألفا مجردة وكان يحبس النساء والرجال فى موضع واحد ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس فى الصيف ولا من المطر والبرد فى الشتاء وكان له غير ذلك من العذاب ما أتينا على وصفه فى الكتاب الاوسط وذكر انه ركب يوما يريد الجمعة فسمع ضجة فقال ما هذا فقيل له المحبوسون يضجون ويشكون ماهم فيه من البلاء فالتفت الى ناحيتهم وقال اخسأوا فيها ولا تكلمون فيقال أنه مات فى تلك الجمعة ولم يركب بعد تلك الركبة (قال المسعودى) ووجدت فى كتاب عنوان البلاغات مما اختير من كلام الحجاج قوله ماسلبت نعمة الا بكفرها ولا نمت الا بشكرها وقد كان الحجاج تزوج الى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب حين أملق عبد الله وافتقر وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان الخبر فى ذلك وتهنئة ابن القرية الحجاج بذلك وقد كان عبد الله بن جعفر بن أبى طالب من الجود بالموضع المعروف والمقال المشهور لما تقدم ذكره وقد كان سمع يوم الجمعة فى المسجد الجامع وهو يقول اللهم انك عودتنى عادة فعودتها عبادك فان قطعتها عنى فلا تبقنى فمات فى تلك الجمعة وذلك فى أيام عبد الملك بن مروان وصلى عليه أبان بن عثمان بمكة وقيل بالمدينة وهى السنة التى كان بها السيل الجحاف الذى بلغ الركن وذهب بكثير من الحجاج وفى هذه السنة كان الطاعون العام بالعراق والشام ومصر والجزيرة والحجاز وهى سنة ثمانين وقبض عبد الله بن جعفر وهو ابن سبع وستين وولد بالحبشة حين هاجر جعفر الى هنالك وقيل ان مولده كان فى السنة التى قبض فيها النبى صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك وذكر المبرد والمداينى والعتبى وغيرهم من الاخباريين أن عبد الله عوتب على كثرة افضاله فقال ان الله تعالى عودنى أن يفضل على وعودته أن أفضل على عباده فأكره أن أقطع العادة عنهم فيقطع العادة عنى ووفد عبد الله على معاوية بدمشق فعلم به عمرو بن العاص قبل دخوله دمشق أخبره بذلك مولى له كان قد سار مع ابن جعفر من الحجاز فتقدمه بمرحلتين الى دمشق فدخل عمرو على معاوية وعنده جماعة من قريش من بنى هاشم وغيرهم منهم عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب فقال عمرو قد أتاكم رجل كثير الخلوات

بالتقى والطرقات بالتعسف آخذ للسلف منقاد بالسرف فغضب عبد الله بن الحارث وقال لعمرو كذبت وأهل ذلك أنت ليس عبد الله كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولبلائه شكور وللخنا نفور ماجد مهذب كريم سيد حليم اذا بدأ أصاب وان سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا فحاش ولا سباب كالهزبر الضرغام الجريء المقدام والسيف الصمصام والحسيب القمقام وليس كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جوارها فاصبح ألأمها حسبا وأدناها منصبا يلوذ منها بذليل ويأوي الى قليل ليت شعري بأي حسب تتناول أو بأي قدم تتعرض غير انك تعلو بغير اركانك وتتكلم بغير لسانك ولقد كان أبر في الحكم وابين في الفضل أن يكفك ابن أبي سفيان عن ولوعك بأعراض قريش وان يكممك كعام الضبع في وجارها فلست لأعراضها بوفي ولا لأحسابها بكفي وقد أتيح لك ضيغم شرس للاقران مختلس وللارواح مفترس فهم عمرو أن يتكلم فمنعه معاوية من ذلك وقال عبد الله ابن الحارث لا يبقى المرء الا على نفسه والله ان لساني لحديد وان جوابي لعتيد وان قولي لسديد وان أنصاري لشهود فقام معاوية وتفرق القوم ولعبد الله بن جعفر بن أبي طالب أخبار حسان في الجود والكرم وغير ذلك من المناقب وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما كان تزوج الحجاج اليه يتذلل بذلك الى أبي طالب وكتب الحجاج الى عبد الملك يغلظ له أمر الخوارج مع قطري فكتب اليه أما بعد فاني أحمد اليك السيف وأوصيك بما أوصى به البكري زيدا فلم يفهم الحجاج ما عناه عبد الملك وقال من جاء بتفسير ما أوصى به البكري زيدا فله عشرة آلاف درهم فورد رجل من الحجاز يتظلم من بعض عماله فقيل له أتعلم ما أوصى به البكري زيدا قال نعم قال فأت الحجاج به ولك عشرة آلاف درهم فأتاه فاحضرت فقال أوصاه بأن قال

اقول لزيد لا تبرّ فانهم * يرون المنايا دون قتلك أو قتلي
فان وضعوا حربا فضعها وان أبوا * فشب وقود الحرب بالحطب الجزل
وان عضت الحرب الضروس بنابها * فعرضة حد السيف مثلك أو مثلي

فقال الحجاج صدق أمير المؤمنين وصدق البكري وكتب الى المهلب ان أمير المؤمنين أوصاني بما أوصى به البكري زيدا وأنا أوصيك به وبما أوصى به الحارث بن كعب بنيه فأتى المهلب بوصيته فاذا فيها يا بني كونوا جميعا ولا تكونوا اشتى فتفرقوا وبزوا قبل أن تبزوا فموت في قوة وعز خير من ذل وعجز فقال المهلب صدق البكري والحارث بن كعب وكتب عبد الملك الى الحجاج جنبني دماء آل أبي طالب فاني رأيت الموت استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم فكان الحجاج يتجنبها خوفا من زوال الملك عنهم لا خوفا من الخالق عز وجل ودخلت ليلى الاخيلية على الحجاج فقالت أصلح الله الامير اتيت لاخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد قال فاخبريني عن الارض قالت مقشعرة والفجاج مغبرة والمقتر مغل وذو الغنى مجل والبائس مقل والناس مسنتون رحمة الله يرجون قال أي النساء تختارين تنزلين عندها قالت سمهن لي قال عندي هند بنت المهلب وهند بنت اسماء بن خارجة فاختارتها فدخلت عليها فصبت حليها عليها حتى اثقلتها لاختيارها اياها ودخولها عليها دون

من سواها (حدثنا) المنقرى قال حدثنا العتبى عن أبيه قال قدم على الحجاج ابن عم له من البادية فنظر اليه يولى الناس فقال له أيها الامير لم لا توليني بعض هذا الحضر فقال الحجاج هؤلاء يكتبون ويحسبون وأنت لا تحسب ولا تكتب فغضب الاعرابي وقال بلى انى والله لأحسب منهم حسبا واكتب منهم كتبا فقال له الحجاج فان كان كما تزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة انفس فما زال يقول ثلاثة دراهم بين أربعة ثلاثة بين أربعة لكل واحد منهم درهم يبقى الرابع بلا شئ كم هم أيها الامير قال هم أربعة قال نعم أيها الامير قد وقفت على الحساب لكل واحد منهم درهم وانا أعطى الرابع منهم درهما من عندى وضرب بيده الى تكته فاستخرج منها درهما وقال أيكم الرابع فلاها الله ما رأيت كاليوم زورا مثل حساب هؤلاء الحضر بين فضحك الحجاج ومن معه فذهب بهم الضحك كل مذهب ثم قال الحجاج ان أهل أصبهان كسروا خراجهم ثلاث سنين كلما أتاهم وال عجزوه فلأرمينهم ببدوية هذا وعجهيته فأخلق به أن يجب فكتب له عهده على أصبهان فلما خرج استقبله أهل أصبهان واستبشروا به واقبلوا عليه يقبلون يده ورجله وقد استغمروه وقالوا أعرابى بدوى ما يكون منه فلما أكثروا عليه قال أعنوا على أنفسكم وتقبيلكم أطرافى وأحروا عن هذه الهيئات أما يشغلكم ما أخرجنى له الامير فلما استقر فى داره باصبهان جمع أهلها فقال مالكم تعصون ربكم وتغضبون أميركم وتنقصون خراجكم فقال قائلهم بجور من كان قبلك وظلم من ظلم قال فما الامر الذى فيه صلاحكم فقالوا تؤخرنا بالخراج ثمانية أشهر ونجمعه لك قال لكم عشرة وتأتونى بعشرة ضمناء يضمنون فأتوه بهم فلما توثق منهم أمهلهم فلما قرب الوقت رآهم غير مكترثين لما ندبوا من الاجل فقال لهم فلم ينتفع بقوله فلما طال به ذلك جمع الضمناء وقال لهم المال فقالوا اصابنا من الآفة ما نقض ذلك فلما رأى ذلك منهم آلى أن لا يفطر وكان فى شهر رمضان حتى يجمع ماله أو يضرب أعناقهم ثم قدم أحدهم فضرب عنقه وكتب عليه فلان ابن فلان أدى ما عليه وجعل رأسه فى بدرة وختم عليها ثم قدم الثانى ففعل به مثل ذلك فلما رأى القوم الرؤس تبذر وتجعل فى الاكياس بدلا من البدر قالوا أيها الامير توقف علينا حتى نحضر لك المال ففعل فاحضروه فى أسرع وقت فبلغ ذلك الحجاج فقال انا معاشر آل محمد يعنى جده ولدنا نجيب فكيف رأيتم فراستى فى الاعرابى ولم يزل عليها واليا حتى مات الحجاج وحبس الحجاج ابراهيم التميمى بواسط فلما دخل السجن وقف على مكان مشرف ونادى بأعلى صوته يا أهل بلاء الله فى عافيته ويا أهل عافية الله فى بلائه اصبروا فنادوه جميعا لبيك لبيك ومات فى حبس الحجاج وانما كان الحجاج طلب ابراهيم النخعى فنجا ووقع ابراهيم التميمى (وحكى) عن الاعمش قال قلت لابراهيم النخعى أين كنت حين طلبك الحجاج فقال بحيث يقول الشاعر

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى * وصوّت انسان فكدت أطير

حدثنا الدمشقى الاموى أحمد بن سعيد وغيره عن الزبير بن بكار عن محمد بن سلام الجمحى وحدثنا الفضل ابن الحباب الجمحى عن محمد بن سلام قال سأل الحجاج ابن القرية أى النساء

أحد قال التي في بطنها غلام وفي حجرها غلام ويسعى لها مع الغلمان غلام قال فأي النساء شر قال الشديدة الاذى الكثيرة الشكوى المخالفة لما تهوى فقال أي النساء أعجب اليك قال الشقاء العطبول المتعانج الكسول التي لم يشنها قصر ولا طول قال فأي النساء أبغض اليك قال الرعينة القصيرة الباهق الشرّيرة قال فأخبرني عن أفضل النساء قال الغضة البضة التي اعلاها قضيب واسفلها كثيب العيباء البورهاء التي لم تذهب طولا في انحطاط ولا تلحق قصرا في افراط الجعدة الغدائر الجشعة الظفائر الضخمة المآكم الطفلة البراجم اذا رأيت أناملها شبهتها بالمداري واذا قامت خلتها سارية من السواري فتلك تهيج المشتاق وتقضي العاشق بالعناق (قال المسعودي) وللوليد بن عبد الملك أخبار حسان لما كان في أيامه من الكوائن والحروب وكذلك الحجاج وقد أتينا على كثير من مبسوطها في كتابينا أخبار الزمان والأوسط وانما نذكر في هذا الكتاب مالم نورده في ذينك الكتابين كما أن ماذكرناه في الكتاب الاوسط لم نورده في كتاب أخبار الزمان والله اعلم

ذكر أيام سليمان بن عبد الملك

بويع سليمان بن عبد الملك بدمشق في اليوم الذي كانت فيه وفاة الوليد وذلك يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة وتوفي سليمان بمرج دابق من أعمال جبل قنسرين يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال وهلك وهو ابن تسع وثلاثين سنة وعهد الى عمر بن عبد العزيز وقيل ان وفاة سليمان كانت يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وان ولايته سنتان وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما على حسب ماوجدنا من تباين ما في كتب التواريخ والسير وسنذكر جمل أيامهم في باب نفرده فيما يرد من هذا الكتاب وقد تنوزع في مقدار سن سليمان فذكر بعضهم انه قبض وهو ابن خمس وأربعين ومنهم من زعم انه كان ابن ثلاث وخمسين وقد قدمنا قول من قال انه قبض وهو ابن تسع وثلاثين ووجدت أكثر شيوخ بني مروان من ولده وولد غيره بدمشق وغيرها يذهبون الى انه كان ابن تسع وثلاثين والله أعلم

ذكر لمع من أخباره وسيره

لما أفضى الامر الى سليمان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال الحمد لله الذي ماشاء صنع وماشاء أعطى وماشاء منع وماشاء رفع وماشاء وضع أيها الناس ان الدنيا غرور وباطل وزينة وتقلب بأهلها تضحك باكيا وتبكي ضاحكها وتخيف آمنها وتؤمن خائفها وتثري فقيرها وتفقر مثريها ميالة بأهلها عباد الله اتخذوا كتاب الله اماما وارضوا به حكما واجعلوه لكم هاديا ودليلا فانه ناسخ ما قبله ولا ينسخه مابعده واعلموا عباد الله أنه ينفي عنكم كيد الشيطان ومطامعه كما يجلو ضوء الشمس الصبح اذا أسفر وادبار الليل اذا عسعس ثم نزل وأذن للناس بالدخول عليه وأقر عمال من كان قبله على أعمالهم وأقر خالد بن عبد الله القسري على مكة وقد كان خالد أحدث بمكة أحداثا منها أنه أدار

الصفوف حول الكعبة وقد كان قبل ذلك صفوف الناس فى الصلاة بخلاف ذلك ويقال فيه قول الشاعر

ياحبذا الموسم من موقف * وحبذا الكعبة من مسجد
وحبذا اللاتى تزاحمننا * عند استلام الحجر الأسود

فقال خالد أما انهن لا يزاحمنك بعدها ابدا ثم أمر بالتفريق بين الرجال والنساء فى الطواف وكان سليمان صاحب أكل كثير يجوز المقدار وكان يلبس الثياب الرقاق وثياب الوشى وفى أيامه عمل الوشى الجيد باليمن والكوفة والاسكندرية ولبس الناس جميعا الوشى جبابا واردية وسراويل وعمائم وقلانس وكان لا يدخل عليه رجل من أهل بيته الا فى الوشى وكذلك عماله وأصحابه ومن فى داره وكان لباسه فى ركوبه وجلوسه وعلى المنبر وكان لا يدخل عليه أحد من خدامه الا فى الوشى حتى الطباخ فانه كان يدخل اليه فى صدرة وشى وعلى رأسه طويلة وشى وأمر أن يكفن فى الوشى المثقلة وكان شبعه فى كل يوم من الطعام مائة رطل بالعراقى وكان ربما أتاه الطباخون بالسفافيد التى فيها الدجاج المشوية وعليه الوشى المثقلة فلنهمه وحرصه على الأكل يدخل يده فى كمه حتى يقبض على الدجاجة وهى حارة فيفصلها وذكر الاصمعى قال ذكرت للرشيد نهم سليمان وتناوله الفراريج بكمه من السفافيد فقال قاتلك الله فما أعلمك بأخبارهم انه عرضت على جباب بنى أمية فنظرت الى جباب سليمان واذا كل جبة منها فى كمها أثر دهن فلم أدر ما ذلك حتى حدثتنى بالحديث ثم قال على بجباب سليمان فأتى بها فنظرنا فاذا تلك الآثار فيها ظاهرة فكسانى منها جبة فكان الاصمعى ربما يخرج أحيانا فيها فيقول هذه جبة سليمان التى كسانيها الرشيد وذكر أن سليمان خرج من الحمام ذات يوم وقد اشتد جوعه فاستعجل الطعام ولم يكن فرغ منه فأمر أن يقدم ما لحق من الشواء فقدم اليه عشرون خروفا فأكل أجوافها كلها مع أربعين رقاقة ثم قرب بعد ذلك الطعام فأكل مع ندمائه كأنه لم يأكل شيأ وحكى أنه كان يتخذ سلال الحلوى ويجعل ذلك حول مرقده فكان اذا قام من نومه يمد يده فلا تقع الا على سلة يأكل منها (حدث) المنقرى عن العتبى عن اسحاق بن ابراهيم بن الصباح بن مروان وكان مولى لبنى امية من أرض البلقاء من أعمال دمشق وكان حافظا لأخبار بنى أمية قال لبس سليمان يوم الجمعة فى ولايته لباسا شهر به وتعطر ودعا بتخت فيه عمائم وبيده مرآة فلم يزل يعتم بواحدة بعد أخرى حتى رضى منها بواحدة فأرخى من سدولها وأخذ بيده مخصرة وعلا المنبر ناظرا فى عطفيه وجمع جمعه وخطب خطبته التى أرادها فأعجبته نفسه فقال انا الملك الشاب السيد المهاب الكريم الوهاب فتمثلت له جارية من بعض جواريه كان يتحظاها فقال لها كيف ترين أمير المؤمنين قالت اراه منى النفس وقرة العين لولا ما قال الشاعر قال وما قال الشاعر قالت قال

انت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للانسان
انت من لا يريبنا منك شئ * علم الله غير انك فانى
ليس فيما بدا لنا منك عيب * ياسليمان غير انك فان

قوله فانى كذا فى النسخ وفيه مع ما قبله الايطاء

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بالجارية فقال لها ما دعاك الى ما قلت لأمير المؤمنين قالت والله ما رأيت أمير المؤمنين اليوم ولا دخلت عليه فأكبر ذلك ودعا بقيمة جواريه فصدقتها فى قولها فراع ذلك سليمان ولم ينتفع بنفسه ولم يمكث بعد ذلك الامدة حتى توفى وكان سليمان يقول قد أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره ولم يبق لذة الاصديق أطرح معه فيما بينى وبينه مؤنة التحفظ ودخل عليه يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج والمستولى عليه وهو مكبل بالحديد فلما رآه ازدراه فقال ما رأيت كاليوم قط لعن الله رجلا أجرلك رسنه وحكمك فى أمره فقال له يزيد لا تفعل يا أمير المؤمنين فانك رأيتنى والأمر عنى مدبر وعليك مقبل ولو رأيتنى والأمر مقبل على لاستعظمت منى ما استصغرت ولاستجللت منى ما استحقرت قال صدقت فاجلس لا أم لك فلما استقر به المجلس قال له سليمان عزمت عليك لتخبرنى عن الحجاج ما ظنك به أتراه يهوى بعد فى جهنم ام قد استقر فيها قال يا أمير المؤمنين لا تقل هذا فى الحجاج فقد بذل لكم نصحه وأحقن دونكم دمه وأمن وليكم واخاف عدوكم وانه يوم القيامة لعن يمين أبيك عبد الملك ويسار أخيك الوليد فاجعله حيث شئت فصاح سليمان اخرج عنى الى لعنة الله ثم التفت الى جلسائه فقال قبحه الله ما كان أحسن ترتيبه لنفسه ولصاحبه ولقد أحسن المكافأة أطلقوا سبيله (ودخل) عليه أبو حازم الاعرج فقال يا أبا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم فانتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال فأخبرنى كيف القدوم على الله قال أما المحسن فكالغائب يأتى أهله مسرورا وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتى مولاه محزونا قال فأى الاعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى القول أعدل قال كلمة حق عند من تخاف وترجو قال فأى الناس أعقل قال من عمل بطاعة الله قال فأى الناس أجهل قال من باع آخرته بدنيا غيره قال عظنى وأوجز قال يا أمير المؤمنين نزه ربك وعظمه بحيث أن يراك تجتنب ما نهاك عنه أو يفقدك من حيث أمرك به فبكى سليمان بكاء شديدا فقال له بعض جلسائه أسرفت ويحك على أمير المؤمنين فقال له أبو حازم اسكت فان الله عز وجل أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج فلما صار الى منزله بعث اليه سليمان بمال فرده وقال للرسول قل له والله يا أمير المؤمنين ما ارضاه لك فكيف ارضاه لنفسى وذكر اسحاق ابن ابراهيم الموصلى قال حدثنى الاصمعى عن شيخ من المهالبة قال دخل اعرابى على سليمان فقال له يا أمير المؤمنين انى أريد أن أكلمك بكلام فافهمه فقال له سليمان انا نجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه وأرجو أن تكون الناصح جيبا المأمون غيبا فهات قال يا أمير المؤمنين أما اذا أمنت بادرة غضبك فسأطلق لسانى بما خرست به الالسن من عظمتك تأدية لحق الله وحق أمانتك يا أمير المؤمنين انه قد تكنفك رجال أساءوا الاحسان لانفسهم ابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم على ما يأمنك الله عليه فانهم لم يأتوا الا ما فيه تضييع وللامة خسف وعسف وأنت مسئول عما اجترموا وليسوا مسئولين عما اجترمت

فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا بائع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان أما أنت يا اعرابي فقد سللت لسانك وهو أقطع من سيفك فقال أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك فقال سليمان أما وأبيك يا اعرابي لا تزال العرب بسلطاننا الا كتناف العز متبوئة ولا تزال أيام دولتنا بكل خير مقبلة ولين ساسكم ولا تغيرنا الصمد منا ما أصبحتم تذمون فقال الاعرابي أما اذا رجع الامر الى ولد العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه ووارث ما جعله الله له أهلا فلا فتغافل سليمان كأن لم يسمع شيأ وخرج الاعرابي فكان آخر العهد به هذا الخبر اخبرني به بعض شيوخ ولد العباس بمدينة السلام مدينة أبي جعفر المنصور وهو ابن بريهة المنصوري عن أبيه عن علي بن جعفر النوفلي عن أبيه وذلك في سنة ثلثمائة وذكر معاوية بن أبي سفيان في مجلس سليمان فصلى على روحه وأرواح من سلف من آبائه وقال كان والله هزله جدا وجده علما والله ما روى مثل معاوية كان والله غضبه حلما وحلمه حكما وقيل ان هذا الكلام لعبد الملك وكتب سليمان الى خالد بن عبد الله القسري وهو على العراق في رجل استجار به من قريش وكان هرب من خالد ان لا يعرض له فأتاه بالكتاب فلم يفضه حتى ضربه مائة سوط ثم قرأه فقال هذه نقمة اراد الله أن ينتقم بها منك لتركي قراءة الكتاب ولو كنت قرأته لانفذت ما فيه فخرج القرشي راجعا الى سليمان فسأله الفرزدق وأناس ممن كان بالباب عما صنع خالد فأخبرهم فقال الفرزدق في ذلك

سلوا خالد الاقدس الله خالدا * متى وليت قسر قريشا تدينها
أقبل رسول الله أم بعد عهده * فاضحت قريش قد أغث سمينها
رجونا هداه لاهدى الله سعيه * وما أمه بالام يهدى جنينها

فلما بلغ سليمان ذلك وجه الى خالد من ضربه مائة سوط فقال الفرزدق في ذلك من أبيات

لعمري لقد صبت على ظهر خالد * شآبيب ليست من سحاب ولا قطر
اتضرب في العصيان من ليس عاصيا * وتعصى أمير المؤمنين أخا قسر
فلولا يزيد بن المهلب حلقت * بكفك فتخاء الى الفرخ في الوكر
لعمري لقد سار ابن سيبة سيرة * أرتك نجوم الليل مظهرة تجرى
نفذ بيديك الخزى حقا فانما * جزيت قصاصا بالمرجرجة السمر

وقال سليمان لعمر بن عبد العزيز يوما وقد أعجبه سلطانه كيف ترى ما نحن فيه قال سرور لولا أنه غرور وحياة لولا أنه موت وملك لولا أنه هلك وحسن لولا أنه حزن ونعيم لولا أنه عذاب اليم فبكى سليمان من كلامه وكان سليمان بخلاف الوليد وعلى الضد منه في الفصاحة والبلاغة وقد كان الوليد أفسد في أرض لعبد الله بن يزيد بن معاوية فشكا ذلك أخوه خالد ابن يزيد الى عبد الملك فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها الآية فقال له خالد واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها الآية فقال عبد الملك أفي عبد الله يتكلم وبالامس دخل علي فغير في لسانه ولحن في كلامه فقال أفعلي الوليد يقول قال أن كان الوليد يلحن فسليمان أخوه قال خالد وان كان عبد الله لحانا فأخوه خالد فقال الوليد اتتكلم ولست في العير ولا في النفير قال خالد ألم تسمع ما يقول أمير المؤمنين أنا والله ابن العير والنفير

ولو

ولو قلت بجبلات وعتبات والطائف قلنا صدقت اراد بذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن أبي العاص الى الطائف فصار راعيا حتى رده عثمان وغضب سليمان على خالد القسرى فلما دخل عليه قال يا أمير المؤمنين أن القدرة تذهب الحفيظة وانك تجل عن العقوبة فان تعف فأهل لذلك أنت وان تعاقب فأهل ذلك أنا فعفى عنه وذكر رجل فى مجلس سليمان الكلام فقال سليمان انه من تكلم فأحسن قدر على أن يصمت فيحسن ووقف سليمان على قبر ولده أيوب وبه كان يكنى فقال اللهم انى أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجاءى وأمن خوفى (قال المسعودى) ولما دفن سليمان سمع بعض كتابه وهو يقول أبيا تامنها

وما سالم عما قليل بسالم * وان كثرت أحراسه وكتائبه
ومن يك ذا بأس شديد ومنعة * فعما قليل يهجر الباب حاجبه
ويصبح بعد الحجب للناس مقصيا * رهينة بيت لم تستر جوانبه
فما كان الا الدفن حتى تفرقت * الى غيره أحراسه ومواكبه
وأصبح مسرور أبه كل كاشح * وأسلمه أحبابه وأقاربه
فنفسك أكسبها السعادة جاهدا * فكل امرئ رهن بما هو كاسبه

(قال المسعودى) ولسليمان أخبار حسان لما كان فى مدة ملكه من الكوائن وقد أتينا على مبسوط ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والأوسط وانما ذكرنا فى هذا الكتاب لمعا طلبا للايجاز وميلا الى الاختصار وبالله التوفيق

(ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم)

واستخلف عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين وهو اليوم الذى مات فيه سليمان وتوفى بدير سمعان من أعمال حمص مما يلى بلاد قنسرين يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام وقبض وهو ابن تسع وثلاثين سنة وقبره مشهور فى هذا الموضع الى هذه الغاية معظم يغشاه كثير من الناس من الحاضرة والبادية لم يتعرض لنبشه فيما سلف من الزمان كما تعرض لقبور غيره من بنى أمية وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل انه قبض وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن احدى وأربعين سنة وقد تنوزع أيضا فى مقدار مدته فى الخلافة وقد أتينا على المحصل من ذلك فى باب مقدار المدة من الزمان وما تملكت فيه بنو أمية من الاعوام فيما يرد من هذا الكتاب

(ذكر لمع من أخباره وسيره وزهده)

لم تكن خلافة عمر فى عهد تقدم وكان السبب فيها أن سليمان لما حضرته الوفاة بمرج دابق دعا رجاء بن حياة ومحمد بن شهاب الزهرى ومكحولا وغيرهم من العلماء ممن كان فى عسكره غازيا ونافرا فكتب وصيته وأشهدهم عليها وقال اذا أنا مت فأذنوا بالصلاة جامعة ثم اقرأوا هذا الكتاب على الناس فلما فرغ من دفنه نودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس وحضر بنو مروان فاشرأبوا للخلافة وتشوفوا نحوها فقام الزهرى فقال أيها الناس

أرضيتم من عهد أمير المؤمنين سليمان في وصيته فقالوا نعم فقرأ الكتاب فاذا اسم
عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك فقام مكحول فقال أين عمر وكان عمر في أواخر
الناس فاسترجع حين دعي باسمه مرتين أو ثلاثا فأتوه قوم فأخذوا بيده وعضديه فأقاموه
وذهبوا به الى المنبر فصعد وجلس على المرقاة الثانية والمنبر خمس مراق فكان أول من
بايعه من الناس يزيد بن عبد الملك وقام سعيد وهشام فانصرفا ولم يبايعا وبايع الناس جميعا
ثم بايع سعيد وهشام بعد ذلك بيومين وكان عمر في نهاية النسك والتواضع فصرف عمال من
كان قبله من بني أمية واستعمل أصلح من قدر عليه فسلك عماله طريقته وترك لعن
علي عليه السلام على المنابر وجعل مكانه ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وقيل بل جعل مكان ذلك ان الله
يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي الآية وقيل
بل جعلهما جميعا فاستعمل الناس ذلك في الخطبة الى هذه الغاية ولما استخلف عمر دخل
عليه سالم السدي وكان من خاصته فقال له عمر أسرك ما وليت أم ساءك فقال سرني للناس
وساءني لك قال اني أخاف ان أكون أوبقت نفسي قال ما أحسن حالك ان كنت تخاف اني
أخاف عليك أن لا تخاف قال عظني قال أبونا آدم أخرج من الجنة بخطيئة واحدة وكتب
طاوس الى عمر ان أردت ان يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير فقال عمر كفى بها
موعظة ولما أفضى اليه الأمر كان أول خطبة خطب الناس بها أن قال أيها الناس انما نحن
من أصول قد مضت فروعها فما بقاء فرع بعد أصله وانما الناس في هذه الدنيا أغراض
تنتضل فيهم المنايا وهم فيها نصب المصائب مع كل جرعة شرق وفي كل أكلة غصص لا ينالون
نعمة الا بفراق اخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من أجله وكتب الى
عامله بالمدينة أن اقسم في ولد علي بن أبي طالب عشرة آلاف دينار فكتب اليه ان عليا قد
ولد له في عدة قبائل من قريش ففي أي ولده فكتب اليه لو كتبت اليك في شاة تذبحها لكتبت
الي سوداء أو بيضاء اذا أتاك كتابي هذا فاقسم في ولد علي من فاطمة رضوان الله عليهم
عشرة آلاف دينار فطال ما تخطتهم حقوقهم والسلام (وخطب) في بعض مقاماته فقال
بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أيها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد صلى الله
عليه وسلم الا واني لست بقاض ولكني منفذ الا واني لست بمبتدع ولكني متبع ان الرجل
الهارب من الامام الظالم هو العاصي الا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (وبعث) عمر
وفدا الى ملك الروم في أمر من مصالح المسلمين وحق يدعوه اليه فلما دخلوا اذا ترجمان يفسر
عليه وهو جالس على سرير ملكه والتاج على رأسه والبطارقة عن يمينه وشماله والناس
على مراتبهم بين يديه فأدى اليه ما قصدوا له فتلقاهم بجميل وأجابهم بأحسن الجواب
وانصرفوا عنه في ذلك اليوم فلما كان في غداة غد أتاهم رسوله فدخلوا عليه فاذا هو قد نزل
عن سريره ووضع التاج عن رأسه وقد تغيرت صفاته التي شاهدوه عليها كأنه في مصيبة
فقال هل تدرون لماذا دعوتكم قالوا لا قال ان صاحب مصلحتي التي تلي العرب جاءني كتابه
في هذا الوقت أن ملك العرب الرجل الصالح قد مات فما ملكوا أنفسهم أن بكوا فقال

لاتبكوا له وابكوا لأنفسكم ما بدا لكم فانه خرج الى خير مما خلف قد كان يخاف أن يدع طاعة لله فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافة الآخرة لقد بلغني من بره وفضله وصدقته مالو كان أحد بعد عيسى يحيي الموتى لظننت أنه يحيي الموتى ولقد كانت تأتيني أخباره باطنا وظاهرا فلا أجد أمره مع ربه الا واحدا بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه ولم أعجب لهذا الراهب الذى قد ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته ولكني عجبت من هذا الذى صارت الدنيا تحت قدمه فزهد فيها حتى صار مثل الراهب ان أهل الخير لا يبقون مع أهل الشر الا قليلا (وكتب عمر) الى أبى حازم المدنى الاعرج أن أوصنى وأوجز فكتب اليه كأنك يا أمير المؤمنين بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل والسلام ووقع الى عامل من عماله قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت وأما اعتزلت والسلام وذكر المدائنى قال كان يشترى لعمر قبل خلافته الحلة بألف دينار فاذا لبسها استخشنها ولم يستحسنها فلما أتته الخلافة كان يشترى له قميص بعشرة دراهم فاذا لبسه استلانه وخرج مع جماعة من أصحابه فمر بالمقبرة فقال لهم قفوا حتى آتى قبور الاحبة فأسلم عليهم فلما توسطها وقف فسلم وتكلم وانصرف الى أصحابه فقال ألا تسألونى ماذا قلت لهم وما قيل لى فقالوا وماذا قلت يا أمير المؤمنين وما قيل لك قال مررت بقبور الاحبة فسلمت فلم يردوا ودعوت فلم يجيبوا فبينا أنا كذلك اذ نوديت ياعمر أتعرفنى أنا الذى غيرت محاسن وجوههم ومزقت الاكفان عن جلودهم وقطعت أيديهم وأبنت أكفهم من سواعدهم ثم بكى حتى كادت نفسه أن تطفا فوالله مامضى بعد ذلك الا أيام حتى لحق بهم (وذكر المدائنى) قال كتب مطرف الى عمر أما بعد فان الدنيا دار عقوبة لها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم له فكن بها كالمداوى جرحه واصبر على شدة الدواء لما تخاف من عاقبة الداء (وذكر بعض الاخباريين) أن عمر فى عنفوان حداثته جنى عليه عبد له أسود جناية فبطحه وهم ليضربه فقال له العبد يا مولاى لم تضربنى قال لانك جنيت كذا وكذا قال فهل جنيت انت جناية قط غضب بها عليك مولاك قال عمر نعم قال فهل عجل عليك العقوبة قال اللهم لا قال العبد فلم تعجل على ولم يعجل عليك فقال له قم فأنت حر لوجه الله وكان ذلك سبب توبته وكان عمر يكثر هذا الكلام فى دعائه فيقول ياحليما لايعجل على من عصاه (وذكر جماعة من الاخباريين) أن عمر لما ولى الخلافة وفد عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز فاختار الوفد غلاما منهم فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو أصغر القوم سنا قال عمر مهلا ياغلام ليتكلم من هو أسن منك فقال مهلا يا أمير المؤمنين انما المرء بأصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استجاد له الحلية يا أمير المؤمنين ولو كان التقدم بالسن لكان فى هذه الامة من هو أسن منك قال تكلم ياغلام قال نعم يا أمير المؤمنين نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذى من بك علينا لم يخرجنا اليك رغبة ولا رهبة أما الرغبة فقد أتانا منك الى بلدنا وأما الرهبة فقد أمننا الله بعدلك من جورك فقال عظنا ياغلام وأوجز قال نعم يا أمير المؤمنين ان أناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم وحسن ثناء الناس عليهم فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك وحسن

ثناء الناس عليك فنزل قدمك فنظر عمر فى سن الغلام فاذا هو قد أتت عليه بضع عشرة سنة فأنشأ عمر رحمه الله يقول

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

وقد كان رجل من أهل العراق أتى المدينة فى طلب جارية وصفت له قارئة قوالة فسأل عنها فوجدها عند قاضى المدينة فأتاه وسأله أن يعرضها عليه فقال يا عبد الله لقد أبعدت الشقة فى طلب هذه الجارية فما رغبتك فيها لما رأى من شدة اعجابه بها قال انها تغنى فتجيد فقال القاضى ما علمت بهذا فألح عليه فى عرضها فعرضت بحضرة مولاها القاضى فقال لها الفتى هات فغنت

الى خالد حتى أنخن بخالد * فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

ففرح القاضى بجاريته وسر بغنائها وغشيه من الطرب أمر عظيم حتى اقعدها على فخذه وقال هات شيأ بأبى أنت فغنت

أروح الى القصاص كل عشية * أرجى ثواب الله فى عدد الخطا

فزاد الطرب على القاضى ولم يدر ما يصنع فأخذ نعله فعلقها فى أذنه وجثا على ركبتيه وجعل يأخذ بطرف أذنه والنعل معلقة فيها ويقول أهدونى الى البيت الحرام فانى بدنة حتى أدمى أذنه فلما أمسكت أقبل على الفتى فقال يا حبيبى انصرف قد كنا فيها راغبين قبل أن نعلم أنها تقول فنحن الآن فيها أرغب فانصرف الفتى وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتله الله لقد استرقه الطرب وأمر بصرفه عن عمله فلما صرف قال نساؤه طوالق لو سمعها عمر لقال اركبونى فانى مطية فبلغ ذلك عمر فأشخصه وأشخص الجارية فلما دخلا على عمر قال له أعد ما قلت قال نعم فأعاد ما قال فقال للجارية قولى فغنت

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

فما فرغت من هذا الشعر حتى طرب عمر طربا بينا وأقبل يستعيدها الأبيات وقد بلت دموعه لحيته ثم أقبل على القاضى فقال قد قاربت فى يمينك ارجع الى عملك راشدا (حدثنا) الطوسى والاموى الدمشقى وغيرهما عن الزبير بن بكار عن عبد الله بن أحمد المدينى قال كان بالمدينة فتى من بنى أمية من ولد عثمان وكان ظريفا يختلف الى قينة لبعض قريش وكانت الجارية تحبه ولا يعلم ويحبها ولا تعلم ولم تكن محبة القوم اذ ذاك لريبة ولا فاحشة فأراد يوما ان يبلو ذلك فقال لبعض من عنده امض بنا اليها فانطلقا ووافاهما وجوه أهل المدينة من قريش والانصار وغيرهما وما كان فيهم فتى يجد بها وجده ولا تجد بواحد منهم وجدها بالاموى فلما أخذ الناس مواضعهم قال ايها الفتى أتحسنين أن تقولين

احبكم حبا بكل جوارحى * فهل عندكم علم بما لكم عندى
أتجزون بالود المضاعف مثله * فان كريما من جزى الود بالود

قالت نعم وأحسن أحسن منه وقالت

للذي ودّنا المودّة بالضعف * وفضل البادي به لا يجازى
لو يدام ابنا لكم ملأ الار * ض واقطار شأمها والحجازا

قال فعجب الفتى من حذقها مع حسن جوابها وجودة حفظها فازداد كلفا بها وقال

انت عذر الفتى اذا هتك الستـ * ـر وان كان يوسف المعصوما

فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فاشتراها بعشر حداثق ووهبها له بما يصلحها فاقامت عنده حولا ثم ماتت فرثاها وقضى في حاله تلك فدفنا معا وكان من مرثيته لها قوله

قد تمنيت جنة الخلد للخلـ * ـد فادخلتها بلا استئهال
ثم أخرجت اذ تطمعت بالنعـ * ـمة منها والموت أحمد حال

وقال اشعب الطامع هذا سيد شهيد الهوى انحروا على قبره سبعين بدنة (وقال) أبو حازم الاعرج المدني أما محب لله يبلغ هذا وقد كان خرج في أيام عمر سودب الخارجي وقوى أمره فيمن خرج معه من المحكمة من ربيعة وغيرها فحدث عباد بن عباد المهلبي عن محمد ابن الزبير الحنظلي قال أرسلني عمر اليهم وأرسل معي عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وكان خروجهم بالجزيرة وكتب عمر معنا اليهم كتابا فأتيناهم فأبلغناهم كتابه ورسالته فبعثوا معنا رجلين منهم أحدهما من بني شيبان والآخر فيه حبشة وهو أحدهما لسانا وعارضة فقدمنا بهما على عمر بن عبد العزيز وهو بخناصرة فصعدنا اليه الى غرفة هو فيها ومعه ابنه عبد الملك وكاتبه مزاحم فذكرنا مكانهما فقال فتشوهما لا يكون معهما حديد ففعلنا فلما دخلا قالا السلام عليك ثم جلسا فقال لهما عمر أخبراني ما الذي أخرجكم مخرجكم هذا وما نقمتم علينا فتكلم الذي فيه حبشة فقال والله ما نقمنا عليك في سيرتك وانك لتجزئ بالعدل والاحسان ولكن بيننا وبينك أمر ان أنت اعطيتناه فنحن منك وأنت منا وان منعتناه فلست منا ولسنا منك فقال عمر وما هو قال رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها المظالم وسلكت غير سبيلهم فان زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وتبرأ منهم فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق فتكلم عمر فقال اني قد علمت انكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لدنيا ولكن أردتم الآخرة وأخطأتم طريقها واني سائلكم عن أمور فبالله لتصدقنني عنها أرأيتما أبا بكر وعمر أليسا من أسلافكم ومن تتولونهما وتشهدون لهما بالنجاة قالا بلى قال فهل علمتم أن أبا بكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب قاتلهم فسفك الدماء وأخذ الاموال وسبى الذراري قالا نعم قال فهل علمتم أن عمر حين قام بعد أبي بكر رد تلك السبايا الى أصحابها قالا نعم قال فهل برئ عمر من أبي بكر قالا لا قال أفرأيتم أهل النهروان أليسوا من أسلافكم ومن تتولون وتشهدون لهم بالنجاة قالا بلى قال فهل علمتم أن أهل الكوفة حين خرجوا اليهم كفوا أيديهم فلم يسفكوا دما ولم يخيفوا آمنا ولم يأخذوا مالا قالا نعم قال فهل علمتم أن أهل البصرة حين خرجوا اليهم مع الشيباني وعبد الله بن وهب الراسبي وأصحابه استعرضوا الناس يقتلونهم ولقوا عبد الله بن خباب ابن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه وقتلوا جاريته ثم صبحوا حيا من أحياء العرب فاستعرضوهم فقتلوا الرجال والنساء والاطفال حتى جعلوا يلقون الصبيان

في قدور الاقط وهي تفور قالا قد كان ذلك قال فهل تبرأ أهل البصرة من أهل الكوفة وأهل الكوفة من أهل البصرة قالا لا قال فهل تبرأون أنتم من احدى الطائفتين قالا لا قال أرأيتم الدين واحدا أم اثنين قالا بل واحدا قال فهل يسعكم فيه شيء يعجز عني قالا لا قال فكيف وسعكم أن توليتم أبا بكر وعمر وتولى أحدهما صاحبه وتوليتم أهل البصرة وأهل الكوفة وتولى بعضهم بعضا وقد اختلفوا في أعظم الاشياء في الدماء والفروج والأموال ولا يسعني فيما زعمتم الا لعن أهل بيتي والتبرؤ منهم أرأيتم لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لابد منها فان كانت كذلك فأخبرني أيها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون قال ما أذكر متى لعنته قال ويحك لم لا تلعن فرعون وهو اخبث الخلق ويسعني فيما زعمت لعن أهل بيتي والتبرؤ منهم ويحك انكم قوم جهال ثم أردتم أمرا فأخطأتموه فأنتم تردون على الناس ماقبله منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويا من عندكم من خاف عنده ويخاف عندكم من أمن عنده قالا ما نحن كذلك قال عمر بل سوف تقرون بذلك ألا آن هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس وهم عبدة أوثان فدعاهم الى خلع الأوثان وشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فمن فعل ذلك حقن دمه وأحرز ماله ووجبت حرمته وكانت له أسوة المسلمين قالا نعم قال أفلستم انتم تلقون من يخلع الأوثان ويشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فتستحلون دمه وماله وتلقون من ترك ذلك وأباه من اليهود والنصارى وسائر الاديان فيأمن عندكم وتحرمون دمه قال الحبشي ما سمعت كاليوم قط حجة أبين وأقرب مأخذا من حجتك أما أنا فأشهد أنك على الحق وأنا بريء ممن بريء منك فقال عمر للشيباني فأنت ماتقول قال ما أحسن ما قلت وأبين ما وصفت ولكني لا أفتات على المسلمين بأمر حتى أعرض قولك عليهم فأنظر ما حجتهم قال فأنت أعلم فانصرف وأقام الحبشي فأمر له عمر بعطائه فمكث خمسة عشر يوما ثم مات ولحق الشيباني بأصحابه فقتل معهم بعد موت عمر رحمه الله تعالى ولعمر مع الخوارج أخبار غير ما ذكرنا ومراسلات ومناظرات وكذلك لمن سلف من بني أمية وغيرهم من ولاة الامصار وقد أتينا على ذكرها وذكر كل من سمته الخوارج بأمير المؤمنين وخاطبته بالامامة من الأزارقة والأباضية والحربية والنجدات والخليفة والصفرية وغيرهم من أنواع الحرورية وذكرنا مواضعهم من الارض في هذا الوقت مثل من سكن منهم بلاد شهرزور وسجستان وجواة اصطخر من بلاد فارس وبلاد كرمان وأذربيجان وبلاد مكران وجبال عمان وهراة من بلاد خراسان والجزيرة وتاهرت السفلى وغيرها من بقاع الارض في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وما ذكرنا من الرد عليهم في التحكيم وغير ذلك في كتابنا المترجم بكتاب الانتصار المحكم لفرق الخوارج وفي كتاب الاستبصار وقد ذكر جماعة من شعرائهم من سلف من أئمتهم من ذلك قول مصقلة ابن عتبان الشيباني وكان من غلبة الخوارج

وأبلغ أمير المؤمنين رسالة * وذو النصح ان لم يرع منك قريب

فانك ان لا ترض بكر بن وائل * يكن لك يوم بالعراق عصيب

فان يك منهم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب

فمنا سويد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب
غزالة ذات النذر منا حميدة * لها في سهام المسلمين نصيب
ولا صلح ما دامت منابر أرضنا * يقوم عليها من ثقيف خطيب

وكذلك ذكرنا أخبار أم شبيب وما كانت عليه من الاجتهاد في ديانة المحكمة وفيها يقول الشاعر

أم شبيب ولدت شبيبا * هل تلد الذئبة الا ذيبا

وأخبار علمائهم كاليمان وله كتب مصنفة في مذاهبهم وعبد الله بن يزيد الاباضي وأبي مالك الحضرمي وقعنب وغير هؤلاء من علمائهم وقد كان اليمان بن رباب من غلبة علماء الخوارج وأخوه علي بن رباب من غلبة علماء الرافضة هذا مقدم في أصحابه وهذا مقدم في أصحابه يجتمعان في كل سنة ثلاثة أيام يتناظران فيها ثم يفترقان ولا يسلم أحدهما على الآخر ولا يخاطبه وكذلك كان جعفر بن المبشر من علماء المعتزلة وحذاقها وزهادها وأخوه حبيش بن المبشر من علماء أصحاب الحديث ورؤساء الحشوية بالضد من أخيه جعفر وطالت بينهما المناظرة والمباغضة والتباين وكل واحد منهما لا يخاطب الآخر الى أن لحق بخالقه وجعفر ابن المبشر وجعفر بن حرب من علماء البغداديين من المعتزلة وكان عبد الله بن يزيد الاباضي بالكوفة تختلف اليه أصحابه يأخذون منه وكان خرازا شريكا لهشام بن الحكم وكان هشام مقدما في القول بالجسم والقول بالامامة على مذهب القطعية يختلف اليه أصحابه من الرافضة يأخذون عنه وكلاهما في حانوت واحد على ماذكرنا من التضاد في المذهب من التشري والرفض لم يجر بينهما مسابة ولا خروج عما يوجبه العلم وقضية العقل وموجب الشرع وأحكام النظر والسبر وذكر ان عبد الله بن يزيد الاباضي قال لهشام بن الحكم في بعض الأيام تعلم ما بيننا من المودة ودوام الشركة وقد أحببت أن تنكحني ابنتك فاطمة فقال له هشام انها مؤمنة فامسك عبد الله ولم يعاوده في شيء من ذلك الى أن فرق الموت بينهما وكان من أمر هشام مع الرشيد وابن برمك ما أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وذكر عن عمر بن عبيد انه كان يقول أخذ عمر بن عبد العزيز الخلافة بغير حقها ولا باستحقاق ثم استحقها بالعدل حين أخذها وفي وفاة عمر رضي الله تعالى عنه يقول الفرزدق من أبيات يرثيه بها

أقول لما نعى الناعون لي عمرا * لقد نعيتم قوام الحق والدين
قد غيب الرامسون اليوم اذ رمسوا * بدير سمعان قسطاس الموازين
لم يلهه عمره عين يفجرها * ولا النخيل ولا ركض البراذين

ولعمر رحمة الله عليه خطب وأخبار حسان غير ماذكرنا في هذا الكتاب في الزهد وغيره وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا والحمد لله رب العالمين

ذكر أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان

وملك يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه عمر بن عبد العزيز وهو يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة ويكنى أبا خالد وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي

سفيان وتوفي يزيد بن عبد الملك باربد من أرض البلقاء من أعمال دمشق يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة فكانت ولايته أربع سنين وشهرا ويومين

(ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان في أيامه)

كان الغالب على يزيد بن عبد الملك حب جارية يقال لها سلامة القس وكانت لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فاشتراها يزيد بثلاثة آلاف دينار فأعجب بها وغلبت على أمره وفيها يقول عبد الله بن قيس الرقيات

لقد فتن الدنيا وسلامة القسا * فلم يتركا للقس عقلا ولا نفسا

فاحتالت ام سعيد العثمانية جدته بشراء جارية يقال لها حبابة قد كان في نفس يزيد بن عبد الملك قديما منها شيء فغلبت عليه ووهب سلامة لام سعيد فعذله مسلمة بن عبد الملك لما عم الناس من الظلم والجور باحتجابه واقباله على الشرب واللهو وقال انما مات عمر رأس وكان من عدله ما قد علمت فينبغي ان تظهر للناس العدل وترفض هذا اللهو فقد اقتدى بك عمالك في سائر أفعالك وسيرتك فارتدع عما كان عليه وأظهر الاقلاع والندم وأقام على ذلك مدة مديدة فغلظ ذلك على حبابة فبعثت الى الأحوص الشاعر ومعبد المغني انظرا اما تعملان فقال الأحوص في أبيات له

الا لا تلمه اليوم أن يتبلدا * فقد غلب المحزون أن يتجلدا
اذا كنت لا تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من يابس الصلد جلمدا
فما العيش الا ما تلذ وتشتهي * وان لام فيه ذو الشنان وفندا

وغناه معبد وأخذته حبابة فلما دخل عليها يزيد قالت يا أمير المؤمنين اسمع مني صوتا واحدا ثم افعل ما بدا لك وغنته فلما فرغت منه جعل يردد قولها

فما العيش الا ما تلذ وتشتهي * وان لام فيه ذو الشنان وفندا

وعاد بعد ذلك الى لهوه وقصفه ورفض ما كان عليه وذكر اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال حدثني ابن سلام قال ذكر يزيد قول الشاعر

صفحنا عن بني ذهل * وقلنا القوم اخوان
عسى الأيام أن يرجعن قوما كالذي كانوا
فلما صرح الشر * فأمسى وهو عريان
مشينا مشية الليث * غدا والليث غضبان
بضرب فيه توهين * وتخضيع واقران
وطعن كفم الزق * وهي والزق ملآن
وفي الشر نجاة حين لا ينجيك احسان

وهو شعر قديم يقال انه لفند في حرب البسوس فقال لحبابة غنيني به بحياتي فقالت يا أمير المؤمنين هذا شعر لا أعرف أحدا يغني به الا الأحول المكي فقال نعم قد كنت سمعت ابن عائشة يعمل فيه ويترنم قالت انما أخذه عن فلان ابن أبي لهب وكان حسن الاداء فوجه

يزيد الى صاحبه بمكة اذا أتاك كتابي هذا فادفع الى فلان ابن أبي لهب ألف دينار لنفقة طريقه وأحمله على ما شاء من دواب البريد ففعل فلما قدم عليه قال غنني بشعر الفند فغناه فأجاد وأحسن وقال أعده فأعاده فأجاد وأحسن وأطرب يزيد فقال له عمن أخذت هذا الغناء فقال يا أمير المؤمنين أخذته عن أبي وأخذه أبي عن أبيه فقال لو لم ترث الا هذا الصوت لكان أبو لهب قد ورثكم خيرا كثيرا فقال يا أمير المؤمنين ان أبا لهب مات كافرا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد أعلم ما تقول ولكني دخلتني له رقة اذ كان مجيد الغناء ووصله وكساه ورده الى بلده مكرما وكان في عهد عمر الى يزيد اذا أمكنتك القدرة بالعزة فاذكر قدرة الله عليك وقيل ان هذا الكلام كتب به عمر الى بعض عماله وفيه زيادة على ما ذكره الزبير بن بكار وهي اذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد فاذكر قدرة الله عليك بما يأتي عليهم واعلم أنك لا تأتي عليهم أمرا الا كان زائلا عنهم باقيا عليك وأن الله يأخذ للمظلوم من الظالم ومهما ظلمت من أحد فلا تظلمن من لا ينتصر عليك الا بالله تعالى واعتلت حبابة فأقام يزيد أياما لا يظهر للناس ثم ماتت فأقام أياما لا يدفنها جزعا عليها حتى جيفت فقيل ان الناس يتحدثون بجزعك وان الخلافة تجل عن ذلك فدفنها وأقام على قبرها فقال

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو النفس لا بالتجلد

ثم أقام بعدها أياما قلائل ومات حدث أبو عبد الله محمد بن ابراهيم عن أبيه عن اسحاق الموصلي عن أبي الحويرث الثقفي قال لما ماتت حبابة حزن عليها يزيد بن عبد الملك حزنا شديدا وضم اليه جويرية كانت تحدثها فكانت تخدمه فتمثلت الجارية يوما

كفى حزنا للهائم الصب أن يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا

فبكى حتى كاد أن يموت ولم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حبابة حتى مات وكان يزيد ذات يوم في مجلسه وقد غنته حبابة وسلامة فطرب طربا شديدا ثم قال أريد أن أطير فقالت له حبابة يا مولاي فعلى من تدع الامة وتدعنا وكان أبو حمزة الخارجي اذا ذكر بني مروان وعابهم ذكر يزيد بن عبد الملك فقال أقعد حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره ثم قال أريد أن أطير فطار الى لعنة الله وأليم عذابه (قال المسعودي) وقد كان يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة هرب من سجن عمر بن عبد العزيز حين أثقل وذلك في سنة احدى ومائة وصار الى البصرة وعليها عدي بن أرطاة الفزاري فأخذه يزيد بن المهلب فأوثقه ثم خرج يريد الكوفة مخالفا على يزيد بن عبد الملك وحشدت له الأزد وأحلافها وانحاز اليه أهله وخاصته وعظم أمره واشتدت شوكته فبعث اليه أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في جيش عظيم فلما شارفاه رأى يزيد بن المهلب في عسكره اضطرابا فقال ما هذا الاضطراب قيل جاء مسلمة والعباس فوالله ما مسلمة الا جرادة صفراء وما العباس الا بسطوس ابن بسطوس وما أهل الشأم الا طغام قد حشدوا وما بين فلاح وزراع ودباغ وسفلة فأعيروني أكفكم ساعة تصفعون بها خراطيمهم فما هي الا غدوة وروحة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين علي بفرسي فأتي بفرس أبلق فركب غير متسلح فالتقى الجيشان فاقتتلوا

قتالا شديدا وولى أصحاب يزيد عنه فقتل يزيد فى المعركة وصبر أخوته أنفسهم فقتلوا جميعا ففى ذلك يقول الشاعر

كل القبائل بايعوك على الذى * تدعو اليه طائعين وساروا
حتى اذا حضر الوغى وجعلتهم * نصب الأسنة أسلموك وطاروا
ان يقتلوك فان قتلك لم يكن * عارا عليك وبعض قتل عار

فلما ورد الخبر على يزيد بن عبد الملك استبشر وأخذ الشعراء جميعا يهجون آل المهلب الا كثير فانه امتنع من ذلك فقال له يزيد حركتك الرحم يا أبا صخر لأنهم يمانيون ففى ذلك يقول جرير يهجو آل المهلب

يارب قوم وقوم حاسدين لكم * ما فيهم بدل منكم ولا خلف
آل المهلب جز الله دابرهم * امسوا رمادا فلا أصل ولا طرف
ما نالت الأزد من دعوى مضلهم * الا المعاجم والاعناق تختطف
والازد قد جعلوا المنتوف قائدهم * فقتلتهم جنود الله وانتسفوا

وهى طويلة وفى ذلك يقول جرير أيضا ليزيد من كلمة

لقد تركت فلا نعدمك اذ كفروا * آل المهلب عظما غير مجبور
يا ابن المهلب ان الناس قد علموا * أن الخلافة للشم المغاوير

وبعث يزيد هلال بن أحوز المازنى فى طلب آل المهلب وأمره أن لا يلقى منهم من بلغ الحلم الا ضرب عنقه فاتبعهم حتى قندابيل من أرض السند وأتى هلال بغلامين من آل المهلب فقال لاحدهما أدركت قال نعم ومد عنقه فكان الآخر أشفق عليه فعض شفته لئلا يظهر جزعا فضرب عنقه وأثخن القتل فى آل المهلب حتى كاد أن يفنيهم فذكر ان آل المهلب مكثوا بعد ايقاع هلال بهم عشرين سنة يولد فيهم الذكور فلا يموت منهم أحد وفى مدح هلال ابن أحوز وما فعل يقول جرير

اقول لها من ليلة ليس طولها * كطول الليالى ليت صبحك نورا
أخاف على نفسى ابن أحوز انه * جلا كل هم فى النفوس فأسفرا
جعلت لقبر بالخساب ومالك * وقبر عدى بالمقابر اقبرا
فلم يبق منهم راية تعرفونها * ولم يبق من آل المهلب عسكرا

وهى أبيات وقد كان يزيد بن عبد الملك حين ولى عمر بن هبيرة الفزارى العراق وأضاف اليه خراسان واستقام أمره هنالك بعث ابن هبيرة الى الحسن بن أبى الحسن البصرى وعامر ابن سرحبيل الشعبى ومحمد بن سيرين وذلك فى سنة ثلاث ومائة فقال اللهم ان يزيد بن عبد الملك خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ ميثاقهم بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة وقد ولانى ما ترون يكتب الى بالامر من أمره فانفذه وأقلده ما يقلده من ذلك فما ترون فقال ابن سيرين والشعبى قولا فيه تقية فقال عمر ما تقول يا حسن فقال الحسن يا ابن هبيرة خف الله فى يزيد ولا تخف يزيد فى الله ان الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وأ[illegible] أن يبعث اليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك

الى

الى ضيق قبرك ثم لا ينجيك الا عملك يا ابن هبيرة انى احذرك ان تعصى الله فانما يجعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تتركن دين الله وعباده بسلطان الله فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وحكى فى هذا الخبر أن ابن هبيرة أجازهم وأضعف جائزة الحسن فقال الشعبى سفسفنا فسفسف لنا وذكر أن يزيد بن عبد الملك بلغه أن أخاه هشام بن عبد الملك ينتقصه ويتمنى موته ويعيب عليه لهوه بالقينات فكتب اليه يزيد أما بعد فقد بلغنى استثقالك حياتى واستبطاؤك موتى ولعمرى انك بعدى لواهى الجناح أجذم الكف وما استوجبت منك ما بلغنى عنك فأجابه هشام أما بعد فان أمير المؤمنين متى فرغ سمعه لقول أهل الشنآن وأعداء النعم يوشك أن يقدح ذلك فى فساد ذات البين وتقطع الارحام وأمير المؤمنين بفضله وما جعله الله اهلاله أولى أن يتعمد ذنوب أهل الذنوب فأما أنا فمعاذ الله أن أستثقل حياتك أو أستبطئ وفاتك فكتب اليه نحن مغتفرون ما كان منك ومكذبون ما بلغنا عنك فاحفظ وصية عبد الملك ايانا وقوله لنا فى ترك التباغى والتخاذل وما أمر به وحض عليه من صلاح ذات البين واجتماع الاهواء فهو خير لك وأملك بك وانى لأكتب اليك وأعلم انك كما قال الأول

وانى على اشياء منك تريبنى * قديما لذو صفح على ذاك مجمل
ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى * يمينك فانظر أى كف تبدل
وان أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل

فلما أتى الكتاب هشاما ارتحل اليه فلم يزل فى جواره مخافة أهل البغى والسعاية حتى مات يزيد وممن مات فى أيام يزيد بن عبد الملك عطاء بن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ويكنى أبا محمد وهو ابن أربع وثمانين سنة وذلك فى سنة ثلاث ومائة وفيها مات مجاهد ابن جبير مولى قيس بن السائب المخزومى ويكنى أبا الحجاج وهو ابن أربع وثمانين سنة وجابر ابن زيد مولى الازد من أهل البصرة ويكنى أبا الشعثاء ويزيد بن الاصم من أهل الرقة وهو ابن أخت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ويحيى بن وثاب الأسدى مولى بنى كاهل وأبو بردة بن أبى موسى الاشعرى واسمه عامر كوفى وفى سنة أربع ومائة مات وهب بن منبه ويقال مات سنة عشرة ومائة وفى سنة أربع ومائة هذه أيضا مات طاوس وفى سنة خمس ومائة مات عبد الله بن جبير مولى العباس بن عبد المطلب ويقال انه مولى مولى العباس وقيل ان طاوس بن كيسان ويكنى أبا عبد الرحمن مولى بحير الحميرى مات بمكة سنة ست ومائة وصلى عليه هشام بن عبد الملك وفى سنة سبع ومائة مات سليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهو اخو عطاء بن يسار ويكنى أبا أيوب وهو ابن ثلاث وسبعين سنة بالمدينة وقيل انه مات فى سنة مائة وفى سنة ثمان ومائة مات القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ومات الحسن بن أبى الحسن البصرى ويكنى أبا سعيد فى سنة عشر ومائة واسم أبيه يسار مولى لامرأة من الانصار ومات وله تسع وثمانون سنة وقيل تسعون سنة وكان اكبر من محمد بن سيرين ومات محمد بعده بمائة ليلة فى هذه السنة وهو ابن احدى وثمانين سنة وقيل ابن ثمانين وكان اولاد سيرين خمسة اخوة محمد وسعيد ويحيى وخالد وأنس

ابن سيرين وسيرين مولى أنس بن مالك والخمسة قد رووا السنن ونقلت عنهم ووجدت أصحاب التواريخ متباينين ومختلفين غير متفقين فى وفاة وهب بن منبه ويكنى أبا عبد الله فمنهم من ذكر وفاته على حسب ما قدمنا فى هذا الباب ومنهم من رأى أنه مات سنة عشر ومائة بصنعاء وكان من الابناء وهو ابن تسعين سنة وفى سنة خمس عشرة ومائة مات الحكم بن عتيبة الكندى وقيل انه مات فيها عطاء بن أبى رباح وفى سنة ثلاث وعشرين ومائة مات أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى وذكر الواقدى أنه مات سنة أربع وعشرين ومائة وليزيد بن عبد الملك أخبار حسان ولما كان فى أيامه من الكوائن والأحداث وقد أتينا على مبسوط ذلك فى كتابينا أخبار الزمان والأوسط وانما ذكرنا وفاة من سمينا من أهل العلم ونقلة الآثار وحملة الأخبار ليكون ذلك زيادة فى فائدة الكتاب فتكون فوائده عامة اذ كان الناس فى أغراضهم متباينين وفيما يتيممونه من أخذ العلم مختلفين فنهم طالب خبر ومقلد لأثر ومنهم ذو بحث ونظر ومنهم صاحب حديث ومنقر عن علل ومراع لوفاة مثل من ذكرنا فجعلنا فيه لكل ذى رأى نصيبا وبالله التوفيق

(ذكر أيام هشام بن عبد الملك بن مروان)

وبويع هشام بن عبد الملك فى اليوم الذى توفى فيه أخوه يزيد بن عبد الملك وهو يوم الجمعة لخمس بقين من شوال سنة خمس ومائة وقبض يزيد وله يومئذ ثمان وثلاثون سنة وقيل أربعون وتوفى هشام بن عبد الملك بالرصافة من أرض قنسرين يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر واحدى عشرة ليلة

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

وكان هشام أحول خشنا فظا غليظا يجمع الأموال ويعمر الارض ويستجيد الخيل وأقام الحلبة فاجتمع له فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس ولم يعرف ذلك فى جاهلية ولا اسلام لاحد من الناس وقد ذكرت الشعراء ما اجتمع له من الخيل واستجاد الكسى والفرش وعدد الحرب ولامتها واصطنع الرجال وقوى الثغور واتخذ القنى والبرك بطريق مكة وغير ذلك من الآثار التى اتى عليها داود بن على فى صدر الدولة العباسية وفى أيامه عمل الخز والقطف الخز فسلك الناس جميعا فى أيامه مذهبه ومنعوا ما فى أيديهم فقل الافضال وانقطع الرفد ولم ير زمان أصعب من زمانه وفى أيامه استشهد زيد بن على بن الحسين بن على كرم الله وجهه وذلك فى سنة احدى وعشرين ومائة وقيل فى سنة اثنتين وعشرين ومائة وقد كان زيد بن على شاور أخاه أبا جعفر بن على بن الحسين بن على فأشار عليه بأن لا يركن الى أهل الكوفة اذ كانوا أهل غدر ومكر وقال له بها قتل جدك على وبها طعن عمك الحسن وبها قتل أبوك الحسين وفيها وفى أعمالها شتمنا أهل البيت واخبره بما كان عنده من العلم فى مدة ملك بنى مروان وما يتعقبهم من الدولة العباسية فأبى الا ما عزم عليه من المطالبة بالحق فقال له انى أخاف عليك يا أخى أن تكون غدا المصلوب بكناسة الكوفة وودعه أبو جعفر وأعلمه

انهما لا يلتقيان وقد كان زيد دخل على هشام بالرصافة فلما مثل بين يديه لم ير موضعا يجلس فيه فجلس حيث انتهى به مجلسه وقال يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عن تقوى الله ولا يصغر دون تقوى الله فقال هشام اسكت لا ام لك أنت الذى تنازعك نفسك فى الخلافة وأنت ابن أمة قال يا أمير المؤمنين ان لك جوابا ان أحببت اجبتك به وان أحببت أمسكت عنه فقال بلى أجب قال ان الامهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات وقد كانت أم اسماعيل أمة لأم اسحاق صلى الله عليهما وسلم فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيا وجعله للعرب أبا فأخرج من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم فتقول لى هذا وانا ابن فاطمة وابن على وقام وهو يقول

شرده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حر الجلاد
منخرق الكفين يشكو الجوى * تنكثه أطراف مر وحداد
قد كان فى الموت له راحة * والموت حتم فى رقاب العباد
ان يحدث الله له دولة * يترك آثار العدا كالرماد

فمضى عليها الى الكوفة وخرج عنها ومعه القراء والاشراف فحاربه يوسف بن عمر الثقفى فلما قامت الحرب انهزم أصحاب زيد وبقى فى جماعة يسيرة فقاتلهم اشد قتال وهو يقول متمثلا

أذل الحياة وعز الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا
فان كان لابد من واحد * فسيرى الى الموت سيرا جميلا

وحال المساء بين الفريقين فراح زيد مثخنا بالجراح وقد أصابه سهم فى جبهته فطلبوا من ينزع النصل فأتى بحجام من بعض القرى فاستكتموه أمره فاستخرج النصل فمات من ساعته فدفنوه فى ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجرى الماء على ذلك وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع فلما أصبح مضى الى يوسف متنصحا فدله على موضع قبره فاستخرجه يوسف وبعث برأسه الى هشام فكتب اليه هشام أن اصلبه عريانا فصلبه يوسف كذلك ففى ذلك يقول بعض شعراء بنى أمية يخاطب آل أبى طالب وشيعتهم من أبيات

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم أر مهديا على الجذع يصلب

وبنى تحت خشبته عمودا ثم كتب هشام الى يوسف باحراقه وذروه فى الرياح (قال المسعودى) وحكى الهيثم بن عدى الطائى عن عمرو بن هانئ قال خرجت مع عبد الله بن على لنبش قبور بنى أمية فى أيام أبى العباس السفاح فانتهينا الى قبر هشام فاستخرجناه صحيحا ما فقدنا منه الا خرمة انفه فضرب به عبد الله بن على ثمانين سوطا ثم أحرقه واستخرجنا سليمان من أرض دابق فلم نجد منه شيأ الا صلبه وأضلاعه ورأسه فأحرقناه وفعلنا ذلك بغيرهما من بنى أمية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا الى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا فى قبره قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤون رأسه ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا فيه الا عظما واحدا ووجدنا مع لحده خطا أسود كأنما خط بالرماد فى الطول فى لحده ثم اتبعنا قبورهم فى جميع البلدان فاحرقنا ما وجدنا فيها منهم وانما ذكرنا هذا الخبر فى هذا الموضع لقتل هشام زيد بن على وما نال هشاما من

المثلة بما اتصل بسلفه من الاحراق كفعله بزيد بن علي وقد ذكر أبو بكر بن عياش وجماعة أن زيدا امكث مصلوبا خمسين شهرا عريانا فلم ير له أحد عورة سترا من الله له وذلك بالكناسة بالكوفة فلما كان في أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك وظهر ابنه يحيى بن زيد بخراسان كتب الوليد الى عامله بالكوفة أن أحرق زيدا بخشبته ففعل به ذلك وأذرى في الرياح على شاطئ الفرات وقد أتينا في كتابنا المقالات في اصول الديانات على السبب الذي من أجله سميت الزيدية بهذا الاسم وان ذلك بخروجهم مع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم هذا وقد قيل غير ذلك مما قد اتينا عليه فيما سلف من كتبنا والخلاف في الزيدية والامامية والفرق بين هذين المذهبين وكذلك غيرهم من فرق الشيعة وغيرهم كأبي عيسى محمد بن هارون الوراق وغيره فقلنا ان الزيدية كانت في عصرهم ثمانية فرق أولها الفرقة المعروفة بالجارودية وهم أصحاب أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي وذهبوا الى أن الامامة مقصورة في ولد الحسن والحسين دون غيرهما ثم الفرقة الثانية المعروفة بالمرئية ثم الفرقة الثالثة المعروفة بالأبرقية ثم الفرقة الرابعة المعروفة باليعقوبية وهم أصحاب يعقوب بن علي الكوفي ثم الفرقة الخامسة المعروفة بالعقبية ثم الفرقة السادسة المعروفة بالابترية وهم أصحاب كثير الأبتر والحسن بن صالح بن حي ثم الفرقة السابعة المعروفة بالجريرية وهم أصحاب سليمان بن جرير ثم الفرقة الثامنة المعروفة باليمانية وهم أصحاب محمد بن اليمان الكوفي وقد زاد هؤلاء في المذهب وفرعوا مذاهب على ما سلف من أصولهم وكذلك فرق أهل الامامة فكانوا على ذكر من سلف من أصحاب الكتب ثلاثا وثلاثين فرقة وقد ذكرنا تنازع القطعية بعد مضي الحسن بن علي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وما قالت الكيسانية وما تباينت فيه وغيرها من سائر طوائف الشيعة وهم ثلاث وسبعون فرقة دون ما تباينوا فيه من التفريع وتنازعوا فيه من التاويل والغلاة أيضا ثمان فرق المحمدية منهم أربع والمعتزلة أربع وهم العلوية ولولا أن كتابنا هذا كتاب خبر لبسطنا من مذاهبهم ووصفنا من آرائهم ما تقدم قبلنا وحدث في وقتنا هذا وما قالوه من دلائل ظهور المنتظر الموعود بظهوره وما ذهب اليه كل فريق منهم في ذلك من أصحاب الدور والسروة والتشريق وغيرهم من أهل الامامة وعرض هشام يوما الجند بحمص فمر به رجل من أهل حمص وهو على فرس نفور فقال له هشام ما حملك على أن تربط فرسا نفورا فقال الحمصي لا والرحمن الرحيم يا أمير المؤمنين ما هو بنفور ولكنه أبصر حولتك فظن أنها عين غزوان البيطار فقال له هشام تنح فعليك وعلى فرسك لعنة الله وكان غزوان البيطار نصرانيا ببلاد حمص كأنه هشام في حولته وكشفته وبينا هشام ذات يوم جالسا خاليا وعنده الابرش الكلبي اذ طلعت وصيفة لهشام عليها حلة فقال للابرش مازحها فقال لها هبي لي حلتك فقالت له لأنت أطمع من أشعب فقال لها هشام ومن أشعب فقالت كان مضحكا بالمدينة وحدثته بعض أحاديثه فضحك هشام وقال اكتبوا الى ابراهيم بن هشام وكان عامله على المدينة في حمله الينا فلما ختم الكتاب أطرق هشام طويلا ثم قال يا أبرش هشام يكتب الى بلد

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصل اليه مفضلا لا هالله ثم تمثل

اذا أنت طاوعت الهوى قادك الهوى * الى بعض ما فيه عليك مقال

وأوقف الكتاب وذكر أن خشا ما أهدى له رجل طائرين فأعجب بهما فقال له الرجل جائزتي يا أمير المؤمنين قال وما جائزة طائرين قال له ما شئت قال خذ أحدهما فقصد الرجل لأحسنهما فأخذه فقال له هشام وتختار أيضا قال نعم والله أختار فقال دعه وأمر له بدريهمات ودخل هشام بستانا له ومعه ندماؤه فطافوا به وبه من كل الثمار فجعلوا يأكلون ويقولون بارك الله لامير المؤمنين فقال وكيف يبارك لى فيه وأنتم تأكلونه ثم قال ادع قيمه فدعا به فقال له اقلع شجره واغرس فيه زيتونا حتى لا يأكل منه أحد شيأ وكتب اليه ابنه سليمان ان بغلتي قد عجزت فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بدابة فكتب اليه أمير المؤمنين قد فهم كتابك وما ذكرت من ضعف دابتك وقد ظن أن ذلك من قلة تعاهدك لعلفها وضياع العلف فقم عليها بنفسك ولعل أمير المؤمنين يرى رأيه في حملانك ونظر هشام الى رجل على برذون طخاري فقال من أين لك هذا قال حملني عليه الجنيد بن عبد الرحمن قال وقد كثرت الطخارية حتى ركبها العامة لقد مات عبد الملك وفي مربطه برذون واحد طخاري تنافس فيه ولده حتى ظن من فاته أن الخلافة فاتته قال الرجل فحسدني اياه وقد كان اخوه مسلمة مازحه قبل أن يلي الامر فقال له يا هشام اتؤمل الخلافة وأنت جبان بخيل فقال والله اني عليم حليم (وذكر الهيثم بن عدي والمدائني وغيرهما) أن السواس من بني أمية ثلاثة معاوية وعبد الملك وهشام وختمت أبواب السياسة وحسن السيرة وأن المنصور كان في أكثر أموره وتدبيره وسياسته متبعا لهشام في أفعاله لكثرة كشفه عن أخبار هشام وسيره وقد أتينا على غرر أخباره وسيره وسياساته وما حفظ من أشعاره وخطبه وما كان في أيامه في كتابينا أخبار الزمان والأوسط وكذلك ذكرنا بدء الكلام الذي أثار تصنيف الكتاب المعروف بكتاب الواحدة في مناقب العرب ومثالبها مفردة لا يشاركها فيها غيرها وما أضيف الى كل حي من العرب من قحطان وغيرهم من نزار وما جرى في مجلس هشام في أوقات مختلفة بين الابرش الكلبي والعباس بن الوليد بن عبد الملك وخالد بن سلمة المخزومي والنضر بن مريم الحميري وما أورده الحميري من مناقب قومه من نزار بن معد بن عدنان وما ذكره كل واحد منهم من المثالب فيما عدا قومه وبان عن عشيرته ورهطه وقد قيل ان هذا الكتاب ألفه أبو عبيدة معمر بن المثنى مولى آل تيم بن مرة بن كعب بن لؤي على لسان من ذكرنا وعزاه الى من وصفنا أو غيره من الشعوبية

(ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان)

وبويع الوليد بن يزيد في اليوم الذي توفي فيه هشام وهو يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ثم قتل بالبخراء يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة فكانت ولايته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما وقتل وهو ابن أربعين سنة والموضع الذي قتل فيه دفن فيه وهي قرية من قرى دمشق تعرف بالبخراء على ما ذكرنا وقد أتينا على خبر مقتله في كتابنا الاوسط

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

ظهر في أيام الوليد بن يزيد يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بالجوزجان من بلاد خراسان منكراً للظلم وما عم الناس من الجور فسير اليه نصر بن يسار وسلم ابن أحوز المازني فقتل يحيى في المعركة بقرية يقال لها أرعونة ودفن هنالك وقبره مشهور مزور الى هذه الغاية وليحيى وقائع كثيرة وقتل في المعركة بسهم أصابه في صدغه فولى أصحابه عنه يومئذ واحتز رأسه فحمل الى الوليد وصلب جسده بالجوزجان فلم يزل مصلوبا الى أن خرج ابو مسلم صاحب الدولة العباسية فقتل ابو مسلم سلم بن أحوز وأنزل جثة يحيى فصلى عليها ودفنت هنالك وأظهر أهل خراسان النياحة على يحيى بن زيد سبعة أيام في سائر أعمالها في حال أمنهم على أنفسهم من سلطان بني امية ولم يولد في تلك السنة بخراسان مولود الا وسمي بيحيى أو بزيد لما داخل أهل خراسان من الجزع والحزن عليه وكان ظهور يحيى في آخر سنة خمس وعشرين وقيل أول سنة ست وعشرين ومائة وقد أتينا على أخباره وما كان من حروبه في الكتاب الأوسط وفي غيره مما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن اعادته وكان يحيى يوم قتل يكثر من التمثل بشعر الخنساء

نهين النفوس وهون النفو * س يوم الكريهة أوقى لها

وكان الوليد بن يزيد صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء وهو أول من حمل المغنين من البلدان اليه وجالس الملهين وأظهر الشرب والملاهي والعزف وفي أيامه كان ابن شريح المغني ومعبد والغريض وابن عائشة وابن محرز وطويس ودحمان وغلبت عليه شهوة الغناء في أيامه وعلى الخاص والعام واتخذ القيان وكان متهتكا ماجنا خليعا وطرب الوليد لليلتين خلتا من ملكه وأرق فأنشأ يقول

طال ليلي وبت أسقي السلافه * وأتاني نعي من بالرصافه
وأتاني ببردة وقضيب * وأتاني بخاتم للخلافه

ومن مجونه قوله عند وفاة هشام وقد أتاه البشير بذلك وسلم عليه بالخلافه

اني سمعت خليلي * نحو الرصافة رنه
أقبلت أسحب ذيلي * أقول ما حالهنه
اذا بنات هشام * يندبن والدهنه
يدعون ويلا وعولا * والويل حل بهنه
أنا المخنث حقا * ان لم انيكهنه

وقيل للوليد ما بقي من لذاتك قال محادثة الاخوان في الليالي القمر على الكثبان العفر وبلغ الوليد عن شراعة بن الزيدوروذ حسن عشرة وحلاوة مجالسة فبعث في احضاره فلما دخل اليه قال اني ما بعثت اليك لاسألك عن كتاب ولا سنة قال ولست من أهلها قال انما أسألك عن القهوة قال سل عن أي ذلك شئت يا أمير المؤمنين قال ما تقول في الشراب قال عن أيه تسأل قال ما تقول في الماء قال يشاركني فيه البغل والحمار قال فنبيذ الزبيب قال خمار وأذى قال فنبيذ التمر قال ضراط كله قال فالخمر قال شقيقة روحي وأليفة نفسي

قال فما تقول فى السماع قال يبعث ويسمع الثانى على ذكر الاشجان ويجدد الهوى على مواقع الاحزان ويؤنس الخل الوحيد ويسر العاشق الفريد ويبرد غليل القلوب ويثير من خواطر الضمائر خطرة ليست من الملاهى لغيره يسرع ترقيها فى أجزاء الجسد فتهيج النفس وتقوى الحس قال فأى المجالس أحب اليك قال ما رأيت فيه السماء من غير أن ينالنى فيه أذى قال فما تقول فى الطعام قال ليس لصاحب الطعام اختيار ما وجده أكله فاتخذه الوليد نديما ومن مليح قوله فى الشراب من أبيات

وصفراء فى الكأس كالزعفران * سباها لنا التجر من عسقلان
تريك القذاة وعرض الاناء * ستر لها دون مس البنان
لها حبب كلما صفقت * تراها كلمعة برق يمانى

ومن مجونه أيضا على شرابه قوله لساقيه

اسقنى يا يزيد بالقرقاره * قد طربنا وحنت الزماره
اسقنى اسقنى فان ذنوبى * قد أحاطت فما لها كفاره

وأخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى القاضى عن محمد بن سلام الجمحى قال حدثنى رجل من شيوخ أهل الشأم عن أبيه قال كنت سمير الوليد بن يزيد فرأيت ابن عائشة القرشى عنده وقد قال له غننى فغناه

انى رأيت صبيحة النفر * حورا نفين عزيمة الصبر
مثل الكواكب فى مطالعها * عند العشاء أطفن بالبدر
وخرجت أبغى الاجر محتسبا * فرجعت موقورا من الوزر

فقال له الوليد أحسنت والله يا أمير المؤمنين أعد بحق عبد شمس فأعاد فقال أحسنت والله بحق أمية أعد فأعاد فجعل يتخطى من أب الى أب ويأمره بالاعادة حتى بلغ نفسه فقال أعد بحياتى فأعاد فقام الى ابن عائشة فأكب عليه ولم يبق عضوا من أعضائه الا قبله وأهوى الى أيره فجعل ابن عائشة يضم ذكره بين فخذيه فقال الوليد والله لا زلت حتى أقبله فقبل رأسه وقال واطرباه واطرباه ونزع ثيابه فألقاها على ابن عائشة وبقى مجردا الى أن أتوه بثياب غيرها ودعا له بألف دينار فدفعت اليه وحمله على بغلة وقال اركبها على بساطى وانصرف فقد تركتنى على أحر من جمر الغضى (قال المسعودى) وقد كان ابن عائشة غنى بهذا الشعر يزيد بن عبد الملك أباه فأطربه وقيل انه الحد وكفر فى طربه وكان فيما قال لساقيه اسقنا بالسماء الرابعة فكأن الوليد بن يزيد قد ورث الطرب فى هذا الشعر عن أبيه والشعر لرجل من قريش والغناء لابن شريح وقيل لمالك على حسب ما فى كتب الاغانى من الخلاف فى ذلك مما ذكره اسحاق بن ابراهيم الموصلى فى كتابه فى الاغانى وابراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة فى كتابه فى الاغانى أيضا وغيرهما ممن صنف فى هذا المعنى والوليد يدعى خليع بنى مروان وقرأ ذات يوم واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد فدعا بالمصحف فنصبه غرضا للنشاب وأقبل يرميه وهو يقول

أتوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يا رب خرقني الوليد

وذكر محمد بن يزيد المبرد أن الوليد ألحد في شعر له ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأن الوحي لم يأته عن ربه كذب أخزاه الله ومن ذلك في الشعر

تلعب بالخلافة هاشمي * بلا وحي أتاه ولا كتاب

فقل لله يمنعني طعامي * وقل لله يمنعني شرابي

فلم يمهل بعد قوله الا أياما حتى قتل وأم الوليد بن يزيد أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفية ويكنى أبا العباس وقد كان حمل اليه جفنة من البلور وقيل من الحجر المعروف باليشب وقد ذهب جماعة من الفلاسفة الى أن من شرب فيه الخمر لا يسكر وقد ذكرنا خاصية ذلك في كتاب القضايا والتجارب وأن من وضع تحت رأسه منه قطعة أو كان فص خاتمه منه لم ير الا رؤيا حسنة فأمر الوليد فملئت خمرا وطلع القمر وهو يشرب وندماؤه معه فقال أين القمر الليلة فقال بعضهم في البرج الفلاني فقال له آخر منهم بل هو في الجفنة وقد كان القمر تبين في شعاع الجوهر وصورته في ذلك الشراب فقال الوليد والله ما تمديت ما في نفسي وطرب طربا شديدا وقال لاصطبحن هفت هفته وهذا كلام فارسي تفسيره لاصطبحن سبعة أسابيع فدخل عليه بعض حجابه فقال يا أمير المؤمنين ان بالباب جمعا من وفود العرب وغيرهم من قريش والخلافة تجل عن هذه المنزلة وتبعد عن هذه الحال فقال اسقوه فأبى فوضع في فمه قمع وجعلوا يسقونه حتى خر ما يعقل سكرا وقد كان أبوه اراد أن يعهد اليه فلا ستصغاره لسنه عهد الى أخيه هشام ثم الى الوليد من بعده وكان الوليد مغرى بالخيل وحبها وجمعها واقامة الحلبة وكان السندي فرسه جواد زمانه وكان يسابق به في أيام هشام وكان يقصر عن فرس هشام المعروف بالزائد وربما ضامه وربما جاء مصليا وهاك مراتب السوابق من الخيل اذا جرت فأولها السابق ثم المصلي وذلك أن رأسه عند صلا السابق ثم الثالث والرابع وكذلك الى التاسع والعاشر السكيت مشدد وما جاء بعد ذلك لم يعتد به والفسكل الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل وأجرى الوليد الخيل بالرصافة وأقام الحلبة وهي يومئذ ألف قارح ووقف بها ينتظر الزائد ومعه سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص وكان له فيها جواد يقال له المصباح فلما طلعت الخيل قال الوليد

خيلي ورب الكعبة المحرمة * سبقن افراس الرجال اللومه

كما سبقناهم وحزنا المكرمه

فاقبل فرس ابن الوليد ويقال له الوضاح أمام الخيل فلما دنا صرع فارسه واقبل المصباح فرس سعيد يتلوه وعليه فارسه وهو فيما يرى سعيد يعد سابقا فقال سعيد

نحن سبقنا اليوم خيل اللومه * وصرف الله الينا المكرمه

كذلكا في الدهور المقدمه * أهل العلا والرتب المعظمه

فضحك الوليد لما سمعه وخشي أن تسبق فرس سعيد فركض فرسه حتى ساوى الوضاح فقذف بنفسه عليه ودخل سابقا فكان الوليد أول من فعل ذلك وسنه في الحلبة ثم تلاه في الفعل كذلك المهدي في أيام المنصور والهادي في أيام المهدي ثم عرضت على الوليد

الخيل

الخيل فى الحلبة الثانية فمر به فرس لسعيد فقال لا انسا بقك أبا عنبسة وأنت القائل

فنحن سبقنا اليوم خيل الومه فقال سعيد ليس كذا قلت يا أمير المؤمنين وانما قلت

فنحن سبقنا اليوم خيلا لومه فضحك الوليد وضمه الى نفسه وقال لاعدمت قريش أمثا

مثلك وللوليد بن يزيد أخبار حسان فى جمعه الخيول فى الحلبة فانه اجتمع له فى الحلبة ألف

قارح وجمع بين الفرس المعروف بالزائد والفرس المعروف بالسندى وكانا ناقد يزرا فى

الجرى على خيول زمانهما وقد ذكر ذلك جماعة من الأخباريين وأصحاب التواريخ مثل ابن

عفير والاصمعى وأبى عبيدة وجعفر بن سليمان وقد أتينا على الغرر من أخباره فى أخبار الخيل

وأخبار الحلبات وخبر الفرس المعروف بالزائد والسندى واشقر مروان وغير ذلك من

أخبار من سلف من الامويين ومن تأخر فى كتابنا المترجم بالأوسط وانما الغرض من هذا

الكتاب ايراد جوامع تاريخهم ولمع من أخبارهم وسيرهم وكذلك أتينا على ذكر ما يستحب

من معرفة خلق الخيل وصفاتها من سائر أعضائها وعيوبها وخلقها والشابت منها والهرم

ووصف ألوانها ودوائرها وما يستحسن من ذلك ومقادير أعمارها ومنتهى بقائها وتنازع

الناس فى اعداد هذه الدوائر المحمودة منها والمذمومة ومن رأى انها ثمانى عشرة أو أقل

من ذلك أو أكثر على حسب ما أدرك من طرق العادات بها والتجارب ووصف السوابق من

الخيل وغير ذلك مما تكلم الناس به فى شأنها وأعراقها فيما سلف من كتبنا وفى أيام

الوليد بن يزيد كانت وفاة أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وقد تنوزع

فى ذلك فمن الناس من رأى أن وفاته كانت فى أيام هشام وذلك سنة عشرة ومائة ومن

الناس من رأى انه مات فى أيام يزيد بن عبد الملك وهو ابن سبع وخمسين سنة بالمدينة ودفن

بالبقيع مع أبيه على بن الحسين وغيره من سلفه عليهم السلام مما سنورد ذكرهم فيما يرد

من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق

(ذكر أيام يزيد وابراهيم ابنى الوليد بن عبد الملك بن مروان)

ولى يزيد بن الوليد بدمشق ليلة الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة فبايعه الناس بعد

قتل الوليد بن يزيد وتوفى يزيد بن الوليد بدمشق يوم الأحد هلال ذى الحجة سنة ست

وعشرين ومائة فكانت ولايته من مقتل الوليد بن يزيد الى ان مات خمسة اشهر وليلتين وقد

كان ابراهيم بن الوليد أخوه قام بالامر من بعده فبايعه الناس بدمشق أربعة أشهر وقيل

شهرين ثم خلع وكانت أيامه عجيبة الشأن من كثرة الهرج والاختلاط واختلاف الكلمة

وسقوط الهيبة وفيه يقول بعض أهل ذلك العصر

نبايع ابراهيم فى كل جمعة * ألا ان أمرا أنت واليه ضائع

ودفن يزيد بن الوليد بدمشق بين باب الجابية وباب الصغير وهو ابن سبع وثلاثين سنة ويقال

ابن ست وأربعين سنة

(ذكر لمع مما كان فى أيامهما)

كان يزيد بن الوليد أحول وكان يلقب بيزيد الناقص ولم يكن ناقصا فى جسمه ولا عقله وانما

فاقش بعض ابخنده من ارزاقهم فقالوا يزيد الناقص وكان يذهب الى قول المعتزلة وما يذهبون اليه فى الأصول الخمسة من التوحيد والعدل والوعد والوعيد والأسماء والأحكام وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتفسير قولهم فيما ذهبوا اليه من الباب الاول وهو باب التوحيد هو ما اجتمعت عليه المعتزلة من البصريين والبغداديين وغيرهم وان كانوا فى غيره ذلك من فروعهم متباينين من أن الله عز وجل لا كالأشياء وأنه ليس بجسم ولا عرض ولا عنصر ولا بجزء ولا جوهر بل هو الخالق للجسم والعرض والعنصر والجزء والجوهر وأن شيأ من الحواس لا يدركه فى الدنيا ولا فى الآخرة وأنه لا يحصره المكان ولا تحويه الأقطار بل هو الذى لم يزل ولا زمان ولا مكان ولا نهاية ولا حد وأنه الخالق للاشياء المبدع لها لا من شئ وأنه القديم وأن ما سواه محدث (وأما القول بالعدل) وهو الاصل الثانى فهو أن الله لا يحب الفساد ولا يخلق أفعال العباد بل يفعلون ما أمر وابه ونهوا عنه بالقدرة التى جعلها الله لهم وركبها فيهم وأنه لم يأمر الا بما أراد ولم ينه الا عما كرهه وانه ولى كل حسنة أمر بها برى من كل سيئة نهى عنها لم يكلفهم ما لا يطيقونه ولا أراد منهم ما لا يقدرون عليه وأن أحدا لا يقدر على قبض ولا بسط الا بقدرة الله التى أعطاهم اياها وهو المالك لها دونهم يفنيها اذا شاء ويبقيها اذا شاء ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم اضطرارا عن معصيته ولكان على ذلك قادرا غير أنه لا يفعل اذ كان فى ذلك رفع للمحنة وازالة للبلوى (وأما القول بالوعيد) وهو الاصل الثالث فهو أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر الا بالتوبة وأنه لصادق فى وعده ووعيده لا مبدل لكلماته (وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين) وهو الأصل الرابع فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسقا على حسب ماورد التوقيف بتسميته وأجمع أهل الصلاة على فسوقه (قال المسعودى) وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو الاعتزال وهو الموصوف بالاسماء والاحكام مع ما تقدم من الوعيد فى الفاسق من الخلود فى النار (وأما القول بوجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر) وهو الأصل الخامس فهو أن ماذكر على سائر المؤمنين واجب على حسب استطاعتهم فى ذلك بالسيف فما دونه وان كان كالجهاد ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة ومن اعتقد ماذكرنا من هذه الأصول الخمسة كان معتزليا فان اعتقد الأكثر والأقل لم يستحق اسم الاعتزال فلا يستحقه الا باعتقاد هذه الاصول الخمسة وقد تنوزع فيما عدا ذلك من فروعهم وقد أتينا على سائر قولهم فى أصولهم وفروعهم وأقاويلهم وأقاويل غيرهم من فرق الأمة من الخوارج والمرجئة والرافضة والزيدية والحشوية وغيرهم فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات وافردنا بذلك كتابنا المترجم بكتاب الابانة اجتبيناه لانفسنا وذكرنا فيه الفرق بين المعتزلة وأهل الامامة وما بان به كل فريق منهم عن الآخر اذ كانت المعتزلة وغيرها من الطوائف تذهب الى أن الامامة اختيار من الأمة وذلك أن الله عز وجل لم ينص على رجل بعينه وأن اختيار ذلك مفوض الى الأمة تختار رجلا منها ينفذ فيها أحكامه سواء كان قرشيا أو غيره من أهل ملة الاسلام وأهل العدالة والايمان ولم يراعوا فى ذلك النسب ولا غيره وواجب على أهل كل عصر

أن يفعلوا ذلك والذى ذهب الى أن الامامة قد تجوز فى قريش وغيرهم من الناس هو المعتزلة بأسرها وجماعة من الزيدية مثل الحسن بن صالح ابن حى ومن قال بقوله على حسب ما قدمنا من ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار هشام ويوافق من ذكرنا على هذا القول جميع الخوارج من الاباضية وغيرهم الا النجدات من فرق الخوارج فزعموا أن الامامة غير واجب نصبها ووافقهم على هذا القول أناس من المعتزلة ممن تقدم وتأخر الا أنهم قالوا ان عدلت الامة ولم يكن فيها فاسق لم تحتج الى امام وذهب من قال بهذا القول الى دلائل ذكروها منها قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو أن سالما حيا ما تخالجنى فيه الظنون وذلك حين فوّض الأمر الى أهل الشورى قالوا وسالم مولى امرأة من الانصار فلو لم يعلم عمر أن الامامة جائزة فى سائر المؤمنين لم يطلق هذا القول ولم يتأسف على موت سالم مولى أبى حذيفة قالوا وقد صح بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة منها قوله اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع وقد قال الله عز وجل ان أكرمكم عند الله أتقاكم وذهب أبو حنيفة وأكثر المرجئة وأكثر الزيدية من الجارودية وغيرها وسائر فرق الشيعة والرافضة والراوندية الى أن الامامة لا تجوز الا فى قريش لقول النبى صلى الله عليه وسلم الامامة فى قريش وقوله عليه السلام قدموا قريشا ولا تقدموها ولما احتج المهاجرون به على الانصار يوم سقيفة بنى ساعدة من أن الامامة فى قريش لأنهم اذا ولوا عدلوا ولرجوع كثير من الانصار الى ذلك ولما انفرد به أهل الامامة من أن الامامة لا تكون الا نصا من الله ورسوله على عين الامام واسمه واشتهاره كذلك وفى سائر الأعصار لا تخلو الناس من حجة الله فيهم ظاهرا وباطنا على حسب استعماله التقية والخوف على نفسه واستدلوا بالنص على أن الامامة فى قريش وبدلايل كثيرة من العقول وجوامع من النصوص فى وجوبها وفى النص عليهم وفى عصمتهم من ذلك قوله عز وجل مخبرا عن ابراهيم انى جاعلك للناس اماما ومسئلة ابراهيم بقوله ومن ذريتى واجابة الله له بأنه لا ينال عهدى الظالمين قالوا ففيما تلونا دلائل على أن الامامة نص من الله ولو كان نصها الى الناس ما كان لمسئلة ابراهيم ربه وجه ولما كان الله قد أعلمه أنه اختاره وقوله لا ينال عهدى الظالمين دلالة على أن عهده يناله من ليس بظالم ووصف هؤلاء الامام فقالوا ونعت الامام فى نفسه (أن يكون معصوما من الذنوب) لأنه ان لم يكن معصوما لم يؤمن أن يدخل فيما يدخل فيه غيره من الذنوب فيحتاج أن يقام عليه الحد كما يقيمه هو على غيره فيحتاج الامام الى امام الى غير نهاية ولم يؤمن عليه أيضا أن يكون فى الباطن فاسقا فاجرا كافرا (وأن يكون أعلم الخليقة) لأنه ان لم يكن عالما لم يؤمن عليه أن يقلب شرائع الله وأحكامه فيقطع من يجب عليه الحد ويحد من يجب عليه القطع ويضع الأحكام فى غير المواضع التى وضعها الله (وأن يكون أشجع الخلق) لأنهم يرجعون اليه فى الحرب فان جبن وهرب يكون قد باء بغضب من الله (وأن يكون أسخى الخلق) لانه خازن المسلمين وأمينهم فان لم يكن سخيا تاقت نفسه الى أموالهم وشرهت الى ما فى أيديهم وفى ذلك الوعيد بالنار وذكروا خصالا كثيرة ينال بها أعلى درجات الفضل لا يشاركه فيها أحد وأن

ذلك كله وجد فى على بن أبى طالب وولده رضى الله عنهم فى السبق الى الايمان والهجرة والقرابة والحكم بالعدل والجهاد فى سبيل الله والورع والزهد وأن الله قد أخبر عن بواطنهم وموافقتها لظواهرهم بقوله عز وجل ووصفه لهم فيما صنعوه من الاطعام للمسكين واليتيم والاسير وأن ذلك لوجهه خالصا لا أنهم أبدوه بألسنتهم فقط وأخبر عن أمرهم فى المنقلب وحسن المؤمل فى المحشر ثم فى أخباره عز وجل بما أذهب عنهم من الرجس وفعل بهم من التطهير وفى غير ذلك مما أوردوه دلايل لما قالوه وأن عليا نص على ابنه الحسن ثم الحسين والحسين على على بن الحسين وكذلك من بعده الى صاحب الوقت الثانى عشر على حسب ما ذكرنا وسمينا فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب ولاهل الامامة من فرق الشيعة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة كلام كثير فى الغيبة واستعمال التقية وما يذكرونه من أبواب الائمة والأوصياء لا يسعنا ايراده فى هذا الكتاب اذ كان كتاب خبر وانما تغلغل بنا الكلام الى ايراد لمع من هذه المذاهب والآراء وكذلك ما عليه غير أهل الامامة من أصحاب دين الهجرة والمشورة وما يراعونه من الظهور وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وما وصفنا فيها من الأقاويل فى الظاهر والباطن والسائر والدائر والوافر وغير ذلك من أمورهم وأسرارهم (قال المسعودى) وكان خروج يزيد بن الوليد بدمشق مع سابقة من المعتزلة وغيرهم من أهل داريا والمزه من غوطة دمشق على الوليد ابن يزيد لما ظهر من فسقه وشمل الناس من جوره فكان خبر مقتل الوليد ما قد ذكرناه فيما سلف من كتبنا مفصلا وذكرناه فى هذا الكتاب مجملا وكان يزيد بن الوليد أول من ولى هذا الأمر وأمه أم ولد وكانت أمه سارية بنت فيروز وهو الذى يقول فى ذلك

انا ابن كسرى وأبى مروان * وقيصر جدى وجدى خاقان

وكان يكنى بأبى خالد وام أخيه ابراهيم أم ولد تدعى بريرة والمعتزلة تفضل فى الديانة يزيد بن الوليد على عمر بن عبد العزيز لما ذكرناه من الديانة وفى سنة سبع وعشرين ومائة أقبل مروان بن محمد بن مروان من الجزيرة فدخل دمشق وخرج ابراهيم بن الوليد هاربا من دمشق ثم ظفر به مروان فقتله وصلبه وقتل من مالأه ووالاه وقتل عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد القسرى وبدا أمر بنى امية يؤول الى ضعف وذكر الصبى عن الخليل ابن ابراهيم السبيعى قال سمعت ابن الحى يقول قال لى العلاء بن بنت ذى الكلاع انه كان موانسا لسليمان بن عبد الملك لا يكاد يفارقه وكان أمر المسودة بخراسان والمشرق قد بان ودنا من الجبل وقرب من العراق واشتد ارجاف الناس ونطق العدو بما أحب فى بنى أمية وأوليائهم قال العلاء فانى لمع سليمان وهو يشرب حذاء رصافة أبيه وذلك فى آخر أيام يزيد الناقص وعنده حكم الوادى وهو يغنيه بشعر العرجى

ان الحبيب تروحت أجماله * أصلا فدمعك دائم اسباله

أفى الحياة فقد بكيت بعولة * لو كان ينفع باكيا اعواله

ياحبذا تلك الحمول وحبذا * شخص هناك وحبذا أشكاله

فأجاد بما شاء فشرب سليمان بالرطل وشربنا معه حتى توسدنا أيدينا فلم أنتبه الا بتحريك

قوله وذلك فى آخر أيام الخ لا يخفى أن سليمان كانت ولايته قبل يزيد الناقص بأربعة وهم عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك بن مروان والوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان فلا يصح ما ذكره فلعل الحكاية متعلقة بيزيد الناقص وانه الراءى للمنام المذكور أو أنه سليمان بن هشام

سليمان

سليمان اباى فقمت اليه مسرعا فقلت ماشان الامير فقال لى على رسلك رأيت كأنى فى مسجد دمشق وكأن رجلا فى يده خنجر وعليه تاج أرى بصيص مافيه من جوهر وهو رافع صوته بهذه الابيات

أبنى امية قد دنا تشتيتكم * وذهاب ملككم وأن لا يرجع
وينال صفوته عدو ظالم * للمحسنين اليه ثمة يفجع
بعد الممات بكل ذكر صالح * ياويله من قبح ماقد يصنع

فقلت بل لا يكون ذلك وعجبت بن حفظه ولم يكن من أصحاب ذلك فوجم ساعة ثم قال ياحميرى بعيد ما يأتى به الزمان قريب قال فما اجتمعنا على شراب بعد ذلك ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان من أمر المسودة ومروان بن محمد الجعدى ما كان وذكر المقرى قال سئل بعض شيوخ بنى أمية ومحصليها عقيب زوال الملك عنهم الى بنى العباس ما كان سبب زوال ملككم قال انا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا فظلمنا رعيتنا فيئسوا من انصافنا وتمنوا الراحة منا وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا وأمضوا أمورا دوننا أخفوا علمها عنا وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعادينا فتظافروا معهم على حربنا وطلبنا أعداءنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا

(ذكر السبب فى العصبية بين النزارية واليمانية)

ذكر أبو الحسن على بن محمد بن سليمان النوفلى قال حدثنى أبى قال لما قال الكميت بن زيد الأسدى من أسد مضر بن نزار الهاشميات قدم البصرة فأتى الفرزدق فقال يا أبا فراس انا ابن أخيك قال ومن أنت فانتسب له فقال صدقت فما حاجتك قال نفث على لسانى وأنت شيخ مضر وشاعرها وأحببت أن أعرض عليك ماقلت فان كان حسنا أمرتنى باذاعته وان كان غير ذلك أمرتنى بستره وسترته على فقال يا ابن اخى أحسب شعرك على قدر عقلك فهات ماقلت راشدا فأنشده

طربت وماشوقا الى البيض أطرب * ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب

قال بلى فالعب فقال

ولم يلهنى دار ولا رسم منزل * ولم يتطربنى بنان مخضب

قال فما يطربك اذا قال

وما انا ممن يزجر الطير همه * أصاح غراب أو تعرض ثعلب

قال فما أنت ويحك والى من تسمو فقال

وما السانحات البارحات عشية * أمر سليم القرن أم مر أعضب

قال أما هذا فقد أحسنت فيه فقال

ولكن الى أهل الفضائل والنهى * وخير بنى حواء والخير يطلب

قال من هم ويحك قال

الى النفر البيض الذين بحبهم * الى الله فيما نابنى أتقرب

قال أرحنى ويحك من هؤلاء قال

بنى هاشم رهط النبى فاننى * بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

قال لله درك يا بنى أصبت فأحسنت اذ عدلت عن الزعانف والاوباش اذا لا يصرد سهمك ولا يكذب قولك ثم مرّ فيها فقال له أظهرتم أطهر وكد الاعداء فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقى فحينئذ قدم المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم فأذن له ليلا وانشده فلما بلغ من الميمية قوله

وقتيل بالطف غودر منهم * بين غوغاء أمة وطغام

بكى أبو جعفر ثم قال يا كميت لو كان عندنا مال لاعطيناك ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لا زلت مؤيدا بروح القدس ما ذببت عنا أهل البيت فخرج من عنده فأتى عبد الله بن الحسن بن على فأنشده فقال يا أبا المستهل ان لى ضيعة أعطيت فيها أربعة الاف دينار وهذا كتابها وقد أشهدت لك بذلك شهودا وناوله اياه فقال بأبى أنت وأمى انى كنت أقول الشعر فى غيركم أريد بذلك الدنيا والمال ولا والله ما قلت فيكم الا لله وما كنت لآخذ على شئ جعلته لله مالا ولا ثمنا فألح عبد الله عليه وأبى من اعفائه فأخذ الكميت الكتاب ومضى فمكث أياما ثم جاء الى عبد الله فقال بأبى أنت وأمى يا ابن رسول الله ان لى حاجة قال وما هى وكل حاجة لك مقضية قال كائنة ما كانت قال نعم قال هذا الكتاب تقبله وترتجع الضيعة ووضع الكتاب بين يديه فقبله عبد الله ونهض عبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فأخذ ثوبا جلدا فدفعه الى أربعة من غلمانه ثم جعل يدخل دور بنى هاشم ويقول يا بنى هاشم هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم وعرّض دمه لبنى أمية فأثيبوه بما قدرتم فيطرح الرجل فى الثوب ما قدر عليه من دنانير ودراهم وأعلم النساء بذلك فكانت المرأة تبعث ما أمكنها حتى انها لتخلع الحلى عن جسدها فاجتمع من الدنانير والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم فجاء بها الى الكميت فقال يا أبا المستهل أتيناك بجهد المقل ونحن فى دولة عدونا وقد جمعنا هذا المال وفيه حلى النساء كما ترى فاستعن به على دهرك فقال بأبى أنت وأمى قد أكثرتم وأطيبتم وما أردت بمدحى اياكم الا الله ورسوله ولم آك لآخذ لذلك ثمنا من الدنيا فاردده الى أهله فجهد به عبد الله أن يقبله بكل حيلة فأبى فقال ان أبيت ان تقبل فانى رأيت ان تقول شيأ تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما يحب فابتدأ الكميت وقال قصيدته التى يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار واياد وأنمار أبنى نزار ويكثر فيها من تفضيلهم ويطنب فى وصفهم وأنهم افضل من قحطان فغضب بها بين اليمانية والنزارية فيما ذكرناه وهى قصيدته التى أولها

الاحييت عنا يا مدينا * وهل ناس تقول مسلمينا

الى أن انتهى الى قوله تصريحا وتعريضا باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم فيها وهو قوله

لنا قمر السماء وكل نجم * تشير اليه أيدي المهتدينا
وجدنا الله اذ سمى نزارا * وأسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات * وللناس القفا ولنا الجبينا
وما ضربت هجائن من نزار * فوالج من فحول الأعجمينا
وما حملوا الحمير على عتاق * مطهرة فيلفوا مبلغينا
وما وجدت بنات بني نزار * حلائل أسودين وأحمرينا

وقد نقض دعبل بن علي الخزاعي هذه القصيدة على الكميت وغيرها وذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها وغيرها وصرح وعرض بغيرهم كفعل الكميت وذلك في قصيدته التي أولها

افيقي من ملامك يا ظعينا * كفاك اللوم مر الاربعينا
الم تحزنك أحداث الليالي * يشيبن الذوائب والقرونا
أحيي الغر من سروات قومي * لقد حييت عنا يا مدينا
فان يك آل اسرائل منكم * وكنتم بالأعاجم فاخرينا
فلا تنس الخنازير اللواتي * مسخن مع القرود الخاسئينا
بأيلة والخليج لهم رسوم * وآثار قدمن وما محينا
وما طلب الكميت طلاب وتر * ولكنا لنصرتنا هجينا
لقد علمت نزار أن قومي * الى نصر النبوة فاخرينا

وهي طويلة وهي قول الكميت في النزارية واليمانية وافتخرت نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار وأدلى كل فريق بماله من المناقب وتحزبت الناس وثارت العصبية في البدو والحضر فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدي وتعصبه لقومه من نزار على اليمن وانحرف اليمن عنه الى الدعوة العباسية وتغلغل الأمر الى انتقال الدولة عن بني أمية الى بني هاشم ثم ما تلا ذلك من قصة معن بن زائدة باليمن وقتله أهلها تعصبا لقومه من ربيعة وغيرها من نزار وقطعه الحلف الذي كان بين اليمن وربيعة في القدم وفعل عقبه بن سالم بعمان والبحرين وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة كيادا لمعن وتعصبا من عقبة بن سالم لقومه من قحطان وغير ذلك مما تقدم وتأخر مما كان بين نزار وقحطان

(ذكر أيام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو الجعدي)

بويع مروان بن محمد بن مروان بدمشق يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين ومائة وقيل انما دعا الى نفسه بمدينة حران من ديار مضر وبويع له بها وأمه أم ولد يقال لها ريا وقيل طرونة كانت لمصعب بن الزبير فصارت بعد مقتله لمحمد بن مروان أبيه وكان مروان يكنى أبا عبد الملك واجتمع أهل الشأم على بيعته الا سليمان بن هشام بن عبد الملك وغيره من بني أمية فكانت أيامه منذ بويع بمدينة دمشق من أرض الشام الى مقتله خمس سنين وعشرة أيام وقيل خمس سنين وثلاثة أشهر وكان مقتله في أول سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومنهم من رأى أن ذلك كان في المحرم ومنهم من رأى

أنه كان فى صفر وقيل غير ذلك مما تنازع فيه أهل التواريخ والسير على حسب تنازعهم فى مقدار ملكه فمنهم من ذهب الى ان مدته خمس سنين وثلاثة أشهر ومنهم من قال خمسا وشهرين وعشرة أيام ومنهم من قال خمسا وعشرة أيام وكان مقتله ببوصير قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر وقد تنوزع فى مقدار سنه كتنازعهم فى مقدار ملكه فمنهم من زعم أنه قتل وهو ابن سبعين سنة ومنهم من قال ابن تسع وستين ومنهم من قال اثنين وستين ومنهم من قال ثمان وخمسين وانما نذكر هذا الخلاف من قولهم لئلا يظن ظان أنا قد أغفلنا ماذكروه أو تركنا شيأ مما وصفوه مما اليه قصدنا فى كتابينا أخبار الزمان والأوسط وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملا من كيفية مقتله وأخباره وجوامع من سيره وحروبه وما كان من أمر الدولتين فى ذلك من الماضية وهى الأموية والمستقبلة فى ذلك الزمان وهى العباسية مع افرادنا بابا نذكر فيه جوامع تاريخ ملك الامويين وهو الباب المترجم بذكر مقدار المدة من الزمان وماملكت فيه بنو أمية من الأعوام ثم نعقب ذلك بلمع من أخبار الدولة العباسية وأخبار أبى مسلم وخلافة أبى العباس السفاح ومن تلا عصره من خلفاء بنى العباس الى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة ابى اسحاق المتقى لله ابراهيم ابن المقتدر بالله ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق

(ذكر مقدار المدة من الزمان وماملكت فيه بنو أمية من الأعوام)

كان جميع ملك بنى أمية الى أن بويع أبو العباس السفاح ألف شهر كاملة لاتزيد ولا تنقص لانهم ملكوا تسعين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما (قال المسعودى) والناس متباينون فى تواريخ أيامهم والمعول على مانورده وهو الصحيح عند أهل البحث ومن عنى بأخبار هذا العالم وهو أن (معاوية) بن أبى سفيان ملك عشرين سنة (ويزيد) بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما (ومعاوية) بن يزيد شهرا واحدى عشر يوما (ومروان) بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيام (وعبد الملك) بن مروان احدى وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما (والوليد) بن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر ويومين (وسليمان) بن عبد الملك سنتين وستة أشهر وخمسة عشر يوما (وعمر) بن عبد العزيز رضى الله عنه سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام (ويزيد) بن عبد الملك أربع سنين وثلاثة عشر يوما (وهشام) بن عبد الملك تسعة عشر سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام (والوليد) ابن يزيد بن عبد الملك سنة وثلاثة أشهر (ويزيد) بن الوليد بن عبد الملك شهرين وعشرة أيام وأسقطنا أيام ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك كما اسقاطنا أيام ابراهيم بن المهدى أن يعد فى الخلفاء العباسيين (ومروان) بن محمد بن مروان خمس سنين وشهرين وعشرة أيام الى أن بويع السفاح فتكون الجملة تسعون سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما يضاف الى ذلك الثمانية أشهر التى كان مروان يقاتل فيها بنى العباس الى أن قتل فيصير ملكهم احدى وتسعين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما يوضع من ذلك أيام الحسن بن على وهى خمسة أشهر وعشرة أيام وتوضع أيام عبد الله بن الزبير الى الوقت الذى قتل فيه وهى سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيام فيصير الباقى بعد ذلك ثلاثا وثمانين سنة

قوله لانهم ملكوا الخ لايخفى مافيه وسيأتى بيانه

وأربعة أشهر يكون ذلك ألف شهر سواء وقد ذكر قوم أن تأويل قوله عز وجل "ليلة القدر خير من ألف شهر" ما ذكرناه من أيامهم وقد روى عن ابن عباس انه قال والله ليملكن بنو العباس ضعف ما ملكته بنو أمية باليوم يومين وبالشهر شهرين وبالسنة سنتين وبالخليفة خليفتين (قال المسعودى) ملك بنو العباس فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانقضى ملك بنى أمية فلبنى العباس من وقت ملكهم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مائتا سنة وذلك أن أبا العباس السفاح بويع له بالخلافة فى ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانتهينا فى تصنيفنا من هذا الكتاب الى هذا الموضع فى شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة فى خلافة أبى اسحاق المتقى لله والله أعلم بما يكون من أمرهم فيما يأتى به الزمان المستقبل بعد هذا الوقت من الايام وقد أتينا بحمد الله فيما سلف من كتابينا أخبار الزمان والأوسط على الغرر من أخبارهم والنوادر من أسمائهم والطرائف مما كان فى أيامهم وعهودهم ووصاياهم ومكاتباتهم وأخبار الحوادث والخوارج فى أيامهم من الأزارقة والأباضية وغيرهم ومن ظهر من الطالبين طالبا بحق أو آمرا بمعروف أو ناهيا عن منكر فقتل فى أيامهم وكذلك من تلاهم من بنى العباس الى خلافة المتقى لله من سنتنا هذه وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما ذكرنا فى هذا الكتاب من جوامع التاريخ قد يخالف ما تقدم بسطه باليوم أو العشرة أو الشهر عند ذكرنا الدولة كل واحد منهم وأيامه وهذا هو المعول عليه من تاريخهم وسنيهم والمفصل من مدتهم والله أعلم ومنه التوفيق

(ذكر الدولة العباسية ولمع من أخبار مروان ومقتله وجوامع من حروبه وسيره)

قد قدمنا فى الكتاب الاوسط ما ذكرته الراوندية وهم شيعة ولد العباس بن عبد المطلب من أهل خراسان وغيرهم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وأن أحق الناس بالامامة بعده العباس بن عبد المطلب لأنه عمه ووارثه وعصبته لقول الله عز وجل "وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله" وأن الناس اغتصبوه حقه وظلموه أمره الى أن رده الله اليهم وتبرأوا من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وأجازوا بيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه بأجازته لها وذلك لقوله يا ابن أخى هلم الى أن أبايعك فلا يختلف عليك اثنان ولقول داود بن على على منبر الكوفة يوم بويع لأبى العباس يا أهل الكوفة لم يقم فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن أبى طالب وهذا القائم فيكم يعنى أبا العباس السفاح وقد صنف هؤلاء كتبا فى هذا المعنى الذى ادعوه هى متداولة فى أيدى أهلها ومنتحليها منها كتاب صنفه عمرو بن بحر الجاحظ وهو المترجم بكتاب امامة ولد العباس يحتج فيه لهذا المذهب ويذكر فعل أبى بكر فى فدك وغيرها وقصته مع فاطمة رضى الله عنها ومطالبتها بارثها من أبيها صلى الله عليه وسلم واستشهادها بعلها وابنيها وأم أيمن وما جرى بينها وبين أبى بكر من المخاطبة وما كثر بينهم من المنازعة وما قالت وما قيل لها عن أبيها عليه السلام من انه قال نحن معاشر الانبياء نرث ولا نورث وما احتجت به من قوله عز وجل "وورث سليمان داود" على أن النبوة لا تورث فلم يبق الا التوارث وغير ذلك من الخطاب ولم

يصنف الجاحظ هذا الكتاب ولا استقصى فيه الحجاج للراوندية وهم شيعة ولد العباس لأنه لم يكن مذهبه ولا كان يعتقده لكن فعل ذلك تماجنا وتطربا وقد صنف أيضا كتابا استقصى فيه الحجاج عند نفسه وأيده بالبراهين وعضده بالأدلة فيما تصور من عقله ترجمه بكتاب العثمانية يحل فيه عند نفسه فضائل على عليه السلام ومناقبه ويحتج فيه لغيره طلبا لاماتة الحق ومضادة لأهله والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب العثمانية حتى أعقبه بتصنيف كتاب آخر فى امامة المروانية وأقوال شيعتهم ورأيته مترجما بكتاب أمير المؤمنين معاوية بن ابى سفيان فى الانتصار له من على بن أبى طالب رضى الله عنه وشيعته الرافضة يذكر فيه رجال المروانية ويؤيد فيه امامة بنى أمية وغيرهم ثم صنف كتابا آخر ترجمه بكتاب مسائل العثمانية يذكر فيه ما فاته ونقضه عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين على ومناقبه فيما ذكرنا وقد نقضت عليه ما ذكرنا من كتبه ككتاب العثمانية وغيره وقد نقضها جماعة من متكلمى الشيعة كأبى عيسى الوراق والحسن بن موسى النوبختى وغيرهما من الشيعة ممن ذكر ذلك فى كتبه فى الامامة مجتمعا ومفترقا وقد نقض على الجاحظ كتاب العثمانية أيضا رجل من شيوخ المعتزلة البغداديين ورؤسائهم وأهل الزهد والديانة منهم ممن يذهب الى تفضيل على والقول بامامة المفضول وهو أبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكاف وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين وفيها مات أحمد بن حنبل وسنذكر وفاة الجاحظ فيما يرد من هذا الكتاب ووفاة غيره من المعتزلة وان كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا والذى ذهب اليه من تأخر من الراوندية وانتقل وتحير عن جملة الكيسانية القائلة بامامة محمد بن الحنفية وهم الحربانية أصحاب أبى مسلم عبد الرحمن بن محمد صاحب الدولة العباسية وكان يلقب بحربان أن محمد بن الحنفية هو الامام بعد على بن أبى طالب وأن محمدا أوصى الى ابنه أبى هاشم وأن أبا هاشم أوصى الى على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وأن على بن عبد الله أوصى الى ابنه محمد بن على وأن محمدا أوصى الى ابنه ابراهيم الامام المقتول بحران وأن ابراهيم أوصى الى أخيه أبى العباس بن عبد الله بن الحارثية المقتول وقد تنوزع فى أمر أبى مسلم فمن الناس من رأى انه كان من العرب ومنهم من رأى انه كان عبدا فأعتق وكان من أهل البرس والجامعين من قرية يقال لها حرطينة واليها تضاف الثياب البرسية المعروفة بالحرطينية وتلك من أعمال الكوفة وسوادها وكان قهرمانا لادريس بن ابراهيم العجلى ثم آل أمره وتمت به الأقدار الى أن اتصل بمحمد بن على ثم بابراهيم بن محمد الامام فانفذه ابراهيم الى خراسان وأمر أهل الدعوة بطاعته والانقياد الى أمره ورأيه فقوى أمره وظهر سلطانه وأظهر السواد وصار زينة فى اللباس والأعلام والبنود وكان أول من سود من أهل خراسان وأهل بساند وأظهر ذلك فيهم أسيد بن عبد الله ثم نمى ذلك فى الأكثر من المدن والكور بخراسان وقوى أمر أبى مسلم وضعف أمر نصر ابن سيار صاحب مروان بن محمد الجعدى على بلاد خراسان وكانت له مع أبى مسلم حروب أكثر فيها أبو مسلم الحيل والمكائد من تفريقه بين اليمانية والنزارية بخراسان وغير ذلك مما احتال به على عدوه وقد كان لنصر بن سيار حروب كثيرة مع الكرمانى الى أن قتل أتينا

على

على ذكرها فى كتابينا أخبار الزمان والأوسط وذكرنا بدء اخبار الكرمانى جديع بن
على وما كان بينه وبين سالم بن أحوز صاحب نصر بن سيار وما كان من أمر خالد بن برمك
وقحطبة بن شبيب وغيرهما من الدعاة والمقيمين بخراسان للدعوة العباسية كسليمان بن
كثير وأبى داود خالد بن ابراهيم ونظرائهم وما كان من شعارهم عند اظهار الدعوة وندائهم
حين الحروب محمد يا منصور والسبب الذى له ومن اجله اظهروا استعمال السواد دون
سائر الألوان وطالت مكاتبه نصر بن سيار مروان واعلامه بما هو فيه واظهار أمر
العباسية وتزايده فى كل وقت فكان فيما كتب به اليه اعلامه بحال أبى مسلم وحال من
معه وأنه كشف عن أمره وبحث عن حاله فوجده يدعو الى ابراهيم بن محمد بن على بن
عبد الله بن العباس وضمن كتابه أبياتا من الشعر وهى

اری بين الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب أولها الكلام
فان لم تطفئوها تجن حربا * مشمرة يشيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعرى * أأيقاظ أمية أم نيام
فان يك قومنا أضحوا نياما * فقل قوموا فقد حان القيام
ففرى عن رحالك ثم قولى * على الاسلام والعرب السلام

فلما ورد الكتاب على مروان وجده مشتغلا بحروب الخوارج بالجزيرة وغيرها وما كان
من خبره فى حروبه مع الضحاك بن قيس الحرورى حتى قتله مروان بعد وقعا ثع كثيرة بين
كفرتوثى ورأس العين وكان الضحاك خرج من بلاد شهرزور ونصبت الخوارج بعد قتل
الضحاك عليها الخيبرى الشيبانى فلما قتل الخيبرى ولت الخوارج عليها أبا الذلفاء شيبان
الشيبانى وما كان من حروب مروان مع ثعيم بن ثابت الجذامى وكان خرج عليه ببلاد
طبرية والأردن من بلاد الشأم حتى قتله مروان وذلك فى سنة ثمان وعشرين ومائة فلم
يدر مروان كيف يصنع فى أمر نصر بن سيار وخراسان وانحيازه لما هو فيه من الحروب
والفتن فكتب اليه مروان مجيبا عن كتابه ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فاحسم
الثولات قبلك فلما ورد الكتاب على نصر قال لخواص أصحابه أما صاحبكم فقد أعلمكم
أن لا نصر عنده وأقام مروان اكثر أيامه لا يدنو من النساء الى أن قتل وبرزت له جارية من
جواريه فقال لها والله لا دنوت منك ولا حللت لك عقدة وخراسان ترجف وتضطرم بنصر
ابن سيار وأبو مجرم قد أخذ منه بالمخنق وكان مع ما هو فيه يديم قراءة سير الملوك وأخبارها
فى حروبها من الفرس وغيرها من ملوك الامم وعذله بعض أوليائه ممن كان يأنس اليه فى ترك
النساء والطيب وغير ذلك من اللذات فقال له مروان يمنعنى منهن ما منع أمير المؤمنين عبد
الملك فقال له الرجل وماذاك يا أمير المؤمنين قال حمل صاحب افريقية اليه جارية ذات بهاء
وكمال تامة المحاسن شهية للمتأمل فلما وقفت بين يديه تأمل حسنها وبيده كتاب ورد
من الحجاج وهو بدير الجماجم مواقعا لابن الاشعث فرمى بالكتاب عن يده وقال لها أنت
والله منية النفس فقالت الجارية ما يمنعك يا أمير المؤمنين اذ كنت بهذا الوصف قال

يضحى والله مثل بيت قاله الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

أألتذ بالعيش وابن الاشعث مصاف لابي محمد وقد هلكت زعماء العرب لاها الله اذا ثم أمر بصيانتها فلما قتل ابن الاشعث كانت أول جارية خلا بها ولما يئس نصر بن سيار من انجاد مروان كتب الى يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزاري عامل مروان على العراق يستمده ويسأله النصرة على عدوه وضمن كتابه أبياتا من الشعر وهي

ابلغ يزيد وخير القول أصدقه * وقد تبينت أن لا خير في الكذب

بأن أرض خراسان رأيت بها * بيضا لو أفرخ قد حدثت بالعجب

فراخ عامين الا أنها كبرت * لما يطرن وقد سربلن بالزغب

فان يطرن ولم يحتل لهن بها * يلهبن نيران حرب أيما لهب

فلم يجبه يزيد بن عمرو عن كتابه وتشاغل بدفع فتن العراق ودخلت خوارج اليمن مكة والمدينة وعليهم أبو حمزة المختار بن عوف الازدي وبلج بن عقبة الازدي وهما فيمن معهما يدعون الى عبد الله بن يحيى الكندي وكان قد سمى نفسه بطالب الحق وخوطب بأمير المؤمنين وكان أباضي المذهب من رؤساء الخوارج وذلك في سنة تسع وعشرين ومائة وفي سنة ثلاثين ومائة جهز مروان بن محمد جيشا مع عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي فلقى الخوارج بوادي القرى فقتل بلج وفر أبو حمزة وأكثر من كان معه من الخوارج وسار عبد الملك في جيش مروان من أهل الشام يريد اليمن وخرج عبد الله بن يحيى الكندي الخارجي من صنعاء فالتقوا بناحية الطائف وأرض جرش فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبد الله بن يحيى وأكثر من كان معه من الاباضية ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت فأكثرها للاباضية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج في هذا الوقت وسار عبد الملك في جيش مروان فنزل صنعاء وذلك في سنة ثلاثين ومائة وقد كان سليمان بن هشام بن عبد الملك اتصل بالخوارج بالجزيرة خوفا من مروان واحتوى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على بلاد اصطخر وغيرها من أرض فارس الى أن دفع عنها وصار الى خراسان فقبض عليه أبو مسلم وقد ذكرنا من يقول بامامته وينقاد الى دعوته في كتابنا المقالات في أصول الديانات في باب تفرق الشيعة ومذاهبهم وقوى أمر أبي مسلم وغلب على أكثر خراسان وضعف نصر بن سيار من عدم النجدة فخرج عن خراسان حتى أتى الري وخرج عنها فنزل ساوة بين بلاد همدان والري فمات بها كمدا وكان نصر بن سيار لما صار بين الري وخراسان كتب كتابا الى مروان يذكر فيه خروجه عن خراسان وأن هذا الامر الذي ازعجه سينمو حتى يملأ البلاد وضمن ذلك أبياتا من الشعر وهي

انا وما نكتم من أمرنا * كالثور اذ قرب للناحج

أو كالتي يحسبها أهلها * عذراء بكرا وهي في الناسع

كنا نرفيها فقد مزقت * واتسع الخرق على الراقع

كالثوب اذ أنهج فيه البلى * أعيي على ذي الحيلة الصانع

فلم يستتم مروان قراءة هذا الكتاب حتى مثل أصحابه بين يديه ممن كان قد وكل بالطرق رسولا من خراسان من أبي مسلم الى ابراهيم بن محمد الامام يخبره فيه خبره وما آل اليه أمره فلما تأمل مروان كتاب أبي مسلم قال للرسول لا ترع كم دفع لك صاحبك قال كذا وكذا قال فهذه عشرة آلاف درهم لك وانما دفع اليك شيأ يسيرا وامض بهذا الكتاب الى ابراهيم ولا تعلمه بشيء مما جرى وخذ جوابه فأتني به ففعل الرسول ذلك فتأمل مروان جواب ابراهيم الى أبي مسلم بخطه يأمره فيه بالجد والاجتهاد والحيلة على عدوه وغير ذلك من أمره ونهيه فاحتبس مروان الرسول وكتب الى الوليد بن معاوية بن عبد الملك وهو على دمشق يأمره أن يكتب الى عامل البلقاء فيسير الى القرية المعروفة بالكداد والحميمة ليأخذ ابراهيم بن محمد فيشده وثاقا ويبعث به اليه في خيل كثيفة فوجه الوليد الى عامل البلقاء وهو جالس في مسجد القرية فأخذ وهو ملفف وحمل الى الوليد فحمله الى مروان فحبسه في السجن شهرين وقد كان جرى بين ابراهيم ومروان خطب طويل حين سأل ابراهيم وانكر كلما ذكره له مروان من أمر أبي مسلم فقال له مروان يا منافق أليس هذا كتابك الى أبي مسلم جوابا عن كتابه اليك وأخرج اليه الرسول وقال أتعرف هذا فلما رأى ذلك ابراهيم أمسك وعلم أنه أتى من مأمنه واشتد أمر أبي مسلم وكان في الحبس مع ابراهيم جماعة من بني هاشم وبني أمية فمن بني أمية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان والعباس ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان مروان قد خافهما على نفسه وخشي أن يخرجا عليه ومن بني هاشم عيسى بن علي وعبد الله بن علي وعيسى بن موسى فذكر أبو عبيده الثعلبي وكان معهم في الحبس أنه هجم عليهم في الحبس وذلك بحران جماعة من موالي مروان من العجم وغيرهم فدخلوا البيت الذي كان فيه ابراهيم والعباس وعبد الله فأقاموا عندهم ساعة ثم خرجوا وأغلق باب البيت فلما أصبحنا دخلنا عليهم فوجدناهم قد أتى عليهم ومعهم غلامان صغيران من خدمهم كالموتى فلما رأونا أنسوا بنا فسألناهم الخبر فقالا أما العباس وعبد الله فجعل على وجوههما مخاد وقعد فوقهما فاضطربا ثم بردا وأما ابراهيم فانهم جعلوا رأسه في جراب كان معهم فيه نورة مسحوقة فاضطرب ساعة ثم خمد وكان في الكتاب الذي قرأه مروان من ابراهيم الى أبي مسلم أبيات من الرجز بعد خطب طويل منها

دونك أمرا قد بدت أشراطه * ان السبيل واضح صراطه

لم يبق الا السيف واختراطه

وقد ذكر في كيفية قتل ابراهيم الامام من الوجوه غير ما ذكرنا وقد أتينا على جميع ما قيل في ذلك في الكتاب الأوسط وكذلك ما كان من قحطبة وابن هبيرة على الفرات وغرق قحطبة فيه ودخول ابنه الحسن بن قحطبة الكوفة وسار مروان حتى نزل على الزاب الصغير وعقد عليه الجسر وأتاه عبد الله بن علي في عساكر أهل خراسان وقوادهم وذلك لليلتين خلتا من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وثلاثين ومائة فالتقى مروان وعبد الله بن علي وقد

كردس مروان خيله كراديس الفا والفين فكانت على مروان فانهزم وقتل وغرق من أصحابه خلق عظيم فكان فيمن غرق فى الزاب من بنى أمية ذلك اليوم ثلاثمائة رجل دون من غرق من سائر الناس وكان فيمن غرق فى الزاب فى ذلك اليوم من بنى أمية ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع وهو أخو يزيد الناقص وقد قيل فى رواية أخرى ان مروان كان قد قتل ابراهيم بن الوليد قبل هذا الوقت وصلبه وكانت هزيمة مروان من الزاب فى يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومضى مروان فى هزيمته حتى أتى الموصل فمنعه أهلها من الدخول اليها واظهروا السواد لما رأوه من تولية الأمر عنه وأتى حران وكانت داره وكان مقامه بها وقد كان أهل حران قاتلهم الله تعالى حين ازيل لعن أبى تراب يعنى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه عن المنابر يوم الجمعة امتنعوا من ازالته وقالوا لا صلاة الا بلعن أبى تراب وأقاموا على ذلك سنة حتى كان من أمر المشرق وظهور المسودة ما كان وامتنع مروان من ذلك لانحراف الناس عنهم وخرج مروان فى أهله وسائر بنى أمية عن حران وعبر الفرات ونزل عبد الله ابن علىّ على باب حران فهدم قصر مروان وقد كان انفق عليه عشرة آلاف درهم واحتوى على خزائن مروان وأمواله وسار مروان فيمن معه من خواصه وعياله حتى انتهى الى نهر أبى فطرس من بلاد فلسطين والأردن فنزل عليه وسار عبد الله بن علىّ حتى نزل دمشق فحاصرها وفيها يومئذ الوليد بن معاوية بن عبد الملك فى خمسين ألف مقاتل فوقعت بينهم العصبية فى فضل اليمن على نزار ونزار على اليمن فقتل الوليد بن معاوية وقد قيل ان أصحاب عبد الله بن علىّ قتلوه وأتى عبد الله بن علىّ يزيد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وعبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان فحملهما الى أبى العباس السفاح فقتلهما وصلبهما بالحيرة وقتل عبد الله بن علىّ بدمشق خلقا كثيرا ولحق مروان بمصر ونزل عبد الله ابن علىّ على نهر أبى فطرس فقتل من بنى أمية هناك بضعا وثمانين رجلا وذلك فى يوم الاربعاء للنصف من ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقتل بالبلقاء سليمان بن يزيد ابن عبد الملك وحمل رأسه الى ابنى عبد الله بن علىّ ورحل صالح بن علىّ فى طلب مروان ومعه أبو عون عبد الملك بن يزيد وعامر بن اسماعيل المذحجى فلحقوه بمصر وقد نزل بوصير فبايتوه وهجموا على عسكره وضربوا بالطبول وكبروا ونادوا يا لثارات ابراهيم فظن من فى عسكر مروان أن قد أحاط بهم سائر المسودة فقتل مروان وقد اختلف فى كيفية قتله فى المعركة فى تلك الليلة وكان قتله ليلة الأحد لثلاث بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ولما قتل عامر بن اسماعيل مروان واراد الكنيسة التى فيها بنات مروان ونساؤه اذا بخادم لمروان شاهر السيف يحاول الدخول عليهن فأخذوا الخادم فسئل عن أمره فقال أمرنى مروان اذا هو قتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه فلا تقتلونى فانكم والله أن قتلتمونى لتفقدن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له انظر ما تقول قال ان كذبت فاقتلونى هلموا فاتبعونى ففعلوا فأخرجهم من القرية الى موضع رمل فقال اكشفوا هنا فكشفوا فاذا البرد والقضيب ومخصر قد دفنها مروان لئلا تصير الى

بنى هاشم فوجه بها عامر بن اسماعيل الى عبد الله بن على فوجه بها عبد الله الى أبى العباس السفاح فتداولت ذلك خلفاء بنى العباس الى أيام المقتدر فيقال أن البرد كان عليه فى يوم مقتله ولست أدرى أكل ذلك باق مع المتقى لله الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة فى نزوله الرقة أم قد ضيع ذلك ثم وجه عامر بنات مروان وجواريه والاسارى الى صالح بن على فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت يا عم أمير المؤمنين حفظ الله لك فى الدنيا والآخرة نحن بناتك وبنات أخيك فليسعنا من عفوكم ما وسعكم من جورنا قال اذا لا نستبقى منكم احدا رجلا ولا امرأة ألم يقتل أبوك بالأمس ابن أخى ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس الامام فى محبسه بحران ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن على بن الحسين بن على وصلبه فى كناسة الكوفة وقتل امرأة زيد بالحيرة على يدى يوسف بن عمر والثقفى ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه بخراسان ألم يقتل عبيد الله بن زياد الدعى مسلم بن عقيل بن أبى طالب بالكوفة ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين بن على على يدى عمر بن سعد مع من قتل بين يديه من أهل بيته ألم يخرج بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حتى وردبهم على يزيد بن معاوية وقبل مقدمهم بعث اليه برأس الحسين بن على قد نصب دماغه على رأس رمح يطاف به كور الشام ومدائنها حتى قدموا به على يزيد بدمشق كأنما بعث اليه برأس رجل من أهل الشرك ثم أوقف حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف السبى يتصفحهن جنود أهل الشام الجفاة الطغام ويطلبون منه أن يهب لهم حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم استخفافا بحقه صلى الله عليه وسلم وجراءة على الله عز وجل وكفرا لانعمه فما الذى استبقيتم منا أهل البيت لو عدلتم فيه علينا قالت يا عم أمير المؤمنين وليسعنا عفوكم اذا قال أما العفو فنعم قد وسعكم فان أحببت زوجتك من الفضل بن صالح بن على وزوجت اختك من أخيه عبد الله بن صالح فقالت يا عم أمير المؤمنين وأى أوان عرس هذا بل تلحقنا بحران قال فاذا أفعل ذلك بكم ان شاء الله فالحقن بحران فعلت أصواتهن عند مشاهدة منازلهن بالبكاء على مروان وشققن جيوبهن وأعولن بالصياح والنحيب حتى ارتج العسكر بالبكاء منهن على مروان فكان ملك مروان الى أن بويع أبو العباس السفاح خمس سنين وشهرين وعشرة أيام على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب من التنازع فى مدة أيامه ومن وقت أن بويع أبو العباس السفاح الى أن قتل ببوصير ثمانية أشهر فكانت مدة أيامه الى أن قتل خمس سنين وعشرة اشهر وعشرة أيام وقد قدمنا ما تنازعوا فيه من مقدار سنه وغير ذلك من أخباره وقد أتينا على مبسوط أخباره فيما سلف من كتبنا وكان كاتبه (عبد الحميد) بن يحيى بن سعد صاحب الرسائل والبلاغات وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات فى فصول الكتب واستعمل الناس ذلك بعده وذكر أن مروان قال لكاتبه عبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بى فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى والا لم تعجز عن حفظ حرمى بعد وفاتى فقال له عبد الحميد ان الذى اشرت به على أنفع الامرين لك واقبحهما بى وما عندى

الا الصبر حتى يفتح الله أو أقتل معك وقال

أسيرٌ وفاءٍ ثم أظهر غدرة * فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

وقد أتينا على خبر أبي الورد ومقتله وخبر بشر بن عبد الله الواحدي ومقتله في كتابنا الاوسط فاغنى ذلك عن ذكره وذكر اسماعيل بن عبد الله القشيري قال دعاني مروان وقد وافى على الهزيمة الى حران فقال يا أبا هاشم وما كان يكنيني قبلها قد ترى ما جاء من الأمر وأنت الموثوق به ولا تخبأ بعد بوس فالرأى فقلت يا أمير المؤمنين على م أجمعت قال على أن ارتحل بموالي ومن تبعني من الناس حتى أقطع الدرب وأميل الى مدينة من مدن الروم فأنزلها وأكاتب صاحبها واستوثق منه فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الأعاجم وليس هذا عارا بالملوك فلا يزال يأتيني الخائف والهارب والطامع فيكثر من معي ولا أزال على ذلك حتى يكشف الله أمري وينصرني على عدوي فلما رأيت ما أجمع عليه وكان الرأى ورأيت آثاره من قومي من قحطان وتلاه عندهم فقلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأى تحكم أهل الشرك في بناتك وحرمك وهم الروم ولا وفاء لهم ولا تدري ما تأتي به الأيام وأنت ان حدث عليك حادث بأرض النصرانية ولا يحدث عليك الا خير ضاع من بعدك ولكن اقطع الفرات ثم استنفر الشأم جندا جندا فانك في كنف وعزة ولك في كل جند صنائع يسيرون معك حتى تأتي مصر فانها أكثر أرض الله مالا وخيلا ورجالا ثم الشام أمامك وافريقية خلفك فان رأيت ما تحب انصرفت الى الشام وان كانت الأخرى مضيت الى افريقية قال صدقت واستخير الله فقطع الفرات والله ما قطعه معه من قيس الا رجلان ابن جندة السلمي وكان أخاه من الرضاعة والكوثر بن الأسود الغنوي ولم ينفع مروان تعصبه مع النزارية شيء بل غدروا به وخذلوه فلما أجتاز ببلاد قنسرين والحاضر اوقعت تنوخ القاطنة بقنسرين بساقته ووثب به أهل حمص وسار الى دمشق فوثب به الحارث ابن عبد الرحمن الحرشي ثم أتى الأردن فوثب به هاشم بن عمر العنسي والمذحجيون جميعا ثم مرّ بفلسطين فوثب الحكم بن صنعان بن روح بن زنباع لما رأوا من ادبار الأمر عنه وعلم مروان أن اسماعيل بن عبد الله القشيري قد غشه في الرأى ولم يمحضه النصيحة وأنه فرط في مشورته اياه اذ شاور رجلا من قحطان موتورا متعصبا من قومه على أضدادهم من نزار وأن الرأى الذي هم بفعله من قطع الدرب ونزول بعض حصون الروم ومكاتبته ملكها الى أن يرتئي في أمره كان أولى وذكر المدائني والعتبي وغيرهما أن مروان حين نزل على الزاب جرد من رجاله من اختاره من سائر جيشه من أهل الشأم والجزيرة وغيرهم مائة ألف فارس فلما كان يوم الوقعة وأشرف عبد الله بن علي في المسودة وفي أوائلهم البنود السود يحملها الرجال على الجمال البخت وقد جعلت أقتابها من خشب الصفصاف والغرب قال مروان لمن قرب منه أما ترون ورماحهم كأنها النخل غلظا أما ترون الى أعلامهم فوق هذه الابل كأنها قطع من الغمام سود فبينا هو كذلك اذ طار من أترجة هنالك قطعة من الرخم سود فاجتمعت على أول رايات عبد الله بن علي واتصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود ومروان ينظر فتطير من ذلك فقال أما ترون السواد قد اتصل بالسواد

وكانت الفرايب كالسحب سودا ثم نظر الى أصحابه المحاربين وقد استشعروا الجزع والفشل فقال انها لعدة وما تنفع العدة اذا انقضت المدة ولمروان على الزاب أخبار غير هذه قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان والأوسط فأغنى ذلك عن اعادة ذكرها والله ولي التوفيق

(ذكر خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح)

بويع أبو العباس السفاح وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقيل في النصف من شهر جمادى الآخرة من هذه السنة وأمه رائطة بنت عبد الله ابن عبد المدان الحارثية وركب الى المسجد الجامع في يوم الجمعة فخطب على المنبر قائما وكانت بنوا أمية تخطب قعودا فضج الناس وقالوا أحييت السنة يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ومات بالانبار في مدينته التي بناها وذلك في يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقيل ابن تسع وعشرين سنة وكانت أمه تحت عبد الملك بن مروان فكان له منها الحجاج بن عبد الملك فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح وعبيد الله وداود وميمونة

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

ولما حبس ابراهيم الامام بحران وعلم أن لا نجاة له من مروان أثبت وصيته وجعلها الى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد وأوصاه بالقيام بالدولة والجد والحركة وأن لا يكون له بعده بالحميمة لبث ولا عرجة حتى يتوجه الى الكوفة فان هذا الأمر صاير اليه لا محالة وأنه بذلك أتتهم الرواية وأظهره على أمر الدعاة بخراسان والنقباء ورسم شيئا رسما أوصاه فيه أن يعمل عليه ولا يتعداه ودفع الوصية بجميع ذلك الى سابق الخوارزمي مولاه وأمره ان حدث به حدث من مروان في ليل أو نهار ان يركب أسرع سابق في السير فلما حدث ركب وسار حتى أتى الحميمة فدفع الوصية الى أبي العباس ونعاه اليه فأمره أبو العباس بستر الوصية وان ينعاه ثم أظهر أبو العباس من أهل بيته على أمره ودعا الى موازرته وكاشفته أخاه أبا جعفر عبد الله بن محمد وعيسى بن موسى بن محمد بن أخيه وعبد الله بن علي عمه وتوجه أبو العباس الى الكوفة مسرعا وهؤلاء معه في غيرهم ممن خف من أهل بيته فلقيتهم أعرابية على بعض مياه العرب في طريقهم الى الكوفة وقد تقدم أبو العباس وأخوه أبو جعفر وعمه عبد الله بن علي فمن كان معهم الى الماء فقالت الأعرابية تالله ما رأيت وجوها مثل هذه ما بين خليفة وخليفة وخارجي فقال لها أبو جعفر المنصور كيف قلت يا أمة الله قالت والله ليليها هذا واشارت الى السفاح ولتخلفنه أنت وليخرجن عليك هذا واشارت الى عبد الله بن علي فلما انتهوا الى دومة الجندل لقيهم داود بن علي وموسى ابن داود وهما منصرفان من العراق الى الحميمة من أرض الشراة فسأله داود عن مسيره

قاشيرو بيه وأعلمه بحركة أهل خراسان لهم مع أبي مسلم وانه يريد الوثوب بالكوفة فقال له داود يا أبا العباس تثبت بالكوفة فروان شيخ بني امية وزعيمهم في أهل الشام والجزيرة مطل على أهل العراق وابن هبيرة شيخ العرب وحلية العرب بالعراق فقال أبو العباس يا عماه من أحب الحياة ذل وتمثل بقول الاعشى

فما ميتة ان متها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غولها

فالتفت داود الى ابنه موسى فقال أي بني صدق عمك ارجع بنا معه نعيش اعزاء أو نموت كراما فعطفا ركابهما معه وسار أبو العباس حتى دخل الكوفة وقد كان أبو سلمة حفص بن سليمان حين بلغه مقتل ابراهيم الامام أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية الى آل أبي طالب وقدم أبو العباس الكوفة فيمن ذكرنا من أهل بيته سرا او المسودة مع أبي سلمة بالكوفة فانزلهم جميعا دار الوليد بن سعد في بني أود حي من اليمن وقد ذكرنا مناقب أود وفضايلها فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار الحجاج وبراءتهم من علي والطاهرين من ذريته ولم أر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثمائة فيما درت من الارض وتفرقت من الممالك رجلا من أود الا وجدته اذا استبطنت ما عنده ناصبيا متوليا لآل مروان وحزبهم وأخفى أبو سلمة أمر أبي العباس ومن معه ووكل بهم وكان قد وصل أبو العباس الكوفة في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وفيها جرى البريد بالكتب لولد العباس وقد كان أبو سلمة لما قتل ابراهيم الامام خاف انتقاض الامر وفساده عليه فبعث بمحمد بن عبد الرحمن بن أسلم مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب معه كتابين على نسخة واحدة الى أبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب والى أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين يدعو كل واحد منهم الى الشخوص اليه ليصرف الدعوة اليه ويجتهد في بيعة أهل خراسان له وقال للرسول العجل العجل فلا تكونن كوافد عاد فقدم محمد بن عبد الرحمن المدينة على أبي عبد الله جعفر بن محمد فلقيه ليلا فلما وصل اليه أعلمه انه رسول أبي سلمة ودفع اليه كتابه فقال له أبو عبد الله وما أنا وأبو سلمة وأبو سلمة شيعة لغيري قال له اني رسول فتقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت فدعا أبو عبد الله بسراج ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق وقال للرسول عرف صاحبك بما رأيت ثم أنشأ يقول متمثلا بقول الكميت ابن زيد

ايا موقدا نارا لغيرك ضوءها * ويا حاطبا في غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده وأتى عبد الله بن الحسن فدفع اليه الكتاب فقبله وقرأه وابتهج فلما كان غد ذلك اليوم الذي وصل اليه فيه الكتاب ركب عبد الله حمارا حتى أتى منزل أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق فلما رآه أبو عبد الله أكبر مجيئه وكان ابو عبد الله أسن من عبد الله فقال له يا ابا محمد أمر ما أتى بك قال نعم هو أجل من أن يوصف فقال وما هو يا أبا محمد قال هذا كتاب أبي سلمة يدعوني الى ما أقبله وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان فقال له أبو عبد الله يا أبا محمد ومتى كان أهل خراسان شيعة لك أنت بعثت أبا مسلم الى خراسان

وأنت أعرته يلبس السواد وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجهت فيهم وهل تعرف منهم أحدا فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام الى أن قال انما يريد القوم ابني محمدا لأنه مهدي هذه الامة فقال أبو عبد الله جعفر والله ما هو مهدي هذه الامة ولئن شهر سيفه ليقتلن فنازعه عبد الله القول حتى قال له والله ما يمنعك من ذلك الا الحسد فقال أبو عبد الله والله ما هذا الا نصح مني لك ولقد كتب الى أبو سلمة بمثل ما كتب به اليك فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه فانصرف عبد الله من عند جعفر مغضبا ولم ينصرف رسول أبي سلمة اليه الى أن بويع للسفاح بالخلافة وذلك أن أبا حميد الطوسي دخل ذات يوم من العسكر الى الكوفة فلقي سابقا الخوارزمي في سوق الكناسة فقال له سابق قال سابق فسأله عن ابراهيم الامام فقال قتله مروان في الحبس وكان مروان يومئذ بحران فقال أبو حميد فالى من الوصية قال الى أخيه أبي العباس قال وأين هو قال معك بالكوفة هو وأخوه وجماعة من عمومته وأهل بيته قال منذ متى هم هنا قال من شهرين قال فمض بنا اليهم قال غدا بيني وبينك الموعد في هذا الموضع واراد سابق أن يستاذن أبا العباس في ذلك فانصرف الى أبي العباس فأخبره فلامه اذ لم يأت به معه اليهم ومضى أبو حميد فأخبر جماعة من قواد خراسان في عسكر أبي سلمة بذلك منهم الجيم وموسى بن كعب وكان زعيمهم وغدا سابق الى الموضع فلقي أبا حميد فمضيا حتى دخلا على أبي العباس ومن معه فقال أيكم الامام فاشار داود بن علي الى أبي العباس وقال هذا خليفتكم فأكب على أطرافه يقبلها وسلم عليه بالخلافة وأبو سلمة لا يعلم بذلك فبايعه ودخلوا الى الكوفة في أحسن زي وضربوا له مصافا وقدمت الخيول فركب أبو العباس ومن معه حتى أتوا قصر الامارة وذلك في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب تنازع الناس في أي شهر بويع من هذه السنة ثم دخل المسجد الجامع من دار الامارة فحمد الله واثنى عليه وذكر تعظيم الرب ومنته وفضل النبي صلى الله عليه وسلم وقاد الولاية والوراثة حتى انتهت اليه ووعد الناس خيرا ثم سكت فتكلم عمه داود بن علي وهو على المنبر دون أبي العباس فقال انه والله ما كان بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة الا علي وأمير المؤمنين هذا الذى خلفي ثم نزلا وخرج أبو العباس الى عسكر أبي سلمة فنزل في حجرته واستخلف على الكوفة وأرضها عمه داود بن علي وبعث بعمه عبد الله بن علي الى أبي عون عبد الملك بن يزيد فسارا معا الى مروان فكان من أمرهم ما قدمنا ذكره من التقائهم على الزاب وهزيمة مروان بن محمد واتصل بابي العباس السفاح ما كان من عامر بن اسماعيل وقتله لمروان ببوصير وقيل ان ابن عم لعامر يقال له نافع بن عبد الملك كان قتله في تلك الليلة في المعركة وهو لا يعرفه وأن عامرا انما احتز رأس مروان واحتوى على عسكره ودخل الكنيسة التي كان فيها مروان فقعد على فرشه وأكل من طعامه فخرجت اليه ابنة مروان الكبرى وتعرف بأم مروان وكانت أسنهن فقالت ياعامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه حتى أقعدك عليها فأكلت من طعامه واحتويت

على أمره وتحكمت في مملكته لقادر ان يغير ما بك وبلغ السفاح فعله وكلامه فاغتاظ من ذلك وكتب اليه ويلك أما كان لك في أدب الله عز وجل ما يزجرك عن أن تأكل من طعام مروان وتقعد على مهاده وتتمكن من وساده أما والله لولا أن أمير المؤمنين تأول ما فعلت على غير اعتقاد منك لذلك ولا شهوة لمسك من غضبه وأليم أدبه ما يكون لك زاجرا ولغيرك واعظا فاذا أتاك كتاب أمير المؤمنين فتقرب الى الله بصدقة تطفئ بها غضبه وصلاة تظهر بها الاستكانة وصم ثلاثة أيام ومر جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك ولما أتى أبو العباس برأس مروان ووضع بين يديه سجد فأطال ثم رفع رأسه فقال الحمد لله الذى لم يبق ثأرى قبلك وقبل رهطك الحمد لله الذى أظفرنى بك وأظهرنى عليك ثم قال ما أبالى متى طرقنى الموت قد قتلت بالحسين وبنى أبيه من بنى أمية مائتين وأحرقت شلو هشام بابن عمى زيد بن على وقتلت مروان بأخى ابراهيم وتمثل

لو يشربون دمى لم يروشاربهم * ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ثم حول وجهه الى القبلة فأطال السجود ثم جلس وقد اسفر وجهه وتمثل بقول العباس ابن عبد المطلب من أبيات له

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت * قواطع فى ايماننا تقطر الدما

تورثن من أشياخ صدق تقربوا * بهن الى يوم الوغى فتقدما

اذا خالطت هام الرجال تركتها * كبيض نعام فى الوغى متحطما

وقالت الشعراء فى أمر مروان فأكثرت (وذكر) أبو الخطاب عن أبى جعدة بن هبيرة المخزومى وكان أحد وزراء مروان وسماره وقد كان لما ظهر أمر أبى العباس انضاف الى جملته وصار فى عداد أصحابه وخواصه الذين اتخذهم أنه كان فى ذلك اليوم حاضرا لمجلس أبى العباس ورأس مروان بين يديه وهو يومئذ بالحيرة وأن أبا العباس التفت الى أصحابه فقال أيكم يعرف هذا قال أبو جعدة فقلت أنا أعرفه هذا رأس أبى عبد الملك مروان بن محمد خليفتنا بالأمس رضى الله عنه قال فحدقت الى الشيعة فأخذتنى بابصارها فقال لى أبو العباس فى أى سنة كان مولده قلت سنة ست وسبعين فقام وقد تغير لونه غيظا على وتفرق الناس من المجلس وانصرفت وأنا نادم على ما كان منى وتكلم الناس فى ذلك وتحدثوا به فقلت زلة والله لا تستقال ولا تنساها القوم ابدا فأتيت منزلى فلم أزل باقى يومى أعهد وأوصى فلما كان الليل اغتسلت وتهيأت للصلاة وكان أبو العباس قد اهتم بامر بعث به ليلا فلم أزل ساهرا حتى أصبحت فلما أصبحت ركبت بغلتى واستعرضت بقلبى الى من اقصد فى أمرى فلم اجد أحدا أولى من سليمان بن خالد مولى بنى زهرة وكان له من أبى العباس منزلة عظيمة وكان من شيعة القوم فأتيته فقلت أذكرنى أمير المؤمنين البارحة فقال نعم جرى ذلك فقال هو ابن اختنا وفى لصاحبه ونحن ان أوليناه خيرا كان لنا أشكر فشكرت ذلك له وجزيته خيرا ودعوت له وانصرفت فلم أزل آتى أبا العباس على ما كنت عليه لا أرى الا خيرا ونمى الكلام الذى كان فى مجلس أبى العباس حين أتى برأس مروان فبلغ ابا جعفر وعبد الله بن على فكتب عبد الله بن على الى أبى العباس يعلمه بما بلغه من كلامى

وانه

وأنه ليس هذا بمحتمل وكتب أبو جعفر يخبر بما بلغه من ذلك ويقول هو ابن اختنا ونحن
أولى باصطناعه واتخاذ المعروف عنده ويلغى ما كان منه إلا ما سكت وضرب الدهر
ضربانه فبينا أنا ذات يوم عند أبي العباس بعد حين وقد تزايدت حالي عنده وأحظاني فنهض
الناس ونهضت فقال لي أبو العباس يا ابن هبيرة اجلس فجلست ونهض ليدخل فقمت
لقيامه فقال اجلس فرفع الستر ودخل وثبت في مجلسي فأقام مليا ثم رفع الستر فخرج في
ثوبي وشي ورداء وجبة ما رأيت أحسن منه ولا مما عليه قط فلما رفع الستر نهضت فقال
اجلس فجلست فقال يا ابن هبيرة اني ذاكر لك أمرا فلا يخرجن من رأسك الى أحد
من الناس ثم قال قد علمت ما جعلنا من هذا الأمر وولاية العهد لمن قتل مروان وعبد الله
ابن علي عمي هو الذي قتله لأن ذلك كان بجيشه وبأصحابه وأخي أبو جعفر مع فضله وعلمه
وإيثاره لأمر الله كيف يسوغ اخراجه عنه قال فأطال في مديح أبي جعفر فقلت أصلح الله
الأمير لا أشير عليك ولكني أحدثك حديثا تعتبره فقال هاته فقلت كنا مع مسلمة بن عبد
الملك عام الخليج بالقسطنطينية اذ ورد عليه كتاب عمر بن عبد العزيز ينعى سليمان ومصير
الأمر اليه فبعث الي فدخلت عليه فرمى بالكتاب الي فقرأته ثم اندفع يبكي فقلت أصلح الله
الأمير لا تبك على أخيك ولكن ابك على خروج الخلافة من ولد أبيك الى ولد عمك فبكى
حتى أخضلت لحيته قال فلما فرغت من حديثي قال لي أبو العباس حسبك قد فهمت عنك
ثم قال اذا شئت فانهض فما مضيت غير بعيد حتى قال لي يا ابن هبيرة فالتفت راجعا فقال
لي امض أما انك قد كافأت هذا وأدركت بثارك من هذا قال فما أدري من أي الأمرين
أعجب أمن فطنته أم من ذكره لما كان وأبو جعدة ابن هبيرة هذا هو من ولد جعدة
ابن هبيرة المخزومي من فاختة أم هانئ بنت أبي طالب وعلي وجعفر وعقيل اخواله وقد
قدمنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب (قال المسعودي) ووجدت في أخبار المدائني
عن محمد بن الأسود قال بينما عبد الله بن علي يساير اخاه داود بن علي ومعهما عبد الله بن
الحسن بن الحسن فقال داود لعبد الله لم لا تأمر ابنيك بالظهور فقال عبد الله هيهات لم يأن
لهما بعد فالتفت اليه عبد الله بن علي فقال كأنك تحسب أن ابنيك هما قاتلا مروان فقال
أن ذلك كذلك فقال عبد الله هيهات وتمثل

سيكفيك المقالة مستميت * خفيف اللحم من أولاد حام

انا والله قاتله وقيل لعبد الله بن علي أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز يذكر انه قرأ في بعض
الكتب عين بن عين بن عين وقد أمل أن يكون هو فقال عبد الله بن علي انا والله ذلك ولي
عليه فضل ثلاثة أعين انا عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وهو
عمرو بن عبد مناف فلما ضاف مروان عبد الله بن علي أقبل مروان على رجل الى جنبه
فقال من الرجل الذي كان يخاصم عندك عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر
الأقنى الحديد البصر الحسن الوجه فقلت يرزق الله البيان من يشاء قال أنه لهو قلت نعم قال
من ولد العباس بن عبد المطلب هو قلت أجل فقال مروان انا لله وانا اليه راجعون ويحك
اني ظننت أن الذي يحاربني من ولد أبي طالب وهذا الرجل من ولد العباس واسمه عبد الله

أتدري لم صيرت الأمر بعدي لابن عبيد الله بعد عبد الله ومحمد أكبر من عبد الله لأنا خبرنا
أن الأمر صائر بعدي الى عبد الله وعبيد الله فنظرت فاذا عبيد الله أقرب الى عبد الله بن
محمد فوليته دونه قال وبعث مروان بعد أن حدث صاحبه بهذا الحديث الى عبد الله
ابن علي في خفية أن الأمر يا ابن عم صائر اليك فاتق الله في الحرم قال فبعث اليه عبد الله
أن الحق لنا في دمك والحق علينا في حرمك وذكر مصعب الزبيري قال كانت أم سلمة
بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي عند عبد العزيز بن الوليد بن
عبد الملك فهلك عنها ثم كانت عند هشام فهلك عنها فبيناهي ذات يوم اذ مر بها أبو العباس
السفاح وكان جميلا وسيما فسألت عنه فنسب لها فأرسلت له مولاة لها تعرض عليه أن
يتزوجها وقالت لها قولي له هذه سبعمائة دينار أوجه بها اليك وكان معها مال عظيم
وجوهر وحشم فأتته المولاة فعرضت عليه ذلك فقال أنا مملق لا مال عندي فدفعت اليه
المال فأنعم لها وأقبل الى أخيها فسأله التزويج فزوجه اياها فأصدقها خمسمائة دينار
وأهدى مائتي دينار ودخل عليها من ليلته واذا هي على منصة فصعد عليها فاذا كل
عضو منها مكلل بالجوهر فلم يصل اليها فدعت بعض جواريها فنزلت وغيرت لبسها ولبست
ثيابا مصبغة وفرشت له فراشا على الارض دون ذلك فلم يصل اليها فقالت لا يضرك هذا كذلك
كان يصيبهم مثل ما أصابك فلم تزل به حتى وصل اليها من ليلته وحظيت عنده وحلف أن لا
يتزوج عليها ولا يتسرى فولدت منه محمدا وريطة وغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان
يقطع أمرا الا بمشورتها وبتأميرها حتى أفضت الخلافة اليه فلم يكن يدنو الى النساء غيرها
لا الى حرة ولا الى أمة ووفى لها بما حلف أن لا يغيرها فلما كان ذات يوم في خلافته خلا به
خالد بن صفوان فقال يا أمير المؤمنين اني فكرت في أمرك وسعة ما ملكت وقد ملكت نفسك
امرأة واحدة فان مرضت مرضت وان غابت غبت وحرمت نفسك التلذذ باستطراف
الجواري ومعرفة أخبار حالاتهن والتمتع بما تشتهي منهن فان منهن يا أمير المؤمنين الطويلة
الغيداء وان منهن الغضة البيضاء والعتيقة الأدماء والدقيقة السمراء والبربرية العجزاء
من مولدات المدينة تفتن بمحادثتها وتلذ بخلوتها وأين أمير المؤمنين من بنات الأحرار والنظر
الى ما عندهن وحسن الحديث منهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء والسمراء
اللعساء والصفراء العجزاء والمولدات من البصريات والكوفيات ذات الألسن العذبة
والقدود المهفهفة والأوساط المخصرة والأصداغ المزرفنة والعيون المكحلة والثدي المحققة
وحسن زيهن وزينتهن وشكلهن لرأيت شيأ حسنا وجعل خالد يجيد في الوصف ويجد في
الاطناب بحلاوة لفظه وجودة وصفه فلما فرغ كلامه قال له أبو العباس ويحك يا خالد
ما صك مسامعي والله قط كلام أحسن مما سمعته منك فأعد علي كلامك فقد وقع مني موقعا
فأعاد عليه خالد أحسن مما ابتدأه ثم انصرف وبقي أبو العباس مفكرا فيما سمع منه فدخلت
عليه أم سلمة امرأته فلما رأته مفكرا مغموما قالت اني لأنكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث
أمر تكرهه أو أتاك خبر فارتعت له قال لم يكن من ذلك شيء قالت فما قصتك فجعل ينزوي
عنها فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد له فقالت فما قلت لابن الفاعلة قال لها سبحان الله

ينصحني

يتعصفن وتنشيفنه فخرجت من عنده مغضبة وأرسلت الى خالد من الجارية ومعهم المكاس كويات وأمرتهم أن لا يتركوا منه عضوا صحيحا قال خالد فانصرفت الى منزلي وانا على السرور بما رأيت من أمير المؤمنين واعجابه بما ألقيته اليه ولم أشك أن صلته ستأتيني فلم ألبث حتى صار الي اولئك الجارية وانا قاعد على باب داري فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوي أيقنت بالجائزة والصلة حتى وقفوا علي فسألوا عني فقلت ها انا ذا خالد فسبق الى أحدهم بهراوة كانت معه فلما أهوى بها الي وثبت فدخلت منزلي وأغلقت الباب علي واستترت ومكثت أياما على تلك الحال لا أخرج من منزلي ووقع في خلدي أني أوتيت من قبل أم سلمة وطلبني أبو العباس طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم الا بقوم قد هجموا علي وقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت فركبت وليس علي لحم ولا دم فلم أصل الى الدار فأومأ الي بالجلوس ونظرت فاذا خلف ظهري باب عليه ستور قد أرخيت وحركة خلفها فقال يا خالد لم أرك منذ ثلاث قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين قال ويحك انك وصفت لي في آخر دخلة من أمر النساء والجواري ما لم يخرق مسامعي قط كلام أحسن منه فأعده علي قلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر وأن أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة الا كان في جهد فقال ويحك لم يكن هذا في الحديث قلت بلى والله يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الثلاث من النساء كاثافي القدر يغلي عليهن قال أبو العباس برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك في حديثك قال وأخبرتك أن الأربعة من النساء شر صحيح لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه ويسقمنه قال ويلك والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت قال خالد بلى والله قال ويلك وتكذبني قال وتريد أن تقتلني يا أمير المؤمنين قال مر في حديثك قال وأخبرتك أن أبكار الجواري رجال ولكن لا خصى لهن قال خالد فسمعت الضحك من وراء الستر قلت نعم وأخبرتك أيضا أن بني مخزوم ريحانة قريش وأنت عندك ريحانة من الرياحين وأنت تطمح بعينك الى حرائر النساء وغيرهن من الاماء قال خالد فقيل لي من وراء الستر صدقت والله يا عماه وبررت بهذا حدثت أمير المؤمنين ولكنه بدل وغير ونطق عن لسانك فقال له أبو العباس مالك قاتلك الله وأخزاك وفعل بك وفعل قال فتركته وخرجت وقد أيقنت بالحياة قال خالد فما شعرت الا برسل أم سلمة قد صاروا الي ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام ولم يكن أحد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل أبي العباس السفاح وكان كثيرا ما يقول انما العجب ممن يترك أن يزداد علما ويختار أن يزداد جهلا فقال له أبو بكر الهذلي ما تأويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين قال يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك ويدخل الى امرأة أو جارية فلا يزال يسمع سخفا ويروي نقصا فقال له الهذلي لذلك فضلكم الله على العالمين وجعل منكم خاتم النبيين (ودخل) عليه أبو نخيلة الشاعر فسلم عليه وانتسب له وقال عبدك يا أمير المؤمنين وشاعرك أفتأذن لي في انشادك فقال له لعنك الله الست القائل في مسلمة بن عبد الملك بن مروان

أمسلم اني يا ابن كل خليفة * ويا فارس الهيجا ويا جبل الارض

شكرتك ان الشكر حبل من التقى * وما كل من أوليته نعمة يقضى
وأحييت لى ذكرى وما كان خاملا * ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

قال فأنا يا أمير المؤمنين الذى أقول

لما رأينا استمسكت يداكا * كنا أناسا نرهب الملاكا
ونركب الاعجاز والاوراكا * من كل شئ ما خلا الاشراكا
فكلما قد قلت فى سواكا * زور وقد كفر هذا ذاكا
انا انتظرنا قبلها أباكا * ثم انتظرنا بعدها أخاكا
ثم انتظرناك لها اياكا * فكنت أنت للرجاء ذاكا

قال فرضى عنه ووصله وأجازه (وكان) أبو العباس اذا احضر طعامه أبسط ما يكون وجها فكان ابراهيم بن مخرمة الكندى اذا اراد أن يسأله حاجة أخرها حتى يحضر طعامه ثم يسأله فقال له يوما يا ابراهيم ما دعاك الى أن تشغلنى عن طعامى بحوائجك قال يدعونى الى ذلك التماس النجح لما أسأل قال أبو العباس انك لحقيق بالسودد لحسن هذه الفطنة (وكان) اذا تعادى رجلان من أصحابه وبطانته لم يسمع من أحدهما فى الآخر شيأ ولم يقبله وان كان القائل عدلا فى شهادته واذا اصطلح الرجلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه ويقول ان الضغينة القديمة تولد العداوة المحضة وتحمل على اظهار المسالمة وتحتمل الافعى التى اذا تمكنت لم تبق (وكان) فى أول أيامه يظهر لندمائه ثم احتجب عنهم وذلك لسنة خلت من ملكه لامر قد ذكرناه فيما سلف من هذا الكتاب فى سيرة أردشير بن بابك وأيامه (وكان) يطرب من وراء الستر ويصيح بالمطرب له من المغنين أحسنت والله فأعد هذا الصوت (وكان) لا ينصرف عنه أحد من ندمائه ولا مطربيه الا بصلة من مال أو كسوة ويقول لا يكون سرورنا معجلا ومكافأة من سرنا وأطربنا مؤجلا وقد سبقه الى هذا الفعل ملك من الملوك التى للفرس وهو بهرام جور (وحضره) أبو بكر الهذلى ذات يوم والسفاح مقبل عليه يحادثه بحديث لانوشروان فى بعض حروبه بالمشرق مع بعض ملوك الامم فعصفت الريح فأذرت ترابا وقطعا من الآجر من أعلى السطح الى المجلس فجزع من حضر المجلس لوقوع ذلك وارتاع له والهذلى شاخص نحو أبى العباس لم يتغير كما تغير غيره فقال له أبو العباس لله أنت يا أبا بكر لم أر كاليوم أما راعك ما راعنا ولا أحسست بما ورد علينا فقال يا أمير المؤمنين ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وانما للرجل قلب واحد فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال والله عز وجل اذا انفرد بكرامة أحد وأحب أن يبقى له ذكرها جعل تلك الكرامة على لسان نبى أو خليفة وهذه كرامة خصصت بها فمال اليها ذهنى وشغل بها فكرى فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجمت لها الا بما لزمنى فى نفسى لامير المؤمنين أعزه الله تعالى فقال له السفاح لئن بقيت لك لارفعن منك وضعا لا تطيف به السباع ولا تحط عليه العقاب وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وصية عبد الملك للشعبى فى فضل الانصات للملوك (وقد حكى) عن عبد الله ابن عياش المنتوف أنه قال لم تتقرب العامة الى الملوك بمثل الطاعة ولا العبيد بمثل الخدمة

ولا البطانة بمثل حسن الاستماع (وقد حكى) عن روح بن زنباع الجزامي أنه كان يقول اذا أردت أن يمكنك الملك من أذنه فأمكنه أذنك من الاصغاء الى حديثه ولا يتعتب الرجل عندي اذا كان يصغي الى حديثي ولا يقدح ما قيل فيه في قلبي لما تقدم له من حسن الاستماع عندي (وقد حكى) عن معاوية أنه كان يقول يغلب الملك حتى يركب لشيئين بالحلم عند سورته والاصغاء الى حديثه (ووجدت) في سير الملوك من الاعاجم أن شيرويه بن ابرويز بيناهو في منتزهاته بأرض العراق وكان لا يسايره أحد من الناس مبتدئا وأهل المراتب العالية خلف ظهره على مراتبهم فان التفت يمينا دنا منه صاحب الجيش وان التفت شمالا دنا منه الموبذان فأمره باحضار من أراد مسايرته فالتفت في مسيره هذا يمينا فدنا منه صاحب الجيش فقال أين شداد بن جرثمة فأحضر فسايره فقال له شيرويه أفكرت في حديث حدثنا به أردشير بن بابك حين واقع ملك الخزر فحدثني به ان كنت تحفظه وكان شداد قد سمع هذا الحديث من أنوشروان وعرف المكيدة وكيف كان أردشير أوقعها بملك الخزر فاستعجم عليه شداد وأوهمه أنه لا يعرفه فحدثه شيرويه بالحديث فأصغى اليه الرجل بجوارحه كلها وكان مسيره على شاطئ نهر فترك الرجل لاقباله على شيرويه النظر الى موطئ حافر دابته فزلت احدى قوائم الدابة فمالت بالرجل الى اليمين فوقع في الماء ونفرت الدابة فابتدرها حاشية الملك وغلمانه فأمالوها عن الرجل وجذلوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه فاغتم لذلك ونزل عن دابته وبسط له هنالك حتى تغدى في موضعه ودعا بثياب من خاص كسوته فالقيت على شداد وأكل معه وقال له غفلت عن النظر الى موضع حافر دابتك فقال أيها الملك ان الله اذا أنعم على عبد نعمة قابلها بمحنة وعارضها ببلية وعلى قدر النعم تكون المحن وان الله أنعم على بنعمتين عظيمتين هما اقبال الملك على بوجهه من بين هذا السواد الأعظم وهذه الفائدة وهي تدبير هذه الحرب حتى حدث بها عن أردشير حتى انى لو دخلت الى جنة تطلع الشمس أو تغرب لكنت رابحا فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت واحد قابلتهما هذه المحنة ولولا أساورة هذا الملك وبين جده لكنت معرض هلكة وعلى ذلك فلو غرقت حتى ذهبت عن جديد الارض لكان قد أبقى لى الملك ذكرا مخلدا ما بقى الضياء والظلام فسر الملك بذلك وقال ما ظننتك بهذا المقدار الذى أنت فيه فحشا فاه جوهرا ودرا نفيسا واستبطنه حتى غلب على أكثر أمره (وانما ذكرنا) هذا الخبر من أخبار من سلف من ملوك الفرس ليعلم أن ابا بكر الهذلي ثم لم يبتدئ بمحال لم يسبقه اليها غيره ويتقدمه بها سواه وأحسن المواقع من الملوك الاستماع منها والأخذ عنها وقد كانت حكماء اليونانيين تقول ان الواجب على من أقبل عليه ملك أو ذو رياسة بحديث أن يصرف كله الى ذلك وان كان يعرف الحديث الذى يسمعه من الملك كأنه لم يسمعه قط ويظهر السرور من الملك والاستبشار بحديثه وان في ذلك أمرين أحدهما ما يظهر من حسن أدبه فانه يعطى الملك حقه بحسن الاستماع لحديثه والاستغراب له كأنه لم يسمعه واظهار السرور والاستفادة منه فالنفس الى الفوائد من الملوك والحديث عنهم أشهى وأقرب منها الى فوائد السوقة وما أشبهها (وقد ذكر) جماعة من الأخبار بين كابن داب وغيره نحو هذا المعنى عن معاوية

قوله شداد بن جرثمة الخ الذى في القاموس شداد بن قيس ابن هانئ بن جرثمة فلعله مشهور بجده كتبه مصححه

ابن أبي سفيان ويزيد ابن سمرة الرهاوي وهو أن ابن سمرة كان يسامر ذات يوم معاوية وكان آنسا به والى حديثه تائقا ومعاوية مقبل عليه يحدثه عن (يوم عان) يوم كان لبني مخزوم وغيرهم من قريش كان فيه حرب عظيمة أفنى فيها خلق من الناس وذلك قبل الاسلام وقيل ان ذلك كان قبل الهجرة وكان لأبي سفيان فيها مكرمة وسابقة في الرياسة وهو أنه لما أشرف الفريقان على الفناء علا على نشز من الأرض ثم صاح بالفريقين واشار بكمه وانصرف الفريقان جميعا انقيادا الى أمره وكان معاوية معجبا بهذا الحديث فبينما هو يحدثه به ويزيد بن سمرة مقبل عليه وقد استخفتهما لذة المحدث والمستمع اذ صك جبين يزيد بن سمرة حجر عابر فأدماه فجعلت الدماء تسيل على وجهه ولحيته وثوبه وغير ذلك ولم يتغير عما كان عليه من الاستماع فقال له معاوية لله أنت يا ابن سمرة أما ترى ما نزل بك قال وماذاك يا أمير المؤمنين قال هذا دم يسيل على ثوبك فقال أعتق ما املك ان لم يكن حديث أمير المؤمنين الهاني حتى غمر فكري وغطى على قلبي فما شعرت بشيء مما حدث حتى نبهني عليه أمير المؤمنين فقال معاوية لقد ظلمك من جعلك في ألف من العطاء وأخرجك من عطاء أبناء المهاجرين والجاهيرين ممن حضر معنا بصفين ثم أمر له وهو في مسيره بخمسمائة ألف درهم وزاده في اعطائه الفا من الدراهم وجعله بين جلده وثوبه (وقد قال) بعض أهل المعرفة والأدب من مصنفي الكتب في هذا المعنى وغيره فيما حكيناه عن معاوية وابن سمرة لئن كان ابن سمرة خدع معاوية في هذا ومعاوية ممن لا يخادع فما مثله الا كما قال الاول (من يخدع الغر ينك نياكا) وان كان بلغ من بلادة ابن سمرة وقلة حسه ما وصف به نفسه فما كان جديرا بخمسمائة ألف صلة وزيادة ألف في عطائه وما أظن ذلك خفي عن معاوية (قال المسعودي) وقد قالت الحكماء في هذا واكثرت وأمرت بحسن الاستماع واطنبت بانه لا يحسن المحادثة الا بحسن الفهم وقالوا تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وحسن الاستماع هو امهال المحدث حتى ينقضي حديثه (ومن أدب الحديث) وواجباته أن لا يقتضب اقتضابا ولا يهجم عليه وأن يتوصل الى اجرائه بما يشاكله ويستنسب له ما يحسن أن يجري في غرضه حتى يكون بعض المفاوضة متعلقا ببعض على حسب ما قالوا في المثل ان الحديث ذو شجون يريدون بذلك تشعبه وتفرعه عن أصل واحد الى وجوه من المعاني كثيرة اذ كان العيش كله في الجليس الممتع وقال رجل والله ما أمل الحديث فقال السامع انما يمل العتيق لا الحديث وقد أكثرت الشعراء من الاغراق في هذا المعنى ومن ذلك قول العباس بن علي الرومي

وسمت كل ما ربي * فكأن اطيبها غثيث
الا الحديث فانه * مثل اسمه أبدا حديث

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول ابراهيم بن العباس

ان الزمان وما يبين بفرقي * صرف الغواية فانصرفت كريما
وضجرت الا من لقاء محدث * حسن الحديث يزيدني تعليما

وقد ذكر بعض المحدثين من أهل الأدب ان من الادب عدم اطالة الحديث من النديم

وان أحلى الحديث وأحسنه موقعا أن تجتنب منه الأحاديث الطوال دون المعاني المغلقة الالفاظ المشوبة التي تقضي باقتصاصها زمان المجلس وتتعلق بها النفوس وتحتسى على أواخرها الكوس وأن ذلك بمجالس القصاص أشبه منه بمجالس الخواص (وقد ذكر هذا المعنى فأجاد فيه عبد الله بن المعتز بالله ووصف ذلك بين أصحاب الشراب على المعاقرة فقال

بين أقداحهم حديث قصير * هو سحر وما عداه كلام
وكأن السقاة بين الندامى * ألفات بين السطور قيام

وهذه طريقة من ذهب في هذا المعنى الى استماع الملح وكان أول من وقع عليه اسم الوزارة في دولة بني العباس أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني مولى لسبيع وكان في نفس أبي العباس منه شيء لانه كان حاول في رد الأمر عنهم الى غيرهم فكتب أبو مسلم الى السفاح يشير عليه بقتله ويقول له قد أحل الله لك دمه لانه قد نكث وغير وبدل فقال السفاح ما كنت لافتتح دولتي بقتل رجل من شيعتي لاسيما مثل أبي سلمة وهو صاحب هذه الدعوة وقد عرض نفسه وبذل مهجته وأنفق ماله وناصح امامه وجاهد عدوه وكلمه أبو جعفر أخوه وداود ابن علي عمه في ذلك وقد كان أبو مسلم كتب اليهما يسألهما أن يشيرا على السفاح بقتله فقال أبو العباس ما كنت لأفسد كثيرا حسانه وعظيم بلائه وصالح أيامه بزلة كانت منه وهي خطرة من خطرات الشيطان وغفلة من غفلات الانسان فقالا له فينبغي يا أمير المؤمنين أن تحترس منه فانا لا نأمنه عليك فقال كلا اني لآمنه في ليلي ونهاري وسري وجهري ووحدتي وجماعتي فلما اتصل هذا القول من أبي العباس بأبي مسلم أكبره وأعظمه وخاف من ناحية أبي سلمة أن يقصده بالمكروه فوجه بجماعة من ثقات أصحابه في أعمال الحيلة في قتل أبي سلمة وقد كان أبو العباس يأنس بأبي سلمة ويسمر عنده وكان أبو سلمة فكها متمتعا أديبا عالما بالسياسة والتدبير فيقال أن أبا سلمة انصرف ليلة من عند السفاح من مدينته بالانبار وليس معه أحد فوثب عليه أصحاب أبي مسلم فقتلوه فلما اتصل خبره بالسفاح أنشأ يقول

الى النار فليذهب ومن كان مثله * على أي شيء فاتنا منه نأسف

وكان أبو مسلم يقال له أمين آل محمد وأبو سلمة حفص بن سليمان يدعى وزير آل محمد فلما قتل غيلة على ما ذكرنا قال في ذلك الشاعر من أبيات

ان المساءة قد تسر وربما * كان السرور بما كرهت جديرا
ان الوزير وزير آل محمد * أودى فمن يشناك كان وزيرا

وقد أتينا على خبر مقتله وكيفية أمره في الكتاب الأوسط (وكان) السفاح يعجبه المحادثة ومفاخرات العرب من نزار واليمن والمذاكرة بذلك ولخالد بن صفوان وصدر من قحطان أخبار حسان ومفاخرات ومذاكرات ومنادمات ومسامرات مع السفاح مشهورة فاغنى ذلك عن ذكرها (ومما ذكر من أخباره) واستفاض من أسماره ما ذكره البهلول بن العباس عن الهيثم بن عدي الطائي عن يزيد الرقاشي قال كان السفاح يعجبه مسامرة الرجال واني

سهرت عنده ذات ليلة فقال يا يزيد أخبرني بأطرف ما سمعته من الأحاديث فقلت يا أمير المؤمنين وان كان في بني هاشم قال ذلك أعجب الي قلت يا أمير المؤمنين نزل رجل من تنوخ بحي من بني عامر بن صعصعة فجعل لا يحط شيأ من متاعه الا تمثل بهذا البيت

لعمرك ما تبلى سرابيل عامر * من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فخرجت اليه جارية من الحي فحادثته وآنسته وسألته حتى أنس بها ثم قالت عن أنت ممن بك فقال رجل من تميم فقالت أتعرف الذي يقول

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة * يكر على جمعي تميم لولت
ذبحنا فسمينا فتم ذبيحنا * وما ذبحت يوما تميم فسمت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى * عظام المخازي عن تميم تجلت

فقال لا والله ما أنا منهم قالت فمن أنت قال رجل من عجل قالت أتعرف الذي يقول

أرى الناس يعطون الجزيل ولا أرى * عطاء بني عجل ثلاث وأربع
اذا مات عجلي بأرض فانما * يشق له منها ذراع واصبع

قال لا والله ما أنا من عجل قالت فمن أنت قال رجل من بني يشكر قالت أتعرف الذي يقول

اذا يشكري مس ثوبك ثوبه * فلا تذكرن الله حتى تطهرا

قال لا والله ما أنا من يشكر قالت فمن أنت قال رجل من بني عبد القيس قالت أتعرف الذي يقول

رأيت عبد القيس لاقت ذلا * اذا أصابوا بصلا وخلا
وما لحا مصنعا قد طلا * باتوا يسلون النساء سلا
سل النبيط القصب المبتلا

قال لا والله ما أنا من عبد القيس قالت فمن أنت قال رجل من باهلة قالت أتعرف الذي يقول

اذا ازدحم الكرام على المعالي * تنحى الباهلي عن الزحام
ولو كان الخليفة باهليا * لقصر عن مناواة الكرام
وعرض الباهلي وان توقى * عليه مثل منديل الطعام

قال لا والله ما أنا من باهلة قالت فمن أنت قال رجل من بني فزارة قالت أتعرف الذي يقول

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها بأسيار
لا تأمنن فزاريا على جسر * بعد الذي امتل اير العير في النار
قوم اذا نزل الأضياف ساحتهم * قالوا لأمهم بولي على النار

قال لا والله ما أنا من فزارة قالت فمن أنت قال انا رجل من ثقيف قالت أتعرف الذي يقول

أهل الناسبون الى ثقيف * فما لهم أب الا الضلال
فان نسبت أو انتسبت ثقيف * الى أحد فذا هو المحال

خنازير الحشوش فقتلوها * فان دماءهم لكم حلال

قال لا والله ما انا من ثقيف قالت فمن أنت قال رجل من عبس قالت أتعرف الذى يقول

اذا عبسية ولدت غلاما * فبشرها بلؤم مستفاد

قال لا والله ما انا من عبس قالت فمن أنت قال رجل من ثعلبة قالت اتعرف الذى يقول

وثعلبة بن قيس شر قوم * والأم مهم واغدرهم بجار

قال لا والله ما انا منهم قالت فمن أنت قال رجل من بنى مرة قالت أتعرف الذى يقول

اذا مرية خضبت يداها * فزوجها ولا تامن زناها

قال لا والله ما أنا من بنى مرة قالت فمن أنت قال رجل من بنى ضبة قالت أتعرف الذى يقول

لقد زرقت عيناك يا ابن معكبر * كما كل ضبى من اللؤم ازرق

قال لا والله ما أنا من بنى ضبة قالت فمن أنت قال رجل من بجيلة قالت أتعرف الذى يقول

سألنا عن بجيلة حين حلت * لنخبر اين قر بها القرار

فما تدرى بجيلة أين تدعى * أقحطان أبوها أم نزار

فقد وقعت بجيلة بين بين * وقد خلعت كما خلع العذار

قال لا والله ما أنا من بجيلة قالت فمن أنت ويحك قال رجل من بنى الازد قالت أتعرف الذى يقول

اذا أزدية ولدت غلاما * فبشرها بملاح مجيد

قال لا والله ما أنا من الازد قالت فمن أنت ويلك أما تستحى قل الحق قال انا رجل من خزاعة قالت أتعرف الذى يقول

اذا افتخرت خزاعة فى كريم * وجدنا فخرها شرب الخمور

وباعت كعبة الرحمن جهرا * بزق بئس مفتخر الفخور

قال لا والله ما أنا من خزاعة قالت فمن أنت قال رجل من سليح قالت أتعرف الذى يقول

أما لسليح شتت الله أمرها * تبدل بايديها وتعى أيورها

قال لا والله ما أنا من سليح قالت فمن أنت قال رجل من لقيط قالت أتعرف الذى يقول

لعمرك ما البحار ولا الفيافى * باوسع من فقاح بنى لقيط

لقيط شر من ركب المطايا * واندل من يدب على البسيط

الا لعن الاله بنى لقيط * بقايا سدية من قوم لوط

قال لا والله ما أنا من لقيط قالت فمن أنت قال رجل من كنده قالت أتعرف الذى يقول

اذا ما افتخر الكندى ذو البهجة والطره * فبالنسج وبالخف وبالسدل وبالحصره

فدع كندة للنسج فاعلى فخرها عره * قال لا والله ما انا من كندة قالت فمن أنت قال رجل من خثعم قالت أتعرف الذى يقول

وخثعم لو صفرت بها صفيرا * لطارت فى البلاد مع الجراد

قال لا والله ما أنا من خثعم قالت فمن أنت قال رجل من طى قالت اتعرف الذى يقول

وما طيء الا نبط تجمعت * فقالت طيا نا كلة فاستمرت

ولو أن حرقوصا يمد جناحه * على جبلي طيء اذا لاستظلت

قال لا والله ما أنا من طي قالت فمن أنت قال رجل من مزينة قالت أتعرف الذى يقول

وهل مزينة الا من قبيلة * لا يرتجى كرم فيها ولا دين

قال لا والله ما أنا من مزينة قالت فمن أنت قال رجل من النخع قالت أتعرف الذى يقول

اذا النخع اللئام غدوا جميعا * تاذى الناس من وفر الزحام

وما يسموا الى مجد كريم * وما هم فى الصميم من الكرام

قال لا والله ما أنا من النخع قالت فمن أنت قال رجل من اود قالت أتعرف الذى يقول

اذا نزلت بأود فى ديارهم * فاعلم بأنك منهم لست بالناجى

لا تركنن الى كهل ولا حدث * فليس فى القوم الا كل عفاج

قال لا والله ما أنا من أود قالت فمن أنت قال انا رجل من لخم قالت أتعرف الذى يقول

اذا ما انتمى قوم لفخر قديمهم * تباعد فخر القوم من لخم اجمعا

قال لا والله ما أنا من لخم قالت فمن أنت قال أنا رجل من جذام قالت أتعرف الذى يقوله

اذا كاس المدام ادير يوما * لمكرمة تنحى عن جذام

قال لا والله ما أنا من جذام قالت فمن أنت ويلك أما تستحيى أكثرت من الكذب قال انا رجل من تنوخ وهو الحق قالت أتعرف الذى يقول

اذا تنوخ قطعت منهلا * فى طلب الغارات والثار

آبت بخزى من اله العلى * وشهرة فى الاهل والجار

قال لا والله ما أنا من تنوخ قالت فمن أنت ثكلتك أمك قال أنا من حمير قالت أتعرف الذى يقول

نبئت حمير تهجونى فقلت لهم * ما كنت احسبهم كانوا ولا خلقوا

لان حمير قوم لا نصاب لهم * كالعود بالقاع لا ماء ولا ورق

لا يكثرون وان طالت حياتهم * ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

قال لا والله ما أنا من حمير قالت فمن أنت قال انا رجل من شحاتر قالت اتعرف الذى يقول

ولو مر مار بارض شحاتر * لماتوا واضحوا فى التراب رميما

قال لا والله ما أنا من شحاتر قالت فمن أنت قال رجل من قشير قالت أتعرف الذى يقول

بنى قشير قتلت سيدكم * فاليوم لا فدية ولا قود

قال لا والله ما أنا من قشير قالت فمن أنت قال رجل من بنى امية قالت أتعرف الذى يقول

وهى من أمية بنيانها * فهان على الله فقدانها

وكانت أمية فيما مضى * جرى على الله سلطانها

فلا آل حرب اطاعوا الرسو * ل ولم يتق الله مروانها

قال لا والله ما أنا من بنى امية قالت فمن أنت قال رجل من بنى هاشم قالت اتعرف الذى يقول

بني هاشم عودوا الى نخلاتكم * فقد صار هذا التمر صاعا بدرهم
فان قلتمو رهط النبي محمد * فان النصارى رهط عيسى بن مريم

قال لا والله ما أنا من بني هاشم قالت فمن أنت قال رجل من همدان قالت أتعرف الذي يقول

اذا همدان دارت يوم حرب * رحاها فوق هامات الرجال
رأيتهم يحشون المطايا * سراعا هاربين من القتال

قال لا والله ما أنا من همدان قالت فمن أنت قال رجل من قضاعة قالت أتعرف الذي يقول

لا يفخرن قضاعي بأسرته * فليس من يمن محضا ولا مضر
مذبذبين فلا قحطان والدهم * ولا نزار فخلوهم الى سقر

قال لا والله ما أنا من قضاعة قالت فمن أنت قال رجل من شيبان قالت أتعرف الذي يقول

شيبان قوم لهم عديد * فكلهم مقرف لئيم
ما فيهم ماجد حسيب * ولا نجيب ولا كريم

قال لا والله ما أنا من شيبان قالت فمن أنت قال رجل من بني نمير قالت أتعرف الذي يقول

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا
فلو وضعت فقاح بني نمير * على خبث الحديد اذا الذابا

قال لا والله ما أنا من نمير قالت فمن أنت قال انا رجل من تغلب قالت أتعرف الذي يقول

لا تطلبن خؤلة من تغلب * فالزنج اكرم منهم اخوالا
والتغلبي اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

قال لا والله ما أنا من تغلب قالت فمن أنت قال رجل من مجاشع قالت أتعرف الذي يقول

تبكي المصيبة من بنات مجاشع * ولها اذا سمعت نهيق حمار

قال لا والله ما أنا من مجاشع قالت فمن أنت قال رجل من كلب قالت أتعرف الذي يقول

فلا تقربا كلبا ولا باب دارها * فما يطمع الساري يرى ضوء نارها

قال لا والله ما أنا من كلب قالت فمن أنت قال انا رجل من تيم قالت أتعرف الذي يقول

تميه

قال لا والله ما أنا من تيم قالت فمن أنت قال رجل من جرم قالت أتعرف الذي يقول

تمنني سويق الكرم جرم * وما جرم وما ذاك السويق
فما شربوه لما كان حلا * ولا غالوا به في يوم سوق
فلما انزل التحريم فيها * اذا الجرمي منها لا يفيق

قال لا والله ما أنا من جرم قالت فمن أنت قال رجل من سليم قالت أتعرف الذي يقول

اذا ما سليم جئتها لغدائها * رجعت كما قد جئت غرثان جائعا

قال لا والله ما أنا من سليم قالت فمن أنت قال رجل من الموالي قالت اتعرف الذي يقول

الا من اراد الفحش واللؤم والخنا * فعند الموالي الجد والطرفان

سقط من جميع النسخ التي معنا ما قيل في تيم اهـ

قال اشطأت نسبي ورب الكعبة انا رجل من الخور قالت أتعرف الذى يقول

لابارك الله ربى فيكم ابدا * يامعشر الخورات الخور فى النار

قال لا والله ما أنا من الخور قالت فمن أنت قال رجل من أولاد حام قالت أتعرف الذى يقول

فلا تنكحن أولاد حام فانهم * مشاويه خلق الله حاشا ابن اكوع

قال لا والله ما أنا من ولد حام لكنى من ولد الشيطان الرجيم قالت فلعنك الله ولعن أباك الشيطان معك افتعرف الذى يقول

الا يا عباد الله هذا عدوكم * وهذا عدو الله ابليس فاقتلوا

فقال لها هذا مقام العائذ بك قالت قم يارجل خاسئا مذموما واذا نزلت بقوم فلا تنشد فيهم شعرا حتى تعرف من هم ولا تتعرض للمباحث عن مساوى الناس فلكل قوم اساءة واحسان الا رسول رب العالمين ومن اختاره الله على عباده وعصمه من عدوه وأنت كما قال جرير للفرزدق

وكنت اذا حللت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

فقال لها والله لا انشدت بيت شعر ابدا (فقال السفاح) لئن كنت قلت هذا الخبر ونظمت فيمن ذكرت هذه الاشعار فلقد أحسنت وأنت سيد الكاذبين وان كان الخبر صدقا وكنت فيما ذكرته محقا فان هذه الجارية العامرية لمن احضر الناس جوابا وابصرهم بمثالب الناس (قال المسعودى) وللسفاح أخبار غير هذه واسمار حسان قد أتينا على مبسوطها فى أخبار الزمان والاوسط

ذكر خلافة أبى جعفر المنصور

وبويع أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو بطريق مكة أخذ له البيعة عمه عيسى بن على ثم لعيسى بن موسى من بعده يوم الاحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة والمنصور يومئذ ابن احدى وأربعين سنة وكان مولده فى ذى الحجة سنة خمس وتسعين وكانت امه أم ولد يقال لها سلامة بربرية وكانت وفاته يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة الا تسعة أيام وهو حاج عند وصوله الى مكة فى الموضع المعروف ببستان بنى عامر من جادة العراق ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن بمكة مكشوف الوجه لانه كان محرما وقيل انه مات بالبطحاء عند بئر ميمون ودفن بالحجون وهو ابن خمس وستين سنة والله أعلم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

ذكر عن سلامة أم المنصور أنها قالت رأيت لما حملت بأبى جعفر كان أسدا خرج من قبلى فاقعى وزأر وضرب بذنبه فاقبلت اليه الاسد من كل ناحية فكلما انتهى اليه أسد منها سجد له (حدث) على بن محمد المدايني أن المنصور قال صحبت رجلا ضريرا الى الشأم وكان يريد

مروان بن محمد بشعر قاله فيه قال فسألته أن ينشدني فانشدني

ليت شعري أفاح رائحة المسك وما ان اخال بالخيف انسى

حين غابت بنو أمية عنه * والبهاليل من بني عبد شمس

خطباء على المنابر فرسا * ن عليها وقالة غير خرس

لا يعابون قائلين وان قا * لوا اصابوا ولم يقولوا بلبس

وحلوم اذا الحلوم استخفت * ووجوه مثل الدنانير ملس

قال المنصور فوالله ما فرغ من شعره حتى ظننت أن العمى ادركني وكان والله ممتع الحديث حسن الصحبة قال وحججت سنة احدى وأربعين ومائة فنزلت على الحاجز في جبلي زرود في الرمل امشي لنذر كان علي فاذا انا بالضرير فأومأت الى من كان معي تأخروا فتأخروا ودنوت منه فأخذت بيده فسلمت عليه فقال من أنت جعلني الله فداك ما اثبتك معرفة قلت رفيقك الى الشأم في أيام بني أمية وأنت متوجه الى مروان فسلم علي وتنفس وانشا يقول

آمت نساء بني أمية منهم * وبناتهم بمضيعة أيتام

نامت جدودهم واسقط نجمهم * والنجم يسقط والجدود نيام

خلت المنابر والاسرة منهم * فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له كم كان مروان اعطاك فقال اغناني فلا اسأل أحدا بعده فقلت كم فقال أربعة آلاف دينار وخلع وحملان قلت وأين ذاك قال بالبصرة قلت اتثبتني معرفة فقال أما معرفة الصحبة فقد لعمري وأما معرفة النسب فلا فقلت أنا أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين فوقع عليه الانكاء وقال يا أمير المؤمنين اعذرني فان ابن عمك محمدا صلى الله عليه وسلم قال جبلت النفوس على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها قال أبو جعفر فهممت والله به ثم تذكرت الحرمة والصحبة فقلت للمسيب اطلقه ثم بدا لي في مسامرته رأي فأمرت بطلبه فكان البيداء بادته (وحدث الربيع) قال اجتمع عند المنصور عيسى بن علي وعيسى ابن موسى ومحمد بن علي وصالح بن علي وقثم بن العباس ومحمد بن جعفر ومحمد بن ابراهيم فذكروا خلفاء بني أمية وسيرهم وتدبيرهم والسبب الذي به سلبوا عزهم فقال المنصور أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي ما صنع وأما سليمان فكان همته بطنه وفرجه وأما عمر فكان اعور بين عميان وكان رجل القوم هشام ولم تزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويحفظونه ويصرفون ما وهب الله لهم منه مع كسبهم معالي الامور ورفضهم ادانيها حتى افضى الأمر الى ابنائهم المترفين فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصي الله جل وعز جهلا منهم باستدراجه وأمنا منهم لمكره مع اطراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز وألبسهم الذل ونفى عنهم النعمة فقال صالح بن علي يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن اتبعه سأل ملك النوبة عن حالهم وهيئتهم فركب الى عبد الله ليسأله عن شيء من أمورهم والسبب الذي به زالت النعمة عنهم وكلمه بكلام سقط عني حفظه ثم أشخصه عن بلده فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به ليحدثه أمره فعل

فأمر المنصور باحضاره في مجلسه فلما مثل بين يديه قال له يا عبد الله قص على قصتك وقصة ملك النوبة قال يا أمير المؤمنين قدمت الى النوبة فاقمت بها ثلاثا فأتاني ملكها فقعد على الارض وقد اعددت له فراشا فقلت له ما منعك من القعود على فراشنا فقال لاني ملك وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله عز وجل اذ رفعه الله ثم قال لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا قال فلم تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم فقلت فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم قال فلم تلبسون الديباج والحرير والذهب وهو محرم عليكم في كتابكم ودينكم فقلت ذهب منا الملك فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا فاطرق الى الارض يقلب يده مرة وينكت في الارض اخرى ويقول عبيدنا واتباعنا واعاجم دخلوا علينا في ديننا ثم رفع رأسه فقال ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله وركبتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فينالني معكم وانما الضيافة ثلاث فتزود ما احتجت اليه وارحل عن أرضي ففعلت فتعجب المنصور واطرق مليا فرق له وهم باطلاقه فاعلمه عيسى ابن علي أن في عنقه بيعة له فاعاده الى الحبس (قال المسعودي) ولعشر سنين خلت من خلافة المنصور توفي أبو عبد الله محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم سنة ثمان وأربعين ومائة ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وله خمس وستون سنة وقيل أنه سم وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الامم ومحيي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب وعلي [illegible] أبي طالب ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم واستوزر أبو جعفر المنصور ابن عطية الباهلي ثم استوزر أبا ايوب النوراني الخوزي وكان له بأبي جعفر اسباب منها أنه كان يكتب لسليمان بن حبيب بن المهلب وقد كان سليمان ضرب المنصور بالسوط في أيام الامويين واراد هتكه فخلصه كاتبه أبو أيوب من يده فكانت سببه به فلما استوزره اتهم بأشياء منها احتجار الاموال وسوء النية فكان على الايقاع به وتطاول ذلك فكان كلما دخل عليه ظن انه سيوقع به ثم يخرج سالما فقيل انه كان معه دهن قد عمل فيه شيء من السحر يطليه على حاجبه اذا اراد الدخول على المنصور فسار في العامة دهن أبي أيوب لما ذكرنا ثم أوقع به واستكتب ابان بن صدقة الى أن مات وذكر لابي جعفر تدبير هشام في حرب كانت له فبعث الى رجل كان ينزل رصافة هشام يسأله عن تلك الحرب فقدم عليه رجل فقال له أنت صاحب هشام فقال نعم يا أمير المؤمنين قال فأخبرني كيف فعل في حرب دبرها في سنة كذا وكذا قال فعل رضي الله عنه فيها كذا وكذا وفعل رحمه الله كذا وكذا فاغاظ ذلك المنصور فقال له قم عليك غضب الله تطأ بساطي وتترحم على عدوي فقام الشيخ وهو يقول ان لعدوك قلادة في عنقي ومنة في رقبتي لا ينزعها الا غاسلي فأمر المنصور برده وقال كيف قلت قال انه كفاني الطلب وصان وجهي عن السؤال فلم

أقف على باب عربي ولا عجمي منذ رأيته اقلا يعجب لي أن اذكره الا بخير وأتبعه بثناءٍ فقال بلى قد انتهضت عندك اشهد اثلث بيض حرة وغراس كريم ثم استمع منه وأمر له بجائزة فقال يا أمير المؤمنين ما آخذها لحاجة وما هو الا أني اتبجح بحبائك واتشرف بصلتك فأخذ الصلة فقال له المنصور مت اذا شئت لله أنت لو لم يكن لقومك غيرك كنت قد أبقيت لهم مجداً وقال بجلسائه بعد خروجه عنه في مثل هذا تحسن الصنيعة ويوضع المعروف ويجاد بالمصون وأين في عسكرنا مثله ودخل معن بن زائدة على المنصور فلما نظر اليه قال هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفاً على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما اعطيته على قوله

ما زلت يوم الهاشمية معلناً * بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال احسنت يا معن وكان معن من أصحاب عمر بن هبيرة وكان مستتراً حتى كان يوم الهاشمية وقد كان سعت فيه عدة من أهل خراسان فانه حضر وهو معتم متلثم فلما نظر الى القوم قد وثبوا على المنصور تقدم ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما افرجوا وتفرقوا عنه قال من أنت فحسر عن وجهه وقال انا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فلما انصرف المنصور آمنه وحباه واكرمه وكساه ورتبه وذكر أن ابن عياش المتوف ذكر أن المنصور كان جالساً في مجلسه المبني على طاق باب خراسان من مدينته التي بناها واضافها الى اسمه وسماها مدينة المنصور مشرفاً على دجلة وكان قد بنى على كل باب من أبواب المدينة في الاعلى من طاقه المعقود مجلساً يشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه وكانت أربعة أبواب شوارع مخرقة وطاقات معقودة وهي باقية الى وقتنا هذا الذي هو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فأول أبوابها باب خراسان وكان يسمى باب الدولة لاقبال الدولة العباسية من خراسان ثم باب الشام وهو تلقاء الشام ثم باب الكوفة وهو تلقاء الكوفة ثم باب البصرة وهو تلقاء البصرة وقد أتينا على كيفية خبر بناء هذه المدينة واختيار المنصور لهذه البقعة بين دجلة والفرات ودجيل والصراة وهذه انهار تأخذ من الفرات وأخبار بغداد وعلة تسميتها بهذا الاسم وما قاله الناس في ذلك وخبر القبة الخضراء وسقوطها في هذا العصر وقصة قبة الحجاج الخضراء التي كان الحجاج بناها بواسط العراق وبناؤها الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في كتابنا الاوسط الذي كتابنا هذا تال له فبينما المنصور جالس في هذا المجلس من اعالي باب خراسان اذ جاء سهم عائر حتى سقط بين يديه فذعر المنصور منه ذعراً شديداً ثم أخذه فجعل يقلبه فاذا مكتوب عليه بين الريشتين

اتطمع في الحياة الى التنادي * وتحسب أن مالك من نفاد

ستسئل عن ذنوبك والخطايا * وتسئل بعد ذاك عن العباد

ثم قرأ عند الريشة الاخرى

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

ثم قرأ عند الريشة الاخرى

هى المقادير تجرى فى اعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس القوم ترفعه * الى السماء ويوما تخفض العالى

واذا على جانب السهم مكتوب همدان منها رجل مظلوم فى حبسك فبعث من فوره بعدة من خاصته ففتشوا المحبوس والمطابق فوجدوا شيخا فى بقية من الحبس فيه سراج يسرج على بابه بارية مسبلة واذا الشيخ موثق بالحديد متوجه نحو القبلة يردد هذه الآية وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فسألوه عن بلده فقال همدان فحمل ووضع بين يدى المنصور فسأله عن حاله فأخبره انه رجل من ابناء مدينة همدان وارباب نعمها وان واليك علينا دخل بلدنا ولى ضيعة فى بلدنا تساوى ألف ألف درهم فاراد أخذها منى فامتنعت فكبلنى فى الحديد وحملنى وكتب اليك انى عاص فطرحت فى هذا المكان فقال منذ كم قال منذ أربعة اعوام فأمر بفك الحديد عنه والاحسان اليه والاطلاق له وانزله أحسن منزل ورده اليه فقال له يا شيخ قد رددنا عليك ضيعتك بخراجها ما عشت وعشنا وأما مدينتك همدان فقد وليناك عليها وأما الوالى فقد حكمناك فيه وجعلنا أمره اليك فجزاه خيرا ودعا له بالبقاء وقال يا أمير المؤمنين أما الضيعة فقد قبلتها وأما الولاية فلا اصلح لها وأما واليك فقد عفوت عنه فأمر له المنصور بمال جزيل وبر واسع واستحله وحمله الى بلده مكرما بعد أن صرف الوالى وعاقبه على ما جنى من انحرافه عن سنة العدل وواضحة الحق وسأل الشيخ مكاتبته فى مهماته وأخبار بلده واعلامه بما يكون من ولاته على البريد ثم انشأ المنصور يقول

من يصحب الدهر لا يأمن تصرفه * يوما وللدهر احلاء وامرار
لكل شئ وان دامت سلامته * اذا انتهى فله لا بد اقصار

وقال المنصور يوما لسالم بن قتيبة ما ترى فى أمر أبى مسلم قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فقال حسبك يا ابن قتيبة لقد اودعتها اذنا واعية وذكر ابن داب وغيره عن عيسى بن على قال مازال المنصور يشاورنا فى جميع أموره حتى امتدحه ابراهيم بن هرمة فقال فى قصيدة له

اذا ما اراد الأمر ناجى ضميره * فناجى ضميرا غير مختلف العقل
ولم يشرك الادنين فى سر أمره * اذا انتقضت بالاصبعين قوى الحبل

ولما اراد المنصور قتل أبى مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشورة فيه فارقه ذلك فقال

تقسمنى امران لم افتهما * بحزم ولم يعرك قواى الكراكر
وما شاور الاحشاء مثل دفينة * من الهم ردتها عليك المصادر
وقد علمت ابناء عدنان اننى * على مثلها مقدامة متجاسر

وقد كان عبد الله بن على خالف على المنصور ودعا الى نفسه من كان معه من أهل الشام

وزعم أن السفاح جعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتل مروان فلما بلغ المنصور ذلك من فعل عبد الله كتب اليه

سأجعل نفسي منك حيث جعلتها * وللدهر أيام لهن عواقب

ثم بعث اليه بأبي مسلم فكانت له معه حروب كثيرة ببلاد نصيبين المعروفة بدير الاعور وصبر الفريقان شهورا على حربهما واحتفروا الخنادق ثم انهزم عبد الله بن علي فيمن كان معه وصار في نفر من خواصه الى البصرة وعليها أخوه سليمان بن علي عم المنصور فظفر أبو مسلم بما كان في عسكر عبد الله فبعث اليه المنصور يقطين بن موسى لقبض الخزائن فلما دخل يقطين على أبي مسلم قال السلام عليك أيها الامير قال لا سلم الله عليك يا ابن اللخنا أوتمن على الدماء ولا اوتمن على الاموال فقال له ما بدا هذا منك أيها الامير قال ارسلك صاحبك لقبض ما في يدي من الخزائن فقال له امرأته طالق ثلاثا ان كان أمير المؤمنين وجهني اليك لغير تهنئتك بالظفر فاعتنقه أبو مسلم واجلسه الى جانبه فلما انصرف قال لاصحابه والله اني لاعلم انه قد طلق زوجته ولكنه وفى لصاحبه وسار أبو مسلم من الجزيرة وقد اجمع على خلاف المنصور واجتاز على طريق خراسان متنكبا للعراق يريد خراسان وسار المنصور من الانبار يريد المداين فنزل برومية المداين التي بناها كسرى وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكتب الى أبي مسلم اني قد اردت مذاكرتك بأشياء لم يحملها الكتاب فأقبل فان مقامك عندنا قليل فقرا الكتاب ومضى على حاله فسرح اليه المنصور جرير بن يزيد ابن جرير بن عبد الله البجلي وكان واحد أهل زمانه وداهية عصره وكانت المعرفة بينه وبين أبي مسلم قديمة بخراسان فأتاه فقال أيها الامير ضربت الناس عن عرض لاهل هذا البيت ثم تنصرف على هذه الحالة ما آمن أن يعيبك من هنالك ومن ها هنا وأن يقال طلب بثار قوم ثم نقض بيعتهم فيخالفك من يأمن مخالفته اياك وأن الامر لم يبلغ عنده خلقتك ما تكره ولا ارى أن تنصرف على هذه الحال فأراد أن يجيب الى الرجوع فقال له مالك ابن الهيثم لا تفعل فقال لمالك ويلك لقد بليت بابليس وما بليت بمثل هذا قط يعني البجلي فلم يزل به حتى اقبل به على المنصور وكان أبو مسلم يجد خبره في الكتب السالفة ونعته وانه يقتل بالروم وكان يكثر من قول ذلك وانه يقتل بالروم على حسب ما وجد في الملاحم وأنه يميت دولة ويحيي اخرى فلما دخل على المنصور وقد تلقاه الناس رحب به وقال له كدت أن تمضي قبل أن اقضي عليك بما تريد قال فقد أتيت يا أمير المؤمنين فأمر بأمرك فأمره بالانصراف الى منزله وانتظر فيه الفرص والغوائل فركب أبو مسلم الى المنصور مرارا وقد اظهر له التجني فسار أبو مسلم الى عيسى بن موسى وكان له فيه رأى جميل فسأله الركوب معه الى المنصور ليعزله بحضرته فأمره أن يتقدمه الى المنصور فانه بالاثر فتقدم أبو مسلم الى مضرب المنصور وهو على دجلة برومية المداين فدخل وجلس تحت الشراع وقيل الرواق فأخبر أن المنصور يتوضأ للصلاة وكان المنصور قد تقدم الى صاحب حرسه عثمان في عدة فيهم شبيب بن رواح المروزي وأبو حنيفة حرب بن قيس وأمرهم أن يقوموا خلف السرير الذي وراء أبي مسلم وأمرهم أنه اذا عاتبه وظهر صوته لا يظهروا فاذا اصفق بيد

على يده فليظهر وا وليضربوا عنقه وما ادركوا منه بسيوفهم وجلس المنصور فقام أبو مسلم
من موضعه ودخل فسلم عليه فرد عليه واذن له بالجلوس وحادثه ساعة ثم اقبل يعاتبه ويقول
فعلت وفعلت فقال أبو مسلم ليس يقال هذا لى بعد بلائى وما كان منى فقال له يا ابن الخبيثة
وانما فعلت ذلك بجدنا وحظوظنا ولو كان مكانك امة سوداء لاجزت الست الكاتب
الى تبدأ بنفسك والكاتب الى تخطب آسية بنت على وتزعم انك ابن سليط بن عبد الله بن
العباس لقد ارتقيت لا ام لك مرتقى صعبا فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويقبلها ويعتذر اليه
فقال المنصور وهو آخر ما كلمه به قتلنى الله ان لم أقتلك وذكره قتله لسليمان بن كثير ثم صفق
باحدى يديه على الاخرى فخرج اليه القوم فبدره عثمان بن نهيك فضربه ضربة خفيفة
بالسيف قطعت نجاد سيف أبى مسلم وضربه شبيب بن رواح فقطع رجله واعتورته
السيوف فخلطت اجزاءه وأتى عليه والمنصور يصيح اضربوا قطع الله أيديكم وقد كان
أبو مسلم على أول ضربة قال استبقنى يا أمير المؤمنين لعدوك قال لا ابقانى الله ابدا ان
ابقيتك وأى عدو أعدى لى منك وكان قتله فى شعبان سنة ست وثلاثين ومائة وفيها كانت
بيعة المنصور وهزيمة عبد الله بن على وادرج أبو مسلم فى بساط ودخل عيسى بن موسى
فقال يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم فقال قد كان هاهنا آنفا فقال يا أمير المؤمنين قد عرفت
طاعته ونصيحته ورأى ابراهيم الامام فيه فقال له المنصور يا أنوك خلق الله ما اعلم فى الارض
عدوا اعدى لك منه هاهو ذا فى بساط فقال عيسى انا لله وانا اليه راجعون (ودخل)
عليه جعفر بن حنظلة فقال له المنصور ماتقول فى أمر أبى مسلم فقال يا أمير المؤمنين
ان كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل ثم اقتل فقال المنصور وفقك الله هاهو فى
البساط فلما نظر اليه قتيلا قال يا أمير المؤمنين عد هذا اليوم أول خلافتك وقد كان السفاح
هم بقتله برأى المنصور ثم رجع عن قتله واقبل المنصور على من حضره وأبو مسلم بين يديه
طريحا فقال

زعمت أن الدين لا يقتضى * فاستوف بالكيل أبا مجرم
اشرب بكاس كنت تسقى بها * امر فى الحلق من العلقم

ودعا المنصور بنصر بن مالك وكان على شرطة أبى مسلم فقال استشارك أبو مسلم بالمسير الى
فنهيته قال نعم قال ولم قال سمعت اخاك ابراهيم الامام يحدث عن أبيه قال لا يزال المرء
يزداد فى عقله اذا محض النصيحة لمن شاوره فكنت له كذلك وانا الان لك كذلك واضطرب
أصحاب أبى مسلم ففرقت فيهم الاموال وعلوا بقتله فامسكوا رغبة ورهبة وخطب المنصور
الناس بعد قتله أبا مسلم فقال أيها الناس لا تخرجوا عن انس الطاعة الى وحشة المعصية ولا
تسروا غش الائمة فان من أسر غش امامه اظهر الله سريرته فى فلتات لسانه وسقطات افعاله
وابداها الله لامامه الذى بادر باعزاز دينه به واعلاء حقه بفلجه انا لم نبخسكم حقوقكم
ولم نبخس الدين حقه عليكم انه من نازعنا هذا القميص أوطأناه ما فى هذا الغمد وان أبا مسلم
بايعنا وبايع لنا على انه من نكث بنا هو فحكمنا عليه لانفسنا
حكمه على غيره لنا ولم تمنعنا رعاية الحق له من أقامة الحق عليه ولما تمنى قتل أبى مسلم الى

خراسان

خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الخرمية وهي الطائفة التي تدعى بالمسلمية القائلون
بأبي مسلم وامامته وقد تنازعوا في ذلك بعد وفاته فمنهم من رأى انه لم يمت ولن يموت حتى
يظهر فيملأها عدلا وفرقة قطعت بموته وقالت بامامة ابنته فاطمة وهؤلاء يدعون الفاطمية
واكثر الخرمية في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة الكوركيه والنورساعية
وهاتان الفرقتان اعظم الخرمية ومنهم كان بابك الخرمي الذي خرج على المأمون والمعتصم
بالمدائن من أرض الران وأذربيجان وسنأتي على خبره وخبر مقتله في أخبار المعتصم فيما يرد
من هذا الكتاب ان شاء الله واكثر الخرمية ببلاد خراسان والري واصبهان
واذربيجان وكرخ أبي دلف والبرج الموضع المعروف بالدو والدرسجان ثم ببلاد الصروان
والمصيرة وادلوحان من بلاد ماسبذان وغيرها من تلك الامصار واكثر هؤلاء في القرى
والضياع وسيكون لهم عند انفسهم شأن وظهور يراعونه وينتظرونه في المستقبل من الزمان
ويعرفون هؤلاء بخراسان وغيرها بالباطنية وقد اتينا على مذاهبهم وذكر فرقهم في كتابنا في
المقالات فاجتمعت الخرمية حين علمت بقتل أبي مسلم فسارت في عسكر عظيم من بلاد خراسان
الى الري فغلب عليها وعلى حرمس وما يليها وقبض على ما كان بالري من خزائن أبي مسلم فكبر
جمع يستقاد بمن حوله من أهل الجبال وطبرستان ولما اتصل خبر مسيره بالمنصور سرح اليه
جهور بن مروان العجلي في عشرة آلاف رجل وتلاه بالعساكر فالتقوا بين همدان والري على
طرف المفازة فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر الفريقان جميعا فقتل يستقاد وولى أصحابه فقتل منهم
ستون الفا وسبي منهم سبايا وذراري كثيرة وكان بين خروجه الى مقتله سبعون ليلة وذلك
في سنة ست وثلاثين ومائة بعد قتل أبي مسلم باشهر وفي سنة خمس وأربعين كان ظهور محمد بن
عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم بالمدينة وكان قد بويع له في
الامصار وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه وكان مستخفيا من المنصور ولم يظهر حتى
قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن وعمومته وكثير من أهله وعدتهم ولما ظهر محمد بن
عبد الله بالمدينة دعا المنصور أبا مسلم العقيلي وكان شيخا ذا رأي وتجربة فقال له أشر علي في
خارجي خرج علي قال صف لي الرجل قال رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذو علم وزهد وورع قال فمن تبعه قال ولد علي وولد جعفر وعقيل وولد عمر بن الخطاب
وولد الزبير وسائر قريش وأولاد الانصار قال له صف لي البلد الذي قام به قال بلد ليس به زرع
ولا ضرع ولا تجارة واسعة ففكر ساعة ثم قال اشحن يا أمير المؤمنين البصرة بالرجال فقال
المنصور في نفسه قد خرف الرجل أسأله عن خارجي خرج بالمدينة يقول لي اشحن البصرة
بالرجال فقال له انصرف يا شيخ ثم لم يكن الا يسير حتى ورد الخبر أن ابراهيم قد ظهر بالبصرة
فقال المنصور علي بالعقيلي فلما دخل عليه ادناه ثم قال له اني كنت قد شاورتك في خارجي
خرج بالمدينة فاشرت علي أن اشحن البصرة أو كان عندك من البصرة علم قال لا ولكن
ذكرت لي خروج رجل اذا خرج مثله لم يتخلف عنه أحد ثم ذكرت لي البلد الذي هو
فيه فاذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش فقلت انه رجل سيطلب غير موضعه ففكرت في مصر
فوجدتها مضبوطة والشام والكوفة كذلك وفكرت في البصرة فخفت عليها منه فأشرت

يشبههافقال له المنصور أحسنت وقد خرج بها أخوه فما الرأى فى صاحب المدينة قال ترميه بمثله اذا قال انا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا وانا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المنصور لعيسى بن موسى اما أن تخرج اليه واقيم انا امدك بالجيوش واما أن تكفينى ما اخلف ورائى واخرج انا اليه فقال عيسى بل أقيك بنفسى يا أمير المؤمنين واكون الذى يخرج اليه فاخرجه اليه من الكوفة فى أربعة آلاف فارس والفى راجل واتبعه محمد بن قحطبة فى جيش كثيف فقاتلوا محمدا بالمدينة حتى قتل وهو ابن خمس وأربعين سنة ولما اتصل بابراهيم قتل اخيه محمد بن عبد الله وهو بالبصرة صعد المنبر فنعاه وتمثل

أبا المنازل يا خير الفوارس من * يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا
الله يعلم انى لو خشيتهمو * وأوجس القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوه ولم اسلم أخى لهم * حتى نموت جميعا أو نعيش معا

وقد كان تفرق اخوة محمد وولده فى البلدان يدعون الى امامته فكان فيمن توجه ابنه على ابن محمد الى مصر فقتل بها وسار عبد الله الى خراسان فهرب لما طلب الى السند فقتل هنالك وسار ابنه الحسن الى اليمن فحبس فمات فى الحبس وسار أخوه موسى الى الجزيرة ومضى أخوه يحيى الى الرى وطبرستان فكان من خبر الرشيد ما سنورده فيما يرد من هذا الكتاب ومضى أخوه ادريس بن عبد الله الى المغرب فأجابه خلق من الناس وبعث المنصور من اغتاله فيما احتوى عليه من مدن المغرب وقام ولده ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن مقامه فعرف البلد بهم فقيل بلد ادريس بن ادريس وقد أتينا على خبرهم عند ذكرنا الخبر عبد الله صاحب المغرب وبنائه المدينة المعروفة بالمهدية وخبر أبى القاسم وانتقالهم من مدينة سلمية من أرض حمص الى المغرب فى الكتاب الاوسط ومضى ابراهيم أخوه الى البصرة وظهر بها فأجابه أهل فارس والاهواز وغيرهما من الامصار فى عساكر كثيرة من الزيدية وجماعة ممن يذهب الى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم ومعه عيسى بن زيد بن الحسن بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فسير اليه المنصور عيسى بن موسى وسعيد ابن مسلم فى العساكر فحارب حتى قتل فى الموضع المعروف بباخمرى وذلك على ستة عشر فرسخا من الكوفة من أرض الطف وهو الموضع الذى ذكرته الشعراء ممن رثى ابراهيم فمن ذكر ذلك دعبل بن على فى قصيدة أولها

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحى مقفر العرصات

ومنها قوله فيهم

قبور بكوفان واخرى بطيبة * واخرى بفخ مالها صلوات
واخرى بارض الجوزجان محلها * وقبر بباخمرى لدى القربات

وقتل معه من الزيدية من شيعته أربعمائة رجل وقيل خمسمائة وروى بعض الاخباريين عن حماد التركى قال كان المنصور نازلا فى دير على شاطئ دجلة فى الموضع الذى يسمى اليوم الخلد بمدينة السلام اذ أتى الربيع فى وقت الهاجرة والمنصور فى البيت الذى هو فيه وحماد قاعد على الباب فقال يا حماد افتح الباب فقلت الساعة هجع أمير المؤمنين فقال افتح ثكلتك

أمك

امك قال فسمع المنصور كلامه فنهض يفتح الباب بيده وتناول منه الخريطة فقرأ ما فيها من الكتب وتلا هذه الآية والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ثم أمر باحضار الناس والقواد والموالي وأهل بيته وأصحابه وأمر حماد التركي باسراج الخيل وأمر ابن مجالد بالتقدم ثم خرج فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال

مالي أكفكف عن سعد ويشتمني * وان شتمت بني سعد لقد سكنوا

جهلا علينا وجبنا عن عدوهم * لبئست الخصلتان الجهل والجبن

أما والله لقد عجزوا عن أمر قمنا له فما شكروا ولا حمدوا الكافي ولقد مهدوا فاستوعروا وغبطوا فغمطوا فماذا تحاول مني اسقي رنقا على كدر كلا والله لأن أموت معززا أحب الي من أن أحيا مستذلا ولئن لم يرض العفو مني ليطلبن ما لا يوجد عندي والسعيد من وعظ بغيره ثم نزل فقال يا غلام قدم فركب من فوره الى معسكره وقال اللهم لا تكلنا الى خلقك فنضيع ولا الى أنفسنا فنعجز وذكر أن المنصور هيئت له جمة من خز وسكر فاستطابها فقال اراد ابراهيم يحرمني هذا واشباهه (وذكر) أن المنصور قال يوما لجلسائه بعد قتل محمد وابراهيم تالله ما رأيت رجلا انصح من الحجاج لبني مروان فقام المسيب بن زهرة الضبي فقال يا أمير المؤمنين ماسبقنا الحجاج بأمر تخلفنا عنه والله ما خلق الله على جديد الارض خلقا اعز علينا من نبينا صلى الله عليه وسلم وقد أمرتنا بقتل أولاده فاطعناك وفعلنا ذلك فهل نصحناك أم لا قال له المنصور اجلس لا جلست وقد ذكرنا أنه كان قبض على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه وكثير من أهل بيته وذلك في سنة أربع وأربعين ومائة في منصرفه من الحج فحملوا من المدينة الى الربذة من جادة العراق وكان ممن حمل مع عبد الله بن الحسن أخوه ابراهيم ابن الحسن بن الحسن وأبو بكر بن الحسن بن الحسن وعلي الخير واخوه العباس وعبد الله بن الحسن بن الحسن والحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أخو عبد الله بن الحسن بن الحسن لامه فاطمة ابنة الحسين بن علي وجدتهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرد المنصور بالربذة محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فضربه ألف سوط وسأله عن ابني أخيه محمد وابراهيم فأنكر أن يعرف مكانهما فسألت جدته العثماني في ذلك الوقت وارتحل المنصور عن الربذة وهو في قبة وأوهن القوم بالجهد فحملوا على المحامل المكشفة فمر بهم المنصور في قبته على الجمازة فصاح به عبد الله بن الحسن يا ابا جعفر ما هكذا فعلنا بكم يوم بدر فصيرهم الى الكوفة وحبسوا في سرداب تحت الارض لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل وخلى منهم سليمان وعبد الله ابنا داود بن الحسن بن الحسن وموسى بن عبد الله بن الحسن والحسن بن جعفر وحبس الآخرين ممن ذكرنا حتى ماتوا وذلك على شاطئ الفرات بالقرب من قنطرة الكوفة ومواضعهم بالكوفة تزار في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان قد هدم عليهم الموضع وكانوا يتوضؤن في مواضعهم فاشتدت عليهم الرائحة فاحتال بعض مواليهم حتى ادخل اليهم شيأ من

الغالية فكانوا يدفعون بشمها تلك الروائح المنتنة وكان الورم في اقدامهم فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفؤاد فيموت صاحبه وذكر انهم لما حبسوا في هذا الموضع اشكل عليهم أوقات الصلاة فجزؤا القرآن خمسة اجزاء فكانوا يصلون الصلاة على فراغ كل واحد منهم من حزبه وكان عدد من بقي منهم خمسة فمات اسماعيل بن الحسن فترك عندهم فجيف فصعق داود بن الحسن فمات وأتي برأس ابراهيم بن عبد الله فوجه به المنصور مع الربيع اليهم فوضع الرأس بين أيديهم وعبد الله يصلي فقال له ادريس أخوه اسرع في صلاتك يا أبا محمد فالتفت اليه وأخذ الرأس فوضعه في حجره وقال له أهلا وسهلا يا أبا القاسم والله لقد كنت من الذين قال الله عز وجل فيهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل الى آخر الآية فقال له الربيع كيف أبو القاسم في نفسه قال كما قال الشاعر

فتى كان يحميه من الذل سيفه * ويكفيه ان يأتي الذنوب اجتنابها

ثم التفت الى الربيع فقال قل لصاحبك قد مضى من يومنا أيام والملتقى القيامة قال الربيع فما رأيت المنصور قط أشد انكسارا منه في الوقت الذي بلغته فيه الرسالة فأخذ هذا المعنى العباس بن الاحنف فقال

فان تلحظي حالي وحالك مرة * بنظرة عين عن هوى النفس تحجب
ترى كل يوم بين يومين عيشتي * تمر بيوم من نعيمك تحسب

(قال المسعودي) ولما أخذ المنصور عبد الله بن الحسن وأهل بيته صعد المنبر بالهاشمية فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أهل خراسان أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا خيرا منا ان ولد ابن أبي طالب تركناهم والذي لا اله الا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير فقام فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فما أفلح وحكم الحكمين فاختلفت عليه الامة وافترقت الكلمة ثم وثب عليه شيعته وانصاره وثقاته فقتلوه ثم قام بعده الحسن بن علي رضي الله عنه فوالله ما كان برجل عرضت عليه الاموال فقبلها ودس اليه معاوية اني اجعلك ولي عهدي فخلعه وانسلخ له مما كان فيه وسلمه اليه واقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة ويطلق غدا اخرى فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه ثم قام من بعده الحسين بن علي رضي الله عنه فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة أهل الشقاق والنفاق والاغراق في الفتن الى هذه المدرة السوء وأشار الى الكوفة فوالله ما هي بحرب فاحاربها ولا هي بسلم فاسالمها فرق الله بيني وبينها فخذلوه وابرؤا أنفسهم منه فاسلموه حتى قتل ثم قام بعده زيد بن علي فخدعه أهل الكوفة وغروه فلما اظهروه واخرجوه اسلموه وقد كان أبي محمد بن علي ناشده الله في الخروج وقال له لا تقبل اقاويل أهل الكوفة فانا نجد في علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكناسة واخشى أن تكون ذلك المصلوب وناشده الله بذلك عمي داود وحذره رحمه الله عن زاهد الكوفة فلم يقبل وتم على خروجه فقتل وصلب بالكناسة ثم وثب بنو أمية علينا فاماتوا شرفنا وأذهبوا عزنا والله ما كان لهم عندنا ترة يطلبونها وما كان ذلك كله الا فيهم وبسبب خروجهم فنفونا عن البلاد

فصرنا مرة بالطائف ومرة بالشام ومرة بالسراة حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا فاحيا الله شرفنا وعزنا بكم واظهر لنا حقنا وأصار الينا ميراثنا من نبينا صلى الله عليه وسلم فقر الحق في قراره واظهر الله مناره واعز انصاره وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فلما استقرت الامور فينا على قرارها من فضل الله وحكمه العدل وثبوا علينا حسدا منهم وبغيا لهم بما فضلنا الله به عليهم واكرمنا من خلافته ميراثنا من نبيه وجبنا من بني امية وجراءة علينا اني والله يا أهل خراسان ما اتيت ما أتيت من هذا الأمر من جهالة ولقد كنت يبلغني عنهم بعض السقم ولقد كنت سميت لهم رجالا فقلت قم أنت يافلان فخذ معك من المال كذا وكذا وقم أنت يافلان فخذ معك من المال كذا وكذا وحذوت لهم مثالا يعملون عليه فخرجوا حتى أتوا المدينة فدسوا اذلك المال فوالله مابقي منهم شيخ ولا شاب ولا صغير ولا كبير الا بايعهم لي فاستحللت به دماءهم وحكمت عند ذلك بنقضهم بيعتي وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج علي ثم قرأ في درج المنبر وحيل بينهم وبين مايشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب (قال المسعودى) وقال المنصور للربيع يوما اذكر حاجتك قال ياأمير المؤمنين حاجتي أن تحب الفضل فقال له ويحك ان المحبة انما تقع باسباب قال ياأمير المؤمنين قد أمكنك الله من ايقاع السبب قال وماذاك قال تفضل عليه فانك اذا فعلت ذلك أحبك واذا احبك أحببته واذا احببته كبر عندك صغير احسانه وصغر عندك كبير اساءته وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان وصاحبه اليك الشفيع العريان وقال المنصور يوما للربيع ويحك ياربيع ما اطيب الدنيا لولا الموت قال له ماطابت الا بالموت قال وكيف ذلك قال لولا الموت لم تقعد هاهنا قال صدقت (وذكر) اسحق بن الفضل قال بينا انا على باب المنصور واذا أتى عمرو ابن عبيد فنزل عن حماره وجلس فخرج اليه الربيع فقال قم أباعثمان بابي أنت وأمي فلما دخل على أبي جعفر أمر أن تفرش له لبود بقربه واجلسه اليه بعد ماسلم ثم قال ياأباعثمان عظني بموعظة فوعظه بمواعظ فلما اراد النهوض قال أمرنا لك بعشرة الاف قال لا حاجة لي فيها قال أبو جعفر والله لتأخذنها قال لا والله لا آخذها وكان المهدى حاضرا فقال يحلف أمير المؤمنين وتحلف فالتفت عمرو الى أبي جعفر فقال من هذا الفتى قال هذا محمد ابني وهو المهدى وهو ولي عهدى قال أما والله لقد البسته لباسا ما هو من لباس الابرار ولقد سميته باسم ما استحقه عملا ولقد مهدت له امنع ما يكون عنه ثم اقبل عمرو على المهدى فقال نعم ياابن أخي اذا حلف أبوك أحنثه عمك لان أباك اقوى على الكفارات من عمك فقال له المنصور هل لك من حاجة ياأباعثمان قال نعم قال ماهي قال ان لاتبعث الي حتى آتيك قال اذا لا نلتقي قال هي حاجتي فمضى واتبعه المنصور بطرفه ثم قال .

كلكم يمشي رويد * كلكم يطلب صيد

غير عمرو بن عبيد

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور بعد ما بايع للمهدى فقال له ياأباعثمان هذا ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين فقال له عمرو ياأمير المؤمنين ارى قد وطدت له الامور وهي تصير اليه وأنت عنه مسئول فاستعبر المنصور وقال له عظني ياعمرو قال ياأمير المؤمنين ان الله أعطاك الدنيا

بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها وأن هذا الذى فى يديك لو بقى فى يد غيرك لم يصل اليك فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده وانشد

يا ايهذا الذى قد غره الامل * ودون ما يامل التنغيص والاجل
الا ترى انما الدنيا وزينتها * كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد * وصفوها كدر وملكها دول
تظل تقرع بالروعات ساكنها * فما يسوغ له لين ولا جدل
كانه للمنايا والردى غرض * تظل فيه بنات الدهر تنتضل
والنفس هاربة والموت يرصدها * وكل عثرة رجل عندها زلل
والمرء يسعى لما يبقى لوارثه * والقبر وارث ما يسعى له الرجل

ومات عمرو بن عبيد فى أيام المنصور سنة أربع وأربعين ومائة ويكنى أبا عثمان وهو عمرو بن عبيد بن رباب مولى بنى تميم وكان جده رباب من سبى كابل من رجال السند وكان شيخ المعتزلة ومفتيها وله خطب ورسائل وفى سنة احدى وأربعين ومائة شخص المنصور الى بيت المقدس فصلى فيه لنذر كان عليه وانصرف وفى سنة ست وأربعين ومائة مات هشام بن عروة وهو ابن خمس وثمانين وكان اذا أسمعه رجل كلاما قال انا ارفع نفسى ثم نازع ابن الحسين بن على فأسرع اليه هشام فقال له على انى ادعك الى ما كنت تدعوا اليه وفى سنة خمسين ومائة مات أبو حنيفة النعمان بن ثابت مولى تيم اللات من بكر بن وائل فى أيام المنصور ببغداد وتوفى وهو ساجد فى صلاته وهو ابن تسعين سنة وفى سنة سبع وخمسين مات الاوزاعى ويكنى أبا عمرو عبد الرحمن بن عمرو من أهل الشام وانما كان منزله فيهم اعنى الاوزاع ولم يكن منهم وذلك بدمشق فى آخر أيام المنصور وله تسعون سنة وفى سنة ست وخمسين ومائة مات سوار ابن عبد الله القاضى وفى سنة أربع وخمسين ومائة مات أبو عمرو بن العلاء فى أيام المنصور وطال حبس عبد الله بن على بأمر المنصور وأقام فى محبسه تسع سنين فلما اراد المنصور الحج فى سنة تسع وأربعين ومائة حوله من عنده الى عيسى بن موسى وأمره بقتله وأن لا يعلم بذلك أحدا فاستشار عيسى بن موسى بن شبرمة فقال له لا تفعل فأبى أن يقتله واظهر لابى جعفر أنه قتله وشاع ذلك فكلم بنو على عيسى بن موسى فى عبد الله بن على فقال قد قتلته فرجعوا الى أبى جعفر فقالوا زعم عيسى انه قد قتله فاظهر أبو جعفر الغضب على عيسى وقال يقتل عمى والله لاقتلنه وكان أبو جعفر احب أن يكون عيسى قتله فيقتله به فيستريح منهما جميعا قال فدعا به فقال لم قتلت عمى قال أنت أمرتنى بقتله قال لم آمرك بذلك فقال هذا كتابك الى فيه قال لم اكتبه فلما رأى ابا الدمن المنصور وتخوف على نفسه قال هو عندى لم اقتله قال ادفعه الى أبى الازهر المهلب بن أبى عيسى فلم يزل عنده محبوسا ثم أمره بقتله فدخل عليه ومعه جارية له فبدأ بعبد الله فخنقه حتى مات ثم مده على الفراش ثم أخذ الجارية ليخنقها فقالت يا عبد الله قتلة غير هذه فكان أبو الازهر يقول ما رحمت أحدا قتلته غيرها فصرفت وجهى عنها وأمرت بها فخنقت ووضعتها معه على الفراش وادخلت يدها

تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمعتنقين ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما ثم احضرنا القاضي ابن علاثة وغيره فنظروا الى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال ثم أمر به فدفن في مقبر أبي سويد بباب الشام من بغداد في الجانب الغربي (قال المسعودي) وذكر عبد الله ابن عياش المنتوف قال قال المنصور يوما ونحن عنده اتعرفون جبارا أول اسمه عين قتل جبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين قال قلت نعم يا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن ابن محمد بن الاشعث فقال المنصور فتعرفون خليفة أول اسمه عين قتل جبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين قلت نعم أنت يا أمير المؤمنين قتلت عبد الرحمن بن مسلم وعبد الجبار بن عبد الرحمن وعمك عبد الله بن علي سقط عليه البيت قال فما ذنبي ان كان سقط عليه البيت قلت لا ذنب لك فتبسم ثم قال هل تحفظ الابيات التي قالتها زوجة الوليد أخت عمرو بن سعيد وهي حاسرة تنشد

ايا عين جودي بالدموع على عمرو * عشية أوتينا الخلافة بالقهر
غدرتم بعمرو يا بني خيط باطل * وكلكم يبني البيوت على غدر
وما كان عمرو عاجزا غير أنه * اتته المنايا بغتة وهو لا يدري
كأن بني مروان اذ يقتلونه * خشاش من الطير اجتمعن على صقر
لحى الله دنيا تعقب الذل أهلها * وتهتك ما بين القرابة من ستر
الا يا لقومي للوفاء وللغدر * وللمغلقين الباب قسرا على عمرو
فرحنا وراح الشامتون عشية * كأن على اعناقهم فلق الصخر

قال ابن عياش فقال المنصور فما الابيات التي بعث بها عمرو الى عبد الملك بن مروان قال قلت نعم يا أمير المؤمنين كتب اليه

يريد ابن مروان امورا اظنها * ستحمله مني على مركب صعب
لينقض عهدا كان مروان شده * وادرك فيه بالقطيعة والكرب
فقدمته قبلي وقد كنت قبله * ولولا انقيادي كان كرب من الكرب
وكان الذي اعطيت مروان هفوة * عنفت بها رأيا وخطبا من الخطب
فان تنفذوا الامر الذي كان بيننا * فقلنا جميعا بالسهولة والرحب
وان يعطها عبد العزيز ظلامة * فاولى بها منا ومنه بنو حرب

وكان مولد المنصور في السنة التي مات فيها الحجاج بن يوسف وهي سنة خمس وتسعين وكان يقول ولدت في ذي الحجة واعذرت في ذي الحجة ووليت الخلافة في ذي الحجة واحسب الامر يكون في ذي الحجة فكان كما ذكر (وحدث) الفضل بن الربيع قال كنت مع المنصور في السفر الذي مات فيه فنزل منزلا من المنازل فبعث لي وهو في قبة ووجهه الى الحائط فقال لي ألم انهك أن تدع العامة يدخلوا هذه المنازل فيكتبوا فيها ما لا خير فيه قلت وما هو يا أمير المؤمنين قال أما ترى على الحائط مكتوبا

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لا بد نازل

أباجعفر هل كاهن أو منجم * يرد قضاء الله أم أنت جاهل

قال فقلت والله ما ارى على الحائط شيأ وانه لنقى ابيض قال الله قلت الله قال انها والله اذا نفسى نعيت الى الرحيل بادر بى الى حرم ربى وامنه هاربا من ذنوبى واسرافى على نفسى فرحلنا وقد ثقل حتى اذا بلغنا بئر ميمون قلت له هذه بئر ميمون وقد دخلت الحرم فتوفى بها وكان من الحزم وصواب الرأى وحسن السياسة على ما تجاوز كل وصف وكان يعطى الجزيل والخطير ما كان عطاؤه حزما ويمنع الحقير اليسير ما كان اعطاؤه تضييعا وكان كما قال زياد لو ان عندى ألف بعير وعندى بعير اجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره وخلف ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار وكان مع هذا يضن بماله ويتطرف فيما لا يتطرف فيه العوام ووافق صاحب مطبخه على أن له الرؤس والاكارع والجلود وعليه الحطب والتوابل ومن كرمه أنه وصل عمومته وهم عشرة فى يوم واحد بعشرة آلاف درهم واسماؤهم عبد الله ابن على وعبد الصمد بن على واسمعيل بن على وعيسى بن على وداود بن على وصالح بن على وسليمان بن على واسحق بن على ومحمد بن على ويحيى بن على وكان يعمل فى بناء مدينة بغداد التى بناها وعرفت به فى كل يوم خمسون ألف رجل وكان له من الولد المهدى وجعفر وامهما أم موسى الحميرية وتوفى جعفر فى حياة أبيه المنصور وسليمان وعيسى ويعقوب وجعفر الاصغر من كردية وصالح الملقب بالمسكين وبنت تسمى عالية (قال المسعودى) وللمنصور أخبار حسان مع الربيع وعبد الله بن عياش وجعفر بن محمد وعمرو بن عبيد وغيرهم ولهم خطب ومواعظ وسير وسياسات فى الملك قد أتينا على اكثرها فى كتابنا أخبار الزمان وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا تدلك على ما سبق فى كتبنا والله سبحانه وتعالى اعلم

ذكر خلافة المهدى محمد بن عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس ويكنى أبا عبد الله وامه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن سهم بن ابى سرح من ولد ذى رعين من ملوك حمير

أخذ له البيعة بمكة الربيع مولاه يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وأتاه ببيعته منارة مولاه فاقام يومين بعد ذلك ثم خطب الناس وبويع بيعة العامة وكان مولده سنة سبع وعشرين ومائة وخرج من مدينة السلام فى سنة سبع وستين ومائة يريد بلاد قرماسين من بلاد الدينور وقد وصف له طيب ماسبذان وادوسان فعدل الى الموضع المعروف باودالدان نخات بقرية يقال لها رزين ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم سنة سبع وستين ومائة فكانت خلافته عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما وقبض وله ثلاث وأربعون سنة وصلى عليه هارون الرشيد وكان موسى الهادى غائبا بجرجان وقيل انه مات مسموما فى قطائف اكلها وقيل غير ذلك وابست حسنة وغيرها من حشمه المسوح والسواد جزعا عليه فقال فى ذلك أبو العتاهية

وحسن فى الوشى فاصبحن عليهن المسوح
كل نطاح وأن عا * ش له يوما نطوح
لست بالباقى ولو * عمرت ما عمر نوح
فعلى نفسك نح * ان كنت لابد تنوح

(وتذكر)

(وبذكر جملا من أخباره واعمالها كان في أيامه)

ذكر الفضل بن الربيع قال دخل شريك على المهدى يوما فقال له لا بد أن تجيبنى الى خصلة من ثلاث قال وماهن يا أمير المؤمنين قال اما أن تلى القضاء أو تحدث ولدى وتعلمهم أو تأكل اكلة ففكر ثم قال الاكلة اخفهن على نفسى فاحتبسه وقدم الى الطباخ أن تصلح له الوانا من المخ المعقود بالسكر الطبرزذ والعسل فلما فرغ من غدائه قال له القيم على المطبخ يا أمير المؤمنين ليس يفلح الشيخ بعد هذه الاكلة ابدا قال الفضل بن الربيع فحدثهم والله شريك بعد ذلك وعلم أولادهم وولى القضاء لهم ولقد كتب بارزاقه الى الجهبذ فضايقه فى النقص فقال له الجهبذ انك لم تبع برا قال له شريك بلى والله لقد بعت اكبر من البر لقد بعت دينى وقال الفضل بن الربيع خرج المهدى متنزها ومعه عمرو بن بزيع مولاه وكان شاعرا فانقطع عن العسكر والناس فى الصيد وأصاب المهدى جوع شديد فقال لعمرو ويحك الا انسانا عنده ما نأكل فما زال عمرو يطوف الى أن وجد صاحب مبقلة والى جانبها كوخ له فقعدا اليه فقال له هل عندك شئ يؤكل قال نعم رقاق من خبز شعير وزبيب وهذا البقل والكراث فقال له المهدى ان كان عندك زيت فقد اكلت قال نعم عندى فضلة منه فقدم اليهما ذلك فأكلا اكلا كثيرا وامعن المهدى حتى لم يبق فيه فضل فقال لعمرو قل شعرا وصف ما نحن فيه فقال عمرو

ان من يطعم الزبيب بالزيت * وخبز الشعير بالكراث

لحقيق بصفعة أو بثنتين * لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال المهدى بئس والله ما قلت ولكن أحسن من ذلك

لحقيق ببدرة أو بثنتين * لحسن الصنيع أو بثلاث

ووافى العسكر ولحقته الخزائن والخدم والموكب فأمر لصاحب المبقلة بثلاث بدر دراهم قال وعاربه فرسه مرة اخرى وقد خرج للصيد فدفع الى خباء اعرابى وهو جائع فقال يا اعرابى هل عندك قرى فانى ضيفك قال اراك جسيما عمما فان احتملت قربنا لك ما يحضرنا قال هات ما عندك فأخرج له فضلة نبيذ فى ركوة فشرب الاعرابى واحدا وسقاه فلما شرب قال له المهدى اتدرى من أنا قال لا والله قال أنا من خدم الخاصة قال بارك الله فى موضعك وحياك من كنت ثم شرب الاعرابى قدحا وسقاه فلما شرب قال يا اعرابى اتدرى من أنا قال نعم ذكرت انك من خدم الخاصة قال لست كذلك قال فمن أنت قال أنا أحد قواد المهدى قال رحبت دارك وطاب مزارك ثم شرب الاعرابى قدحا وسقاه فلما شرب الثالث قال يا اعرابى اتدرى من أنا قال نعم زعمت انك أحد قواد المهدى قال فلست كذلك قال فمن أنت قال أنا أمير المؤمنين فأخذ الاعرابى ركوته فوكاها فقال له المهدى اسقنا قال لا والله لا تشرب منها جرعة فما فوقها قال ولم قال سقيناك قدحا فزعمت انك من خدم الخاصة فاحتملناها لك ثم سقيناك آخر فزعمت انك أحد قواد المهدى ثم سقيناك الثالث فزعمت انك أمير المؤمنين ولا والله ما آمن أن اسقيك الرابع فتقول انك رسول الله فضحك المهدى وأحاطت به الخيل فنزل اليه ابناء الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فلم يكن له همة الا النجا فقال له

المهدى لا بأس عليك وأمر له بصلة وكسوة وبرة وآلة فقال اشهد انك صادق ولو ادعيت الرابعة والخامسة لخرجت منها فضحك المهدى منه حتى كاد أن يقع عن فرسه حين ذكر الرابعة والخامسة وجعل له رزقا وألحقه بخواصه وكان وزيره أبو عبد الله معاوية بن عبد الله الاشعرى وهو جد محمد بن عبد الوهاب وكان كاتبه قبل الخلافة فقتل المهدى ابنا لابى عبد الله على الزندقة فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه وعاش أبو عبد الله الى سنة سبعين ومائة ثم اختص المهدى يعقوب بن داود السلمى وخرج كتابه على الدواوين ان أمير المؤمنين قد آخاه وكان يصل اليه فى كل وقت دون الناس كلهم ثم اتهمه بشئ من أمر الطالبيين فهم بقتله ثم حبسه الى أيام الرشيد فاطلقه الرشيد وقد قيل فى أمره انه كان يرى الامامة فى الاكبر من ولد العباس وأن غير المهدى من عمومته كان احق بها منه وكان المهدى محببا الى الخاص والعام لانه افتتح أمره بالنظر فى المظالم والكف عن القتل وأمن الخائف وانصاف المظلوم وبسط يده فى الاعطاء فاذهب جميع ما خلفه المنصور وهو ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار سوى ما جباه فى أيامه فلما تفرغت بيوت الاموال أتى أبو حارثة النهدى خازن بيوت امواله فرمى بالمفاتيح بين يديه وقال ما معنى مفاتيح لبيوت فرغ ففرق المهدى عشرين خادما فى جباية الاموال فوردت الاموال بعد أيام قلائل فتشاغل أبو حارثة عن الدخول على المهدى ثلاثة أيام فلما دخل عليه قال ما اخرك فقال الشغل بتصحيح الاموال فقال أنت اعرابى احمق كنت تظن أن الاموال لا تاتينا اذا احتجنا اليها قال أبو حارثة ان الحادثة اذا حدثت لم تنتظرك حتى توجه فى استخراج الاموال وحملها وقيل انه فرق فى عشرة أيام من صلب ماله عشرة آلاف درهم فعند ذلك قام شبة بن عقال على رأسه خطيبا فقال وللمهدى اشباه فمنها القمر الزاهر والربيع الباكر والاسد الخادر والبحر الزاخر فاما القمر الزاهر فاشبه منه حسنه وبهاه وأما الربيع الباكر فاشبه منه طيبه وهواه وأما الاسد الخادر فاشبه منه غرته ومضاه وأما البحر الزاخر فاشبه منه جوده وسخاه وكانت الخيزران ام الهادى والرشيد فى دارها المعروفة باسم وعندها امهات أولاد الخلفا وغيرهن من بنات بنى هاشم وهى على بساط ارمنى وهى على نمارق ارمنية وزينب بنت سليمان بن على اعلاهن مرتبة فبينا هى كذلك اذ دخل خادم لها فقال بالباب امرأة ذات حسن وجمال فى اطمار رثة تأبى أن تخبر باسمها وشأنها غيركم وتروم الدخول عليكم وقد كان المهدى تقدم الى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان بن على وقال لها اقتبسى من آدابها وخذى من اخلاقها فانها عجوزلنا قد ادركت أوائلنا فقالت الخيزران للخادم ائذن لها فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال فى اطمار رثة فتكلمت فاوضحت عن بيان على لسان فقالوا لها من أنت قالت أنا مزينة امرأة مروان بن محمد وقد أصارنى الدهر الى ما ترين ووالله ما الاطمار الرثة التى على الا عارية وانكم لما غلبتمونا على هذا الأمر وصار لكم دوننا لم نأمن مخالطة العامة على ما نحن فيه من لنشر على بادرة البنات بل موضع الشرف فقصدناكم لنكون فى جنابكم على أية حالة كانت حتى تأتى دعوة من له الدعوة فاغرورقت عينا الخيزران ونظرت اليها زينب بنت

سليمان بن على فقالت لا خفف الله عنك يا مزينة اذكرين وقد دخلت اليك بحران وأنت
على هذا البساط بعينه فكلمتك فى جثة ابراهيم الامام فانتهرتينى وأمرت باخراجى وقلت
ما للنساء والدخول على الرجال فى آرائهم فوالله لقد كان مروان ارعى للحق منك لقد دخلت
اليه فحلف أنه ما قتله وهو كاذب وخيرنى بين أن يدفنه أو يدفع الى جثته وعرض على مالا
فلم اقبله فقالت مزينة والله ما انطقنى هذه الحالة اداتنى الى ما تريته الا بالفعال التى كان
منى وكأنك استحسنتيه فحرضت الخيزران على فعل مثله انما كان يجب أن تحضيها
على فعل الخير وترك المقابلة بالشر لتحرز بذلك نعمها وتصون بها دينها ثم قالت لزينب يا بنت
عم كيف رأيت صنيع الله بنا فى العقوق فاحببت التأسى بنا ثم ولت باكية فغمزت الخيزران
بعض جواريها فعدلت بها الى بعض المقاصير وأمرت بتغيير حالها والاحسان اليها فلما
دخل المهدى عليها وقد انصرفت زينب وكان من شأنه الاجتماع مع خواص حرمه فى كل
عشية قصت الخيزران عليه قصتها وما أمرت به من تغيير حالها فدعا بالجارية التى ردتها فقال
لها ما ردتيها الى المقصورة ما الذى سمعتيها تقول قالت لحقتها فى الممر الفلانى وهى تبكى
فى خروجها مؤتسية وهى تقرأ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا
من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ثم
قال للخيزران والله والله لو لم تفعلى بها ما فعلت ما كلمتك ابدا وبكى بكاء كثيرا وقال اللهم انى
اعوذ بك من زوال النعمة وانكر فعل زينب وقال لولا انها اكبر نسائنا لحلفت ان لا كلمها
ثم بعث اليها بعض الجوارى الى مقصورتها التى اخليت لها وقال للجارية اقرئى عليها السلام
وقولى لها يا بنت عم ان أخواتك قد اجتمعن عندى ولولا انى ابن عمك لجئتك فلما سمعت
الرسالة علمت مراد المهدى وقد حضرت زينب بنت سليمان فجاءت مزينة تسحب اذيالها
فأمرها بالجلوس ورحب بها ورفع منزلتها فوق منزلة زينب بنت سليمان بن على ثم تفاوضوا
أخبار اسلافهم وأيام الناس والدولة وتنقلها فما تركت لاحد فى المجلس كلاما فقال لها
المهدى يا بنت عم والله لولا انى لا احب أن اجعل لقوم أنت منهم فى أمرنا شيأ لتزوجتك ولكن
لا شئ اصون لك من حجابى وكونك مع اخواتك فى قصرى لك ما لهن وعليك ما عليهن الى ان
يأتيك أمر من له الأمر فيما حكم به على الخلق ثم اقطعها مثل ما لهن من الاقطاع وأخدمها
واجازها فأقامت فى قصره الى أن قضى المهدى وأيام الهادى وصدر من أيام الرشيد
وماتت فى خلافته لا يفرق بينها وبين نساء بنى هاشم فلما قبضت جزع الرشيد والخدم جزعا
شديدا وحدثنا الرياشى عن الاصمعى قال دخل عبد الله بن عمرو بن عتبة على المهدى يعزيه
بالمنصور فقال آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله وبارك الله له فيما خلفه فما
ولا مصيبة اعظم من امام والد ولا عقبى أجل من خلافة الله على أولياء الله فاقبل يا أمير
المؤمنين العطية واحتسب عند الله أفضل الرزية ولما كثر تشبيب أبى العتاهية
بعتبة جارية الخيزران شكت الى مولاتها ما يلحقها من الشناعة فدخل المهدى وهى تبكى
بين يدى الخيزران فسألها عن خبرها فاخبرته فأمر باحضار أبى العتاهية فادخل اليه
فلما وقف بين يديه قال أنت القائل فى عتبة

الله بيني وبين مولاتي * ابدت لي الصد والملامات

ومتى وصلتك حتى تشكو صدها عنك قال يا أمير المؤمنين فانا الذي اقول

يا ناق حثي بنا ولا تهني * نفسك فيما ترين راحات

حتى تجيئي بنا الى ملك * توجه الله بالمهابات

يقول للريح كلما عصفت * هل لك يا ريح في مباراتي

عليه تاجان فوق مفرقه * تاج جمال وتاج اخبات

قال فنكس رأسه ونكت بالقضيب ثم رفع رأسه فقال أنت القائل

الا ما لسيدتي مالها * ادلت بأجمل ادلالها

وجارية من جواري الملوك * قد اسكن الحسن سربالها

ثم سأله عن اشياء فافحم أبو العتاهية فأمر المهدي بجلده فخرج مجلودا فلقيته عتبة وهو على تلك الحال فقال

بخ بخ يا عتب من مثلكم * قد قتل المهدي فيكم قتيلا

فتغرغرت عيناها وفاض دمعها وصادفت المهدي عند الخيزران فقال ما لعتبة تبكي قالوا له رأت أبا العتاهية مجلودا وقال لها كيت وكيت فأمر له بخمسين ألف درهم ففرقها أبو العتاهية على من بالباب فكتب صاحب الخبر بذلك فوجه اليه ما حملك على أن أكرمتك بكرامة فقسمتها فقال ما كنت لآكل ثمن من احببت فوجه اليه بخمسين ألفا اخرى وحلف عليه أن لا يفرقها فأخذها وانصرف قال المبرد اهدى أبو العتاهية الى المهدي في يوم نوروز برنية صينية فيها ثوب ممسك فيه سطران مكتوبان عليه بالغالية

نفسي بشيء من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها

اني لأيأس منها ثم يطمعني * فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم أن يدفع اليه عتبة فقالت له يا أمير المؤمنين مع حرمتي وخدمتي تدفعني الى بائع جرار يكتسب بالشعر فبعث اليه أما عتبة فلا سبيل لك اليها وقد أمرنا لك بملء البرنية مالا فخرجت عتبة وهو يناظر الكتاب ويقول انما أمر لي بدنانير وهم يقولون بدراهم فقالت أما لو كنت عاشقا لعتبة لما اشتغلت بتمييز العين من الورق وكان أبو العتاهية بائع جرار وكان اقدر الناس على وزن الكلام وكان حلو الالفاظ حتى أنه يتكلم بالشعر قد جعله شعرا ونثارا واجتمع أبو نواس وجماعة فدعا أحدهم بماء فشرب ثم قال * عذب الماء وطابا * ثم قال لهم اجيزوا فلم يحضر أحدهم ما يجانسه في سهولته وقرب مأخذه حتى جاء أبو العتاهية فقال فيم أنتم فاعلموه وانشدوه القسم فقال * حبذا الماء شرابا * ومن مختار شعره في عتبة

بالله يا حلوة العينين زوريني * قبل الممات والا فاستزيريني

هذان أمران فاختاري احبهما * اليك أولا فداعي الموت يدعوني

أن شئت موتا فانت الدهر مالكة * روحي وان شئت أن احيا فاحييني

يا عتب ما أنت الا بدعة خلقت * من غير طين وخلق الناس من طين

اني لأعجب من حب يقربني * ممن يباعدني عنه ويقصيني

لو

لو كان ينصفني مما كلفت به * اذا رضيت وكان النصف يرضيني
يا أهل ودي انى قد لطفت بكم * فى الحب جهدى ولكن لا تبالونى
الحمد لله قد كنا نظنكم * من ارحم الناس طرا بالمساكين
أما الكثير فلا ارجوه منك ولو * اطمعتنى فى قليل كان يكفينى

ومن مختار شعره فيها قوله

الا يا عتب يا قمر الرصافه * ويا ذات الملاحة والنظافه
رزقت مودتى ورزقت عطفى * ولم ارزق فديتك منك رافه
وصرت من الهوى دنفا سقيما * صريعا كالصريع من السلافه
اظل اذا رأيتك مستكينا * كأنك قد بعثت على آفه

وحدث المبرد محمد بن يزيد أن ريطة ابنة أبى العباس السفاح وجهت الى عبد الله بن مالك الخزاعى فى شراء رقيق للعتق وأمرت جاريتها عتبة وكانت لها ثم صحبت الخيزران بعدها أن تحضر ذلك فانها لجالسة اذ جاء أبو العتاهية فى زى متنسك فقال جعلنى الله فداك شيخ ضعيف كبير لا يقوى على الخدمة فان رأيت اعزك الله بشراى وعتقى فعلت مأجورة فاقبلت على عبد الله فقالت انى لارى هيئة جميلة وضعفا ظاهرا ولسانا فصيحا ورجلا بليغا فاشتره وأعتقه فقال نعم فقال أبو العتاهية اتأذنين لى اصلحك الله فى تقبيل يدك فاذنت له فقبل يدها وانصرف فضحك عبد الله بن مالك وقال اتدرين من هذا قالت لا قال هذا أبو العتاهية وانما احتال عليك حتى قبل يدك فلو لم يكن لابى العتاهية سوى هذه الابيات التى أبان فيها عن صدق الاخاء ومحض الوفاء وهى

ان أخاك الصدق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت شمل نفسه كى يجمعك

وهذه الصفة فى عصرنا معدومة ومستحيل وجودها ومتعذر كونها (وروى) ابن عياش أن المنصور كان قد ضم الشرقى بن القطامى الى المهدى حين خلفه بالرى وأمره أن يأخذ بحفظ أيام العرب ومكارم الاخلاق ودراسة الاخبار وقراءة الاشعار فقال له المهدى ذات ليلة يا شرقى أرح قلبى بشئ يلهيه قال نعم اصلح الله الأمير ذكروا أنه كان فى ملوك الحيرة ملك يقال كان له نديمان قد نزلا من قلبه منزلة مكينة وكانا لا يفارقانه فى لهوه ومنامه ويقظته وكان لا يقطع امرا دونهما ولا يصدر الا عن رأيهما فغبر بذلك دهرا طويلا فبينا هو ذات ليلة فى شربه ولهوه اذ غلب عليه الشراب فازال عقله فدعا بسيفه وانتضاه وشد عليهما فقتلهما وغلبته عيناه فنام فلما اصبح سأل عنهما فاخبر بما كان منه فأكب على الارض عاضا لها تاسفا عليهما وجزعا لفراقهما وامتنع من الطعام والشراب ثم حلف لا يشرب شرابا يزيل عقله ما عاش وواراهما وبنى على قبريهما قبة وسماهما الغريين وسن أن لا يمر بهما أحد من الملوك فن دونه الا سجد لهما وكان اذا سن الملك سنة توارثوها وأحيوا ذكرها ولم يميتوها وجعلوها عليهم حكما واجبا وفرضا لازما وأوصى بها الآباء أعقابهم فغبر الناس بذلك دهرا طويلا لا يمر أحد من صغير ولا كبير الا سجد لهما فصار ذلك سنة لازمة كالشريعة

والفريضة وحكم فيمن ابى أن يسجد لهما بالقتل بعد أن يحكم له بخصلتين يجاب اليهما كائنا ما كان قال فمر يوما قصار معه كارة ثياب وفيها مدقته فقال الموكلون بالغريين للقصار اسجد فأبى أن يفعل فقالوا له انك مقتول ان لم تفعل فأبى فرفعوه الى الملك وأخبروه بقصته فقال ما منعك أن تسجد قال سجدت ولكن كذبوا على قال الباطل قلت فاحتكم فى خصلتين فانك مجاب اليهما وانى قاتلك قال لابد من قتلى بقول هؤلاء قال لابد من ذلك قال فانى احتكم أن اضرب رقبة الملك بمدقتى هذه قال له الملك يا جاهل لو حكمت على أن اجرى على من تخلف وراءك ما يغنيهم كان اصلح لهم قال ما احكم الا بضربة رقبة الملك فقال الملك لوزرائه ماترون فيما حكم به هذا الجاهل قال نرى ان هذه سنة وأنت اعلم بما فى نقض السنن من العار والنار وعظم الاثم وأيضا انك متى نقضت سنة نقضت اخرى ثم يكون ذلك لمن بعدك كما كان لك فتبطل السنن قال فأرغبوا الى القصار ان يحكم بما شاء ويعفينى من هذه فانى اجيبه الى ماشاء ولو بلغ حكمه شطر ملكى فرغبوا اليه فقال ما احكم الا بضربة فى عنق الملك قال فلما رأى الملك ذلك وما عزم عليه القصار قعد له مقعدا عاما وأحضر القصار فأبدى مدقته وضرب بها عنق الملك فأوهنه وخر مغشيا عليه فاقام لمابه سنة وبلغت به العلة الى ان كان يسقى الماء بالقطن فلما افاق وتكلم واكل وشرب واستقل سأل عن القصار فقيل انه محبوس فأمر باحضاره فحضر فقال لقد بقيت لك خصلة فاحكم بها فانى قاتلك لا محالة اقامة للسنة قال القصار فاذا كان لا بد من قتلى فانى احكم ان اضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرة اخرى فلما سمع الملك ذلك خر على وجهه من الجزع وقال ذهبت والله نفسى اذا ثم قال للقصار ويلك دع عنك ما لا ينفعك فانه لم ينفعك منه ما مضى واحكم بغيره وأنفذه لك كائنا ما كان قال ما ارى حتى الا ضربة اخرى فقال الملك لوزرائه ماترون قالوا نمت على السنة قال ويلكم ان ضرب الجانب الآخر ما شربت الماء البارد ابدا الانى اعلم ما قد نالنى قالوا فما عندنا حيلة فلما رأى ماقد اشرف عليه قال للقصار أخبرنى الم اكن قد سمعتك تقول يوم أتى بك الموكلون بالغريين انك قد سجدت وانهم كذبوا عليك قال قد كنت قلت ذلك فلم اصدق قال فكنت سجدت قال نعم فوثب من مجلسه وقبل رأسه وقال اشهد انك صادق وانهم كذبوا عليك وقد وليتك موضعهم وجعلت اليك بأسهم وأمرهم فضحك المهدى حتى فحص برجليه وقال أحسنت ووصله قال الهيثم بن عدى كنت فى مجلس المهدى فاتاه الحاجب فقال ابن أبى حفصة بالباب فقال لا تاذن له فانه منافق كذاب فكلمه الحسن بن أبى عطية فيه فادخله فقال له المهدى يا فاسق ألست القائل فى معن

جبل تلوذ به نزار كلها * صعب الذرى متمنع الاركان

قال بل أنا الذى اقول فيك يا أمير المؤمنين

يا ابن الذى ورث النبى محمدا * دون الاقارب من ذوى الارحام

وانشده الابيات كلها فرضى عنه وأجازه وقال القعقاع بن حكيم كنت عند المهدى وأتى سفيان الثورى فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ولم يسلم تسليم الخلافة والربيع قائم على رأسه متكئ على سيفه فاقبل المهدى بوجه طلق وقال له ياسفيان تفر منا ها هنا وها هنا

وتطئ انا لو اردنا لك بسوء لم نقدر عليك فقد قدرنا عليك الآن انما نخشى ان نحكم فيك بهوانا قال سفيان ان تحكم فى يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل فقال له الربيع يا أمير المؤمنين ألهذا الجاهل ان يستقبلك بمثل هذا أتأذن لى ان اضرب عنقه فقال له اسكت ويلك ما يريد هذا وامثاله الا ان نقتلهم فنشقى بسعادتهم اكتبوا بعهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه فى حكم فكتب عهده ودفعه اليه فأخذه وخرج ورمى به فى الدجلة وهرب فطلب فى كل بلد فلم يوجد وقال على بن يقطين كنا مع المهدى بماسبذان فقال لى يوما اصبحت جائعا فأتنى بأرغفة ولحم بارد ففعلت فأكل ثم دخل النهر ونام وكنا نحن فى الرواق فانتبهنا لبكائه فبادرنا اليه مسرعين فقال أما رأيتم ما رأيت قلنا ما رأينا شيأ قال وقف على رجل لو كان فى ألف رجل ما خفى على صوته فقال

كأنى بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة * وملك الى قبر عليه جنادله
فلم يبق الا ذكره وحديثه * تنادى عليه معولات حلائله

قال على فما أتت على المهدى بعد رؤياه الا عشرة أيام حتى توفى (قال المسعودى) وكانت وفاة زفر بن الهذيل الفقيه صاحب أبى حنيفة النعمان بن ثابت سنة ثمان وخمسين ومائة وفيها كانت بيعة المهدى كما قدمناه ومات سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى بالبصرة وكان من تميم وهو ابن ثلاث وستين سنة ويكنى ابا عبد الله فى أيام المهدى وذلك فى سنة احدى وستين ومائة ومات ابن أبى ذيب وهو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ويكنى أبا الحرث بالكوفة سنة تسع وخمسين ومائة وذلك فى أيام المهدى وفى سنة ستين ومائة مات شعبة بن الحجاج ويكنى ابا بسطام وهو مولى لبنى شقرة من الازد وفيها توفى عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى وفى سنة ست وستين ومائة مات حماد بن مسلمة فى أيام المهدى (قال المسعودى) وللمهدى أخبار حسان ولما كان فى أيامه من الكوائن والحروب وغيرها قد أتينا على مبسوطه فى الكتاب الاوسط وكذلك من مات فى سلطانه من الفقهاء وأصحاب الحديث وغيرهم وبالله التوفيق

(ذكر خلافة موسى الهادى)

وبويع موسى بن محمد الهادى لسبع بقين من المحرم وهو ابن أربع وعشرين سنة وثلاثة اشهر صبيحة الثلاثا التى كانت فيها وفاة والده المهدى وذلك فى سنة تسع وستين ومائة وتوفى بعيساباذ نحو مدينة السلام سنة سبعين ومائة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول من هذه السنة وكانت خلافته سنة وثلاثة اشهر وكان يكنى أبا جعفر وامه الخيزران بنت عطاء ام ولد جرشية وهى أم الرشيد واتته البيعة وهو ببلاد طبرستان وجرجان فى حرب كانت هنالك فركب البريد وقد أخذ له أخوه هارون البيعة وفى ذلك يقول بعض الشعراء

لما اتت خير بنى هاشم * خلافة الله بجرجان
شمر للحرب سرابيله * برأى لا غمر ولاوان

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

كان موسى قاسي القلب شرس الاخلاق صعب المرام كثير الادب محباله وكان شديدا
شجاعا جوادا سخيا حدث يوسف بن ابراهيم الكاتب وكان صاحب المهدي عن ابراهيم
أنه كان واقفا بين يديه وهو على حمار له ببستانه المعروف ببغداد اذ قيل له قد ظفر برجل من
الخوارج فأمر بادخاله فلما قرب منه الخارجي أخذ سيفا من بعض الحرس فأقبل يريد
موسى فتنحيت وكل من معي عنه وانه لواقف على حماره ما يتحلحل فلما ان قرب منه
الخارجي صاح موسى اضربا عنقه وليس وراءه أحد فأوهمه فالتفت الخارجي لينظر وجمع
موسى نفسه ثم ظهر عليه فصرعه فأخذ السيف من يده فضرب عنقه قال فكان خوفنا
منه أكثر من الخارجي فوالله ما أنكر علينا تنحينا ولا عذلنا على ذلك ولم يركب حمارا بعد ذلك
اليوم ولا فارقه سيفه وكان عيسى بن داب يجالسه وكان من أهل الحجاز وكان أكثر أهل
عصره أدبا وعلما ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم وكان الهادي يدعو له متكأ ولم يكن غيره
يطمع منه في ذلك وكان يقول له يا عيسى ما استطلت بك يوما ولا ليلة ولا غبت عني
الا ظننت اني لا ارى غيرك (وذكر) عيسى بن داب أنه رفع الى الهادي ان رجلا من بلاد
المنصورة من بلاد السند من اشرافهم وأهل الرياسة فيهم من آل المهلب بن أبي صفرة ربى
غلاما سنديا أو هنديا وان الغلام هوى مولاته فراودها عن نفسها فأجابته فدخل مولاه
فوجدها معه فجب ذكر الغلام وخصاه ثم عالجه الى ان برئ فأقام مدة وكان لمولاه ابنان
أحدهما طفل والآخر يافع فغاب الرجل عن منزله وقد أخذ السندي الصبيين فصعد بهما
الى أعالي سور الدار الى ان دخل مولاه فاذا هو بابنيه مع الغلام على السور فقال يا فلان
عرضت ابني للهلاك فقال دع ذا عنك والله لو لم تجب نفسك بحضرتي لأرمين بهما فقال
له الله الله في وفي ابني قال دع عنك هذا فوالله ما هي الا نفسي واني لاسمح بها من شربة ماء
واهوى ليرمي بهما فأسرع مولاه فأخذ مدية فجب نفسه فلما رأى الغلام انه قد فعل رمى
بالصبيين فتقطعا وقال ذلك الذي فعلت لفعلك بي وقتل هذين زيادة فأمر الهادي بقتل
الغلام وتعذيبه بأفظع ما يمكن من العذاب وأمر باخراج كل سندي في مملكته فرخص
السند في أيامه حتى كانوا يتداولون بالثمن اليسير وكان الهادي قد استوزر الربيع وضم
اليه ما كان لعمر بن بزيع من الزمام ثم ولى عمر بن بزيع الوزارة وديوان الرسائل وافرد
الربيع بالزمام فمات الربيع في هذه السنة وقيل ان الهادي سقاه شربة لاجل جارية كان
قد وهبها له المهدي كانت قبل ذلك للربيع وقيل غير ذلك وظهر في أيامه الحسين بن علي بن
الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو المقتول بفخ وذلك على ستة اميال
من مكة يوم التروية وكان على الجيش الذي حاربه جماعة من بني هاشم منهم سليمان بن
أبي جعفر ومحمد بن سليمان بن علي وموسى بن علي والعباس بن محمد بن علي في أربعة آلاف
فارس فقتل الحسين وأكثر من كان معه واقاموا ثلاثة أيام لم يواروا حتى اكلتهم السباع
والطير وكان معه سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي فأسر في هذا اليوم وضربت
رقبته بمكة صبرا وقتل معه عبد الله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي واسر

الحسن

الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على وضرب عنقه صبرا وأخذ لعبد الله ابن الحسن بن على والحسين بن على الامان فحبسا عند جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وقتلا بعد ذلك فسخط الهادى على موسى بن عيسى لقتل الحسين بن على بن الحسن بن الحسن وترك المصير به اليه ليحكم فيه بما يرى وقبض أموال موسى واظهر الذين أتوا بالرأس الاستبشار فبكى الهادى وزجرهم وقال اتيتمونى مستبشرين كانكم اتيتمونى برأس رجل من الترك أو الديلم انه رأس رجل من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان اقل جزائكم عندى لا اثيبكم شيأ وفى الحسين بن على صاحب فخ يقول بعض شعراء ذلك العصر من ابيات

فلابكين على الحسين بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذى * اثووه ليس له كفن
تركوا بفخ غدوة * فى غير منزلة الوطن
كانوا كراما قتلوا * لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة عنهم * غسل الثياب من الدرن
هدى العباد بجدهم * فلهم على الناس المنن

وكان الهادى كثير الطاعة لامه الخيزران مجيبا لها فيما تسأل من الحوائج للناس فكانت المواكب لا تخلو من بابها ففى ذلك يقول أبو المعافى

ياخيزران هناك ثم هناك * ان العباد يسوسهم ابناك

فكلمته ذات يوم فى أمر فلم يجد الى اجابتها فيه سبيلا فاعتل عليها بعلة فقالت لا بد من اجابتى قال لا افعل قالت فانى قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب الهادى وقال ويل لابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها لا قضيتها لك قالت اذا والله لا اسالك حاجة ابدا قال اذا والله لا ابالى وقامت مغضبة فقال مكانك فاستوعبى كلامى والله والا فنفيت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغنى انه وقف ببابك أحد من قوادى أو من خاصتى أو من خدمى لاضربن عنقه ولاقبضن ماله فمن شاء فليلزم ذلك ماهذه المواكب التى تغدو الى بابك كل يوم أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك اياك ثم اياك ان تفتحى فاك فى حاجة لمسلم ولا ذمى فانصرفت وما تعقل ماتطأ فلم تنطق بحلو ولا مر بعدها (وذكر ابن دأب) قال دعانى الهادى فى وقت من الليل لم تجر العادة انه يدعونى فى مثله فدخلت اليه فاذا هو جالس فى بيت صغير شتوى وقدامه جزء صغير ينظر فيه فقال لى ياعيسى قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال انى ارقت فى هذه الليلة وتداعت الى الخواطر واشتملت على الهموم وهاج لى ما جرت اليه بنو أمية من بنى حرب وبنى مروان فى سفك دماءنا فقلت يا أمير المؤمنين هذا عبد الله بن على قد قتل منهم على نهر أبى فطرس فلانا وفلانا حتى اتيت على تسمية من قتل منهم وهذا عبد الصمد بن على قد قتل منهم بالحجاز فى وقت واحد نحو ما قتل عبد الله بن على وهو القائل لسفك دمائهم

ولقد شفى نفسى وابرأ سقمها * أخذى بثارى من بنى مروان
ومن ال حرب ليت شيخى شاهد * سفكى دماء بنى أبى سفيان

قال ابن دأب فسر والله الهادي وظهرت منه اريحية فقال يا عيسى داود بن علي هو القائل ما ذكرت بالحجاز ولقد اذكرتنيهما حتى كأني ما سمعتهما قلت يا أمير المؤمنين وقد قيل انهما لعبد الله بن علي قالهما على نهر أبي فطرس قال قد قيل ذلك قال ابن دأب ثم تغلغل بنا الكلام والحديث الى أخبار مصر وعيوبها وفضائلها وأخبار نيلها فقال لي الهادي فضايلها اكثر قلت يا أمير المؤمنين هذه دعوى المصر يين لها بغير برهان أوردوه والبينة على الدعوى وأهل العراق يأبون هذه الدعوى ويذكرون ان عيوبها اكثر من فضائلها قال مثل ماذا قلت يا أمير المؤمنين من عيوبها انها لا تمطر واذا امطرت كرهوا وابتهلوا الى الله بالدعا قال الله عز وجل « وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته » فهذه رحمة مجللة لهذا الخلق وهم لها كارهون وهي لهم ضارة غير موافقة لا يزكو عليها زرعهم ولا تخصب عليها ارضهم ومن عيوبها الريح التي يسمونها المريسية وذلك أن أهل مصر يسمون اعالى الصعيد الى بلاد النوبة مريس فاذا هبت الريح المريسية وهي الجنوبية ثلاثة عشر يوما اشترى أهل مصر الاكفان والحنوط وايقنوا بالوباء القاتل والبلاء الشامل ثم من عيوبها اختلاف هوائها لانهم في يوم واحد يغيرون ملابسهم مرارا كثيرة فيلبسون القمص مرة والمبطنات اخرى والحشو مرة وذلك لاختلاف جواهر الساعات بها ولتباين مهاب الهواء فيها في سائر فصول السنة من الليل والنهار وهي غبر ولا تمتار فاذا أجدبوا هلكوا وأما نيلها فكفاك الذي هو عليه من الخلاف لجميع الانهار من الصغار والكبار وليس بالفرات ولا الدجلة ولا نهر بلخ ولا سيحان ولا جيحان شيء من التماسيح وهي في نيل مصر ضارة بلا منفعة ومفسدة غير مصلحة وفي ذلك يقول الشاعر

اضمرت للنيل هجرانا ومقلية * اذ قيل لي انما التمساح في النيل

فمن رأى النيل رأى العين من كثب * فما ارى النيل الا في النواقيل

قال ويحك ما النواقيل التي ترى النيل فيها قلت القلال والكيزان يسمونها بهذا الاسم قال وما مراد الشاعر فيما وصف قال لانه لا يتمتع بالماء الا في الانية لخوف مباشرة الماء في النيل من التمساح لانه يختطف الناس وسائر الحيوان قال ان هذا النهر قد منع هذا النوع من الحيوان مصالح الناس منه ولقد كنت متشوقا الى النظر اليها فقد زهدتني بوصفك لها قال ابن دأب ثم سألني الهادي عن مدينة دنقله وهي دار مملكة النوبة كم المسافة بينها وبين اسوان قلت قد قيل أربعون يوما على شاطئ النيل عمائر متصلة قال ابن دأب ثم قال الهادي أيها يا ابن دأب دع عنك ذكر المغرب وأخباره وهلم بنا الى ذكر فضائل البصرة والكوفة وما زادت به كل واحدة منهما على الاخرى قال قلت ذكر عن عبد الملك بن عمير انه قال قدم علينا الاحنف بن قيس الكوفة مع مصعب بن الزبير فما رأيت شيخا قبيحا الا ورأيت في وجه الاحنف منه شبها كان صعل الرأس اجنى العين اعصف الاذن باخق العين ناتئ الوجه مائل الشدق متراكب الاسنان خفيف العارضين احنف الرجل ولكنه كان اذا تكلم جلى عن نفسه فجعل يفاخرنا ذات يوم بالبصرة ونفاخره بالكوفة فقلنا الكوفة اغذى وأمرأ وافسح واطيب فقال له رجل والله ما اشبه الكوفة الا بشابة صبيحة الوجه

كريمة

كريمة الحسب ولا مال لها فاذا ذكرت ساجتها فكف عنها طالبها وما اشبه البصرة الا بعجوز ذات عوارض موسرة فاذا ذكرت يسارها وذكرت عوارضها فكف عنها طالبها فقال الاحنف أما البصرة فان اسفلها قصب وأوسطها خشب واعلاها رطب نحن اكثر ساجا وعاجا وديباجا ونحن اكثر قندا وتقدا والله ما أتى البصرة الا طائعا ولا خرج منها الا كارها قال فقام اليه شاب من بكر بن وايل فقال يا ابا بحر بم بلغت فى الناس ما بلغت فوالله ما أنت بأجلهم ولا بأشرفهم ولا بأشجعهم قال يا ابن أخى بخلاف ما أنت فيه قال وما ذاك قال بتركى ما لا يعنينى كاعنائك من أمرى ما لا ينبغى ان يعنيك (قال المسعودى) ولابن دأب مع الهادى أخبار حسان يطول ذكرها ويتسع علينا شرحها ولا يتأتى لنا ايراد ذلك فى هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على انفسنا الاختصار والايجاز بحذف الاسانيد وترك اعادة الالفاظ ولاهل البصرة وأهل الكوفة ومن شرب من دجلة مناظرات كثيرة فى مياههم ومنافعها ومضارها منها ما عاب به أهل الكوفة أهل البصرة فقالوا ماؤكم كدر زهك زفر فقال لهم أهل البصرة من أين يأتى ماؤنا الكدر وماء البحر صاف وماء البطيحة طاف وهما يمتزجان وسط بلادنا قال الكوفيون من طباع الماء العذب الصافى اذا خالط ماء البحر صارا جميعا الى الكدورة وقد يروق الانسان ماء أربعين ليلة فان جعل منه شيأ فى قارورة أزبد وتكدر وقد افتخر أهل الكوفة بمائهم الذى هو الفرات على ماء دجلة وهو ماء البصرة فقالوا ماؤنا اعذب المياه واغذاها وهو اصح للاجسام من ماء دجلة والفرات خير من النيل فأما دجلة فان ماءها يقطع شهوة الرجال ويذهب بصهيل الخيل ولا يذهب بصهيلها الا مع ذهاب نشاطها ونقصان قواها وان لم يتدسم النازلون عليها اصابهم نحول فى عظامهم ويبس فى جلودهم وسائر من نزل من العرب على دجلة لا يكادون يسقون خيولهم منها ويسقونها من الآبار والركا لاختلاف مياهها واختلاف انواعها ليست بماء واحد لصب الانهار كالزابين وغيرهما وسيل المشروب غير المأكول لان اختلاف المأكل غير ضار واختلاف الاشربة كالخمر والنبيذ وغيره من الانبذة اذا شربه الانسان كان ضارا واذا كان فضيلة ماسا على دجلة فما ظنك بفضيلته على ماء البصرة وهو يختلط بماء البحر ومن المياه المستنقع فى اصول القصب والبردى وقد قال الله هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج والفرات اعذب المياه عذوبة وانما اشتق الفرات لكل ماء عذب من ماء الكوفة وقد طعن أيضا أهل الكوفة على أهل البصرة فقالوا البصرة اسرع الارض خرابا واخبثها ترابا وابعدها من السماء واسرعها غرقا وقد اجاب أهل البصرة أهل الكوفة عما سألوا عنه وعابوهم به وكذلك من شرب من دجلة وعابوا أهل الكوفة وذكروا عيوبها وما يؤثر عن سكانها من الشح على المأكول والمشروب والغدر وقلة الوفاء وقد أتينا على وصف ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وكذلك أتينا على خواص الارض والمياه وفصول السنة وانقسام الاقاليم وما لحق بهذه المعانى فيما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح وذكرنا فى هذا الكتاب من جميع ذلك لمعا فلنرجع الآن الى أخبار الهادى وندل على هذا السائح وقد كان الهادى اراد ان يخلع اخاه الرشيد من ولاية العهد ويجعلها لابنه جعفر

ابن موسى وحبس يحيى بن خالد البرمكي واراد قتله فقال له يحيى وكان القيم بأمر الرشيد يا أمير المؤمنين ارأيت ان كان ما أسأل الله ان يعيذنا منه وان لا يبلغناه ونسأ في اجل أمير المؤمنين ايظن أن الناس يسلمون لجعفر بن أمير المؤمنين الامر ولم يبلغ الحنث ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم قال ما اظن ذلك قال فتأمن ان يسمو اليها جلة أهل بيتك فتخرج من ولدا بيك الى غيرهم فتشكون قدحملت الناس على النكث وهونت عليهم أيمانهم ولو تركت بيعة اخيك على حالها وبويع لجعفر بعده كان آكد فاذا بلغ مبلغ الرجال سألت اخاك ان يقدمه على نفسه قال نبهتني والله على أمر لم اكن انتبهت له ثم عزم بعد ذلك على خلعه رضى ام كره وأمر بالتضييق عليه في الاكثر من اموره فأشار عليه يحيى ان يستأذنه في الخروج الى الصيد وان يطيل التشاغل بذلك فان مدة موسى قصيرة على ما أوجبته قضية المولد واستأذنه الرشيد فأذن له فسار الى شاطئ الفرات من بلاد الانبار وهيت وتوسط البر مما يلي السماوة وكتب الهادى اليه يأمره بالقدوم فأكثر الرشيد التعلل وبسط الهادى لسانه في شتمه وسنح للهادى الخروج نحو بلاد الحديثة فرض هنالك وانصرف وقد ثقل في العلة فلم يحسر أحد من الناس على الدخول عليه الا صغار الخدم ثم اشار اليهم ان يحضروا الخيزران أمه فصارت عند رأسه فقال لها انا هالك في هذه الليلة وفيها يلي أخي هارون وأنت تعلمين ما قضى فيه أصل مولدى بالرى وقد كنت أمرتك بأشياء ونهيتك عن اخرى مما اوجبته سياسة الملك لا موجبات الشرع من برك ولم اكن بك عاقا بل كنت لك صائنا وبرا واصلا ثم قضى قابضا على يدها واضعا لها على صدره وكان مولده بالرى وكذلك مولد الرشيد فكانت تلك الليلة فيها وفاة الهادى وولاية الرشيد ومولد المأمون ويقال ان الهادى أوقف بين يديه رجلا من أولياء الدولة ذا أجرام كثيرة فجعل الهادى يذكره ذنوبه فقال له الرجل يا أمير المؤمنين اعتذارى مما تقرعني به رد عليك واقرارى بما ذكرت يوجب ذنبا ولكني اقول

فان كنت ترجو في العقوبة راحة * فلا تزهدن عند المعافاة في الاجر

فأطلقه ووصله (وحدث) عدة من الاخبار يين من ذوى المعرفة بأخبار الدولة ان موسى قال لهارون اخيه كأني بك تحدث نفسك بتمام الرؤيا وتؤمل ما أنت عنه بعيد ومن دون ذلك خرط القتاد فقال له هارون يا أمير المؤمنين من تكبر وضع ومن تواضع رفع ومن ظلم خذل وان أوصل الامر الى وصلت من قطعت وبررت من حرمت وصيرت أولادك اعلى من أولادى وزوجتهم بناتى وقضيت بذلك حق الامام المهدى فانجلى عن موسى الغضب وبان السرور في وجهه وقال ذلك الظن بك يا ابا جعفر ادن منى فقام هارون فقبل يده ثم ذهب ليعود الى مجلسه فقال موسى والشيخ الجليل والملك النبيل لا جلست الا معى في صدر المجلس ثم قال يا خزانى احمل اليه الساعة ألف ألف دينار فاذا فتح الخراج فاحمل اليه نصفه فلما اراد هارون الانصراف قدمت دابته الى البساط قال عمرو الرومى فسألت الرشيد عن الرؤيا فقال قال المهدى رأيت في منامى كأنى دفعت الى موسى قضيبا والى هارون قضيبا فأما قضيب موسى فأورق اعلاه قليلا وأما قضيب هارون فأورق من أوله الى آخره فقص الرؤيا على

الحكيم بن اسحاق الصيمري وكان يعبرها فقال له يملكان جميعا فاما موسى فتقل أيامه وأما هارون فيبلغ اخر ماعاش خليفة وتكون أيامه أحسن الايام ودهره أحسن الدهور قال عمرو الرومي فلما افضت الخلافة الى هارون زوج حمدونة ابنته من جعفر بن موسى وفاطمة من اسماعيل ووفى له ماوعده (وحدث) عبدالله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى قال وهب المهدي لموسى الهادي سيف عمرو بن معدى كرب الصمصامة فدعا به موسى بعد ماولى الخلافة فوضعه بين يديه ودعا بمكتل وقال لحاجبه ائذن للشعراء فلما دخلوا أمرهم ان يقولوا في السيف فبدأهم ابن يامين البصري فقال

حاز صمصامة الزبيدي عمرو * من جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما أغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقه الصواعق نارا * ثم شابت فيه الذعاف المنون
واذا ما شهرته تبهر الشمـ * ـس ضياء فلم تكد تستبين
وكأن الفرند والجوهر الجا * ري في صفحتيه ماء معين
مايبالي اذا الضريبة خانت * أشمال سطت به ام يمين

وهي ابيات كثيرة فقال له الهادي لك السيف والمكتل فخذهما ففرق المكتل على الشعراء وقال دخلتم معي وحرمتم من اجلي وفي السيف عوض ثم بعث اليه الهادي فاشترى منه السيف بخمسين الفا وللهادي أخبار حسان وان كانت أيامه قصرت وقد اتينا على ذكرها في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وبالله التأييد

(ذكر خلافة هارون الرشيد)

وبويع هارون الرشيد ابن المهدي يوم الجمعة صبيحة الليلة التي مات فيها الهادي بمدينة السلام وذلك لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة ومات بطوس بقرية يقال لهاساباذ يوم السبت لاربع ليال خلون من جمادى الاخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة فكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وستة اشهر وقيل ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وولى الخلافة وهو ابن أحدى وعشرين سنة ومات وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة اشهر

(ذكر جمل من أخباره وسيره)

ولما افضت الخلافة الى الرشيد دعا بيحيى بن خالد فقال له ياابت انت اجلستني في هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الامر ودفع خاتمه اليه ففي ذلك يقول الموصلي

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة * فلما ولي هارون اشرق نورها
بيمن امين الله هارون ذي الندى * فهارون واليها ويحيى وزيرها

وماتت ريطة بنت أبي العباس السفاح اشهور خلت من أيام الرشيد وقيل في آخر أيام الهادي وماتت الخيزران أم الهادي والرشيد في سنة ثلاث وسبعين ومائة ومشى الرشيد أمام جنازتها وكانت غلة الخيزران مائة ألف ألف وستين ألف ألف درهم وفيها مات محمد بن سليمان وقبض الرشيد امواله بالبصرة وغيرها فكان مبلغها نيفا وخمسين ألف ألف درهم

سوى الضياع والدور والمستغلات وكان محمد بن سليمان يغل كل يوم مائة ألف درهم (وحكى) ان محمد بن سليمان ركب يوما بالبصرة وسوار القاضي يسايره في جنازة ابنة عم له فاعترضه مجنون كان بالبصرة يعرف برأس النعجة فقال له يا محمد أمن العدل ان تكون غلتك في كل يوم مائة ألف درهم وانا اطلب نصف درهم فلا اقدر عليه ثم التفت الى سوار فقال ان كان هذا عدلا فانا اكفر به فاسرع اليه غلمان محمد فكفهم عنه وامر له بمائة درهم فلما انصرف محمد وسوار معه اعترضه رأس النعجة فقال لقد كرم الله منصبك وشرف أبوتك وحسن وجهك وعظم قدرك وارجوان يكون ذلك لخير يده الله بك ولا أن يجمع الله لك الدارين فدنا منه سوار فقال يا خبيث ما كان هذا قولك في البداءة فقال له سألتك بحق الله وبحق الامير الا ما اخبرتني في أي سورة هذه الآية فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قال في براءة قال صدقت فبرئ الله ورسوله منك فضحك محمد بن سليمان حتى كاد يسقط عن دابته ولما بنى محمد بن سليمان قصره بالبصرة على بعض الانهار دخل اليه عبد الصمد بن شبيب بن شبة فقال له محمد كيف ترى بناءي قال بنيت اجل بناء باطيب فناء وأوسع فضاء وارق هواء على أحسن ماء بين صراري وحسان وظباء فقال محمد بناء كلامك أحسن من بنائنا وقيل ان صاحب الكلام والباني للقصر هو عيسى بن جعفر على ما حدث به محمد بن زكريا الغلابي عن الفضل بن عبد الرحمن بن شبيب بن شبة وفي هذا القصر يقول ابن أبي عتبة

زر وادي القصر نعم القصر والوادي * لا بد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شيء يقاربه * من منزل حاضر ان شئت أو باد
ترقى قراقيره والعيس واقفة * والضب والنون والملاح والحادي

وفي سنة خمس وسبعين ومائة مات الليث بن سعد المصري الفهمي ويكنى أبا الحرث وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وكان قد حج سنة ثلاث عشرة ومائة وسمع من نافع وفي سنة خمس وسبعين ومائة مات شريك بن عبد الله بن سنان النخعي القاضي وكان يكنى أبا عبد الله وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وكان مولده ببخارى وليس بشريك بن عبد الله بن أبي اغر الليثي لان ابن اغر مات في سنة أربعين ومائة وانما ذكرنا ذلك لانهما متشابهان في الاباء والامهات وبينهما تسع وثلاثون سنة وكان شريك بن عبد الله النخعي تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ثم عزله موسى الهادي وكان شريك مع فهمه وعلمه ذكيا فطنا وكان جرى بينه وبين مصعب بن عبد الله كلام بحضرة المهدي فقال له مصعب أنت تنتقص أبا بكر وعمر فقال والله ما أنتقص جدك وهو دونهما وذكر معاوية عند شريك بالحلم فقال ليس بحليم من سفه الحق وقاتل علي بن أبي طالب وشم من شريك رائحة النبيذ فقال له أصحاب الحديث لو كانت هذه الرائحة منا لاستحيينا فقال لانكم أهل الريبة ومات في أيام الرشيد أبو عبد الله مالك ابن انس بن أبي عامر الاصبحي وهو ابن تسعين سنة وحمل به ثلاث سنين وذلك في ربيع الاول وقيل انه صلى عليه ابن أبي ذيب على ما ذكر من التنازع في وفاة ابن أبي ذيب وذكر الواقدي ان مالكا كان يأتي المسجد ويشهد الصلوات والجمع والجنائز ويعود المرضى ويقضي الحقوق

ثم ترك ذلك كله ثم قيل له فيه فقال ليس كل انسان يقدر ان يتكلم بعذره وسعي به الى جعفر ابن سليمان وقيل له انه لا يرى أيمان بيعتكم شيأ فضربه بالسياط ومد لذلك حتى انخلع كتفاه وفى السنة التى مات فيها مالك كانت وفاة حماد بن زيد وهى سنة تسع وسبعين ومائة وفى سنة احدى وستين ومائة مات عبد الله بن المبارك المروزى الفقيه بهيت بعد منصرفه من طرسوس وفى سنة اثنتين وثمانين ومائة مات أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضى وهو ابن تسع وستين سنة وهو رجل من الانصار وولى القضاء سنة ست وستين ومائة فى أيام خروج الهادى الى جرجان واقام على القضاء الى ان مات خمس عشرة سنة (قال المسعودى) وقد كانت أم جعفر كتبت مسئلة الى أبى يوسف تستفتيه فيها فأفتاها بما وافق مرادها على حسب ما أوجبته الشريعة عنده وأدّاه اجتهاده اليه فبعثت اليه بحق فضة فيه حقاق فى كل حق لون من الطيب وجام ذهب فيه دراهم وجام فضة فيه دنانير وغلمان وتخوت من ثياب وحمار وبغل فقال له بعض من حضره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها فقال أبو يوسف تأولت الخبر على ظاهره والاستحسان قد منع من امضائه ذلك اذ كان هدايا الناس التمر واللبن لا فى هذا الوقت وهدايا الناس اليوم العين والورق وغيره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (وذكر الفضل بن الربيع) قال صار الى عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير فقال ان موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على قد ارادنى على البيعة له فجمع الرشيد بينهما فقال الزبيرى لموسى سعيتم علينا واردتم نقض دولتنا فالتفت اليه موسى فقال ومن انتم فغلب الرشيد الضحك حتى رفع رأسه الى السقف حتى لا يظهر منه ثم قال موسى يا أمير المؤمنين هذا الذى ترى المشنع على خروج والله مع اخى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على على جدك المنصور وهو القائل من ابيات

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا * ان الخلافة فيكم يا بنى حسن

فى شعر طويل وليس سعايته يا أمير المؤمنين حبا لك ولا مراعاة لدولتك ولكن بغضا لنا جميعا أهل البيت ولو وجد من ينتصر به علينا جميعا لكان معه وقد قال باطلا وأنا مستحلفه فان حلف أنى قلت ذلك فدمى لأمير المؤمنين حلال فقال الرشيد احلف له يا عبد الله فلما اراده موسى على اليمين تلكأ وامتنع فقال له الفضل لم تمتنع وقد زعمت آنفا انه قال لك ما ذكرته قال عبد الله فانى احلف له قال موسى قل تقلدت الحول والقوّة دون حول الله وقوته الى حولى وقوتى ان لم يكن ما حكيته عنى حقا فحلف له فقال موسى الله اكبر حدثنى أبى عن جدى عن ابيه عن جده على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما حلف احد بهذه اليمين وهو كاذب الا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث والله ما كذبت ولا كذبت وها أنا يا أمير المؤمنين بين يديك وفى قبضتك فتقدم بالتوكيل فان مضت ثلاثة أيام ولم يحدث على عبد الله ابن مصعب حادث فدمى لأمير المؤمنين حلال فقال الرشيد للفضل خذ بيد موسى فليكن عندك حتى انظر فى أمره قال الفضل فوالله ما صليت العصر من ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من دار عبد الله بن مصعب فأمرت من يتعرف خبره فعرفت انه اصابه الجذام

والله قد تورم واسود فصرت اليه فوالله ما كدت اعرفه لأنه قد صار كالزق العظيم ثم اسود حتى صار كالفحم فصرت الى الرشيد فعرفته خبره فما انقضى كلامي حتى أتى خبر وفاته فبادرت بالخروج وأمرت بتعجيل أمره والفراغ منه وتوليت الصلاة عليه فلما دلوه في حفرته لم يستقر فيها حتى انخسفت به وخرجت منه رائحة مفرطة النتن فرأيت احمال شوك تمر في الطريق فقلت علي بأحمال شوك فطرحت على موضع قبره ثم طرح التراب عليها وانصرفت الى الرشيد فعرفته الخبر فأكثر التعجب من ذلك وأمر في بتخلية موسى بن عبد الله رضي الله عنه وان اعطيه ألف دينار واحضر الرشيد موسى فقال له لم عدلت عن اليمين المتعارفة بين الناس قال لأنا روينا عن جدنا علي رضي الله عنه انه قال من حلف بيمين مجد الله فيها استحيي الله من تعجيل عقوبته وما من أحد حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته الا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث وقيل ان صاحب هذا الخبر هو يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي أخو موسى بن عبد الله رضوان الله عليهم وكان يحيى قد سار الى الديلم مستجيرا فباعه صاحب الديلم من عامل الرشيد بمائة ألف درهم فقتل اه وقد روى من وجه آخر على وجه حسب تباين النسخ وطرق الرواية في ذلك في كتب الانساب والتواريخ ان يحيى ألقى في بركة فيها سباع قد جوعت فامسكت عن اكله ولاذت بناحيته وهابت الدنو منه فبنى عليه ركن بالجص والحجر وهو حي وقد كان محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي كرم الله وجهه سار الى مصر فطلب فدخل المغرب واتصل ببلاد تاهرت السفلي واجتمع اليه خلق من الناس فظهر فيهم بعدل وحسن استقامة فمات هنالك مسموما وقد أتينا على كيفية خبره وما كان من أمره في كتاب حدائق الاذهان في أخبار أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان وفي سنة ثمان وثمانين ومائة حج الرشيد وهي آخر حجة حجها فذكر عن أبي بكر بن عياش وكان من علية أهل العلم انه قال وقد اجتاز الرشيد بالكوفة في حال منصرفه من هذه الحجة لا يعود الى هذه الطريق ولا خليفة من بني العباس بعده ابدا فقيل له أضرب من الغيب قال نعم قيل بوحي قال نعم قيل اليك قال لا الى محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك خبر عنه عليه السلام المقتول في هذا الموضع واشار الى الموضع الذي قتل فيه بالكوفة رضي الله عنه وفي سنة تسع وثمانين ومائة وذلك في أيام الرشيد مات علي ابن حمزة الكسائي صاحب القراآت ويكنى أبا الحسن وكان قد شخص مع الرشيد الى الري فمات بها وكذلك مات محمد بن الحسن الشيباني القاضي ويكنى ابا عبد الله ودفن بالري وهو مع الرشيد وتطير من وفاة محمد بن الحسن لرؤيا كان رآها في نومه اه وفي هذه السنة كانت وفاة يحيى بن برمك بن خالد وفي سنة ثمان وثمانين ومائة كان سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فحدث غوث بن المدرع عن الرياشي قال سمعت الاصمعي يقول كنت عند الرشيد وأتي بعبد الملك بن صالح يرفل في قيوده فلما نظر اليه قال هيه يا عبد الله كأني انظر اليك وشؤبوبها قد همع وعارضها قد لمع وكأني بالوليد قد اقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم مهلا مهلا بني هاشم والله والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر وألقت اليكم الامور ازمتها فخذوا حذركم مني قبل حلول

داهية مخبوط باليد والرجل فقال له عبد الملك أفذا أتكلم أوتوأما فقال بل توأما قال فاتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك وراقبه في رعاياك التي استرعاك قد سهلت لك والله الوعور وجمعت على خوفك ورجائك الصدور وكنت كما قال أخو كعب بن كلاب

ومقام ضيق فرجته * بلسان وبيان أوجدل

لو يقوم الفيل أوفياله * زل عن مثل مقامي أورحل

قال فاراد يحيى بن خالد البرمكي ان يضع من مقام عبد الملك عند الرشيد فقال له يا عبد الملك بلغني انك حقود فقال أصلح الله الوزير ان يكن الحقد هو بقاء الخير والشر عندي انهما لباقيان في قلبي فالتفت الرشيد الى الاصمعي فقال يا اصمعي حررها فوالله ما احتج أحد للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ثم أمر به فرد الى محبسه ثم التفت الى الاصمعي فقال والله يا اصمعي لقد نظرت الى موضع السيف من عنقه مرارا يمنعني من ذلك ابقاءى على قومي في مثله (حدث) يوسف بن ابراهيم بن المهدي قال حدثني سليمان الخادم الخراساني مولى الرشيد انه كان واقفا على رأس الرشيد بالحيرة وهو يتغدى اذ دخل عليه عون العبادي وكان صاحب الحيرة وفي يده صحفة فيها سمكة منعوتة السمن فوضعها بين يديه ومعه محبس قد اتخذ لها فحاول الرشيد اكل شئ منها فمنعه جبريل بن بختيشوع واشار جبريل الى صاحب المائدة ان يشيلها عن المائدة و يعزلها له ففطن له الرشيد فلما رفعت المائدة وغسل الرشيد يده وخرج جبريل أمرني الرشيد باتباعه وان اكبسه في منزله وهو يأكل فأرجع اليه بخبره ففعلت ما أمرني وأحسب ان أمري لم يخف على جبريل فيما تبينت من تحرزه وانه صار الى موضع من دار عون ودعا بالطعام فأحضر له وفيه السمكة فدعا باقداح ثلاث فجعل في واحد منها قطعة من السمك وصب عليها من خمر طبرباذ (وهي قرية بين الكوفة والقادسية ذات كروم واشجار ونخل ورياض تخترقها الانهار من كل البقاع من الفرات شرابها موصوف بالجودة كوصف القطربلي) فصبه على السمكة وقال هذا اكل جبريل وجعل في قدح آخر قطعة منها وصب عليها ماء بثلج شديد البرودة وقال هذا أكل امير المؤمنين اعزه الله ان لم يخلط السمك بغيره وجعل في القدح الثالث قطعا من اللحم من الوان مختلفة من شواء ومن حلوى ومن بوارد وبقول ومن سائر ماقدم اليه من الالوان من كل واحد منها جزءا يسيرا مثل اللقمة واللقمتين وصب عليها ماء بثلج وقال هذا أكل أمير المؤمنين ان خلط السمك بغيره ودفع الثلاثة الاقداح الى صاحب المائدة وقال احتفظ بها الى ان ينتبه أمير المؤمنين اعزه الله ثم اقبل جبريل على السمكة فاكل منها حتى تضلع وكان كلما عطش دعا بقدح من الخمر الصرف فشربه ثم قام فلما انتبه الرشيد من نومه سألني عما عندي من خبر جبريل وهل اكل من السمكة شيأ ام لم يأكل فأخبرته بالخبر فأمر باحضار الاقداح الثلاثة فوجد ما في القدح الاول وهو الذي ذكر جبريل انه اكله وصب عليه الخمر الصرف قد تفتت وانماع واختلط ووجد ما في القدح الثاني الذي قال جبريل انه أكل أمير المؤمنين وصب عليه الماء بالثلج قد ربا وصار على النصف مما كان ونظر الى القدح الثالث الذي قال جبريل وهذا أكل أمير المؤمنين ان خلط السمك بغيره قد تغيرت رائحته وحدثت له سهوكة كاد الرشيد ان يتقايأ حين

قريب منه فأمر بحمل خمسة آلاف دينار الى جبريل وقال من يلومنى على محبة هذا الرجل الذى يدبرنى بهذا التدبير فاوصلت اليه المال (وذكر) عبد الله بن مالك الخزاعى وكان على دار الرشيد وشرطته قال اتانى رسول الرشيد فى وقت ما جاءنى فيه قط فانتزعنى من موضعى ومنعنى من تغيير ثيابى فراعنى ذلك فلما صرت الى الدار سبقنى الخادم فعرّف الرشيد خبرى فاذن لى فى الدخول فدخلت فوجدته قاعدا على فراشه فسلمت فسكت ساعة فطار عقلى وتضاعف الجزع ثم قال لى يا عبد الله أتدرى لم طلبتك فى هذا الوقت قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال انى رأيت الساعة فى منامى كأن حبشيا قد اتانى ومعه حربة فقال ان لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة والا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخل عنه فقلت يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر ثلاثا قال نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين ألف درهم وقل له ان احببت المقام قبلنا فلك عندى ما تحب وان أحببت المضى الى المدينة فالاذن فى ذلك اليك قال فمضيت الى الحبس لاخرجه فلما رآنى موسى وثب الىّ قائما وظن انى قد أمرت فيه بمكروه فقلت لا تخف قد أمرنى أمير المؤمنين باطلاقك وان ادفع اليك ثلاثين ألف درهم وهو يقول لك ان احببت المقام قبلنا فلك ما تحب وان احببت الانصراف فالامر فى ذلك مطلق اليك واعطيته الثلاثين ألف درهم وخليت سبيله وقلت له لقد رأيت من أمرك عجبا قال فانى أخبرك بينما انا نائم اذ اتانى النبى صلى الله عليه وسلم فقال موسى حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فانك لا تبيت هذه الليلة فى الحبس فقلت بأبى وامى ما اقول فقال قل يا سامع كل صوت ويا سابق الفوت ويا كاسى العظام لحما ومنشرها بعد الموت اسألك باسمائك الحسنى وباسمك الاعظم الاكبر المخزون المكنون الذى لم يطلع عليه أحد من المخلوقين يا حليما ذا أناة لا يقوى على أناته يا ذا المعروف الذى لا ينقطع ابدا ولا يحصى عددا فرج عنى فكان ما ترى (وذكر) حماد بن اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال قال ابراهيم بن المهدى حججت مع الرشيد فبينا نحن فى الطريق وقد انفردت اسير وحدى وانا على دابتى اذ حملتنى عيناى فسلكت بى الدابة غير الطريق فانتبهت وانا على غير الجادة فاشتد بى الحر فعطشت عطشا شديدا فارتفع لى خباء فقصدته فاذا بقبة وبجنبها بئر ماء بقرب مزرعة وذلك بين مكة والمدينة ولم اربها انيسا فاطلعت فى القبة فاذا انا بأسود نائم فأحس بى ففتح عينيه كأنهما اجانتى دم فاستوى جالسا واذا هو عظيم الصورة فقلت يا أسود اسقنى من هذا الماء فقال يا اسود اسقنى من هذا الماء محاكيا لى وقال ان كنت عطشانا فانزل واشرب وكان تحتى برذون خبيث نفور فخشيت ان انزل عنه فينفر فضربت رأس البرذون وما نفعنى الغناء قط الا فى ذلك اليوم وذلك انى رفعت عقيرتى وانا اغنى

كفنونى ان مت فى درع اروى * واستقوا لى من بئر عروة ماء
فلها مربع بجنب اجاج * ومصيف بالقصر قصر قباء

فرفع الاسود رأسه الىّ وقال ايما أحب اليك ان اسقيك ماء وحده أو ماء وسويقا قلت الماء والسويق فأخرج قعبا له فصب السويق فى القدح فسقانى واقبل يضرب بيده على رأسه وصدره ويقول واحر صدراه وانارات الهب فى فؤادى يا مولاى زدنى وانا ازيدك وشربت

السويق

السويق ثم قال لى يا مولاى ان بينك وبين الطريق اميالا ولست آمن انك تعطش لكن املأ قربتى هذه واحملها فداءك فقلت افعل قال فملأ قربته وسار قدامى وهو يحجل فى مشيته غير خارج عن الايقاع فاذا امسكت لاستريح اقبل على فقال يا مولاى عطشت فأغنيه النصب الى ان أوقفنى على الجادة ثم قال لى سر رعاك الله ولا سلبك ما كساك من هذه النعم بكلام عجمى معناه هذا الدعاء فلحقت بالقافلة والرشيد قد فقدنى وقد بث الجند والخيل فى البر يطلبونى فسر بى حين رآنى فاتيته فقصصت عليه الامر فقال على بالاسود فما كان الاهنيهة حتى مثل بين يديه فقال له ويلك ما حر صدرك فقال يا مولاى ميمونة قال ومن ميمونة قال حبشية قال ومن حبشية قال بنت بلال يا مولاى فأمر من يستفهمه فاذا الاسود عبد لبنى جعفر الطيار واذا السوداء التى يهواها لقوم من ولد الحسن بن على فأمر الرشيد بابتياعها له فأبى مواليها أن يقبلوا لها ثمنا ووهبوها للرشيد فاشترى الاسود وأعتقه وزوجه منها ووهب له من ماله بالمدينة حديقتين وثلثمائة دينار (ودخل ابن السماك) على الرشيد وبين يديه حمامة تلتقط حبا فقال له صفها وأوجز فقال كأنما تنظر من ياقوتتين وتلتقط بدرتين وتطأ على عقيقتين وأنشدونا لبعضهم

هتفت هاتفة اذنها الف بين
ذات طوق مثل عطف النون اقنى الطرفين
وتراها ناظرة تحولك من ياقوتتين
ترجع الانفاس من ثقبين كاللؤلؤتين
وترى مثل البساتين لها قادمتين
ولها لحيان كالصدغين من عرعرتين
ولها ساقان حمراوان مثل الوردتين
سحبت فوق جناحيها لها برنوستين
وهى طاوسية اللون بيان المنكبين
تحت ظل من ظلال الايك صافى الكتفين
فقدت الفا فناحت من تباريح وبين
فهى تبكيه بلا دمع بجود المقلتين
وهى لا تصبغ عيناها كما تصبغ عين

(ودخل) معن بن زائدة على الرشيد وقد كان وجد عليه فمشى فقارب الخطو فقال له هارون كبرت والله يا معن قال فى طاعتك يا أمير المؤمنين قال وان فيك على ذلك لبقية قال هى لك يا أمير المؤمنين قال وانك لجلد قال على أعدائك يا أمير المؤمنين فرضى عنه وولاه قال وغرض كلامه هذا على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة قال ويح هذا ما ترك لربه شيأ وقال الرشيد يوما لمعن بن زائدة انى قد أعددتك لامر كبير فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أعد لك منى قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة بطاعتك وسيفا مشحوذا على عدوك فان شئت فقل وقيل ان هذا الجواب من كلام يزيد بن مزيد (وقال الكسائى) دخلت على الرشيد

فلما قضيت حق التسليم والدعاء وثبت للقيام فقال اقعد فلم ازل عنده حتى خف عامة من كان فى مجلسه ولم يبق الا خاصته فقال لى يا على ألا تحب ان ترى محمدا وعبد الله قلت ما أشوقنى اليهما يا أمير المؤمنين وأسرنى بمعاينة نعمة الله على أمير المؤمنين فيهما فأمر باحضارهما فلم البث ان أقبلا ككوكبى افق يزينهما هدوء ووقار وقد غضا ابصارهما وقاربا خطوهما حتى وقفا على باب المجلس فسلما على ابيهما بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء فأمرهما بالدنو منه فصير محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرنى ان استقرئهما واسألهما ففعلت فما سألتهما عن شئ الا احسنا الجواب فيه والخروج منه فسر بذلك الرشيد حتى تبينته فيه ثم قال لى يا على كيف ترى مذهبهما وجوابهما فقلت يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر

ارى قمرى مجد وفرعى خلافة * يزينهما عرق كريم ومحتد

يا أمير المؤمنين هما فرع زكا اصله وطاب مغرسه وتمكنت فى الثرى عروقه وعذبت مشاربه أبوهما أغر نافذ الامر واسع العلم عظيم الحلم يحكمان بحكمه ويستضيئان بنوره وينطقان بلسانه ويتقلبان فى سعادته فأمتع الله أمير المؤمنين بهما وانس جميع الامة ببقائه وبقائهما فما رأيت أحدا من أولاد الخلفاء وأغصان هذه الشجرة المباركة اذرب ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا اشد اقتدارا على تأدية ما حفظا منهما ودعوت لهما دعاء كثيرا وأمن الرشيد على دعائى ثم ضمهما اليه وجمع يده عليهما فلم يبسطها حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج فلما خرجا اقبل على فقال كانك بهما وقد حم القضاء ونزلت مقادير السماء وبلغ الكتاب اجله قد تشتت كلمتهما واختلف أمرهما وظهر تعاديهما ثم لم يبرح ذلك بهما حتى يسفك الدماء وتقتل القتلى وتهتك ستور النساء ويتمنى كثير من الاحياء انهم فى عداد الموتى فقلت أيكون ذلك يا أمير المؤمنين لامر رؤى فى أصل مولدهما أو لاثر وقع لامير المؤمنين فى مولدهما فقال لا والله الا بأثر واجب حملته العلماء عن الاوصياء عن الانبياء وقال الاحمر النحوى بعث الى الرشيد لتأديب ولده محمد الامين فلما دخلت قال يا أحمر ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك عليه واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين اقرئه القرآن وعرّفه الآثار وروّه الاشعار وعلمه السنن وبصره مواقع الكلام وبدئه وامنعه الضحك الا فى أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا اليه ورفع مجالس القوّاد اذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير ان تخرق بك فتميت ذهنه ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة (ويقال) ان العمانى الشاعر قام بحضرة الرشيد فلم يزل يحرض محمدا ويحضه على تجديد العهد له فلما فرغ من كلامه قال له ابشر يا عمانى بولاية العهد له فقال اى والله يا أمير المؤمنين سرور العشب بالغيث والمرأة النزور بالولد والمريض المدنف بالبرء لانه نسيج وحده وحامى مجده وشبيه جده قال فما تقول فى عبد الله قال مرعى ولا كالسعدان فتبسم الرشيد وقال قاتله الله ما اعرفه بمواضع الرغبة أما والله انى لاتعرف فى عبد الله

حزم المنصور ونسك المهدى وعز نفس الهادى والله لو شاء الله ان انسبه الى الرابعة لنسبته اليها (قال الاصمعى) بينما انا اساير الرشيد ذات ليلة اذ رأيته قد قلق قلقا شديدا فكان يقعد مرة ويضطجع مرة ويبكى ثم انشأ يقول

قلد أمور عباد الله ذا ثقة * موحد الرأى لا نكس ولا برم

واترك مقالة اقوام ذوى خطل * لا يفهمون اذا ما معشر فهموا

فلما سمعت منه ذلك علمت أنه يريد أمرا عظيما ثم قال لمروان الخادم على بيحيى فما لبث أن اتاه فقال يا أبا الفضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فى غير وصية والاسلام جذع والايمان جديد وكلمة العرب مجتمعة قد آمنها الله تعالى بعد الخوف وأعزها بعد الذل فما لبث أن ارتدت عامة العرب على أبى بكر وكان من خبره ما قد علمت وأن أبا بكر صير الأمر الى عمر فسلمت الامة له ورضيت بخلافته ثم صيرها عمر شورى فكان بعده ما قد بلغك من الفتن حتى صارت الى غير أهلها وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره الى من ارضى سيرته وأحمد طريقته وأثق بحسن سياسته وآمن ضعفه ووهنه وهو عبد الله وبنو هاشم مائلون الى محمد بأهوائهم وفيه ما فيه من الانقياد لهواه والتصرف مع طويته والتبذير لما حوته يده ومشاركة النساء والاماء فى رأيه وعبد الله المرضى الطريقة الاصيل الرأى الموثوق به فى الامر العظيم فان ملت الى عبد الله اسخطت بنى هاشم وان افردت محمدا بالأمر لم آمن تخليطه على الرعية فأشر على فى هذا الأمر برأيك مشورة يعم فضلها ونفعها فانك بحمد الله مبارك الرأى لطيف النظر فقال يا أمير المؤمنين ان كل زلة مستقالة وكل رأى يتلافى خلا هذا العهد فان الخطأ فيه غير مأمون والزلة فيه لا تستدرك وللنظر فيه مجلس غير هذا فعلم الرشيد أنه يريد الخلوة فأمرنى بالتنحى فقمت وقعدت ناحية بحيث اسمع كلامهما فما زالا فى مناجاة ومناظرة طويلة حتى مضى الليل وافترقا على ان عقد الأمر لعبد الله بعد محمد (ودخلت) أم جعفر على الرشيد فقالت ما انصفت ابنك محمدا حيث وليته العراق واعريته من العدد والقواد وصيرت ذلك الى عبد الله دونه فقال لها وما أنت وتمييز الاعمال وأخبار الرجال انى وليت ابنك السلم وعبد الله الحرب وصاحب الحرب احوج الى الرجال من المسالم ومع هذا فانا نتخوف ابنك على عبد الله ولا نتخوف عبد الله على ابنك ان بويع وفى سنة ست وثمانين ومائة خرج الرشيد حاجا ومعه ولياعهده الامين والمأمون وكتب الشرطين بينهما وعلقهما فى الكعبة (وحكى) عن ابراهيم الحجبى ان الكتاب لما رفع ليعلق بالكعبة وقع فقلت فى نفسى وقع قبل ان يرتفع ان هذا الأمر سريع انتقاضه قبل تمامه (وحكى) عن سعيد بن عامر البصرى قال حججت فى هذه السنة وقد استعظم الناس أمر الشرط والايمان فى الكعبة فرأيت رجلا من هذيل يقود بعيره وهو يقول

وبيعة قد نكثت أيمانها * وفتنة قد سعرت نيرانها

فقلت له ويحك ما تقول قال اقول ان السيوف استسل والفتنة ستقع والتنازع فى الملك سيظهر قلت وكيف ترى ذلك قال أما ترى البعير واقفا والرجلان يتنازعان والغرابان قد وقعا على الدم والتطخا به والله لا يكون آخر هذا الأمر الا محاربة وشر (ويروى)

ان الامين لما حلف للرشيد بما حلف له به وأراد الخروج من الكعبة ردّه جعفر بن يحيى وقال له فان غدرت بأخيك خذلك الله حتى فعل ذلك ثلاثا كلها يحلف له وبهذا السبب اضطغنت أم جعفر على جعفر بن يحيى فكانت أحد من حرّض الرشيد على أمره وبعثه على مانزل به (قال المسعودى) وفى سنة سبع وثمانين ومائة بايع الرشيد لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون فاذا افضت الخلافة الى المأمون كان أمره اليه ان شاء ان يقرّه اقرّه وان شاء ان يخلعه خلعه اهو فى هذه السنة وهى سنة سبع وثمانين ومائة توفى الفضيل بن عياض ويكنى أبا علىّ وكان مولده بخراسان وقدم الكوفة وسمع من المنصور بن المعتمر وغيره ثم تعبد وانتقل الى مكة فأقام بها الى ان مات (حدّث) سفيان بن عيينة قال دعانا الرشيد فدخلنا عليه ودخل الفضيل آخرنا مقنعا رأسه بردائه فقال لى ياسفيان أيهم أمير المؤمنين فقلت هذا وأومأت الى الرشيد فقال أنت ياحسن الوجه الذى أمر هذه الامة فى يدك وعنقك لقد تقلدت أمرا عظيما فبكى الرشيد ثم أتى كل رجل منا ببدرة فكل قبلها الا الفضيل فقال له الرشيد ياأبا علىّ ان لم تستحلها فأعطها ذا دين واشبع بها جائعا واكس بها عريانا فاستعفاه منها فلما خرجنا قلت له يا أبا علىّ اخطأت ألا أخذتها وصرفتها فى أبواب البرّ فأخذ بلحيتى ثم قال يا أبا محمد أنت فقيه البلد وتغلط مثل هذا الغلط لو طابت لاولئك لطابت لى (وقبض موسى) بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ببغداد مسموما لخمس عشرة سنة خلت من ملك الرشيد سنة ست وثمانين ومائة وهو ابن أربع وخمسين سنة وقد ذكرنا فى رسالة بيان أسماء الائمة القطعية من الشيعة اسماءهم واسماء امهاتهم ومواضع قبورهم ومقادير أعمارهم وكم عاش كل واحد منهم مع ابيه ومن ادرك اجداده عليهم السلام ولكلثوم العتابى فى الرشيد من ابيات

امام له كف يضم بنانها * عصا الدين ممنوع من البرّ عودها
وعين محيط بالبرية طرفها * سواء عليه قربها وبعيدها
وأسمع يقظانا يبيت مناجيا * له فى الحشا مستودعات يكيدها

(حدّث) غوث بن المزرع قال حدّثنى خالد عن عمرو بن بحر الجاحظ قال كان كلثوم العتابى يضع من قدر أبى نواس فقال له راوية أبى نواس يوما كيف تضع من قدر أبى نواس وهو الذى يقول

اذا نحن اثنينا عليك بصالح * فأنت الذى نثنى وفوق الذى نثنى
وان جرت الالفاظ منا بمدحة * لغيرك انسانا فأنت الذى نعنى

قال العتابى هذا سرقة قال ممن قال من أبى الهذيل الجمحى حيث يقول

واذا يقال لبعضهم نعم الفتى * فابن المغيرة ذلك النعم
عقم النساء فلا يجئن بمثله * ان النساء بمثله عقم

قال لقد أحسن فى قوله

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

قال سرقة أيضا قال له ممن قال من سوسة الفقعسى حيث يقول

اذا ما سقيم حبل عنها وكاءها * تصعد فيه برؤها وتصوبا
وان خالطت منه الحشا خلت أنه * على سالف الايام لم يبق موهبا

قال فقد أحسن فى قوله

وما خلقت الا لبذل اكفهم * واقدامهم الا لاعواد منبر

قال وقد سرقه أيضا قال ممن قال من مروان بن أبى حفصة حيث يقول

وما خلقت الا لبذل اكفهم * وألسنهم الا لتحبير منطق
فيوما يبارون الرياح سماحة * ويوما لبذ الخاطب المتشدق

قال فسكت الراوية ولو أتى بشعره كله لقال له سرقه (وحدث) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال كان أبو العتاهية قد اكثر مسئلة الرشيد فى عتبة فوعده بتزويجها وأنه يسألها فى ذلك فان اجابت جهزها وأعطاه مالا عظيما ثم ان الرشيد سنح له شغل استمر به فحجب أبو العتاهية عن الوصول اليه فدفع الى مسرور الكبير ثلاث مراوح فدخل بها على الرشيد وهو يتبسم وكانت مجتمعة فقرأ على واحدة منهن مكتوبا

واقد تنسمت الرياح لحاجتى * فاذا لها من راحتيه شميم

فقال أحسن الخبيث واذا على الثانية

اعلقت نفسى من رجائك ماله * عنق يحث اليك بى ورسيم

فقال قد اجاد واذا على الثالثة

ولربما استأسيت ثم اقول لا * ان الذى ضمن النجاح كريم

فقال قاتله الله ما أحسن ما قال ثم دعا به وقال ضمنت لك يا أبا العتاهية وفى غد نقضى حاجتك ان شاء الله وبعث الى عتبة أن لى اليك حاجة فانتظرينى الليلة فى منزلك فأكبرت ذلك وأعظمته وصارت اليه تستعفيه فحلف ان لا يذكرها حاجته الا فى منزلها فلما كان الليل سار اليها ومعه جماعة من خواص خدمه فقال لها لست اذكر حاجتى أو تضمنين قضاءها قالت انا امتك وأمرك نافذ فىّ ما خلا أمر أبى العتاهية فانى حلفت لابيك رضى الله عنه بكل يمين يحلف بها بر وفاجر وبالمشى الى بيت الله الحرام حافية كلما انقضت عنى حجة وجبت على أخرى لا اقتصر على الكفارة وكلما افدت شيأ تصدقت به الا ما اصلى فيه وبكت بين يديه فرق لها ورحمها وانصرف عنها وغدا عليه أبو العتاهية فقال له الرشيد والله ما قصرت فى أمرك ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لى بذلك وشرح له الخبر قال أبو العتاهية فلما أخبرنى بذلك مكثت مليا لا ادرى أين انا قائم او قاعد وقلت الآن يئست منها اذ ردتك وعلمت انها لا تجيب أحدا بعدك فلبس أبو العتاهية الصوف وقال فى ذلك من ابيات

قطعت منها حبائل الآمال * وحططت عن ظهر المطى رحالى
ووجدت برد اليأس بين جوانحى * فغنيت عن حل وعن ترحال

(وذكر) أنه لما اتصل بالرشيد قول أبى العتاهية

الا ان ظبيا للخليفة صادنى * ومالى عن ظبى الخليفة من عذر

غضب الرشيد وقال أتحرمنا فعبث وأمر بحبسه فدفعه الى تحاب صاحب عقوبته وكان

فقطاع عليظا فقال أبو العتاهية

تعاتب لا تحمل على * فليس ذا من رأيه
ما خلت هذا فى مخا * يل ضوء برق سمائه

وكان من اشعاره فى الحبس بعد ما طال مكثه

انما أنت رحمة وسلامه * زادك الله غبطة وكرامه
قيل لى قد رضيت عنى فمن لى * ان ارى لى على رضاك علامه

فقال الرشيد لله ابوه لو رأيته ما حبسته وانما سمحت نفسى بحبسه لانه كان غائبا عنى وأمر باطلاقه وأبو العتاهية الذى يقول

نراع لذكر الموت ساعة وقته * ونغتر بالدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها * وما كنت فيه فهو شئ محبب

وهو الذى يقول أيضا

حتوفها رصد وعيشها رنق * وكدرها نكد وملكها دول

وقال

المرء فى تاخير مدته * كالثوب يبلى بعد جدته
عجبا لمنتبه يضيع ما * يحتاج فيه ليوم رقدته

وقال

لا تأمن الدنيا على غدرها * كم غدرت قبل بأمثالكا
اجمع الناس على ذمها * وما ارى منهم لها تاركا

وقال

انما أنت مستعير ما سوى * ف ترده والعوارى ترد
كيف يهوى امرؤ لذاذة أيا * م عليه الانفاس فيها تعد

وقال

حياتك انفاس تعد فكلما * مضى نفس منها نقصت به جزءا

وقال

ألا ياموت لم ار منك بدا * اتيت بما يحيف ولا تحابى
كانك قد هجمت على مشيبى * كما هجم المشيب على شبابى

وقال

نسيت الموت فيما قد نسيت * كانى لم ار أحدا يموت
أليس الموت غاية كل حى * فما لى لا ابادر ما يفوت

وقال

وعظتك احداث صمت * ونعتك ساكنة خفت
وتكلمت عن اعظم * تبلى وعن صور سبت
وأرتك قبرك فى القبو * ر وأنت حى لم تمت

وقال

ومشيد دار ليسكن ظلها * سكن القبور وداره لم يسكن

(حدث) اسحق بن ابراهيم الموصلى قال بينا انا ذات ليلة عند الرشيد أغنيه اذ طرب لغنائى وقال لاتبرح ولم ازل اغنيه حتى نام فأمسكت ووضعت العود من حجرى وجلست مكانى فاذا شاب حسن القد عليه مقطعات خز وهيئة جميلة فدخل وسلم وجلس فجعلت اعجب من دخوله فى ذلك الوقت الى ذلك الموضع بغير استئذان ثم قلت فى نفسى عسى بعض ولد الرشيد ممن لانعرفه ولم نره فضرب بيده على العود فأخذه ووضعه فى حجره وجسه فرأيت انه جس أحسن خلق الله ثم اصلحه اصلاحا ما ادرى ماهو ثم ضرب ضربا فما سمعت اذنى صوتا اجود منه ثم اندفع يغنى

الا عللانى قبل ان تتفرقا * وهات اسقنى صرفا شرابا مروقا

فقد كاد ضوء الصبح ان يفضح الدجى * وكاد قميص الليل ان يتمزقا

ثم وضع العود من حجره وقال ياعاض بظر أمه اذا اغنيت فغن هكذا ثم خرج فقمت على اثره فقلت للحاجب من الفتى الذى خرج الساعة فقال مادخل هنا أحد ولاخرج فقمت متعجبا ورجعت الى مجلسى وانتبه الرشيد فقال ماشأنك فحدثته بالقضية فبقى متعجبا وقال لقد صادفت شيطانا ثم قال أعد على الصوت فأعدته فطرب طربا شديدا وأمر لى بجائزة وانصرفت (وحدث) ابراهيم الموصلى قال جمع الرشيد ذات يوم المغنين فلم يبق أحد من الرؤساء الاحضر وكنت فيهم وحضر معنا مسكين المدنى ويعرف بأبى صدقة وكان يوقع بالقضيب مطبوعا حاذقا طيب العشرة مليح البادرة فاقترح الرشيد وقد عمل فيه النبيذ صوتا فأمر صاحب الستارة ابن جامع ان يغنيه ففعل فلم يطرب عليه ثم فعل مثل ذلك بجماعة ممن حضر فلم يحرك منه أحد فقال صاحب الستارة لمسكين المدنى يأمرك أمير المؤمنين ان كنت تحسن هذا الصوت فغنه قال ابراهيم فاندفع فغناه فأمسكنا جميعا متعجبين من جراءة مثله على الغناء بحضرتنا فى صوت قد قصرنا فيه عن مراد الخليفة قال ابراهيم فلما فرغ منه سمعت الرشيد يقول يامسكين أعده فأعاده بقوة ونشاط فقال أحسنت وأجملت ورفعت الستارة بيننا وبينه قال مسكين ياأمير المؤمنين ان لهذا الصوت خبرا قال وماهو قال كنت عبدا خياطا لبعض آل الزبير وكان لمولاى على ضريبة ادفع اليه كل يوم درهمين فاذا دفعت ضريبتى تصرفت فى حوائجى فخطت يوما قميصا لبعض الطالبيين فدفع الى درهمين وتغديت وسقانى اقداحا فخرجت وانا جذلان فلقيتنى سوداء على رقبتها جرة وهى تغنى هذا الصوت فأذهلنى عن كل مهم وأنسانى كل حاجة فقلت بصاحب هذا القبر والمنبر الا ألقيت على هذا الصوت فقالت وحق صاحب هذا القبر والمنبر لا ألقيته عليك الا بدرهمين فأخرجت الدرهمين فدفعتهما اليها فأنزلت الجرة عن عاتقها واندفعت فما زالت تردده حتى كأنه مكتوب فى صدرى ثم انصرفت الى مولاى فقال لى هلم خراجك فقلت كان وكان فقال يا ابن اللخناء وبطحنى وضربنى وحلق لحيتى ورأسى فبت ياأمير المؤمنين من اسوء خلق الله حالا وأنسيت الصوت مما نالنى فلما أصبحت غدوت نحو الموضع الذى لقيتها فيه وبقيت

متحيرا لا اعرف اسمها ولا منزلها اذتطرت بها مقبلة فأنسيت كل ما نالني وملت اليها فقالت أنسيت الصوت ورب الكعبة فقلت الأمر كما ذكرت وعرفتها ما حرى في من حلق الرأس والمحيبة فقالت وحق القبر ومن فيه لا فعلت الا بدرهمين فأخرجت حلي ورهنته على درهمين فدفعتهما اليها فأنزلت الجرة عن رأسها واندفعت فغنت فيه ثم قالت كأني بك مكان الاربعة دراهم أربعة آلاف دينار ثم انصرفت الى مولاي وجلا فقال هلم خراجك فلويت لساني فقال يا ابن اللخناء ألم يكفك ما مر عليك بالامس فقلت انى اعرفك انى اشتريت بخراجي امس واليوم هذا الصوت واندفعت اغنيه فقال لى ويحك معك مثل هذا الصوت ولم تعلمني امرأته طالق لو كنت قلته امس لأعتقتك فضحك الرشيد وقال ويلك ما ادرى أيما أحسن حديثك ام غناؤك وقد أمرت لك بما ذكرته السوداء فقبضه وانصرف والشعر

قف بالمنازل ساعة فتأمل * فلسوف احمل للبلى فى محمل

وأجرى الرشيد الخيل يوما بالرقة فلما ارسلت صار الى مجلسه فى صدر الميدان حيث توافى اليه الخيل فوقف عن فرسه وكان فى أوائلها سوابق من خيله يقدمها فرسان فى عنان واحد لا يتقدم احدهما صاحبه فتأملها فقال فرسي والله ثم تأمل الآخرة فقال فرس ابني المأمون قال فجاآ يحتكان أمام الخيل وكان فرسه السابق وفرس المأمون ثانية فسر بذلك ثم جاء الخيل بعد ذلك فلما انقضى المجلس وهم بالانصراف قال الاصمعي وكان حاضرا للفضل بن الربيع يا ابا العباس هذا يوم من الايام فأحب ان توصلني الى أمير المؤمنين وقام الفضل فقال يا أمير المؤمنين هذا الاصمعي يذكر شيأ من أمر الفرسين يزيد الله به امير المؤمنين سرورا قال هاته فلما دنا قال ما عندك يا اصمعي قال يا أمير المؤمنين كنت وابنك اليوم والفرسين كما قالت الخنساء

جارى اباه فاقبلا وهما * يتنازعان كقاذف الحصر
وهما كأنهما وقد برزا * صقران قد حطا على وكر
برزت صفيحة وجه والده * ومضى على غلوائه يجرى
اولى فأولى ان يقاربه * لولا جلال السن والكبر

(حدث) ابراهيم بن المهدى قال استزرت الرشيد بالرقة فزارني وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد فلما وضعت البوارد رأى فيما قرب اليه منها جام قريض سمك فاستصغر القطع وقال لم صغر طباخك تقطيع السمك فقلت يا أمير المؤمنين هذه ألسنة السمك قال فيشبه ان يكون فى هذا الجام مائة لسان فقال مراقب خادمه يا أمير المؤمنين فيها اكثر من مائة وخمسين فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك فأخبره انه قام بأكثر من ألف درهم فرفع الرشيد يده وحلف ان لا يطعم شيأ دون أن يحضره مراقب ألف درهم فلما حضر المال أمر أن يتصدق به وقال ارجو أن يكون كفارة لسرفك فى انفاقك على جام سمك ألف درهم ثم ناول الجام بعض خدمه وقال أول سائل تراه فادفعه اليه قال ابراهيم وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين دينارا فغمزت بعض خدمي للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير اليه وفطن الرشيد فقال له يا غلام اذا دفعته الى سائل فقل له يقول لك أمير

المؤمنين احذر أن تبيعه بأقل من مائتي دينار فانه خير منها ففعل الخادم ذلك فوالله ما امكن الخادم ان يخلصه من السائل الا بمائتي دينار * وقال ابراهيم بن المهدى كنت انا والرشيد على ظهر حراقة وهو يريد نحو الموصل والمدادون يمدون والشطرنج بين ايدينا فلما فرغنا قال لى الرشيد يا ابراهيم ما أحسن الاسماء قلت اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما الثانى بعده قلت اسم هارون اسم أمير المؤمنين قال فما أسمجها قلت ابراهيم فزأرنى وقال ويلك ابراهيم خليل الرحمن جل وعز قلت بشؤم هذا الاسم لقى ما لقى من نمرود قال وابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لاجرم لما سمى بهذا الاسم لم يعش قال فابراهيم الامام قلت بحرقة اسمه قتله مروان الجعدى فى جراب النورة وأزيدك يا أمير المؤمنين ابراهيم بن الوليد خلع وابراهيم بن عبد الله بن الحسن قتل ولم اجد أحدا اسمى بهذا الاسم الا رأيته مقتولا أو مضروبا أو مطرودا فما انقضى كلامى حتى سمعت ملاحا على بعض الحراقات يهتف بأعلى صوته يا ابراهيم يا عاض كذا وكذا من امه مدّ فالتفت الىّ الرشيد فضحك حتى فحص برجله قال وكنت يوما عنده فاذا رسول عبد الله معه اطباق خيزران عليها مناديل ومعها كتاب فجعل الرشيد يقرأ الكتاب ويقول برّه الله ووصله ثم قال هذا عبد الله بن صالح ثم كشف المنديل فاذا بعضها فوق بعض فى أحدها فستق وفى الآخر بندق الى غير ذلك من الفاكهة فقلت يا أمير المؤمنين ما فى هذا البرّ ما يستحق به هذا الدعاء الا ان يكون فى الكتاب شئ قد خفى علىّ فنبذه الىّ فاذا فيه دخلت يا أمير المؤمنين بستانا لى فى دارى عمرته بنعمتك وقد أينعت فواكهه فأخذت من كل شئ وصيرته فى اطباق قضبان ووجهته الى أمير المؤمنين ليصل الىّ من بركة دعائه ما وصل الىّ من نوافل برّه قلت ولا والله ما فى هذا أيضا ما يستحق به هذا فقال يا صبى أما ترى كيف كنى بالقضبان عن الخيزران اعظاما لاسمنا رحمها الله تعالى ووقف رجل من بنى امية فى طريق الرشيد ومعه كتاب فيه

يا امين الله انى قائل * قول ذى لب وصدق وحسب
لكم الفضل علينا ولنا * بكم الفضل على كل العرب
عبد شمس كان يتلو هاشما * وهما بعد لأم ولاب
فصل الارحام منا انما * عبد شمس عم عبد المطلب

فأمر له لكل بيت بألف دينار وقال لو زدتنا لزدناك ودخل عبد الملك بن صالح على الرشيد فقال له الحاجب ان أمير المؤمنين قد أصيب فى هذه الليلة بولد وولد له ولد فعزوهن فلما مثل قال يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك وجعل هذه لهذه ثوابا للصابر وجزاء للشاكر ولما اشتدت علته وصار الى طوس سنة ثلاث وتسعين ومائة هوّن عليه الاطباء علته فأرسل الى طبيب فارسى كان هنالك فأراه ماءه مع قوارير شتى فلما انتهى الى قارورته قال عرّفوا صاحب هذا الماء انه هالك فليوص فانه لا برء له من هذه العلة فبكى الرشيد وجعل يردد هذين البيتين

ان الطبيب بطبه ودوائه * لا يستطيع دفاع محذور أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذى * كان يبرى مثله فيما مضى

واشتد ضعفه وأرجف الناس بموته فدعا بحمار ليركبه فلما صار عليه سقطت فخذاه فلم يثبت

الى السرج فقال أزلونى صدق المرجفون ثم دعا بأكفان فاختار منها ما اراد وأمر بحفر قبر فلما اطلع فيه قال ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ثم دعا بأخى رافع فقال از عجتونى حتى تجشمت هذه الاسفار مع علتى وضعفى وكان رافع ممن خرج عليه قال لاقتلنك قتلة ما قتل مثلها أحد قبلك ثم أمر ففصل عضوا عضوا واستأمن رافع بعد ذلك على المامون وقد ذكرنا خبره فى غير هذا الكتاب ثم دعا من كان بعسكره من بنى هاشم فقال ان كل مخلوق ميت وكل جديد بال وقد نزل بى ما ترون وأنا أوصيكم بثلاث الحفظ لاماناتكم والنصيحة لائمتكم واجتماع كلمتكم وانظروا محمدا وعبد الله فمن بغى منهما على صاحبه فردوه عن بغيه وقبحوا له بغيه ونكثه وأقطع فى ذلك اليوم اموالا وضياعا قال الرياشى قال الاصمعى دخلت على الرشيد وهو ينظر فى كتاب ودموعه تحدر على خديه فظللت قائما حتى سكن وحانت منه التفاتة فقال اجلس يا اصمعى ارأيت ما كان قلت نعم يا أمير المؤمنين قال أما والله لو كان لأمر الدنيا ما رأيت هذا ورمى بقرطاس فاذا فيه شعر لابى العتاهية بخط جليل وهو

هل أنت معتبر بمن خليت * منه غداة مضى دساكره

وبمن اذل الموت مصرعه * فتبرأت منه عشائره

وبمن خلت منه اسرته * وبمن خلت منه منابره

أين الملوك وأين غيرهم * صاروا مصيرا أنت صائره

يا مؤثر الدنيا بلذته * والمستعد لمن يفاخره

نل ما بدا لك ان تنال من الـ * ـدنيا فان الموت آخره

ثم قال الرشيد كانى والله اخاطب بذلك دون الناس فلم يلبث بعد ذلك الا يسيرا حتى مات (قال المسعودى) قد ذكرنا جملا من أخبار الرشيد والله ولى التوفيق

(فلنذكر الآن جملا من أخبار البرامكة)

لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده فى جودة رأيه وبأسه وجميع خلاله لا يحيى فى رأيه ولا الفضل فى جوده ولا جعفر بن يحيى فى كتابته وفصاحته ولا محمد بن يحيى فى رأيه وهمته ولا موسى بن يحيى فى شجاعته وفيمن ذكرنا يقول الشاعر

أولاد يحيى بن خالد وهم * أربعة سيد ومتبوع

الخير فيهم اذا سألت بهم * مفرق فيهم ومجموع

ولما افضت الخلافة الى الرشيد استوزر البرامكة فاحتازوا الاموال دونه حتى كان يحتاج الى اليسير من المال فلا يقدر عليه وكان ايقاعه بهم فى سنة سبع وثمانين ومائة واختلف فى سبب ذلك فقيل احتيازا لاموال وأنهم اطلقوا رجلا من آل أبى طالب كان فى أيديهم وقيل غير ذلك والله اعلم (ويحكى) انه ورد على الرشيد يوما كتاب صاحب البريد بخراسان ويحيى بن خالد بين يديه يذكر فيه ان الفضل بن يحيى تشاغل بالصيد واللذات عن النظر فى امور الرعية فلما قرأه الرشيد رمى به ليحيى وقال له يا أبه اقرأ هذا الكتاب واكتب اليه كتابا يردعه عن مثل هذا فمد يده الى دواة الرشيد وكتب الى الفضل على ظهر كتاب الرشيد حفظك الله يا بنى وأمتع بك قد انتهى الى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة

الذات

اللذات عن النظر فى امور الرعية ما انكره فعا ودما هو أرين بك فانه من عاد الى ما يريشه لم يعرفه أهل دهره الابه والسلام وكتب فى اسفله هذه الابيات

انصب نهارا فى طلاب العلا * واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى اذا الليل بدا مقبلا * واستترت فيه وجوه العيوب
فبادر الليل بما تشتهى * فانما الليل نهار الاريب
كم من فتى تحسبه ناسكا * يستقبل الليل بأمر عجيب
ألقى عليه الليل استاره * فبات فى لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مكشوفة * يسعى بها كل عدو رقيب

والرشيد ينظر الى ما يكتب فلما فرغ قال ابلغت يا أبه فلما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهارا الى ان انصرف عن عمله قال اسحاق كنت عند الرشيد يوما واحضر البرامكة الشراب وأحضر يحيى بن خالد جارية فغنت

ارقت حتى كانى اعشق الارقا * وذبت حتى كان السقم لى خلقا
وفاض دمعى على قلبى فاغرقه * يامن رأى غرقا فى الماء محترقا

فقال الرشيد لى هذا فقيل لخالد بن يزيد الكاتب قال خالد فاحضرت وقيل للجارية أعيدى فاعادت فقال لمن هذا فقلت لى يا أمير المؤمنين فبينا نحن كذلك اذ اقبلت وصيفة معها تفاحة عليها مكتوب بغالية

سرور لك ألهاك عن موعدى * فصيرت تفاحتى تذكره

فأخذ الرشيد تفاحة وكتب عليها بغالية

تقاضيت وعدى ولم انسه * فتفاحتى هذه معذره

ثم قال يا خالد قل فى هذا شيأ فقال

تفاحة خرجت بالدر من فيها * اشهى الى من الدنيا وما فيها
بيضاء من حمرة غلت بغالية * كانما قطفت من خد مهديها

(حدث الجاحظ) عن انس بن أبى شيخ قال ركب جعفر بن يحيى ذات يوم وأمر خادما له ان يحمل ألف دينار وقال سأجعل طريقى على الاصمعى فاذا حدثنى فرأيتنى ضحكت فاجعلها بين يديه ونزل جعفر عند الاصمعى فجعل يحدثه بكل اعجوبة ونادرة تطرب وتضحك فلم يضحك وخرج من عنده فقال له انس رأيت منك عجبا أمرت بألف دينار للاصمعى وقد حركك بكل مضحكة وليس من عادتك ان ترد الى بيت مالك ما قد خرج عنه فقال له ويحك انه قد وصل اليه من أموالنا مائة ألف درهم قبل هذه المرة فرأيت فى داره خبا مكسورا وعليه دارعة خلق ومقعدا وسخا وكل شئ عنده رثا وأنا ارى ان لسان النعمة انطق من لسانه وأن ظهور الصنيعة امدح وأهجى من مدحه وهجائه فعلى أى وجه اعطيه اذا كانت الصنيعة لم تظهر عنده ولم تنطق النعمة بالشكر عنه وفى الرشيد وجعفر يقول الشاعر

اضاف الى بيعته بيعة * فقام بها جعفر وحده
بنو برمك اسسوا ملكه * وشدوا والوا رثه عقده

وكان يحيى بن خالد ذا بحث ونظر وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الاسلام وغيرهم من أهل النحل فقال لهم يحيى وقد اجتمعوا عنده قد أكثرتم الكلام فى الكمون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفى والحركة والسكون والمماسة والمباينة والوجود والعدم والجزء والطفرة والاجسام والاعراض والتعديل والتجريح والكمية والكيفية والمضاف والامامة انص هى ام اختيار وسائر ما توردونه من الكلام فى الاصول والفروع فقولوا الآن فى العشق على غير منازعة وليورد كل واحد منكم ما سنح له فيه وخطر بباله فقال على بن هيثم أيها الوزير العشق ثمر المشاكلة وهو دليل على تمازج الروحين وهو من بحر اللطافة ورقة الصنيعة وصفاء الجوهر والزيادة فيه نقصان من الجسد وقال أبو مالك الحضرمى وهو خارجى المذهب أيها الوزير العشق نفث السحر وهو أخفى وأحر من الجمر ولا يكون الا بازدواج الطبعين وامتزاج الشكلين وله نفوذ فى القلب كنفوذ صيب المزن فى خلل الرمل تنقاد له العقول وتستكين له الآراء وقال أبو الهذيل وهو معتزلى أيها الوزير العشق يختم على النواظر ويطبع على الافئدة مرتعه فى الاجساد ومسرعه فى الاكباد وصاحبه منصرف الظنون متغير الاوهام لا يصفو له موجود ولا يسلم له موعود تسرع اليه النوائب وهو جرعة من نقيع الموت وبقية من حياض الثكل غير أنه من اريحية تكون فى الطبع وطلاوة توجد فى الشمايل وصاحبه جواد لا يصغو الى داعية المنع ولا يسنح به نازع العذل وقال النظام ابراهيم بن يسار المعتزلى العشق ارق من الشراب وأدب من الشباب وهو من طينة عطرة عجنت فى اناء الحلى حلو المجتنى ما اقتصد فاذا افرط عاد أصلا قاتلا وفسادا معضلا لا يطمع فى اصلاحه له سحابة غزيرة على القلوب فتعشب شغفا وتثمر كلفا وصريعه دائم اللوعة ضيق المتنفس مشارف الزمن طويل الفكر اذا جنه الليل أرق واذا وضحه النهار قلق صومه البلوى وافطاره الشكوى ثم قال الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر ومن يليهم حتى طال الكلام فى العشق بألفاظ مختلفة ومعان تتقارب وتتناسب وفيما مر دليل عليه (قال المسعودى) تنازع الناس فى ابتداء وقوع الهوى وكيفيته وهل ذلك من نظر وسماع واختيار واضطرار وما علة وقوعه بعد أن لم يكن وزواله بعد كونه وهل ذلك فعل النفس الناطقة أو الجسم وطباعه فقال بقراط هو امتزاج النفسين كما لو امتزج الماء بماء مثله عسر تخليصه بحيلة من الاحتيال والنفس ألطف من الماء وارق مسلكا فمن اجل ذلك لا تزيله الليالى ولا تخلقه الدهور دق عن الاوهام مسلكه وخفى عن الابصار موضعه غير أن ابتداء حركته من القلب ثم تسير الى سائر الاعضاء فتظهر الرعدة فى الاطراف والصفرة فى الالوان والجلجلة فى الكلام والضعف فى الرأى حتى ينسب صاحبه الى النقص وذهب بعض الاطباء الى ان العشق طمع يتولد فى القلب وتجتمع اليه مواد الحكمة فاذا قوى زاد بصاحبه الاهتياج واللجاج والفكر والامانى ويبس الدماغ وذلك ان التمادى فى الطمع للدم محرق فاذا احترق استحال الى السودا فاذا قويت جلبت الفكر فتستعلى الحرارة وتلتهب الصفراء ثم تستحيل الصفراء سوداء وتصير مادة لها فتقوى طباع السوداء فتختلط الكيموسات فحينئذ يشتد ما به فيموت أو يقتل نفسه وربما شهق فتخفى

روحه أربعا وعشرين ساعة فيظن انه مات فيصبر حيا وربما تنفس الصعداء فتخفى روحه في تامور قلبه وينضم القلب ولا ينفرج حتى يموت وربما ارتاح وتشوق ونظر الى من يحب فجأة وقد يرى العاشق اذا سمع ذكر من يحب كيف يموت دمه ويحول لونه وقال بعضهم ان الله خلق كل روح مدورة على هيئة الكرة وجزأها انصافا وجعل كل نصف جسد افكل جسد لقى قسيمه وهو ذلك النصف من الكرة كان بينهما عشق المناسبة القديمة وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وذهب قوم الى ما تعتقده العرب في ذلك ومنه قول جميل في بثينة

تعلق روحي روحها قبل خلقها * ومن قبل ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا فأصبح ناميا * وليس وان متنا بمنتقض العهد
ولكنه باق على كل حالة * وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

وقال جالينوس المحبة تقع بين العاقلين لتشاكلهما في العقل ولا تقع بين الاحمقين وان كانا شكلين في الحمق لان العقل يجرى على ترتيب فهما يجريان فيه على طريق واحدة والاحمق لا يجرى على ترتيب ولا يجوز أن يتفق فيه اثنان ولا يختلفان وقسم بعض العرب الهوى فقال

ثلاثة أحباب فحب علاقة * وحب تملاق وحب هو القتل

وقال الصوفية ببغداد ان الله عز وجل انما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه ليشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه فيستدلوا بذلك على قدر طاعة الله اذ كان لا مثل له ولا نظير فاذا أوجبوا على أنفسهم طاعة سواه كان تعالى احرى أن يتبع رضاه وللباطنية المتصوفة في هذا كلام كثير وقال افلاطون ما ادرى ما الهوى غير أنه جنون والهوى لا محمود ولا مذموم وكتب بعض الكتاب الى اخ له انى صادفت منك جوهر نفسى فأنا غير محمود على الانقياد اليك لان النفس يتبع بعضها بعضا وللناس ممن خلف وسلف من الفلاسفة والفلكيين والاسلاميين وغيرهم كلام كثير في العشق قد أتينا على ذلك في كتابنا أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة وانما خرجنا عما كنا فيه آنفا من أخبار البرامكة عند ذكرنا العشق فتغلغل بنا الكلام الى ايراد لمع مما قيل في ذلك فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من أخبارهم واتساق أيامهم وانتظامها لهم بالسعود ثم انعكاسها الى النحوس ذكر ذو معرفة بأخبار البرامكة انه لما بلغ جعفر بن يحيى بن خالد ابن برمك ويحيى بن خالد والفضل وغيرهم من آل برمك ما بلغوا في الملك وتناهوا في الرياسة واستقامت لهم الامور حتى قيل ان أيامهم عروس وسرور دائم لا يزول قال الرشيد لجعفر بن يحيى ويحك يا جعفر ليس في الارض طلعة أنا بها آنس ولا اليها اميل وأنا بها اشد استمتاعا وانسا مني برؤيتك وان لعباسة اختي مني موقعا ليس بدون ذلك وقد نظرت في أمري معكما فوجدتني لا اصبر عنك ولا عنها ورأيتني ناقص الحظ والسرور منك يوم اكون معها وكذلك حكمي في يوم كوني معك دونها وقد رأيت شيأ يجتمع لي به السرور وتتكاتف لى به اللذة والانس فقال وفقك الله يا أمير المؤمنين وعزم لك على الرشد في امورك كلها قال له الرشيد

قد زوجتكها لتزويجا تملك به مجالستها والنظر اليها والاجتماع بها في مجلس انا معكما فيه
فزوجه الرشيد بعد امتناع كان من جعفر اليه في ذلك وأبى فاشهد له من حضره من خدمه
وخاصة مواليه وأخذ الرشيد عليه عهد الله ومواثيقه وغليظ ايمانه انه لا يخلو بها ولا يجلس
معها ولا يظله واياها سقف بيت الا وأمير المؤمنين الرشيد ثالثهما فحلف له جعفر على ذلك
ورضي به وألزمه نفسه وكانوا يجتمعون على هذه الحالة التي وصفنا وجعفر في ذلك صارف
بصره عنها مزور بوجهه هيبة لامير المؤمنين ووفاء بعهده وايمانه ومواثيقه على ما وافقه
الرشيد عليه وعلقته العباسة وأضمرت الاحتيال عليه وكتبت اليه رقعة فزال
رسومها وتهددها وعادت فعاد بمثل ذلك فلما استحكم اليأس عليها قصدت لامه ولم تكن
بالحازمة فاستمالتها بالهدايا من نفيس الجواهر والالطاف وما اشبه ذلك من كثرة المال
وألطاف الملوك حتى اذا ظنت انها لها في الطاعة كالامة وفي النصيحة والاشفاق كالوالدة
ألقت اليها طرفا من الامر الذي تريده وأعلمتها ما لها في ذلك من جزيل العاقبة وما لها من
الفخر والشرف بمصاهرة أمير المؤمنين وأوهمتها ان هذا الأمر اذا وقع كان به امان
لها ولولدها من زوال النعمة وسقوط مرتبته فاستجابت لها أم جعفر ووعدتها اعمال
الحيلة في ذلك وأنها تلطف لها حتى تجمع بينهما فأقبلت على جعفر يوما فقالت له يا بني قد
وصفت لي وصيفة في بعض القصور من تربية الملوك قد بلغت في الادب والمعرفة والظرف
والحلاوة مع الجمال الرائع والقد البارع والخصال المحمودة ما لم ير مثله وقد عزمت على
اشترائها لك وقد قرب الامر بيني وبين مالكها فاستقبل كلامها بالقبول وعلقت قلبه
وتطلعت اليها نفسه وجعلت تمطله حتى اشتد شوقه وقويت شهوته وهو في ذلك يلح عليها فلما
علمت انه قد عجز عن الصبر واشتد به القلق قالت له انا مهديتها اليك ليلة كذا وكذا وبعثت
الى العباسة فأعلمتها بذلك فتأهبت وسارت اليها تلك الليلة وانصرف جعفر من عند الرشيد
وقد بقي في نفسه من الشراب فضلة لما عزم عليه فدخل منزله وسأل عن الجارية فخبر بمكانها
فأدخلت على فتى سكران لم يكن بصورتها عالما ولا على خلقها واقفا فقام اليها فواقعها فلما
قضى اليها حاجته قالت له كيف رأيت حيل بنات الملوك قال وأي بنات الملوك تعنين
وهو يرى انها من بعض بنات الملوك فقالت انا مولاتك العباسة بنت المهدي فوثب فزعا
قد زال عنه سكره وفارقه عقله فأقبل عليها وقال لقد بعتني بالثمن الرخيص وحملتني على
المركب الوعر وانظري ما يؤول اليه حالي وانصرفت مشتملة منه على حمل ثم ولدت غلاما
فوكلت به خادما من خدمها يقال له رياش وحاضنة تسمى برة فلما خافت ظهور الخبر وانتشاره
وجهت الصبي والخادم والحاضنة الى مكة وأمرتها بتربيته وطالت مدة جعفر وغلب
هو وأبوه واخوته على أمر المملكة وكانت زبيدة من الرشيد بالمنزلة التي لا يتقدمها أحد من
نظرائها وكان يحيى بن خالد لا يزال يتفقد أمر حرم الرشيد ويمنعهن من خدمة الخدم
فشكت زبيدة الى الرشيد فقال ليحيى بن خالد يا أبت ما بال أم جعفر تشكوك فقال يا أمير
المؤمنين امتهم انا في حرمك وتدبير منزلك عندك فقال لا والله فقال لا تقبل قولها قال الرشيد
فلست اعاودك فازداد يحيى لها منعا وعليها في ذلك غلظة وكان يأمر بقفل أبواب الحرم بالليل

ويمضى بالمفاتيح الى منزله فبلغ ذلك من أم جعفر كل مبلغ فدخلت ذات يوم على الرشيد فقالت
يا أمير المؤمنين ما يحمل يحيى على ما لا تزال تفعل من منعه اياى من خدمى ووضعه اياى
فى غير موضعى فقال لها الرشيد يحيى عندى غير متهم فى حرمى فقالت ان كان كذلك لحفظ
ابنه مما ارتكبه فقال وماذاك خبرته وقصت عليه قصة العباسة مع جعفر فسقط فى يده
وقال لها هل لك على ذلك من دليل وشاهد قالت وأى دليل ادل من الولد قالت وقد كان
ههنا فلما خافت ظهور أمره وجهته الى مكة فقال لها فيعلم هذا أحد غيرك قالت
ما فى قصرك جارية الا وقد علمت به فأمسك على ذلك وطوى عليه كشحا وأظهر أنه يريد
الحج فخرج هو وجعفر بن يحيى وكتبت العباسة الى الخادم والحاضنة ان يخرجا بالصبى
الى اليمن فلما صار الرشيد الى مكة وكل من يثق به بالفحص والبحث عن أمره فوجد الامر
صحيحا فلما قضى حجه ورجع اضمر فى البرامكة على ازالة نعمهم فأقام ببغداد مديدة
ثم خرج الى الانبار فلما كان فى اليوم الذى عزم فيه على قتل جعفر دعا بالسندى بن شاهك
فأمره بالمضى الى مدينة السلام والتوكيل بدور البرامكة ودور كتابهم وقراباتهم وان يجعل
ذلك سرا من حيث لا يكلم أحدا حتى يصل الى بغداد ثم يفضى بذلك لمن يثق به من أهله
وأعوانه فامتثل السندى ذلك وقعد الرشيد وجعفر عنده فى موضع يعرف فى الانبار بالعمر
فأقاما يومهما بأحسن هيئة وأطيب عيش فلما انصرف جعفر من عنده خرج الرشيد حتى
ركب مشيعا له ثم رجع فمضى جعفر الى منزله وفيه فضلة الشراب ودعا بابى بكار الاعمى
الطنبورى وابن أبى نجيح كاتبه ومدت ستارة وجلس جواريه خلفها يضربن ويغنين وابن
بكار يغنيه

ما تريد الناس منا * ما تنام الناس عنا
انما همتهم ان * يظهروا ما قد دفنا

وأمر الرشيد من ساعته ياسر خادمه المعروف بوخلة فقال له انى انديك لامر لم ار محمدا
ولا القاسم له أهلا ولا موضعا ورأيتك به مستقلا ناهضا فحقق ظنى واحذر أن تخالفنى فقال
يا أمير المؤمنين لو أمرتنى ان ادخل السيف فى بطنى واخرجه من ظهرى بين يديك لفعلت
فمر بامرك فانى والله مسرع فقال ألست تعرف جعفر بن يحيى البرمكى قال يا امير المؤمنين
وهل اعرف سواه أو يشكر مثل جعفر قال الم تر تشييعى اياه عند خروجه قال بلى قال
فامض الساعة اليه فأتنى برأسه على أى حالة تجده عليها فارتج على ياسر الكلام وأخذته
رعدة ووقف لا يحير جوابا فقال يا ياسر ألم اتقدم اليك بترك الخلاف على قال بلى يا أمير
المؤمنين ولكن الخطب اجل من ذلك والامر الذى ندبنى اليه أمير المؤمنين وددت لو أنى
كنت مت قبل ان يجرى على يدى منه شئ فقال دع عنك هذا وامض لما قد أمرتك فمضى
ياسر حتى دخل على جعفر وهو على حال لهوه فقال له ان أمير المؤمنين قد أمرنى فيك بكيت
وكيت فقال جعفر ان أمير المؤمنين يمازحنى بأصناف من المزاح فاحسب ان هذا جنس
منه فقال والله ما افتقدت من عقله شيأ ولا ظننته شرب خمرا فى يومه مع ما رأيت من عبارته
قال له فان لى عليك حقوقا لم تجد لها مكافأة وقتا من الاوقات الا هذا الوقت قال

تعيدنى الى ذلك سريعا الا فيما خالف أمير المؤمنين قال فارجع اليه فاعلمه انك قد نفذت ما أمرك به فان اصبح نادما كانت حياتى على يديك جارية وكانت لك عندى نعمة مجددة وان اصبح على مثل هذا الرأى نفذت ما أمرت به فى غد قال ليس الى ذلك سبيل قال فأصير معك الى مضرب أمير المؤمنين حتى اقف بحيث أسمع كلامه ومراجعته اياك فاذا ابديت عذرا ولم يقنع الا بمصيرك اليه برأسى خرجت فأخذت رأسى من قرب قال له أما هذا فنعم فصارا جميعا الى مضرب الرشيد فدخل اليه ياسر فقال قد أخذت رأسه يا أمير المؤمنين وها هو ذا بالحضرة فقال له ائتنى به والا والله قتلتك قبله فخرج فقال أسمعت الكلام قال نعم فشأنك وما امرت به فاخرج جعفر من كمه منديلا صغيرا فعصب به عينيه ومد رقبته فضربها وأدخل رأسه الى الرشيد فلما رأى الرأس بين يديه أقبل عليه وجعل يذكره بذنوبه ثم قال يا ياسر ائتنى بفلان وفلان فلما أتى بهم قال لهم اضربوا عنق ياسر فانى لا اقدر أنظر الى قاتل جعفر وقال الاصمعى وجه الى الرشيد فى تلك الليلة فلما دخلت اليه قال يا اصمعى قد قلت شعرا فاسمعه قلت نعم يا أمير المؤمنين فأنشد

لو ان جعفر هاب اسباب الردى * لنجا بمهجته طمر ملجم

ولكان من حذر المنون بحيث لا * يسمو اليه به الغراب القشعم

لكنه لما تقرب وقته * لم يدفع الحدثان عنه منجم

قال الاصمعى ورجعت الى منزلى فلم اصر اليه حتى تحدث الناس بقتل جعفر وأصيب على باب قصر على بن عيسى بن ماهان بخراسان فى صبيحة الليلة التى قتل فيها جعفر وأوقع بالبرامكة مكتوب بقلم جليل

ان المساكين بنو برمك * صبت عليهم غير الدهر

ان لنا فى أمرهم عبرة * فليعتبر ساكن ذا القصر

(قال المسعودى) وكان مدة دولة البرامكة وسلطانهم وأيامهم النضرة الحسنة من استخلاف هارون الرشيد الى ان قتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك سبع عشرة سنة وسبعة اشهر وخمسة عشر يوما وقد رثتهم الشعراء فمن ذلك قول على بن أبى معاذ

يا أيها المغتر بالدهر * والدهر ذو صرف وذو غدر

لا تأمن الدهر وصولاته * وكن من الدهر على حذر

ان كنت ذا جهل بتصريفه * فانظر الى المصلوب بالجسر

فان فيه عبرة فاعتبر * ياذا الحجى والعقل والفكر

وخذ من الدنيا صفا عيشها * واجر مع الدهر كما يجرى

كان وزير القائم المرتضى * وذا الحجى والفضل والذكر

وكانت الدنيا بأقطارها * اليه فى البر وفى البحر

يشيد الملك بآرائه * وكان فيه نافذ الأمر

فبينما جعفر فى ملكه * عشية الجمعة بالقصر

يطير فى الدنيا بأجناحه * باهل طول الجلد والعمر

اذ عثر الدهر به عثرة * ياويلنا من عثرة الدهر
وزلت النعل به زلة * كانت له قاصمة الظهر
فغودر البائس في ليلة السبت قبيلا مطلع الفجر
وأصبح الفضل بن يحيي وقد * احيط بالشيخ ومايدري
وجيء بالشيخ وأولاده * يحيي معا في القتل والاسر
والبرمكيين وأتباعهم * من كان في الآفاق والمصر
كأنما كانوا على موعد * كوعد الناس الى الحشر
وأصبحوا للناس احدوثة * سبحان ذى السلطان والأمر

وقال

الى آن أرحنا واستراحت ركابنا * وأمسك من يجدى ومن كان يجتدى
فقل للمطايا قد أمنت من السرى * وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد
ودونك سيفا برمكيا مهندا * اصيب بسيف هاشمى مهند

وقال فيهم سلم الخاسر

خوت انجم الجدوى وشلت يد الندى * وغاضت بحار الجود بعد البرامك
هوت انجم كانت لابناء برمك * بها يعرف الهادى طويل المسالك

وقال فيهم صالح الاعرابى

لقد خان هذا الدهر أبناء برمك * وأى ملوك لم تخنها دهورها
ألم يك يحيي والى الارض كلها * فأضحى كمن وارته منها قبورها

وقال فيهم أبو حزرة الاعرابى وقيل أبو نواس

ما رعى الدهر آل برمك لما * ان رمى ملكهم بامر بديع
ان دهرا لم يرع حقا ليحيي * غير راع حقا لآل الربيع

وقال

يا بنى برمك واها لكم * ولأيامكم المقبله

وقال اشجع فيهم

ولى عن الدنيا بنو برمك * فلو نوالى الناس ما زادا
كأنما أيامهم كلها * كانت لاهل الارض اعيادا

وقال منصور اليمنى

ابدت بنى برمك لدينا * تبكى عليهم بكل واد
كانت بهم برهة عروسا * فأضحت الارض فى حداد

وقال دعبل

ألم تر صرف الدهر فى آل برمك * وفى ابن نهيك والقرون التى تخلو

وقال اشجع فيهم أيضا

قد سار دهر بنى برمك * ولم يدع فيهم لنا لقيا

كانوا أولى الطير وهم أهله * فارتفع الطير عن الدنيا

وقال الفضل بن يحيى وهو وأبوه في السجن

الى الله فيما نابنا نرفع الشكوى * ففي يده كشف المضرة والبلوى

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها * فلا نحن في الاموات فيها ولا الاحيا

اذا جاءنا السجان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وكان الرشيد كثيرا ما ينشد بعد نكبة البرامكة

ان سهامنا اذا وقعت * لتعقد ما فعلوا بها رتبه

واذا بدت للنمل اجنحة * حتى يطير فقد دنا عطبه

وقال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي دخلت على والدتي يوم نحر فوجدتها وعندها برزة متكلمة فقالت لي اتعرف هذه قلت لا قالت هذه عبادة أم جعفر بن يحيى فأقبلت عليها بوجهي أحدثها واعظمها ثم قلت لها يا أماه ما اعجب ما رأيت فقالت يا بني لقد أتى علي عيد مثل هذا وأنا على رأسي أربعمائة وصيفة واني اعد ابني عاقا ولقد أتى علي هذا العيد وما اتمنى سوى جلد شاتين أفترش أحدهما وألتحف الآخر قال فدفعت اليها خمسمائة درهم فكادت تموت فرحا بها ولم تزل تختلف الينا حتى فرق الموت بيننا * (وحكى) عن بعض عمومة الرشيد أنه صار الى يحيى عند تغير الرشيد له قبل الايقاع بهم فقال له ان أمير المؤمنين قد أحب جمع الاموال وقد كثر ولده عليك وعلى أصحابك فلو نظرت الى ضياعهم وأموالهم فجعلتها لامير المؤمنين وتقربت بها رجوت ان يكون لك السلامة وان يرجع لك أمير المؤمنين فقال له يحيى والله لأن تزول النعمة عني أحب الي من ان ازيلها عن قوم كنت سببها اليهم (وذكر) الخليل بن الهيثم وكان قد وكله الرشيد بيحيى والفضل في الحبس قال أتاني مسرور الخادم ومعه جماعة من الخدم ومع خادم منهم منديل ملفوف فسبق الى نفسي ان الرشيد قد تعطف عليهم فوجه اليهم بلطف فقال لي مسرور أخرج الفضل بن يحيى فلما مثل بين يديه قال ان أمير المؤمنين يقول لك اني قد أمرتك ان تصدقني عن اموالكم فزعمت انك قد فعلت وقد صح عندي انك أبقيت لك أموالا وقد أمرت مسرورا ان لم تطلعه عليها ان يضربك مائتي سوط فقال له الفضل فعلت والله يا أبا هاشم فقال له مسرور يا أبا العباس ارى لك ان لا تؤثر مالك على مهجتك فاني لا آمن ان انفذ ما امرت به فيأتي على نفسك فرفع الفضل رأسه الى السماء وقال له يا أبا هاشم ما كذبت بأمير المؤمنين ولو كانت الدنيا لي وخيرت بين الخروج منها وبين ان اقرع مقرعة لاخترت الخروج منها وأمير المؤمنين يعلم وأنت تعلم انا كنا نصون اعراضنا بأموالنا وكيف صرنا اليوم نصون اموالنا منكم بأنفسنا فان كنت أمرت بشيء فامض له فأمر بالمنديل فنفض فسقط منه اسواط باثمارها فضرب مائتي سوط وتولى ضربه أولئك الخدم فضربوه اشد الضرب الذي يكون بغير معرفة فكادوا يأتون على نفسه فخفنا عليه الموت فقال الخليل بن الهيثم لوكيله المعروف بابن يحيى ان هنا رجلا قد كان في الحبس وهو بصير بالعلاج لمثل هذا أو شبهه فسر اليه واسئله ان يعالجه قال فانسب اليه ذلك قال لعلك تريد أن تعالج الفضل بن يحيى فقد بلغني ما صنع به

فقلت أباه اريد قال فامض بنا اليه حتى اعاينه فلما رآه قال أحسبه ضربه خمسين سوطا قال انه ضرب ماتى سوط قال ما أظن الا أن هذا اثر خمسين سوطا ولكن يحتاج ان ينام على بارية وأدوس صدره ساعة فأخذ بيده يجذبه حتى أقامه وقد خرج الفضل ثم جاء به فألقاه على البارية وجعل يدوس صدره ثم جذبه حتى اقامه على البارية فتعلق بها من لحم ظهره شئ كثير ثم جعل يختلف اليه ويعالجه الى ان نظر يوما اليه فخر ساجدا فقلت مالك فقال يا أبا يحيى قد برئ أبو العباس ادن منى حتى ترى قال فدنوت منه فأرانى فى ظهره لحما نابتا ثم قال أتحفظ قولى هذا أثر خمسين سوطا قلت نعم قال والله لو ضربت ألف سوط ما كان أثرها باشد من ذلك الاثر وانما قلت ذلك لكى تقوى نفسه فيعيننى على علاجه فلما خرج الرجل قال لى الفضل يا أبا يحيى قد احتجت عشرة آلاف درهم فصر الى المعروف بالسنانى وأعلمه حاجتى اليها قال فأتيته بالرسالة فأمر بحملها اليه فقال يا أبا يحيى أحب ان تمضى بها الى هذا الرجل وتعتذر اليه وتسأله قبول ما وجهت به قال فمضيت اليه فوجدته قاعدا على حصير وطنبور له معلق ودساتيج فيها نبيذ وأداة رثة فقال ما حاجتك يا أبا يحيى فأقبلت اعتذر عن الفضل وأذكر ضيق الامر عليه وأعلمه بما وجه به اليه فامتعض من ذلك حتى افزعنى وقال عشرة آلاف درهم فجهدت كل الجهد أن يقبلها فأبى فصرت الى الفضل فأعلمته فقال لى استقلها والله ثم قال لى الفضل أحب أن تعود الى السنانى ثانية وتعلمه انى احتجت الى عشرة آلاف درهم اخرى فاذا دفعها اليك فسر بالكل الى الرجل قال فقبضت من السنانى عشرة آلاف اخرى ورجعت الى الرجل ومعى المال وعرفته الخبر فأبى ان يقبل شيأ منه فقال انا اعالج فتى من الابناء بعدما اذهب عنى فوالله لو كانت عشرون ألف دينار ما قبلتها فرجعت الى الفضل وأخبرته الخبر فقال لى يا أبا يحيى حدثنى بأحسن ما رأيت أو بلغك من افعالنا قال فجعلت احدثه فقال لى دع عنك هذا فوالله ان ما فعله هذا الرجل أحسن من كل ما فعلناه فى أيامنا كلها * وقتل جعفر بن يحيى وهو ابن خمس وأربعين سنة ومات يحيى بالرقة فى سنة تسع وثمانين ومائة على ماقدمنا (قال المسعودى) وللبرامكة أخبار حسان وسير وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من كتبنا فى ذكر أخبار ملوك الروم بعد ظهور الاسلام وما كان بينه وبين يعفور فيما تقدم من هذا الكتاب وللبرامكة أخبار حسان وما كان منهم من الافضال بالمعروف واصطناع المكارم وغير ذلك من عجائب أخبارهم وسيرهم وما مدحتهم الشعراء به ومراثيهم وقد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وانما نورد فى هذا الكتاب لمعا من الاخبار لم يتقدم لها ايراد فى غيره من كتبنا وكذلك ذكر بدء أخبارهم قبل ظهور الاسلام وكونهم على بيت النوبهار وهو بيت النار ببلخ المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وعلة تسمية برمك وخبر برمك الاكبر مع ملوك الترك وخبرهم بعد ظهور الاسلام وما كان منهم فى أيام بنى امية كهشام بن عبد الملك وغيره وما كان منهم فى أيام المنصور واكتفينا بما ذكرناه فى هذا الكتاب من التلويحات من أخبارهم واللمع من آثارهم

(ذكر خلافة محمد الامين)

وبويع محمد بن هارون فى اليوم الذى مات فيه هارون الرشيد وهو يوم السبت لاربع ليال خلون من جمادى الاولى بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة وتقدم ببيعته رجاء الخادم وكان القيم ببيعته الفضل بن الربيع وكان محمد يكنى بأبي موسى وأمه زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر وكان مولده بالرصافة وقتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وثلاثة عشر يوما ودفنت جثته ببغداد وحمل رأسه الى خراسان وكانت خلافته أربع سنين وستة اشهر وكان اصغر من المأمون بستة اشهر وكانت أيامه من خلعه الى مقتله سنة ونصفا وثلاثة عشر يوما حبس فيها يومين

(وذكر جملا من أخباره وسيره ولمعا مما كان فى أيامه)

قبض الرشيد والمأمون بمرو وبعث صالح بن الرشيد رجاء الخادم مولى محمد الامين الى محمد فأتاه بالخبر فى اثنى عشر يوما الى مدينة السلام يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة (وذكر) العتبى وغيره ان زبيدة رأت فى المنام ليلة علقت بمحمد كأن ثلاث نسوة دخلن عليها وهى بمجلس فقعد اثنتان عن يمينها وواحدة عن يسارها فدنت احداهن فجعلت يدها على بطن أم جعفر ثم قالت ملك عظيم البذل ثقيل الحمل نكد الأمر ثم فعلت الثانية كما فعلت الاولى وقالت ملك ناقص الجد مفلول الحد محذوق الود تجوز أحكامه وتخونه أيامه ثم فعلت الثالثة كما فعلت الثانية وقالت قصاف عظيم الايلاف كثير الخلاف قليل الانصاف قالت فاستيقظت وأنا فزعة فلما كان فى الليلة التى وضعت فيها محمدا دخلن على وأنا نائمة كما كن دخلن فقعدن عند رأسى ونظرن فى وجهى ثم قالت أحداهن شجرة نضرة وريحانة حسنة وروضة زاهرة ثم قالت الثانية عين غدقة قليل لبثها سريع فناؤها عجل ذهابها وقالت الثالثة عدو لنفسه ضعيف فى بطشه سريع الى غشه مزال عن عرشه فاستيقظت وأنا فزعة بذلك وأخبرت بذلك بعض قهارمتى فقالت بعض مايطرق النائم وعبث من عبث التوابع فلما تم فصاله أخذت مرقدى ومحمد أمامى فى مهده اذ بهن قد وقفن على رأسى وأقبلن على ولدى محمد فقالت احداهن ملك جبار متلاف مهذار بعيد الآثار سريع العثار ثم قالت الثانية ناطق مخصوم ومحارب مهزوم وراغب محروم وشقى مهموم وقالت الثالثة احفروا قبره ثم شقوا لحده وقدموا أكفانه وأعدوا جهازه فان موته خير من حياته قالت فاستيقظت وأنا مضطربة وجلة وسألت مفسرى الاحلام والمنجمين فكل يخبرنى بسعادته وحياته وطول عمره وقلبى يأبى ذلك ثم زجرت نفسى وقلت وهل يدفع القدر أو يقدر أحد أن يدفع عن احبابه الاجل (ومات أبو بكر بن عياش) الكوفى وهو ابن ثمان وتسعين سنة بعد موت الرشيد بثمانى عشرة ليلة ولما هم محمد بخلع المأمون شاور عبد الله بن حازم فقال له انشدك الله يا أمير المؤمنين ان لا تكون أول الخلفاء نكث عهده ونقض ميثاقه واستخف بيمينه فقال اسكت لله أبوك فعبد الملك بن صالح كان افضل منك رأيا حيث يقول لا يجتمع فحلان فى أجمة وجمع القواد وشاورهم فاتبعوه فى مراده الى ان بلغ الى هرثمة بن حازم فقال يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك ولا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك فان الغادر مخذول والناكث

والنا كث مقاول ودخل على بن عيسى بن ماهان فتبسم محمد وقال تكن شيخ هذه الدعوة وناب هذه الدولة لا يخالف امامه ولا يوهن طاعته ثم رفعه الى موضع ما رفعه اليه فيما مضى وكان على بن عيسى أول من أجاب الى خلع المأمون فسيره فى جيش عظيم نحو المأمون فلما قرب من الرى قيل له ان طاهر بن الحسين مقيم بها وقد كان يظن ان طاهرا لا يثبت له فقال ما طاهر الا شوكة من اغصانى وشرارة من نارى وما مثل طاهر يؤمر على جيش وما بينه وبين الامين الا ان تقع عينه على سوادكم فان السخال لا تقوى على نطاح الكباش والثعالب لا تقدر على لقاء الاسد فقال له ابنه ابعث طلائع وارتد موضعا لعسكرك فقال ليس طاهر يستعد له بالمكايد والتحفظ ان حال طاهر يؤدى الى أمرين اما ان يتحصن بالرى فيثب به أهلها أو يكفونا مؤنته أو يخليها ويدبر راجعا لو قد قربت خيولنا منه فقال له ابنه ان الشرارة ربما صارت ضراما فقال ان طاهرا ليس قرنا فى هذا الموضع وانما يحترس الرجال من اقرانها وسار على بن عيسى وبث عساكره من الرى وتبين ما عليه طاهر من الجد وأهبة الحرب وضم الاطراف فعدل الى رستاق من رساتيق الرى متياسرا عن الطريق فنزل وانبسطت عساكره وأقبل طاهر فى نحو من أربعة آلاف فارس فاشرف على عساكر على بن عيسى وتبين كثرتها وعدة ما فيها فعلم ان لا طاقة له بذلك الجيش فقال لخواصه ومن معه نجعلها خارجية وكردس خيله كراديس وصمد فى نحو القلب فى سبعمائة من الخوارزمية وغيرهم من فرسان خراسان وخرج اليه من القلب العباس بن الليث مولى العهد وكان فارسا فقصده طاهر وضم يديه على سيفه فاتى عليه وكان على على برذون كميت ارجل وتمالا على رأسه الرجال وتنازعوا فى خاتمه ورأسه فذبحه رجل يعرف بطاهر بن الراجى وقبض آخر على خصلة من شعر لحيته وآخر على خاتمه وكان سبب هزيمة الجيش ضربة طاهر بيديه جميعا للعباس بن الليث وبذلك سمى طاهر ذا اليمينين لجمعه يديه على السيف (وذكر) أحمد بن هشام وكان من وجوه القواد قال جئت الى مضرب طاهر وقد توهم انى قتلت فى المعركة ومعى رأس على فقال البشرى هذه خصلة من رأس على مع غلامى فى المخلاة فطرحه قدامه ثم أتى بجثته وقد شدت يداه ورجلاه كما يفعل بالدواب اذا ماتت فأمر به طاهر فألقى فى بئر وكتب الى ذى الرياستين فكان فى الكتاب اطال الله بقاءك وكبت اعداءك كتابى اليك ورأس على بن عيسى بين يدى وخاتمه فى اصبعى والحمد لله رب العالمين فسر المأمون بذلك وسلم عليه فى ذلك الوقت بالخلافة وقد كانت أم جعفر لا تعلق من الرشيد فشاور بعض مجالسيه من الحكماء وشكا ذلك اليه فاشار عليه بان يغيرها فان ابراهيم الخليل عليه السلام كانت عنده سارة فلم تكن تعلق منه فلما وهبت له هاجر علقت منه باسماعيل فغارت سارة عند ذلك فعلقت باسحاق فاشترى الرشيد أم المأمون فاستخلاها فعلقت بالمأمون فغارت أم جعفر عند ذلك فعلقت بمحمد وقد قدمنا التنازع فى ذلك أعنى قصص ابراهيم واسماعيل واسحاق وقول من ذهب الى ان اسحاق هو المأمور بذبحه ومن قال بل اسماعيل وما ذكر كل فريق منهم وقد تناظر فى ذلك السلف والخلف فمن ذلك ما جرى بين عبد الله بن عباس وبين مولاه عكرمة وقد قال عكرمة من المأمور بذبحه فقال اسماعيل واحتج بقول الله عز وجل ومن وراء اسحق يعقوب

الاترى انه بشر ابراهيم بولادة اسحاق فكيف يامره بذبحه فقال له عكرمة انا أراك اخذت ان الذبيح اسحاق من القرآن واحتج بقول الله عز وجل "وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق فنعمته على ابراهيم أن نجاه من النار ونعمته على اسحق أن فداه بالذبح وكانت وفاة عكرمة مولى ابن العباس سنة خمس ومائة ويكنى أباعبد الله مات فى اليوم الذى مات فيه كثير عزة فقال الناس مات عظيم الفقهاء وكبير الشعراء وفيها كانت وفاة الشعبى (وحدث) ابراهيم بن المهدى قال بعث الى الامين وهو محاصر فصرت اليه فاذا هو جالس فى طارمة خشبها من عود وصندل عشرة فى عشرة واذا سليمان بن أبى جعفر المنصور معه فى الطارمة وهى قبة كان اتخذ لها فراشا مبطنا بانواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب الاحمر وغير ذلك من أنواع الابريسم فسلمت فاذا قدامه قدح بلور محرور فيه شراب ينفذ مقداره خمسة ارطال وبين يدى سليمان قدح مثله فجلست بازاء سليمان فأتيت بقدح كالاول والثانى قال فقال انما بعثت اليكما لما بلغنى قدوم طاهر بن الحسين الى النهروان وما قد صنع فى أمرنا من المكروه وقابلنا به من الاساءة فدعوتكما لافرج بكما وبحديثكما فاقبلنا نحدثه ونؤنسه حتى سلا عما كان يجده وفرح ودعا بجارية من خواص جواريه تسمى ضعفا قال فتطيرت من اسمها ونحن على تلك الحال فقال لها غنينا فوضعت العود فى حجرها وغنت

كليب لعمرى كان اكثر ناصرا * واكثر جرما منك ضرج بالدم

فتطير من قولها ثم قال لها اسكتى قبحك الله ثم عاد الى ما كان عليه من الغم والاقطاب فاقبلنا نحادثه ونبسطه الى ان سلا وضحك ثم اقبل عليها وقال هات ما عندك فغنت

هم قتلوه كى يكونوا مكانه * كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فاسكتها وزأرها وعاد الى الحالة الاولى فسليناه حتى عاد الى الضحك فاقبل عليها الثالثة فقال غنى فغنت

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

وقيل بل انها غنت

أماوربّ السكون والحرك * ان المنايا كثيرة الشرك

فقال لها قومى عنى فعل الله بك وصنع بك فقامت فعثرت بالقدح الذى كان بين يديه فكسرته فانهرق الشراب وكانت ليلة قمراء ونحن على شاطئ دجلة فى قصره المعروف بالخلد فسمعنا قائلا يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان قال ابن المهدى فقمت وقد وثب فسمعت منشدا من ناحية القصر ينشد هذين البيتين

لاتعجبن من العجب * قد جاء مايقضى العجب
قد جاء أمر فادح * فيه لذى عجب عجب

قال فما قمنا معه بعدها الى ان قتل وكان الامين مولعا بام ولده فطم وهى أم موسى الذى كان سماه الناطق بالحق واراد خلع المامون والعقد له من بعده فهلكت ام موسى فطم فجزع عليها

جزعا شديدا فلما اتصل الخبر بام جعفر زبيدة قالت احملونى الى أمير المؤمنين فحملت اليه فاستقبلها وقال ياسيدتى ماتت فطم فقالت

نفسى فداؤك لايذهب بك اللهف * فنى بقائك مما قد مضى خلف

عوضت موسى فهانت كل مرزية * مابعد موسى على مفقودة اسف

(وذكر) ابراهيم بن المهدى قال استاذنت على الامين يوما وقد اشتد الحصار عليه من كل وجه فابوا ان ياذنوا لى بالدخول عليه الى ان كاثرت ودخلت فاذا هو قد تطلع الى دجلة بالشباك وكان فى وسط قصره بركة عظيمة لها مخترق الى الماء فى دجلة وفى المخترق شباك حديد فسلمت عليه وهو مقبل على الماء والخدم والغلمان قد انتشروا الى تفتيش الماء وهو كالواله فقال لى وقد ثنيت بالسلام وكررت لاتؤذونى فقرطتى قد ذهبت فى البركة الى دجلة والقرطة سمكة كانت قد صيدت له وهى صغيرة فقرطها حلقتين من ذهب فيهما حب نادر قال فخرجت وانا مؤيس من فلاحه وقلت لو ارتدع من وقت لكان هذا الوقت وكان محمد فى نهاية الشدة والقوة والبطش والبها والجمال الا أنه كان عاجز الرأى ضعيف التدبير غير مفكر فى أمره (وحكى) انه اصطبح يوما وقد كان خرج أصحاب اللبابيد والحراب على البغال وهم الذين كانوا يصطادون السباع الى سبع كان بلغهم خبره بناحية كوثى والقصر فاحتالوا فى السبع الى أن ألقوه فى قفص من خشب على جمل بختى فحط بباب القصر وأدخل فشل فى صحن القصر والامين مصطبح فقال خلوا عنه وشيلوا باب القفص فقيل له يا أمير المؤمنين انه سبع هائل اسود وحش فقال خلوا عنه فشالوا باب القفص فخرج سبع اسود له شعر عظيم مثل الثور فزأر وضرب بذنبه الى الارض فتهارب الناس وغلقت الابواب فى وجهه وبقى الامين وحده جالسا موضعه غير مكترث بالاسد فقصده الاسد حتى دنا منه فضرب الامين يده الى مرفقة ارمنية فامتنع منه بها ومد السبع يده اليه فجذبها الامين وقبض على اصل اذنيه وغمزه ثم هزه ودفع به الى خلف فوقع السبع ميتا على مؤخره وتبادر الناس الامين فاذا اصابعه ومفاصل يديه قد زالت عن مواضعها فأتى بمجبر فرد عظام أصابعه الى مواضعها وجلس كأنه لم يعمل شيأ فشقوا بطن الاسد فاذا مرارته انشقت عن كبده (وحكى) ان المنصور) جلس ذات يوم ودخل اليه بنوهاشم من أهله فقال لهم وهو مستبشر أما علمتم ان محمدا المهدى ولد البارحة له ولد ذكر وقد سميناه موسى فلما سمع القوم ذلك وجموا وكأنما سفى فى وجوههم الرماد ولم يحيروا جوابا فنظر اليهم المنصور فقال لهم هذا موضع دعاء وتهنئة وأراكم قد سكتم ثم استرجع فقال كأنى بكم لما أخبرتكم بتسميتى اياه موسى اغتممتم به لان المولود المسمى بموسى بن محمد هو الذى على رأسه تختلف الكلمة وتنهب الخزائن ويضطرب الملك ويقتل أبوه وهو المخلوع من الخلافة ليس هو ذا ولا هذا زمانه والله ان جد هذا المولود يعنى هارون الرشيد لم يولد بعد قال فدعوا له وهنوه وهنوا المهدى وكان هذا موسى الهادى أخا الرشيد وكان العهد الذى كتبه الرشيد بين الامين والمامون وأودعه الكعبة ان الغادر منهما خارج من الأمر ايهما غدر بصاحبه والخلافة للمغدور به (وذكر ياسر) انه لما احيط بمحمد دخلت أم جعفر باكية فقال لها مه انه ليس بجزع النساء

وعلمهن عقدت التيجان والخلافة سياسة لا تسعها صدور المراضع ووراء ذلك ويقال ان محمدا قصف عند طاهر فينا طاهر فى بستانه اذ ورد كتاب من محمد بخطه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلم انه ما قام لنا مذ قتنا قائم بحقنا وكان جزاؤه الا السيف فانظر لنفسك أودع قال فلم يزل والله يتبين موقع الكتاب من طاهر فلما رجع الى خراسان اخرجه الى خاصته وقال لهم والله ما هذا كتاب مضعوف ولكنه كتاب مخذول ولم يكن فيمن سلف من الخلفاء الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من أبوه وأمه من بنى هاشم الاعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ومحمد ابن زبيدة وفى محمد ابن زبيدة يقول أبو الهذيل

ملك أبوه وامه من نبعة * منها سراج الامة الوهاج
شربت بمكة من ذرى بطحائها * ماء النبوة ليس فيه مزاج

وفى سنة سبع وتسعين ومائة كان ابتداؤه بالغدر بالمأمون وفى سنة سبع وتسعين ومائة مات بالرقة عبد الملك بن صالح بن على فى أيام الامين وكان عبد الملك افصح ولد العباس فى عصره يقال ان الرشيد لما أجتاز ببلاد منبج من أرض الشام نظر الى قصر مشيد وبستان مغتم بالاشجار كثير الثمار فقال لمن هذا القصر قال لك ولى بك يا أمير المؤمنين قال فكيف بناء القصر قال دون منازلك وفوق منازل الناس قال فكيف مدينتك قال عذبة الماء باردة الهواء صلبة الموطا قليلة الادواء قال كيف ليلها قال سحر كله وقال له يا أبا عبد الرحمن ما أحسن بلادكم قال فكيف لا يكون كذلك وهى تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء فيافى فسيح وجبال وصيح بين قيصوم وشيح فالتفت الرشيد الى الفضل بن الربيع فقال ضرب السياط اهون على من هذا الكلام ولما سمى محمد ابنه الناطق بالحق وأخذ له العهد على الناس الفضل بن الربيع وزفر وموسى يومئذ لا ينطق بامر ولا يعرف حسنا ولا يعقل قبيحا ولا يخلو من الحاجة الى من يخدمه فى ليله ونهاره ويقظته وقيامه وقعوده واحضنه على بن عيسى بن هامان قال فى ذلك رجل اعمى من أهل بغداد يعرف بعلى بن أبى طالب

اضاع الخلافة غش الوزير * وفعل الامام ورأى المشير
وما ذاك الا طريقا غرور * وشر المسالك طرق الغرور
فعال الخليفة اعجوبة * واعجب منه فعال الوزير
واعجب من ذا وذا أننا * نبايع للطفل فينا الصغير
ومن ليس يحسن مسح أنفه * ومن لم يخل من متنه حجر ظير
وما ذاك الا باغ وغاو * يريدان نقض الكتاب المنير
وهذان لولا انقلاب الزمان * فى العير هذان أم فى النفير
ولكنها فتن كالجبال * ترفع فيها بضع الحقير

ولما قتل طاهر بن الحسين على بن عيسى بن ماهان سار فنزل حلوان وذلك على خمسة أيام من مدينة السلام فتعجب الناس من أمره وادبار أصحاب الامين وهزيمتهم فى كل حال وايقنوا بقتله وظهور المامون واسقط فى يدى الفضل بن الربيع وأصحابه فقال الشاعر

عجبت لمعشر يرجون نجحا * لأمر ما تتم به الامور

وكيف

وكيف يتم ما عقدوا وراموا * وأس بنائهم منه الفجور
أهاب الى الضلال بهم غوى * وشيطان مواعده غرور
يصيب بهم ويلعب كل لعب * كما لعبت بشاربها الخمور
وكادوا الحق والمأمون غدرا * وليس بمفلح أبدا غدور
هو العدل النجيب البر فينا * تضمن حبه منا الصدور
وعاقبة الامور له يقينا * به شهد الشريعة والزبور
سيملك أربعين لها وفاء * يتم به الاهلة والشهور
فكيدوا أجمعين بكل كيد * وكيدكم له فيه السرور

وبلغ محمدا الخلع قواده عندما ظهر من أمر طاهر وشاورهم وقال أحضروا الى عنا كم كما أحضرت خراسان لعبد الله عناها وكانت كما قال اعشى ربيعة

ثم ماهابوا ولكن قدموا * كبش غارات اذا لاقى نطح

أما والله لقد حدثت بحديث الامم السالفة وقرأت كتب حروبها وقصص من اقام دولها فما رأيت في حديثهم حديثا الرجل منهم وأبي كهذا الرجل في اقدامه وسياسته وقد قصدني واجترأ علي وعلى الهامة العظيمة من الجند وجمع القواد وساسة الحروب فهاتوا ما عندكم فقالوا يقي الله أمير المؤمنين ويكفيه كما كفى الخلفاء قبله بغي من بغى عليهم ولما انهزم جيش محمد بين يدي طاهر ولم يقم له قائمة منهم قال سليمان بن أبي جعفر لعن الله الغدار ماذا جلب على الامة بغدره وسوء رأيه وأبعد الله نسبه أهل الفضل لاسرع ما انتصر الله للمأمون بكبش المشرق وفي ذلك يقول الشاعر

تبا لذي الايام والمتزندق * ماذا دعاه الى العظيم الموثق
والغدر بالبر الزكي أخي التقى * والسائس المأمون غير الاخرق
زين الخلافة والامامة والنهى * أهل السماحة والندى المتدفق
ان تغدروا جهلا بوارث أحمد * ووصي كل مسدد وموفق
فالله للمأمون خير موازر * والماجد القمقام كبش المشرق

ولما احيط بمحمد من الجانب الشرقي والغربي وكان هرثمة بن اعين نازلا مما يلي النهروان بالقرب من باب خراسان وثلاثة أبواب وطاهر من الجانب الغربي مما يلي الناشرية وباب المحول والكناس جمع قواده فقال الحمد لله الذي يضع من يشاء بقدرته ويرفع والحمد لله الذي يعطي بقدرته من يشاء ويمنع والحمد لله الذي يقبض ويبسط واليه المصير أحمده على نوائب الزمان وخذلان الاعوان وتشتت الحال وكسوف البال وصلى الله على رسوله وآله وسلم وقال اني لأفارقكم بقلب موجع ونفس حزينة وحسرة عظيمة اني محتال لنفسي فأسأل الله ان يلطف بي بمعونته ثم كتب الى طاهر أما بعد فانك تنصحت فنصحت وحاربت فنصرت وقد يغلب الغالب ويخذل المفلح وقد رأيت الصلاح في معاونة أخي والخروج اليه من هذا السلطان اذ كان أولى به وأحق فأعطني الامان على نفسي وولدي وأمي وجدتي وحاشيتي وانصاري واخواني أخرج اليه وهذا الأمر الى أخي فان رأى الوفاء لي بأمانك

والآن كان أولى وأحق قال فاقرأ طاهر الكتاب قال الآن ضيق خناقه وهيض جناحه وانهزم فساقه لا والذي نفسي بيده حتى يضع يده في يدي وينزل على حكمي فعند ذلك كتب الى هرثمة يسأله النزول على حكمه امانه وقد كان المخلوع جهز جماعة من رجاله من الابناء وغيرهم ممن استأمن اليه لدفع المأمونية عنده فمالوا نحو هرثمة وكان طاهر يمد هرثمة بالرجال ولم يلق هرثمة مع ذلك كثير كيد فلما مال من ذكرنا الى حرب هرثمة وعلى الجيش بشر وبشر الازدمان وانفض الجمع وكان طاهر قد نزل فى البستان المعروف بباب الكباش بالطاهرى ففى ذلك يقول بعض العيارين من أهل بغداد ومن أهل السجون

لنا من طاهر يوم * عظيم الشأن والخطب
علينا فيه بالانجاد * عن هرثمة الكلب
رمنا لأبى الطيب * يوم صادق الكرب
أتاه كل كرار * ولص كان ذا نقب
وعريان على جنبيه * آثار من الضرب
اذا ما حل من شرق * أتيناه من الغرب

وضاق الأمر بمحمد الامين ففرق فى قواده المحدثين دون غيرهم خمسمائة ألف درهم وقارورة غالية ولم يعط قدماء أصحابه شيأ فأتت طاهرا عيونه وجواسيسه بذلك فراسلهم وكاتبهم ووعدهم ومناهم وأغرى الاصاغر بالقادة حتى غضبوا لذلك وسعوا على الامين وقال بعضهم

قل لامين الناس فى نفسه * ماشتت الجند سوى الغاليه
وطاهر نفسى فدا طاهر * برسله والعدة الكافيه
اضحى زمان الملك فى كفه * مقابلا للفئة الباغيه
قد جاءك الليث بسيدانه * مستكلبا فى أسد ضاريه
فاهرب فلا مهرب من مثله * حقا الى النار أو الهاويه

وانتقل طاهر من الناشرية فنزل بباب الانبار وحاصر أهل بغداد وغادى القتال وراوحه حتى تواكل الفريقان وخربت الديار وعفت الآثار وغلت الاسعار وذلك فى سنة ست وتسعين ومائة وقاتل الاخ اخاه والابن اباه هؤلاء محمدية وهؤلاء مامونية وهدمت المنازل وأحرقت الديار وانتهبت الاموال فقال الاعمى فى ذلك

تقطعت الارحام بين العشائر * وأسلمهم أهل التقى والبصائر
فذاك انتقام الله من خلقه بهم * لما اجترموه من ركوب الكبائر
فلا نحن اظهرنا من الذنب توبة * ولا نحن اصلحنا فساد السرائر
ولا نستمع من واعظ ومذكر * فينجع فينا وعظ ناه وآمر
فابك على الاسلام لما تقطعت * رجاه ورجى خيرها كل كافر
فأصبح بعض الناس يقتل بعضهم * فمن بين مقهور عزيز وقاهر
وصار رئيس القوم يحمل نفسه * وصار رئيسا فيهم كل شاطر

فلا

فلا قابر للبر يحفظ حرمة * ولا يستطيع البر دفعا لقابر
تراهم كامثال الذئاب رأت دما * فأمته لاتلوى على زجر زاجر
وأصبح فساق القبائل بينهم * تسل على اقرانها بالخناجر
فابك لقتلى من صديق ومن أخ * كريم ومن جار شفيق مجاور
ووالدة تبكى بحزن على ابنها * فيبكى لها من رحمة كل طائر
وذات حليل اصبحت وهى ايم * وتبكى عليه بالدموع البوادر
تقول له قد كنت عزا وناصرا * فغيب عنى اليوم عزى وناصرى
وابك لاحراق وهدم منازل * وقتل وانهاب اللهى والذخائر
وابرازربات الخدور حواسرا * خرجن بلا خمر ولا بمآزر
تراها حيارى ليس تعرف مذهبا * نوافر أمثال الظباء النوافر
كان لم تكن بغداد أحسن منظرا * وملهى رأته عين لاه وناظر
بلى هكذا كانت فأذهب حسنها * وبدد منها الشمل حكم المقادر
وحل بهم ماحل بالناس قبلهم * فأضحوا احاديثا لباد وحاضر
ابغداد يادار الملوك ومجتبى * صروف المنايا مستقر المنابر
ويا جنة الدنيا ويامطلب الغنى * ومستنبط الاموال عند الضرائر
أبينى لنا أين الذين عهدتهم * يحلون فى روض من العيش زاهر
وأين ملوك فى المواكب تغتدى * تشبه حسنا بالنجوم الزواهر
وأين القضاة الحاكمون برأيهم * لورد أمور مشكلات الاوامر
أو القائلون الناطقون بحكمة * ورصف كلام من خطيب وشاعر
وأين مراح للملوك عهدتها * مزخرفة فيها صنوف الجواهر
ترش بماء المسك والورد أرضها * يفوح بها من بعد ريح المجامر
وروح الندامى فيه كل عشية * الى كل فياض كريم العناصر
ولهو وقيان تستجيب لنغمها * اذاهو لباها حنين المزامر
فما الملوك العز من آل هاشم * وأشياعهم فيها اكتفوا بالمغادر
يروحون فى سلطانهم وكانهم * يروحون فى سلطان بعض العشائر
يجادل عما نالهم كبراؤهم * فنالتهم وبالكره أيدى الاصاغر
فأقسم لوأن الملوك تناصروا * لزلت لها خوفا رقاب الجبابر

وبعث هرثمة بن اعين ابن زهير بن المسيب الضبى من الجانب الشرقى فنزل الماطر مما يلى كلواذا وعشر ما فى السفن من اموال التجار الواردة من البصرة وواسط ونصب على بغداد المجنيقات ونزل فى رقة كلواذا والجزيرة فتأذى الناس به وصمد نحوه خلق من العيارين وأهل السجون وكانوا يقاتلون عراة فى أوساطهم السامين والميازر وقد اتخذوا لرؤسهم دواخل من الخوص وسموها الخود ودرقا من الخوص والبوارى قد قرنت وحشيت بالحصا والرمل على كل عشرة عريف وعلى كل عشرة عرفاء نقيب وعلى كل عشرة

نقباء قائد وعلى كل عشرة قواد أمير ولكل ذى مرتبة من المركوب على مقدار ما تحت يده فالعريف له أناس مركبهم غير ماذكرنا من المقاتلة وكذلك النقيب والقائد والأمير وناس عراة قد جعل فى أعناقهم الجلاجل والصوف الاحمر والاصفر ومقاود قد اتخذت ولجم من مكانس ومذاب فيأتى العريف وقد اركب واحدا وقدامه عشرة من المقاتلة على رؤسهم خود ودرق البوارى ويأتى النقيب والقائد والأمير كذلك فتقف النظارة ينظرون الى حربهم مع أصحاب الخيول المعدة والجواشن والدروع والتجافيف والرماح والدرق التبتية فهؤلاء عراة وهؤلاء على ماذكرنا فكانت للعراة على زهير وأتاه المدد من هرثمة فانهزمت العراة ورمت بهم خيولهم وتحاصروا جميعا وأخذهم السيف فقتل منهم خلق وقتل من النظارة خلق فقال فى ذلك بعضهم وذكر رمى زهير بالمجنيق

لا تقرب المنجنيق والحجرا * وقد رأيت القتيل اذ قبرا

باكر كى لا يفوته خلل * ولا قتيل وخلف الخبرا

ياصاحب المنجنيق مابطلت * كفاك لم تبقيا ولم تذرا

كان دراه سوى الذى أمرا * هيهات ان يغلب الهوى القدرا

فلما ضاق الأمر بالامين فى ارزاق الجند ضرب آنية الذهب والفضة سرا وأعطى رجاله وتحيز الى طاهر أهل الارباضيات مما يلى باب الانبار وباب حرب وباب قطربل فصارت الحرب فى وسط الجانب الغربى وعملت المنجنيقات بين الفريقين وكثر الحرق والهدم ببغداد فى الكرخ وغيره من الجانبين حتى درست محاسنها واشتد الأمر وتنقل الناس من موضع الى موضع وعم الخوف فقال الشاعر

من ذا أصابك يابغداد بالعين * ألم تكونى زمانا قرة العين

ألم يكن فيك قوم كان قربهم * وكان مسكنهم زينا من الزين

صاح الزمان بهم بالبين فانقرضوا * ماذا لقيت بهم من لوعة البين

أستودع الله قوما ماذكرتهم * الا تحدر ماء الدمع من عينى

كانوا ففرقهم دهر وصدعهم * والبين يصدع مابين الفريقين

ولم تزل الحرب بين الفريقين أربعة عشر شهرا وضاقت بغداد بأهلها وتعطلت المساجد وتركت الصلاة ونزل بها مالم ينزل بها قط مثله مذ بناها المنصور وقد كان لاهل بغداد فى أيام حرب المستعين والمعتز حرب نحو هذا من حروب العيارين ويسير الى الحرب فى خمسين ألف عراة ولم ينزل بأهل بغداد شر من هذا الحرب حرب المأمون والمخلوع وقد استعظم أهل بغداد مانزل بهم فى هذا الوقت فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة من خروج أبى اسحاق المتقى عنهم وماكان قبل الوقت من البزيديين ويورون التركى ومادفعوا اليه من الوحشة بخروج أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان الملقب بناصر الدولة واخيه على بن عبد الله عليهم لبعد العهد مما حل بالمنازل بها وطول السنين وغيبة ذلك عنهم وبعدهم وتقدم مثل أولئك العيارين الذين كانوا فى ذلك العصر واشتد الأمر بين المامونية والعراة وغيرهم من أصحاب المخلوع وحصر محمد فى قصره من الجانب الغربى فكان بينهم فى بعض

الايام

الايام موافقة تفانى فيها خلق كثير من الفريقين فقال فى ذلك حسين الخليع

امين الله ثق بالله * تعط الصبر والنصره
كل الأمر الى الله * كلاك الله ذو القدره
رأيت الحرب احيانا * علينا ولنا مره

وكانت وقعه اخرى عظيمة بشارع دار الرقيق هلك فيها خلق كثير وكثر القتل فى الطرق والشوارع ينادى هذا يا المأمون والآخر يا المخلوع ويقتل بعضهم بعضا وانتهب الدار فكان الفوز لمن نجا بنفسه من رجل وامرأة بما يسلم معه الى عسكر طاهر فيأمن على نفسه وفى ذلك يقول الشاعر

بكت عينى على بغداد لما * فقدت غضاضة العيش الانيق
تبدلنا هموما من سرور * ومن سعة تبدلنا بضيق
أصابتنا من الحساد عين * فأفنت أهلها بالمنجنيق
فقوم احرقوا بالنار قسرا * ونائحة تنوح على غريق
وصائحة تنادى يا صباحى * وقائلة تنادى يا شقيق
وحوراء المدامع ذات دل * مضمخة المجاسد بالخلوق
تنادى بالشفيق فلا شفيق * وقد فقد الشفيق مع الرفيق
وقوم اخرجوا من ظل دنيا * متاعهم يباع بكل سوق
ومغترب بعيد الدار ملقى * بلا رأس بقارعة الطريق
توسط من قتالهم جميعا * فما يدرون من أى الفريق
فلا ولد يقيم على أبيه * وقد هرب الصديق عن الصديق
ومهما أنس من شئ تولى * فانى ذاكر دار الرقيق

وسأل قائد من قواد خراسان طاهرا أن يجعل له الحرب فى يوم ماله فيه ففعل طاهر له ذلك فخرج القائد وقد حقرهم وقال ما يبلغ من كيد هؤلاء ولا سلاح معهم مع ذوى البأس والنجدة والسلاح والعدة فبصر به بعض العراة وقدامه مدة طويلة حتى فنيت سهام القائد وظن ان العريان فنيت حجارته فرماه بحجر بقيت فى المخلاة وقد حمل عليه القائد فأخطأ عينه وثناه بحجر آخر فكاد يصرع القائد عن فرسه ووقعت البيضة عن رأسه فكر راجعا وهو يقول يا أبا طاهر ليس هؤلاء بناس هؤلاء شياطين فى ذلك يقول أبو يعقوب الخزيمى

الكرخ اسواقه معطلة * يستن عيارها وعابرها
خرجت الحرب بين اسواقهم * اسود غيل علت قساورها

وقال على الاعمى

خرجت هذه الحروب رجالا * لا لقحطان لا ولا لنزار
معشر فى جواشن الحصر يعدو * ن الى الحرب كالليوث الضوارى
ليس يدرون ما الفرار اذا ما الابطال عاذوا من القنا بالفرار
واحدهم يشد على الـفين عريان ماله من ازار

ويقول الفتى اذا طعن الطعنة خذها من الفتى العيار

وتوالت الحرب وطاهر في قوة واقبال وأصحاب المخلوع في نقص وادبار وأصحاب طاهر يهدمون ويأخذون بعض الدور وينهبون المتاع فقال رجل من الحمدية

لنا كل يوم ثلمة لا نسدها * يزيدون فيما يطلبون وننقص
اذا هدموا دارا أخذنا سقوفها * ونحن لاخرى مثلها نتربص
يثيرون بالطبل النقيص وأن بدا * لهم وجه صيد من قريب تقنصوا
وقد افسدوا شرق البلاد وغربها * علينا فما ندرى الى أين نشخص
اذا حضروا قالوا بما يبصرونه * وان لم يروا شيأ قبيحا تخرصوا
وقد رخصت قرّاؤنا في قتالهم * وما قتل المقتول الا المرخص

ولما نظر طاهر الى صبر أصحاب المخلوع على هذه الحال الصعبة قطع عنهم مواد الاقوات وغيرها من البصرة وواسط وغيرهما من الطرق فكان الخبز في حد المأمونية عشرين رطلا بدرهم وفي حد الحمدية رطل بدرهم وضاقت النفوس وأيسوا من الفرج واشتد الجوع وسر من سار الى حيز طاهر وأسف من بقى مع المخلوع وتقدم طاهر في سائر أصحابه من مواضع كثيرة وقصد باب الكناس فاشتد القتال وتبادرت الروس وعمل السيف والنار وصبر الفريقان وكان القتل في أصحاب طاهر وفني من العراة خلق وكان ذلك في يوم الاحد ففي ذلك يقول الاعمى

وقعة يوم الاحد * كانت حديد الابد
كم جسد أبصرته * ملقى وكم من جسد
وناظر كانت له * منية بالرصد
أتاه سهم عائر * فشق جوف الكبد
وآخر ملتهب * مثل التهاب الاسد
وقائل قد قتلوا * الفا ولما يزد
وقائل اكثر بل * مالهم من عدد
قلت لمطعون وفيه * طعنة لم تشد
من أنت ياويلك يا * مسكين من محمد
فقال لا من نسب * دان ولا من بلد
ولا انا للغي قا * تلت ولا للرشد
ولا لشئ عاجل * يصير منه في يد

ولما ضاق بمحمد الحال واشتد الحصار أمر قائدا من قواده يقال له ذريح ان يتبع أصحاب الاموال والودائع والذخائر من أهل الملة وغيرهم وقرن معه آخر يعرف بالهرش فكانا يهجمان على الناس ويأخذان بالظنة فاجتبى بذلك السبب اموالا كثيرة فهرب الناس بعلة الحج وفر الاغنياء من ذريح والهرش ففي ذلك يقول على الاعمى

اظهروا الحج وما يبغونه * بل من الهرش يريدون الهرب

كم اناس اصبحوا فى غبطة * وكض الليل عليهم بالعطب

من شعر له طويل ولما عم البلاء أهل الستر اجتمع التجار بالكرخ على مكاتبة طاهر انهم ممنوعون منه ومن الخروج اليه ومغلوب على اموالهم وان العراة والباعة هم الافة فقال بعضهم ان كاتبتم طاهرا لم تأمنوا صولة المخلوع بذلك فدعوهم فان الله مهلكهم وقال قائلهم

دعوا أهل الطريق فعن قريب * تنالهم مخاليب الهصور

فتهتك حجب اكباد شداد * وشيكا ما يصير الى القبور

فان الله مهلكهم جميعا * لاسباب التمرد والفجور

وثارت العراة ذات يوم فى نحو مائة ألف بالرماح والقصب والطرادات القراطيس على رؤسها وتغنوا فى القصب وقرون البقر وغيرهم من المحمدية وزحفوا من مواضع كثيرة نحو المامونية فبعث اليهم طاهر بعدة قواد وأمراء من وجوه كثيرة واشتد الجلاد وكثر القتل وكانت للعراة على المامونية الى الظهر وكان يوم الاثنين ثم ثارت المأمونية على العراة من أصحاب محمد ففرق منهم وقتل واحرق نحو عشرة آلاف ففى ذلك يقول الاعمى

بالامير الطاهر بن الحسين * صبحونا صبحة الاثنين

جمعوا جمعهم بليل فثار اليهم * كل صلب القناة والساعدين

يا قتيل العراة ملقى على الشط * تطاه الخيول فى الجانبين

ما الذى كان فى يديك اذا ما * اصطلح الناس أية الخلتين

أوزيرا من قائد بل بعيد * أنت من زين موضع الفرقدين

كم بصير غدا بعينين كى ينظر * ما حالهم فراح بعين

واشتد الأمر بمحمد المخلوع فباع ما فى خزائنه سرا وفرق ذلك ارزاقا فيمن معه ولم يبق معه ما يعطيهم عند مطالبتهم اياه وضيق عليه طاهر وكان نازلا بباب الانبار فى بستان هنالك فقال محمد وددت ان الله قتل الفريقين جميعا فما منهم الاعدو من معى ومن على اما هؤلاء فيريدون مالى وأما أولئك فيريدون نفسى وقال

تفرقوا أودعونى * يا معشر الاعوان

فكلكم ذو وجوه * كثيرة الالوان

وما ارى غير افك * وترهات الامانى

ولست املك شيأ * فسائلوا الخوانى

فالويل فيما دهانى * من نازل البستان

يعنى طاهر بن الحسين ولما اشتد الأمر عليه ونزل هرثمة بن اعين بالجانب الشرقى وطاهر بالجانب الغربى وبقى محمد فى مدينة أبى جعفر شاور من حضر من خواصه فى النجاة بنفسه فكل أدلى برأى واشار بوجه فقال قائل منهم تكاتب ابن الحسين وتحلف له انك مفوض أمرك اليه لعله أن يجيبك الى ما تريد منه فقال ثكلتك امك لقد اخطات الرأى فى طلبى المشورة منك أما رأيت آثار رجل لا يؤول الى عذر وهل كان المأمون لو اجتهد لنفسه

وتولى الامر برأيه بالغا عشر ما بلغه له طاهر ولقد دسست وبحثت عن رأيه فما رأيته يطلب تأثيل المكارم وبعد الصيت والوفاء فكيف اطمع في استدلاله بالاموال وفى غدره والاعتماد فى عقله ولو قد أجاب الى طاعتى وانصرف الى ثم ناصبنى جميع الترك والديلم ما اهتممت بمناصبتهم ولكنت كما قال أبو الاسود الدؤلى فى الازد عند اجارتها زياد ابن أبيه

فلما رآهم يطلبون وزيره * وساروا اليه بعد طول تمادى
أتى الازد اذ خاف الذى لابقاء لها * عليه وكان الرأى رأى زياد
فقالوا له أهلا وسهلا ومرحبا * أصبت فكاشف من أردت وعاد
فاصبح لايخشى من الناس كلهم * عدوا ولو مالوا بقوة عاد

والله لوددت انه أجاب الى ذلك فأبحته خزائنى وفوضت اليه ملكى ورضيت بالمعاش تحت يديه ولا اطلبنى مغلته ولو كانت ألف نفس فقال السندى صدقت يا أمير المؤمنين ولو انك أبو الحسين بن مصعب ما استقال فقال محمد وكيف لنا بالخلاص الى هرثمة ولات حين مناص وراسل هرثمة ومال الى جنبته فوعده هرثمة بكل ما أحب وانه يمنعه ممن يريد قتله وبلغ ذلك طاهرا فاشتد عليه وزاد غيظه وحنقه ووعده هرثمة ان يأتيه فى حراقة الى مشرعة باب خراسان فيصير به الى عسكره ومن أحب فلما هم محمد بالخروج فى تلك الليلة وهى ليلة الخميس لخمس ليال بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة دخل اليه الصعاليك من أصحابه وهم فتيان الابناء والجند فقالوا له يا أمير المؤمنين ليس معك من ينصحك ونحن سبعة آلاف رجل مقاتلة وفى اصطبلك سبعة آلاف فرس ونفتح بعض أبواب المدينة ونخرج فى هذه الليلة فما يقدم علينا أحد الى ان نصير الى بلد الجزيرة وديار ربيعة فنجبى الاموال ونجمع الرجال ونتوسط الشام وندخل مصر ويكثر الجيش والمال وتعود الدولة مقبلة جديدة فقال هذا والله الرأى فعزم على ذلك وهم به وجنح اليه وكان لطاهر فى جوف دار الامين غلمان وخدم من خاصة الامين يبعثون اليه بالاخبار ساعة فساعة فخرج الخبر الى طاهر من وقته فخاف طاهر وعلم انه الرأى ان فعله فبعث الى سليمان بن أبى جعفر والى ابن نهيك والسندى بن شاهك وكانوا مع الامين ان لم تزيلوه عن هذا الرأى لاغتر بن ضياعكم وأزيل نعمكم وأتلف نفوسكم فدخلوا على الامين فى ليلتهم فازالوه عن ذلك الرأى وأتاه هرثمة فى الحراقة الى باب خراسان ودعا الامين بفرس يقال له الزهيرى أغر محجل ادهم محذوف ودعا الامين بابنيه موسى وعبد الله فعانقهما وشمهما وبكى وقال الله خليفتى عليكم فلست ادرى ألتقى معكما بعدها أولا وعليه ثياب بيض وطيلسان اسود وقدامه شمعة حتى أتى باب خراسان الى المشرعة والحراقة قائمة فنزل ودخل الحراقة فقبل هرثمة بين عينيه وقد كان طاهر نمى اليه خروجه فبعث بالرجال من الهروية وغيرهم والملاحين فى الزوارق وعلى الشط فدفعت الحراقة ولم يكن مع هرثمة عدة من رجاله فأتى أصحاب طاهر عراة فغاصوا تحت الحراقة فانقلبت بمن فيها فلم يكن لهرثمة شاغل الا بحشاشة نفسه فتعلق بزورق وصعد اليه من الماء ومضى الى عسكره الى الجانب الشرقى وشق محمد ثيابه عن نفسه وسبح

فوقع نحو العراة الى عسكر قرين الديراني غلام طاهر فأخذه بعض السوّاس حين شم منه رائحة المسك والطيب فاستاذن فيه طاهرا فاتاه الاذن فى الطريق وقد حمل الى طاهر فقتل فى الطريق وهو يصيح انا لله وانا اليه راجعون انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخو المامون والسيوف تأخذه حتى برد وأخذوا رأسه وكانت ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة (وذكر) أحمد بن سلام وقد كان مع الامين فى الحراقة حين اصيب فسبح فقبض عليه بعض أصحاب طاهر واراد قتله فأرغبه فى عشرة آلاف درهم وانه يحملها اليه فى صبيحة تلك الليلة قال فادخلت بيتا مظلما فبينا انا كذلك اذ دخل على رجل عريان عليه سراويل وعمامة متلثما بها وعلى كتفه خرقة فجعلوه معى وتقدموا الى من فى حفظنا فلما استقر فى البيت حسر العمامة عن وجهه فاذا هو محمد فاستعبرت واسترجعت فيما بينى وبين نفسى وجعل ينظر الى ثم قال أيهم أنت قلت انا مولاك ياسيدى فقال وأى الموالى أنت قلت أحمد بن سلام قال وأعرفك بغير هذا كنت تأتيني بالرقة قلت نعم ثم قال يا أحمد قلت لبيك ياسيدى قال ادن منى وضمنى اليك فانى أجد وحشة شديدة قال فضممته الى فاذا قلبه يخفق خفقانا شديدا ثم قال أخبرنى عن أخى المأمون أحى هو قلت له فهذا القتال عمن اذن قال قبحهم الله ثم قال ذكروا انه مات قلت قبح الله وزراءك فهم أوردوك هذا المورد فقال لى يا أحمد ليس هذا موضع عتاب فلا تقل فى وزراءى الا خيرا فما لهم ذنب ولست باول من طلب أمرا فلم يقدر عليه قلت البس ازارك هذا وارم بهذه الخرقة التى عليك فقال يا أحمد من كان حاله مثل حالى فهذه له كثير ثم قال لى يا أحمد ما اشك انهم سيحملونى الى أخى أفترى أخى قاتلى قلت كلا ان الرحم ستعطفه عليك فقال لى هيهات الملك عقيم لا رحم له فقلت له ان أمان هرثمة أمان أخيك قال فلقنته الاستغفار وذكر الله فبينا نحن كذلك اذ فتح باب البيت فدخل علينا رجل عليه سلاح فاطلع فى وجه محمد مستثبتا له فلما اثبته معرفة خرج وأغلق الباب واذا هو محمد الطاهرى قال فعلمت ان الرجل مقتول وقد كان بقى على من صلاتى الوتر فخفت أن اقتل معه ولم أوتر فقمت لاوتر فقال لى يا أحمد لا تبعد منى وصل بقربى فانى اجد وحشة شديدة فدنوت منه فقل ما لبثنا حتى سمعنا حركة الخيل ودق باب الدار ففتح الباب فاذا قوم من العجم بأيديهم السيوف مصلتة فلما أحس بهم محمد قام قائما وقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسى فى سبيل الله أما من حيلة أما من مغيث وجاؤا حتى قاموا على باب البيت الذى نحن فيه وجعل بعضهم يقول تقدم ويدفع بعضهم بعضا فأخذ محمد بيده وسادة وجعل يقول انا ابن عم رسول الله انا ابن هارون الرشيد انا أخو المأمون الله الله فى دمى فدخل عليه رجل منهم مولى لطاهر فضربه ضربة فى مقدم رأسه وضرب محمد وجهه بالوسادة التى كانت فى يده واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده فصاح بالفارسية قتلنى الرجل فدخل منهم جماعة فنخسه أحدهم بسيفه فى خاصرته وكبوه فذبحوه من قفاه وأخذوا رأسه ومضوا به الى طاهر وقد قيل فى كيفية قتله غير هذا وقد اتينا على التنازع فى ذلك فى الكتاب الاوسط وأتى بخادمه كوثر فنصب على باب من ابواب بغداد يعرف بباب الحديد نحو قطربل فى الجانب الغربى الى الظهر ودفنت جثته فى بعض

تلك البساتين ولما وضع رأس الامين بين يدى طاهر قال اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير وحمل الرأس الى خراسان الى المأمون فى منديل والقطن عليه والاطلية فاسترجع المأمون وبكى واشتد تأسفه عليه فقال له الفضل بن سهل الحمد لله يا أمير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة فان محمدا كان يتمنى ان يراك بحيث رأيته فأمر المأمون بنصب الرأس فى صحن الدار على خشبة وأعطى الجند وأمر كل من قبض رزقه ان يلعنه فكان الرجل يقبض ويلعن الرأس فقبض بعض العجم عطاءه فقيل له العن هذا الرأس فقال لعن الله هذا ولعن والديه وأدخلهم فى كذا وكذا من امهاتهم فقيل له لعنت أمير المؤمنين وذلك بحيث يسمعه المأمون منه وتغافل وأمر بحط الرأس وترك ذلك الخلوع وطيب الرأس وجعله فى سفط ورده الى العراق مع جثته ورحم الله أهل بغداد وخلصهم مما كانوا فيه من الحصار والجزع والقتل ورثاه الشعراء وقالت زبيدة أم جعفر

أودى بالفين من لم يترك الناسا * فامنح فؤادك عن مقتولك الباسا
لما رأيت المنايا قد قصدن له * اصبن منه سواد القلب والراسا
فبت متكيا ارعى النجوم له * اخال سنته فى الليل قرطاسا
والموت كان به والهم قارنه * حتى سقاه التى أودى بها الكاسا
رزيته حين باهيت الرجال به * وقد بنيت به للدهر آساسا
فليس من مات مردود لنا ابدا * حتى يرد علينا قبله ناسا

ورثته زوجته لبابة ابنة على بن المهدى ولم يكن دخل بها فقالت

أبكيك لا للنعيم والانس * بل للمعالى والسيف والترس
ابكى على سيد فجعت به * ارملنى قبل ليلة العرس
يا مالكا بالعراق مطرحا * خانته اشراطه مع الحرس

ولما قتل محمد دخل الى زبيدة بعض خدمها فقال ما يجلسك وقد قتل أمير المؤمنين محمد فقالت ويلك وما اصنع فقال تخرجين فتطلبين بثاره كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان فقالت اخسأ لا أم لك ما للنساء وطلب الثار ومنازلة الابطال ثم أمرت بثيابها فسودت ولبست مسحا من شعر ودعت بدواة وقرطاس وكتبت الى المامون

لخير امام قام من خير عنصر * وأفضل راق فوق اعواد منبر
ووارث علم الاولين وفخرهم * وللملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعينى تستهل دموعها * اليك ابن عمى مع جفونى ومحجرى
اصبت بادنى الناس منك قرابة * ومن زال عن كبدى فقل تصبرى
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا * وما طاهر فى فعله بمطهر
فأبرزنى مكشوفة الوجه حاسرا * وانهب اموالى وأخرب ادؤرى
يعز على هارون ما قد لقيته * وما نالنى من ناقص الخلق أعور
فان كان ما اسدى لأمر أمرته * صبرت لأمر من قدير مقدر

فلما قرأ المأمون شعرها بكى ثم قال اللهم انى اقول كما قال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه لما بلغه قتل عثمان والله ما أمرت ولا رضيت اللهم جلل قلب طاهر حزنا (قال المسعودى) وللمخلوع أخبار وسير غير ما ذكرنا قد أتينا عليها فى كتابنا فى أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط والله سبحانه ولى التوفيق

(ذكر خلافة المأمون)

وبويع المأمون عبد الله بن هارون وكنيته أبو جعفر وامه باذغيسية واسمها مراجل وقيل كنيته أبو العباس وهو ابن ثمانى وعشرين سنة وشهرين وتوفى بالبذندون على عين العشيرة وهى عين يخرج منها النهر المعروف بالبديدون وقيل ان اسمها بالرومية أيضا رقة وحمل الى طرسوس فدفن بها على يسار المسجد سنة ثمانى عشرة ومائتين وهو ابن تسع وأربعين سنة فكانت خلافته احدى وعشرين سنة منها أربعة عشر شهرا كان يحارب أخاه محمد بن زبيدة على ما ذكرنا وقيل سنتان وخمسة اشهر وكان أهل خراسان فى تلك الحروب يسلمون عليه بالخلافة ويدعى له على المنابر فى الامصار والحرمين والكور والسهل والجبل مما حواه طاهر وغلب عليه ويسلم على محمد بالخلافة من كان ببغداد خاصة لا غيرها

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

وغلب على المأمون الفضل بن سهل حتى ضايقه فى جارية اراد شراءها فقتله وادعى قوم ان المأمون دس عليه من قتله ثم سلم عليه الوزراء بعد ذلك منهم أحمد بن خالد الاحول وعمرو بن مسعدة وابو عبادة وكل هؤلاء سلم عليهم برسم الوزارة ومات عمرو بن مسعدة سنة سبع عشرة ومائتين فعرض لماله ولم يعرض لمال وزير غيره وغلب على المأمون آخرا الفضل بن مروان ومحمد بن يزداذ وفى خلافته قبض على بن موسى الرضا مسموما بطوس ودفن هنالك وهجا المأمون ابراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة عمه وكان المأمون يظهر التشيع وابن شكله التسنن فقال المأمون

اذا المرجى سرك ان تراه * يموت لحينه من قبل موته
فجدد عنده ذكرى علىّ * وصل على النبىّ وآل بيته

فاجابه ابراهيم رادا عليه

اذا الشيعى جمجم فى مقال * فسرك ان يبوح بذات نفسه
فصل على النبىّ وصاحبيه * وزيريه وجاريه برمسه

ولابراهيم بن المهدى مع المأمون أخبار حسان هى موجودة فى كتاب الاخبار لابراهيم بن المهدى (ودخل) أبو دلف القاسم بن عيسى العجلىّ على المأمون فقال له يا قاسم ما أحسن ابياتك فى صفة الحرب واذا ذلك بها وزهدك فى المغنيات قال يا أمير المؤمنين أى ابيات هى قال قولك

لسل السيوف وشق الصفوف * ونقض التراب وضرب القلل

قال ثم ماذا يا قاسم قال

ولبس العجاجة والخافقات * تريك المنايا برؤس القنل
وقد كشفت عن سناها هنالك * كأن عليهم شروق الطفل
خروس تطوق اذا استنطقت * جهول يطيش على من جهل
اذا خطبت أخذت مهرها * وزير السعافظ بين القلل
الذ وأشهى من المسمعات * وشرب المدامة فى يوم طل
انا ابن الحسام وترب الصفاح * وترب المنون وترب الاجل

ثم قال يا أمير المؤمنين هذه لذتى مع اعدائك وقوتى مع أوليائك ويدى معك وأنى استلذ مستلذ شيأ من يد المعاقرة ملت الى المقادمة والمحاربة قال يا قاسم اذا كان هذا النمط من الاشعار شأنك واللذة لذتك فاذا تركت للوسنان مما خلقت واظهرت له من قليل ما سترت قال يا أمير المؤمنين وأى اشعارى قال حيث تقول

أيها الراقد المؤرق عينى * نم هنيئا لك الرقاد اللذيذ
علم الله ان قلبى مما * قد جنت وجنتاك فيه وقيذ

قال يا أمير المؤمنين سهرة بعد سهرة غلبت وذلك متقدم وهذا ظن متأخر قال يا قاسم ما أحسن ما قال صاحب هذين البيتين

أذم لك الايام فى ذات بيننا * وما لليالى فى الذى بيننا عذر
اذا لم يكن بين المحبين زورة * سوى ذكر شئ قد مضى درس الفكر

فقال أبو دلف ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين هذا السيد الهاشمى والملك العباسى قال وكيف اذتك الفطنة ولم تداخلك الظنة حتى تحققت الى صاحبهما ولم يداخلك الشك فيهما قال يا أمير المؤمنين انما الشعر بساط صوف فمن خلط الشعر بنقى الصوف ظهر رونقه عند تسنيف ونار ضوءه عند التأليف وكان المأمون يقول يغتفر كل شئ الا القدح فى الملك وافشاء السر والتعريض للحرم وقال المأمون أخر الحرب ما استطعت فان لم تجد منها بدا فاجعلها فى آخر النهار وذكر انه من كلام انوشروان وكان المأمون يقول اعيت الحيلة فى الأمر اذا اقبل ان يدبر واذا أدبر أن يقبل ولما تأتى الملك للمأمون قال هذا جسيم لولا انه عديم وهذا ملك لولا ان بعده هلك وهذا سرور لولا انه غرور وهذا يوم لو كان يوثق بعده وكان المأمون يقول البشر منظر مونق وخلق مشرق وزارع للقلوب ومحل مألوف وفضل منتشر وثناء بسط وتحف الاحرار وذرع رحيب وأول الحسنات وذريعة الى الجاه وأحمد للشيم وباب لرضى العامة ومفتاح لمحبة القلوب وكان المأمون يقول سادة الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الآخرة الانبياء وان الرزق الواسع لمن لا يسمع منه بمنزلة طعام على خراب النحل لو كان طريا ما سلكته ولو كان قيصا ما لبسته (وحضر) المأمون املاكا لبعض أهل بيته فسأله من حضر ان يخطب فقال الحمد لله المحمود الله والصلاة على المصطفى رسول الله وخير ما عمل به كتاب الله قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ولو لم يكن فى المناكحة آية محكمة ولا سنة متبعة الا ما جعل الله وذلك من تأليف البعيد والقريب لسارع اليه

الموفق المصيب وباد واليه العاقل المحب وفلان من قد عرفتموه في نسب لم تجهلوه خطب اليكم فتاتكم فلانة وبذل من الصداق كذا وكذا فشفعوا شافعنا وانكحوا خاطبنا وقولوا خيرا تحمدوا عليه وتوجروا واقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم (وذكر) ثمامة بن اشرس قال كنا يوما عند المأمون فدخل يحيى بن اكثم وكان قد ثقل عليه موضعي منه فتذاكرنا شيأ من الفقه فقال يحيى في مسئلة دارت هذا قول عمر بن الخطاب وعبد الله ابن مسعود وابن عمر وجابر قلت أخطأوا كلهم واغفلوا وجه الدلالة فاستعظم مني ذلك وأكبره وقال يا أمير المؤمنين ان هذا يخطئ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم فقال المأمون سبحان الله اكذا يا ثمامة قلت يا أمير المؤمنين ان هذا لا يبالي ما قال ولا ما شنع به ثم اقبلت عليه فقلت ألست تزعم ان الحق في واحد عند الله عز وجل قال نعم قلت فزعمت ان تسعة اخطأوا وأصاب العاشر وقلت انا اخطأ العاشر فما انكرت قال فنظر المأمون الي وتبسم وقال لم يعلم أبو محمد انك تجيب هذا الجواب قال يحيى وكيف ذلك قلت ألست تقول ان الحق في واحد قال بلى قلت فهل يخلي الله عز وجل هذا الحق من قائل يقول به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قلت أفليس من يخالفه ولم يقل به فقد أخطأ عندك الحق قال نعم قلت وقد دخلت فيما عبت وقلت بما انكرت وبه شنعت وانا أوضح دلالة منك لاني خطأتهم في الظاهر وكل مصيب عند الله الحق وانما خطأتهم عند الخلاف وأدتني الدلالة الى قول بعضهم فخطأت من خالفني وأنت خطأت من خالفك في الظاهر وعند الله عز وجل (وقدم) وفد الكوفة الى بغداد فوقفوا للمأمون فاعرض عنهم فقال شيخ منهم يا أمير المؤمنين يدك احق يد بتقبيل لعلوها في المكارم وبعدها من المآثم وأنت يوسفي العفو في قلة التثريب من ارادك بسوء جعله الله حصيد سيفك وطريد خوفك وذليل دولتك فقال يا عمرو نعم الخطيب خطيبهم اقض حوائجهم (وذكر ثمامة) ابن اشرس قال بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب الى قول ماني و يقول بالنور والظلمة من أهل البصرة فأمر بحملهم اليه بعد ان سموا واحدا واحدا فلما جمعوا نظر اليهم طفيلي فقال ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع فدخل في وسطهم ومضى معهم ولا يعلم بشأنهم حتى صار بهم الموكلون الى السفينة فقال الطفيلي نزهة لا شك فيها فدخل معهم السفينة فما كان باسرع من ان جيء بالقيود فقيد القوم والطفيلي معهم فقال الطفيلي بلغ من تطفيلي الى القيود ثم أقبل على الشيوخ فقال فديتكم ايش أنتم قالوا بل ايش أنت ومن أنت من اخواننا قال والله ما ادري غير اني رجل طفيلي خرجت في هذا اليوم من منزلي فلقيتكم فرأيت منظرا جميلا وعوارض حسنة وبزة ونعمة فقلت شيوخ وكهول وشباب جمعوا لوليمة فدخلت في وسطكم وحاذيت بعضكم كاني في جملة أحدكم فصرتم الى هذا الزورق فرأيته قد فرش بهذا الفرش ومهد ورأيت سفرا مملوءة وجربا وسلالا فقلت نزهة يمضون اليها الى بعض القصور والبساتين ان هذا اليوم مبارك فابتهجت سرورا اذ جاء هذا الموكل بكم فقيدكم وقيدني معكم فورد علي ما قد ازال عقلي فأخبروني ما الخبر فضحكوا منه وتبسموا وفرحوا به وسروا ثم قالوا الآن قد حصلت في الاحصاء وأوثقت في الحديد وأما نحن فمانية نغمز بنا الى المأمون وسندخل

اليه ويسائلناعن أحوالنا ويستكشفنا عن مذهبنا ويدعونا الى التوبة والرجوع عنه بامتحاننا بضروب من المحن منها اظهار صورة ماني لنا ويأمرنا ان نتفل عليها ونتبرأ منها ويأمرنا بذبح طائر ماء وهو الدرج فمن أجابه الى ذلك نجا ومن تخلف عنه قتل فاذا دعيت وامتحنت فأخبر عن نفسك واعتقادك على حسب ماتؤديك الدلالة الى القول به وأنت زعمت انك طفيلي والطفيلي يكون معه مداخلات وأخبار فاقطع سفرنا هذا الى مدينة بغداد بشئ من الحديث وأيام الناس فلما وصلوا الى بغداد وادخلوا على المأمون جعل يدعو باسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه فيخبره بالاسلام فيمتحنه ويدعوه الى البراءة من ماني ويظهر له صورته ويأمره ان يتفل عليها والبراءة منها وغير ذلك فيأبون فيمرهم على السيف حتى بلغ الى الطفيلي بعد فراغه من العشرة وقد استوعبوا عدة القوم فقال المأمون للموكلين من هذا قالوا والله ماندرى غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المأمون ماخبرك قال يا أمير المؤمنين امرأتى طالق أن كنت اعرف من اقوالهم شيأ وأنما انا رجل طفيلي وقص عليه خبره من أوله الى اخره فضحك المأمون ثم أظهر له الصورة فلعنها وتبرأ منها وقال أعطونيها حتى اسلح عليها والله ماادرى ما ماني ايهوديا كان أم مسلما فقال المأمون يؤدب على فرط تطفله ومخاطرته بنفسه (وكان) ابراهيم بن المهدى قائما بين يدى المأمون فقال يا أمير المؤمنين هب لى ذنبه واحدثك بحديث عجيب فى التطفيل عن نفسى قال قل يا ابراهيم قال يا أمير المؤمنين خرجت يوما فمررت فى سكك بغداد متطرفا حتى انتهيت الى موضع فشممت رائحة أبازير من جناح فى دار عالية وقدور قد فاح قتارها فتاقت نفسى اليها فوقفت على خياط فقلت لمن هذه الدار فقال لرجل من التجار من البزازين قلت مااسمه قال فلان بن فلان فرفعت طرفى الى الجناح فاذا فيه شباك فنظرت الى كف قد خرج من الشباك ومعصم مارأيت أحسن منهما قط فشغلنى يا أمير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور فبقيت باهتا قد ذهل عقلى ثم قلت للخياط هو ممن يشرب النبيذ قال نعم وأحسب ان عنده اليوم دعوة ولا ينادم الا تجارا امثاله فأنا كذلك اذ اقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال لى الخياط هذان منادمانه قلت مااسماهما وما كناهما فقال فلان وفلان فحركت دابتى حتى دخلت بينهما وقلت جعلت فداكما قد استبطأكما أبو فلان اعزه الله وسايرتهما حتى انتهينا الى الباب فقدمانى فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب المنزل لم يشك الا انى منهما بسبيل فرحب واجلسنى فى أجل موضع فجئ يا أمير المؤمنين بالمائدة وعليها خبز نظيف وأتينا بتلك الالوان فكان طعمها اطيب من رائحتها فقلت فى نفسى هذه الالوان قد اكلتها وبقى الكف والمعصم ثم رفع الطعام فغسلنا أيدينا ثم صرنا الى مجلس المنادمة فاذا انبل مجلس وأجل فرش وجعل صاحب المجلس يلطفنى ويقبل علىّ بالحديث والرجلان لا يشكان انه منى بسبيل وأنما كان ذلك الفعل منه بى لما ظن انى منهما بسبيل حتى اذا شربنا اقداحا خرجت علينا جارية تتثنى كأنها غصن بان فسلمت غير خجلة وهيئت لها وسادة وأتى بعود فوضع فى حجرها فجسته فتبينت الحذق فى جسها ثم اندفعت تغنى

توهمها طرفى فآلم خدها * فصار مكان الوهم من نظرى أثر

وصافحها

وصافحها كفي فآلم كفها * فمن لمس كفي في أناملها عقر
ومرت بقلبي خاطرا فجرحتها * ولم أر شيأ قط يجرحه الفكر

فهيجت والله يا أمير المؤمنين على بلابلي وطربت لحسن غنائها وحذقها ثم اندفعت تغني

اشرت اليها هل علمت مودتي * فردت بطرف العين انى على العهد
فحدت عن الاظهار عمدا لسرها * وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت السلاح وجاءني من الطرب مالا املك معه النفس ولا الصبر واندفعت تغني

اليس عجيبا ان بيتا يضمني * واياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى اعين تشكو الهوى بجفونها * وترجيع أحشاء على النار تضرم
اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير اجفان وكف يسلم

فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء واصابتها معنى الشعر وانها لم تخرج من الفن الذى ابتدأته فقلت بقي عليك يا جارية شيء فغضبت وضربت بعودها الارض ثم قالت متى كنتم تحضرون مجالس البغضاء فندمت على ما كان مني ورأيت القوم قد تغيروا فقلت أليس ثم عود قالوا بلى يا سيدنا فاتيت بعود فاصلحت من شأنه ما اردت واندفعت اغني

ما للمنازل لا يجبن حزينا * اصممن أم بعد المدى فبلينا
راحوا العشية روحة مذكورة * ان متن متن وان حيين حيينا

فما استتممته جيدا حتى خرجت الجارية فأكبت على رجلي تقبلها وهي تقول المعذرة والله لك يا سيدي فما سمعت من يغني هذا الصوت مثلك وقام مولاها وكل من كان عنده فصنعوا كصنعها وطرب القوم واستحثوا الشرب فشربوا بالطاسات ثم اندفعت اغني

ابالله هل تمسين لا تذكرينني * وقد سجمت عيناى من ذكرك الدما
الى الله اشكو بخلها وسماحتي * لها عسل مني وتبدل علقما
فردى مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما
الى الله اشكو أنها اجنبية * وانى لها بالود ماعشت مكرما

فجاء من طرب القوم يا أمير المؤمنين ماخشيت ان يخرجوا من عقولهم فامسكت ساعة حتى اذا هدأ القوم اندفعت اغني الثالثة

هذا محبك مطوى على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده
يا من رأى كلفا مستهترا اسفا * كانت منيته في عينه ويده

فجعلت الجارية يا أمير المؤمنين تصيح السلاح هذا والله الغناء يا مولاى وسكر القوم وخرجوا من عقولهم وكان صاحب المنزل جيد الشراب ونديما دونه فأمر غلمانه مع غلمانهم بحفظهم وصرفهم الى منازلهم وخلوت معه فشربنا اقداحا ثم قال يا سيدى ذهب والله ماخلا من أيامي باطلا اذ كنت لا اعرفك فمن أنت يا مولاى ولم يزل يلح على حتى اخبرته فقبل رأسى وقال يا سيدى وانى اعجب ان يكون هذا الادب الا لمثلك واذا انا منذ اليوم مع الخلافة

ولا اعلم وسألني عن قصتي وكيف حملت نفسي على ما فعلته فاخبرته خبر الطعام والكف والمعصم فقال يا فلانة لجارية له قولي لفلانة تنزل فجعل ينزل الى جواريه واحدة واحدة فأنظر الى كفها واقول ليس هي حتى قال والله ما بقي غير أمي واختي ولا انزلنهما اليك فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت له جعلت فداك ابدأ بالاخت قبل الام فعسى ان تكون صاحبتي فقال صدقت ففعل فلما رأيت كفها ومعصمها قلت هي هي جعلت فداك فأمر غلمانه من فوره فصاروا الى عشرة مشايخ من جلة جيرانهم فاحضروا وجيء ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم ثم قال هذه اختي فلانة وانا أشهدكم اني قد زوجتها من سيدي ابراهيم بن المهدي وامهرتها عنه عشرون ألف درهم فرضيت وقبلت النكاح ودفعت اليها البدرة الواحدة وفرقت الاخرى على المشايخ وقلت لهم اعذروا بهذا الذي حضر في الوقت فقبضوها وانصرفوا ثم قال يا سيدي امهد لك بعض البيوت تنام مع اهلك فاحشمني والله يا أمير المؤمنين ما رأيت من كرمه وسعة صدره فقلت بل احضر عمارية واحملها الى منزلي فقال افعل ما شئت فاحضرت عمارية وحملتها الى منزلي فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل الي من الجهاز ما ضاق عنه بعض دوري فتعجب المأمون من كرم ذلك الرجل واطلق الطفيلي واجازه بجائزة حسنة وأمر ابراهيم باحضار ذلك الرجل فصار بعد من خواص المأمون وأهل مودته ولم يزل معه على افضل الاحوال السارة في المنادمة وغيرها (وذكر) المبرد وثعلب قالا كان كلثوم العتابي واقفا بباب المأمون فجاء يحيى بن اكثم فقال له العتابي ان رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بمكاني قال لست بحاجب قال قد علمت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بي غير طريقي قال ان الله قد أتحفك بجاه ونعمة منه فهما مقيمان عليك بالزيادة ان شكرت وبالتقتير ان كفرت وأنا لك اليوم خير منك لنفسك ادعوك لما فيه زيادة نعمتك وأنت تأبى ذلك ولكل شيء زكاة وزكاة الجاه بذله للمستعين فدخل يحيى فأخبر المأمون بالخبر فادخل اليه العتابي وفي المجلس اسحاق بن ابراهيم الموصلي فأمره بالجلوس واقبل يسأله عن احواله وشأنه فيجيبه بلسان ناطق فاستظرفه المأمون وأخذ في مداعبته فظن الشيخ انه قد استخف به فقال يا أمير المؤمنين الايناس قبل الابساس فاشتبه عليه قوله فنظر الى اسحاق ثم قال نعم ألف دينار فاتي بها فوضعت بين يدي العتابي ثم دعا الى المفاوضة واغرى المأمون اسحاق بالعبث به فاقبل اسحاق يعارضه في كل باب يذكره ويزيد عليه فعجب منه وهو لا يعلم أنه اسحاق ثم قال اياذن أمير المؤمنين في مسئلة هذا الرجل عن اسمه ونسبه فقال العتابي من أنت وما اسمك قال انا من الناس واسمي كل بصل فقال له العتابي أما النسبة فقد عرفت وأما الاسم فنكر وما كل بصل من الاسماء فقال له اسحاق ما أقل انصافك وما كلثوم والبصل اطيب من الثوم قال العتابي قاتلك الله ما احلاك ما رأيت كالرجل حلاوة افياذن أمير المؤمنين في صلته بما وصلني به فقد والله غلبني فقال له المأمون بل ذلك موفر عليك ونامر له بمثله فانصرف اسحاق الى منزله ونادمه بقية يومه وكان العتابي من أرض جند قنسرين والعواصم وسكن الرقة من ديار مصر وكان من العلم والقراءة والادب والمعرفة والترسل وحسن النظم للكلام

وكثرة الحفظ وحسن الاشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان وملوكية المجالسة وبراعة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ وصحة القريحة على ما لم يكن كثير من الناس في عصره مثله * وذكر انه قال كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه وجليسه كله وقال في ذلك شعرا فقال

لسان الفتى كاتبه * ووجه الفتى حاجبه
وندمانه كله * وكل له واجبه

وذكر عنه انه قال اذا وليت عملا فانظر من كاتبك فانما يعرف مقدارك من بعد عنك بكاتبك واستعقل حاجبك فانما يقضي عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك واستكرم واستطرب جليسك ونديمك فانما يؤذن للرجل بمن معه (وقد فاخر) كاتب نديما فقال الكاتب انا معونة وأنت مؤنة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا للشدة وأنت للذة وأنا للحرب وأنت للسلم فقال النديم أنا للنعمة وأنت للنقمة وأنا للحظوة وأنت للمهنة وتقوم وأجلس وتحتشم وأنا مؤنس تدأب لحاجتي وتشقى بما فيه سعادتي وأنا شريك وأنت معين وأنا تابع وأنت قرين وانما سميت نديما للندم على مفارقتي * وللعتابي أخبار حسان وتصنيفات ملاح في ذكرها خروج عما اليه قصدنا ونحوه يممنا وانما ذكرنا عنه هذه الفصول لتغلغل الكلام بنا اليها وتشعبه نحوها (وحكى) الجوهري عن العتبي عن عياش الزبدي قال رفع رجل قصة الى المأمون وسأله أن يأذن له في الدخول عليه والاستماع منه فأذن له فدخل فسلم فقال له المأمون تكلم بحاجتك قال أخبر أمير المؤمنين ان مصائب الدهر وأعاجيب الايام قصدتني فأخذت مني ما كانت الدنيا اعطتني فلم تبق لي ضيعة الا خربت ولا نهر الا أبيد ولا منزل الا تهدم ولا مال الا ذهب وقد اصبحت لا املك سبدا ولا لبدا وعلي دين كثير ولي عيال اطفال وصبية صغار وأنا شيخ كبير قد قعدت بي المطالب وكبرت عن المكاسب وبي حاجة الى نظر أمير المؤمنين وعطفه قال فبينما هو في الكلام اذ ضرط فقال وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدهر ومحنته ولا والله ما ظهر مني قط الا في موضعه فقال المأمون لجلسائه ما رأيت قط اقوى قلبا ولا اربط جأشا ولا اشد نفسا من هذا الرجل ثم أمر له بخمسين ألف درهم * قال أبو العتاهية وجه الي المأمون يوما فصرت اليه فألفيته مطرقا متفكرا مغموما فأحجمت فاطرق مليا ثم رفع رأسه فقال يا اسماعيل شأن النفس الملال وحب الاستطراف والانس بالوحدة كما تأنس بالالف قلت أجل يا أمير المؤمنين ولي من هذا بيت شعر قال وما هو قلت

لا تصلح النفس اذ كانت مطرفة * الا التنقل من حال الى حال

قال أحسنت زدني فقلت لا اقدر على ذلك وآنسته بقية يومه وأمر لي بمال فانصرفت (ويحكى) أن المأمون أمر بعض خواصه من خدمه ان يخرج فلا يرى احدا في الطريق الا أتى به كائنا من كان من رفيع أو خسيس فأتاه برجل من العامة فدخل وعنده المعتصم أخوه ويحيى بن اكثم ومحمد بن عمر الرومي وقد طبخ كل واحد منهم قدرا فقال محمد بن ابراهيم الطاهري هؤلاء من خواص أمير المؤمنين فاجبهم عما يسألون فقال المأمون الى

أين خرجت فى هذا الوقت وقد بقى عليك من الليل ثلاث ساعات فقال غرتنى القمر وسمعت تكبيرا فلم اشك انه اذان فقال له المأمون اجلس فجلس فقال له المأمون قد طبخ كل واحد منا قدرا هو ذايقته الساعة من كل واحد منها قدرا فأخبرعن فضائلها وما ترى من طيبها فقال هاتوا فقدمت فى طبق كبير كلها موضوعة عليه لا يميز بينها ولكل واحدة من طبخها علامة فبدأ فذاق قدرا طبخها المأمون فقال زه واكل منها ثلاث لقمات وقال أما هذه فكأنها مسكة وطباخها حكيم نظيف ظريف مليح ثم ذاق قدر المعتصم فقال هذه والله فكأنها والاولى من يد واحدة خرجتا وبحكمة طبختا ثم ذاق قدر عمر الرومى فقال وهذه قدر طباخ ابن طباخ بياد ما احكمه ثم ذاق قدر يحيى بن اكثم فأعرض بوجهه وقال شبه هذه والله جعل طباخها فيها مكان بصلها خرا فضحك القوم وذهب بهم الضحك وتعديه عاداتهم ويطايبهم ويلهى وطابواسعه فلما برق الفجر قال له المأمون لا يخرجن منك ما كافيه وعلم انه علم بهم فوصله باربعة آلاف دينار وقسط له على أصحاب القدور وقال اياك ان تعود الى الخروج فى مثل هذا الوقت مرة اخرى فقال لا اعدمكم الله الطبيخ ولا اعدمنى الخروج فسألوه من تجارته وعرفوا منزله وجعل فى خدمة المأمون وخدمة الجميع وصار فى جملتهم (وحدث) أبو عباد الكاتب وكان خاصا بالمأمون قال قال لى المأمون ما اعيانى الاجواب ثلاثة انفس صرت الى أم ذى الرياستين اعزيها عنه فقلت لا تأسى عليه ولا تحزنى لفقده فان الله قد اخلف عليك منى ولدا يقوم لك مقامه فهو ما كنت تنبسطين اليه فيه فلا تنقبضين عنى منه فبكت ثم قالت يا أمير المؤمنين وكيف لا احزن على ولدا كسبنى ولدا مثلك واتيت برجل قد تنبأ فقلت له من أنت قال موسى بن عمران عليه السلام فقلت ويحك ان موسى بن عمران عليه السلام كانت له آيات ودلالات بان بها أمره القى عصاه فابتلعت كيد السحرة ومنها اخراجه يده من جيبه وهى بيضاء وجعلت اعدد عليه ما أتى به موسى بن عمران عليه السلام من دلائل النبوة وقلت له لو اتيتنى بشىء واحد من علاماته أو آية من آياته كنت أول من آمن بك والا قتلتك فقال صدقت الا انى اتيت بهذه العلامات لما قال فرعون أنا ربكم الاعلى فان قلت أنت كذلك اتيتك من العلامات بمثل ما أتيته به والثالثة ان أهل الكوفة اجتمعوا يشكون عاملا كنت أحمد مذهبه وأرتضى سيرته فوجهت اليهم انى اعلم سيرة هذا الرجل وأنا عازم على القعود لكم فى غداة غد فاختاروا رجلا يتولى المناظرة عنكم فانا اعلم بكثرة كلامكم فقالوا ما فينا من نرتضيه لمناظرة أمير المؤمنين الا رجل اطروش فان صبر أمير المؤمنين عليه تفضل بذلك فوعدتهم الصبر عليه وحضروا من الغد فأمرت بالرجال فدخلوا والاطروش فلما مثل بين يدى امرته بالجلوس ثم قلت له ما تشكو من عاملكم فقال يا أمير المؤمنين هو شر عامل فى الارض أما فى أول سنة ولينا فانا بعنا أثاثنا وعقارنا وفى السنة الثانية بعنا ضياعنا وذخائرنا وفى السنة الثالثة خرجنا عن بلدنا فاستغثنا بأمير المؤمنين ليرحم شكوانا ويتطول علينا بالامر بصرفه عنا فقلت له كذبت لا ام لك بل هو رجل احمدت سيرته ومذهبه وارتضيت دينه وطريقته واخترته لكم لمعرفتى بكثرة سخطكم على عمالكم قال يا أمير المؤمنين صدقت وكذبت أنا ولكن هذا العامل الذى

ارتضيت دينه وأمانته وعدله وانصافه كيف خصصتنا به هذه السنين دون البلاد حتى يشملهم من انصافه وعدله مثل الذى شملنا فقلت له قم فى غير حفظ الله فقد عزلته عنكم * وكان يحيى ابن اكثم يقول كان المأمون يجلس للمناظرة فى الفقه يوم الثلاثاء فاذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات ادخلوا حجرة مفروشة وقيل لهم انزعوا اخفافكم ثم احضرت الموائد وقيل لهم اصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء ومن خفه ضيق فلينزعه ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها فاذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنون منه ويناظرهم أحسن مناظرة وانصفها وابعدها من مناظرة المتجبرين فلا يزالون كذلك الى ان تزول الشمس ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون قال فانه يوما لجالس اذ دخل عليه على بن صالح الحاجب فقال ياأمير المؤمنين رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة ويطلب الدخول للمناظرة فقلت انه بعض الصوفية فاردت بان اشير ان لا يؤذن له فبدأ المأمون فقال ائذن له فدخل عليه رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله فى يده فوقف على طرف البساط فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال له المأمون وعليك السلام فقال اتأذن فى الدنو منك قال ادن فدنا ثم قال اجلس فجلس ثم قال اتاذن فى كلامك فقال تكلم بما تعلم ان الله فيه رضى قال أخبرنى عن هذا المجلس الذى أنت قد جلسته اباجتماع من المسلمين عليك ورضى منك أم بالمغالبة لهم بالقوة عليهم بسلطانك قال لم اجلسه باجتماع منهم ولا بمغالبة لهم وانما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلى أحمده المسلمون اما على رضى واما على كره فعقد لى ولآخر معى ولاية هذا الأمر بعده فى اعناق من حضره من المسلمين فأخذ على من حضر بيت الله الحرام من الحاج البيعة لى ولآخر معى فاعطوا ذلك اما طائعين واما كارهين فمضى الذى عقد له معى على هذا السبيل التى مضى عليها فلما صار الى علمت انى أحتاج الى اجتماع كلمة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها على الرضى ثم نظرت فرأيت أنى متى تخليت عن المسلمين اضطرب حبل الاسلام وانتقضت اطرافه وغلب الهرج والفتنة ووقع التنازع فتعطلت احكام الله سبحانه وتعالى ولم يحج أحد بيته ولم يجاهد فى سبيله ولم يكن له سلطان يجمعهم ويسوسهم وانقطعت السبل ولم يؤخذ لمظلوم من ظالم فقمت بهذا الأمر حياطة للمسلمين ومجاهدا لعدوهم وضابطا لسبلهم وآخذا على أيديهم الى أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم عليه على الرضى به فاسلم الأمر اليه واكون كرجل من المسلمين وأنت أيها الرجل رسولى الى جماعة المسلمين فمتى اجتمعوا على رجل ورضوا به خرجت اليه من هذا الأمر فقال السلام عليكم ورحمة الله وقام فأمر المأمون على بن صالح بان ينفذ فى طلبه من يعرف مقصده ففعل ذلك ثم رجع وقال وجهت ياأمير المؤمنين الى مسجد فيه خمسة عشر رجلا فقالوا له لقيت الرجل فقال نعم قالوا فما قال لك قال ما قال لى الاخيرا ذكر أنه ناظر فى أمور المسلمين الى ان تأمن سبلهم ويقوم بالحج والجهاد فى سبيل الله ويأخذ للمظلوم من الظالم ولا يعطل الاحكام فاذا رضى المسلمون برجل سلم الأمر اليه وخرج اليه منه قالوا ما نرى بهذا باسا وافترقوا فاقبل المأمون على يحيى فقال كفينا مؤنة هؤلاء بايسر الخطب فقلت الحمد لله

الذى اهملت يا أمير المؤمنين الصواب والسداد فى القول (قال المسعودى) وكان يحيى قد ولى قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه و بين المأمون فرفع الى المامون انه افسد أولادهم بكثرة لواطه فقال المأمون لو طعنوا عليه فى احكامه قبل ذلك منهم قالوا يا أمير المؤمنين قد ظهرت منه الفواحش وار تكاب الكبائر واستفاض ذلك عنه وهو القائل يا أمير المؤمنين فى صفة الغلمان وطبقاتهم ومراتبهم فى أوصافهم فقال المامون وما الذى قال قد فعت اليه القصة فيها جل ما رمى به وحكى عنه فى هذا المعنى وهو قوله

أربعة تفتن الحاظهم * فعين من يعشقهم ساهره
فواحد دنياه فى وجهه * منافق ليست له آخره
وآخر دنياه مقبوحة * من خلفه آخرة وافره
وثالث قد حاز كلتيهما * قد جمع الدنيا مع الآخره
ورابع قد ضاع ما بينهم * ليست له دنيا ولا آخره

فانكر المامون ذلك فى الوقت واستعظمه وقال أيكم سمع هذا منه قالوا هذا مستفاض من قوله فينا يا أمير المؤمنين فامر باخراجهم عنه وعزل يحيى عنهم وفى يحيى وما كان عليه بالبصرة يقول ابن أبى نعيم

ياليت يحيى لم يلده اكثمه * ولم تطأ أرض العراق قدمه
ألوط قاض فى العراق نعلمه * أى دواة لم يلقها قلمه
وأى شعب لم يلجه ارقمه

وضرب الدهر ضربانه فاتصل يحيى بالمامون ونادمه ورخص له فى امور كثيرة فقال له يوما يا أبا محمد من الذى يقول

قاض يرى الحد فى الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس

قال ذلك ابن ابى نعيم يا أمير المؤمنين وهو القائل

أميرنا يرتشى وحاكمنا * يلوط والرأس شر ما رأس
قاض يرى الحد فى الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس
ما أحسب الجور ينقضى وعلى الامة وال من آل عباس

فاطرق المامون خجلا ساعة ثم رفع رأسه وقال ينفى ابن أبى نعيم الى السند * وكان يحيى اذا ركب مع المأمون فى سفر ركب معه بمنطقة وقباء وسيف بمعاليق وساسية واذا كان الشتاء ركب فى اقبية الخز وقلانس السمور والسروج المكشوفة وبلغ من اذاعته وتجاهرته باللواط ان المامون أمره ان يفرض لنفسه فرضا يركبون بركوبه ويتصرفون فى اموره ففرض أربعمائة غلام مردا اختارهم حسان الوجوه فافتضح بهم وقال فى ذلك راشد بن اسحاق يذكر ما كان من أمر يحيى فى الفرض

خليلى انظرا متعجبين * لاظرف منظر مقلته عينى
لفرض ليس يقبل فيه الا * اسيل الخد حلو المقلتين
والا كل أشقر اكثمى * قليل نبات شعر العارضين

يقدم دون موقف صاحبيه * يشد بجاله ويقيم ذين
يقودهم الى الهيجاء فاش * شديد الطعن بالرمح الرديني
اذا شهد الوغى منهم شجاع * تجدل لليمين ولليدين
يقودهم على علم وحلم * ليوم سلامة لا يوم حين
وصار الشيخ منصبا عليه * بصرعه يجوز الركبتين
يقادرهم الى الاذقان صرعى * وكلهم جريح الخصيتين

وفيه يقول راشد أيضا

وكنا نرتجي ان نرى العدل ظاهرا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * وقاضي قضاة المسلمين يلوط

وكان يحيى بن اكثم بن عمرو بن أبي رباح من أهل خراسان من مدينة مرو وكان رجلا من بني تميم وسخط عليه المأمون في سنة خمس عشرة ومائتين وذلك بمصر وبعث به الى العراق مغضوبا عليه وله مصنفات في الفقه وفي فروعه واصوله وكتاب أورده على العراقيين سماه بكتاب التنبيه وبينه وبين أبي سليمان أحمد بن أبي دواد بن علي مناظرات كثيرة وفي خلافة المأمون كانت وفاة أبي عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف الشافعي في رجب ليلة الجمعة وذلك سنة أربع ومائتين ودفن صبيحة الليلة وهو ابن أربع وخمسين سنة وصلى عليه السري ابن الحكم أمير مصر يومئذ كذلك ذكر عكرمة بن محمد بن بشر عن الربيع بن سليمان المؤذن وذكر أيضا محمد بن سفيان بن سعيد المؤذن وغيرهما عن الربيع بن سليمان مثل ذلك ودفن الشافعي بمصر نحو قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم وبين قبورهم وعند رأسه عمود من الحجر كبير وكذلك عند رجليه وعلى العالي الذي عند رأسه حفر قد كتب فيه في ذلك الحجر هذا قبر محمد بن ادريس الشافعي أمين الله وما ذكرنا فشهور بمصر والشافعي يتفق نسبه مع بني هاشم وبني امية في عبد مناف لانه من ولد المطلب بن عبد مناف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن وبنو المطلب كهاتين واشار باصبعيه مضمومتين وقد كانت قريش حاصرت بني المطلب مع بني هاشم في الشعب (وحدثني) فقير بن مسكين عن المزني بهذا وكان فقير يحدث عن المزني وكان سماعنا من فقير بن مسكين بمدينة اسوان بصعيد مصر قال قال المزني دخلت على الشافعي غداة وفاته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال اصبحت من الدنيا راحلا ولاخواني مفارقا وبكاس المنية شاربا ولا ادري الى الجنة تصير روحي فاهنيها ام الى النار فأعزيها وأنشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك اعظما

وفي هذه السنة التي مات فيها الشافعي وهي سنة أربع ومائتين مات أبو داود سليمان بن داود الطيالسي وهو ابن احدى وتسعين سنة وفيها مات هشام بن محمد الكلبي (وادعى) رجل النبوة بالبصرة أيام المأمون فحمل اليه موثقا بالحديد فمثل بين يديه فقال أنت نبي

من سل قال أما الساعة فانا موثق قال و يلك من جرّك قال ابهذا تخاطب الانبياء أما والله لولا انى موثق لامرت جبريل ان يدمدمها عليكم قال له المأمون والموثق لايجاب له دعوة قال الانبياء خاصة اذا قيدت لاترتفع دعاؤها فضحك المأمون وقال من قيدك قال هذا الذى بين يديك قال فنحن نطلقك وتأمر جبريل ان يدمدمها فان اطاعك آمنا بك وصدقنا لك فقال صدق الله اذ يقول فلايؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ان شئت فافعل فامر باطلاقه فلما وجد راحة العافية قال يا جبريل ومد بها صوته ابعثوا من شئتم فليس بينى و بينكم الآن خير غيرى يملك الاموال وأنا لاشئ معى مايذهب لكم الا السجان فأمر باطلاقه والاحسان اليه (وحدث) ثمامة بن اشرس قال شهدت مجلسا للمامون وقد أتى برجل ادّعى أنه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ماسمعت بأجرأ على الله من هذا قلت ان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لى فى كلامه قال شأنك وأياه قلت ياهذا ان ابراهيم عليه السلام كانت له براهين قال ومابراهينه قلت اضرمت له النار وألقى فيها فكانت عليه برداوسلاما فنحن نضرم لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك برداوسلاما كما كانت عليه آمنا بك وصدقناك قال هات ماهو ألين علىّ من هذا قلت فبراهين موسى عليه السلام قال وماهى قلت ألقى العصا فاذاهى حية تسعى تلقف مايأفكون وضرب بها البحر فانفلق وبياض يده من غير سوء قال هذا اصعب ولكن هات ماهو ألين من هذا قلت فبراهين عيسى عليه السلام قال ومابراهينه قلت احياء الموتى فقطع الكلام فى براهين عيسى وقال جئت بالطامة الكبرى دعنى من براهين هذا قلت فلابدّ من براهين قال ماهى من هذا شئ قلت لجبريل انكم توجهونى الى شياطين فاعطونى حجة اذهب بها والالم اذهب فغضب جبريل عليه السلام علىّ وقال جئت بالشر من ساعة اذهب أوّلا فانظر مايقول لك القوم فضحك المأمون وقال هذا من الانبياء التى تصلح للمنادمة وفى سنة ثمان وتسعين ومائة خلع المأمون اخاه القاسم بن الرشيد من ولاية العهد وفى سنة تسع وتسعين ومائة خرج أبو السرايا السرى ابن منصور الشيبانى بالعراق واشتد أمره ومعه محمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب وهو ابن طباطبا ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علىّ رحمهم الله ووثب بالبصرة علىّ بن محمد بن جعفر بن علىّ بن الحسين عليهم السلام وزيد بن موسى بن جعفر فغلبوا على البصرة وفى هذه السنة مات أبو طباطبا الذى كان يدعو اليه أبو السرايا وهو محمد بن ابراهيم المقدم ذكره وظهر فى هذه السنة باليمن وهى سنة تسع وتسعين ومائة ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد وظهر فى أيام المأمون بمكة ونواحى الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين رحمهم الله وذلك فى سنة مائتين ودعا لنفسه واليه دعت السمطية من فرق الشيعة وقالت بامامته وقد افترقوا فرقا فمنهم من غلا ومنهم من قصر وسلك طريق الامامية وقد ذكرنا فى كتاب المقالات فى اصول الديانات وفى كتاب أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة فى الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بنى العباس ومن ظهر فى أيامهم من الطالبيين وقيل ان محمد بن جعفر دعا فى بدء أمره وعنفوان شبابه الى محمد بن ابراهيم بن طباطبا صاحب أبى

السرايا فمات ابن طباطبا وهو محمد بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن دعا لنفسه وتسمى
بأمير المؤمنين غير محمد بن جعفر وكان يسمى بالديباجة لحسنه وبهائه وما كان عليه من البهاء
والكمال وكان له بمكة ونواحيها قصص حمل فيها الى المامون بخراسان والمأمون يومئذ
بمرو فأمنه المأمون وسار معه الى جرجان مات محمد بن جعفر بها فدفن بها وقد أتينا على
كيفية وفاته وما كان من أمره وغيره من آل أبي طالب في كتابنا حدائق الاذهان في
اخبار آل أبي طالب ومقاتلهم في بقاع الارض وظهر في أيام المأمون أيضا بالمدينة الحسن
ابن الحسين بن علي بن الحسين بن علي وهو المعروف بابن الافطس وقيل انه دعا في
بدء أمره الى ابن طباطبا فلما مات ابن طباطبا دعا الى نفسه والقول بامامته وسار الى مكة
فأتى الناس وهم بمنى وعلى الحاج داود بن عيسى بن موسى الهاشمي فهرب داود ومضى
الناس الى عرفة ودفعوا الى مزدلفة بغير انسان عليهم من ولد العباس وقد كان ابن
الافطس وافى الموقف بالليل ثم صار الى المزدلفة والناس بغير امام فصلى بالناس ثم مضى الى
منى فنحر ودخل مكة وجرد البيت مما عليه من الكسوة الا القباطي البيض فقط وفي سنة
مائتين ظهر حماد المعروف بالكبدعوس بن السرايا فأتى به الحسن بن سهل فقتله وصلبه
على الجسر ببغداد وقد أتينا في كتابنا أخبار الزمان على خبر أبي السرايا وخروجه وما
كان منه في خروجه وقتله عبدوس بن أبي خالد ومن كان معه من قواد الابناء واستباحة
عسكره (قال المسعودي) وفي سنة مائتين بعث المأمون رجاء بن أبي الضحاك
وياسر الخادم الى علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الرضا لاشخاصه فحمل
اليه مكرما وفيها أمر المأمون باحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم
فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفا ووصل الى المأمون علي بن موسى الرضا وهو بمدينة
مرو فأنزله المامون أحسن انزال وأمر المأمون بجمع خواص الاولياء وأخبرهم انه نظر
في ولد العباس وولد علي رضي الله عنهم فلم يجد في وقته أحدا افضل ولا احق بالامر
من علي بن موسى الرضا فبايع له بولاية العهد وضرب اسمه على الدنانير والدراهم وزوج
محمد بن علي بن موسى الرضا بابنته أم الفضل وأمر بازالة السواد من اللباس والاعلام
ونمى ذلك الى من بالعراق من ولد العباس فاعظموه اذ علموا أن في ذلك خروج الامر عنهم
وحج بالناس ابراهيم بن موسى بن جعفر أخو الرضا بأمر المأمون واجتمع من بمدينة السلام
من ولد العباس على خلع المأمون ومبايعة ابراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة
فبويع له يوم الخميس لخمس خلون من المحرم سنة اثنتين ومائتين وقيل ان ذلك في سنة ثلاث
ومائتين وفي سنة اثنتين ومائتين قتل الفضل بن سهل في حمام غيلة وذلك بمدينة سرخس من
بلاد خراسان وذلك في دار المأمون في مسيره الى العراق وقبض علي بن موسى الرضا بطوس
لعنب اكله واكثر منه وقيل انه كان مسموما وذلك في صفر سنة ثلاث ومائتين
وصلى عليه المامون وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل سبع وأربعين سنة وستة اشهر وكان
مولده بالمدينة سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة وكان المأمون زوج ابنته أم حبيبة لعلي بن
موسى الرضا فكانت احدى الاختين تحت محمد بن علي بن موسى والاخرى تحت أبيه

على بن موسى واضطربت بغداد فى أيام ابراهيم بن المهدى وثارت الرويبضة وسموا انفسهم المطوعية وهم رؤساء العامة والتوابع ولما قرب المأمون من مدينة السلام صلى ابراهيم بن المهدى بالناس فى يوم النحر واختفى فى يوم الثانى من النحر وذلك فى سنة ثلاث ومائتين فخلعه أهل بغداد وكان دخول المأمون بغداد سنة أربع ومائتين ولباسه الخضرة ثم غير ذلك وعاد الى لباس السواد وذلك حين قدم طاهر بن الحسين من الرقة اليه وفى سنة احدى ومائتين كان القحط العظيم ببلاد المشرق والوباء بخراسان وغيرها وفيها كان خروج بابك الخرمى ببلاد البذين فى أصحاب جاويذان بن سهرك وقد قدمنا ذكر بلاد بابك وهى البذين من اذربيجان والران والبيلقان فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل الفتح والباب والابواب ونهر الرس وجريانه نحو بلاد البذين وبث المأمون عيونه فى طلب ابراهيم بن المهدى وقد علم باختفائه فيها فظفر به لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة سبع ومائتين فى زى امرأة ومعه امرأتان أخذه حارس بن اسود فى الدرب المعروف بالطويل ببغداد فادخل الى المأمون فقال هيه يا ابراهيم فقال يا أمير المؤمنين ولى الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناوله الزمان واستولى عليه الاغترار بما مدله من اسباب الشقاء امكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو كما جعل كل ذى ذنب دونى فان تعاقب فبحقك وان تعف فبفضلك قال بل العفو يا ابراهيم فكبر ثم خر ساجدا فأمر المامون فصيرت المقنعة التى كانت عليه على صدره ليرى الناس الحال التى أخذ عليها ثم أمر به فصير فى دار الحرس أياما ينظر الناس اليه ثم حول الى أحمد بن خالد ثم رضى عنه من بعد أن كان وكل به فقال ابراهيم فى ذلك من كلمة له

ان الذى قسم المكارم حازها * من صلب ادم للامام السابع

جمع القلوب عليك جامع أهلها * وجرى ودادك كل خير جامع (روى)

فبذلت اعظم ما يقوم بحمله * وسع النفوس من الفعال البارع

وعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع

وانحدر المامون الى فم الصلح فى شعبان سنة تسع ومائتين وأملك بخديجة ابنة الحسن بن سهل التى تسمى بوران ونثر الحسن فى ذلك من الاموال مالم ينثره ولم يفعله ملك قط فى جاهلية ولا فى اسلام وذلك انه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع باسماء ضياع وأسماء جوار وصفات دواب وغير ذلك فكانت البندقة اذا وقعت فى يد الرجل فتحها فقرأ ما فيها فيجد على قدر اقباله وسعوده فيها فيمضى الى الوكيل الذى نصب لذلك فيقول له ضيعة يقال لها فلانة الفلانية من طسوج كذا من رستاق كذا وجارية يقال لها فلانة الفلانية ودابة صفتها كذا ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر وأنفق على المأمون وقواده وعلى جميع أصحابه ومن كان معه من جنوده أيام مقامه عنده على المكارين والحمالين والملاحين وكل من ضمه العسكر من تابع ومتبوع مرتزق وغيره فلم يكن أحد من الناس يشترى شيأ فى عسكر المأمون مما يطعم ولا مما تعتلفه البهائم فلما اراد المامون أن يصعد فى دجلة الى مدينة السلام قال للحسن

سوانجك يا أبا محمد قال نعم يا أمير المؤمنين اسألك ان تحفظ على مكانى من قلبك فانه لا يتهيأ لى حفظه الا بك وأمر المأمون بحمل خراج فارس وكور الاهواز اليه سنة فقالت فى ذلك الشعراء فأكثرت واطنبت الخطباء فى ذلك وتكلمت فمما استطرف مما قيل فى ذلك من الشعر قول محمد بن حازم الباهلى

بارك الله للحسن * ولبوران فى الختن
يا ابن هارون قد ظفر * ت ولكن ببنت من

فلما نمى هذا الشعر الى المأمون قال والله ما ندرى خيرا أراد أم شرا ودخل ابراهيم بن المهدى يوما على المأمون بعد مدة من الظفر به فقال ان هذين يحملانى على قتلك يعنى المعتصم أخاه والعباس بن المأمون فقال ما اشارا عليك الا بما يشار به على مثلك ولكن تدع ما تخاف لما ترجو وأنشد

رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
ثبوت منها وما كافيتها بيد * هما الحياتان من موت ومن عدم
البر وطأ منك العذر عندك لى * فيما اتيت ولم تعذل ولم تلم
وقام عذرك بى فاحتج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهم

ولابراهيم اخبار حسان واشعار ملاح وما كان من أمره فى حال اختفائه فى سويقة غالب ببغداد وتنقله من موضع الى موضع بها وخبره فى الليلة التى قبض عليه فيها قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا التى كتابنا هذا تال لها وقد صنف يوسف بن ابراهيم الكاتب صاحب ابراهيم بن المهدى كتبا منها كتابه فى اخبار المتطببين مع الملوك فى المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك وكتابه المعروف بكتاب ابراهيم بن المهدى فى انواع الاخبار وغير ذلك من كتبه ومن أحسن ما اختير من أخبار ابراهيم فى حال تنقله واختفائه ببغداد خبره مع المزين وهو ان المأمون لما دخل بغداد على ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من بث العيون طلبا لابراهيم بن المهدى وجعل لمن دل عليه جعلا خطيرا من المال قال ابراهيم خرجت فى يوم صائف فى وقت الظهر لا أدرى أين أتوجه فصرت الى زقاق لا منفذ له فرأيت أسود على باب دار فصرت اليه وقلت له أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح بابه فدخلت الى بيت فيه حصير نظيف ووسادة جلد نظيفة ثم تركنى وأغلق الباب فى وجهى ومضى فتوهمته قد سمع الجعالة فى وانه خرج ليدل على فبينا أنا كذلك اذ أقبل ومعه طبق عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديد وآلتها وجرة نظيفة وكيزان نظاف كل ذلك جديد وقال لى جعلنى الله فداك انى حجام وانى أعلم أنك تتقذرما أتولاه فشأنك بما لم تقع عليه يدى وكانت بى حاجة شديدة الى الطعام فقمت فطبخت لنفسى قدرا ما أذكر انى أكلت أطيب منها ثم قال لى بعد ذلك هل لك فى النبيذ فقلت ما أكره ذلك ففعل مثل فعله فى الطعام وأتانى بكل شئ نظيف لم يمس شيأ منه بيد ثم قال لى بعد ذلك أتأذن لى جعلنى الله فداك أن أقعد ناحية منك فآتى بنبيذ فأشرب منه سرورا بك قال فقلت افعل ذلك فلما شرب ثلاثا دخل خزانة له وأخرج منها عودا وقال يا سيدى ليس من قدرى أن أسألك أن تغنى

ولكن قد وجبت عليك حرمتى فان رأيت ان تشرّف عبدك بان تغنيه قال فقلت وكيف توهمت على انى احسن الغناء فقال متعجبا يا سبحان الله أنت اشهر من ان لا أعرفك أنت ابراهيم بن المهدى الذى قد جعل المأمون لمن دل عليك مائة الف درهم قال فلما قال لى ذلك تناولت العود فلما هممت بالغناء قال يا سيدى أتجعل ما تغنيه ما أقترحه عليك قلت هات فاقترح ثلاثة أصوات أتقدم فيها كل من غنى قلت هبك عرفتنى هذه الاصوات من اين لك قال أنا أخدم ابراهيم بن اسحاق الموصلى وكثيرا ما كنت اسمعه يذكر المحسنين وما يجيدونه ولم أتوهم أنى أسمع ذلك منك فى منزلى فغنيته وانست به واستظرفته فلما كان الليل خرجت من عنده وقد كنت حملت معى خريطة فيها دنانير فقلت له خذها فاصرفها فى بعض مؤنتك ولك عندنا مزيد ان شاء الله تعالى فقال ما أعجب هذا والله عزمت على انى أعرض عليك جملة عندى وأسألك ان تتفضل بقبولها ثم اجللتك عن ذلك فامتنع من قبول شئ ومضى حتى دلنى على الموضع الذى احتجت اليه وانصرف وكان آخر العهد به وفى سنة ست ومائتين وذلك فى خلافة المأمون مات يزيد بن هارون بن زادان الواسطى وله تسع وثمانون سنة وكان مولده سنة سبع عشرة ومائة وهو مولى بنى سليم وكان ابوه يخدم فى مطبخ زياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والحجاج بن يوسف وهذا عمدة اهل الحديث فى علمهم وعظيم من عظمائهم وكانت وفاته بواسط العراق وفيها مات جرير بن خزيمة بن حازم وشيبة ابن سوار المدنى والحجاج بن محمد الاعور الفقيه وعبد الله بن نافع الصائغ المدنى مولى لبنى مخزوم ووهب بن جرير ومؤمل بن اسماعيل وروح بن عبادة وفيها مات الهيثم بن عدى وكان يضعّ عليه نسبه وله يقول القائل

اذا نسبت عديا فى بنى ثعل * فقدم الدال قبل العين فى النسب

وفى سنة تسع ومائتين مات الواقدى وهو محمد بن عمر بن واقد مولى لبنى هاشم وهو صاحب السير والمغازى وقد ضعف فى الحديث وذكر ابن أبى الازهر قال حدثنى أبو سهل الدارى عمن حدثه عن الواقدى قال كان لى صديقان أحدهما هاشمى وكنا كنفس واحدة فنالتنى ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتى أما نحن فى أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبى رحمة لهم لانهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا فى عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة فلو احتلت بشئ تصرفه فى كسوتهم قال فكتبت الى صديقى الهاشمى أسأله التوسعة على لما حضر فوجه الى كيسا مختوما ذكر أنه فيه ألف درهم فما استقر قرارى اذ كتب الى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صاحبى فوجهت اليه الكيس بحاله وخرجت الى المسجد فاقمت فيه ليلى مستحييا من امرأتى فلما دخلت عليها استحسنت ما كان منى ولم تعنفنى عليه فبينا أنا كذلك اذ وافى صديقى الهاشمى ومعه الكيس كهيئته فقال لى أصدقنى عما فعلته فيما وجهت اليك فعرّفته الخبر على جهته فقال انك وجهت الى وما أملك على الارض الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أسأله المواساة فوجه بكيسى بخاتمى قال فتواسينا الالف اثلاثا ثم انا أخرجنا الى المرأة قبل ذلك مائة درهم ونمى الخبر الى المأمون فدعانى فشرحت له الخبر

فامر

فأمر للتابعة بخمسة آلاف دينار ولكل واحد ألف دينار وللمرأة ألف دينار وقبض الواقدي وهو ابن سبع وسبعين سنة وفيها كانت وفاة يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ببغداد وصلى عليه المأمون وقد أتينا على خبره فيما سلف من كتبنا وفيها مات أزهر السمان وكان صديقا لأبي جعفر المنصور في أيام بني أمية وكانا قد سافرا جميعا وسمعا الحديث وكان المنصور يألفه ويأنس اليه ويكبر عنده فلما أفضت الخلافة اليه أشخص اليه من البصرة فسأله المنصور عن زوجته وبناته وكان يعرفهن بأسمائهن وأظهر بره وإكرامه ووصله بأربعة آلاف درهم وأمره أن لا يقدم اليه مستميحا فلما كان بعد حول صار اليه فقال له ألم آمرك أن لا تصير الي مستميحا فقال له ما صرت اليك الا مسلما ومجددا بك عهدا قال ما أرى الأمر كما ذكرت فأمر له بأربعة آلاف درهم وأمره أن لا يصير اليه مسلما ولا مستميحا فلما كان بعد سنة صار اليه فقال اني لم أقدم عليك للأمرين اللذين نهيتني عنهما وانما بلغني أن علة عرضت لأمير المؤمنين فأتيته عائدا فقال ما أظنك أتيت الا مستوصلا فأمر له بأربعة آلاف درهم فلما كان بعد الحول ألح عليه بناته وزوجته وقلن له أمير المؤمنين صديقك فارجع اليه فقال ويحكن ماذا أقول له وقد قلت له أتيتك مستميحا ومسلما وعائدا ماذا أقول في هذه المرة وبم أحتج فأبوا على الشيخ الا الالحاح فخرج فأتى المنصور وقال لم آتك مسترفدا ولا زائرا ولا عائدا وانما جئت لسماع حديث كنا سمعناه جميعا في بلد كذا من فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه اسم من أسماء الله تعالى من سأل الله به لم يرده ولم يخيب دعوته فقال له المنصور لا ترده فاني قد جربته فليس هو بمستجاب وذلك اني مذ جئتني أسأل الله به أن لا يردك الي وها أنت ترجع لا تنفك من قولك مسلما أو عائدا أو زائرا ووصله بأربعة آلاف درهم وقال له قد أعيتني فيك الحيلة فصر متى شئت وفي سنة تسع ومائتين ركب المأمون الى المطبق بالليل حتى قتل ابن عائشة ولد العباس بن عبد المطلب واسمه ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام أخي أبي العباس والمنصور وقتل معه محمد بن ابراهيم الافريقي وغيره وابن عائشة هذا أول عباسي صلب في الاسلام وتمثل المأمون حين قتله بقول الشاعر

اذا النار في أحجارها مستكنة * متى ما يهجها قادح تضرم

وكان رجل من ولد العباس بن علي بن أبي طالب ذو مال وثروة وعز ومنعة وفهم وبلاغة وهو العباس بن العباس العلوي بمدينة السلام وكان المعتصم يشنأه لحال كانت بينهما فمكن في نفس المأمون أنه شانئ لدولته ماقت لأيامه فلما كان في تلك الليلة لحق العباس المأمون على الجسر فقال له المأمون ما زلت تنتظرها حتى وقعت فقال أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ولكني ذكرت قول الله عز وجل ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه فحسن موقع ذلك منه ولم يزل يسايره حتى بلغ المطبق فلما قتل ابن عائشة قال يأذن أمير المؤمنين في الكلام قال تكلم قال الله الله في الدماء فان الملك اذا ضري بها لم يصبر عنها ولم يبق على أحد قال لو سمعت هذا الكلام منك قبل أن أركب ما ركبت ولا سفكت دما وأمر له بثلاثمائة ألف درهم وقد أتينا على

خبرابن عائشة هذا وما أراد من الايقاع بالمأمون وما كان من أمره فى كتابنا فى أخبار الزمان وفى سنة احدى عشرة ومائتين مات أبو عبيدة العمرى معمر بن المثنى وكان يرى رأى الخوارج وبلغ نحوا من مائة سنة ولم يحضر جنازته أحد من الناس بالمصلى حتى اكترى لها من يحملها ولم يكن يسلم عليه شريف ولا وضيع الا تكلم فيه وله مصنفات حسان فى أيام العرب وغيرها منها كتاب المثالب يذكر فيه العرب وفسادها ويرميهم بمايسوء الناس ذكره ولا يحسن وصفه وكان أبو نواس كثير العبث به وكان أبو عبيدة يقعد فى مسجد البصرة الى سارية من سواريه فكتب أبو نواس عليها فى غيبته

صلى الاله على لوط وشيعته * اباعبيدة قل بالله آمينا

فلما جاء أبو عبيدة الى تلك السارية رأى ذلك فقال هذا فعل الماجن اللواط أبو نواس حكوه وان كان فيه صلاة على نبى وفى هذه السنة وهى سنة احدى عشرة ومائتين مات أبو العتاهية اسماعيل بن القاسم متنسكا لابسا للصوف وكان له مع الرشيد أخبار من ذلك ماقدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ومنها أن الرشيد أمر ذات يوم بحمله وأمر أن لايكلم فى طريقه ولايعلم مايراد منه فلما صار فى بعض الطريق كتب بعض من معه فى الطريق انما يراد قتلك فقال أبو العتاهية

ولعل ماتخشاه ليس بكائن * ولعل ماترجوه سوف يكون
ولعل ماهونت ليس بهين * ولعل ماشددت سوف يهون

وحج فى بعض الحج مع الرشيد فنزل الرشيد يوما عن راحلته ومشى ساعة ثم أعيى فقال هل لك ياأبا العباس أن تستند الى هذا الميل فلما قعد الرشيد قال له يا ابا العتاهية حركنا فقال

ألا ياطالب الدنيا * دع الدنيا لشانيكا
وماتصنع بالدنيا * وظل الميل يكفيكا

اذا نسبت به

ولابى العتاهية أخبار وأشعار كثيرة حسان قد قدمنا فيما سلف من كتبنا جملا مما اختير من شعره وما انتخب من قوافيه وكذلك قدمنا من ذلك لمعا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار بنى العباس ومما استحسن من ذلك قوله

أحمد قال لى ولم يدرمابى * أتحب الغداة عتبة حقا
فتنفست ثم قلت نعم حبا * جرى فى العروق عرقا فعرقا
ليتنى مت فاسترحت فانى * أبدا ما حييت منها ملقى
لا أرانى أبقى ومن يلق مالا * قيت من لوعة الهوى ليس يبقى
فاحتسب صحبتى وقل رحمة الله * على صاحب لنا مات عشقا
انا عبدلها وان كنت لاار * زق منها والحمد لله عتقا

ومما استحسن من شعره أيضا قوله

ياعتب مالى ولك * ياليتنى لم أرك
ملكتنى فانتهكى * ماشئت أن تنتهكى
أبيت ليلى ساهرا * أرعى نجوم الفلك

مفترشا

مفترشا بجمر الغضى * ملتحفا بالحسك

ومن مقاطيعه الغريبة وأشعاره المستحسنة قوله

اخلاى بى شجو وليس بكم شجو * وكل امرئ عن شجو صاحبه خلو
رأيت الهوى جمر الغضى غير أنه * على جمره فى صدر صاحبه حلو
اذاب الهوى جسمى وعظمى وقوتى * فلم يبق الا الروح والبدن النضو
ومامن حبيب نال ممن يحبه * هوى صادقا الا يداخله زهو
وانى لناقى الطرف من غير خلتى * ومالى سواها من حديث ولا لهو
لها دون اخوانى وأهل مودتى * من الود منى فضلة ولها العفو

ومما انتخب من شعره واستحسنه الناس من قوله قوله

يالهف نفسى على الذى اجتنبت * بأى جرم وترونها عتبت
تبارك الله بئس ماصنعت * بى هواها وبئس ما ارتكبت
اتيتها زائرا فما انحرفت * على اذ جئتها وما احتسبت
كم من ديون والله يعلمها * لنا عليها لم تقض اذ وجبت
ما وهبت لى من فضلها عدة * الا استردت جميع ما وهبت
فأى خير وأى منفعة * لدات دل تريق ما حلبت
الله بينى وبين ظالمتى * طلبت منها وصالها فأبت
ماذا عليها لو أنها بعثت * منها رسولا الى أو كتبت
رغبت فى وصلها وقد زهدت * عتبة فى وصلنا وما رغبت

وكان أبو العتاهية قبيح الوجه مليح الحركات حلو الانشاد شديد الطرب ومن مليح شعره قوله

من لم يذق لصبابة طعما * فلقد أحطت بطعمها علما
انى منحت مودتى سكنا * فرأيته قد عدها جرما
ياعتب ما ابقيت من جسدى * لحما ولا ابقيت لى عظما
ياعتب ما انا من صنيعك بى * اعمى ولكن الهوى اعمى
ان الذى لم يدر ما كلفى * ليرى على وجهى به وسما

وله اشعار خرج فيها عن العروض مثل قوله

هم القاضى بيت يطرب * قال القاضى لما عوتب
ما فى الدنيا الا مذنب * هذا عذر القاضى واقلب

وزنه فعلن أربع مرات وقد قال قوم ان العرب لم تقل على وزن هذا شعرا ولا ذكره الخليل ولا غيره من العروضيين (قال المسعودى) وقد زاد جماعة من الشعراء على الخليل بن أحمد فى العروض من ذلك المديد وهو ثلاثة اعاريض وستة ضروب عند الخليل وفيه عروض رابع وضربان محدثان فالضرب الاول من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر

من لعين لا تنام * دمعها ساع سجام

والضرب الثانى من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر

يا بكر لا تثوا * ليس هذا حين ونا

وغير ذلك مما ذكرناه وتكلموا فيه وذكروا في هذا المعنى من الزيادات مما قد اتينا على وصفه وقدمنا من ذكره في كتابنا في أخبار الزمان وقد صنف أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي الكاتب الانبارى عن الخليل بن أحمد عن تقليد العرب الى باب التعسف والنظر ونصب العلل عن أوضاع الجدل كان ذلك له لازما ولما أورده كاسرا وللناشي اشعار كثيرة حسان منها قصيدة واحدة نحو من أربعة آلاف بيت قافية واحدة نونية منصوبة يذكر فيها أهل الآراء والنحل والمذاهب والملل واشعار كثيرة ومصنفات واسعة في أنواع من العلوم فما جورى فيه قوله حين سار من العراق الى مصر وبها كانت وفاته وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائتين على حسب ما قدمنا ذكره

يا ديار الاحباب هل من مجيب * عنك يشفي غليل نائي المزار

ما أجابت ولكن الصمت منها * فيه للسائلين طول اعتبار

ان تكن اوحشت فبعد أنيس * أو خلت منهم فبعد قرار

قد لهونا بها زمانا وحينا * ووصلنا الاسحار بالاسحار

واغتبقنا على صبوح ولهو * وحنين النايات والاوتار

بين ورد ونرجس وخزامى * وبنفس وسوسن وبهار

وأقاح وكل صنف من النو * ر الشهي الجني والجلنار

فرمتنا الايام أحسن ما كنا * على حين غفلة واغترار

فافترقنا من بعد طول اجتماع * ونأينا بعد اقتراب الديار

وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين نادى منادى المأمون برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدمه على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم في اشياء من التلاوة انها مخلوقة وغير ذلك وتنازع الناس في السبب الذي من اجله أمر بالنداء في أمر معاوية فقيل في ذلك أقاويل منها ان بعض سماره حدث بحديث عن مطرف بن المغيرة ابن شعبة الثقفي وقد ذكر هذا الخبر ابن بكار في كتابه في الاخبار المعروفة بالموفقيات التي صنفها للموفق وهو ابن الزبير قال سمعت المدائني يقول قال مطرف بن المغيرة بن شعبة وفدت مع أبي المغيرة الى معاوية فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف الي فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه اذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء فرأيته مغتما فانتظرته ساعة وظننت انه لشيء حدث فينا أو في عملنا فقلت له ما لي اراك مغتما منذ الليلة قال يا بني اني جئت من عند أخبث الناس قلت له وماذا قال قلت له وقد خلوت به انك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا فانك قد كبرت ولو نظرت الى اخوتك من بني هاشم فوصلت ارحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه فقال لي هيهات هيهات ملك اخو تيم فعدل وفعل ما فعل فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل أبو بكر ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل عمر ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل

نسبه فصلى ما أصل وعلى به فوالله ما غدا آت هلك فهلك وذكره وذكر ما فعل به وان أشاهاشم يصرخ به فى كل يوم خمس مرات اشهد ان محمدا رسول الله فأى عمل يبقى مع هذا لا ام لك والله الا دفنا دفنا وان المأمون لما سمع هذا الخبر بعينه ذلك على ان أمر بالنداء على حسب ما وصفنا وانشئت الكتب الى الآفاق بلعنه على المنابر فاعظم الناس ذلك واكبروه واضطربت العامة فاشير عليه بترك ذلك فاعرض عما كان هم به وفى خلافة المأمون كانت وفاة أبى عاصم النبيل وهو الضحاك بن مخلد بن سنان الشيبانى وذلك فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وفيها مات محمد بن يوسف الفارابى وفى سنة خمس عشرة ومائتين وذلك فى خلافة المأمون مات هوذة بن خليفة بن عبد الله بن أبى بكر ويكنى بأبى الاشهب ببغداد وهو ابن سبعين سنة ودفن بباب البردان فى الجانب الشرقى وفيها مات محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن انس بن مالك الانصارى وفيها مات اسحاق بن الطباع بأذنة من الثغر الشامى ومعاوية ابن عمرو ويكنى بأبى عمرو وقبض ابن عقبة ويكنى بأبى عامر من بنى عامر بن صعصعة وفى سنة سبع عشرة ومائتين دخل المأمون مصر وقتل بها عبدوس وكان قد تغلب عليها وفى سنة ثمان عشرة ومائتين غزا المأمون أرض الروم وقد كان شرع فى بناء الطوانة مدينة من مدنهم على فم الدرب مما يلى طرسوس وعمد الى سائر حصون الروم ودعاهم الى الاسلام وخيرهم بين الاسلام والجزية والسيف وذال النصرانية فاجابه خلق من الروم الى الجزية (قال المسعودى) وأخبرنا القاضى أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زيد الدمشقى بدمشق قال لما توجه المأمون غازيا ونزل البديدون جاءه رسول ملك الروم فقال له ان الملك يخيرك بين ان يرد عليك نفقتك التى انفقتها فى طريقك من بلدك الى هذا الموضع وبين ان يخرج كل اسير من المسلمين فى بلد الروم بغير فداء ولا درهم ولا دينار وبين ان يعمر لك كل بلد للمسلمين مما خربت النصرانية ويرده كما كان وترجع عن غزاتك فقام المأمون ودخل خيمة فصلى ركعتين واستخار الله عز وجل وخرج فقال للرسول قل له أما قولك ترد على نفقتى فانى سمعت الله تعالى يقول فى كتابنا حاكيا عن بلقيس وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون وأما قولك انك تخرج كل اسير من المسلمين فى بلد الروم فما فى يدك الا احد رجلين اما رجل طلب الله عز وجل والدار الآخرة فقد صار الى ما اراد واما رجل يطلب الدنيا فلا فك الله اسره وأما قولك انك تعمر كل بلد للمسلمين قد خربته الروم فلو أنى قلعت اقصى حجر فى بلاد الروم ما اعتضت بامرأة عثرت عثرة فى حال اسرها فقالت وا محمداه وا محمداه عد الى صاحبك فليس بينى وبينه الا السيف ياغلام اضرب الطبل فرحل فلم ينثن عن غزاته حتى فتح خمسة عشر حصنا وانصرف من غزاته فنزل على عين البديدون المعروفة بالقشيرة على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب فاقام هنالك حتى ترجع رسله من الحصون فوقف على العين ومنع الماء فاعجبه برد مائها وصفاؤه وبياضه وطيب حسن الموضع وكثرة الخضرة فأمر بقطع خشب طوال وأمر به فبسط على العين كالجسر وجعل فوقه كالازج من الخشب وورق الشجر وجلس تحت الكنيسة التى قد عقدت له والماء تحته وطرح فى الماء درهم صحيح

نظراً كتابته وهو فى قرار الماء لصفاء الماء ولم يقدر أحد يدخل يده فى الماء من شدة برده
فبينا هو كذلك اذ لاحت سمكة نحو الذراع كأنها سبيكة فضة فجعل لمن يخرجها سيفاً فبدر
بعض الفراشين فأخذها وصعد فلما صارت على حرف العين أو على الخشب الذى عليه
المأمون اضطربت وأفلتت من يد الفراش فوقعت فى الماء كالحجر فنضح من الماء على صدر
المأمون ونحره وترقوته فبلت ثوبه ثم انحدر الفراش ثانية فأخذها ووضعها بين يدى
المأمون فى منديل تضطرب فقال المأمون تقلى الساعة ثم أخذته رعدة من ساعته فلم يقدر
يتحرك من مكانه فغطى باللحف والدواويج وهو يرتعد كالسعفة ويصيح البرد البرد
ثم حول الى المضرب ودثر وأوقد النيران حوله وهو يصيح البرد البرد ثم أتى بالسمكة وقد فرغ
من قليها فلم يقدر على الذوق منها وشغله ما هو فيه عن تناول شئ منها ولما اشتد به الأمر
سأل المعتصم بختيشوع وابن ماسويه فى ذلك الوقت عن المأمون وهو فى سكرات الموت
وما الذى يدل عليه علم الطب من أمره وهل يمكن برؤه وشفاؤه فتقدم ابن ماسويه فأخذ
احدى يديه وبختيشوع الاخرى وأخذا المجسة من كلتا يديه فوجدا نبضه خارجاً عن
الاعتدال منذراً بالفناء والانحلال والتزقت أيديهما ببشرته لعرق كان يظهر منه من
سائر جسده كالزيت أو كلعاب بعض الافاعى فأخبرا المعتصم بذلك فسألهما عن ذلك فأنكرا
معرفته وانهما لم يجداه فى شئ من الكتب وأنه دال على انحلال الجسد وافاق المأمون
من غشيته وفتح عينيه من رقدته فامر باحضار أناس من الروم فسألهم عن اسم الموضع
والعين فاحضر له عدة من الاسارى والادلة وقيل لهم فسروا هذا الاسم القشيرة فقيل
له تفسيره مد رجليك فلما سمعها اضطرب من هذا الفال وتطير به وقال سلوهم ما اسم الموضع
بالعربية فقالوا الرقة وكان فيما عمل من مولد المأمون أنه يموت بالموضع المعروف
بالرقة وكان المأمون كثيراً ما يحيد عن المقام بمدينة الرقة فرقاً من الموت فلما سمع هذا من
الروم علم أنه الموضع الذى وعد فيه فيما تقدم من مولده وان فيه وفاته وقيل ان اسم
البديدون تفسيره مد رجليك والله اعلم بكيفية ذلك فاحضر المعتصم الاطباء حوله يؤمل
خلاصه مما هو فيه فلما ثقل قال اخرجونى أشرف على عسكرى وأنظر الى رجالى وأتبين
ملكى وذلك فى الليل فاخرج فأشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته وما قد وقد
من النيران فقال يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ثم رد الى مرقده وأجلس
المعتصم رجلاً يشهده لما ثقل فرفع الرجل صوته ليقولها فقال له ابن ماسويه لا تصيح فوالله
ما يفرق بين ربه وبين مانى فى هذا الوقت ففتح عينيه من ساعته وبهما من العظم والكبر
والاحمرار ما لم ير مثله قط وأقبل يحاول البطش بيده بابن ماسويه ورام مخاطبته فعجز عن
ذلك فرمى بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه دموعا فانطلق لسانه من ساعته وقال يا من
لا يموت ارحم من يموت وقضى من ساعته وذلك فى يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من
رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين وحمل الى طرسوس فدفن بها على حسب ما قدمنا فى أول
هذا الكتاب (قال المسعودى) وللمأمون أخبار حسان ومعان وسير ومجالسات
وأشعار وأخلاق جميلة قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن ذكرها

وفى المأمون يقول أبو سعيد المخزومى

هل رأيت النجوم اغنت عن المأ * مون شيأ وملكه المأنوس

خلفوه بعرصتى طرسوس * مثل ما خلفوا أباه بطوس

وكان المأمون كثيرا ما ينشد هذه الابيات

ومن لا يزل غرضا للمنو * ن يتركنه ذات يوم عميدا

فان هى اخطأنه مرة * فيوشك مخطئها ان يعودا

فبينا تحيد وتخطينه * قصدن فأعجلنه ان يحيدا

(ذكر خلافة المعتصم)

وبويع المعتصم فى اليوم الذى كانت فيه وفاة المأمون على عين البديدون وهو يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين واسمه محمد بن هارون ويكنى بأبى اسحاق وكان بينه وبين العباس بن المأمون فى ذلك الوقت تنازع فى المجلس ثم انقاد العباس الى بيعته والمعتصم يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة وشهرين وامه اساحية اسمها ماردة بنت شبيب وقيل أنه بويع سنة تسع عشرة وتوفى بسر من رأى سنة سبع وعشرين وهو ابن ست وأربعين سنة وعشرة اشهر فكانت خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وقبره بالجوسق على ما ذكرنا

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

واستوزر المعتصم محمد بن عبد الملك الى آخر أيامه وغلب عليه ابن أبى دواد ولم يزل محمد بن عبد الملك فى أيام المعتصم والواثق الى أن ولى المتوكل وكان فى نفسه عليه شئ فقتله وسنذكر لمعا من مقتله فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المتوكل وان كنا قد أتينا على ذلك ملخصا فى الكتاب الاوسط وكان المعتصم يحب العمارة ويقول ان فيها امورا محمودة فاولها عمران الارض التى يحيى بها العالم وعليها يزكو الخراج وتكثر الاموال وتعيش البهائم وترخص الاسعار ويكثر الكسب ويتسع المعاش وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك اذا وجدت موضعا متى انفقت فيه عشرة دراهم جاءنى بعد سنة احدى عشر درهما فلا تؤامرنى فيه وكان المعتصم ذا بأس وشدة فى قلبه فذكر أحمد بن أبى دواد وكان به انسا قال فلما انكر المعتصم نفسه وقوته دخلت عليه يوما وعنده ابن ماسويه فقام المعتصم فقال لى لا تبرح حتى اخرج اليك فقلت ليحيى بن ماسويه ويحك انى أرى أمير المؤمنين قد حال لونه ونقصت قوته وذهبت سورته فكيف تراه أنت قال هو والله زبرة من زبر الحديد الان فى يديه فأسا يضرب بها تلك الزبرة فقلت وكيف ذاك قال كان قبل ذلك اذا أكل السمك اتخذ له صباغا من الخل والكرويا والكمون والسذاب والكرفس والخردل فأكله بذلك الصباغ فدفع اذى السمك واضراره بالعصب واذا أكل الرؤس اتخذت له اصباغ تدفع اذاها وتلطفها وكان فى اكثر اموره يلطف غذاءه ويكثر مشورتى فصار اليوم اذا انكرت عليه شيأ خالفنى وقال آكل هذا على رغم انف ابن ماسويه قال وهو خلف الستر يسمع ما نحن فيه فقلت ويحك يا يحيى أدخل اصبعك فى عينيه قال جعلت فداك ما أقدر أراده

ولا أجترى عليه فى خلاف فلما فرغ من كلامه خرج علينا المعتصم فقال لى ما الذى كنت فيه مع ابن ماسويه قلت ناظرته يا أمير المؤمنين فى لونك الذى ابان ساكلا وفى قلة طعمك الذى قد هذب جوارحى وأنحل جسمى قال فما قال لك قلت شكا انك كنت تقبل ما يشير به عليك وكنت ترى فى ذلك على ما تحب وانك الآن تخالفه قال فما قلت له أنت قال فجعلت أصرف الكلام قال فضحك وقال هذا بعد ما دخل فى عسى أو قبل ذلك قال فارفضضت عرقا وعلمت انه قد سمع ما كنا فيه ورأى ما قد داخلنى فقال يغفر لك يا أحمد لقد فرحت بما ظننت انه أحزنك اذا سمعته وعلمت أنه نوع من أنواع الانبساط والبسط وكان المعتصم يأنس بعلى ابن الجنيد الاسكافى وكان عجيب الصورة عجيب الحديث فيه سلامة أهل السواد فقال المعتصم يوما لمحمد بن حماد اذهب بالغداة الى على بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزاملنى فأتاه فقال ان أمير المؤمنين يأمرك ان تزامله فتهيأ بشروط مزاملة الخلفاء فقال على بن الجنيد وكيف اتهيأ اهيئ لى رأسا غير رأسى اشترى لحية غير لحيتى أأزيد فى قامتى انا متهيئ وفضلة قال لست تدرى بعد ما شروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال على بن الجنيد وما هى هات يا من تدرى قال له ابن حماد وكان اديبا ظريفا وكان برسم الحجابة شرط المعادلة الامتاع بالحديث والمذاكرة والمناولة وان لا يبزق ولا يسعل ولا يتنخع ولا يمخط وأن يتقدم الرئيس فى الركوب اشفاقا عليه من الميل وان يتقدمه فى النزول فمتى لم يفعل المعادل هذا كان سواء والمثقلة الرصاص التى تعدل بها القبة واحدا وليس له ان ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة حال من هو معه وما هو راكبه لانهما اذا ناما جميعا مال جانب لا يشعر بعدله كان فى ذلك ما لا خفاء به وعلى بن الجنيد ينظر اليه فلما اكثر عليه فى هذا الوصف والشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول أهل السواد آه حزها لذهبت له فقل له ما يزاملك الا من امه زانية وهو كشخان فرجع ابن حماد فقال للمعتصم ما قال فضحك المعتصم وقال جئنى به فجاءه فقال يا على أبعث اليك تزاملنى فلا تفعل فقال ان رسولك هذا الجاهل الازعر جاءنى بشروط حسان الناشى وخالويه المحاكى فقال لا تبزق ولا تفعل كذا وافعل كذا وجعل يعطط فى كلامه ويترفع من صاداته ويشير بيديه ولا يسعل ولا يعطس وهذا لا يقوم لى ولا اقدر عليه فان رضيت ان ازاملك فان جاءنى الفساء فسوت عليك وضرطت واذا جاءك أنت فأده فأفسو وأضرط والا فليس بينى وبينك عمل فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملنى على هذه الشريطة قال نعم وكرامة فزامله فى قبة على بغل فسارا ساعة وتوسطا البر فقال على يا أمير المؤمنين حضر ذلك المتاع فما ترى قال ذلك اليك اذا شئت قال تحضر ابن حماد فامر المعتصم باحضاره فقال له على تعال حتى اسارك فلما دنا منه فسا وناوله كمه وقال اجد دبيب شئ فى كمى فانظر ما هو فأدخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال ما ارى شيأ ولكنى لم اعلم ان فى جوف ثيابك كنيف والمعتصم قد غطى فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب ثم جعل يفسو فساء متصلا ثم قال لابن حماد قلت لى لا تسعل ولا تبزق ولا تمخط فلم افعل ولكنى أخرا عليك قال فاتصل فساؤه والمعتصم يخرج رأسه من العمارية ثم قال للمعتصم قد نفجت

القدر ما أريد أترى فقال المعتصم ورفع صوته حين كثر ذلك عليه و يلك يا غلام الارض الساعة أموت ودخل على بن الجنيد الاسكافى يوما على المعتصم فقال له بعد أن ضاحكه ومازحه يا على مالى لا اراك و يلك أنسيت الصحبة وما حفظت المودة فقال له حينئذ بالغ الكلام الذى اريد أن اقوله قلته أنت ما أنت الا ابليس فضحك ثم قال لا تجبنى قال ام كم ابى فلا أصل أنت اليوم نبيل فكانك من بنى مارية وبنو مارية اناس من أهل السواد يضرب بهم أهل السواد الامثال لكبرهم فى نفوسهم فقال له المعتصم هذا سندان التركى وأشار الى غلام على رأسه بيده مذبة وقال له يا سندان اذا حضر على فأعلمنى وان أعطاك رقعة فأوصلها الى وان حملك رسالة فاخبرنى بها قال نعم يا سيدى وانصرف فأقام أياما ثم جاء يطلب سندان فقالوا هو نائم فانصرف ثم عاد فقالوا هو داخل ولا تصل اليه فانصرف وعاد فقالوا هو عند أمير المؤمنين فاحتال حتى دخل عند المعتصم من جهة اخرى فضاحكه ساعة وعاتبه وقال له يا على ألك حاجة قال نعم يا أمير المؤمنين ان رأيت سندان التركى فاقرءه منى السلام فضحك وقال ماله قال حاله انك جعلت بينى وبينك انسانا رأيتك قبل أن أراه وقد اشتقت اليه فأسألك ان تبلغه منى السلام فغلب المعتصم الضحك وجمع بينه وبين سندان واكد عليه فى مراعاة أمره فكان لا يمنع منه وعبر المعتصم من سر من رأى من الجانب الغربى وذلك فى يوم مطير وقد تبع ذلك ليلة مطيرة وانفرد من أصحابه واذا حمار قد زلق ورمى بما عليه من الشوك وهو الشوك الذى توقد به التنانير بالعراق وصاحبه شيخ ضعيف واقف ينتظر انسانا يمر فيعينه على حمله فوقف عليه وقال مالك يا شيخ قال فديتك حمارى وقع عنه هذا الحمل وقد بقيت انتظر انسانا يعيننى على حمله فذهب المعتصم ليخرج الحمار من الطين فقال جعلت فداك تفسد ثيابك هذه وطيبك الذى اشمه من اجل حمارى هذا قال لا عليك فنزل واحتمل الحمار بيد واحدة واخرجه من الطين فبهت الشيخ وجعل ينظر اليه و يتعجب و يترك الشغل بحماره ثم شد عنان فرسه فى وسطه واهوى الى الشوك وهو حزمتان فحملهما فوضعهما على الحمار ثم دنا من غدير فغسل يديه واستوى على فرسه فقال الشيخ السوادى رضى الله عنك وقال بالنبطية اسعل فرمى باجوافنا وتفسير ذلك فديتك يا شاب وأقبلت الخيول فقال لبعض خاصته أعط هذا الشيخ أربعة آلاف درهم وكن معه حتى تجاوز به أصحاب المسالح وتبلغ به قريته وفى سنة تسع عشرة ومائتين كانت وفاة أبى نعيم الفضل ابن دكين مولى طلحة بن عبيد الله بالكوفة وبشر بن غياث المريسى وعبد الله بن رجاء العراقى وفيها ضرب المعتصم أحمد بن حنبل ثمانية وثلاثين سوطا ليقول بخلق القرآن وفى هذه السنة وهى سنة تسع عشرة ومائتين قبض محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وذلك لخمس خلون من ذى الحجة ودفن ببغداد فى الجانب الغربى بمقابر قريش مع جده موسى بن جعفر وصلى عليه الواثق وقبض وهو ابن خمس وعشرين سنة وقبض أبوه على بن موسى الرضا ومحمد ابن سبع سنين وثمانية اشهر وقيل غير ذلك وقيل أن أم الفضل بنت المأمون لما قدمت معه من المدينة الى المعتصم سمته وانما ذكرنا من أمره ما وصفنا لان أهل الامامة اختلفوا فى مقدار سنه عند وفاة أبيه

وقد أتينا على ما قيل فى ذلك فى رسالة البيان فى أسماء الائمة وما قالت فى ذلك الشيعة من القطعية وفى هذه السنة وهى سنة تسع عشرة ومائتين أخاف المعتصم محمد بن القاسم ابن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضهم الله وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع ونهاية الوصف فلما خاف على نفسه هرب فصار الى خراسان فتنقل فى مواضع كثيرة من كورها كمرو وسرخس والطالقان ونسا فكانت له هنالك حروب وكوائن وانقاد اليه والى امامته خلق كثير من الناس ثم حمله عبد الله بن طاهر الى المعتصم فحبسه فى ازج اتخذه فى بستان بسر من رأى وقد تنوزع فى محمد بن القاسم فمن قائل يقول انه قتل بالسم ومنهم من يقول ان ناسا من شيعته من الطالقان أتوا ذلك البستان فتاقوا للخدمة فيه من غرس وزراعة واتخذوا سلالم من الحبال واللبود والطالقانية ونقبوا الازج وأخرجوه فذهبوا به فلم يعرف له خبر الى هذه الغاية وقد انقاد الى امامته خلق كثير من الزيدية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ومنهم خلق كثير يزعمون أن محمدا لم يمت وأنه حى يرزق وأنه يخرج فيملأها عدلا كما ملئت جورا وأنه مهدى هذه الامة وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان وقول هؤلاء فى محمد بن القاسم نحو قول رافضة الكيسانية فى محمد بن الحنفية ونحو من قول الواقفية فى موسى بن جعفر وهم الممطورة بهذا تعرف هذه الطائفة من بين فرق الشيعة وقد أتينا على وصف قولهم فى المقالات فى أصول الديانات ووصف قول غلاتهم من العلوية وغيرهم من المحمدية وسائر فرق أهل الباطل ممن قال بتنقل الارواح فى أنواع الاشخاص من بهم الحيوان وغيره فى كتابنا المترجم بكتاب سر الحياة وكان المعتصم يحب جمع الاتراك وشراءهم من أيدى مواليهم فاجتمع له منهم أربعة آلاف فألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة وأبانهم بالزى عن سائر جنوده وقد كان اصطنع قوما من حوف مصر من حوف اليمن وحوف قيس فسماهم المغاربة واستقدم رجال خراسان من الفراغنة وغيرهم من الاشروسنية فكثر جيشه وكانت الاتراك تؤذى العوام بمدينة السلام بجريها الخيول فى الاسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمة لامرأة أو شيخ كبير أو صبى أو ضرير فعزم المعتصم على النقلة منهم وأن ينزل فى فضاء من الارض فنزل البراذان على أربعة فراسخ من بغداد فلم يستطب هواءها ولا اتسع له هواؤها فلم يزل يتنقل ويتقرى المواضع والاماكن الى دجلة وغيرها حتى انتهى الى الموضع المعروف بالقاطول فاستطاب الموضع وكان هنالك قرية يسكنها خلق من الجرامقة وناس من النبط على النهر المعروف بالقاطول آخذا من دجلة فبنى هنالك قصرا وبنى الناس وانتقلوا عن مدينة السلام وخلت من السكان الا اليسير وكان فيما قاله بعض العيارين فى ذلك معيرا للمعتصم بانتقاله عنهم

ايا ساكن القاطول بين الجرامقه * تركت ببغداد الكباش البطارقه

ونالت من المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة أرضه وتأذوا بالبنى فى ذلك يقول بعض من كان فى الجيش

قالوا

قالوا الشتات بالقاطول مشتانا • فنحن نأمل صنع الله مولانا
الناس يأتمرون الرأى بينهم • والله فى كل يوم محدث شانا

ولما تأذى المعتصم بالموضع وتعذر البناء فيه خرج يتقرى المواضع فانتهى الى موضع سامرا وكان هنالك للنصارى دير عادى فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع فقال يعرف بسامرا قال له المعتصم وما معنى سامرا قال نجدها فى الكتب السالفة والامم الماضية انها مدينة سام بن نوح قال له المعتصم ومن أى بلاد هى والام تضاف قال من بلاد طيرهات واليها تضاف فنظر المعتصم الى فضاء واسع تسافر فيه الابصار وهواء طيب وأرض صحيحة فاستمرأها واستطاب هواءها وأقام هنالك ثلاثا يتصيد فى كل يوم فوجد نفسه تتوق الى الغذاء وتطلب الزيادة على العادة الجارية فعلم أن ذلك لتأثير الهواء والتربة فلما استطاب الموضع دعا بأهل الدير فاشترى منهم أرضهم بأربعة آلاف دينار وارتاد لبناء قصره موضعا فيها فأسس بنيانه وهو الموضع المعروف بالوزيرية بسر من رأى واليها يضاف التين الوزيرى وهو أعذب الاتيان وأرقها قشرا وأصغرها حبا لا يبلغه تين الشام ولا تين اهان وحلوان فارتفع البنيان وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الامصار ونقل اليها من سائر البقاع أنواع الغروس والاشجار وجعل للاتراك قطائع متحيزة وجاورهم بالفراعنة والاشروسنية وغيرهم من مدن خراسان على قدر قربهم منهم فى بلادهم وأقطع اشناس التركى وأصحابه من الاتراك الموضع المعروف بكرخ سامرا ومن الفراعنة من انزلهم الموضع المعروف بالعمرى والجسر واختطت الخطط واقتطعت القطائع والشوارع والدروب وأفرد أهل كل صنعة بسوق وكذلك التجار فبنى الناس وارتفع البنيان وشيدت الدور والقصور وكثرت العمارة واستنبطت المياه وجرت من دجلة وغيرها وتسامع الناس أن دار ملك قد اتخذت فقصدوها وجهزوا اليها من أنواع الامتعة وسائر ما ينتفع به الناس وغيرهم من الحيوان فكثر العيش واتسع الرزق وشملهم الاحسان وعمهم العدل وكان بدء ما وصفنا فيما فعله المعتصم سنة احدى وعشرين ومائتين واشتد أمر بابك وسار عساكره نحو تلك الامصار ففرق العساكر وكثر الجيوش فسير اليه المعتصم بالجيوش وعليها الافشين وكثرت حروبه واتصلت وضاق بابك فى بلاده حتى انفض جمعه وقتل رجاله وامتنع بالجبل المعروف بالبذ من أرض الران وهى بلاد بابك وبه يعرف الى هذا الوقت فلما استشعر بابك نزل به وأشرف عليه هرب من موضعه وزال عن مكانه متنكرا هو وأخوه وولده وأهله ومن تبعه من خواصه وقد تزيا بزى السفر وأهل التجارة والقوافل فنزل موضعا من بلاد ارمينية على بعض المياه وبالقرب منهم راعى غنم فابتاعوا منه شاة وساموا شراء شئ من الزاد لهم فمضى من فوره الى سهل بن سنباط فأخبره الخبر وقال هو بابك لا شك فيه وقد كان الافشين لما هرب بابك من موضعه وزال عن جبله خشى أن يعتصم ببعض الجبال المنيعة أو يتحصن ببعض القلاع أو ينضاف الى بعض الامم القاطنة ببعض تلك الديار فيكثر جمعه وينضاف اليه فلال عسكره فيرجع الى ما كان من أمره فأخذ الطرق وكاتب البطارقة فى الحصون والمواضع من بلاد ارمينية وأذربيجان والران

[illegible] الجبال [illegible] فلما [illegible] الراعي [illegible]
[illegible] حتى أتى [illegible] سهل [illegible]
[illegible] بالملك وقال له أيها الملك [illegible] الذي فيه [illegible]
منزلي فسار معه الى [illegible] وأجلسه على سريره ووضع منزلته [illegible]
وقدمت المائدة وقعد يأكل معه فقال له بابك [illegible]
اليه أمثلك يأكل معي فقام سهل عن المائدة وقال أخطأت أيها الملك وأنت أحق من
احتمل عبده اذ كانت منزلتي ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك ثم جاء بحداد وقال امدد رجليك
أيها الملك وأوثقه بالحديد فقال له بابك أغدرا ياسهل قال يا ابن الخبيثة انما أنت راعي غنم
وبقر ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات وقيد من كان معه وأرسل الى الافشين يخبره
الخبر وأن الرجل عنده فسرح اليه الافشين أربعة آلاف فارس عليهم الحديد وعليهم خليفة
يقال له بوماده فتسلمه ومن معه وأتى به الى الافشين ومعه ابن سنباط فرفع الافشين منزلة
سهل وخلع عليه وحباه وتوجه وقاد بين يديه واستخرج له الخراج وأطلقه وأطلقت الطيور
الى المعتصم وكتب اليه بالفتح فلما وصل اليه ذلك ضج الناس بالتكبير وعمهم الفرح
وأظهروا السرور وبعث الكتب الى الامصار بالفتح وقد كان افنى عساكر السلطان فسار
الافشين ببابك وتنقل بالعساكر حتى أتى سر من رأى وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين
وتلقى الافشين هارون بن المعتصم وأهل بيته الا مقور رجال الدولة ونزل بالموضع المعروف
بالقاطول على خمس فراسخ من سامرا وبعث اليه بالفيل الاشهب وكان قد حمل بعض ملوك
الهند الى المأمون وكان فيلا عظيما قد جلل بالديباج الاحمر والاخضر وأنواع الحرير
الملون ومعه ناقة عظيمة نجيبة قد جللت عبا وصنعا وحمل الى الافشين دراعة من الديباج
الاحمر منسوجة بالذهب قد رصع صدرها بأنواع الياقوت والجوهر ودراعة دونها وقلنسوة
عظيمة كالبرنس ذات سفاسك بألوان مختلفة وقد نظم على القلنسوة كثيرا من اللؤلؤ والجوهر
والبس بابك الدراعة والبس أخوه الاخرى وجعلت القلنسوة على رأس بابك وعلى رأس
أخيه نحوها وقدم اليه الفيل والى أخيه الناقة فلما رأى صورة الفيل استعظمه وقال
ما هذه الدابة العظيمة واستحسن الدراعة وقال هذه كرامة ملك عظيم جليل الى اسير
فقد العز ذليل اخطأته الاقدار وزالت عنه الجدود وتورطه المحن انها الفرصة تقتضي
ترحه وضرب له المصاف صفين في الخيل والرجل والسلاح والحديد والرايات والبنود من
القاطول الى سامرا مدد واحد متصل غير منفصل وبابك على الفيل وأخوه وراءه على الناقة
والفيل يخطر بين الصفين به وبابك ينظر الى ذات اليمين وذات الشمال وعيز الرجال والعدد
ويظهر الاسف والحنين على ما فاته من سفك دمائهم غير مستعظم لما يرى من كثرتهم
وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين ولم ير الناس مثل ذلك
اليوم ولا مثل تلك الزينة ودخل الافشين على المعتصم فرفع منزلته وأعلى مكانه وأتى ببابك
فطوف به بين يديه فقال له المعتصم أنت بابك فلم يجب وكررها عليه مرارا وبابك ساكت فمال
اليه الافشين وقال الويل لك أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت فقال نعم انا بابك

[illegible] (قال المسعودي) [illegible]
[illegible]
[illegible] وإن أمير [illegible] المؤمنين [illegible] عبد الله [illegible]
من الزينة وقطعت يده [illegible] ضرب بها وجهه وفعل مثل ذلك بيساره وثلث برجليه وهو يتمرغ
في النطع في دمه وقد كان تكلم بكلام كثير رغب في أموال عظيمة فلم يلتفت الى
قوله وأقبل يضرب بما بقي من زنديه وجهه وأمر المعتصم السياف أن يدخل السيف بين
ضلعين من اضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ففعل ثم أمر بحز لسانه وصلب
أطرافه مع جسده ثم حمل الرأس الى مدينة السلام ونصب على الجسر وحمل الى خراسان
[illegible] بكل مدينة من مدنها [illegible] لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره
[illegible] وأمر [illegible] أخوه [illegible]
مع الرأس الى مدينة السلام ففعل به اسحاق بن ابراهيم ما فعل بأخيه بابك بسامرا وصلب
جثة بابك على خشبة طويلة في اقاصي سامرا وموضعه مشهور الى هذه الغاية يعرف
بكنيسة بابك وان كانت سامرا في هذا الوقت ممن خلا ساكنها وبان عنها قاطنها الا يسيرا
من الناس في بعض المواضع بها ولما قتل بابك وأخوه وكان من أمرهما ما تقدم ذكره قام في
مجلس المعتصم الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء فممن قام في ذلك اليوم ابراهيم بن المهدي
فقال شعرا ليس بالسليم وهو

يا أمين الله لقد قد كثيرا ✱ هكذا النصر فلا زال النصر وزيرا
وعلى الاعداء اعطيت من الله ظهيرا ✱ هنأك الله بذا الفتح بشيرا
فهو فتح لم يزل الناس له فتحا نظيرا ✱ وجزى الافشين عبد الله خيرا وحبورا
فلقد لاقى به بابك يوما خطيرا ✱ ذا الشمولات الذي ألفيته جلدا صبورا
للّه حتى ضرج السيف له حدا نظيرا ✱ ضربة ابقت على الدهر له في الوجه نورا

وتوج الافشين بتاج من الذهب مرصع بالجوهر واكليل ليس فيه من الجوهر الا الياقوت
الاحمر والزمرد الاخضر قد شبك بالذهب وألبس وشاحين وزوج المعتصم الحسن بن
الافشين بأترجة بنت اشناس وزفت اليه وأقيم لها عرس تجاوز المقدار في البهاء والجمال
وكانت توصف بالجمال والكمال ولما كان من ليلة الزفاف ماعم سروره خواص الناس
وكثيرا من عوامهم قال المعتصم أبياتا يصف حسنهما وجمالهما واجتماعهما وهي

زفت عروس الى عروس ✱ بنت رئيس الى رئيس
أيهما كان ليت شعري ✱ أجل في الصدور والنفوس
أصاحب المذهب المحلى ✱ ام ذي الوشاحين والشموس

وفي هذه السنة وهي سنة ثلاث وعشرين خرج توفيل ملك الروم في عساكره ومعه ملوك
برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الامم حتى نزل على مدينة زبطرة
من الثغر الجوزي فافتتحها بالسيف وقتل الصغير والكبير وأغار على بلاد ملطية فضج الناس
في الامصار واستغاثوا في المساجد والديار فدخل ابراهيم بن المهدي على المعتصم فأنشده

قال قصيدة طويلة يذكر فيها ما نزل بهن ويحضه على الجهاد فيها

يا غارة الله قد عاينت فانتهكى * هتك النساء وما منهن يرتكب

هب الرجال على اجرامها قتلت * ما بال اطفالها بالذبح تنتهب

وابراهيم بن المهدي أول من قال في شعره يا غيرة الله فخرج المعتصم من فوره نافرا عليه دراعة من الصوف بيضا وقد تعمم بعمامة الغزاة فعسكر غربي دجلة وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ونصبت الاعلام على الجسر ونودى في الامصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين فسارت اليه العساكر والمطوعة من سائر الاسلام وجعل على مقدمته اشناس التركى ويتلوه محمد بن ابراهيم وعلى ميسرته جعفر بن دينار وعلى ساقته بغا الكبير وعلى القلب عجيف وسار المعتصم من الثغور الشامية ودخل من درب السلامة ودخل الافشين من درب الحدث ودخل الناس من سائر الدروب فلم يكن يحصى الناس العدد ولا يضبطون كثرة فمن مكثر ومقلل فالمكثر يقول خمسمائة ألف والمقلل مائتى ألف ولقى ملك الروم الافشين فحاربه فهزمه الافشين وقتل اكثر بطارقته وأصحابه وجاء رجل من المتنصرة يقال له نصير في خلق من أصحابه وقد كان الافشين قصر عن أخذ الملك في ذلك اليوم حين ولى وقال هو ملك والملوك تبقى بعضها على بعض وفتح المعتصم حصونا كثيرة ونزل على مدينة عمورية ففتحها الله على يديه وخرج لاوى البطريق منها واسلمها اليه وأسر البطريق الكبير منها وهو ماطس وقتل منها ثلاثين ألفا وأقام عليها أربعة أيام يهدم ويحرق وأراد المسير الى القسطنطينية والنزول على خليجها والحيلة في فتحها برا وبحرا فأتاه ما ازعجه وأزاله عما كان عزم عليه من أمر العباس بن المأمون وان ناسا قد بايعوه وانه كاتب طاغية الروم فاعجل المعتصم في سيره وحبس العباس وشيعته وفي هذه السنة مات العباس بن المأمون وفي سنة خمس وعشرين ادخل المازيار ابن مارن بن بنداهرمز صاحب جبال طبرستان الى سامرا فأقر على الافشين أنه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس وقبض على الافشين قبل قدوم المازيار بسامرا بيوم وأقر عليه كاتب يقال له سابور فضرب المازيار بسوط حتى مات بعد أن شهر وصلب الى جانب بابك وقد كان المازيار رغب المعتصم في اموال كثيرة يحملها ان هو من عليه بالبقاء فأبى قبول ذلك وتمثل

ان الاسود أسود الغيل همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ومالت خشبة مازيار الى خشبة بابك فتدانت أجسامهما وقد كان صلب في ذلك الموضع باطس بطريق عمورية وقد انحت نحوهما خشبته ففي ذلك يقول أبو الهمام لهما

ولقد شفا الاحشاء من برحائها * اذ صار بابك جار مازيار

ثانيه في كبد السماء ولم يكن * لاثنين ثان اذ هما في الغار

فكأنما انحنيا لكيما يطويا * عن باطس خبرا من الاخبار

ومات الافشين في الحبس بعد أن جمع بينه وبين مازيار فأقر عليه وأخرج الافشين ميتا

فصلب بباب العامة واحضرت اصنام زعموا انها كانت حملت اليه فألقيت عليه وأضرمت النار فأتت على الجميع وفى سنة ست وعشرين ومائتين مات أبو دلف العجلى وكان سيد أهله ورئيس عشيرته من عجل وغيرها من ربيعة وكان شاعرا مجيدا شجاعا بطلا مغنيا مصيبا وهو القائل

يوما ترانى على طمر * ترهبنى الاجيل الرواسى
ويوم لهو أحث كاسا * وخلف اذنى قضيب آسى

(وذكر) أن أبا دلف طعن فارسا فنفذت الطعنة الى أن وصل السنان آخر كان خلفه فقتلهما ففى ذلك يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم الهياج ولا تراه كليلا
لا تعجبوا فلو ان طول قناته * ميل اذ انظم الفوارس ميلا

(وذكر) عيسى بن أبى دلف ان أخاه دلف وكان يكنى أبوه أبا دلف كان ينتقص عليا ويضع منه ومن شيعته وينسبهم الى الجهل وانه قال يوما وهو فى مجلس أبيه ولم يكن أبوه حاضرا انهم يزعمون ان لا ينتقص عليا أحد الا كان لغير رشدة وأنتم تعلمون غيرة الامير وانه لا يتهيأ الطعن على أحد من ضربته وأنا ابغض عليا قال فما كان بأوشك من ان خرج أبو دلف فلما رآيناه قمنا له فقال قد سمعت ما قاله دلف والحديث لا يكذب والخبر الوارد فى هذا المعنى لا يختلف هو والله لزنية وحيضة وذلك انى كنت عليلا فبعثت الى اختى جارية لها كنت بها معجبا فلم اتمالك أن وقعت عليها وكانت حائضا فعلقت به فلما ظهر حملها وهبتها لى فبلغ من عداوة دلف هذا لابيه ونصبه ومخالفته له لان الغالب على أبيه التشيع والميل الى على ان شنع عليه بعد وفاته وهو ما حدث به الفرهيانى قال حدثنا دلف بن أبى دلف قال رأيت فى المنام آتيا أتانى فقال لى أجب الامير فقمت معه فأدخلنى دارا وحشة وعرة وأصعدنى على درج منها ثم ادخلنى غرفة فى حيطانها اثر الرماد واذا به عريان واضع رأسه بين ركبتيه فقال كالمستفهم دلف قلت دلف فانشأ يقول

فلو أنا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعده عن كل شئ

ثم قال افهمت قلت نعم وانتبهت * وفى خلافة المعتصم وذلك سنة أربع وعشرين ومائتين مات جماعة من نقلة الاخبار وعلية أصحاب الحديث منهم عمرو بن مرزوق الباهلى المصرى وأبو النعمان عارم ومحمد بن الفضل السدوسى وأبو أيوب سليمان بن حرب الواشحى البصرى من الازد وسعد بن الحكم بن أبى مريم البصرى وأحمد بن عبد الله العرانى وسليمان الشاذكونى وعلى بن المدنى وفى سنة تسع وعشرين ومائتين مات بشر الحافى ببغداد وكان من مرو وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسى بالبصرة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وعبد الله بن عبد الوهاب الجمحى وابراهيم بن يسار الرمادى وقيل ان فيها كانت وفاة محمد بن كثير العبدى والصحيح ان وفاته كانت فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين (قال المسعودى) وفى سنة سبع وعشرين كانت وفاة المعتصم على دجلة فى قصره المعروف

بالخلافة في يوم الخميس لثماني عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول وقيل لساعتين من ليلة الخميس وهو ابن ثمان وأربعين سنة وقيل ست وأربعين سنة على ماقدمنا في انقضاء صدر هذا الباب وكان مولده بالخلد ببغداد سنة ثمان وسبعين ومائة في الشهر الثامن من السنة وهو ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات * وللمعتصم أخبار حسان وما كان من أمره في فتح عمورية وما كان من حروبه قبل الخلافة في اسفاره نحو الشام ومصر وغير ذلك وما كان منه بعد الخلافة وما حكي عنه من حسن السيرة واستقامة الطريقة ابن دواد القاضي ويعقوب بن الليث الكندي في لمع أوردها في رسالته المترجمة بسبيل الفضائل قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا في أخبار الزمان والكتاب الاوسط وقد ذكرنا في هذا لمعا منبهة على ماسلف وباعثة على درس ماتقدم

(ذكر خلافة الواثق)

وبويع هارون بن محمد بن هارون الواثق ويكنى بأبي جعفر وأمه أم ولد رومية وتسمى قراطيس وذلك في اليوم الذي كانت فيه وفاة المعتصم وهو يوم الخميس لثماني عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين وبويع وهو ابن احدى وثلاثين سنة وتسعة اشهر وكانت خلافته خمس سنين وتسعة اشهر وثلاثة عشر يوما وقيل انه توفي يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وهو ابن أربع وثلاثين سنة ووزيره محمد بن عبد الملك وعلى حسب ماقدمنا في أيام المعتصم من هذا الكتاب والتواريخ متباينة في مقادير أعمارهم وأيامهم في الزيادة والنقصان

(ذكر لمع من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

كان الواثق كثير الاكل والشرب واسع المعروف متعطفا على أهل بيته متفقد الرعيته وسلك في المذهب مذهب أبيه وعمه من القول بالعدل وغلب عليه أحمد بن أبي دواد ومحمد ابن عبد الملك الزيات فكان لا يصدر الاعن رأيهما ولا يعاب عليهما فيما رأيا وقلدهما الامر وفوض اليهما ملكه (وذكر) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الجاسمي نسبة الى جاسم وهي قرية من اعمال دمشق بين بلاد الاردن ودمشق بموضع يعرف بالجولان ويعرف بجاسم على اميال من الجابية وبلاد برا وهي من مراعي أيوب عليه السلام قال خرجت في أيام الواثق الى سر من رأى فلما قربت منها لقيني اعرابي فأردت أن اعلم خبر العسكر منه فقلت يا اعرابي ممن أنت قال من بني عامر قلت كيف علمك بعسكر أمير المؤمنين قال قتل ارضا عالمها قلت ماتقول في أمير المؤمنين قال وثق بالله فكفاه اشجى القاصية وقصم العادية ورغب عن كل ذي جناية قلت فما تقول في أحمد بن أبي دواد قال هضبة لاترام وجبل لايضام تشحذ له المدى وتنصب له الحبائل حتى اذا أقبل كان قد وثب وثبة الذئب وختل ختلة الضب قلت فما تقول في محمد بن عبد الحكم الزيات قال وسع الداني شره ووصل الى البعيد ضره له في كل يوم صريع لايرى فيه اثر ناب ولا مخلب قلت فما تقول في عمرو بن فرج قال ضخم نهم استعذب الدم ينصبه القوم ترسا للدعاء قلت فما تقول في الفضل بن مروان قال رجل نبش بعد ماقبر ليس تعد له حياة في الاحياء وعليه خفة الموتى قلت

فما تقول في الوزير قال تخاله كبش الزنادقة أما تراه اذا اتجمل الخليفة سمن ورتع واذا هزه امطر فأسرع قلت فما تقول في أحمد بن الخصيب قال ذاك اكل اكلة نهم فزرق زرقة بشم قلت فما تقول في ابراهيم أخيه قال اموات غير احياء وما يشعرون أيان يبعثون قلت فما تقول في أحمد بن اسرائيل قال لله دره أي قاعل هو وأي صابر هو أعد الصبر دثارا والجود شعارا وأهون عليه بهم قلت فما تقول في المعلي بن أيوب قال ذاك الرجل خبر مسيح السلطان عفيف اللسان سلم من القوم وسلموا منه قلت فما تقول في ابراهيم بن رباح قال ذاك الرجل أوثقه كرمه وأسلمه فضله وله دعاء لايسلمه ورب لايخذله وفوقه خليفة لايظلمه قلت فما تقول في الحسن ابنه قال ذاك عود نضار غرس في منابت الكرم حتى اذا اهتز حصدوه قلت فما تقول في نجاح بن سلمة قال لله دره أي طالب وتر ومدرك ثار يلتهب كانه شعلة نار له من الخليفة في الاحيان جلسة تزيل نعما وتحل نقما قلت يا أعرابي أين منزلك حتى آتيك قال اللهم غفرا مالي منزل انما أشتمل النهار وألتحف الليل فحيثما ادركني الرقاد رقدت قلت فكيف رضاك عن أهل العسكر قال ان اعطوني لم أحمدهم وان ضيعوني لم اذمهم واني كما قال هذا الغلام الطائي

وما ابالي وخير القول اصدقه * حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي

قلت فأنا قائل هذا الشعر قال أأنك أنت الطائي قلت نعم قال لله أبوك وأنت القائل

ماجود كفك ان جادت وان بخلت * من ماء وجهي وقد اخلقته عوض

قلت نعم قال أنت اشعر أهل زمانك وفي رواية اخرى ليست في الكتاب قلت انشدني شيأ من شعرك فانشدني

اقول وجنح الدجا ملبد * ولليل في كل فج يد
ونحن ضجيعان في مجسد * فلله ماضمن المجسد
فيا غد ان كنت بي محسنا * فلا تدن من ليلتي يا غد
ويا ليلة الوصل لاتنفدي * كما ليلة الهجر لاتنفد

فقلت لله أبوك ورددته معي حتى لقيت ابن أبي دواد وحدثته بخبره فأوصله الى الواثق فأمر له بالف دينار وأخذ له من سائر الكتاب وأهل الدولة ما أغناه به وأغنى عقبه بعده وهذا الخبر فخرجه عن أبي تمام فان كان صادقا فيما قال ولا اراه فقد أحسن الاعرابي في الوصف وان كان أبو تمام هو الذي صنعه وعزاه الى هذا الاعرابي فقد قصر في نظمه اذ كانت منزلته اكبر من هذا * وكانت وفاة أبي تمام بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين وكان خليعا ماجنا وربما اداه ذلك الى ترك موجبات فرضه تماجنا لا اعتقادا (وحدث) محمد بن يزيد المبرد عن الحسن بن رجاء قال صار الي أبو تمام وأنا بفارس فاقام عندي مقاما طويلا ونمى الي من غير وجه انه لا يصلي فوكلت به من يراعيه ويتفقده أوقات الصلاة فوجدت الأمر على ما اتصل بي عنه فعاتبته على فعله ذلك فكان من جوابه ان قال لم انشط للشخوص اليك من مدينة السلام وأتجشم هذه الطرقات الشاقة واكسل عن ركعات لامؤنة علي فيها لو كنت اعلم ان لمن صلاها ثوابا أو على من تركها عقابا قال فهممت والله بقتله ثم تخوفت

ان ينصرف الامر الى غير جهته وهو القائل

وأحق الانام ان يقضى الدين امرؤ كان للاله غريما

وهذا قول مباين لدليل العقل والناس فى أبى تمام فى طرفى نقيض متعصب له يعطيه اكثر من حقه ويتجاوز به فى الوصف ويرى ان شعره فوق كل شعر ومنحرف له معاند فهو ينفى عنه حسنه ويعيب مختاره ويستقبح المعانى الظريفة التى سبق اليها وتفرد بها (وذكر) عبد الله بن الحسن بن سعدان عن المبرد قال كنت فى مجلس القاضى أبى اسحاق واسماعيل ابن اسحاق وحضر جماعة سماهم منهم الحارثى الذى قال فيه على بن الجهم الشامى

لم يطلعا الا لابدة * الحارثى وكوكب الذنب

فجرى ذلك الشعر وان كان الكلام تسلسل الى ذكر أبى تمام وشعره وأن الحارثى انشد لابى تمام معاتبة أحسن فيها وأن المبرد استحى ان يستعيد الحارثى الشعر او يكتبه منه لاجل القاضى قال ابن سعدان فاعلمت المبرد أنى احفظ الشعر فانشدته اياه فاستحسنه واستعاده منى مرارا حتى حفظه منى وهو

جعلت فدا لأعبد الله عبدى * تعقب النأى عنه والبعاد

له ملة من الفتيان بيض * قضوا حق الصداقة والوداد

دعوتهم عليك وكنت ممن * يعينه على الفقر الجياد

قال وسألت عن أبى تمام والبحترى أيهما اشعر قال لابى تمام استخراجات لطيفة ومعان ظريفة وجيده اجود من شعر البحترى ومن شعر من تقدمه من المحدثين وشعر البحترى أحسن استواء من أبى تمام لان البحترى يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعن طاعن أو عيب عائب وأبو تمام يقول البيت النادر ويتبعه البيت السخيف وما اشبهه الابغائص البحر يخرج الدرة والخشلبة فى نظام واحد وانما يؤتى هو وكثير من الشعراء من الجهل باشعارهم والاخلو أسقط من شعره على كثرة عدده ما انكر منه لكان اشعر نظرائه فدعانى هذا القول منه الى أن قرأت عليه شعر أبى تمام وأسقطت خواطئه وكل ماذم من شعره وأفردت جيده ووجدت ما يتمثل به ويجرى على ألسنة العامة وكثير من الخاصة مائة وخمسين بيتا ولا اعرف شاعرا جاهليا ولا اسلاميا يتمثل له بهذا المقدار من الشعر ثم قال المبرد وبالبحترى يختم الشعر وانشدنى له بيتين زعم المبرد أنهما لو اضيفا الى شعر زهير لجازا فيه وهما

وما سفه السفيه وان تعدى * بانجح فيك من حلم الحليم

متى احفظت ذا كرم تخطى * اليك ببعض افعال اللئيم

قال وكان مما ذكرنا من شعر البحترى فى هذا المجلس وقدمه محمد بن يزيد على نظرائه فى قوله فى بنى صاعد بن مخلد

واذا رأيت مخايل ابنى صاعد * أدت اليك مخايل ابنى مخلد

كالفرقدين اذا تأمل ناظر * لم يعل موضع فرقد من فرقد

وقوله

من شاكر عنى الخليفة الذى * أولاه من بر ومن احسان
حتى لقد أفضلت من افضاله * ورأيت نهج الجود حيث رآنى
اغنت يد امرئ وشر دجوده * بخلى فأفقرنى كما اغنانى
ووثقت بالخلق الجميل معجلا * منه واعطيت الذى اعطانى

وقوله

وددت بياض السيف يوم لقيننى * مكان بياض الشيب كان بمفرقى

وقوله

دنوت تواضعا وعلوت قدرا * فشأناك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تسامى * ويدنو الضوء منها والشعاع

وقوله فى الفتح بن خاقان وقد نزل الى اسد فقتله

حملت عليه السيف لاعزمك انثنى * ولا يدك ارتدت ولا حده نبا
فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وصمم لما لم يجد منك مهربا
وكنت متى تجمع يمينك والعلا * لدى ضيغم لم تبق للسيف مضربا

وقوله

مازال صرف الدهر يؤيس صفقتى * حتى رهنت على المشيب شبابى

وقوله فى المنتصر

وان عليا لاولى بكم * وأزكى يدا عندكم من عمر
وكان له فضله والحجو * ل يوم البراذين قبل الغرر

وقوله

تعيب الغانيات على شيبى * ومن لى أن امتع بالمشيب

ثم ذكر انتقاض الصلح بين عشيرته فقال

اذا ما الجرح رم على فساد * تبين فيه تفريط الطبيب
وللسهم الشريد أخف عبأ * على الرامى من السهم المصيب

وقوله

وما منع الفتح بن خاقان نيله * ولكنها الايام تعطى وتحرم
سحاب خطانى جوده وهو مسبل * وبحر عدانى فيضه وهو مفعم
أأشكو نداه بعد أن وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وذكر محمد بن الازهر قال كان ابراهيم بن المدبر مع محله فى العلم والادب والمعرفة يسئ الرأى فى أبى تمام ويحلف أنه لا يحسن شيأ قط فقلت له يوما ما تقول فى قوله

غدا الشيب مختطا بفودى خطة * سبيل الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يجفو والمعاشر يجتوى * وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر فى العين ابيض ناصع * ولكنه فى القلب اسود أسفع
ونحن نزجيه على الكره والرضا * وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

وفيمن يقول

فان ترم عن عمرو تداعى به المدى * نخانك حتى لم تجد فيه منزعا
فما كنت الا السيف لاقى ضريبة * فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وفيمن يقول

شرف على أول الزمان وانما الـ * ـشرف المناسب ما يكون كريما

وفيمن يقول

اذا أحسن الاقوام أن يتطاولوا * بلا نعمة أحسنت أن تتطولا

وفيمن يقول

مطرلى الحياة والمال لا أنـ * ـفك الا مستوهبا أو وهوبا
واذا ما اردت كنت رشاء * واذا ما اردت كنت قليبا

والقائل

خشعوا لصولتك التى عودتهم * كالموت يأتى ليس فيه عثار
فالمشى همس والنداء اشارة * خوف انتقامك والحديث سرار
أيامنا معقودة اطـــرافها * بك والليالى كلها أسحار
تبدى عقابك للعصاة وبغتدى * رفقا الى زوارك الزوار

وفيمن يقول

اذا أوحدت أرضا كان فيها * رضاك فلا تحن الى رباها

قال فوالله لكأنى اغريت ابن المدبر بأبى تمام حتى سبه ولعنه فقلت اذا فعلت ذلك لقد حدثنى عمر بن أبى الحسين الطوسى الراوية أن أباه وجه به الى ابن الاعرابى يقرأ عليه أشعار هذيل فجرت بنا اراجيز فأنشدته ارجوزة لأبى تمام لم انسبها اليه وهى

وعاذل عذلته من عذله * فظن أنى جاهل من جهله
ماغبن المغبون مثل عقله * من لك يوما بأخيك كله
لبست ريعانى فدعنى ابله * وملك فى كبره ونبله
وسوقة فى قوله وفعله * بذلت مدحى فيه باغى بذله
بجز حبل املى من وصله * من بعد ما استعذبت عطله
ثم اغتدى معتديا بجهله * ذا عنق فى الجهل لم يحله
يخطئ فى جده وهزله * بجب من تجبى من بخله
سلط الاسر حلقات كبله * حتى كأنى جئته بعذله
يا واحدا منفردا بعدله * أكسبته المال فلا تمله
ما يصنع الغمد بغير نصله * والمدح ذم لم يكن فى اهله

فقال لابنه اكتبها فكتبها على ظهر كتاب من كتبه فقلت له جعلت فداك انها لأبى تمام فقال خرق خرق وهذا من ابن المدبر قبيح من عمله لان الواجب أن لا يدفع احسان محسن عدوا كان أو صديقا وأن تؤخذ الفائدة من الوضيع والرفيع فقد روى عن أمير المؤمنين

انه

انه قال الحكمة ضالة المؤمن فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك * وقد ذكر عن بزرجمهر وكان
من حكماء الفرس وقد قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار ملوك ساسان وهم
الفرس الثانية أنه قال أخذت من كل شئ أحسن ما فيه حتى من الكلب والهرة والخنزير
والغراب قيل ما أخذت من الكلب قال الفه لاهله وذبه عن صاحبه قيل فما أخذت من
الغراب قال شدة حذره قيل فمن الخنزير قال بكوره فى حوائجه قيل فمن الهرة قال
حسن نغمتها وتملقها لاهلها عند المسئلة ومن عاب مثل هذه الاشعار التى ترتاح لها القلوب
وتحرك بها النفوس وتصغى اليها الاسماع وتشحذ بها الاذهان ويعلم كل من له قريحة وفضل
ومعرفة أن قائلها قد بلغ فى الاجادة ابعد غاية واقصى نهاية فانما غض من نفسه وطعن
على معرفته واختياره (وقد روى) عن ابن عباس انه قال الهوى اله معبود واحتج بقوله
تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه * ولابى تمام أشعار حسان ومعان لطاف واستخراجات
بديعة (وحكى) عن بعض العلماء بالشعر أنه سئل عن أبى تمام فقال كأنه جمع شعر العالم
فانتخب جوهره وقد كان أبو تمام ألف كتابا وسماه الحماسة وفى الناس من يسميه كتاب
الحمية انتخب فيه شعر الناس ظهر بعد وفاته وقد صنف أبو بكر الصولى كتابا جمع فيه أخبار
أبى تمام وشعره وتصرفه فى أنواع علومه ومذاهبه واستدل الصولى على ما وصف عن أبى
تمام بما وجد من شعره من ذلك قوله فى صفة الخمر

جهمية الاوصاف الا انهم * قد لقبوها جوهر الاشياء

وقد رثته الشعراء بعد وفاته والادباء من اخوانه منهم الحسن بن وهب الكاتب وكان شاعرا
ظريفا له حظ فى المنثور والمنظوم فقال

سقى بالموصل الجدث الغريبا * سحائب ينتحبن له نحيبا
اذا اطللنه اطلقن فيه * شعيب المزن يتبعها شعيبا
ولطمت البروق به خدودا * وشققت الرعود لها جيوبا
فان تراب ذاك القبر يحوى * حبيبا كان يدعى لى حبيبا
لبيبا شاعرا فطنا اديبا * اصيل الرأى فى الجلى اريبا
اذا شاهدته روّاك فيما * يسرك رقة منه وطيبا
أبا تمام الطائى ماذا * لقينا بعدك العجب العجيبا
فقدنا منك علقا لا ترانا * نصيب له مدى الدنيا ضريبا
وكنت اخا لنا ابدى الينا * ضمير الود والنسب القريبا
فلما ان كدرت الليالى * قريب الدار والاقصى الغريبا
فأبدى الدهر أقبح صفحتيه * ووجها كالحا جهما قطوبا
فأحر بأن يطيب الموت فيه * وأحر بعيشنا أن لا يطيبا

وللحسن أشعار حسان ومعان جياد منها قوله

ابت مقلتاك لفرط الحزن * عليك الرقاد وبرد الوسن
وحق لعينيك أن لا تنام * وقلبك مختلس مرتهن

وبين الجوانح داء دفين * لعمرك مستكن قد كمن
شجى الهموم وقرن الكلوم * ووهى الهلوم وبعد الوطن
شديد النفار كثير العثار * خليع العذار يجر الرسن
أفي كل يوم تطيل الوقوف * تناجي الديار وتبكي الدمن
وتستخبر الدار عن أهلها * وتذري الدموع على من ظعن
كأنك لم ترفيما مضى * من الدهر ذا صبوة مفتتن
عذرتك أيام شرخ الشباب * وفرعك فرع نضير الغصن
فأما وقد زال ظل الشبا * ب عنك وولى كأن لم يكن
وألبسك الشيب بعد الشباب * قناع بياض كلون القطن
وصرت قذى في عيون الحسان * يخنك عهدا وإن لم تخن
ويصدفن عنك إذا رمتهن * وكنت لهن زمانا سكن
فمالك عذر وأنت امرؤ * بما فيه رشدك طب فطن

وفي خلافة الواثق مات علي بن الجعد مولى بني مخزوم وكان من علية أصحاب الحديث وأهل النقل وذلك في سنة ثلاثين ومائتين * وفي سنة احدى وثلاثين ومائتين قتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي في المحنة على القرآن (قال المسعودي) وكان يحضر مجلس الواثق فتى برسم الندماء يقوم قائما لصغر سنه ولم يكن لذلك يلحق في الجلوس بمراتب ذوي الاسنان وكان ذكيا مأذونا له في الافاضة مع الجلساء في كل ما يعرض لهم الكلام فيه والتكلم بما يسنح ويختلج في صدره من مثل سائر وبيت نادر وحديث ممتع وجواب مسرع قال وكان الواثق من شدة الشهوة للطعام والنهمة فيه على الحالة المشهورة المتعالية فقال لهم الواثق يوما ما تختارون من النقل فبعض قال نبات السكر وبعض قال رمان وبعض قال تفاح وبعض قال قصب السكر ينضح بماء الورد وبعض اخرجته الفلسفة الى النقيض فقال ملح بغلي وبعض قال صبر يحمي بعذاب النبيذ ويجلي على سورة الشراب ومرارة النقل قال ما صنعتم شيأ ولكن ما تقول أنت يا غلام قال خشكنانج مشير فوافق ذلك ما في نفس الواثق وقال اصبت وأحسنت بارك الله لك وكان ذلك أول جلوسه * وقيل ان أبا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم الرضوان توفي في خلافة الواثق وقد بلغ من السن ما قدمناه في خلافة المعتصم من هذا الكتاب وقيل انه كتب الى الواثق يا أمير المؤمنين ليس من أحد وان ساعدته المقادير يستخلص غضارة عيش الامن خلال مكروه ومن ترك معاجلة الدرك انتظار مؤاجلة الاشياء سلبته الايام فرصته فان شرط الزمان الآفات وحكم الدهر السلب * وفي سنة ثلاثين ومائتين وذلك في خلافة الواثق توفي عبد الله بن طاهر في ربيع الاول من هذه السنة وفيه يقول الشاعر وقت كون عبد الله بن طاهر بمصر

يقول اناس ان مصر بعيدة * وما بعدت مصر وفيها ابن طاهر
وأبعد من مصر رجال تراهم * بحضرتنا معروفهم غير حاضر

عن الكبر موتى ما تبال أزرتهم * على طمع ام زرت أهل المقابر

وكان الواثق محبا للنظر مكرما لاهله مبغضا للتقليد وأهله محبا للاشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة والمتطببين فجرى بحضرته أنواع من علومهم في الطبيعيات وما بعد ذلك من الالهيات فقال لهم الواثق قد احببت أن اعلم كيفية ادراك معرفة الطب ومأخذ اصوله أذلك من الحس أم من القياس والسنة أم يدرك من جهة العقل أم علم ذلك وطريقه يعلم عندكم من جهة السمع كما يذهب اليه جماعة من أهل الشريعة وقد كان ابن بختيشوع وابن ماسويه وميخائيل فيمن حضر وقيل ان حنين بن اسحق وسلمويه فيمن حضر في هذا المجلس فقال منهم قائل زعم طوائف من الاطباء وكثير من متقدميهم أن الطريق الذي يدرك به الطب هو التجربة فقط وحدوه بأن يتكرر الحس على محسوس واحد في أحوال متغايرة فيوجد بالحس في آخر الاحوال كما يوجد في أولها والحافظ لذلك المجرب وزعموا أن التجربة ترجع الى مباد أربعة هن لها اوائل ومقدمات وبها علت وصحت واليها تنقسم التجربة فصارت بذلك أجزاء لها فزعموا أن قسما من تلك الاقسام طبيعي وهو ما تفعله الطبيعة في الصحيح والمريض من الرعاف والعرق والاسهال والقيء التي تعقب في المشاهدة منفعة أو ضررا وقسما اراديا وهو ما يقع من قبل النفس الناطقة وذلك كمثل منام يراه الانسان وهو أن يرى كأنه عالج مريضا به علة مشاهدة معقولة بشيء من الاشياء معروف فيبرأ ذلك المريض من مرضه أو يخطر مثل ذلك بباله في حال فكره فيتردد ويغلب ظنه بعطبه فيجربه بأن يفعله كما يرى في منامه فيجده كما يرى أو يخاف ذلك ويفعله مرارا فيجده كذلك وقسما هو نقل وهو على ثلاثة أقسام اما أن ينقل الدواء الواحد من مرض الى مرض يشبهه وذلك كالنقلة من ورم الحمرة الى الورم المعروف بالنملة واما من عضو الى عضو يشبهه وذلك كالنقلة من السفرجل الى الزعرور في علاج انطلاق البطن وكل ذلك لا يعمل به عندهم الا بالتجربة وذهب طائفة اخرى منهم الى أن الحيلة في تقريب أمر صناعة الطب وتسهيلها أن ترد أشخاص من العلل ومولداتها الى الاصول الحاصرة الجامعة لها اذا كان لا غاية لتولدها وأن يستدل على الدواء من نفس الطبيعة والمرض الحاضر الموجود في الحال والوقت دون الاسباب الفاعلة التي عدمت ودون الازمان والاوقات والاسباب والعادات ومعرفة طبائع الاعضاء وحدودها وألزموا التحفظ بكل ما يكون في كل علة وجدت أو لم توجد وبرهنوا بأن زعموا أن من المعلومات الظاهرة التي لا ريب فيها أن الضدين لا يجوز اجتماعهما في حال وأن وجود احدهما ينفي الآخر في الحال لا محالة قالوا وليس هذا ككل شيء ظاهر يستدل به على كل شيء خفي والشيء الظاهر يحتمل الوجود فيختلف الاستدلال فيكون انقطع على ما يوجبه غير بين وهذا قول جماعة من حذاق المتطببين وأهل التقدم في اليونانيين مثل ماذوس وساساليس وغيرهما وهم قوم يعرفون بأصحاب الطب الجبلي قال الواثق لهم جميعا أخبروني عن جمهورهم الاعظم الام يذهبون في ذلك فقالوا القياس قال وكيف ذلك قالوا جميعا زعمت هذه الطائفة أن الطريق والقانون الى معرفة الطب مأخوذ من

قوله وذلك كالنقلة من السفرجل الخ هكذا في النسخ ولا يلائم ما قبله ولعل هنا سقطا بذكره يتم القسم الثاني ويحصل التنصيص على القسم الثالث ويكون قوله وذلك كالنقلة من السفرجل الخ تمثيلا له واحرر تأمل اه مصححه

مقدمات أولية فمنها معرفة طبائع الابدان والاعضاء وأفعالها ومنها معرفة الابدان في الصحة والمرض ومعرفة الاهوية واختلافها والاعمال والصنائع والعادات والاطعمة والاشربة والاسفار ومعرفة قوى الامراض وقالوا ثبت في الشاهد أن الحيوان يختلف في صورته وطباعه وكذلك أعضاؤه مختلفة في طباعها وصورها وأن الاجساد الحيوانية تتغير بالاهوية المحيطة بها وبالحركة والسكون والاغذية من المأكول والمشروب والنوم واليقظة واستفراغ ما يخرج من الجسد واحتباسه من الاعراض النفسانية من الغم والحزن والغضب والهم قالوا والغرض بالطب هو تدبير الاجسام وحفظ الصحة الموجودة في البدن الصحيح واجتلابها للعليل قالوا فوجب أن يكون حفظ الصحة انما هو بمعرفة الاسباب المصححة فالواجب على الطبيب لا محالة من هذه المقدمات التي قدمت اذا اراد علاج المريض النظر في طبائع الامراض والابدان والاغذية والعادات والازمان والاوقات الحاضرة والاسباب ليستدل بجميع ذلك وهذا يا أمير المؤمنين قول ابقراط وجالينوس ومن تقدم وتأخر عنهم قالوا وقد اختلفت هذه الطائفة في كثير من الاغذية والادوية مع اتفاقهم على ما وصفنا وذلك لاختلافهم في كيفية الاستدلال فمنهم من زعم أنه يستدل على طبيعة الشيء من الاغذية والادوية بطعمه أو ريحه أو لونه أو قوامه أو فعله وتأثيره في الجسد وزعموا أن الوثيقة في الاستدلال بالاجزاء اذا كانت الالوان والارايح وسائر ما ذكرنا من أفعال الطبائع الاربع كما أن الاسخان والتبريد والتليين فعل لها وزعمت طائفة اخرى منهم أن اصح الشهادات واثبت القضايا في الحكم على طبيعة الدواء والغذاء ما أخذ من فعله في الجسد دون الطعم والرائحة وما سوى ذلك فان الاستدلال بما سوى الفعل والتأثير لا يقطع به ولا يعوّل على طبيعة الدواء المفرد والمركب قال الواثق لحنين من بين الجماعة ما أول آلات الغذاء من الانسان قال أول آلات الغذاء الفم وفيه الاسنان والاسنان اثنتان وثلاثون سنا منها في اللحي الاعلى ستة عشر سنا وفي اللحي الاسفل كذلك ومن ذلك أربعة في كل واحد من اللحيين عراض محددة الاطراف تسميها الاطباء من اليونانيين القواطع وذلك أن بها يقطع ما يحتاج الى قطعه من الاطعمة اللينة كما يقطع هذا النوع من المأكل بالسكين وهي الثنايا والرباعيات وعن جنبي هذه الاربعة في كل واحد من اللحيين سنان رؤسهما حادة وأصولهما عريضة وهي الانياب وبها يكسر كل ما يحتاج الى تكسيره من الاشياء الصلبة مما يؤكل وعن جنبي النابين في كل واحد من اللحيين خمس اسنان أخر عوارض خشن وهي الاضراس ويسميها اليونانيون الطواحن لانها تطحن ما يحتاج الى طحنه مما يؤكل وكل واحد من الثنايا والرباعيات والانياب له أصل واحد وأما الاضراس فما كان منها في اللحي الاعلى فله ثلاثة أصول خلا الضرسين الاقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول أربعة وما كان من الاضراس في اللحي الاسفل فلكل واحد منها أصلان خلا الضرسين الاقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما اصول ثلاثة وانما احتيج الى كثرة اصول الاضراس دون سائر الاسنان لشدة قوة العمل بها وخصت العليا منها بالزيادة في الاصول لتعلقها باعلى الفم قال الواثق احسنت فيما ذكرت

من هذه الآلات تصنف لي كتابا تذكر فيه جميع ما يحتاج الى معرفته من ذلك فصنف له كتابا جعله ثلاث مقالات يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء والمسهل وآلات الجسد (وقد ذكر) أن الواثق سأل حنينا في هذا المجلس وفي غيره عن مسائل كثيرة وأن حنينا أجاب عن ذلك وصنف في كل ذلك كتابا ترجمه بكتاب المسائل الطبيعية يذكر فيه أنواعا من العلوم فكان مما سأل الواثق حنينا من المسائل وقيل بل احضر له نديما من ندمائه فكان يسأله بحضرة الواثق يسمع ويتعجب مما يورده السائل الى أن قال فما الاشياء المغيرة للهواء قال حنين خمس وهي أوقات السنة وطلوع الكواكب وغروبها والرياح والبلدان والبحار * قال السائل فكم هي أوقات السنة قال أربع الربيع والصيف والخريف والشتاء فمزاج الربيع معتدل في الحرارة والرطوبة ومزاج الصيف حار يابس ومزاج الخريف بارد يابس ومزاج الشتاء بارد رطب * قال السائل أخبرني عن كيفية تغيير الكواكب للهواء قال ان الشمس متى قربت منا أو قربت هي من الشمس كان الهواء ازيد سخونة وخاصة كلما كانت اعظم ومتى بعدت الشمس أو بعدت هي من الشمس كان الهواء ازيد بردا * قال أخبرني عن كمية أعداد الرياح قال أربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فأما قوة الشمال فباردة يابسة وأما الجنوب فحارة رطبة وأما الصبا والدبور فمعتدلان غير أن الصبا اميل الى الحرارة واليبس والدبور اميل الى البرودة والرطوبة من الصبا * قال فأخبرني عن أحوال البلدان في ذلك قال هي أربعة الاول الارتفاع والثاني الانخفاض والثالث مجاورة الجبال والبحار والرابع طبيعة تربة الارض والنواحي أربع وهي الجنوب والشمال والمشرق والمغرب فناحية الجنوب اسخن وناحية الشمال ابرد وأما ناحيتا المشرق والمغرب فمعتدلتان واختلاف البلدان بارتفاعها يجعلها ابرد وانخفاضها يجعلها اسخن والبلدان تختلف بحسب مجاورة الجبال لها لان الجبل متى كان من البلد في ناحية الجنوب جعل ذلك البلد ازيد بردا لانه يستره من الرياح الجنوبية وانما تهب فيه الريح الشمالية فقط ومتى كان الجبل من البلد في ناحية الشمال جعل ذلك البلد اسخن * قال فأخبرني عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار كيف اختلفت قال حنين ان كان البحر من البلد في ناحية الجنوب فان ذلك البلد يسخن ويرطب وان كان في ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد * قال السائل فأخبرني عن البلدان كيف اختلفت بحسب طبيعة تربتها قال ان كانت أرضها حجرية جعلت ذلك البلد ابرد وأخف وان كانت طينا جعلته ابرد وارطب * قال فلم اختلف الهواء من قبل البحار قال اذا جاورت نقائع ماء أو جيفا أو بقولا عفنة أو غير ذلك مما يعفن تغير هواؤها * فلما كثر هذا الكلام من السائل والمجيب اضجر ذلك الواثق فقطع ذلك وأجاز كل واحد ممن حضر * ثم أمرهم أن يخبر كل واحد منهم عما حضره في الزهد في هذا العالم الذي هو عالم الدثور والفناء والغرور فذكر كل واحد منهم ما سنح له من الاخبار عن زهد الفلاسفة من اليونانيين والحكماء المتقدمين كسقراط وديوجانس * قال الواثق قد اكثرتم فيما وصفتم وقد أحسنتم الحكاية فيما ذكرتم فليخبرني كل واحد عن أحسن ما سمع من نطق الحكماء الذين حضروا وفاة الاسكندر وقد جعل في التابوت الاحمر فقال بعضهم يا أمير

المؤمنين كل ما ذكروه حسن وأحسن ما نطق به من حضر ذلك المشهد من الحكماء دو بباتش وقد قيل انه لبعض حكماء الهند فقال ان الاسكندر أمس انطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس وأخذ هذا المعنى من قول الحكيم أبو العتاهية حيث قال

أكفي حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

فاشتد بكاء الواثق وعلا نحيبه وبكى كل من حضر من الناس ثم قام من فوره ذلك وهو يقول

وصروف الدهر فى تقديره * خلقت فيها انخفاض وانحدار
بينما المرء على اعلائها * اذهوى فى هوة منها فحار
انما متعة قوم ساعة * وحياة المرء ثوب مستعار

(قال المسعودى) وللواثق أخبار حسان مما كان فى أيامه من الاحداث وما كان يجرى من المباحثة فى مجلسه الذى عقده للنظر بين الفقهاء والمتكلمين فى أنواع العلوم من العقليات والسمعيات فى جميع الفروع والاصول وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب فى باب خلافة القاهر بن المعتضد جملا من الاخبار فى أخلاق الخلفاء من بنى العباس لمعنى أوجب ايرادها فى باب خلافة القاهر * واعتل الواثق فصلى بالناس يوم النحر أحمد بن أبى دواد وكان قاضى القضاة فدعا فى خطبته للواثق فقال اللهم اشفه مما ابتليته وقد قدمنا فيما سلف من أخباره فى هذا الكتاب فاغنى ذلك عن اعادته

(ذكر خلافة المتوكل على الله)

وبويع جعفر بن محمد بن هرون ولقب بالمنتصر بالله فلما كان فى اليوم الثانى لقبه أحمد بن أبى دواد المتوكل على الله وذلك فى اليوم الذى مات فيه الواثق أخوه وهو يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ويكنى بأبى الفضل وبويع له وهو ابن سبع وعشرين سنة واشهر وقتل وهو ابن احدى وأربعين سنة وتسعة اشهر وتسع ليال وأمه أم ولد خوارزمية يقال لها شجاع وقتل ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

ولما افضت الخلافة الى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة فى الجدال والترك لما كان عليه الناس فى أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث واظهار السنة والجماعة واظهر لباس ثياب الملحم وفضل ذلك على سائر الثياب واتبعه من فى داره على لبس ذلك وشمل الناس لبسه وبالغوا فى ثمنه اهتماما بعمله واصطناع الجيد منها لمبالغة الناس فيها وميل الراعى والرعية اليها فالباقى فى أيدى الناس الى هذه الغاية من تلك الثياب يعرف بالمتوكلية وهى نوع من ثياب الملحم نهاية فى الحسن والصبغ وجودة الصنع * وكانت أيام المتوكل أحسن أيام وانضرها من استقامة الملك وشمول الناس بالامن والعدل ولم يكن المتوكل ممن يوصف فى عطائه وبذله بالجود ولا بتركه

وامساكه بالعدل ولم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بني العباس يظهر في مجلسه اللعب والمضاحك والهزل مما قد استفاض في الناس تركه الا المتوكل فانه السابق الى ذلك والمحدث له وأحدث أشياء من نوع ما ذكرنا تبعه فيها الاغلب من خواصه واكثر رعيته فلم يكن في وزرائه والمتقدمين من كتابه وقواده من يوصف بجود ولا افضال أو يتعالى عن مجون وطرب * وكان الفتح بن خاقان التركي مولاه اغلب الناس عليه وأقربهم منه واكثرهم تقدما عنده ولم يكن الفتح مع هذه المنزلة من الخلافة ممن يرجى فضله ويخاف شره وكان له نصيب من العلم ومنزلة من الادب وألف كتابا في الادب ترجمه بكتاب البستان * وأحدث المتوكل في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيري والكمين والاروقة وذلك أن بعض سماره حدثه في بعض الليالي أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر أحدث بنيانا في دار قراره وهي الحيرة على صورة الحرب وهيئته للهجته بها وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر والكمان ميمنة وميسرة ويكون في البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه وفي اليمين منهما خزانة الكسوة وفي الشمال ما احتيج اليه من الشراب والرواق قد عم فضاؤه الصدر والكمين والابواب الثلاثة على الرواق فسمي هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيري والكمين اضافة الى الحيرة واتبع الناس المتوكل في ذلك ائتماما بفعله واشتهر الى هذه الغاية وبايع لبنيه الثلاثة محمد المنتصر بالله وابي عبد الله المعتز بالله والمستعين بالله وفي ذلك يقول ابن المدبر في ذكر لهذه البيعة

يا بيعة مثل بيعة الشجره * فيها لكل الخلائق الخيره
أكدها جعفر وصيرها * الى بنيه الثلاثة البرره

وفي ذلك يقول علي بن الجهم

قل للخليفة جعفر ياذا الندى * وابن الخلائف والائمة والهدى
لما اردت صلاح دين محمد * وليت عهد المسلمين محمدا
وثنيت بالمعتز بعد محمد * وجعلت ثالثهم اعز مؤيدا

وكان استخلاف المتوكل على الله بعد أن استخلف أبو العباس السفاح بمائة سنة وبعد موت العباس بن عبد المطلب بمائتي سنة وقد قيل غير ذلك والله اعلم على تفاوت التواريخ في كمية أوقاتهم وعدد سنيهم والزيادة في الايام والشهور والنقصان في مدة ملكهم وقد كان سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات بعد خلافته بأشهر فقبض امواله وجميع ما كان له وقلد مكانه ابا الوزير وقد كان ابن الزيات اتخذ للمصادرين والمغضوب عليهم تنورا من الحديد رؤس مساميره الى داخل قائمة مثل رؤس المسال في أيام وزارته للمعتصم والواثق فكان يعذب الناس فيه فأمر المتوكل بادخاله في ذلك التنور فقال محمد بن عبد الملك الزيات للموكل به أن يأذن له في دواة وبطاقة ليكتب فيها ما يريد فاستأذن المتوكل في ذلك فأذن له فكتب

هي السبيل فمن يوم الى يوم * كأنه ما تريك العين في النوم

لا تجزعنّ رويدا انها دولى * دنيا تنقل من قوم الى قوم

قال وتشاغل المتوكل فى ذلك اليوم فلم تصل الرقعة اليه فلما كان الغد قرأها فأمر باخراجه فوجده ميتا وكان حبسه فى ذلك التنور الى أن مات أربعين يوما وكان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا وهو القائل فى تحريض المأمون على ابراهيم بن المهدى حين خرج عليه

ألم تر أن الشئ للشئ علة * يكون له كالنار تقدح بالزند

كذلك جرّبنا الامور وانما * يدلك ما قد كان قبل على البعد

وظنى بابراهيم أن فكاكه * سيبعث يوما مثل أيامه النكد

تذكر أمير المؤمنين قيامه * وأيامه فى الهزل منه وفى الجد

اذا هزّ أعواد المنابر باسمه * تغنى بليلى أو بمية أو هند

فى شعر طويل جدا ومن شعره قوله فى مرثية للمعتصم بالله

وظلّ له سيف النبى كأنما * مدامعه من شدة الحزن تذرف

حمائله والبرد تشهد أنه * هو الطيب الاولى الذى كان يعرف

اقول ومن حق الذى قلت أننى * اقول وانى بعد ذاك وأحلف

لما هاب أهل الظلم مثلك سائسا * ولا انصف المظلوم مثلك منصف

وقد أتينا على أخباره وما استحسن من أشعاره فى الكتاب الاوسط فكانت أيام أبى الوزير فى الوزارة يسيرة وقد كان اتخذ للوزارة محمد بن الفضل الجرجانى ثم صرفه فاستكتب عبيد الله بن يحيى سنة ست وثلاثين ومائتين الى أن قتل وقد أتينا فى الكتاب الاوسط على أخباره واتصاله بالمتوكل وأخبار الفتح بن خاقان (وذكر) محمد بن يزيد المبرد قال ذكرت للمتوكل منازعة جرت بينه وبين الفتح بن خاقان فى تأويل آية وتنازع الناس فى قراءتها فبعث الى محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان الهاشمى وكانت اليه البصرة فحملنى اليه مكرما فلما اجتزت بناحية النعمان بين واسط وبغداد ذكر لى أن بدير هرقل جماعة من المجانين يعالجون فلما حاذيته دعتنى نفسى الى دخوله فدخلته ومعى شاب ممن يرجع الى دين وأدب فاذا أنا بمجنون من المجانين قد دنا الىّ فقلت ما يقعدك بينهم وأنت بائن عنهم فكسر جفنه ورفع عقيرته وأنشأ يقول

ان وصفونى فناحل الجسد * أو فتشونى فأبيض الكبد

اضعف وجدى وزاد فى سقمى * أن لست اشكو الهوى الى أحد

وضعت كفى على فؤادى من * حرّ الاسى وانطويت فوق يدى

آه من الحب آه من كبدى * ان لم امت فى غد فبعد غد

كأن قلبى اذا تذكرهم * فريسة بين ساعدى اسد

فقلت أحسنت لله درك زدنى فأنشأ يقول

ما اقتل البين للنفوس وما * أوجع فقد الحبيب للكبد

عرضت نفسى من البلاء لما * اسرف فى مهجتى وفى جلدى

يا حسرتى أن أموت معتقلا * بين اعتلاج الهموم والكمد

في كل يوم يفيض معوله * عيني لعضو يموت في جسدي

فقلت أحسنت لافض فوك زدني فأنشأ يقول

الله يعلم انى كمد * لا استطيع ابث ما اجد

نفسان لى نفس تضمنها * بلد واخرى حازها بلد

وأرى المقيمة ليس ينفعها * صبر وليس بعينها جلد

وأظن غائبتي كشاهدتي * بمكانها تجد الذى تجد

فقلت والله أحسنت فاستزدته فقال اراك كلما أنشدتك استزدتني وما ذاك الا لفرط أدب وفراق شجن فأنشدني أنت أيضا فقلت للذى معي أنشده فأنشأ يقول

عذل وبين وتوديع ومرتحل * أى العيون على ذا ليس تنهمل

تالله ما جلدي من بعدهم جلد * ولا اختزان دموعي عنهم بخل

بلى وحرمة ما ألقين من خبل * قلبي اليهن مشتاق وما رحلوا

وددت أن البحار السبع لى مدد * وأن جسمي دموع كلها هطل

وأن لى بدلا من كل جارحة * في كل جارحة يوم النوى مقل

لا در در النوى لو صادفت جبلا * لانهدمنها وشيكا ذلك الجبل

الهجر والبين والواشون والابل * طلائع يتراءى أنها الاجل

فقال المجنون أحسنت وقد حضرني في معنى ما أنشدت الى شعر أفأنشده قلت هات فأنشأ يقول

ترحلوا ثم نيطت دونهم سجف * لو كنت املكهم يوما لما رحلوا

يا حادي العيس مهلا كي نودعها * رفقا قليلا ففي توديعها الاجل

ما راعني اليوم شيء غير فقدهم * حتى استقلت وسارت بالدمى الابل

انى على العهد لم انقض مودتهم * فليت شعري وطال الدهر ما فعلوا

قال المبرد فقال الفتى الذى معي ماتوا فقال المجنون آه آه ان ماتوا فسوف اموت وسقط ميتا فما برحت حتى غسل وكفن وصليت عليه ودفنته ووردت سر من رأى فأدخلت على المتوكل وقد عمل فيه الشراب فسئلت عن بعض ما وردت له فأجبت وبين يدى المتوكل البحتري الشاعر فابتدأ ينشده قصيدة يمدح بها المتوكل وفي المجلس أبو العتاهية الصيمري فأنشد البحتري قصيدته التي أولها

عن أى ثغر تبتسم * وباى طرف تحتكم

حسن يضيء بحسنه * والحسن اشبه بالكرم

قل للخليفة جعفر الـ * ـمتوكل ابن المعتصم

المرتضى ابن المجتبى * والمنعم ابن المنتقم

أما الرعية فهي من * أمان عدلك في حرم

يا باني المجد الذى * قد كان قوض فانهدم

اسلم لدين محمد * فاذا سلمت فقد سلم

فلنا الهدى بعد العمى * بك والغنى بعد العدم

فلما انتهى مشى المهقرى للانصراف فوثب أبو العنبس فقال يا أمير المؤمنين تأمر برده فقد والله عارضته فى قصيدته هذه فأمر برده فأخذ أبو العنبس ينشد شيأ لولا أن فى تركه بتر الخبر لما ذكرناه وهو

من أى سلح تلتقم * وبأى كف تلتطم

ادخلت رأس البحترى أبى عبادة فى الرحم

ووصل ذلك بما اشبهه من الشتم فضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه وفحص برجله اليسرى وقال يدفع الى أبى العنبس عشرة آلاف درهم فقال الفتح يا سيدى البحترى الذى هجى وأسمع المكروه ينصرف خائبا قال ويدفع الى البحترى عشرة آلاف درهم قال يا سيدى وهذا البصرى الذى اشخصناه من بلده لا يشركهم فيما حصلوه قال ويدفع اليه عشرة آلاف درهم فانصرفنا كلنا فى شفاعة الهزل ولم ينفع البحترى جده واجتهاده وحزمه ثم قال المتوكل لأبى العنبس أخبرنى عن حمارك ووفاته وما كان من شعره فى الرؤيا التى اريتها قال نعم يا أمير المؤمنين كان اعقل من القضاة ولم يكن له جريرة ولا زلة فاعتل على غفلة فمات منها فرأيته فيما يرى النائم فقلت له يا حمارى ألم ابرد لك الماء وأنق لك الشعير وأحسن اليك جهدى فلم مت على غفلة وما خبرك قال نعم لما كان فى اليوم الذى وقفت على فلان الصيدلانى تكلمه فى كذا وكذا مرت بى اتان حسناء فرأيتها فأخذت بجامع قلبى فعشقتها واشتد وجدى بها فمت كمدا متأسفا فقلت له يا حمارى فهل قلت فى ذلك شعرا قال نعم وأنشدنى

هام قلبى بأتان * عند باب الصيدلانى

تيمتنى يوم رحنا * بثناياها الحسان

وبخدذى دلال * مثل خد الشنغرانى

فبها مت ولو عشت * اذا طال هوانى

قال فقلت يا حمارى فما الشنغرانى فقال هذا من غريب الحمير فطرب المتوكل وأمر الملهين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار وفرح فى ذلك اليوم فرحا وسرورا لم ير مثله وزاد فى تكرمة أبى العنبس وجائزته (وحدث) أبو عبد الله محمد بن عرفة النحوى قال حدثنا محمد ابن يزيد المبرد قال قال المتوكل لأبى الحسن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ما يقول ولد أبيك فى العباس بن عبد المطلب قال وما يقول ولد أبى يا أمير المؤمنين فى رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه فأمر له بمائة ألف درهم وانما اراد أبو الحسن طاعة الله على بنيه فعرض وقد كان سعى بأبى الحسن على بن محمد الى المتوكل وقيل له ان فى منزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته فوجه اليه ليلا من الاتراك وغيرهم من هجم عليه فى منزله على غفلة ممن فى داره فوجد فى بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر ولا بساط فى البيت الا الرمل والحصا وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجها الى ربه يترنم بآيات من القرآن فى الوعد والوعيد فأخذ على ما وجد عليه وحمل الى المتوكل فى جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفى

يده

بيده كاس فلما رآه اعظمه وأجلسه الى جنبه ولم يكن فى منزله شئ مما قيل فيه ولا حالة يتعلل عليه بها فناوله المتوكل الكاس الذى فى يده فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمى ودمى قط فاعفنى منه فعافاه وقال أنشدنى شعرا استحسنه فقال انى لقليل الرواية للاشعار فقال لابد أن تنشدنى فأنشده

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فما اغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم * فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت منعمة * من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما اكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد طول الاكل قد اكلوا
وطالما عمروا دورا لتحصنهم * ففارقوا الدور والاهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الاموال وادخروا * فخلفوها على الاعداء وارتحلوا
اضحت منازلهم قفرا معطلة * وساكنوها الى الاجداث قد رحلوا

قال فأشفق من حضر على على وظنوا أن بادرة تبدر منه اليه قال والله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا حتى بلت دموعه لحيته وبكى من حضره ثم أمر برفع الشراب ثم قال له يا أبا الحسن أعليك دين قال نعم أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها اليه ورده الى منزله من ساعته مكرما * قال وكانت وفاة محمد بن سماعة القاضى صاحب محمد بن الحسن وصاحب أبى حنيفة فى خلافة المتوكل وذلك فى سنة ثلاثين ومائتين وهو ابن مائة سنة صحيح الجسم والعقل والحواس يفتض الابكار ويركب الخيل التى تقطف وتعتق لم يشكر من نفسه شيأ (وحكى) ابنه سماعة بن محمد قال قال لى أبى محمد بن سماعة وجدت فى حياة سوار بن عبد الله قاضى المنصور كتابا له بخطه اراه من شعره أو أبيات استحسنها وهى

سلبت عظامى لحمها فتركتها * عوارى فى اجلادها تتكسر
وأخليت منها مخها فكأنها * قوارير فى اجوافها الريح تصفر
اذا سمعت ذكر الفراق ترعدت * فرائصها من خوف ما تتحذر
خذى بيدى ثم ارفعى الثوب وانظرى * ضنى جسدى لكننى اتستر

ولمحمد بن سماعة تصنيفات حسان فى الفقه وروايات عن محمد بن الحسن وغيره منها كتاب نوادر المسائل عن محمد بن الحسن ألوف أوراق * وفى هذه السنة وهى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين مات يحيى بن معين * وفى سنة خمس وثلاثين ومائتين مات أبو بكر بن أبى شيبة والقواريرى وكانا من علية أصحاب الحديث وحفاظهم وفيها مات اسحق بن ابراهيم بن مصعب وكان على بغداد وولى مكانه وله أخبار حسان قد أتينا على غررها فى كتابنا أخبار الزمان (ومن ظريف أخباره) والمستحسن مما كان فى أيامه وسيره ببغداد ما حدث به عنه موسى بن صالح بن سيح بن عميرة الاسدى انه رأى فى منامه كأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول له أطلق القاتل فارتاع لذلك روعا عظيما ونظر فى الكتب الواردة لاصحاب الحبوس فلم

قوله وكان على بغداد هكذا فى النسخ ولعل فيه سقطا والاصل وكان على شرطة بغداد مثلا أخذا من العبارة الآتية بعده وقوله وولى مكانه أى تولى غيره مكانه وليحرر اه مصححه

يجد فيها ذكر قاتل فأمر باحضار السندى وعباس فسألهما هل رفع اليهما أحد ادعى عليه بالقتل فقال له العباس نعم وقد كتبنا بخبره فأعاد النظر فوجد الكتاب فى أضعاف القراطيس واذا الرجل قد شهد عليه بالقتل وأقر به فأمر اسحق باحضاره فلما دخل عليه ورأى ما به من الارتياع قال له ان صدقتنى اطلقتك فابتدأ يخبره بخبره وذكر أنه كان هو وعدة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة ويستحلون كل محرم وانه كان اجتماعهم فى منزل بمدينة أبى جعفر المنصور يعتكفون فيه على كل بلية فلما كان فى هذا اليوم جاءتهم عجوز كانت تختلف اليهم للفساد ومعها جارية بارعة الجمال فلما توسطت الجارية الدار صرخت صرخة فبادرت اليها من بين أصحابى فأدخلتها بيتا وسكنت روعها وسألتها عن قصتها فقالت الله الله فىّ فان هذه العجوز خدعتنى وأعلمتنى أن فى خزانتها حقا لم ير مثله فشوقتنى الى النظر الى ما فيه فخرجت معها واثقة بقولها فهجمت بى عليكم وجدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمى فاطمة وأبى الحسن بن على فاحفظوهم فىّ قال الرجل فضمنت خلاصها وخرجت الى أصحابى فعرفتهم فكأنى أغريتهم بها وقالوا لما قضيت حاجتك منها اردت صرفنا عنها وبادروا اليها وقمت دونها أمنع عنها فتفاقم الامر بيننا الى أن نالتنى جراح فعمدت الى اشدهم كان فى أمرها واكلبهم على هتكها فقتلته ولم أزل امنع عنها الى أن خلصتها سالمة وتخلصت الجارية آمنة مما خافته على نفسها فأخرجتها من الدار فسمعتها تقول سترك الله كما سترتنى وكان لك كما كنت لى وسمع الجيران الضجة فتبادروا الينا والسكين فى يدى والرجل يتشحط فى دمه فرفعت على هذه الحالة فقال لى اسحق قد عرفت لك ما كان من حفظك للمرأة ووهبتك لله ورسوله قال فوحق من وهبتنى له لاعاودت معصية ولا دخلت فى ريبة حتى ألقى الله فأخبره اسحق بالرؤيا التى رآها وأن الله لم يضيع له ذلك وعرض عليه برا واسعا فأبى قبول شئ من ذلك * وفى سنة تسع وثلاثين ومائتين رضى المتوكل عن أبى محمد يحيى بن اكثم الصيفى فأشخص الى سر من رأى وولى قضاء القضاة وسخط على أحمد بن أبى دواد وولده أبى الوليد محمد بن أحمد وكان على القضاء وأخذ من أبى الوليد مائة ألف وعشرين ألف دينار وجوهرا بأربعين ألف دينار واحدر الى بغداد وقد كان أبو عبد الله أحمد بن أبى دواد فلج بعد موت عدوه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوما وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين * وفى سنة أربعين ومائتين كانت وفاة أبى عبد الله أحمد بن أبى دواد بعد وفاة أبى الوليد محمد بن أحمد بعشرين يوما وكان ممن أجرى الله الخير على يديه على ما اشتهر من أمره وسهل الله سبيله اليه وحبب اليه المعروف وفعله (وذكر) أن المعتصم كان بالجوسق يوما مع ندمائه وقد عزم على الاصطباح وأمر كل واحد منهم أن يطبخ قدرا اذ بصر بسلامة غلام ابن أبى دواد فقال هذا غلام ابن أبى دواد يتعرف خبرنا والساعة يأتى فيقول فلان الهاشمى وفلان القرشى وفلان الانصارى وفلان العربى فيعطلنا بحوائجه عما عزمنا عليه وأنا اشهدكم أنى لا اقضى اليوم له حاجة فلم يكن بين قوله وبين استئذان الاتباع لابى عبد الله الا هنيهة فقال لجلسائه كيف ترون قولى قالوا فلا تاذن له قال سوء الكم حمى سنة اهون علىّ من ذلك ودخل فما هو الا أن سلم وجلس وتكلم حتى اسفر وجه المعتصم

وضحك

وضحكت اليه جوارحه ثم قال له يا أبا عبد الله قد طبخ كل واحد من هؤلاء قدرا وقد جعلناك حكما في طبخها قال فلتحضر ثم آكل ثم أحكم بحكم بعلم فحملت اليه القدور ووضعت بين يديه فجعل يأكل من أول قدر اكلا تاما فقال له المعتصم هذا ظلم قال وكيف ذلك قال لانى أرى انك قد امعنت في هذا اللون وستحكم لصاحبه قال يا أمير المؤمنين على أن آكل من هذه القدور كلها كما أكلته من هذا القدر فتبسم له المعتصم وقال له شأنك اذا فأكل كما قال ثم قال أما هذه فقد أحسن طابخها اذ أكثر فلفلها وأقل كمونها وأما هذه فقد أجاد طابخها اذ أكثر خلها وأقل زيتها وأما هذه فقد طيبها طابخها باعتدال توابلها وأما هذه فقد حذق من عملها بقلة مائها وكثرة مرقها حتى وصف القدور بصفات سر أهلها بها ثم أكل مع القوم كما اكلوا ألطف أكل وأحسنه مرة يحدثهم باخبار الاكلة في صدر الاسلام معاوية بن أبي سفيان وعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف وسليمان بن عبد الملك ومرة يحدثهم عن اكلة دهره مثل سردة التمار وورق القصاب وحاتم الكيال واسحق الحمامى فلما رفعت الموائد قال له المعتصم ألك حاجة يا أبا عبد الله قال نعم يا أمير المؤمنين قال اذكرها فان أصحابنا يريدون أن يتشاغلوا قال نعم يا أمير المؤمنين رجل من أهلك وطئه الدهر فغير حاله وخشن معيشته قال ومن هو قال سليمان بن عبد الله النوفلى قال قدر له ما يصلحه قال خمسين ألف درهم قال انفذت ذلك له قال وحاجة اخرى قال وماهى قال ضياع ابراهيم ابن المعتمر تردها له قال قد فعلت قال وحاجة اخرى قال قد فعلت قال فوالله ما خرج حتى سأل ثلاث عشرة حاجة لا يرده عن شئ منها حتى قام خطيبا فقال يا أمير المؤمنين عمرك الله طويلا فبعمرك تخصب جنات رعيتك ويلين عيشهم وتثمر أموالهم ولا زلت ممتعا بالسلامة محبوا بالكرامة مرفوعا عنك حوادث الايام وغيرها ثم انصرف فقال المعتصم هذا والله الذى يتزين بمثله ويبتهج بقربه ويعتد به ألوف من جنسه أما رأيتم كيف دخل وكيف سلم وكيف تكلم وكيف أكل وكيف وصف القدور ثم انبسط في الحديث وكيف طاب اكلنا ما يرد هذا عن حاجة الا لئيم الاصل خبيث الفرع والله لو سألني في مجلسى هذا ما قيمته عشرة آلاف ألف درهم ما رددته عنها وأنا اعلم أنه يكسبني في الدنيا حمدا وفي الآخرة ثوابا * وفي أحمد بن أبي دواد يقول الطائى

لقد أنسى مساوى كل دهر * محاسن أحمد بن أبي دواد
فما سافرت في الآفاق الا * ومن جدواه راحلتى وزادى
مقيم الظن عندك والامانى * وان قلقت ركابى في البلاد

(وحكى) عن الفتح بن خاقان قال كنت عند المتوكل وقد عزم على الصبوح بالجعفرى وقد وجه خلف الندماء والمغنين قال فجعلنا نطوف وهو متكئ على وأنا احادثه حتى وصلنا الى موضع نشرف منه على الخليج فدعا بكرسى فقعد عليه وأقبل يحادثنى اذ بصر بسفينة مشدودة بالقرب من شاطئ الخليج وملاح بين يديه قدر كبيرة يطبخ فيها سكباج من لحم بقر وقد فاحت روائحها فقال يا فتح رائحة قدر سكباج والله ويحك أما ترى ما اطيب رائحتها على بها على حالها فبادر الفراشون فانتزعوها من بين يدى الملاحين فلما عاين الملاحون أصحاب

السفينة ما فعل بهم ذهبت نفوسهم فرقا وخوفا وجاء والمتوكل بالقدر تفور وكهيئتها فوضعت بين ايدينا فاستطاب ريحها واستحسن لونها ودعا برغيف فكسر منه كسرة ودفعها الى وأخذ هو منه مثلها وأكل كل واحد منا ثلاث لقم وأقبل الندماء والمغنون فجعل يلقم كل واحد منهم لقمة من القدر وأقبل الطعام ووضعت الموائد فلما فرغ من اكله أمر بتلك القدر ففرغت وغسلت بين يديه وأمر أن تملأ دراهم فجيء ببدرة ففرغت فيها ففضل من الدراهم مقدار ألفي درهم فقال لخادم كان بين يديه خذ هذه القدر فامض بها حتى تدفعها الى من طبخها وما فضل من هذه البدرة من الدراهم هو هبة له على تجويده طبخها قال الفتح فكان المتوكل كثيرا ما يقول اذا ذكر قدر الملاح ما أكلت احسن من سكباج أصحاب السفينة فى ذلك اليوم * وأخبرنا القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه بجهينة وكان من حديثة الموصل قال حدثنا أبو الحسن الصالحى قال قال الجاحظ ذكرت لامير المؤمنين المتوكل لتأديب بعض ولده فلما رآنى استبشع منظرى فأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى وخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض على الخروج معه والانحدار فى حراقته فركبنا فيها فلما أتينا فم نهر القاطول وخرجنا من سامرا نصب ستارته وأمر بالغناء فاندفعت عوادة فغنت

كل يوم قطيعة وعتاب * ينقضى دهرنا ونحن غضاب
ليت شعرى انا خصصت بهذا * دون ذا الخلق أم كذا الاحباب

وسكتت فأمر الطنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقينا * ما ان ارى لهم معينا
كم يهجرون ويصرمو * ن ويقطعون فيصبرونا

قال فقالت هذه العوادة فيصنعون ماذا قالت هكذا يصنعون وضربت بيدها الى الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فلقة قمر فزجت بنفسها الى الماء وعلى رأس محمد غلام يضاهيها فى الجمال وبيده مذبة فأتى الموضع ونظر اليها وهى تمر بين الماء فأنشأ يقول

وانا الذى غرقتنى * بعد القضا لو تعلمينا

فزج بنفسه فى أثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما معتنقان ثم غاصا فلم يريا فهال ذلك محمدا واستعظمه وقال يا عمرو لتحدثنى حديثا يسلينى عن فقد هذين والا ألحقتك بهما قال فحضرنى حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى أمير المؤمنين أعزه الله أن يخرج جاريته فلانة حتى تغنينى ثلاثة اصوات فعل فاغتاظ يزيد وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم أمر بأن يتبع الرسول برسول آخر يأمره أن يدخل اليه الرجل فلما وقف بين يديه قال له ما الذى حملك على ما صنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بنى امية الا خرج ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عودها فقال لها الفتى غنى

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت صرمى فأجملى

فغنته فقال له يزيد قل قال غنى

تألق البرق نجديا فقلت له ٭ يا أيها البرق انى عنك مشغول
يكفيك عنى عدو ثائر حنق ٭ فى كفه صارم كالملح مسلول

فغنته فقال قل قال يأمر لى برطل خمر فما استتم شرابه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون اتراه الاحمق الجاهل ظن انى أخرج اليه جاريتى وأردها الى مالى يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى أهله ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها الى أهله فلما توسطت الدار نظرت الى حفرة فى دار يزيد قد أعدت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم وأنشأت تقول

من مات عشقا فليمت هكذا ٭ لا خير فى عشق بلا موت

فزجت بنفسها على دماغها فماتت فسرى عن محمد وأحسن صلتى وقيل ان هذا الخبر انما كان مع سليمان بن عبد الملك قال فذكرت هذا الحديث لابى عبد الله محمد بن جعفر الاخبارى بالبصرة فقال انا أخبرك بنحو من هذا الحديث الذى حدثنى به حدثنى واثق الخادم وكان مولى لمحمد بن حميد الطوسى أن محمد بن حميد كان بالسامع ندمائه يوما فغنت جارية من وراء الستارة

يا قمر القصر متى تطلع ٭ أشقى وغيرى بك يستمتع
ان كان ربى قد قضى ما أرى ٭ منك على رأسى فما أصنع

وعلى رأس محمد غلام بيده قدح يسقيه فرمى بالقدح عن يده وقال تصنعين هكذا ورمى بنفسه من الدار الى دجلة فهتكت الجارية الستارة ثم رمت بنفسها على اثره فنزلت الغلمة خلفهما فلم يجدوا احدا منهما فقطع محمد الشراب وقام عن مجلسه (قال المسعودى) وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين سخط المتوكل على عمر بن مصرح الرابحى وكان من علية الكتاب وأخذ منه مالا وجوهرا نحو مائة ألف وعشرين ألف دينار وأخذ من أخيه نحوا من مائة ألف وخمسين ألف دينار ثم صولح محمد على احد وعشرين ألف ألف درهم على أن يرد اليه ضياعه ثم غضب عليه غضبة ثانية وأمر أن يصفع فى كل يوم فأحصى ما صفع فكان ستة آلاف صفعة وألبسه جبة صوف ثم رضى عنه وسخط عليه ثالثة وأحدر الى بغداد وأقام بها حتى مات ٭ وأهدى المؤيد الى المتوكل قارورة دهن وكتب اليه ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فلطفت ودقت كان ابهى لها وأحسن وان كانت من الكبير الى الصغير فعظمت كان ارفع لها وأنفع (قال المسعودى) وكانت وفاة أحمد بن حنبل فى خلافة المتوكل بمدينة السلام وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائتين ودفن بباب حرب فى الجانب الغربى وصلى عليه محمد بن طاهر وحضر جنازته خلق من الناس لم ير مثل ذلك اليوم والاجتماع فى جنازة من سلف قبله وكان للعامة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد فى الامور منها أن رجلا منهم كان ينادى العنوا الواقف عند الشبهات وهذا بالضد عما جاء عن صاحب الشريعة عليه السلام فى ذلك وكان عظيم من عظمائهم ومقدم فيهم يقف موقفا بعد موقف أمام الجنازة وينادى بأعلى صوته

وأظلمت الدنيا لفقد محمد ٭ وأظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل

يريد بذلك أن الدنيا أظلمت عند وفاة محمد عليه السلام وأنها أظلمت عند موت ابن حنبل كظلمتها عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم * وفي هذه السنة انقضت الكواكب الانقضاض الذي لم ير مثله قط وذلك في ليلة الخميس لست خلون من جمادى الآخرة وقد كان في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة انقضاض لكوكب عظيم هائل وهي الليلة التي وقعت فيها القرامطة بحجاج العراق من طريق الكوفة وذلك في ذي القعدة من سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة * وفي السنة التي مات فيها ابن حنبل كانت وفاة محمد بن عبد الله بن محمد الاسكافي وكان من أهل النظر والبحث وما عليه أهل العدل وكانت وفاة جعفر بن المبشر سنة أربع وثلاثين ومائتين * وكان من كبار أهل العدلية وأهل الديانة من البغداديين ومات جعفر بن حرب سنة ست وثلاثين ومائتين وهو رجل من همدان ووجوه قحطان والى أبيه يضاف شارع باب حرب في الجانب الغربي من مدينة السلام وهو شيخ البغداديين من المتكلمين ومات عيسى بن طغج سنة خمس وأربعين ومائتين وكان من حذاقهم وأهل الديانات منهم وذكر أبو الحسين الخياط أن أبا الهذيل محمد بن الهذيل كانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين ثم تنازع أصحابه في مولده فقال قوم سنة احدى وثلاثين ومائة وقد كان أبو الهذيل هذا اجتمع مع هشام بن الحكم الكوفي الخراز وكان هشام شيخ المجسمة والرافضة في وقته ممن وافقه على مذهبه وكان أبو الهذيل يذهب الى نفي التجسيم ورفع التشبيه والى ضد قول هشام في التوحيد والامامة فقال هشام لأبي الهذيل اذا زعمت أن الحركة ترى فلم لا زعمت انها تلمس قال لانها ليست بجسم فيلمس لان اللمس انما يقع على الاجسام فقال له هشام فقل أيضا انها لا ترى لان الرؤية انما تقع على الاجسام فرجع أبو الهذيل سائلا فقال له من أين قلت ان الصفة ليست الموصوف ولا غيره قال هشام من قبل أنه يستحيل أن يكون فعلي انا ويستحيل أن يكون غيري لان التغاير انما أوقعه على الاجسام والاعيان القائمة بأنفسها فلما لم يكن فعلي قائما بنفسه ولم يجز أن يكون فعلي انا وجب أنه لا انا ولا غيري وعلة اخرى أنت قائل بها زعمت يا أبا الهذيل أن الحركة ليست مماسة ولا مباينة لانها عندك مما لا يجوز عليه المماسة ولا المباينة فلذلك قلت انا ان الصفة ليست أنا ولا غيري وعلتي في انها ليست أنا ولا غيري علتك في انها لا تماس ولا تباين فانقطع أبو الهذيل ولم يرد جوابا * وكانت وفاة أبي موسى الفراء سنة ست وعشرين ومائتين وكان من شيوخ العدلية وكبار المتكلمين من البغداديين ومات واصل بن عطاء ويكنى بأبي حذيفة في سنة احدى وثلاثين ومائتين وهو شيخ المعتزلة وقديمها وأول من اظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو أن الفاسق من أهل الملة ليس بمؤمن ولا كافر وبه سميت المعتزلة وهو الاعتزال وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار بني امية قول المعتزلة في الاصول الخمسة فأغنى ذلك عن اعادته وكذلك فيما سلف من كتبنا خبر عمرو بن عبيد ووفاته وكان شيخ المعتزلة والمتقدمين فيها وأن وفاته كانت سنة أربع وأربعين ومائة وقد كان عمرو بن عبيد اجتمع مع هشام بن الحكم وهشام يذهب الى القول بان الامامة نص من الله ورسوله على علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وعلى من يلي عصره من ولده الطاهرين كالحسن والحسين

ومن يلي أيامهم وعمرو يذهب الى أن الامامة اختيار من الامة في سائر الاعصار فقال
هشام لعمرو بن عبيد لم خلق الله لك عينين قال لانظر بهما الى ما خلق الله من السموات
والارض وغير ذلك فيكون ذلك دليلا لي عليه فقال هشام فلم خلق الله لك سمعا قال لاسمع به
التحليل والتحريم والامر والنهي فقال له هشام فلم خلق الله لك قلبا قال عمرو لتكون هذه
الحواس مؤدية اليه فيكون مميزا بين منافعها ومضارها قال هشام فكان يجوز أن يخلق
الله سائر حواسك ولا يخلق لك قلبا تؤدي هذه الحواس اليه قال عمرو لا فقال هشام ولم قال
لان القلب باعث لهذه الحواس على ما يصلح لها قال فلما لم يخلق الله فيها انبعاثا من نفسها استحال
أن لا يخلق لها باعثا يبعثها على ما خلقت له الا بخلق القلب فيكون هو الباعث لها على ما تفعله
والمميز لها بين مضارها ومنافعها ويكون الامام من الخلق بمنزلة القلب من سائر
الحواس اذ كانت الحواس راجعة الى القلب لا الى غيره ويكون سائر الخلق راجعين الى
الامام لا الى غيره فلم يأت عمرو بفرق يعرف وهذا الذي حكيناه ذكره أبو عيسى محمد بن هرون
الوراق ببغداد في كتابه المعروف بكتاب المجالس وكانت وفاة أبي عيسى بالرملة سنة سبع
وأربعين ومأتين وله تصنيفات كثيرة منها كتابه في المقالات في الامامة وغيرها من النظر
وكانت وفاة أبي الحسين أحمد بن يحيى بن اسحق الراوندي برحبة مالك بن طوق وقيل ببغداد
سنة خمس ومأتين وله نحو من أربعين سنة وله كتب مصنفة مائة كتاب وأربعة عشر كتابا.
وقد ذكرنا في كتابنا في أخبار الزمان وفاة ارباب المقالات وأهل المذاهب والجدل
والآراء والنحل وأخبارهم ومناظراتهم وتباينهم في مذاهبهم وكذلك في الكتاب الاوسط الى
سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة واغنا يسمح لنا ذكر بعضهم في هذا الكتاب فنذكرهم لمعا وكذلك
غيرهم من الفقهاء واصحاب الحديث وفيها مات ابراهيم بن العباس الصولي الكاتب وكان
كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه وكان يكتسب في
حداثته بشعره ورحل الى الملوك والامراء ومدحهم طلبا لجدواهم وذكر رجل من الكتاب
أن اسحق بن ابراهيم أخا زيد بن ابراهيم حدثه انه كان يتقلد الصيمرة والسيروان وأن ابراهيم
ابن العباس اجتاز به يريد خراسان والمأمون بها وقد بايع بالعهد لعلي بن موسى الرضى وقد
امتدحه بشعر يذكر فيه فضل آل علي وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم قال فاستحسنت
القصيدة وسألته أن ينسخها لي ففعل ووهبت له ألف درهم وحملته على دابة وضرب الدهر
من ضربه الى أن ولي ديوان الضياع مكان موسى بن عبد الملك وكنت أحد عمال موسى
وكان يحب أن يكشف اسباب موسى فعزلني وأمر أن تعمل مؤامرة فعملت وكثر علي فيها
وحضرت للمناظرة عنها فجعلت أحتج بما لا يدفع فلا يقبله ويحكم لي الكتاب فلا يلتفت الى
حكمهم ويسمعني في خلال ذلك بدعا من الكلام الى أن أوجب علي لكتاب اليمين
على باب من الابواب فحلفت عليه فقال ليست يمين السلطان عندك يمينا لانك رافضي فقلت
له تأذن لي في الدنو منك فأذن لي فقلت ليس مع تعريضك بمهجتي لقتل صبر وها هو المتوكل
ان كتبت اليه بما يسمع منك لم آمنه على نفسي وقد احتملت كل ما جرى سوى الرفض
والرافضي من زعم أن علي بن أبي طالب افضل من العباس وأن ولده أحق من ولد العباس

بالخلافة قال ومن ذلك قلت أنت وخطك عندي به وأخبرته بالشعر فوالله ما هو الا أن قلت ذلك له حتى سقط في يده ثم قال أحضر الدفتر الذي بخطي فقلت له هيهات لا والله أو توثق لي بما اسكن اليه أنك لا تطالبني بشيء مما جرى على يدي وتخرق هذه المؤامرة ولا تنظر لي في حساب فحلف لي على ذلك وخرق العمل المعمول وأحضرته الدفتر فوضعه في خفه وانصرفت وقد زالت عني المطالبة * ولابراهيم بن العباس مكاتبات قد دونت وفصول حسان من كلامه قد جمعت قد أتينا على كثير منها في الكتاب الاوسط فما استحسن من فصوله وان كانت كلها في نهاية الجودة وانتخبناه من كلامه وقديما غذت المعصية أبناءها فلبت عليهم من درها مرضعة وبسطت لهم من امانيها مطمعة وركبت فيهم مخاطرها موضعة حتى اذا رتعوا فأمنوا وركنوا فاطمأنوا وانقضى رضاع وآن فطام سقتهم سما فجرت مجاري ألبانها منها دما وأعقبتهم من غذائها مرا وحطت بهم من معقل الى عقال ومن عز الى حسرة قتلا وأسرا واباحة وقسرا وقل من أوضع في الفتنة مرهجا في اهبها ومقتحما عند ضلالها الا استقصمته آخذة بخنقه وموهنة بالحق كيده حتى تجعله لعاجله جزرا ولآجله حطبا وللحق موعظة وللباطل حجة ذلك لهم جزاء في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر وما ربك بظلام للعبيد وله اشعار حسان فما استحسن من شعره الذي لم يسبقه عند جماعة اهل الادب أحد من زمانه قوله

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا * ويفتر عنها أرضها وسماؤها
فمن دونها أن تستباح دماؤنا * ومن دوننا أن يستذم دماؤها
حمى وقرى فالموت دون مرامها * وأهون خطب في الحقوق فناؤها

وقوله

ولكن الجواد أبا هشام * وفي العهد مأمون المغيب

وقوله

ومن ذخرت زماني * شنأت في الخلان
ومن ذخرت لنفسي * فعاد ذخر الزمان
لو قيل لي خذ أمانا * من اعظم الحدثان
لما أخذت أمانا * الا من الاخوان

وقوله

واذا جرى الله امرأ بفعاله * فجزى اخالك ماجدا اسمحا
نبهته من كذبه فكأنما * نبهت اذ نبهته صبحا

ومما يجب على الرؤساء أن يحفظوه قوله

تزيده الايام ان اقبلت * حزما وعلما بتصاريفها
كأنها في وقت اسعافها * تسمعه صوت تخاريفها

ومما أحسن فيه وبرز عن نظرائه قوله

سقيا ورعيا الايام لنا سلفت * بكيت منها فصرت اليوم أبكيها

كذاك

كذاك أيامنا لا شك تندبها * اذا انقضت ونحن اليوم نشكوها

وقوله

أولى البرية طرًّا أن تواسيه * عند السرور لمن واساك في الحزن
ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

وقوله

لا تلق فان همك أن تثرى وهمى مكارم الاخلاق
كيف يستطيع حفظ ما جمعت كفاه من ذاق لذة الانفاق

وقوله

اسد ضار اذا ماهجته * وأب برّ اذا ما قدرا
يعلم الاقصى اذا اثرى ولا * يعلم الادنى اذا ما افتقرا

وكان ابراهيم بن العباس يقول مثل أصحاب السلطان مثل قوم علوا جبلا ثم وقعوا منه فكان اقربهم الى التلف ابعدهم من الارتقاء وكان ابراهيم يدعى خؤولة العباس بن الاحنف الشاعر (وحكى) أبو العباس أحمد بن جعفر بن حمدان القاضى عن سليمان بن الحسن ابن مخلد عن أبيه الحسن قال انشدهم ابراهيم بن العباس قول العباس بن الاحنف

ان قال لم يفعل وان سيل لم * يبذل وان عوتب لم يعتب
صب بهجراني ولو قال لى * لا تشرب البارد لم اشرب

فقال هذا والله الشعر الحسن المعنى السهل اللفظ العذب المستمع القليل النظير ما سمعت كلاما اجزل منه في رقة ولا اسهل في صعوبة ولا ابلغ في انصاف من هذا فقال له الحسن كلامك والله أحسن من شعره ومما استحسن من شعر العباس بن الاحنف قوله

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فطوبى لمن اغفى من الليل ساعة * وذاق اغماضا ان ذاك لناعم

وقوله

اصرف فؤادك يا عباس معتمدا * عنها والا تمت في حبها كمدا
لو أنها من وراء الروم في بلد * ما كنت اشكى الاذلك البلدا
يا من شكا شوقه من هول غيبته * اصبر لعلك تلقى ما تحب غدا

وقوله

اغب الزيارة لما بدا * له الهجر أو بعض اسبابه
وما صد عنا ولكنه * طريد ملالة احبابه

حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى قال حدثنا الرياشي قال ذكر جماعة من أهل البصرة قالوا خرجنا نريد الحج فلما كنا ببعض الطريق اذا غلام واقف على المحجة وهو ينادى يا أيها الناس هل فيكم أحد من أهل البصرة قال فلنا اليه وقلنا له ما تريد قال ان مولاى لما به يريد أن يوصيكم فملنا معه فاذا بشخص ملقى على بعد من الطريق تحت شجرة لا يحير جوابا فجلسنا حوله فأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا وأنشأ يقول

يا غريب الدار عن وطنه * مفردا يبكي على شجنه
كلما جد البكاء به * دبت الاسقام في بدنه

ثم اغمي عليه طويلا وانا بجلوس حوله اذ أقبل طائر فوقع على اعلى الشجرة وجعل يغرد ففتح الفتى عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ثم قال

ولقد زاد الفؤاد شجى * طائر يبكي على فننه
شفه ماشفني فبكى * كلنا يبكي على سكنه

قال ثم تنفس تنفسا فاضت نفسه منه فلم نبرح من عنده حتى غسلناه وكفناه وتولينا الصلاة عليه فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه فقال هذا العباس بن الاحنف وقد أخبرنا بهذا الخبر أبو اسحق الزجاجي النحوي عن أبي العباس المبرد عن المازني قال حدثنا جماعة من أهل البصرة بما ذكرناه * وكانت وفاة أبي ثور ابراهيم بن خالد الكلبي سنة أربعين ومائتين * وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين نفى المتوكل علي بن الجهم الشاعر الى خراسان وقيل في سنة تسع وثلاثين ومائتين وقد أتينا على خبره وما كان من أمره ورجوعه بعد ذلك الى العراق وخروجه يريد الثغر وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين فلما صار بالقرب من حلب من بلاد قنسرين والعواصم بالموضع المعروف بخشاف لقيته خيل الكلبيين فقال في ذلك وهو في الشرق

أزيد في الليل ليل * ام سال بالصبح سيل
ذكرت أهل دجيل * وأين مني دجيل

وكان علي بن الجهم السامي هذا مع انحرافه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه واظهاره التسنن مطبوعا مقتدرا على الشعر عذب الالفاظ غزير الكلام وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب طعن من طعن على نسبه وما قال الناس في عقب سامة بن لؤي ابن غالب وقول علي بن محمد بن جعفر العلوي الشاعر

وسامة منا فأما بنوه * فامرهم عندنا مظلم
اناس اتونا بأنسابهم * خرافة مضطجع يحلم
وقلت لهم مثل قول النبي * وكل اقاويله محكم
اذا ما سئلت ولم تدرما * تقول فقل ربنا اعلم

وقول العلوي فيه أيضا

لو اكتنفت النضر أو معدا * أو اتخذت البيت كهفا مهدا
وزمزما شريعة ووردا * والاخشبين محضرا ومبدا
ما ازددت الامن قريش بعدا * أو كنت الا مصقليا وغدا

وانما اعدنا هذا الشعر في هذا الموضع وان كنا قد قدمناه فيما سلف من هذا الكتاب لما سنح لنا من ذكر علي بن الجهم في أيام المتوكل ولما احتجنا اليه عند ذكرنا الشعر علي بن الجهم واجابته العلوي على هذا الشعر فكان ما اجاب به علي بن الجهم لعلي بن محمد بن جعفر العلوي

لم تذقني حلاوة الانصاف * وتعسفتني اشد اعتساف
وتركت الوفاء علما بما فيـ * ـه وأسرفت غاية الاسراف
غير أني اذا رجعت الى حـق بني هاشم بن عبد مناف
لم أجد لي الى التشفي سبيلا * بقواف ولا بغير قواف
لي نفس تأبى الدنية والاشراف لا تعتدي على الاشراف

وله في الحبس شعر معروف لم يسبقه الى معناه أحد وهو قوله

قالوا حبست فقلت ليس بضائر * حبسي وأي مهند لا يغمد
أوما رأيت الليث يألف غيله * كبرا وأوباش السباع تردد
والشمس لولا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار في أحجارها مخبوءة * لا تصطلي ان لم تثرها الازند
والحبس ما لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المستورد
بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحفد
لو لم يكن في الحبس الا انه * لا يستذلك بالحجاب الاعبد

ومما أحسن فيه قوله

خليلي ما أحلى الهوى وأمره * وأعلمني بالحلو منه وبالمر
بما بيننا من حرمة هل رأيتما * أرق من الشكوى وأقسى من الهجر
وأفضح من عين المحب لسره * ولا سيما ان أطلقت عبرة تجري

ومما اختير من قوله

حسرت عني القناع ظلوم * وتولت ودمعها مسجوم
شر ما أنكرت تصرم عهد * لم يدم لي وأي عهد يدوم
أنكرت ما رأت برأسي وقالت * أمشيب أم لؤلؤ منظوم
قلت أولاهما علات فقالت * آية يستثيرها الهموم
هي عندي من الهموم التي يحـ * ـسن فيها العزاء والتسليم
ان أمرا أخنى على بشيب الـ * ـرأس في ليلة لامر عظيم
ليس عندي وان تعزيت الا * طاعة حرة وقلب سليم

ومن جيد شعره

هي النفس ما حملتها تتحمل * وللدهر أيام تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأكمل أخلاق الرجال التفضل
ولا عار ان زالت عن المرء نعمة * ولكن عارا أن يزول التحمل
وما المال الا حسرة ان تركته * وغنم اذا قدمته متعجل

ومما اعتذر فيه فأحسن قوله في المتوكل

ان ذل السؤال والاعتذار * خطة صعبة على الاحرار
ليس من باطل يورّدها المر * ء ولكن سوابق الاقدار

فارض للسائل الخضوع وللقا * رف ذنبا بذلة الاعتذار
ان تجافيت منعما كنت أولى * من تجافى عن الذنوب الكبار
أو تعاقب فأنت أعرف بالله وليس العقاب منك بعار

ومما جوّده قوله لدقيد

فقلت لها والدمع شتى طريقه * ونار الهوى بالقلب يذكو وقودها
فلا تجزعى اما رأيت قيوده * فان خلاخيل الرجال قيودها

وكان فى لسانه فضل قل من سلم معه منه وكان محمد بن عبد الله منحرفا عنه فاستشفع عليه بوصيف التركى حتى أصلح له ناحيته ثم فسد عليه وصيف فاستشفع عليه بمحمد بن عبد الله وكتب اليه

الحمد لله شكرا * قلوبنا فى يديه
صار الامير شفيعا * الى شفيعى اليه

وله أشعار نادرة وأمثال سائرة اخترنا منها ما قد مناذكره واقتصرنا بذلك عن غيره وقد رثاه جماعة من الشعراء بعد قتله منهم أبو صاعد فقال

أريقى الدمع واجتنبى الهجوعا * وصونى شمل وجدك أن يضيعا
وقولى ان كهف بنى لؤى * غدا بالشام منجدلا صريعا
جزاء يا بنى جهم بن بدر * فقد لاقيتم خطبا فظيعا
أما والله لو تدرى المنايا * بما لاقيتم لبكت نجيعا
ثوى كهف الارامل واليتامى * ومن كان الزمان به ربيعا
فتى كان السهام على الاعادى * وللشادون حادثة منيعا

قال وفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين كان خروج المتوكل من دمشق الى سر من رأى فكان بين خروجه منها ورجوعه اليها ثلاثة أشهر وسبعة أيام وفى خروجه يقول المهلبى شعرا طويلا اخترنا منه قوله

أظن الشام يشمت بالعراق * اذا عزم الامام على انطلاق
فان تدع العراق وساكنيها * فقد تبلى المليحة بالطلاق

ولما نزل بدمشق أبى أن ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها وما يرتفع من بخار مياهها فنزل قصر المامون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة فى أعلى الارض وهذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة وأكثر الغوطة ويعرف بقصر المامون الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وذكر سعيد بن نكيس قال كنت واقفا بين يدى المتوكل فى مضربه بدمشق اذ شغب الجند واجتمعوا وضجوا يطلبون الاعطية ثم خرجوا الى تجريد السلاح والرمى بالنشاب واقبلت أرى السهام ترتفع فى الرواق فقال لى يا أبا سعد ادع لى رجاء الحضارى فدعوته فقال له يا رجاء أما ترى ما خرج اليه هؤلاء فما الرأى عندك فقال يا أمير المؤمنين قد كنت مشفقا فى هذا السفر من مثل هذا فأشرت بما أشرت من تأخيره فقال أمير المؤمنين اليه وقال دع ما مضى وقل الآن بما حضر برأيك فقال يا أمير

المؤمنين

المؤمنين لوضع الاعطية فقال له فهذا ما أرادوا وفيه مع ما خرجوا اليه ما يعلم قال يا أمير
المؤمنين مر بهذا فان الرأى بعده فأمر عبد الله بن يحيى بوضع الاعطية فيهم فلما خرج المال
وبدئ بانفاقه دخل رجاء فقال مر الآن يا أمير المؤمنين بضرب الطبل للرحيل الى العراق
فانهم لا يأخذون مما أخرج اليهم شيأ ففعل ذلك فترك الناس الاعطية حتى ان المعطى
ليتعلق بالرجل ليعطيه رزقه فلا يأخذه * قال سعيد وقد كان الاتراك قدروا وانهم يقتلون
المتوكل بدمشق فلم يمكنهم فيه حيلة بسبب بغا الكبير فانهم دبروا فى ابعاده عنه فطرحوا فى
مضرب المتوكل الرقاع يقولون فيها ان بغا دبر أن يقتل أمير المؤمنين والعلامة فى ذلك أن
يركب فى يوم كذا فى خيله ورجله فيأخذ عليه أطراف عسكره ثم يأخذ جماعة من الغلمان
العجم يدخلون عليه فيفتكون به فقرأ المتوكل الرقاع فبهت مما تضمنته ودخل فى قلبه من
بغا كل مدخل وشكا الى الفتح ذلك وقال له فى أمر بغا والاقدام عليه وشاوره فى ذلك
فقال يا أمير المؤمنين ان الذى كتب الرقاع قد جعل للامر دلائل فى وقت بعينه من ركوب
الرجل الاطراف من العسكر وتوكيله بنواحيه وبعد ذلك يتبين الامر وانا أرى أن تمسك
فان صح هذا الدليل نظرنا كيف يفعل وان بطل ما كتب به فاحمدته واقبلت الرقاع تطرح
فى كل وقت على جهة النصح والصدق فلما علموا ما علم به الخليفة وتمكن به ما عندهم من
الامر كتبوا رقاعا فطرحوها فى مضرب بغا يقولون فيها ان جماعة من الغلمان والاتراك
قد عزموا على الفتك بالخليفة فى عسكره ودبروا ذلك واتفقوا عليه وتعاقدوا على أن يأتوه
من نواحى كذا ونواحى كذا فالله الله الا ما احترست لامير المؤمنين وحرسته فى هذه الليلة
من هذه المواضع وحصنتها بنفسك ومن تثق به فانا قد نصحنا وصدقنا وأكثروا طرح الرقاع
بهذا المعنى والتوكيد فى حراسة الخليفة فلما وقف بغا عليها وتتابعت عليه لم يأمن أن يكون
ما كتب اليه فيها حقا مع ما كان وقع عليه من الامر قبل ذلك فلما كانت الليلة التى ذكروها
جمع جيوشه وأمرهم بالركوب بالسلاح وركب بهم الى المواضع التى ذكرت فأخذها
على المتوكل وحرسها واتصل الخبر بالمتوكل فلم يشك أن ما كتب له حق فاقبل يتوقع من
يوافيه فيفتك به وسهر ليلته وامتنع من الاكل والشرب فلم يزل على تلك الحال الى الغداة
وبغا يحرسه والامر عند المتوكل على خلاف ذلك وقد اتهم بغا واستوحش من
فعله فلما عزم المتوكل على الانصراف قال له يا بغا قد ابت نفسى مكانك منى ورأيت
أن اقلدك هذا الصقع وأقر عليك ما كان لك من رزق وحباء ونزل ومعونة وكل
سبب فقال انا عبدك يا أمير المؤمنين فافعل ما شئت وأمرنى بما أحببت فخلفه بالشام
وانصرف فأحدث الموالى عليه ما أحدثوا فلم يعلم المتوكل وجه الحيلة ولم يعلم كل واحد
منهما الحيلة فى ذلك الى أن تمت الحيلة * قال ولما عزم بغا الصغير على قتل المتوكل دعا بباغر
التركى وكان قد اصطنعه واتخذه وملأ عينه من الصلات وكان مقداما أهوج فقال له
يا باغر أنت تعلم محبتى لك وتقديمى اياك وايثارى لك واحسانى اليك وانى قد صرت عندك
فى حد من لا يعصى له أمر ولا يخرج عن محبته وأريد أن آمرك بشئ فعرفنى كيف قلبك
فيه فقال أنت تعلم كيف أنا فقل لى ما شئت حتى أفعله قال ان ابنى فارس قد أفسد على

على وعمل على قتلي وسفك دمي وقد صح عندي ذلك منه قال فتريد مني ماذا قال أريد أن يدخل علي غدا فالعلامة بيننا أن أضع قلنسوتي في الارض فاذا أنا وضعتها في الارض فاقتله قال نعم ولكن أخاف أن يبدو لك أو تجد في نفسك علي قال قد آمنك الله من ذلك فلما دخل فارس حضر باغر ووقف موقف الضارب فلم يزل يراعي بغا أن يضع قلنسوته فلم يفعل وظن انه نسي فغمزه بعينه أي افعل قال لا فلما لم ير العلامة وانصرف فارس قال له بغا اعلم أني فكرت في انه حدث وانه ولد وقد رمت أن استخلصه هذه المرة فقال له باغر أنا قد سمعت وأطعت وأنت أعلم وما دبرت وقدرت عليه فيه صلاحه ثم قال له وههنا أمر أكبر من ذلك وأهم فعرفني كيف تريد أن تكون فيه قال له قل ما شئت حتى أفعله قال أخي وصيف قد صح عندي انه يدبر علي وعلى رفقائي وان مكاننا قد ثقل عليه وانه عول على أن يقتلنا ويفنينا ويتفرد بالامور قال فماذا تريد أن يصنع به قال افعل هذا فانه يصير الي غدا فالعلامة أن أنزل عن المصلى الذي يكون معي قاعدا عليه فاذا رأيتني نزلت عنه فضع سيفك عليه واقتله قال نعم فلما صار وصيف الى بغا حضر باغر وقام مقام المستعد فلم ير العلامة حتى قام وصيف وانصرف قال فقال له بغا يا باغر اني فكرت في انه أخي واني قد عاقدته وحلفت له فلم أستجز أن أفعل ما دبرته ووصله واعطاه ثم انه امسك عنه مدة مديدة ودعا به فقال يا باغر قد حضرت حاجة أكبر من الحاجة التي قدمتها فكيف قلبك قال قلبي على ما تحب فقل ما شئت حتى أفعله فقال هذا المنتصر قد صح عندي انه على ايقاع التدبير علي وعلى غيري حتى يقتلنا وأريد أن أقتله فكيف ترى نفسك في ذلك ففكر باغر في ذلك ونكس رأسه وقال هذا لا يجيء منه شيء قال وكيف قال يقتل الابن والاب باق اذا لا يستوي لكم شيء ويقتلكم ابوه كلكم به قال فما ترى عندك قال نبدأ بالاب أولا فنقتله ثم يكون أمر الصبي أيسر من ذلك فقال له ويحك ويفعل هذا ويتهيأ قال نعم أفعله وأدخل عليه حتى أقتله فجعل يردد عليه فيقول لا تفعل غير هذا ثم قال له فادخل أنت في اثري فان قتلته والا فاقتلني وضع سيفك علي وقيل اراد أن يقتل مولاه فعلم بغا حينئذ انه قاتله وتوجه له في التدبير في قتل المتوكل * وفي سنة سبع وأربعين توفيت شجاع أم المتوكل وصلى عليها المنتصر وذلك في شهر ربيع الآخر ثم قتل المتوكل بعد وفاتها بستة أشهر ليلة الاربعاء لثلاث ساعات خلت من الليل وذلك لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وقيل لاربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين * وكان مولده بفم الصلح حدث البحتري قال اجتمعنا ذات يوم مع الندماء في مجلس المتوكل فتذاكرنا أمر السيوف فقال بعض من حضر بلغني يا أمير المؤمنين انه وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير ولم ير مثله فأمر المتوكل بكتاب الى عامل البصرة بطلبه بشرائه بما بلغ فنفذت الكتب على البريد وورد جواب عامل البصرة بأن السيف اشتراه رجل من أهل اليمن فأمر المتوكل بالبعث الى اليمن بطلب السيف وابتياعه فنفذت الكتب بذلك قال البحتري فبينا نحن عند المتوكل اذ دخل عليه عبيد الله والسيف معه وعرفه انه ابتيع من صاحبه باليمن بعشرة آلاف درهم فسر بوجوده وحمد الله على ما سهل من أمره واستضاه فاستحسنه وتكلم كل واحد منا بما يحب وجعله تحت ثني فراشه

فلما كان من الغداة قال للفتح اطلب لي غلاما تثق بنجدته وشجاعته أدفع له هذا السيف ليكون واقفا به على رأسي لا يفارقني في كل يوم مادمت جالسا قال فلم يستتم الكلام حتى أقبل باغر التركي فقال الفتح يا أمير المؤمنين هذا باغر التركي قد وصف لي بالشجاعة والبسالة وهو يصلح لما أراده أمير المؤمنين فدعا به المتوكل فدفع اليه السيف وأمره بما أراد وتقدم أن يزاد في مرتبته وأن يضعف له الرزق قال البحتري فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا خرج من غمده من الوقت الذي دفع اليه الا في الليلة التي ضرب به فيها باغر بذلك السيف قال البحتري لقد رأيت من المتوكل في الليلة التي قتل فيها عجبا وذلك انا تذاكرنا أمر الكبر وما كانت تستعمله الملوك من الجبرية فجعلنا نخوض في ذلك وهو يتبرأ منه ثم حول وجهه الى القبلة فسجد وعفر وجهه بالتراب خضوعا لله عز وجل ثم أخذ من ذلك التراب فنثره في لحيته ورأسه وقال انما انا عبد الله وان من صار الى التراب لحقيق أن يتواضع ولا يتكبر قال البحتري فتطيرت له من ذلك وانكرت ما فعله من نثره التراب على رأسه ولحيته ثم قعد للشراب فلما عمل فيه غنى من حضره من المغنين صوتا استحسنه ثم التفت الى الفتح فقال يا فتح ما بقي أحد سمع هذا الصوت من مخارق غيري وغيرك ثم أقبل على البكاء قال البحتري فتطيرت من بكائه وقلت هذه ثانية فانا في ذلك اذ أقبل خادم من خدم قبيحة ومعه منديل وفيه خلعة وجهت بها اليه قبيحة فقال له الرسول يا أمير المؤمنين تقول لك قبيحة اني استعملت هذه الخلعة لامير المؤمنين واستحسنتها ووجهت بها لتلبسها قال فاذا فيه دراعة حمراء لم أر مثلها قط ومطرف خز احمر كانه دبق من رقته قال فلبس الخلعة والتحف المطرف قال فانى على ذلك اذ تحرك المتوكل فيه وقد كان التف عليه المطرف فجذبه جذبة فخرقه من طرفه الى طرفه قال فاخذه ولفه ودفعه الى خادم قبيحة الذي جاءه بالخلعة وقال قل لها احتفظي بهذا المطرف عندك ليكون كفنا لي عند وفاتي فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون انقضت والله المدة وسكر المتوكل سكرا شديدا قال وكان من عادته أنه اذا تمايل عند سكره أن يقيمه الخدم الذين عند رأسه قال فبينما نحن كذلك ومضى نحو ثلاث ساعات من الليل اذ أقبل باغر ومعه عشرة نفر من الاتراك وهم متلثمون والسيوف في ايديهم تبرق في ضوء تلك الشمع فهجموا علينا وأقبلوا نحو المتوكل حتى صعد باغر وآخر معه من الاتراك على السرير فصاح بهم الفتح ويلكم مولاكم فلما رآهم الغلمان ومن كان حاضرا من الجلساء والندماء تطايروا على وجوههم فلم يبق أحد في المجلس غير الفتح وهو يحاربهم ويمانعهم قال البحتري فسمعت صيحة المتوكل وقد ضربه باغر بالسيف الذى كان المتوكل دفعه اليه على جانبه الايمن فقده الى خاصرته ثم ثناه على جانبه الايسر ففعل مثل ذلك وأقبل الفتح يمانعهم عنه فبعجه واحد منهم بالسيف الذى كان معه في بطنه فاخرجه من متنه وهو صابر لا يتنحى ولا يزول قال البحتري فما رأيت أحدا كان أقوى نفسا ولا اكرم منه ثم طرح بنفسه على المتوكل فماتا جميعا فلفا في البساط الذى قتلا فيه وطرحا ناحية فلم يزالا على حالتهما في ليلتهما وعامة نهارهما حتى استقرت الخلافة للمنتصر فأمر بهما فدفنا جميعا وقيل ان قبيحة كفنته بذلك المطرف المخرق بعينه وقد كان بغا الصغير توحش من المتوكل

فكان المنتصر يجتذب قلوب الاتراك وكان أوتامش غلام الواثق مع المنتصر فكان المتوكل يبغضه لذلك وكان اوتامش يجتذب قلوب الاتراك الى المنتصر وعبيد الله بن خاقان الوزير والفتح بن خاقان منصرفين عن المنتصر مائلين الى المعتز وكانا قد أوغرا قلب المتوكل على المنتصر فكان المنتصر لا يعد أحد من الاتراك الا اجتذبه فاستمال قلوب الاتراك وكثير من الفراعنة والاشروسنية الى أن كان من الامر ما ذكرناه وهذا ما اخترناه في هذا الموضع اذ كان أحسن الفاظا وأقربه مأخذا وقد أتينا على جميع ما قيل في ذلك في الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اكثاره في هذا الكتاب ولم يكن المتوكل يوما أشد سرورا منه في اليوم الذي قتل فيه فلقد أصبح في هذا اليوم نشيطا فرحا مسرورا وقال كاني أجد حركة الدم فاحتجم في ذلك اليوم وأحضر الندماء والملهين فاشتد سروره وكثر فرحه فانقلب ذلك الفرح ترحا والسرور حزنا فمن ذا الذي يغتر بالدنيا ويسكن اليها ويأمن الغدر والنكبات فيها الا جاهل مغرور فهي دار لا يدوم نعيمها ولا يتم فيها سرور ولا يؤمن فيها محذور قد قرنت منها السراء بالضراء والشدة بالرخاء والنعيم بالبلوى ثم يتبعها الزوال فمع نعيمها البؤس ومع سرورها الحزن ومع محبوبها المكروه ومع صحتها السقم ومع حياتها الموت ومع فرحاتها الترحات ومع لذاتها الآفات عزيزها ذليل وقويها مهين وغنيها محروب وعظيمها مسلوب ولا يبقى الا الحي الذي لا يموت ولا يزول ملكه وهو العزيز الحكيم وفي ذلك يقول البحتري في غدر المنتصر بأبيه وفتكه به من قصيدة له

أكان ولي العهد أضمر غدره * فمن عجب أن ولي العهد غادره

فلا ملك الباقي تراث الذي مضى * ولا حملت ذاك الدعاء منابره

وكانت أيام المتوكل في حسنها ونضارتها ورفاهية العيش بها وحمد الخاص والعام لها ورضاهم عنها أيام سراء لا ضراء كما قال بعضهم كانت خلافة المتوكل أحسن من امن السبيل ورخص السعر وأماني الحب وأيام الشباب وقد أخذ هذا بعض الشعراء فقال

قربك أشهى موقعا عندنا * من لين السعر وأمن السبيل

ومن ليالي الحب موصولة * بطيب أيام الشباب الجميل

قال المسعودي وقد قيل انه لم تكن النفقات في عصر من الاعصار ولا وقت من الاوقات مثلها في أيام المتوكل ويقال انه انفق على الهاروني والجوسق الجعفري أكثر من مائة ألف ألف درهم هذا مع كثرة الموالي والجند والشاكرية ودرور العطاء لهم وجليل ما كانوا يقبضونه في كل شهر من الجوائز والهبات ويقال انه كان له أربعة آلاف سرية وطئهن كلهن ومات وفي بيوت الاموال أربعة آلاف ألف دينار وسبعة آلاف ألف درهم ولا يعلم أحد في صناعته في جد ولا هزل الا وقد حظي في دولته وسعد بايامه ووصل اليه نصيب وافر من ماله وذكر محمد بن أبي عون قال حضرت مجلس المتوكل في يوم نيروز وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وبين يديه الحسن بن الضحاك الخليع الشاعر فغمز المتوكل خادما على رأسه حسن الصورة أن يسقي الحسن كأسا ويحييه بتفاحة عنبر ففعل ذلك ثم التفت المتوكل الى الحسن فقال قل فيه أبياتا فانشا يقول

وكالدرة البيضاء حيا بعنبر * من الورد يسعى فى قراطيس كالورد
له عبثات عند كل تحية * بعينيه تستدعى الخلى الى الوجد
تمنيت أن أسقى بعينيه شربة * تذكرنى ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم أبت فيه ساعة * من الليل الا من حبيب على وعد

قال المتوكل أحسنت والله يعطى لكل بيت مائة دينار فقال محمد بن عبد الله ولقد أجاب فأسرع وذكر فأوجع ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاولها يد لاجزلت له العطاء ولو بالطارف والتالد فقال المتوكل عند ذلك يعطى لكل بيت ألف دينار قال ويروى انه لما أتى بمحمد بن المغيث الى المتوكل وقد دعى له بالنطع والسيف قال له يا محمد ما دعاك الى المشاقة قال الشقوة يا أمير المؤمنين وأنت ظل الله الممدود بينه وبين خلقه ان لى فيك لظنين اسبقهما الى قلبى أولاهما بك وهو العفو عن عبدك وأنشأ يقول

أبى الناس الا انك اليوم قاتلى * امام الهدى والعفو بالحر أجمل
وهل أنا الا جبلة من خطيئة * وعفوك من نور النبوة يجمل
تضاءل ذنبى عند عفوك قلة * فمن لى بفضل منك والمن أفضل
لانك خير السابقين الى العلا * وانك خير الفعلتين ستفعل

فقال المتوكل افعل خيرهما وأمن عليك ارجع الى منزلك قال ابن المغيث يا أمير المؤمنين الله أعلم حيث يجعل رسالته ولما قتل المتوكل رثته الشعراء فمن رثاه على بن الجهم فقال من قصيدة له

عبيد أمير المؤمنين قتلنه * وأعظم آفات الملوك عبيدها
بنى هاشم صبرا فكل مصيبة * سيبلى على وجه الزمان جديدها

وفيه يقول ابن زيد المهلبى من قصيدة طويلة

جاءت منيته والعين هاجعة * هلا أتته المنايا والقنا قصد
علتك أسياف من لا دونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد
خليفة لم ينل ما ناله أحد * ولم يصغ مثله نور ولا جسد

وفيه يقول بعض الشعراء

سرت ليلا منيته اليه * وقد خلى مناعمه وناما
فقالت قم فقام وكم أقامت * أخا ملك الى هلك فقاما

وفيه يقول الحسن بن الضحاك الخليع

ان الليالى لم تحسن الى أحد * الا أساءت اليه بعد احسان
أما رأيت خطوب الدهر ما فعلت * بالهاشمى وبالفتح بن خاقان

وذكر على بن الجهم قال لما افضت الخلافة الى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله اهدى اليه الناس على أقدارهم واهدى اليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيفة ووصيف وفى الهدية جارية يقال لها محبوبة كانت لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس فحسن موقعها من المتوكل

وحلت من قلبه محلا جليلا لم يكن أحد يعدلها عنده قال علي فدخلت عليه يوما للمنادمة فلما استقر بي المجلس قام فدخل بعض المقاصير ثم خرج وهو يضحك فقال ويلك يا علي دخلت فرأيت قبيحة قد كتبت في خدها بالمسك جعفرا فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيأ فقلت يا سيدي أنا وحدي أو أنا ومحبوبة قال لا بل أنت ومحبوبة قال فدعوت بدواة وقرطاس فسبقتني الى القول ثم أخذت العود فترغت ثم خفقت عليه حتى صاغت له لحنا وتضاحكت مليا ثم قالت يا أمير المؤمنين تأذن لي فأذن لها فغنت

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا * بنفسي محط المسك من حيث أثرا

لئن أودعت خطا من المسك خدها * لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا

فيا من لمملوك يظل مليكه * مطيعا له فيما أسر وأجهرا

ويا من لعيني من رأى مثل جعفر * سقى الله صوب المستهلات جعفرا

قال علي وتغلغلت خواطري حتى كأني ما أحسن حرفا من الشعر قال فقال لي المتوكل ويلك يا علي ما أمر تلتبه فقلت يا سيدي اقلني فوالله لقد عزب عن ذهني فلم يزل يضرب به على رأسي ويعيرني به الى أن مات * قال علي ودخلت اليه ايضا لانادمه فقال لي ويلك يا علي علمت اني غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ونهيت الحشم عن الدخول اليها وانفت من كلامها فقلت يا سيدي ان كنت غاضبتها اليوم فصالحها غدا ويديم الله سرور امير المؤمنين ويمد في عمره قال فأطرق مليا ثم قال للندماء انصرفوا وأمر برفع الشراب فرفع فلما كان من غد دخلت اليه فقال ويلك يا علي اني رأيت البارحة في النوم أني قد صالحتها فقالت جارية يقال لها شاطر كانت تقف أمامه والله لقد سمعت الساعة في مقصورتها هيمنة لا ادري ماهي فقال لي قم ويلك حتى ننظر ماهي فقام حافيا وقمت أتبعه حتى قربنا من مقصورتها فاذا هي تخفق عودا وتترنم بشئ كأنها تصوغ لحنا ثم رفعت عقيرتها وتغنت

أدور في القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمني

حتى كأني أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصني

فمن شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرا وصالحني

حتى اذا ما الصباح عاد لنا * عاد الى هجره وصارمني

قال فصفق المتوكل طربا وصفقت معه فدخل اليها فلم تزل تقبل رجل المتوكل وتمرغ خديها على التراب حتى أخذ بيديها ورجعنا وهي ثالثتنا قال علي فلما قتل المتوكل ضمت هي وكثير من الوصائف الى بغا الكبير فدخلت عليه يوما للمنادمة فأمر بهتك الستارة وأمر بالقينات فأقبلن يرفلن في الحلي والحلل وأقبلت محبوبة حاسرة من الحلي والحلل عليها بياض فجلست مطرقة منكسة فقال لها وصيف غني قال فاعتلت عليه فقال أقسمت عليك وأمر بالعود فوضع في حجرها فلما لم تجد بدا من القول تركت العود في حجرها ثم غنت عليه غناء مرتجلا

أي عيش يلذ لي * لا أرى فيه جعفرا

ملك قد رأيته * في نجيع معفرا

بكل من كان ذا خبا * ل وسقم فقد برا
غير محبوبة التى * لو ترى الموت يشترى
لاشترته بما حوته يداها لتقبرا

قال فغضب عليها وصيف وأمر بسجنها فسجنت وكان آخر العهد بها (قال المسعودى) ومات فى خلافة المتوكل جماعة من أهل العلم ونقلة الآثار وحفاظ الحديث منهم على بن جعفر المدنى بسامرا يوم الاثنين لثلاث بقين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة واشهر وقد تنوزع فى السنة التى مات فيها ابن المدينى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب السنة التى قيل فيها ان وفاته كانت فيها * وفى هذه السنة مات أبو الربيع ابن الزهرى وقد تنوزع فى السنة التى مات فيها يحيى بن معين فمنهم من رأى ما قدمنا فى هذا الكتاب ومنهم من رأى وهو الاكثر أنه مات فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ويكنى بأبى زكريا مولى بنى مرة وقد بلغ من السن خمسا وسبعين سنة واشهرا بالمدينة وقيل ان فى هذه السنة كانت وفاة أبى الحسن على بن محمد المدائنى الاخبارى وقيل مات فى أيام الواثق فى سنة ثمان وعشرين ومائتين وفيها كانت وفاة مسدد بن مسرهد واسمه عبد الملك بن عبد العزيز * وفيها مات الحمانى الفقيه وابن عائشة واسمه عبد الله بن محمد بن حفص ويكنى بأبى عبد الرحمن وهو من تيم قريش * وفى خلافة المتوكل مات هد بن خالد وسفيان بن فرج الايلى وابراهيم بن محمد الشافعى وذلك فى سنة ست وثلاثين ومائتين * وفى سنة سبع وثلاثين ومائتين مات العباس بن الوليد الرسى بالبصرة وعبد الاعلى بن حماد الرسى وعبيد الله ابن معاذ العبدى * وفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين مات اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه وبشر بن الوليد القاضى الكندى صاحب أبى يوسف وقد قيل ان فى هذه السنة مات العباس بن الوليد الرسى * وفى سنة تسع وثلاثين ومائتين مات عثمان بن أبى شيبة الكوفى بالكوفة والصلت بن مسعود الجحدرى * وفى سنة أربعين ومائتين مات هياب ابن خليفة العصفرى وعبد الواحد بن عتاب * وفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين مات هشام ابن عمار الدمشقى وحميد بن مسعود الناجى وعبد الله بن معاوية الجمحى وفيها مات يحيى بن أكثم القاضى فى الربذة ومحمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب * وفى سنة ست وأربعين ومائتين مات محمد بن المصطفى الحمصى وعنبسة بن اسحق بن شمر وموسى بن عبد الملك (قال المسعودى) وللمتوكل أخبار وسير حسان غير ما ذكرنا وقد أتينا عليها على الشرح والاختصار فى كتابنا فى أخبار الزمان والله الموفق للصواب

* (ذكر خلافة المنتصر بالله) *

وبويع محمد بن جعفر المنتصر فى صبيحة الليلة التى قتل فيها المتوكل وهى ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ويكنى بأبى جعفر وامه أم ولد يقال انها حبشية رومية واستخلف وهو ابن خمس وعشرين سنة وكانت بيعته بالقصر المعروف بالجعفرى الذى احدث بناءه المتوكل ومات سنة ثمان وأربعين ومائتين وكانت خلافته ستة

أشهر

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

كان الموضع الذي قتل فيه المتوكل هو الموضع الذي قتل فيه شيرويه أباه كسرى ابرويز وكان الموضع يعرف بالماخورة وكان مقام المنتصر بعد أبيه في الماخورة سبعة أيام ثم انتقل عنه وأمر بتخريب ذلك الموضع وحكى عن أبي العباس محمد بن سهل قال كنت اكتب لعتاب بن عتاب على ديوان جيش الشاكرية في خلافة المنتصر فدخلت الى بعض الاروقة فاذا هو مفروش بيساط سوسجرد ومسند ومصلى ووسائد بالحمرة والزرقة وحول البساط دارات فيها أشخاص ناس وكتابة بالفارسية وكنت أحسن القراءة بالفارسية واذا عن يمين المصلى صورة ملك وعلى رأسه تاج كأنه ينطق فقرأت الكتابة فاذا هي صورة شيرويه القاتل لابيه ابرويز الملك ملك ستة أشهر ثم رأيت صور ملوك شتى ثم انتهى بي النظر الى صورة عن يسار المصلى عليها مكتوب صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ملك ستة أشهر فعجبت من ذلك واتفاقه عن يمين مقعد المنتصر وعن شماله فقلت لا أرى يدوم ملكه أكثر من ستة أشهر فكان والله كذلك فخرجت من الرواق الى مجلس وصيف وبغا وهما في الدار الثانية فقلت لوصيف أعجز هذا الفراش أن يفرش تحت أمير المؤمنين الا هذا البساط الذي عليه صورة يزيد بن الوليد قاتل ابن عمه وصورة شيرويه قاتل أبيه ابرويز وعاشا ستة أشهر بعد ما قتلا فجزع وصيف من ذلك وقال علي بايوب بن سليمان النصراني خازن الفرش فمثل بين يديه فقال له وصيف لم تجد ما يفرش في هذا اليوم تحت أمير المؤمنين الا هذا البساط الذي كان تحت المتوكل ليلة الحادثة وعليه صورة ملك الفرس وغيره وقد كان ناله آثار الدماء قال سألني أمير المؤمنين المنتصر عنه وقال ما فعل البساط فقلت عليه آثار دماء فاحشة وقد عزمت أن لا أفرشه من ليلة الحادثة فقال لم لا تغسله وتطويه فقلت خشيت أن يشيع الخبر عند من يرى ذلك البساط من أثر الحادثة فقال ان الامر اشهر من ذلك يريد قتل الاتراك لابيه المتوكل فطويناه وبسطناه تحته فقال وصيف وبغا اذا قام أمير المؤمنين من مجلسه فخذه وأحرقه بالنار فلما قام أحرق بحضرة وصيف وبغا فلما كان بعد أيام قال لي المنتصر افرش ذلك البساط الفلاني فقلت وأين ذلك البساط فقال وما الذي كان من أمره فقلت ان وصيفا وبغا امراني باحراقه قال فسكت ولم يعد في أمره شيأ الى أن مات * وقد كان المنتصر طرب في هذه الايام فدعا بينان بن الحرث العواد وكان مطربا مجيدا وقد كان غضب عليه فأحضره فغناه

لقد طال عهدي بالامام محمد * وما كنت أخشى أن يطول به عهدي
فأصبحت ذا بعد وداري قريبة * فيا عجبا من قرب داري ومن بعدي
رأيتك في برد النبي محمد * كبدر الدجا بين العمامة والبرد

وكان ذلك ثاني يوم الاضحى وقد كان المنتصر صلى بالناس في هذا العيد ومما غني به من الشعر للمنتصر في ذلك اليوم

رأيتك في المنام أقل بخلا * وأطوع منك في غير المنام
فليت الصبح باد ولا تراه * وليت الليل آخر ألف عام
ولو أن النعاس يباع بيعا * لأغليت النعاس على الأنام

ومن شعر المنتصر أيضا مما غنى بحضرته

اني رأيتك في المنام كأنني * أعطيتني من ريق فيك البارد
وكأن كفك في يدي وكأنما * بتنا جميعا في لحاف واحد
ثم انتبهت ومعصماك كلاهما * بيدي اليمين وفي يمينك ساعدي
فظللت يومي كله متراقدا * لأراك في نومي ولست براقد

وقد كان استوزر أحمد بن الخصيب وندم على ذلك وكان نهى عبد الله بن خاقان وذلك أن أحمد ركب ذات يوم فتظلم اليه متظلم بقصة فأخرج رجله من الركاب فزج بها في صدر المتظلم فقتله فتحدث الناس بذلك فقال بعض شعراء ذلك الزمان

قل للخليفة يا ابن عم محمد * اشكل وزيرك انه ركال
اشكله عن ركل الرجال فان ترد * مالا فعند وزيرك الاموال

(قال المسعودى) ولو لحق هذا الشاعر الوزير حامد بن العباس في وزارته للمقتدر بالله لرأى منه قريبا مما ظهر من ابن الخصيب وذلك انه خاطبه مخاطب ذات يوم فقلب ثيابه على كتفه ولكم حلقه ولقد دخلت عليه ذات يوم أم موسى القهرمانة الهاشمية أو غيرها من القهارمة فخاطبته في شئ من الاموال عن رسالة المقتدر فكان مما خاطبها به أن قال اضرطي والتقطي * واحسبي لا تغلطي فأخجلها ذلك فقطعها عما قصدت فمضت من فورها الى المقتدر والسيدة فأخبرتهما بذلك فأمر القيان يغنين ذلك اليوم بذلك الكلام وكان يوم طرب وسرور وقد أتينا على خبره وأخبار غيره من وزراء بني العباس وكتاب بني أمية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في الكتاب الاوسط وأخبرت عن أبي العباس أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات قال كان أحمد بن الخصيب سيء الرأى في والده وكان عاملا له فجاءني مخبر من خدم الخاصة فقال ان الوزير قد ندب لاعمال الكم فلانا وقد أمره في والدك بكل مكروه وأن يصادره على جملة من المال غليظة ذكرها فقعدت وعندي بعض أصدقائنا من الكتاب أبادر بالكتاب الى والدي بذلك فاشتغلت عن جليسي الكاتب فاتكأ على الوسادة وغفا فانتبه مرعوبا وقال اني قد رأيت رؤيا عجيبة رأيت أحمد بن الخصيب واقفا في هذا الموضع وهو يقول يموت الخليفة المنتصر الى ثلاثة أيام قال قلت له الخليفة في الميدان يلعب بالصولجان وهذه الرؤيا ضرب من البلغم والمرار وقد قدمنا الطعام فما استتممنا الكلام حتى دخل علينا داخل فقال رأيت الوزير بدار الخاصة غير مسفر الوجه واني سألت عن سبب ذلك فقيل لي ان الخليفة المنتصر انصرف من الميدان وهو عرق فدخل الحمام ونام في الباذهنج فضربه الهواء وركبته حمى هائلة فدخل عليه أحمد بن الخصيب فقال يا سيدي أنت متفلسف وحكيم الزمان تنزل من الركوب تعبا فتدخل الحمام ثم تخرج عرقا فتنام في الباذهنج فقال له المنتصر أتخاف أن أموت رأيت في المنام البارحة آتيا أتاني

فقال لى تعيش خمسا وعشرين سنة فظننت أن ذلك بشارة فى المستقبل من عمرى وأنى ابقى فى الخلافة هذه المدة قال فمات فى اليوم الثالث فنظروا فاذا هو قد استوفى خمسا وعشرين سنة * وقد ذكر جماعة من أصحاب التواريخ أن المنتصر ضربته الريح يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الاول ومات مع صلاة العصر لخمس ليال خلون من ربيع الآخر وصلى عليه أحمد بن محمد المستعين وكان أول خليفة من بنى العباس أظهر قبره وذلك ان أمه حبشية سألت ذلك فأذن لها وأظهرته بسامرا * وقد قيل ان ابن الطيفورى الطبيب سمه فى مشراط حجمه به وقد كان عزم على تفريق جمع الاتراك فأخرج وصيفا فى جمع كثير الى غزاة الصائفة بطرسوس ونظر يوما الى بغا الصغير وقد أقبل فى القصر وحوله جماعة من الاتراك فاقبل على الفضل بن المأمون فقال قتلنى الله ان لم أقتلهم وأفرق جمعهم بقتلهم المتوكل على الله فلما نظر الاتراك الى ما يفعل بهم وما قد عزم عليه وجدوا منه الفرصة وقد شكا ذات يوم حرارة فأراد الحجامة فخرج له من الدم ثلثمائة درهم لما كان فى المبضع وشرب شربة بعد ذلك فخلت قواه ويقال ان السم كان فى مبضع الطبيب حين فصده * وقد ذكر ابن أبى الدنيا عن عبد الملك بن سليمان بن أبى جعفر قال رأيت فى نومى المتوكل والفتح بن خاقان وقد أحاطت بهما نار وقد جاء محمد المنتصر فاستأذن عليهما فمنع الوصول ثم أقبل المتوكل على فقال يا عبد الملك قل لمحمد بالكاس الذى سقيتنا تشرب قال فلما أصبحت غدوت على المنتصر فوجدته محموما فواظبت على عيادته فسمعته فى آخر علته يقول عجلنا فعوجلنا فمات من ذلك المرض * وكان المنتصر واسع الاحتمال راسخ العقل كثير المعروف راغبا فى الخير سخيا اديبا عفيفا وكان يأخذ نفسه بمكارم الاخلاق وكثرة الانصاف وحسن المعاشرة بما لم يسبقه خليفة الى مثله وكان وزيره أحمد بن الخصيب قليل الخير كثير الشر شديد الجهل وكان آل أبى طالب قبل خلافته فى محنة عظيمة وخوف على دمائهم قد منعوا زيارة قبر الحسين والغرى من أرض الكوفة وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد وكان الامر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين وفيها أمر المعروف بالذيزج بالمسير الى قبر الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما وهدمه ومحو ارضه وازالة أثره وأن يعاقب من وجد به فبذل الرغائب لمن تقدم على هذا القبر فكل خشى العقوبة وأحجم فتناول الذيزج مسحاة وهدم اعالى قبر الحسين فحينئذ أقدم الفعلة فيه وانهم انتهوا الى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها ولم تزل الامور على ماذكرنا الى أن استخلف المنتصر فأمن الناس وتقدم بالكف عن آل أبى طالب وترك البحث عن أخبارهم وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضى الله تعالى عنه ولا قبر غيره من آل أبى طالب وأمر برد فدك الى ولد الحسن والحسين واطلق أوقاف آل أبى طالب وترك التعرض لشيعتهم ودفع الاذى عنهم وفى ذلك يقول البحترى من أبيات له

وان عليا لاولى بكم * وازكى يدا عندكم من عمر

وكل له فضله والحجو * ل يوم التراهن دون الغرر

وفى ذلك يقول يزيد بن محمد المهلبى وكان من شيعة آل أبى طالب وما كان امتحن به الشيعة

فى ذلك الوقت واغريت بهم العامة

ولقد بررت الطالبية بعدما * ذموا زمانا بعدها وزمانا
ورددت الفة هاشم فرأيتهم * بعد العداوة بينهم اخوانا
آنست ليلهم وجدت عليهم * حتى نسوا الاحقاد والاضغانا
لو يعلم الاسلاف كيف بررتهم * لرأوك اثقل من بها ميزانا

وفى سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المنتصر بالله اخويه المعتز وابراهيم من ولاية العهد بعده وقد كان المتوكل بالله أخذ لهم العهد فى كتب كتبها وشروط اشترطها وأفرد لكل واحد منهم بجزء من الاعمال رسمه له وجعل ولى عهده والتالى للملك محمدا المنتصر وتالى المنتصر وولى عهده المعتز وتالى المعتز وولى عهده ابراهيم المؤيد وأخذت البيعة على الناس بما ذكرنا وفرق فيها اموالا وعم الناس بالجوائز والصلات وتكلمت فى ذلك الخطباء ونطقت به الشعراء فما اختير من قولهم فى ذلك قول مروان بن أبى الجنوب من قصيدة

ثلاثة املاك فأما محمد * فنور هدى يهدى به الله من يهدى
وأما أبو عبد الاله فانه * شبيهك فى التقوى ويجدى كما تجدى
وذو الفضل ابراهيم للناس عصمة * تقى وفى بالوعيد وبالوعد
فاولهم نور وثانيهم هدى * وثالثهم رشد وكلهم مهدى

وقوله للمتوكل مما أجاد فيه وأحسن

يا عاشر الخلفاء دمت ممتعا * بالملك تعقد بعدهم للعاشر
حتى تكون امامهم وكانهم * زهر النجوم دنت لبدر زاهر

وفى بيعة المتوكل لمن ذكرنا من ولده الثلاثة بولاية العهد يقول الشاعر المعروف بالسلمى

لقد شد ركن الدين بالبيعة الرضا * وطائر سعد جعفر بن محمد
لمنتصر بالله اثبت ركنه * واكد بالمعتز قبل المؤيد

وممن قال فى ذلك فأحسن القول وأجاد النظم ادريس بن أبى حفصة

ان الخلافة ما لها عن جعفر * نور الهدى وبنيه من تحويل
فاذا اقضى منها الخليفة جعفر * للناس لا فقدوه خير بديل
فبقاء ملكك وانتظار محمد * خير لنا وله من التعجيل

وقد كان خرج بأيام المنتصر بناحية اليمن والبوازيج والموصل أبو العمود الشارى فحكم واشتد أمره فيمن انضاف اليه من المحكمة من ربيعة وغيرهم من الاكراد فسرح اليه المنتصر جيشا عليهم سما التركى فكانت له مع الشارى حروب فاسر الشارى وأتى به المنتصر فجاد عليه بالعفو وأخذ عليه العهد وخلى سبيله (وحكى) عنه وزيره أحمد بن الخصيب بن الضحاك الجرجانى انه قال حين رضى عن الشارى ان لذة العفو أعذب من لذة التشفى وأقبح أفعال المقتدر الانتقام * وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال رأى بعض الكتاب فى المنام فى الليلة التى استخلف فى صبيحتها المنتصر كان قائلا يقول

هذا الامام المنتصر * والملك الحادى عشر

وآمر اذا أمر * كالسيف ما لاقى بتر
وطرفه اذا نظر * كالدهر فى خير وشر

وقد كان أظهر الانصاف فى الرعية فمالت اليه قلوب الخاصة والعامة مع شدة الهيبة منها له * وحدثنى أبو الحسن أحمد بن على بن يحيى المعروف بابن النديم قال حدثنا على بن يحيى المنجم قال ما رأيت أحدا مثل المنتصر ولا أكرم أفعالا بغير تبجح منه ولا تسكلف لقد رآنى يوما وأنا مغموم شديد الفكر بسبب ضيعة مجاورة لضيعتى وكنت أحب شراءها فلم أزل أعمل الحيلة على مالكها حتى أجابنى الى بيعها ولم يكن عندى فى ذلك الوقت قيمة ثمنها فصرت الى المنتصر وأنا على تلك الحال فتبين الانكسار فى وجهى وشغل القلب فقال لى أراك مفكرا فما قضيتك فجعلت أزوى عنه خبرى وأسترقه فاستحلفنى فصدقته عن خبر الضيعة فقال لى المنتصر فكم مبلغ ثمنها فقلت ثلاثون ألف درهم قال فكم عندك منها قلت عشرة آلاف فأمسك عنى ولم يجبنى وتشاغل عنى ساعة ثم دعا بدواة وبطاقة ثم وقع فيها بشئ لا أدرى ما هو وأشار الى خادم كان على رأسه بما لم أفهم فمضى الغلام مسرعا وأقبل يشغلنى بالحديث ويطاعنى الكلام الى أن أقبل الغلام فوقف بين يديه فنهض المنتصر وقال لى يا على اذا شئت فانصرف الى منزلك وقد كنت قدرت عند مسئلته انه سيأمر لى بالثمن أو نصفه فأتيت وأنا لا أعقل غماء فلما وصلت الى دارى استقبلنى وكيلى فقال ان خادم أمير المؤمنين صار الينا ومعه بغل عليه بدرتان فسلمهما الى وأخذ خطى بقبضهما قال فداخلنى من الفرح والسرور ما لم أملك به نفسى ودخلت وأنا لا أصدق قول الوكيل حتى أخرج الى البدرتين فحمدت الله تعالى على ما حباه لى ووجهت فى وقتى الى صاحب الضيعة فوفيته الثمن وتشاغلت سائر يومى بتسلمها والاشهاد بها على البائع ثم بكرت الى المنتصر من الغد فما أعاد على حرفا ولا سألنى عن شئ من خبر الضيعة حتى فرق الموت بيننا (قال المسعودى) وذكر الفضل ابن أبى طاهر فى كتابه فى أخبار المؤلفين قال حدثنى أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير مولى أمير المؤمنين قال كان المنتصر فى أيام امارته ينادمه جماعة من أصحابه وفيهم صالح بن أحمد المعروف بالحربى فجرى فى مجلسه ذات يوم ذكر الحب والعشق فقال المنتصر لبعض من فى المجلس أخبرنى عن أى شئ أعظم عند النفس فقدا وهى به أشد تفجعا قال فقد خل مشاكل وموت شكل موافق وقال آخر من حضر ما أشد جولة الرأى عند أهل الهوى وفطام النفس عند الصبا وقد تصدعت أكباد العاشقين من لوم العاذلين فلوم العاذلين قرط فى اذانهم ولوعات الحب نيران فى أبدانهم مع دموع المعانى كغروب السوانى وانما يعرف ما أقول من أبكته المغانى والطلول وقال آخر مسكين العاشق كل شئ عدوه هبوب الرياح يقلقه ولمعان البرق يؤرقه والعذل يؤلمه والبعد ينحله والذكر يسقمه والقرب يهيجه والليل يضاعف بلاءه والرقاد يهرب منه ورسوم الدار تحرقه والوقوف على الطلول يبكيه ولقد تداوت منه العشاق بالقرب والبعد فما نجع فيه دواء ولا هدأ عزاء ولقد أحسن الذى يقول

وقد زعموا أن المحب اذا دنا * يمل وأن النأى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على أن قرب الدار خير من البعد

فكل

فكل قال وأكثر الخطب فى ذلك فقال المنتصر لصالح بن محمد الحريرى يا صالح هل عشقت قط قال اى والله أيها الامير وان بقايا ذلك فى صدرى قال ويلك لمن قال أيها الملك كنت آلف الرصافة فى أيام المعتصم وكانت لقينة أم ولد الرشيد جارية تخرج فى حوائجها وتقوم فى أمرها وتلق الناس منها وكانت قينة تتولى أمر القصر اذ ذاك وكانت تقربنى فأحتشمها وأعاينها ثم راسلتها فطردت رسولى وهددتنى وكنت أقعد على طريقها الا كلما فاذا رأتنى ضحكت وغمزت الجوارى بالعبث بى والهزء ثم فارقتها وفى قلبى منها نار لا تخمد وغليل لا يبرد ووجد يتجدد فقال له المنتصر فهل لك أن احضرها وازوجكها ان كانت حرة واشتريها ان كانت امة فقال والله أيها الامير ان بى الى ذلك أعظم الفاقة وأشد الحاجة قال فدعا المنتصر بأحمد ابن الخصيب وسأله أن يوجه له فى ذلك غلاما من غلمانه منفردا ويكتب معه كتابا موكدا الى ابراهيم بن اسحق وصالح الخادم المتولى لامر الحرم بمدينة السلام فضى الرسول وقد كانت أعتقتها وخرجت من حد الجوارى الى حد النساء البوالغ فحملها الى المنتصر فلما حضرت نظر اليها فاذا عجوز قد حدبت وعنست وبها بقية من الجمال فقال لها تحبين أن أزوجك قالت انا أمتك أيها الامير ومولاتك فافعل ما بدا لك فأحضر صالحا وأملكه بها وأمهرها ثم مزح به فأحضر حوار مرصصا وعركا مخلقا فنثره عليه واقامت مع صالح مدة طويلة ثم ملها ففارقها وقال يعقوب التمار فى ذلك

منح الله ابا الفضل حياة لا تنغص
ولولاه فقديا * لغ فى الحب وأخلص
عاشقا كان على الترك * ويح للعاشق عرص
من هوى من شعرها يخضب بالحنا المعقص
فتراه عند ما يشعل كالبرد المحرص
فهى من املح خلق الله فى التاج المفصص
رزق الصبر عليها * فتأنى وتربص
شيخة هام بها من * وجده شيخ مقرفص
قرضت فى عهد نوح * صاحب الفلك وقرنص
اى حظ نال لولا الشعر والحؤر المرصص
ليته قد جعل الامشر اليها وتخلص
فأبو ابلوذن منها * حين يدنو يتقلص

وذكر ابو عثمان سعيد بن محمد الصغير قال كان المنتصر فى أيام امارته قد وجهنى الى مصر فى بعض أموره للسلطان فعشقت جارية كانت لبعض النخاسين عرضت للبيع محسنة فى الصنعة مقبولة فى الخلقة قائمة على الوزن من المحاسن والكمال فساومت مولاها فابى أن يبيعها الا بالف دينار ولم يكن ثمنها متهيأ معى فأزعجنى السفر وقد علقها قلبى فأخذنى المقيم المقعد من حبها وندمت على ما فاتنى من شرائها فلما قدمت وفرغت مما وجهنى اليه وأديت اليه ما عملت حمد اثرى فيه وسألنى عن حاجتى وخبرى فأخبرته بمكان الجارية وكانى

بها فأعرض عني وبجعل لا يزداد الا محبة وقلبي لا يزداد الا كلفا وصبري لا يزداد الا نقصا وسليت نفسي عنها بغيرها فكأني اغريتها ولم تسل عنها وبجعل المنتصر كلما دخلت اليه وشربت من عنده يذكرها ويهيج شوقي اليها وقصيت اليه بندمائه واهل الانس به وخاص من يحظى من جواريه وامهات اولاده وجدته ام الخليفة أن يشتريها لي وهو لا يجيبني الى ذلك ويعيرني بقلة الصبر وكان قد امر احمد بن الخصيب أن يكتب الى عامل مصر في ابتياعها وحملها اليه من حيث لا اعلم فحملت اليه وصارت عنده فنظر اليها وسمع منها فمذهب فيها ودفعها الى قيمة جواريه فاصلحت من شأنها فلما كان يوما من الايام استجلسني وامرها أن تخرج الى الستارة فلما سمعت غناءها عرفتها وكرهت ان أعلمه أني قد عرفتها حتى ظهر في ما كتمت وغلب على صبري فقال مالك يا سعيد قلت خيرا أيها الامير قال فاقترح عليها صوتا فاقترحت عليها صوتا كنت قد أعلمته أني سمعته منها واني استحسنته من غنائها فغنته فقال أتعرف هذا الصوت قلت اي والله ايها الامير وكنت اطمع في صاحبته فأما الآن فقد أيست منها وكنت كالقاتل نفسه بيده وكالجالب الحتف الى حياته فقال والله يا سعيد ما اشتريتها الا لك ويعلم الله أني ما رأيت لها وجها الا ساعة دخلت عليها وقد استراحت من الم السفر وخرجت من شعوة التبذل فهي لك قد عوت له بما امكنني من الدعاء وشكره عني من حضره من الجلساء وامر بها فهيئت وحملت الى فردت الى حياتي بعد أن اشرفت على الهلكة ولا احد عندي احظى منها * ومن ملاحات احاديث المهين المجان ما ذكره ابو الفضل بن ابي طاهر قال حدثني احمد بن الحرث الخزاز عن ابي الحسن المدائني وابي علي الحرمازي قالا كان بمكة سفيه يجمع بين الرجال والنساء على اخش الريب وكان من أشراف قريش ولم يذكرا اسمه فشكا اهل مكة ذلك الى الوالي فغربه الى عرفات فاتخذها منزلا ودخل الى مكة مستترا فلقي بها حرفاءه من الرجال والنساء فقال وما يمنعكم مني فقالوا واين بك وانت بعرفات فقال حمار بدرهمين وصرتم الى الأمن والنزهة والخلوة واللذة قالوا انشهد انك لصادق فكانوا يأتونه فكثر ذلك حتى أفسد على أهل مكة أحداثهم وحواشيهم فعادوا بالشكية الى أميرهم فأرسل اليه فأتي به فقال أي عدو الله طردتك من حرم الله فصرت الى المشعر الاعظم تفسد فيه وتجمع بين الخبائث فقال أصلح الله الامير انهم يكذبون علي ويحسدونني فقالوا للوالي بيننا وبينه واحدة تجمع حمر المكارين وترسلها الى عرفات فان لم تقصد الى بيته لما تعودت من اتيان السفهاء والفجار فالقول ما قال فقال الوالي ان في هذا لدليلا وأمر بجمع الحمر فجمعت ثم أرسلت فقصدت منزله وأتاه أمناؤه فقال ما بعد هذا شيء جردوه فلما نظر الى السياط قال ولا بد من ضربي قال لا بد يا عدو الله قال اضرب فوالله ما في هذا شيء بأشد من أن يسخر بنا اهل العراق ويقولون اهل مكة يجيزون شهادة الحمير مع تقريعهم لنا بقبول شهادة الواحد مع يمين الطالب قال فضحك الوالي وقال لا اضربك اليوم وامر بتخلية سبيله وترك التعرض له (قال المسعودي) وللمنتصر بالله اخبار حسان وأشعار وملح ومنادمات ومكاتبات ومراسلات قبل الخلافة وقد أتينا على مبسوطها وما استحسناه منها مما لم نورده في هذا الكتاب في كتابنا أخبار الزمان من الامم

الماضية

الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وكذلك في الكتاب الاوسط اذ كان ما ضمنا كل كتاب منها لم نتعرض لذكره في الآخر ولو كان كذلك لم يكن بينها فرق وكان الجميع واحدا وسنورد بعد فراغنا من هذا الكتاب كتابا نضمنه فنونا من الاخبار وغيرها بالآداب وفنون الآثار تاليا لما سلف من كتبنا ومعقبا لما تقدم من تصنيفنا ان شاء الله تعالى

* (ذكر خلافة المستعين بالله) *

وبويع أحمد بن محمد بن المعتصم في اليوم الذي توفي فيه المنتصر وهو يوم الاحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ويكنى بأبي العباس وكانت أمه أم ولد صقلبية يقال لها مخارق وخلع نفسه وسلم الخلافة الى المعتز فكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر وقيل ثلاث سنين وتسعة أشهر وكانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقتل وهو ابن خمس وثلاثين سنة

* (ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه) *

واستوزر المستعين بالله ابا موسى أوتامش وكان المتولي لامر الوزارة والقيم بها كاتبا لاوتامش يقال له شجاع وبعد أن قتل أوتامش وكاتبه صار على وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ولما قتل وصيف وبغا باغر التركي تعصبت الموالي وانحدر وصيف وبغا الى مدينة السلام والمستعين معهما فأنزلاه دار محمد بن عبد الله بن طاهر وذلك في المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين والمستعين لاامر له والامر لبغا ووصيف وكان من حصار بغداد ما ذكرناه في الكتاب الاوسط وفي المستعين بالله يقول بعض الشعراء

خليفة في قفص * بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له * كما يقول الببغا

وقد كان المستعين نفى أحمد بن الخصيب الى اقريطش سنة ثمان وأربعين ومائتين ونفى عبد الله بن يحيى بن خاقان الى برقة واستوزر عيسى بن فرخانشاه وقلد سعيد بن حميد ديوان الرسائل وكان سعيد حافظا لما يستحسن من الاخبار ويستجاد من الاشعار متصرفا في فنون العلم ممتعا اذا حدث مفيدا اذا جولس وله أشعار كثيرة حسان فما يستحسن ويختار من شعره قوله

وكنت أخوفه بالدعاء * وأخشى عليه من المأثم
فلما أقام على ظلمه * تركت الدعاء على الظالم

وقوله

أسيدتي مالي أراك بخيلة * مقيم على الحرمان من يستزيدها
فأصبحت كالدنيا تذم صروفها * وتتبعها ذماً وهن عبيدها

وقوله

الله يعلم والدنيا مولية * والعيش منتقل والدهر ذو دول
للفراق وان هاجت فجيعته * عليك أخوف في قلبي من الاجل
وكنت أفرح بالدنيا ولذتها * واليأس يحكم للاعداء في الامل

وقوله

وما كان حبيها لاول نظرة * ولا عزة من بعد ها فتجلت
ولكنها الدنيا تولت وما الذى * يسلى عن الدنيا اذا ما تولت

وقوله

كأن انحدار الدمع حين تحيله * على خدها الريان در على در

الا أن سعيدا على ما وصفنا عنه من الادب كان يتنصب ويظهر التسنن والتحصيل ويظهر عنه الانحراف عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وعن الطاهرين من ولده وفى ذلك يقول بعض الشعراء

ما رأينا لسعيد بن حميد من شبيه
ماله يؤذى رسول الله فى شتم أخيه
انه الزنديق مستول على دين أبيه

وكان سعيد بن حميد من أبناء المجوس وفيه يقول بعض الشعراء وهو أبو على البصير

رأس من يدعى البلاغة منى * ومن الناس كلهم فى حرامه
وأخونا ولست أعنى سعيد بن حميد تورخ الكتب باسمه

وكان لسعيد بن حميد وأبى على البصير وأبى العيناء معاتبات ومكاتبات ومداعبات وقد أتينا على ذكرها فى الكتاب الاوسط وكان أبو على البصير من أطبع الناس فى زمانه لا يزال يأتى بالبيت النادر والمثل السائر الذى لا يأتى به غيره وكان ابن ميادة بسوء اختياره يرى انه أشعر من جرير ويحسبه مقدما على أهل عصره وهو فوق نظرائه فى وقته ودون البحترى فمن مشهور شعره قوله فى المعلى بن أيوب

لعمر أبيك ما نسب المعلى * الى كرم وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت * وصوح نبتها رعى الهشيم

ومما استحسن له من شعره قوله

اذا ما اغتدت طلابة العلم ما لها * من العلم الا ما يخلد فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم * فمحبرتى سمعى ودفترها قلبى

ومما استحسن من قوله وهو يريد الحج

خرجنا نبتغى مكة حجاجا وعمارا
فلما شارف الحيرة * داعى ابلى حارا
فقلت احطط بها رحلى * ولا تعبأ بمن جارا
قصادفنا بها الهوا * وبستانا وخمارا
وظبيا عاقدا بين الـ * نقا والخصر زنارا
فناظنك بالحلفا * ءان أشعلتها نارا

وظهر فى هذه السنة وهى سنة ثمان وأربعين ومائتين بالكوفة ابو الحسين يحيى بن عمر

ابن يحيى بن الحسين بن عبد الله بن اسمعيل بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب الطيار
وقيل ان ظهوره كان بالكوفة سنة خمسين ومائتين فقتل وحمل رأسه الى بغداد وصلب
فضج الناس من ذلك لما كان فى نفوسهم من المحبة له لانه استفتح أموره بالكف عن الدماء
والتورع عن أخذ شئ من أموال الناس وأظهر العدل والانصاف وكان ظهوره
لذل نزل به وجفوة لحقته ومحنة نالته من المتوكل وغيره من الاتراك ودخل الناس الى محمد
ابن طاهر يهنونه بالفتح ودخل عليهم أبو هاشم الجعفرى وهو داود بن القاسم بن اسحق
ابن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب بينه وبين جعفر الطيار ثلاثة آباء ولم يكن يعرف فى ذلك
الوقت اقعد نسبا فى آل ابى طالب وسائر بنى هاشم وقريش منه وكان ذا زهد وورع ونسك
وعلم صحيح العقل سليم الحواس منتصب القامة وقبره مشهور وقد اتينا على خبره وما روى
عنه من الرواية عن ابيه ومن شاهد من سلفه فى كتاب حدائق الاذهان فى أخبار
النبى صلى الله عليه وسلم فقال لابن طاهر ايها وخرج من داره وهو يقول يا بنى طاهر
البيتين وقد كان المستعين أمر بنصب الرأس فأمر ابن طاهر بانزاله لما رأى من الناس وما هم
عليه وفى ذلك يقول أبو هاشم الجعفرى

يا بنى طاهر كلوه وبيا * ان لحم النبى غير مرى
ان وترا يكون طالبه الله لوتر بالفوت غير حرى

وقد رثى أبو الحسين يحيى بن عمر باشعار كثيرة وقد أتينا على خبر مقتله وما رثى به من الشعر
فى الكتاب الاوسط ومما رثى به ما قاله فيه أحمد بن أبى طاهر الشاعر من قصيدة طويلة

سلام على الاسلام فهو مودع * اذا ما مضى آل النبى فودعوا
فقدنا العلا والمجد عند افتقادهم * واضحت عروس المكرمات تضعضع
اتجمع عين بين نوم ومضجع * ولابن رسول الله فى الترب مضجع
فقد اقفرت دار النبى محمد * من الدين والاسلام فالدار بلقع
وقتل آل المصطفى فى خلالها * وبدد شمل منهم ليس يجمع
الم تر آل المصطفى كيف تصطفى * نفوسهم أم المنون فتتبع
بنى طاهر واللؤم منكم سجية * وللغدر منكم حاسر ومقنع
قواطعكم فى الترك غير قواطع * ولكنها فى آل أحمد تقطع
لكم كل يوم مشرب من دمائهم * وغلتهم من شربها ليس تنقع
رماحكم للطالبيين شرع * وفيكم رماح الترك بالقتل شرع
لكم مرتع فى دار آل محمد * ودارهم للترك والجيش مرتع
اخلتم بان الله يرعى حقوقكم * وحق رسول الله فيكم مضيع
وأضحوا يرجون الشفاعة عنده * وليس لمن يرميه بالوتر يشفع
فيغلب مغلوب ويقتل قاتل * ويخفض مرفوع ويدنى المرفع

قال وكان يحيى دينا كثير التعطف والمعروف على عوام الناس بارا بخواصهم واصلا لاهل
بيته مؤثرا لهم على نفسه مثقل الظهر بالطالبيات يجهد نفسه ببرهن والتحنن عليهن لم تظهر

منزلة ولا عرفت له خزية ولما قتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعاً كثيراً ورثاه القريب والبعيد وحزن عليه الصغير والكبير وجزع لقتله الملي والدني وفي ذلك يقول بعض شعراء عصره ومن جزع على فقده

بكت الخيل شجوها بعد يحيى * وبكاه المهند المصقول
وبكته العراق شرقاً وغرباً * وبكاه الكتاب والتنزيل
والمصلى والبيت والركن والحجر جميعاً لهم عليه عويل
كيف لم تسقط السماء علينا * يوم قالوا أبو الحسين قتيل
وبنات النبي يندبن شجواً * موجعات دموعهن تسيل
ويؤبن للرزية بدوا * فقده مفظع عزيز جليل
قطعت وجهه سيوف الاعادي * بأبي وجهه الوسيم الجميل
وليحيى الفتى بقلبي غليل * كيف يرضى بالجسم ذاك العليل
قتله مذكر لقتل علي * وحسين ويوم أوذي الرسول
فصلاة الاله وقفاً عليهم * ما بكى موجع وحن ثكول

وكان ممن رثاه علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني الشاعر وكان ينزل بالكوفة في حمان فاضيف اليهم فقال

يا بقايا السلف الصا * لح والتجر الربيح
نحن للايام من بين قتيل وجريح
خاب وجه الارض كم غيب من وجه صبيح * آه من يومك ما أو * داه للقلب القريح

وفيه يقول

تضوع مسكاً جانب القبر اذ ثوى * وما كان لولا شلوه يتضوع
مصارع فتيان كرام اعزة * اتيح ليحيى الخير منهن مصرع

وقوله

انى لقومي من أحساب قومكم * بمسجد الخيف في بحبوحة الخيف
ما عاق السيف منا بابن عاشرة * الا وهمته أمضى من السيف

وقد كان علي بن محمد بن جعفر العلوي هذا وهو أخو اسمعيل العلوي لامه لما دخل الحسن بن اسمعيل الكوفة وهو صاحب الجيش الذي لقي يحيى بن عمر قعد عن سلامه ولم يمض اليه ولم يتخلف عن سلامه أحد من آل علي بن أبي طالب الهاشميين وكان علي بن محمد الحماني مفتيهم بالكوفة وشاعرهم ومدرسهم ولسانهم ولم يكن أحد بالكوفة من آل علي بن أبي طالب يتقدمه في ذلك الوقت فتفقده الحسن بن اسمعيل وسأل عنه وبعث بجماعة فاحضروه فانكر الحسن تخلفه فاجابه علي بن محمد بجواب مستقل آيس من الحياة فقال أردت أن آتيك مهنئاً بالفتح وداعياً بالظفر وأنشد شعراً لا يقوم على مثله من يرغب في الحياة

قتلت اعز من ركب المطايا * وجئتك استلينك في الكلام
وعز علي أن القاك الا * وفيما بيننا حد الحسام

ولكن الجناح اذا اهيضت * قوادمه يرف على الاكام

فقال له الحسن بن اسمعيل أنت موتور فلست انكر ما كان منك وخلع عليه وحمله الى منزله قال وكان أبو أحمد الموفق بالله حبس على بن محمد العلوى لامر شنع به عليه من انه يريد الظهور فكتب اليه من الحبس

قد كان جدك عبد الله خير اب * لابنى على حسين الخير والحسن
فالكف يوهن منها كل انملة * ما كان من أختها الاخرى من الوهن

فلما وصل هذا الشعر اليه كفل وخلى الى الكوفة وله أشعار ومراث فى أخيه اسمعيل وغيره من أهله وفى ذم الشيب قد أتينا على كثير من ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان عند ذكر أخبار الطالبين وفى كتاب مزاهر الاخبار وطرائف الآثار فى أخبار النبى صلى الله عليه وسلم * ومما رثى به على بن محمد أيضا أبا الحسن يحيى بن عمر فأجاد فيه وافتخر على غيرهم من قريش قوله

لعمرى لئن سرت قريش بهلكه * لما كان وقافا غداة التوقف
فان مات تلقاء الرماح فانه * لمن معشر يشنون موت الترف
فلا تشمتوا فالقوم من يبق منهم * على سنن منهم مقام المخلف
لهم معكم اما جدعتم انوفكم * مقامات ما بين الصفا والمعرف
تراث لهم من آدم ومحمد * الى الثقلين من وصايا ومصحف

وفيه يقول أيضا فى الشيب

قد كان حين علا الشباب به * يفق السوالف حالك الشعر
وكأنه قمر تمنطق فى * افق السماء بدارة البدر
يا ابن الذى جعلت فضائله * فلك العلا وقلائد السور
من اسرة جعلت مخايلهم * للعالمين مخايل النظر
تهيب الاقدار قدرهم * فكأنهم قدر على قدر
والموت لا تسوى رميته * فلك العلا ومواضع الغرر

ومن مراثيه المستحسنة فى أخيه

هذا ابن أمى عديل الروح فى جسدى * شق الزمان به قلبى الى كبدى
فاليوم لم يبق شئ أستريح به * الا تفتت أعضائى من الكمد
أومقلة بحياء الهم باكية * أوبيت مرثية تبقى على الابد
ترى أنا جيك فيها بالدموع وقد * نام الخلى ولم أهجع ولم أكد
من لى بمثلك يانور الحياة ويا * يمنى يدى التى شلت من العضد
من لى بمثلك أدعوه لحادثة * تشكى اليه ولا أشكو الى أحد
قد ذقت أنواع ثكل كنت ابلغها * على القلوب وأجناها على كبد
قل للردى لا تغادر بعده أحدا * وللمنية من أحببت فاعتمدى
ان الزمان تقضى بعد فرقته * والعيش آذن بالتفريق والنكد

قوله أهيضت عبارة القاموس والصحاح تقتضى انه ثلاثى واسم المفعول منه مهيض لا رباعى كما هنا فليحرر اه مصححه

وكانت وفاة محمد العلوى فى خلافة المعتمد فى سنة ست ومائتين * وفى خلافة المستعين وذلك فى سنة خمسين ومائتين ظهر ببلاد طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن ابن زيد بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد ومازالت فى يده الى أن مات سنة سبعين ومائتين وخلفه أخوه محمد بن زيد فيها الى أن حاربه رافع بن هرثمة ودخل محمد بن زيد الى الديلم فى سنة سبع وسبعين ومائتين فصارت فى يده وبايعه بعد ذلك رافع بن هرثمة وصار فى جملته والانقياد لدعوته والقول بطاعته وكان الحسن بن زيد ومحمد بن زيد يدعوان الى الرضى من آل محمد وكذلك من طرأ بعدهما ببلاد طبرستان وهو الحسن بن على الحسنى المعروف بالاطروش وولده ثم الداعى الحسن بن القاسم الذى قتله التتار بطبرستان وكان الحسن بن القاسم من ولد الحسن بن على بن أبى طالب وقد أتينا على خبر سائر آل أبى طالب بطبرستان ومن ظهر منهم بالمشرق والمغرب وغير ذلك من بقاع الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى كتابنا أخبار الزمان وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا من سائر ما يجب ذكره لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكرهم * وظهر فى هذه السنة وهى سنة خمسين ومائتين بالرى محمد بن جعفر بن الحسن ودعا للحسن بن زيد صاحب طبرستان وكانت له حروب بالرى مع أهل خراسان من المسودة فأسر وحمل الى نيسابور الى محمد بن عبد الله بن طاهر فمات فى مجلسه بنيسابور * وظهر بعده بالرى أحمد بن عيسى بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ودعا الى الرضى من آل محمد وحارب محمد بن طاهر وكان بالرى فانهزم عنها وسار الى مدينة السلام فدخلها العلوى * وفى هذه السنة وهى سنة خمسين ومائتين ظهر بقزوين الكركى وهو الحسن بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وهو من ولد الاوسط وقيل ان اسم الكركى الحسن بن أحمد بن محمد بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فحاربه موسى وبغا وصار الكركى الى الديلم ثم وقع الى الحسن بن زيد الحسنى فهلك قبله * وظهر بالكوفة الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فسرح اليه محمد بن عبد الله بن طاهر من بغداد جيشا عليه ابن خاقان فانكشف الطالبى واختفى لترك أصحابه له وتخلفهم عنه وكان ذلك فى سنة احدى وخمسين ومائتين وفى سنة تسع وأربعين ومائتين عقد المستعين لابنه العباس على مكة والمدينة والبصرة والكوفة وعزم على البيعة له فأخرها لصغر سنه وكان عيسى بن فرخانشاه قال لابى البصير الشاعر أن يقول فى ذلك شعرا يشير فيه بالبيعة له فقال فى ذلك قصيدة طويلة يقول فيها

بك الله حاط الدين وانتاش أهله * من الموقف الدحض الذى مثله يردى
فول ابنك العباس عهدك انه * له موضع واكتب الى الناس بالعهد
فان خلفته السن فالعقل بالغ * به رتبة الشيخ الموفق للرشد
فقد كان يحيى أوتى العلم قبله * صبيا وعيسى كلم الناس فى المهد

وقال أبو العباس المكى كنت انادم محمد بن طاهر بالرى قبل مواقعته الطالبيين فا

قوله وهو من ولد الاوسط هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها وهو من ولد الاوسط ولم يظهر لى المراد منهما بعد التأمل والتحرى فلينأمل اه مصححه

ورأيته في وقت من الاوقات أشد سرورا منه ولا أكثر نشاطا قبل ظهور العلوي بالري وذلك في سنة خمسين ومائتين ولقد كنت عنده ليلة أتحدث وانظر وافد والستر مسبل اذ قال كأني أشتهي الطعام فما آكل قلت صدر دراج أو قطعة من جدي باردة قال يا غلام هات رغيفا وخلا وملحا فأكل من ذلك فلما كان في الليلة الثانية قال يا أبا العباس كأني جائع فما ترى أن آكل قلت ما أكلت البارحة فقال أنت لا تعرف فرق ما بين الكلامين قلت البارحة كأني أشتهي الطعام وقلت الليلة كأني جائع وبينهما فرق فدعا بالطعام ثم قال لي صف لي الطعام والشراب والطيب والنساء والخيل قلت أيكون ذلك منثورا أو منظوما قال لا بل منثورا قلت أطيب الطعام مالقي الجوع بطعم وافق شهوة قال فما أطيب الشراب قلت كأس مدام تبرد بها غليلك وتعاطي بها خليلك قال فأي السماع أفضل قلت أوتار أربعة وجارية مترعة غناؤها عجيب وصوتها مصيب قال فأي الطيب أطيب قلت ريح حبيب تحبه وقرب ولد تربه قال فأي النساء أشهى قلت من تخرج من عندها كارها وترجع اليها والها قال فأي الخيل أفره قلت الاشدق الاعين الذي اذا طلب سبق واذا طلب لحق قال أحسنت يا بشر أعطه مائة دينار قلت وأين تقع مني مائتا دينار قال أوقد زدت نفسك مائة دينار يا غلام أعطه المائة كما ذكرنا والمائة الاخرى لحسن ظنه بنا فانصرفت بمائتي دينار فما كان بين هذا الحديث وبين تنحيه من الري الا جمعة * وكان المستعين حسن المعرفة بأيام الناس وأخبارهم لهجا بأخبار الماضين (وحدث) محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني أبو البيضاء مولى جعفر الطيار وكان طيب الحديث قال وفدنا في أيام المستعين من المدينة الى سامرا وفينا جماعة من آل أبي طالب وغيرهم من الانصار فاقنا ببابه نحوا من شهر ثم وصلنا اليه فكل تكلم وعبر عن نفسه فقرب وآنس وابتدأ بذكر المدينة ومكة وأخبارهما وكنت اعرف الجماعة بما شرع فيه فقلت اياذن أمير المؤمنين في الكلام قال ذلك اليك فشرعت معه فيما قصد اليه وتسلسل بنا الكلام الى فنون من العلم في أخبار الناس ثم انصرفنا واقيم لنا الانزال والافضال فلما كان في أول الليل أتانا خادم ومعه عدة من الاتراك فرسان فحملت على جنيبة كانت معهم وأتى بي الى المستعين فاذا هو جالس في الجوسق فقربني وأدناني ثم أخذ بعد آن أنسني في أخبار العرب وأيامها وأهل التتيم فانتهى بنا الكلام الى أخبار العذريين والمتيمين فقال ما عندك من أخبار عروة بن حزام وما كان منه مع عفراء فقلت يا أمير المؤمنين ان عروة بن حزام لما انصرف من عند عفراء بنت عقال توفي وجدا بها وصبابة اليها فمر به ركب فعرفوه فلما انتهوا الى منزل عفراء صاح صائح منهم

الا أيها القصر المغفل أهله * نعينا اليكم عروة بن حزام

ففهمت صوته وأشرفت عليه وقالت

الا أيها الركب المجدون ويحكم * بحق نعيتم عروة بن حزام

فأجابها رجل من القوم فقال

نعم قد تركناه بأرض بعيدة * مقيما بها في سبسب وآكام

فقالت لهم

قان كان حقا ما تقولون فاعلموا * بان قد نصبتم يد كل ظلام
فلا لقي الفتيان بعدك لذة * ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت أنثى شريفا كمثله * ولا فرحت من بعده بغلام
ولا لا بلغتم حيث وجهتم له * ونغصتم لذات كل طعام

ثم سألتهم أين دفنوه فأخبروها فصارت الى قبره فلما قاربته قالت أنزلوني فاني أريد قضاء حاجة فأنزلوها فانسلت الى قبره فأكبت عليه فما راعهم الا صوتها فلما سمعوه بادروا اليها فاذا هي ممتدة على القبر قد خرجت نفسها فدفنوها الى جانب قبره قال فقال لي فهل عندك من خبره غير ما ذكرت قلت نعم يا أمير المؤمنين هذا ما أخبرنا به مالك بن الصباح العدوي عن الهيثم بن عدي بن عروة عن أبيه قال بعثني عثمان بن عفان مصدقا في بني عذرة في بلاد حي منهم يقال لهم بنو منبذة فاذا بيت جديد مخاش عن الحي فملت اليه فاذا بشاب قائم في ظل البيت واذا عجوز جالسة في كسر البيت فلما رآني ترنم بصوت ضعيف يقول

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفياني
فقالا نعم نشفي من الداء كله * وقاما مع العواد يبتدران
فما تركا لي رقية يعرفانها * ولا شربة الا بها سقياني
وقالا شفاك الله والله ما لنا * بما حملت منك الضلوع يدان
فلهفي على عفراء لهفا كأنه * على النحر والاحشاء حد سنان
فعفراء أحظى الناس عندي مودة * وعفراء عني المعرض المتداني
واني لاهوى الحشر اذ قيل انني * وعفراء يوم الحشر تلتقيان
الا لعن الله الوشاة وقولهم * فلانة أضحت خلة لفلان

ثم شهق شهقة خفيفة فنظرت في وجهه فاذا هو قد مات فقلت أيتها العجوز ما أظن هذا النائم بفناء بيتك الا قد مات قالت وأنا والله أظن ذلك فنظرت في وجهه وقالت فاض ورب الكعبة فقلت من هذا فقالت عروة بن حزام العذري وأنا أمه والله ما سمعت له أنة من سنة الا في صدر يومي هذا فاني سمعته يقول

من كان من أمهات باكيا أبدا * فاليوم اني أراني فيه مقبوضا
تسمعنيه فاني غير سامعه * اذا علوت رقاب القوم معروضا

قال فأقمت حتى شهدت غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه قال فقال عثمان وما دعاك الى ذلك قلت اكتساب الاجر فيه والله قال فوصل الجماعة وفضلني عليهم في الجائزة (قال المسعودي) ولمن سلف من المتيمين أخبار عجيبة وأشعار حسان فمن ذلك ما حدثنا به أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي القاضي قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال أخبرني أبو الهياج بن سابق النجدي ثم الثقفي قال خرجت الى أرض بني عامر لا لشيء الا للقاء المجنون فاذا أبوه شيخ كبير واذا اخوته رجال واذا نعم ظاهرة وخير كثير فسألتهم عن المجنون فاستعبروا وقال الشيخ كان والله آثر هؤلاء عندي فهوى امرأة من قومه والله ما كانت تطمع في مثله فلما عرف أمره وأمرها كره أبوها أن يزوجها منه فزوجها من رجل آخر فقيدناه

فكان يعض شفتيه ولسانه حتى خشينا أن يقطعهما فلما رأينا ذلك خلينا سبيله فترى في هذه الفيافي يذهب اليه في كل يوم بطعامه فيوضع له بحيث يراه فاذا غاب عنه جاء فأكل واذا اخلقت ثيابه جاؤه بثياب فوضعت بحيث يراها فسألتهم أن يدلوني عليه فدلوني على فتى من الحي وقالوا انه لم يزل صديقاله وليس يأنس باحد سواه فسألته أن يدلني عليه فقال ان كنت تريد شعره فكل شعره عندي الى امس وأنا ذاهب اليه غدا فان كان قد ذكر شيأ اتيتك به قلت اريد أن تدلني عليه قال ان رآك نفر منك وأخاف أن يذهب منى فيما بعد فيذهب شعره فأبيت الا أن يدلني فقال اطلبه في هذه الصحراء فاذا رأيته فادن منه مستانسا فانه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشئ في يده فاجلس كانك لا تنظر اليه والحظه فاذا رأيته قد سكن فاجهد أن تروى لقيس بن الذريح شيأ فانه معجب به قال فخرجت اليه يومي فوجدته بعد العصر جالسا على تل يخط باصبعه خطوطا فدنوت منه غير منقبض فنفر والله كما ينفر الوحش من الانسان والى جانبه أحجار فتناول منها واحدا فأقبلت حتى جلست قريبا منه فمكثت ساعة وهو كانه نافر فلما طال جلوسى سكن وأقبل يعبث باصبعه فنظرت اليه وقلت أحسن والله قيس بن الذريح حيث يقول

وانى لمفن دمع عينى بالبكا * حذارا لما قد كان أو هو كائن
وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى * بكفى الا أن ماحان حائن

قال فبكى والله حتى سالت دموعه ثم قال أنا والله أشعر منه حيث أقول

أبى القلب الا حبها عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمر
تكاد يدى تندى اذا ما لمستها * وينبت فى اطرافها الورق الخضر
عجبت لسعى الدهر بينى وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فيا حبها زدنى جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر

قال ثم نهض فانصرفت ثم عدت من الغد فاصبته ففعلت فعلى بالامس وفعل مثل فعله فلما أنس قلت أحسن والله قيس بن الذريح حيث يقول قال ماذا قلت

هبونى امرأ ان تحسنوا فهو شاكر * لذاك وان لم تحسنوا فهو صافح
فان يك قوم قد أشاروا بهجرنا * فان الذى بينى وبينك صالح

قال فبكى وقال أنا والله اشعر منه حيث اقول

وأدنيتنى حتى اذا ما سبيتنى * بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عنى حيث مالى حيلة * وخلفت ما خلفت بين الجوانح

ثم ظهرت لنا ظبية فوثب فى اثرها فانصرفت ثم عدت فى اليوم الثالث فلم اصادفه فرجعت فاخبرتهم فوجهوا الذى كان يذهب بطعامه فرجع وأخبرهم أن الطعام على حاله ثم غدوت مع اخوته فطلبناه يومنا وليلتنا فلما اصبحنا اصبناه فى واد كثير الحجارة واذا هو ميت فاحتمله اخوته ورجعت الى بلدى (قال) وفى سنة ثمان وأربعين ومائتين كانت وفاة بغا الكبير التركى وقد نيف على التسعين سنة وقد كان باشر من الحروب مالم يباشره أحد فما أصابته جراحة

قط وتقلد ابنه موسى بن بغا ما كان يتقلده وضم اليه أصحابه وجعلت له قيادته وكان بغا ديلميا بين الاتراك وكان من غلمان المعتصم يشهد الحروب العظام ويباشرها بنفسه فيخرج منها سالما ويقول الاجل جوشن ولم يكن يلبس على بدنه شيأ من الحديد فعذل في ذلك فقال رأيت في نومي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من أصحابه فقال لي يا بغا أحسنت الى رجل من امتي فدعا لك بدعوات استجيبت له فيك قال فقلت يا رسول الله ومن ذلك الرجل قال الذي خلصته من السباع فقلت يا رسول الله سل ربك أن يطيل عمري فرفع يديه نحو السماء وقال اللهم أطل عمره وانسئ اجله فقلت يا رسول الله خمس وتسعون سنة فقال رجل كان بين يديه ووقي من الآفات فقلت للرجل من أنت قال انا علي بن أبي طالب فانتبهت من نومي وانا أقول علي بن أبي طالب وكان بغا كثير التعطف والبر للطالبيين فقيل له من كان ذلك الرجل الذي خلصته من السباع قال كان أتي المعتصم برجل قد رمي ببدعة فجرت بينهم في الليل مخاطبة في خلوة فقال لي المعتصم خذه فألقه الى السباع فاتيت بالرجل الى السباع لالقيه اليها وأنا مغتاظ عليه فسمعته يقول اللهم انك تعلم ما تكلمت الا فيك ولم أرد بذلك غيرك وتقربا اليك بطاعتك واقامة الحق على من خالفك أفتسلمني قال فارتعدت ودخلتني له رقة وملئ قلبي له رعبا فجذبته عن طرف بركة السباع وقد كدت أن أزج به فيها وأتيت به حجرتي فاخفيته فيها وأتيت المعتصم فقال هيه قلت ألقيته قال فما سمعته يقول قلت انا عجمي وهو يتكلم بكلام عربي ما ادري ما يقول وقد كان الرجل اغلظ فلما كان في السحر قلت للرجل قد فتحت الابواب وأنا مخرجك مع رجال الحرس وقد آثرتك على نفسي ووقيتك بروحي فاجهد أن لا تظهر في أيام المعتصم قال نعم قلت فما خبرك قال هجم رجل من عماله في بلدنا على ارتكاب المكاره والفجور واماتة الحق ونصر الباطل فسرى ذلك الى فساد الشريعة وهدم التوحيد فلم أجد عليه ناصرا فوثبت عليه في ليلة فقتلته لان جرمه كان يستحق به في الشريعة أن يفعل به ذلك (قال المسعودي) ولما انحدر المستعين ووصيف وبغا الى مدينة السلام اضطربت الاتراك والفراعنة وغيرهم من الموالي بسامرا وأجمعوا على بعث جماعة اليه يسألونه الرجوع الى دار ملكه فصار اليه عدة من وجوه الموالي ومعهم البرد والقضيب وبعض الخزائن وماتنا ألف دينار ويسألونه الرجوع الى دار ملكه واعترفوا بذنوبهم واقروا بخطئهم وضمنوا أن لا يعودوا ولا غيرهم من نظرائهم الى شئ من ذلك مما انكره عليهم وتذللوا وخضعوا فاجيبوا بما يكرهون وانصرفوا الى سر من رأى فاعلموا أصحابهم وأخبروهم بما نالهم واياسهم من رجوع الخليفة وقد كان المستعين اعتقل المعتز والمؤيد حين انحدر الى بغداد ولم يأخذهما معه وقد كان حذر من محمد بن الواثق حين انحداره فأخذه معه ثم انه هرب منه مع رجال الحرب فاجمع الموالي على اخراج المعتز والمبايعة له والانقياد الى خلافته ومحاربة المستعين وناصريه ببغداد فأنزلوه من الموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق وكان معتقلا فيه مع أخيه المؤيد فبايعوه وذلك يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين وركب من غد ذلك اليوم الى دار العامة فأخذ البيعة على الناس وخلع

على

على أخيه المؤيد وعقد له عقدين اسود وأبيض فكان الاسود لولاية العهد بعده والابيض لولاية الحرمين وتقلدهما وانبثت الكتب فى سامرا بخلافة المعتز بالله من سائر الامصار وأرخت باسم جعفر بن محمد الكاتب واحدر أخاه أبا أحمد مع عدة من الموالى لحرب المستعين الى بغداد فنزل عليها فكان أول حرب جرت بينهم ببغداد بين أصحاب المعتز والمستعين وهرب محمد بن الواثق الى المعتز بالله ولم تزل الحرب بينهم وبين أهل بغداد للنصف من صفر من هذه السنة فلما تشبث الحرب بينهم كانت امور المعتز تقوى وحالة المستعين تضعف والفتنة عامة فلما رأى محمد بن عبد الله بن طاهر ذلك كاتب المعتز وجنح اليه ومال الى الصلح على خلع المستعين وقد كانت العامة ببغداد حين علمت ما قد عزم عليه من خلع المستعين ثارت منكرة لذلك متحيزة الى المستعين ناصرة له فأظهر محمد بن عبد الله المستعين على اعلى قصره نفاطيته العامة وعليه البردة فانكر ما بلغهم من خلعه وشكر محمد بن عبد الله ابن طاهر ثم التقى محمد بن عبد الله بن طاهر وأبو أحمد الموفق بالشماسية فاتفقا على خلع المستعين على أن له الامان ولاهله وولده وما حوته ايديهم من أملاكهم وعلى أنه ينزل مكة هو ومن شاء من أهله وأن يقيم بواسط العراق الى وقت مسيره الى مكة فكتب له المعتز على نفسه شروطا أنه متى نقض شيأ من ذلك فالله ورسوله منه براء والناس فى حل من بيعته وعهودا يطول ذكرها وقد خذل المعتز بعد ذلك لخالفتها حين عالج فى نقضها لخلع المستعين نفسه من الخلافة وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين فكان له مذوا فى مدينة السلام الى أن خلع سنة كاملة وكانت خلافته منذ تقلد الامر على ما بيناه آنفا الى أن زال عنه ثلاث سنين وثمانية اشهر وثمانية وعشرين يوما على ما ذكرناه من الخلاف وأحدر الى دار الحسن بن وهب ببغداد وجمع بينه وبين أهله وولده ثم أحدر الى واسط وقد وكل به أحمد بن طولون التركى وذلك قبل ولايته مصر وعلم عجز محمد بن عبد الله بن طاهر عن قيامه بامر المستعين حين استجار به وخذلانه اياه وميله الى المعتز بالله وفى ذلك يقول بعض شعراء العصر من أهل بغداد

اطافت بنا الاتراك حولا محرما * وما برحت فى جرها ام عامر
اقامت على ذل بها ومهانة * فلما بدت ابدت لنا لؤم غادر
ولم ترع حق المستعين فاصبحت * تعين عليه حادثات المقادر
لقد جمعت لؤما وخبثا وذلة * وابقت لها عارا على آل طاهر

ولما كان من الامر ما قدمنا من خلع المستعين انصرف أبو أحمد الموفق من بغداد الى سامرا فخلع عليه المعتز وتوج ووشح بوشاحين وخلع على من كان معه من قواده وقدم على المعتز عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن عبد الله بالبرد والقضيب والسيف وبجوهر الخلافة ومعه شاهك الخادم وكتب محمد بن عبد الله الى المعتز فى شاهك ان من أمانة تراث رسول الله صلى الله عليه وسلم لجدير أن لا تخفر ذمته وخلع المستعين وعلى وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ولما كان فى شهر رمضان من هذه السنة وهى سنة اثنتين وخمسين ومائتين بعث المعتز بالله سعيد بن صالح الحاجب ليلقى المستعين وقد كان فى جملة من حمله من واسط

فلقيه سعيد وقد قرب من سامرا فقتله واحتز رأسه وحمله الى المعتز بالله وترك جثته ملقاة على الطريق حتى تولى دفنها جماعة من العامة * وكانت وفاة المستعين بالله يوم الاربعاء لست خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وثلاثين سنة على ماقدمنا فى صدر هذا الباب * وذكر شاهك الخادم قال كنت عديلا للمستعين عند اشخاص المعتز له الى سامرا ونحن فى عمارية فلما وصل الى القاطول تلقاه جيش كثير فقال يا شاهك انظر من رئيس القوم فان كان سعيد الحاجب فقد هلكت فلما عاينته قلت هو والله سعيد فقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسى وجعل يبكى فلما قرب سعيد منه جعل يقنعه بالسوط ثم اضجعه وقعد على صدره واحتز رأسه وحمله على ماذكرنا واستقامت الامور للمعتز واجتمعت الكلمة عليه * وللمستعين أخبار غير ماذكرناه فى هذا الكتاب وأوردناه فى هذا الباب قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما ذكرنا ما اوردنا فى هذا الكتاب لئلا يتوهم أنا اغفلنا ذكرها او عزب عنا فهمها فانا بحمد الله لم نترك شيأ من أخبار الناس وسيرهم وماجرى فى أيامهم الا وقد ذكرناه وأوردنا فى كتبنا حسنه وفوق كل ذى علم عليم والله الموفق للصواب

(ذكر خلافة المعتز بالله)

بويع المعتز بالله وهو الزبير بن جعفر المتوكل وأمه أم ولد يقال لها قبيحة ويكنى أبا عبد الله وله يومئذ ثمانى عشرة سنة بعد خلع المستعين لنفسه وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم وقيل لثلاث خلون منه سنة اثنتين وخمسين ومائتين على ماقدمنا وبايعه القواد والموالى والشاكرية وأهل بغداد وخطب له فى المسجد الجامع ببغداد فى الجانبين ثم خلع المعتز نفسه يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ومات بعد أن خلع نفسه بستة أيام فكانت خلافته أربع سنين وستة اشهر ودفن بسامرا فجملة أيامه منذ بويع بسامرا قبل خلع المستعين الى اليوم الذى خلع فيه أربع سنين وستة اشهر وأياما ومنذ بويع له بمدينة السلام ثلاث سنين وسبعة اشهر وتوفى وله أربع وعشرون سنة

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

ولما خلع المستعين بالله واحدر الى واسط بعد أن اشهد على نفسه انه قد برئ من الخلافه وانه لايصلح لها لما رأى من الخلاف الواقع وانه قد جعل الناس فى حل من بيعته قالت فى ذلك الشعراء فاكثرت ووصفته فى شعرها فاغرقت فقال فى ذلك البحترى من قصيدة طويلة

الى واسط خلب الدجاج ولم يكن * لينبت فى لحم الدجاج مخالب

وفى ذلك يقول الشاعر المعروف بالكنانى من قصيدة

انى أراك من الفراق جزوعا * امسى الامام مسيرا مخلوعا

وغدا الخليفة أحمد بن محمد * بعد الخلافة والبهاء خليعا

كانت به الايام تضحك زهرة * وهو الربيع لمن أراد ربيعا

فأزاله المقدور من رتب العلا * فثوى بواسط لا يحس رجوعا

وكان بين خلع المستعين وقتله تسعة أشهر ويوم * ومات في خلافة المستعين جماعة من أهل العلم والمحدثين منهم أبو هاشم محمد بن زيد الرفاعي وأيوب بن محمد الوراق وأبو بكر محمد بن العلاء الهمداني بالكوفة وأحمد بن صالح المصري وأبو الوليد السري الدمشقي وعيسى ابن حماد زغبة المصري بمصر ويكنى أبا موسى وأبو جعفر بن سوار الكوفي وذلك في سنة ثمان وأربعين ومائتين * وفي خلافة المستعين وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين كانت وفاة الحسن بن صالح البزار وكان من علية أصحاب الحديث وهشام بن خالد الدمشقي ومحمد بن سليمان الجهني بالمصيصة والحسن بن محمد بن طالوت وأبو جعفر الصيرفي بسامرا ومحمد بن زنبور المكي بمكة وسليمان بن أبي طيبة وموسى بن عبد الرحمن البرقي * وفي خلافة المستعين وذلك في سنة خمسين ومائتين مات ابراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة ومحمود ابن خداش وأبو مسلم أحمد بن شعيب الحراني والحرث بن مسكين المصري وأبو طاهر أحمد ابن عمرو بن السرح وغير هؤلاء ممن أعرضنا عن ذكره من شيوخ المحدثين ونقلة الآثار ممن قد أتينا على ذكرهم من أول زمن الصحابة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في سنة ست من كتابنا المترجم بالاوسط وانما نذكر لمعا من وفاة من ذكرنا لئلا يخلي هذا الكتاب من نبذ مما يحتاج الى ذكره على قدر الطالب له * وقد كان المستعين في سنة ثمان وأربعين ومائتين أخرج من خزانة الخلافة فص ياقوت احمر يعرف بالحلي وكانت الملوك تصونه وكان الرشيد اشتراه بأربعين ألف دينار ونقش عليه اسمه أحمد ووضع ذلك الفص في اصبعه فتحدث الناس بذلك وقد ذكر أن ذلك الفص قد تداولته الملوك من الاكاسرة وقد نقش في قديم الزمان وذكر انه لم ينقشه ملك الا مات قتيلا وكان الملك اذا مات وجلس تاليه في الملك حك النقش فتداولته في اللبس الملوك وهو غير منقوش فيقع النادر من الملوك فينقشه وكان ياقوتا أحمر يضيء بالليل كضياء المصباح اذا وضع في بيت لا مصباح فيه اشرق ويرى فيه بالليل تماثيل تلوح وله خبر طويل ظريف قد ذكرناه في كتابنا أخبار الزمان في ذكر خواتم ملوك الفرس وقد كان هذا الفص ظهر في أيام المقتدر ثم خفي أثره بعد ذلك وقد كان جماعة من الشعراء قالوا في المعتز حين استتم له الامر واستقامت له الخلافة وخلعها المستعين اقوالا كثيرة فمن ذلك قول مروان بن أبي الجنوب من قصيدة طويلة

ان الامور الى المعتز قد رجعت * والمستعين الى حالاته رجعا

قد كان يعلم أن الملك ليس له * وأنه لك لكن نفسه خدعا

وفي ذلك يقول رجل من أهل سامرا وقد قيل انه البحتري

لله در عصابة تركية * ردوا نوائب دهرهم بالسيف

قتلوا الخليفة أحمد بن محمد * وكسوا جميع الناس ثوب الخوف

وطغوا فاصبح ملكنا متقسما * واما منا فيه شبيه الضيف

وفي المعتز ورجوع الامر اليه واتفاق الكلمة عليه يقول أبو علي البصير

آب أمر الاسلام خير مآب * وغدا الملك ثابتا في نصابه

مستقرا قراره مطمئنا * آدلا بعد نأيه واغترابه
فاحمد الله وحده والتمس بالـ * عفو عن عفا جزيل ثوابه

وكان على وزارة المعتز جعفر بن محمد ثم استوزر جماعة فكانت الكتب تخرج باسم صالح بن وصيف كأنه مرسوم بالوزارة وكانت وفاة أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر ابن محمد في خلافة المعتز بالله وذلك في يوم الاثنين لاربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن اثنتين وأربعين وقيل أكثر من ذلك وسمع في جنازته جارية تقول ماذا لقينا في يوم الاثنين قديما وحديثا وصلى عليه أحمد بن المتوكل على الله في شارع أبي أحمد في داره بسامرا ودفن هناك حدثنا أبو الازهر قال حدثني القاسم ابن عباد قال حدثني يحيى بن هرثمة قال وجهني المتوكل الى المدينة لاشخاص علي بن محمد ابن علي بن موسى بن جعفر لشيء بلغه عنه فلما صرت اليه ضج أهلها وعجوا ضجيجا وعجيجا ما سمعت مثله فجعلت اسكنهم واحلف لهم اني لم أومر فيه بمكروه وفتشت بيته فلم أجد فيه الا مصحفا ودعاء وما اشبه ذلك فاشخصته وتوليت خدمته وأحسنت عشرته فبينا أنا نائم يوما من الايام والسماء صاحية والشمس طالعة اذ ركب وعليه ممطر وقد عقب ذنب دابته فعجبت من فعله فلم يكن بعد ذلك الا هنيهة حتى جاءت سحابة فأرخت عزاليها ونالنا من المطر أمر عظيم جدا فالتفت الي وقال أنا أعلم انك انكرت ما رأيت وتوهمت اني علمت من الامر ما لا تعلمه وليس ذلك كما ظننت ولكن نشأت بالبادية فأنا اعرف الرياح التي يكون في عقبها المطر فلما اصبحت هبت ريح لا تخلف وشممت منها رائحة المطر فتأهبت لذلك فلما قدمت مدينة السلام بدأت باسحق بن ابراهيم الطاهري وكان على بغداد فقال يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتوكل من تعلم وان حرضته على قتله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك فقلت والله ما وقفت له الا على كل أمر جميل فصرت الى سامرا فبدأت بوصيف التركي وكنت من أصحابه فقال والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون المطالب بها غيري فعجبت من قولهما وعرفت المتوكل ما وقفت عليه وما سمعته من الثناء عليه فأحسن جائزته وأظهر بره وتكرمته وحدثني محمد بن الفرج بمدينة جرجان في المحلة المعروفة بسراي غسان قال حدثني أبو دعامة قال أتيت علي بن محمد بن علي بن موسى عائدا في علته التي كانت وفاته منها في هذه السنة فلما هممت بالانصراف قال لي يا أبا دعامة قد وجب حقك افلا احدثك بحديث تسر به قال فقلت له ما احوجني الى ذلك يا ابن رسول الله قال حدثني أبي محمد بن علي قال حدثني أبي علي بن موسى قال حدثني ابي موسى بن جعفر قال حدثني أبي جعفر بن محمد قال حدثني أبي محمد بن علي قال حدثني أبي علي بن الحسين قال حدثني أبي الحسين بن علي قال حدثني أبي علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب قال قلت وما اكتب قال لي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم الايمان ما وقرته القلوب وصدقته الاعمال والاسلام ما جرى به اللسان وحلت به المناكحة قال أبو دعامة فقلت يا ابن رسول الله ما أدري والله أيهما أحسن الحديث أم الاسناد فقال انها لصحيفة

بخط على بن أبي طالب باملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم تتوارثها صاغرا عن كابر
(قال المسعودى) وقد ذكرنا خبر على بن محمد بن موسى رضى الله عنه مع زينب الكذابة
بحضرة المتوكل ونزوله الى بركة السباع وتذللها له ورجوع زينب عما ادعته من انها ابنة
الحسين بن على بن أبي طالب عليه السلام وأن الله تعالى اطال عمرها الى ذلك الوقت فى كتابنا
أخبار الزمان وقيل انه مات مسموما عليه السلام (قال المسعودى) وفى سنة ثلاث
وخمسين ومائتين وذلك فى خلافة المعتز مات محمد بن عبد الله بن طاهر للنصف من ذى القعدة
بعد قتل وصيف بثلاثة عشر يوما والقمر مكسوف وكان من الجود والكرم وغزارة الادب
وكثرة الحفظ وحسن الاشارة وفصاحة اللسان وملوكية المجالسة على مالم يكن عليه احد من
نظرائه وفيه يقول الحسن بن على بن طاهر من قصيدة له

كسف البدر والامير جميعا * فانجلى البدر والامير عميد
عاود البدر نوره تجليه * ونور الامير ليس يعود
يا كسوفين فى ليلة الاحد النحس احلتكما هناك السعود
واحد كان حده مثل حد السيف * والنار شب فيها الوقود

(وذكر) أبو العباس المبرد قال ارتاح محمد بن عبد الله بن طاهر يوما للمنادمة وقد حضره
ابن طالوت وكان وزيره واخص الناس به واحضرهم لخلواته فأقبل عليه وقال لابد لنا اليوم
من ثالث تطيب لنا به المعاشرة وتلذ بنا دمته المؤانسة نحن ترى أن يكون واعفنا أن يكون
شرير الاخلاق أودنس الاعراق أوظاهر الاملاق قال فأعملت الفكر وقلت أيها الامير
خطر ببالى رجل ليس علينا من مجالسته من مؤنة وقد برئ من ابرام المجالس وخلا من ثقل
المؤانس خفيف الوطأة اذا احببت سريع الوثبة اذا أردته قال ومن ذلك قلت مانى
الموسوس قال أحسنت والله فليتقدم الى أصحاب الثمانية والعشرين الرابع فى طلبه يرفعه
رفعة فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب الكرخ فصار به الى باب الامير فأخذ وحذف
ونظف وأدخل الحمام وألبس ثيابا نظافا وأدخل عليه فقال السلام عليك أيها الامير فقال
محمد وعليك السلام يا مانى أما آن لك أن تزورنا على حين توقان منا اليك ومنازعة قلوب
منا نحولك فقال مانى الشوق شديد والحب عتيد والمزار بعيد والحجاب صعب والبواب فظ
ولو سهل لنا فى الاذن اسهلت علينا الزيارة فقال الطف فى الاستئذان فليلطف لك
فى الاذن لايمنع مانى أى وقت ورد من ليل أو نهار ثم اذن له فى الجلوس فجلس ودعا بالطعام
فأكل ثم غسل يديه وأخذ مجلسه وكان محمد قد تشوق الى الاسماع من مؤنسة جارية
بنت المهدى فأحضرت فكان أول ماغنت به

ولست بناس اذ غدوا فتحملوا * دموعى على الاحباب من شدة الوجد
وقولى وقد زالت بليل حمولهم * بواكر نجد لا يكن آخر العهد

فقال مانى أحسنت وبحق الامير الا مازدت فيه

وقت أناجى الفكر والدمع حائر * بمقلة موقوف على الضر والجهد
ولم يعدنى هذا الامير بعزة * على ظالم قد لج فى الهجر والصد

فاندفعت تغنيه فقال له محمد أعاشق أنت يا مانى فاستحيى وغمزه ابن طالوت أن لا يبوح له بشئ فيسقط من عينيه فقال بلغ طرب وشوق كان كامنا فظهر وهل بعد الشيب صبوة ثم اقترح محمد على مؤنسة هذا الصوت

حجبوها عن الرياح لانى * قلت يا ريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن * منعوها عن الرياح الكلاما

فغنته فطرب محمد ودعا برطل فشرب فقال مانى ما على قائل هذا الشعر لو زاد فيه

فتنفست ثم قلت لطيفى * آه ان زرت طيفها الماما
خصه بالسلام منى فأخشى * يمنعوها الشذو فى أن تناما

لكان أثقب لزند الصبابة بين الاحشاء وأشد تغلغلا الى الكبد الصديا من زلال الماء مع حسن تأليف نظمه والانتهاء بالمعنى الى نهاية تمامه فقال محمد أحسنت يا مانى ثم أمر مؤنسة بالحاقهما بالبيتين الاولين والغناء بهما ففعلت ثم غنت بهذين البيتين

يا خليلى ساعة لا تريما * وعلى ذى صبابة فأقيما
ما مررنا بدار زينب الا * هتك الدمع سرنا المكتوما

فاستحسنه محمد فقال مانى لولا رهبة التعدى لاضفت الى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع ذى لب فيصدران الا عن استحسان لهما فقال محمد يا مانى الرغبة فى حسن ما تاتى به حائلة دون كل رهبة فهات ما عندك فقال

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخـ * ـر بطرف لغادرته هشيما
واذا ما تبسمت خلت ايما * ض بروق او لؤلؤا منظوما

فقال أحسنت يا مانى فأجز هذا الشعر

لم تطب اللذات الا بمن * طابت بها اللذات مانوسه
غنت بصوت اطلقت عبرة * كانت بسجن الصبر محبوسه

فقال مانى

وكيف صبر النفس عن غادة * اظلمها ان قلت طاووسه
وجرت ان سميتها بانة * فى جنة الفردوس مغروسه
وغير عدل ان عدلنا بها * جوهرة فى البحر مغموسه

ثم سكت فقال محمد ما عدا فى وصفه لها فقال مانى

جلت عن الوصف فما فكرة * تلحقها بالنعت محسوسه

فقال محمد أحسنت فقالت مؤنسة وجب شكرك يا مانى فساعدك دهرك وعطف عليك الفك وقارنك سرورك وفارقك محذورك والله يديم لنا ذلك ببقاء من به اجتمع شملنا فقال لها مانى عند قولها وعطف عليك الفك مجيبا

ليس لى الف فيعطفنى * فارقت نفسى الاباطيل
أنا موصول بنعمة من * حبله بالجد موصول
أنا مغبوط بنعمة من * طبعه بالجد مامول

فأومأ اليه ابن طالوت بالقيام فنهض وهو يقول

ملك قـل النظـير له * زانه الغـر البهاليـل

ظاهرى فى مواكبـه * عرفه فى الناس مبذول

دم من يشقى بصارمه * مع هبوب الريح مطلول

يا أبا العباس صن أدبا * حـده بالدهر مفلول

فقال محمد وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سبقت ثم أقبل على ابن طالوت فقال ليست خساسة المرء ولا اتضاع الدهر ولا نبو العين عن الظاهر بمذهب جوهرية الادب المركب فى الانسان وما أخطأ صالح بن عبد القدوس حيث يقول

لا يعجبنك من يصون ثيابه * خوف الغبار وعرضه مبذول

فلربما افتقر الفتى فرأيته * دنس الثياب وعرضه مغسول

قال ابن طالوت فما رأيت احضر ذهنا منه اذ تقول الجارية عطف عليك الفك وانشاده عند قولها ذلك

ليس لى الف فيعطفنى * فارقت نفسى الاباطيل

قال فلم يزل محمد مجريا عليه رزقه حتى توفى * ونمى الى المعتز أن المؤيد يدبر عليه وأنه قد استمال جماعة من الموالى فحبس المؤيد وأبا أحمد وهما لاب وأم وطولب المؤيد بأن يخلع نفسه من ولاية العهد فضرب أربعين عصا الى أن أجاب واشهد على نفسه بذلك ثم اتصل بالمعتز أن جماعة من الاتراك اجتمع رأيهم على اخراج المؤيد من حبسه فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين أخرج المؤيد ميتا وأحضر القضاة والفقهاء حتى رأوه ولا اثر فيه فيقال انه أدرج فى لحاف مسموم وشد طرفاه حتى مات فيه وضيق حبس أبى أحمد فكان بين دخوله سر من رأى وما لقى بها من الاكرام وبين حبسه ستة أشهر وثلاثة أيام ثم أشخص الى البصرة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان بعد قتل المؤيد بخمسين يوما ورتب اسمعيل بن فتيحة وهو أخو المعتز لابيه وأمه مكان المؤيد فى ولاية العهد واجتمع قواد الموالى الى المعتز فسألوه الرضا عن وصيف وبغا فأجابهم الى ذلك * وفى هذه السنة مات زرافة صاحب دار المتوكل بمصر * وقد كان يوسف بن اسمعيل العلوى غلب على مكة فمات فى هذه السنة فخلفه بعد وفاته أخوه محمد بن يوسف وكان أسن منه بعشرين سنة فنال الناس فى هذه السنة جهد شديد فبعث المعتز بابن الساج الاشروسى الى الحجاز فهرب محمد ابن يوسف وقتل خلق من أصحابه * وفيها أوقع الحسن بن زيد الحسينى بسليمان بن عبد الله بن طاهر فأخرجه عن طبرستان * وفى هذه السنة قدم الى سامرا عيسى ابن الشيخ الشيبانى من مصر ومعه مال كثير وستة وسبعون رجلا من سائر ولد أبى طالب من ولد على وجعفر وعقيل كانوا اخرجوا من الحجاز خوف الفتنة والجهد النازل بالحجاز الى مصر فحملوا منها فامر المعتز بكفيلهم والتخلية عنهم لما وقف عليه من أمرهم * وولى عيسى ابن الشيخ فلسطين * وفى هذه السنة وهى سنة ثلاث وخمسين ومائتين مات صفوان العقيلى صاحب ديار مصر فى حبس سامرا * وفى هذه السنة قتل أهل كرخ سامرا من الفراعنة والاتراك لوصيف التركى

وتخلص بغا منهم واشتد أمر شاور الشاري ورتب صالح بن وصيف في موضع وصيف * وفي سنة أربع وخمسين ومائتين خرج بغا من سامرا الى ناحية الموصل فانتهبت اموال داره وانفض من كان معه من الجيش وانحدر في زورق فوقع به بعض المغاربة بجسر سامرا فقتل ونصب رأسه بسامرا وهو بغا الصغير ثم أخذ الرأس الى مدينة السلام فنصب على الجسر وكان المعتز في حياة بغا لا يلتذ بالنوم ولا يخلع سلاحه لا في ليل ولا في نهار خوفا من بغا وقال لا ازال على هذه الحالة حتى أعلم لبغا رأسي أو رأسه لي وكان يقول اني لاخاف أن ينزل على بغا من السماء أو يخرج على من الارض وقد كان بغا عزم على أن ينحدر سرا فيصل الى سامرا في الليل ويصرف الاتراك عن المعتز ويفيض فيهم الاموال فكان من أمره ما وصفنا ولما رأى الاتراك من اقدام المعتز على قتل رؤسائهم واعماله الحيلة في فنائهم وانه قد اصطنع المغاربة والفراعنة دونهم صاروا اليه باجمعهم وذلك لاربع بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وجعلوا يقرعونه بذنوبه ويوبخونه على أفعاله وطالبوه بالاموال وكان المدبر لذلك صالح بن وصيف مع قواد الاتراك فلج وانكر أن يكون قبله شئ من المال فلما حصل المعتز في ايديهم بعث الى مدينة السلام في محمد بن الواثق الملقب بالمهتدى وقد كان المعتز نفاه اليها واعتقله فيها فأتى به في يوم وليلة الى سامرا فتلقاه الاولياء في الطريق ودخل الى الجوسق وأجاب المعتز الى الخلع على أن يعطوه الامان أن لا يقتل وأن يؤمنوه على نفسه وماله وولده وأبى محمد بن الواثق أن يقعد على سرير الملك أو يقبل البيعة حتى يرى المعتز ويسمع كلامه فأتى بالمعتز وعليه قميص مدنس وعلى رأسه منديل فلما رآه محمد بن الواثق وثب اليه فعانقه وجلسا جميعا على السرير فقال له محمد بن الواثق يا أخي ما هذا الامر قال المعتز أمر لا اطيقه ولا اقوم به ولا اصلح له فاراد المهتدى أن يتوسط أمره ويصلح الحال بينه وبين الاتراك فقال المعتز لا حاجة لي فيها ولا يرضوني لها قال المهتدى فانا في حل من بيعتك قال انت في حل وسعة فلما جعله في حل من بيعته حول وجهه عنه فأقيم عن حضرته ورد الى محبسه فقتل في محبسه بعد أن خلع بستة أيام على ما قدمنا في صدر هذا الباب * وقد قالت الشعراء في خلع المعتز وقتله فاكثرت ورثته فأحسنت فمن ذلك قول بعض أهل ذلك العصر من قصيدة له

عين لا تبخلي بسفح الدموع * واندبي خير فاجع مفجوع
خانه الناصح الشفيق ونالته * أكف الردى بحتف سريع
بكر الترك ناقمين عليه * خلعته افديه من مخلوع
قتلوه ظلما وجورا فألفو * ه كريم الاخلاق غير جزوع
كان يغشى بحسنه بهجة البد * ر فتلقاه مظهر الخضوع
وترى الشمس تستكين فلا تشـ * ـرق اما رأته وقت الطلوع
لم يهابوا جيشا ولا رهبوا السيـ * ـف فلهفي على القتيل الخليع
أصبح الترك مالكي الامر والعا * لم ما بين سامع ومطيع
وترى الله فيهم مالك الامـ * ـر سيجزيهم بقتل ذريع

وقال فيه آخر من قصيدة طويلة

أصبحت مقلتى بدمع سفوحا * حين قالوا أضحى الامام ذبيحا
قتلوه ظلما وجورا وغدرا * حين أهدوا اليه حتفا مريحا
نضر الله ذلك الوجه وجها * وسقى الله ذلك الروح روحا
أيها الترك سوف تلقون للدهـ * ـر سيوفا لا تستبل الجريحا
فاستعدوا للسيف عاقبة الامـ * ـر فقد جئتم فعالا قبيحا

وقال آخر من قصيدة طويلة أيضا

أصبحت مقلتى تسح الدموعا * اذ رأت سيد الانام خليعا
لهف نفسى عليه ما كان الا * واميرا تابعا متبوعا
الزموه ذنبا على غير جرم * فثوى فيهم قتيلا صريعا
وبنو عمه وعم أبيه * اظهروا ذلة وابدوا خضوعا
ما بهذا يصح ملك ولا يغـ * ـزى عدو ولا يكون جميعا

وكان المعتز أول خليفة اظهر الركوب بحلية الذهب وكان من سلف قبله من خلفاء بنى العباس وكذلك جماعة من بنى امية يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة والمناطق واتخاذ السيوف والسروج واللجم فلما ركب المعتز بحلية الذهب اتبعه الناس فى فعل ذلك * وكذلك المستعين قبله أحدث لبس الاكمام الواسعة ولم يكن يعهد ذلك فجعل عرضها ثلاثة اشبار ونحو ذلك وصغر القلانس وكانت قبل ذلك طوالا كأقباع القضاة * وفى سنة خمس وخمسين ومائتين ظهر بالكوفة على بن زيد وعيسى بن جعفر العلوى فسرح اليهما المعتز سعيد بن صالح المعروف بالحاجب فى جيش عظيم فانهزم الطالبيان لتفرق أصحابهما عنهما * وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وفاة اسمعيل بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وما ناله أهل المدينة وغيرهم من أهل الحجاز فى أيامه من الجهد والضيق وما كان من أمر أخيه بعد وفاة محمد بن يوسف مع أبى الساج وحربه اياه ولما انكشف من بين يدى أبى الساج سار الى اليمامة والبحرين فغلب عليها وخلفه بها عقبه المعروف ببنى الاخيضر الى اليوم وقد كان ظهر بناحية المدينة بعد ذلك ابن لموسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (قال المسعودى) وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان سائر أخبار من ظهر من آل أبى طالب ومن مات منهم فى الحبس وبالسم وغير ذلك من أنواع القتل منهم عبد الله بن محمد بن على بن أبى طالب وهو أبو هاشم سقاه عبد الملك بن مروان السم ومحمد بن أحمد بن عيسى ابن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حمله سعيد الحاجب من البصرة فحبس حتى مات وكان معه ابنه على فلما مات الاب خلى عنه وذلك فى أيام المستعين وقيل غير ذلك وجعفر بن اسمعيل بن موسى بن جعفر قتله ابن الاغلب بأرض المغرب والحسن بن يوسف بن ابراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب قتله العباس بمكة وحمل فى أيام المعتز من الرى على بن موسى بن اسمعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ومات فى

حبسه * وحمل سعيد الحاجب من المدينة موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن علي ابن أبي طالب وكان من النسك والزهد في نهاية الوصف وكان معه ادريس بن موسى فلما صار سعيد بناحية زبالة من جادة الطريق اجتمع خلق من العرب من بني فزارة وغيرهم لاخذ موسى من يده فسمه فمات هنالك وخلصت بنو فزارة ابنه ادريس بن موسى * وفي خلافة المعتز في سنة اثنتين وخمسين ومائتين كان بدو الفتنة بين البلالية والسعدية بالبصرة وما نتج من ذلك من ظهور صاحب الزنج * وللمعتز أخبار حسان غير ما ذكرنا قد أتينا على مبسوطها في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وبالله التوفيق

(ذكر خلافة المهتدي بالله)

وبويع المهتدي محمد بن هرون الواثق قبل الظهر من يوم الاربعاء لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وأمه أم ولد رومية يقال لها قرب ويكنى بأبي عبد الله وله يومئذ سبع وثلاثون سنة وقيل تسع وثلاثون سنة وانه قتل ولم يستكمل الاربعين سنة في سنة ست وخمسين ومائتين فكانت ولايته أحد عشر شهرا ودفن بسامرا وقيل ان مولده كان في سنة ثماني عشرة ومائتين

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

واستوزر المهتدي بالله جماعة على قصر مدته فسلموا منه من قتل وغيره منهم عيسى بن فرخانشاه وبنى المهتدي قبة لها أربعة ابواب وسماها قبة المظالم وجلس فيها للعام والخاص للمظالم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحرم الشراب ونهى عن القيان وأظهر العدل وكان يحضر كل جمعة الى المسجد الجامع ويخطب الناس ويؤمهم فثقلت وطأته على العامة والخاصة بحمله اياهم على الطريق الواضحة فاستطالوا خلافته وسئموا أيامه وعملوا الحيلة عليه حتى قتلوه وذلك أن موسى بن بغا الكبير كان عاملا غائبا بالري مشتغلا بحرب آل أبي طالب كالحسن بن زيد الحسني وما كان من الديلم ببلاد قزوين ودخولهم اياها عنوة وقتلهم اهلها فلما نمي الى موسى بن بغا قتل المعتز وما كان من أمر صالح بن وصيف والاتراك في ذلك قفل من تلك الديار متوجها الى سامرا منكرا لما جرى على المعتز وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار المعتز قتل المعتز مجملا ولم نبين كيفية قتله وتنازع الناس في ذلك مفصلا ورأيت أصحاب السير والتواريخ وذوي العناية بأخبار الدول قد تباينوا في مقتله فمنهم من ذكر أن المعتز مات في حبسه في خلافة المهتدي بالله على ما قدمنا من التاريخ حتف أنفه ومنهم من ذكر أنه منع في حبسه من الطعام والشراب فمات عند قطع مواد الغذاء عنه من المآكل والمشرب ومنهم من رأى أنه حقن بالماء الحار المغلي فمن أجل ذلك حين أخرج الى الناس وجدوا جوفه وارما والاشهر في الاخباريين ممن عني بأخبار العباسيين أنه أدخل حماما وأكره في دخوله اياه وكان الحمام محميا ومنع الخروج منه ثم تنازع هؤلاء فمنهم من قال انه ترك في الحمام حتى فاضت نفسه ومنهم من ذكر أنه أخرج بعد أن كادت نفسه تتلف للحمى ثم اسقي شربة ماء مقراة بثلج فنثرت الكبد وغيره فخمد من فوره وذلك ليومين خلوا من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وقد أتينا على مبسوط هذه

الاخبار

الاخبار فى كتابنا أخبار الزمان ولما اتصل بالمهتدى مسير موسى بن بغا الى دار الخلافة أنكر ذلك وكاتبه بالمقام فى موضعه وأن لا يحل عن مركزه للحاجة اليه فأبى موسى بن بغا الا اعداد المسير والسرعة فيه حتى وافى سامرا وذلك فى سنة ست وخمسين ومائتين وصالح ابن وصيف يدبر الامر مع المهتدى فلما دنا موسى من سامرا صاحت العامة فى مواضعها والغوغاء فى طرقاتها يا فرعون قد جاء موسى وكان صالح بن وصيف قد تفرعن المهتدى حين علم بموافاة موسى وقال ان المهتدى راسل موسى فى السر فى المسير الى سامرا والشخوص اليها وكاتبه فى ظاهر الامر وراسله أن لا يقدم وكان رجل من قواد الاتراك يقال له بايكيال قد غلب على الامر أيضا وترأس فدخل موسى سامرا حتى انتهى الى مجلس المهتدى وهو جالس للمظالم والدار غاصة بخواص الناس وعوامهم فشرع أصحاب موسى فدخلوا الدار وجعلوا يخرجون العامة منها بأشد ما يكون من الضرب بالدبابيس والطبرزينات والعسف فضجت العامة فقام المهتدى منكرا عليهم فعلهم بمن فى الدار فلم يرجعوا عما هم عليه فنحى مغضبا فقدم اليه فرس وقد استشعر منهم الغدر فمضى به الى دار مارجوج وقد كان موسى بن بغا انصرف عن دار المهتدى لما نظر الى ضجة العامة فيها فنزل تلك الدار فسير بالمهتدى اليها فاقام فيها ثلاثا عند موسى بن بغا وكان فيه ديانة وتقشف حتى ان الجند تأسوا به ولم يكن يشرب النبيذ وكان المهتدى فى أخلاقه شراسة فنافر موسى وكاد الامر أن ينفرج والحال أن يتسع غير أن موسى تعطف عليه وأعملا الحيلة فى قتل صالح بن وصيف وخاف موسى أن يكون صالح بن وصيف يعمل الحيلة عليهم فى حال اختفائه فبث فى طلبه العيون حتى وقع عليه فقاتل ومانع عن نفسه فقتل واحتز رأسه وأتى به الى موسى بن بغا ومنهم من رأى أنه أحمى له حمام وأدخل اليه فمات على حسب ما فعل بالمعتز وقوى أمر شاور الشارى ودنا من عسكره من سامرا وعم الناس بالاذى وانقطعت السابلة وظهرت الاعراب فأخرج المهتدى بالله موسى بن بغا وبايكيال الى حرب الشارى وخرج معهما فشيعهما ثم قفلا من غير أن يلقيا شراة فلما استشعر المهتدى رجوعهما خرج فعسكر بجسر سامرا فى جمع من المغاربة والفراعنة وغيرهم من الروم ليحارب بايكيال فانصرف موسى على ظهر سامرا متحرجا لقتال المهتدى فكانت بين المهتدى وبين بايكيال حروب عظيم قتل فيها خلق كثير من الناس وانكشف بايكيال واستظهر المهتدى عليه فخرج كمين بايكيال على المهتدى وفيه مارجوج التركى فولى المهتدى وأصحابه ودخل سامرا مستغيثا بالعامة مستنصرا بالناس يصيح فى الاسواق فلا مغيث وقدامه اناس من الانصار فمضى مؤيسا من النصر الى دار ابن خيعونة بسامرا مختفيا فهجموا عليه وعزلوه وحملوه منها الى دار مارجوج وقيل له أتريد أن تحمل الناس على سيرة عظيمة لم يعرفوها فقال أريد أن أحملهم على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والخلفاء الراشدين فقيل له الرسول صلى الله عليه وسلم كان مع قوم قد زهدوا فى الدنيا ورغبوا فى الآخرة كابى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم وأنت انما رجالك تركى وخزرى ومغربى وغير ذلك من أنواع الاعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم وانما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا فكيف

فحملهم على ماذكرت من الواضحة فكثر منهم ومنه الكلام والمراجعة في هذا المعنى واشباهه ثم انقادوا اليه على حسب ما ظهر للناس من ذلك فلما كاد الامر أن يتم قام فيهم سليمان بن وهب الكاتب وقيل غيره وقال هذا اسوء رأى منكم وخطأ في تدبيركم ان أعطاكم بلسانه فنيته فيكم غير هذا القال وسيأتى عليكم جميعا ويفرق جمعكم فلما سمعوا هذا القول استرجعوا وجاؤه بالخناجر فكان أول من جرحه ابن عم لبايكيال جرحه بخنجر في أوداجه وانكب عليه فالتقم الجرح والدم يفور منه وأقبل يمص الدم حتى روى منه والتركى سكران فلما روى من دم المهتدى قام قائما وقد مات المهتدى فقال يا أصحابنا قد رويت من دم المهتدى كما رويت في هذا اليوم من الخمر وقد تنوزع فيما ذكرنا من قتل المهتدى والاشهر ماذكرناه من قتله بالخناجر ومنهم من رأى أنه عصرت مذاكيره حتى مات ومنهم من رأى انه جعل بين لوحين عظيمين وشد بالحبال الى أن مات وقيل خنقا وقيل كبس عليه بالبسط والوسائد حتى مات فلما مات داروا به ينوحون ويبكون عليه وندموا على ما كان منهم من قتله لما تبينوا من نسكه وزهده وقيل ان ذلك كان يوم الثلاثاء لاربع عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وكان موسى بن بغا وماروج التركى غير داخلين في فعل الاتراك وكان حنق الاتراك على المهتدى بسبب قتله بايكيال وذلك أن بايكيال وقع بيد المهتدى فضرب عنقه ورمى به الى أصحابه ومنهم من رأى انه قتل في الحرب المتقدم ذكرها في الموضع المعروف بجسر سامرا وقد كان المهتدى لما أفضت الخلافة اليه أخرج أحمد ابن اسرائيل الكاتب وأبا نوح الكاتب الى باب العامة بسامرا يوم الخميس لثلاث خلون من شهر رمضان فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط فماتا وذلك لامور كانت منهما استحقا عند المهتدى فيما يجب في حكم الشريعة أن يفعل بهما ذلك وقتل المهتدى وله من الولد سبعة عشر ذكرا وست بنات وقد كان المهتدى ولى أحمد بن المدبر خراج فلسطين وكانت له معه أخبار قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا وأخبار ابن المدبر لما وصل الى فلسطين وما حمل الى سامرا وقيل ان المعتز بالله كان أخرجه الى الشام ولاحمد بن المدبر أخبار حسان ولابراهيم بن المدبر أخيه مع صاحب الزنج أخبار حين أسره (قال المسعودى) فمن أخبار أحمد بن المدبر المستحسنة مما دونها الناس في أخبار الطفيليين أن أحمد كان قليل الجلوس للمنادمة وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم ولا ينبسط الى سواهم قد اصطفاهم لعشرته وأخذهم لمنادمته كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره وكان طفيلى يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا وأخفهم روحا وأشدهم في كل مليحة افتنانا فلم يزل يحتال الى أن عرف وقت جلوس أحمد بن المدبر للندماء فتزيا في زى ندمائه ودخل في جملتهم وظن حاجبه أن ذلك بعلم من صاحبه ومعرفة من أولئك الندماء ولم ينكر شيأ من حاله وخرج أحمد بن المدبر فنظر اليه بين القوم فقال لحاجبه اذهب الى ذلك الرجل فقل له ألك حاجة فسقط في يد الحاجب وعلم أن الحيلة قد تمت عليه وأن ابن المدبر لا يرضى في عقوبته الا بقتله فجره وهو يجر برجليه فقال له الاستاذ يقول لك ألك حاجة فقال قل له لا فقال له ارجع اليه فقل له ما جلوسك فقال الساعة جلسنا يا بغيض فقال

ارجع اليه فقل له أى شئ أنت فقال قل له طفيلى يرحمك الله فقال له ابن المدبر أنت طفيلى قال نعم اعزك الله قال ان الطفيلى يحتمل على دخوله بيوت الناس وافساده عليهم ما يريدونه من الخلوة بندمائهم والخوض فى أسرارهم لخصال منها أن يكون لاعبا بالشطرنج أو بالنرد او ضاربا بالعود والطنبور فقال ايدك الله انا احسن هذه الاشياء كلها قال وفى أى وظيفة انت منها قال فى العليا من جميعها قال لبعض ندمائه لاعبه بالشطرنج فقال الطفيلى أصلح الله الاستاذ فان قمرت قال أخرجناك من دارنا قال فان قمرت قال اعطيناك ألف درهم قال فان رأيت ايدك الله أن تحضر الالف درهم فان فى حضورها قوة للنفس والايقان بالظفر فاحضرت فلعبا فغلب الطفيلى ومد يده ليأخذ الدراهم فقال الحاجب لينفى عن نفسه بعض ما وقع فيه اعز الله الاستاذ انه زعم أنه فى الطبقة العليا وابن فلان غلامك يغلبه فأحضر الغلام فغلب الطفيلى فقال له انصرف فقال أحضروا النرد فأحضرت فلوعب فغلب فقال الحاجب ولا هذا يا سيدى فى الطبقة العليا من النرد ولكن بوابنا فلان يغلبه فأحضر البواب فغلب الطفيلى فقال له اخرج فقال يا سيدى فالعود فأتى بالعود فضرب فاصاب وغنى فأطرب فقال الحاجب يا سيدى فى جوارنا شيخ هاشمى يعلم القيان أحذق منه فأحضر الشيخ فكان أطرب منه فقال له اخرج فقال فالطنبور فأعطى طنبورا فضرب ضربا لم ير الناس أحسن منه وغنى غناء فى النهاية فقال الحاجب أعز الله الاستاذ فلان المحتكر فى جوارنا أحذق منه فأحضر المحتكر فكان أحذق منه وأطيب فقال له ابن المدبر قد تقصيناك بكل جهد فابث حرفتك الاطردك عن منزلنا فقال يا سيدى بقيت معى باية حسنة قال ماهى قال تأمر لى بقوس بندق مع خمسين بندقة رصاص ويقام هذا الحاجب على أربع وأرميه فى دبره بهن وان أخطأت بواحدة منهن ضربت رقبتى فضج الحاجب من ذلك ووجد ابن المدبر فى ذلك شفاء لنفسه وعقوبة ومكافأة له على ما فرط منه فى ادخال الطفيلى الى مجلسه فأمر باكافين فأحضرا وجعل احدهما فوق الآخر وشد الحاجب فوقهما وأمر بالقوس والبندق فدفع الى الطفيلى فرمى به فما أخطأه وخلى عن الحاجب وهو يتأوه لما به فقال له الطفيلى أعلى باب الاستاذ من يحسن مثل هذا فقال يا قرنان ما دام البرجاس استى فلا * وللطفيليين أخبار حسان مثل خبر ساسان الطفيلى مع المتوكل فى اللوزنيج وما ابتدأ من العدد من الواحد الى ما فوقه من القرآن وغيره منهم ما قد أتينا على ذكره فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط على الشرح والتمام والكمال وانما ورد فى هذا الكتاب لمعا لم يتقدم له ذكر فيما سلف من كتبنا فى هذا المعنى * وقد كان المهتدى بالله ذهب فى أمره الى القصد والدين فقرب العلماء ورفع من منازل الفقهاء وعمهم بيره وكان يقول يا بنى هاشم دعونى حتى أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز فأكون فيكم مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى أمية وقلل من اللباس والفرش والمطعم والمشرب وأمر باخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنانير ودراهم وعمد الى الصور التى كانت فى المجالس فمحيت وذبح الكباش التى كان يناطح بها بين يدى الخلفاء والديوك وقتل السباع المحبوسة ورفع بسط الديباج وكل فرش لم ترد الشريعة باباحته وكانت الخلفاء قبله تنفق على موائدها فى كل يوم

عشرة آلاف درهم فما زال ذلك وجعل لمائدته وسائر مؤنته في كل يوم نحو مائة درهم وكان يواصل الصيام وقيل انه لما قتل أخرج رجل من الموضع الذي كان يأوي اليه فأصيب له سفط مقفل فتوهموا أن فيه مالا أو جوهرا فلما فتح وجد فيه جبة صوف وغل وقيل جبة شعر فسألوا من كان يخدمه فقال كان اذا جن الليل لبسها وغل نفسه وكان يركع ويسجد الى أن يدركه الصباح وانه كان ينام من الليل ساعة من بعد العشاء الآخرة ثم يقوم وانه سمعه بعض من كان يأنس اليه قبل أن يقتل وقد صلى المغرب وقد دنا من افطاره وهو يقول اللهم انه قد صح عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا تحجب لهم دعوة عن الله دعوة الامام العادل وقد أجهدت نفسي في العدل على رعيتي ودعوة المظلوم وأنا مظلوم ودعوة الصائم حتى يفطر وأنا صائم وجعل يدعو عليهم وأن يكفي شرهم (وذكر صالح) ابن علي الهاشمي قال حضرت يوما من الايام جلوس المهتدي للمظالم فرأيت من سهولة الوصول اليه ونفوذ الكتب عنه الى النواحي فيما يتظلم به اليه ما استحسنته فأقبلت أرمقه ببصري اذ نظر في القصص فاذا رفع طرفه الي أطرقت فكأنه علم ما في نفسي فقال يا صالح أحسب أن في نفسك شيأ تحب أن تذكره قلت نعم يا أمير المؤمنين فامسك فلما فرغ من جلوسه أمرني أن لا أبرح ونهض فجلست جلوسا طويلا ثم دعاني فدخلت اليه وهو على حصير الصلاة فقال لي يا صالح أتحدثني بما في نفسك أو أحدثك به قلت بل هو من أمير المؤمنين أحسن فقال كأني بك قد استحسنت ما رأيت من مجلسنا فقلت أي خليفة ان لم يكن يقول بخلق القرآن فقلت نعم فقال قد كنت على ذلك برهة من الدهر حتى أقدم على الواثق شيخ من أهل الفقه والحديث من أهل أذنة من الثغر الشامي مقيد طوال حسن الهيئة فسلم عليه غير هائب ودعا فأوجز فرأيت الحياء منه في حماليق عين الواثق والرحمة له فقال له يا شيخ أجب أبا عبد الله أحمد بن أبي دواد فيما يسألك عنه فقال يا أمير المؤمنين أحمد يقل ويضعف عن المناظرة فرأيت الواثق قد صار في مكان الرقة والرحمة له غضبا فقال له أبو عبد الله يضعف عن المناظرة فقال له هون عليك يا أمير المؤمنين أتأذن في كلامه فقال له الواثق قد أذنت لك فأقبل الشيخ على أحمد فقال له يا أحمد الى ماذا دعوت الناس اليه فقال الى القول بخلق القرآن فقال الشيخ مقالتك هذه التي دعوت الناس اليها من القول بخلق القرآن داخلة في الدين فلا يكون الدين تاما الا بالقول بها قال نعم قال الشيخ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس اليها أو تركهم قال تركهم قال فعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يعلمها قال علمها قال فلم دعوت الناس الى ما لم يدعهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم منه فأمسك أحمد فقال الشيخ يا أمير المؤمنين هذه واحدة ثم قال له بعد ساعة يا أحمد قال الله في كتابه العزيز اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقلت أنت لا يكون الدين تاما الا بمقالتكم بخلق القرآن فالله أصدق في اكماله وتمامه أو أنت في نقصانك فأمسك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين وهذه ثانية ثم قال له بعد ساعة أخبرني يا أحمد عن قول الله عز وجل في كتابه يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية فمقالتك

هذه التى دعوت الناس اليها مما بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم للامة أم لا فأمسك فقال
الشيخ يا أمير المؤمنين وهذه ثالثة ثم قال بعد ساعة أخبرنى يا أحمد ما علم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مقالتك هذه التى دعوت الناس اليها والى القول بها من خلق القرآن
أوسعه أن أمسك عنهم أم لا قال أحمد بل اتسع له ذلك فقال وكذلك لابى بكر وعمر وكذلك
لعثمان وكذلك لعلى رضى الله عنهم قال نعم فصرف وجهه الى الواثق وقال يا أمير المؤمنين اذا
لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه فلا وسع الله علينا فقال الواثق نعم
لا وسع الله علينا ان لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ثم قال
الواثق اقطعوا قيده فلما فكوا قيده جاذب عليه فقال الواثق دعوه ثم قال للشيخ لم جاذبت
عليه قال لانى عقدت فى نيتى أن أجاذب عليه فاذا أخذته أوصيت أن يجعل بين كفنى
وبدنى حتى أقول يارب سل عبدك هذا لم قيدنى ظلما وأراع فى أهلى فبكى الواثق وبكى الشيخ
وكل من حضر ثم قال له الواثق يا شيخ اجعلنى فى حل فقال يا أمير المؤمنين ما خرجت من
منزلى حتى جعلتك فى حل اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقرابتك منه فتهلل
وجه الواثق وسر ثم قال له أقم عندى آنس بك فقال مكانى فى ذلك الثغر أنفع أنا شيخ كبير
ولى حاجة قال سل ما بدا لك قال يأذن أمير المؤمنين لى فى الرجوع الى الموضع الذى اخرجنى
منه هذا الظالم قال قد أذنت لك وأمر له بجائزة فلم يقبلها فرجعت من ذلك الوقت وأحسب
أن الواثق رجع عنها * قال وعرض على المهتدى يوما دفاتر خزائن الكتب فاذا على ظهر كتاب
منها هذه الابيات قالها المعتز بالله وكتبها بخطه وهى

انى عرفت علاج الطب من وجعى * وما عرفت علاج الحب والخدع
جزعت للحب والحمى صبرت لها * انى لاعجب من صبرى ومن جزعى
من كان يشغله عن الفه وجع * فليس يشغلنى عن حبكم وجعى
وما أمل حبيبى ليتنى أبدا * مع الحبيب ويا ليت الحبيب معى

فقطب وجه المهتدى بالله وقال حدث وسلطان الشباب وكان المهتدى كثيرا ما ينشد البيت
الاول من هذا الشعر * وكان محمد بن على الربعى ممن يكثر ملازمة المهتدى فقال لى ذات ليلة
أتعرف خبر نوف الذى حكاه عن على بن أبى طالب حين كان يأتيه قلت نعم يا أمير المؤمنين ذكر
نوف قال رأيت عليا رضى الله عنه قد أكثر الخروج والدخول والنظر الى السماء ثم قال لى
يا نوف أنائم أنت قال قلت بل رامق أرمق بعينى منذ الليلة يا أمير المؤمنين فقال لى يا نوف
طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطا وترابها
ثيابا وماءها طيبا والكتاب شعارا والدعاء دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح
عيسى ابن مريم عليه السلام يا نوف ان الله تعالى أوحى الى عبده عيسى عليه السلام أن قل
لبنى اسرائيل أن لا يدخلوا الى الا بقلوب وجلة وأبصار خاشعة وأكف نقية واعلم انى لا
أجيب لاحد منهم دعوة ولا احد من خلقى قبلهم مظلمة قال محمد بن على الربعى فوالله لقد كتب
المهتدى هذا الخبر بخطه ولقد كنت أسمعه فى جوف الليل وقد خلا بربه فى بيت كان يخلو به
وهو يبكى ويقول يا نوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة ويمر فى الخبر الخ الى أن

ابن من امره ما كان مع الاتراك وقتلهم اياه * قال محمد بن على قلت للمهتدى ذات يوم وقد خلوت به وقد أكثرنا من ذكر آفات الدنيا ومن رغب فيها ومن انصرف عنها يا امير المؤمنين ما للانسان العاقل المميز مع علمه بجميع آفات الدنيا وسرعة انتقالها وزوالها وغرورها اطلابها يحبها ويأنس اليها قال المهتدى حق ذلك لله منها خلق فهى أمه وفيها انشأ فهى عيشه ومنها قدر رزقه فهى حياته وفيها يعاد فهى كفاته وفيها اكتسب الجنة فهى مبدأ سعادته والدنيا ممر الصالحين الى الجنة فكيف لا يحب طريقا تأخذ بسالكها الى الجنة فيها نعيم مقيم خالدا ان كان من أهلها وقيل ان هذا الكلام فى جواب على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجاب به شاذا لا سأله عن ذلك وهو ماخوذ من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حين مدح الدنيا وذم الذام لها على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من باب ذكر زهده واخباره (قال المسعودى) وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة فى خلافة المهتدى وذلك فى سنة خمس وخمسين ومائتين وكان يزعم انه على بن أحمد ابن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب واكثر الناس يقول انه دعى آل ابى طالب وكان من اهل قرية من أعمال الرى يقال لها ورزين وظهر من فعله ما دل على تصديق ما رمى به انه كان يرى رأى الازارقة من الخوارج لان افعاله فى قتل النساء والاطفال وغيرهم من الشيخ الفانى وغيره ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك عليه وله خطبة يقول فى أولها الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر الا لا حكم الا لله وكان يرى الذنوب كلها شركا وكان أنصاره الزنج وكان ظهوره ببرغيل بين مدينة الفتح وكرخ البصرة فى ليلة الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين وقيل ليلة السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين وذلك فى خلافة المعتمد على الله وقد صنف الناس فى أخباره وحروبه وما كان من أمره كتبا كثيرة وكان اول من صنف أخباره وما كان من بدو امره ووقوعه الى بلاد البحرين وما كان من خبره مع الاعراب محمد بن الحسن بن سهل بن اخى ذى الرياستين الفضل بن سهل صاحب المامون وهو الرجل الذى كان من امره مع المعتضد بالله ما قد ذكرناه واشتهر قبل ذلك فى الناس وما كان من امره الى أن جعله كدجاج على النار وجلده ينتفخ ويتفرقع * وقد ذكر الناس صاحب الزنج فى أخبار المبيضة وكتبهم وقد أتينا على جميع خبره وبدو خبر البلالية والسعدية بالبصرة فى الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اعادته وانما أوردنا فى هذا الكتاب فى الموضع المستحق له لما من ذكره وما كان من امره فى مقتله (قال المسعودى) وفى هذه السنة سنة خمس وخمسين ومائتين وقيل سنة ست وخمسين ومائتين كانت وفاة عمرو بن بحر الجاحظ بالبصرة فى المحرم ولا يعلم احد من الرواة واهل العلم اكثر كتبا منه مع قوله بالعثمانية وقد كان ابو الحسن المدائنى كثير الكتب الا أن ابا الحسن المدائنى كان يؤدى ما سمع وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلو صدأ الاذهان وتكشف واضح البرهان لانه نظمها احسن نظم ووصفها احسن وصف وكساها من كلامه اجزل لفظ وكان اذا تخوف ملل القارئ وسآمة السامع خرج من جد الى هزل ومن حكمة بليغة الى نادرة ظريفة وله كتب حسان منها كتاب البيان والتبيين وهو اشرفها لانه جمع فيه

بين المنثور والمنظوم وغرر الاشعار ومستحسن الاخبار وبليغ الخطب مالو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به وكتاب الحيوان وكتاب الطفيليين والبخلاء وسائر كتبه فى نهاية الكمال مالم يقصد منها الى نصب ولا الى دفع حق ولا يعلم ممن سلف وخلف من المعتزلة أفصح منه وكان غلام ابراهيم بن سيار النظام وعنه أخذ ومنه تعلم (وحدث يموت بن المزرع) وكان الجاحظ خاله قال دخل الى خالى أناس من البصرة من أصدقائه فى العلة التى مات فيها فسألوه عن حاله فقال عليل من مكانين من الاسقام والدين ثم قال أنا فى هذه العلة المتناقضة التى يتخوف من بعضها التلف وأعظمها نيف وسبعون سنة يعنى عمره قال يموت بن المزرع وكان يطلى نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما شعر به من خدره وبرده قال ابن المزرع وسمعته يقول رأيت رجلا يروح ويغدو فى حوائج الناس فقلت له قد أتعبت بذلك بدنك وأخلقت ثيابك وأعجفت برذونك وقتلت غلامك فالك راحة ولا قرار فلو اقتصدت بعض الاقتصاد قال سمعت تغريد الاطيار فاطربت طربى لنغمة شاكر أوليته معروفا أو سعيت له فى حاجة وكان يموت لا يعود مريضا خوفا من أن يتطير باسمه وله أخبار حسان وأشعار جياد وقد كان سكن طبرية من بلاد الاردن من الشأم فمات بها وذلك بعد الثلثمائة وكان من أهل العلم والنظر والمعرفة والجدل وله ولد يقال له مهلهل بن يموت بن المزرع وهو شاعر مجيد من شعراء هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وفيه يقول أبوه يموت بن المزرع

مهلهل قد حلبت شطور دهر * فكالحنى بها الزمن العنوت
وجاريت الرجال بكل ربع * فعادت الجبالة والذموت
فأوجع ما أجن عليه قلبى * كريم عضه زمن عنوت
كفى حزنا بغيبة ذى وداع * وابقاء العتيد لها النحوت
وقد أسهرت عينى بعد غمض * مخافة أن تضيع اذا فنيت
وفى لطف المهيمن لى عزاء * بمثلك ان فنيت وان بقيت
وان يشتد عظمك بعد موتى * فلا تقطعك جائحة سبوت
وقل بالعلم كان أبى جوادا * يقال ومن أبوك فقل يموت
تقر لك الاباعد والادانى * بعلم ليس يجحده البهوت

وللمهتدى أخبار حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا والله ولى التوفيق

(ذكر خلافة المعتمد على الله)

وبويع المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وعشرين سنة ويكنى أبا العباس وأمه أم ولد كوفية يقال لها قينان ومات فى رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وهو ابن ثمان وأربعين سنة فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

ولما أفضت الخلافة الى المعتمد على الله استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان ثم استوزر الحسن ابن مخلد ثم صارت الوزارة الى سليمان بن وهب ثم صارت الى صاعد وخلع المعتمد على أخيه أبى

أحمد الموفق وعلى مفلح يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة ثمان وخمسين ومائتين وأشخصهما الى البصرة لمحاربة صاحب الزنج فأوقع مفلح التركى بصاحب الزنج يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين ومائتين فأصاب مفلحا سهم فى صدغه فأصبح يوم الاربعاء ميتا وحمل الى سامرا فدفن بها وانصرف أبو أحمد عن محاربة صاحب الزنج (وفى سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد) الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام فى خلافة المعتمد وهو ابن تسع وعشرين سنة وهو أبو المهدى المنتظر والامام الثانى عشر عند القطيعة من الامامية وهم جمهور الشيعة وقد تنازع هؤلاء فى المنتظر من آل النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاة الحسن بن على عشرين فرقة وقد ذكرنا حجاج كل طائفة منهم لما أحبته نفسها واختارته لمذهبها فى كتابنا المترجم بسر الحياة وفى كتاب المقالات فى أصول الديانات وما ذهبوا اليه من الغيبة وغير ذلك (وقد كان المهتدى) سير بفتيحة أم المعتز وعبد الله بن المعتز واسمعيل بن المتوكل وطلحة بن المتوكل وعبد الوهاب بن المنتصر الى مكة فلما أفضت الخلافة الى المعتمد بعث بحملهم الى سامرا * وفى سنة اثنتين وستين ومائتين كان مسير يعقوب بن الليث الصفار نحو العراق فى جيوش عظيمة فلما نزل دير العاقول على شاطئ دجلة بين واسط وبغداد وقد أتينا فى كتابنا فى اخبار الزمان على بدو خبر يعقوب بن الليث ببلاد سجستان وكونه فى حال صغره صفارا وخروجه مع مطوعة سجستان الى حرب الشراة واتصاله بدرهم بن نصر وخبر شاروق مدينة الشراة مما يلى بلاد سجستان المعروفة باوق وترقى الامر بيعقوب الى أن كان من أمره ودخوله بلاد زياستان وهى بلاد فيروز بن كبك ابن زياستان وما كان من أمره مع زميل ملك السند على جسر نسط ودخوله بلاد هراة ثم بلخ واعماله الحيلة الى أن دخل بلاد نيسابور وقبضه على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم دخوله الى بلاد طبرستان ومواقعته الحسن بن زيد الحسينى مع ما قدمنا قبل وصفنا من خبر حمزة بن أدرك الخارجى وما كان من أمره فى أيام عبد الله بن طاهر واليه تضاف الحمزية من الخوارج وانتهينا باخبار يعقوب بن الليث من بدئه الى غايته ووفاته ببلاد جنداسابور من كور الاهواز فلما نزل يعقوب بن الليث دير العاقول خرج المعتمد فعسكر يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين فى الموضع المعروف بالقائم بسامرا واستخلف ابنه المفوض ووصل المعتمد الى سيب بنى كرمان يوم الخميس لخمس خلون من رجب من هذه السنة فواقع الصفار يوم الاحد لتسع خلون من رجب من السنة فى الموضع المعروف باصطربند بين السيب ودير العاقول فهزم الصفار واستباح عسكره وأخذ من أصحابه نحو عشرة آلاف رأس من الدواب وذلك أنه فجر عليه النهر المعروف بالسيب فغشى الماء الصحراء وعلم الصفار أن الحيلة قد توجهت عليه وقد كان حمل على أصحاب السلطان فى ذلك اليوم بضع عشرة حملة وغرق ابراهيم ابن سيما وقتل بيده خلقا كثيرا وطعن محمد بن أوتامش التركى وكان يتوهم أنه خادم وقال لاصحابه ما رأيت فى عسكرهم مثل هذا الخادم وقد كان الصفار فى هذا اليوم قصد الميمنة وكان عليها موسى بن بغا وقتل خلقا كثيرا من الناس منهم المغربى المعروف بالمبرقع ونجا الصفار بنفسه والخواص من أوليائه واتبعه جيش المعتمد وأهل القرى والسواد فغنم الاكثر من ماله وعدده

واستنقذ

واستنقذ محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر وكان مقيدا كان أسره من نيسابور على ما قدمناه ومعه الحسن بن قريش وأتى الموفق وكان فى القلب محمد بن طاهر ففك قيوده وخلع عليه ورده الى مرتبته وقيل ان السبب كان فى هزيمة الصفار فى ذلك اليوم مع ماذكرنا من فجر النهر وانتظام الخيول فيه أن بصيرا الديلمى مولى سعيد بن صالح الحاجب كان فى الشذوات فى بطن دجلة فوافى مؤخر عسكر الصفار وسواده فخرج من الشذوات فطرح النار فى الابل والبغال والخيول وكان فى عسكره خمسة آلاف جمل بختى من جروغيرها فتفرقت الابل فى العسكر وشردت البغال والخيل واضطرب الناس فى مصاف الصفار لما سمعوه ورأوه فى عسكره وسواده من ورائهم فكانت الهزيمة على الصفار بما ذكرنا ويقال ان يعقوب بن الليث قال فى سفرته هذه أبياتا وفى مسيره وأنه خرج منكرا على المعتمد ومن معه من الموالى اضاعتهم الدين واهمالهم أمر صاحب الزنج فقال

خراسان أحويها وأعمال فارس * وما أنا من ملك العراق بآيس
اذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت * ورثت فصارت كالرسوم الدوارس
خرجت بعون الله يمنا ونصرة * وصاحب رايات الهدى غير حارس

(وكانت وفاة الصفار) يوم الثلاثاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وستين ومائتين على ماذكرنا بجنداسابور (وخلف فى بيت ماله) خمسين ألف ألف درهم وثمانمائة ألف ألف دينار وخلفه أخوه عمرو بن الليث مكانه (وكانت سياسة يعقوب بن الليث) لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك من الامم الغابرة من الفرس وغيرهم ممن سلف وخلف وحسن انقيادهم لامره واستقامتهم على طاعته لما كان قد شملهم من احسانه وغمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيبته فما ذكر من ظهور طاعتهم له انه كان بأرض فارس وقد أباح الناس أن يرتعوا ثم حدث أمر أراد النقلة والرحيل من تلك الكورة فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع وانه رؤى رجل من أصحابه قد أسرع الى دابته والحشيش فى فيها فأخرجه من فيها مخافة أن تلوكه بعد سماعه النداء وأقبل على الدابة مخاطبا لها فقال بالفارسية أمير المؤمنين دو برا أزتر بريدند وتفسير ذلك اقطعوا الدواب عن الرطبة وأنه رؤى فى عسكره فى ذلك الوقت رجل من قواده ذو مرتبة والدرع الحديد على بدنه لاثوب بينه وبين بشرته فقيل له فى ذلك فقال نادى منادى الامير البسوا السلاح وكنت أغتسل من جنابة فلم يسعنى التشاغل بلبس الثياب عن السلاح وكان الرجل اذا أتاه راغبا فى خدمته مؤثرا للانقطاع اليه تفرس فيه فاذا أعجبه منظره امتحن خبره واستبرما عنده من رمى أو طعان أو غير ذلك من ثقافة فاذا رأى منه ما يعجبه سأله عن خبره وحاله ومن أين أقبل ومع من كان فاذا وافقه ما سمعه منه قال له أصدقنى عما معك من المال والمتاع والسلاح فيقف على جميع ما معه ثم يبعث أمناء قد رتبوا لذلك فيبيعون جميع ذلك ويجعلونه عينا أوورقا ويدفع اليه ويثبت فى الديوان ثم يزيح علته فى اللباس والسلاح والمأكل والمشرب والدواب والبغال والحمير من اصطبله حتى لا يفقد الرجل جميع ما يحتاج اليه من أمره على قدر مكانه ومرتبته فان نقم عليه بعد ذلك مذهبه ولم يرض اختياره سلبه جميع ما أنعم به عليه حتى يخرج من عسكره نحو ما دخل اليه محتملا بما معه من ذلك العين والورق

قوله وثمانمائة ألف ألف فى بعض النسخ وثمانية آلاف ألف اه

الا أن يكون ذلك الرجل معتضدا فيصير له فضل من أرزاقه فلا يمنعه ما كان له من متقدم ماله
وكان جميع دوابه ملكا له وان اعلافها من قبله ولها سياسة ووكلاء يقومون بأمرها الا خصوص
دوابهم التي تكون عندهم الان ملكها له واتخذ لنفسه عريشا من خشب يشبه السرير حيثما
توجه من مسيره فيكثر الجلوس عليه ويشرف منه على أهل عسكره وعلى قضيم دوابه ويؤمن
الخلل من وكلائه فاذا رأى شيأ يكرهه بادر بتغييره (وقد كان انتخب من أصحابه ألف رجل) على
اختيار لهم والغنى الظاهر منهم والنكاية في حروبهم فجعلهم أصحاب الاعمدة الذهب كل عمود
منها فيه ألف مثقال من الذهب ثم يليهم في الباس والغنى فوج ثان أصحاب الاعمدة الفضة
فاذا كان في الاعياد أو في الايام التي يحتاج فيها الى مباهاة الاعداء والاحتفال دفع اليهم تلك
الاعمدة وانما ضربت هذه الاعمدة عدة للنوائب (وسئل بعض ثقاته) ممن ينظر حاله عن اشغاله
في خلواته وعن مجالسته مع أهل بطانته وهل يسير مع أحد أو يجالسه فذكر أنه لا يطلع أحدا
على سره ولا يعرف أحدا بتدبيره وعزمه وأكثر نهاره خاليا بنفسه يفكر فيما يريده ويظهر غير
ما يضمره ولا يشرك أحدا فيما يريده برأي ولا غيره وأن تفرجه واشتغاله بغلمان صغار يتخذهم
ويؤدبهم ويخرجهم ويدعوهم ويدفع لهم ما قد عمله لهم من السيور يتضاربون بها بين يديه ففي
هذا أكثر شغله اذا فرغ من تدبيره (ولما واقع الصفار الحسن بن زيد الحسني بطبرستان) وذلك
في سنة ستين ومائتين وقيل سنة تسع وخمسين ومائتين وانكشف الحسن بن زيد وأمعن يعقوب
في الطلب وكانت معه رسل السلطان قد قصدوه بكتب ورسالة من المعتمد وهم راجعون في طلب
الحسن بن زيد قال له بعضهم لما رأى من طاعة رجاله وما كان منهم في تلك الحرب ما رأيت
أيها الامير كاليوم قال له الصفار وأعجب منه ما أريك اياه ثم قربوا من الموضع الذي كان فيه
عسكر الحسن بن زيد فوجدوا البدر والكراع والسلاح والعدد وجميع ما خلف في العسكر
حين الهزيمة على حاله لم يلتبس أحد من أصحابه منه بشيء ولا دنوا اليه معسكرين بالقرب منه من
حيث يرونه بالموضع الذي خلفهم فيه الصفار فقال له الرسول هذه سياسة ورياضة راضهم
الامير بها الى أن تأتى له منهم ما أراده وكان لا يجلس الا على قطعة مسح يشبه أن يكون طوله سبعة
أشبار في عرض ذراعين أو أربع والى جانبه ترسه وعليه اتكاؤه وليس في مضربه شيء غيره فاذا
أراد أن ينام من ليله أو نهاره اضطجع على ترسه ونزع رايته فيجعلها مخدته وأكثر لباسه شمشتان
مصبوغ فاختي (وكان من سنته) للقواد والرؤساء والعظماء عنده مراتب في الدخول بباب
مضربه بحيث تقع عينه عليهم ويرى مداخلهم فيمرون مع أطناب الشقاق الى خيمة مضروبة
بحيث لا يرى هو موضعها لكنه يرى مداخلهم اليها ومخرجهم منها فمن احتاج اليه منهم واحتاج
الى كلامه أو أمره أو نهيه دعاه فأمره وكان دخولهم بحيث يقع نظره عليهم عوضا من السلام
عليه ولم يكن لاحد أن يتقدم الى باب مجلسه الا رجل من خواصه يعرف بالعزيز ونذرته وله من
وراء خيمته خيمة تقرب من أطناب مجلسه فيها غلمان من خواصه فاذا احتاج الى أمر يأمر به
صاح بهم فخرجوا اليه والا فهو في أكثر نهاره وليله في ذلك الموضع لا يقفون على رأسه وخيمته
من داخل أخبية مطنبة كلها بلبود وفيها خمسمائة غلام يبيتون من داخل مضربه على كل عشرة نفس
منهم ثقة قد وكل بتفقد أحواله لئلا يكون منهم عبث أو فساد فهو المأخوذ به ويذبح له في كل يوم

عشرون شاة فتطبخ فى خمس قدور من الصفر الكبار وله قدور حجارة يتخذ له فيها بعض ما يشتهيه وله أوزة فى كل يوم وخبيصة وفالوذج مع القدور الخمس وهى ألوان غليظة فيأكل منها ويفرق الباقى فى الغلمان الذين فى داخل مضربه ثم أهل عسكره حول مضربه وقربهم منه على حسب مراتبهم عنده (وقال بعض من ورد اليه) برسالة السلطان أيها الامير أنت فى رياستك ومجلسك ليس فى خيمتك الا سلاحك ومسح أنت عليه قال ان رئيس القوم يأتم به أصحابه فى أفعاله وسيرته فلو استعملت ما ذكرت من الآلات لاثقلنا البهائم ولا ئتم بى فى فعلى من فى عسكرى ونحن نقطع فى كل يوم المهامه والمفاوز والاودية والقيعان ولا يصلح لنا الا التخفيف وكان قليل الاستعمال للبغال فى عسكره وكان فى عسكره خمسة آلاف جمل بخت وأضعاف عددها حمير شهب كالبغال وهى الحمير المعروفة بالصفارية تحمل الاثقال عوضا من البغال وكان السبب فى ذلك أنه اذا نزل خليت الجمال والحمير للرعى وليس فى وسع البغال ذلك (قال المسعودى) وليعقوب بن الليث الصفار وعمرو بن الليث أخيه سير وسياسات عجيبة وحيل ومكايد فى الحروب قد أتينا على ذكرها وما انتظم لنا فى وصفها فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب منها المعالم نعرض لذكرها فيما سلف من كتبنا (وفى سنة أربع وستين ومائتين) وذلك فى خلافة المعتمد كانت وفاة موسى بن بغا وفيه يقول بعض الشعراء وكان قد امتدحه فلم يصله بشئ

مات موسى فهان ذاك علينا * لم يضرنى اذ قيل قد مات شيا
وكذا لا يضرنى موت من لم * يسد خيرا الى اذ كان حيا

(وفى هذه السنة) وهى سنة أربع وستين ومائتين مات أبو ابراهيم اسمعيل بن يحيى المزنى صاحب المختصر من علم محمد بن ادريس الشافعى يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الاول من هذه السنة بمصر (وفيها) مات أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ابن أخى عبد الله بن وهب وهو صاحب مالك بن أنس وقد روى عن عمه عبد الله بن وهب عن مالك (وفيها) مات يونس بن عبد الاعلى الصدفى بمصر وهو ابن اثنتين وتسعين سنة (وفيها) مات أبو خالد يزيد بن سنان بمصر وصلى عليه بكار بن قتيبة القاضى (وشخص الموفق) لمحاربة صاحب الزنج فى صفر سنة سبع وستين ومائتين وقدم الموفق ابنه أبا العباس فى ربيع الآخر الى سوق الخميس وقد كان الشعرانى صاحب العلوى قد تحصن بها فى جمع كثير من الزنج ففتح هذا الموضع وغنم جميع ما كان فيه وفتح مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق الى الاهواز فأصلح ما أفسده الزنج ثم عاد الى البصرة فلم يزل منازلا لصاحب الزنج حتى قتل فكانت مدة أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى ويحرق ويخرب وقد كان أتى بالبصرة فى وقعة واحدة على قتل ثلثمائة ألف من الناس (وقد كان المهلبى) من علية أصحاب على بن محمد بعد هذه الوقعة بالبصرة فنصب منبرا بالموضع المعروف بمقبرة بنى يشكر وكان يصلى يوم الجمعة بالناس ويخطب على ذلك المنبر لعلى بن محمد ويترحم بعد ذلك على أبى بكر وعمر ولا يذكر عثمان ولا عليا فى خطبته ويلعن جبابرة بنى العباس وأبا موسى الاشعرى وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان على ما قدمنا من قوله فى هذا الكتاب وأنه كان يذهب الى رأى الازارقة من الخوارج ولما ركن من بقى بالبصرة الى هذا الفعل من المهلبى فاجتمعوا فى بعض الجمع فوضع فيهم السيف

وفاة المزنى صاحب الشافعى ووفاة أحمد بن عبد الرحمن صاحب مالك ووفاة يونس بن عبد الاعلى

فمن ناج سالم ومن مقتول ومن غريق واختفى كثير من الناس فى الدور والآبار فكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها والفيران والسنانير فأفنوها حتى لم يقدروا منها على شئ فكانوا اذا مات منهم الواحد أكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب (وذكر) عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة تنازع ومعها أختها وقد احتوشوها ينظرون أن تموت فيأكلون لحمها قالت المرأة فما ماتت حتى ابتدرناها فقطعناها وأكلناها ولقد حضرت أختها وقد جاءت على النهر وهى تبكى ومعها رأس أختها فقيل لها ويحك مالك تبكين قالت اجتمعوا على أختى فما تركوها حتى تموت موتا حسنا حتى قطعوها فظلمونى فلم يعطونى من لحمها شيأ الا رأسها هذا وهى تشتكى ظلمهم لها فى أختها ومثل هذا كثير وأعظم مما وصفنا (وبلغ) من أمر عسكره أنه كان ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة وينادى عليها بنسبها هذه ابنة فلان الفلانى لكل زنجى منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف ولقد استغاثت الى على بن محمد امرأة من ولد الحسن بن على بن أبى طالب كانت عند بعض الزنج وسألته أن ينقلها منه الى غيره من الزنج أو يعتقها مما هى فيه فقال هو مولاك وأولى بك من غيره (وقد تكلم) الناس فى مقدار ما قتل فى هذه السنين من الناس فمكثر ومقلل فأما المكثر فانه يقول أفنى من الناس مالا يدركه العد ولا يقع عليه الاحصاء ولا يعلم ذلك الا عالم الغيب فيما افتتح من هذه الامصار والبلدان والضياع وأباد أهلها والمقلل يقول أفنى من الناس خمسمائة ألف ألف وكلا الفريقين يقول فى ذلك ظنا وحدسا اذ كان شيأ لا يدرك ولا يضبط (وكان مقتله) ما بيناه آنفا سنة سبعين ومائتين وذلك فى خلافة المعتمد (وقد كان الموفق) بعد ذلك وجه بصاعد بن مخلد فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين الى حرب الصفار فأمره على من معه من الجيوش وشيعه الموفق فلما صار الى بلاد فارس تجبر واشتد سلطانه وانصرف من المدائن فى بعض الايام فاحتجم فى حفة وأذنه عليه ونمى ذلك الى الموفق وما هو عليه من التجبر فقال فى ذلك أبو محمد عبد الله بن الحسن بن سعيد القطربلى الكاتب فى قصيدة طويلة اقتصرنا منها على ما نذكره وهو

بكتم لما ظعن * ودان بدين العجم
وأصبح فى حفة * وفى اذنة محتجم

فأشخصه الموفق الى واسط فكان مدة مقامه فى الوزارة سبع سنين الى أن قبض عليه وعلى أخيه عبدون النصرانى وماتت جارية لصاعد بعد حبسه وكانت الغالبة على أمره وكان يقال لها جعفر وماتت بعدها بأيام أم الموفق ففى ذلك يقول عبد الله بن الحسين بن سعيد من أبيات له

أخذت جعفر برأس القطار * ثم قالت آذنتكم بالبوار
فأجابت أم الامير وقالت * قد أتينالك أول الزوار
وسيأتيك صاعد عن قريب * كتبه للتلاقى والاشكدار

وأحصى ما وجد لصاعد من الرقيق والمتاع والكسوة والسلاح والآلات فى خاصة نفسه دون ما وجد لاخيه عبدون فكان مبلغه ثلثمائة ألف دينار وكان مبلغ غلاته فى سائر ضياعه

وفاة ابن وهب الكاتب ووفاة أحمد بن طولون

ألف ألف وثلثمائة ألف (ومات صاعد) فى الحبس وذلك فى سنة ست وسبعين ومائتين (وفى سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة أبى سليمان بن وهب الكاتب وأحمد بن طولون وذلك بمصر يوم السبت لعشر خلون من ذى القعدة من سنة سبعين ومائتين وله خمس وستون سنة (وكانت) ولاية أحمد بن طولون سبع عشرة سنة وكان ابن المظفر بصاحب الزنج ومرض أحمد بن طولون عشرة أشهر ولما يئس أحمد بن طولون من نفسه بايع لابنه أبى الجيش بالامر من بعده فلما توفى جدد أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون العهد لنفسه (ووجه الموفق) ابنه أبا العباس لمحاربة أبى الجيش خمارويه فى سنة احدى وسبعين ومائتين فكانت الوقعة بينهما بالطواحين من أعمال فلسطين يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من شوال من هذه السنة فكانت الهزيمة على أبى الجيش واحتوى أبو العباس على جميع عسكره وأفلت أبو الجيش فى جماعة من قواده حتى أتى الفسطاط وتخلف غلامه سعيد الاعشر فواقع أبا العباس فهزمه واستباح عسكره وقتل رؤساء قواده وجلة أصحابه ومضى أبو العباس لا يلوى على شئ حتى أتى العراق وقلد أبو الجيش أمر وزارته على بن أحمد المادرانى وأبو بكر محمد بن على بن أحمد المادرانى هو المعتقل فى يد الاخشيد أحمد بن طغج فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان على وزارته بمصر هو وولده الحسن بن محمد فلما استوزر الاخشيد أبا الحسن على بن خلف بن طباب وانفصل من دمشق الى الفسطاط قبض عليه وعلى أخيه ابراهيم بن خلف واستوزر أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب (وفى سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة الربيع بن سليمان المرادى المؤذن صاحب محمد بن ادريس الشافعى والراوى لاكثر كتبه عنه بمصر وأخبرنا أبو عبد الله الحسن بن مروان المصرى وغيره عن الربيع بن سليمان قال استعار الشافعى من محمد بن الحسن الكوفى شيأ من كتبه فلم يبعث بها اليه فكتب اليه الشافعى

وفاة الربيع صاحب الشافعى رضى الله عنهم

يا قل لمن لم تر عيـ	ـن من رآه مثله
من كان من قد رآه	ماقد رأى من قبله
ومن كلا مناله	حيث عقلنا عقله
لان ما يجنه	فاق الكمال كله
العلم ينهى أهله	أن يمنعوه أهله
لعـله يبذله	لاهله لعـله

فبعث اليه محمد بن الحسن بأكثر كتبه التى سأل عنها (وبايع المعتمد) لابنه جعفر وسماه المفوض الى الله وقد كان المعتمد آثر اللذة وغلب الملاهى وغلب أخوه أبو أحمد الموفق على الامور برها ثم حصر على المعتمد وحبسه فكان أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به فم الصلح وقد كان قبل ذلك هرب وصار الى حديثة الموصل فبعث الموفق بصاعد الى سامرا وكتب الى اسحق بن كنداج فرده من الموصل (وفى سنة) أربع وستين ومائتين كان خروج أحمد بن طولون من مصر مظهر للغزو فى عساكر كثيرة وخلق من المطوعة قد انجذبوا معه من مصر وفلسطين فقبل وصوله الى دمشق مات ماجور التركى وقد كان عليها فدخلها أحمد واحتوى على جميع تركته من الخزائن وغيرها وسار منها الى حمص وسار منها الى بلاد انطاكية ووصلت مقدمته الى الاسكندرية من شطئ

بحر الروم ووصل هو الى الموضع المعروف سفواس من جبل الاكام وقد تقدمته المطوعة والغزاة الى الثغر الشامى ثم عطف هو راجعا من غير أن يكون تقدم الى الناس معرفة ذلك منه حتى نزل مدينة انطاكية وفيها ابو مثذ سيما الطويل فى عدة منيعة من الاتراك وغيرهم وقد قدمنا فيما تقدم من هذا الكتاب الخبر عن كيفية بناء انطاكية وقصة سورها والملك البانى لها وصفة سورها فى السهل والجبل وقد كان قبل نزول أحمد بن طولون على انطاكية وقع بين سيما وبين أحمد المؤيد حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم من أرض الشأم وكان سيما الطويل قد عم أذاه أهلها من قتل وأخذ مال وكان نزول ابن طولون على باب من أبوابها يعرف بباب البحر وقد كان لؤلؤ بعد ذلك انحدر الى السلطان مستأمنا فأتى الموفق وهو منازل لصاحب الزنج فكان من أمره وقتل صاحب الزنج ما قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من وقوع المشاجرة بين أصحاب لؤلؤ وأصحاب الموفق كما قدمنا أيهم القاتل لصاحب الزنج وكادت الحال أن تفرج بينهم فى ذلك اليوم حتى قيل فى عسكر الموفق

كيفما شئتم فقولوا * انما الفتح للؤلؤ

فكان ابن طولون على انطاكية فى آخر سنة أربع وستين ومائتين وكان افتتاحه اياها فى سنة خمس وستين ومائتين بالحيلة من داخلها من بعض أهلها بالليل وقد أخذوا بجراسهم سورها فتحدر بعضهم مما يلى الجبل وباب فارس فأتى ابن طولون وقد يئس من فتحها لمنعها وحصانة سورها فوعدوه فتحها فضم اليه عدة من رجاله فتسلقوا من حيث نزلوا واستعد هو فى عسكره وأخذ أهبته وسيما فى داره فما انفرج عمود الصبح الا والطولونية قد كبروا على سورها ونزلوا منحدرين اليها وارتفع الصوت وكثر الضجيج وركب سيما فيمن يسرع معه من خواصه فأرسلت عليه امرأة من أعالى سطح حجرا فأتت عليه وأخذ بعض من عرفه رأسه فأتى به ابن طولون وقد دخل من باب فارس ونزل على عين هنالك ومعه الحسين بن عبد الرحمن القاضى المعروف بابن الصابونى الانطاكى الحنفى فعاث أصحاب ابن طولون ساعة بانطاكية وشمل الناس أذاهم ثم رفع ذلك لساعتين من النهار وارتحل ابن طولون يؤم الثغر الشامى فأتى المصيصة واذنة وامتنع منه أهل طرسوس وفيها مازنار الخادم فلم يكن له فى فتحها حيلة فرجع عنها وقد أراد الغزو على ما قيل والله أعلم لامر بلغه أن العباس ولده قد عصى عليه وفزع أن يحال بينه وبين مصر فحث فى السير ودخل الفسطاط ولحق العباس ببرقة من بلاد المغرب خوفا من أبيه وقد حمل معه ما أمكنه حمله من الخزائن والاموال والعدد وقد أتينا على ما جرى بين أحمد بن طولون وولده العباس من المراسلات فى كتابنا أخبار الزمان وكانت وفاة مازنار الخادم فى أرض النصرانية غازيا فى جيش الاسلام تحت الحصن المعروف بكوكب وكان مولى للفتح بن خاقان فحمل الى طرسوس فدفن بباب الجهاد وذلك للنصف من رجب سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان معه فى تلك الغزاة من أمراء السلطان المعروف بالعجيفى وابن أبى عيسى وكان على امرة طرسوس وكان مازنار فى نهاية البلاغة فى الجهاد فى البر والبحر وكان معه رجال من البحريين لم ير مثلهم ولا أشد منهم وكان له فى العدو نكاية عظيمة وكان العدو يهابه وتفزع منه النصرانية فى حصونها ولم ير فى الثغور الشامية والحرورية بعد عمر بن عبد العزيز بن مروان الاقطع صاحب ملطية

وفاة عمرو بن عبيد الله الاقطع ووفاة على ابن يحيى الارمنى

وعلى بن يحيى الارمنى صاحب الثغور الشامية أشد اقداما على الروم من مازنار الخادم (وكانت) وفاة عمرو بن عبيد الله الاقطع وعلى بن يحيى الارمنى فى سنة واحدة استشهدا جميعا وذلك فى سنة تسع وأربعين ومائتين فى خلافة المستعين بالله وقد كان عمرو بن عبيد الله غازيا فى تلك السنة فى المطلبيين فلقى ملك الروم فى خمسين ألفا فصبر الفريقان جميعا فاستشهد عمرو بن عبيد الله ومن كان معه من المسلمين الا اليسير وذلك يوم الجمعة للنصف من رجب من هذه السنة وقد كان على بن يحيى الارمنى انصرف عن الثغر الشامى وولى أرمينية ثم صرف عنها فلما صار الى بلاد ميافارقين من ديار بكر عدل الى ضياع له هنالك ووقع النفير فخرج مسرعا وقد أغارت جيوش الروم فقتل على بن يحيى مقدار أربعمائة نفس والروم لا تعلم أنه على بن يحيى الارمنى (وأخبرنى) بعض الروم ممن كان قد أسلم وحسن اسلامه أن الروم صورت عشرة أنفس فى بعض كنائسها من أهل البأس والنجدة والمكايد فى النصرانية والحيلة من المسلمين منهم الرجل الذى بعث به معاوية حين احتال على البطريق فأسره من القسطنطينية فأقاد منه بالضرب ورده الى القسطنطينية وعبد الله البطال وعمرو بن عبيد الله وعلى بن يحيى الارمنى والعربل بن بكار واحمد بن أبى قطيعة وقرماس السلقانى صاحب مدينة ابريق وهى اليوم للروم وكان بطريق البيالقة وكانت وفاته فى سنة تسع وأربعين ومائتين وحرس حارس أخت قرماس ومازنار الخادم فى موكبه والرجال حوله وأبو القاسم بن عبد الباقى وقد أتينا على وصف مذهب البيالقة واعتقاداتهم وهو مذهب بين النصرانية والمجوسية وقد دخلوا فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى جملة الروم وقد فسرنا خبرهم فى كتابنا أخبار الزمان (فأما خبر معاوية) وما ذكرنا من خبر الرجل الذى أسر البطريق من مدينة القسطنطينية فهو أن المسلمين غزوا فى أيام معاوية فأسر جماعة منهم فأوقفوا بين يدى الملك فتكلم بعض أسارى المسلمين فدنا منه بعض البطارقة ممن كان واقفا بين يدى الملك فلطم حر وجهه فآلمه وكان رجلا من قريش فصاح واإسلاماه أين أنت عنا يا معاوية اذ أهملتنا وضيعت ثغورنا وحكمت العدو فى ديارنا ودمائنا وأعراضنا فنمى الخبر الى معاوية فآلمه وامتنع من لذيذ الطعام والشراب وخلا بنفسه وامتنع من الناس ولم يظهر ذلك لاحد من المخلوقين ثم أجمل الامر فى اعمال الحيلة باقامة الفداء للمسلمين فلما صار الرجل الى دار الاسلام دعاه معاوية فبره وأحسن اليه ثم قال له لم نهملك ولم نضيعك ولا أبحنا دمك وعرضك ومعاوية مع ذلك يجيل الرأى ويعمل الحيلة ثم بعث الى رجل من ساحل دمشق من مدينة صور وكان به عارفا كثير الغزوات فى البحر مبل من الرجال مرطان بالروسية فأحضره وخلا به وأخبره بما قد عزم عليه وسأله اعمال الحيلة فيه والتأنى له فتوافقا على أن يدفع للرجل مالا عظيما يبتاع به أنواعا من الطرف والملح والجهاز والطيب والجوهر وغير ذلك وابتنى له مركب لا يلحق فى جريه سرعة ولا يدرك فى مسيره بنيانا عجيبا فسار الرجل حتى أتى مدينة قبرس فاتصل برئيسها وأخبره أن معه جارية للملك وأنه يريد التجارة الى القسطنطينية قاصدا الى الملك وخواصه بذلك فروسل الملك بذلك واعلم بحال الرجل فأذن له فى الدخول فدخل خليج القسطنطينية وسار فيه حتى انتهى الى القسطنطينية وقد أتينا على مقدار مسافة هذا الخليج واتصاله بالبحر الرومى وبحر مانطس عند ذكرنا البحار فيما سلف من هذا

الكتاب فلما وصل الى القسطنطينية أهدى للملك وجميع بطارقته وبايعهم وشاراهم ولم يعط للبطريق الذى لطم وجه القرشى شيأ وقصده الى ذلك البطريق الذى لطم الرجل القرشى وتأنى الصورى فى الامر على حسب مارسمه معاوية وأقبل الرجل من القسطنطينية الى الشأم وقد أمره البطارقة والملك بابتياع حوائج ذكروها وأنواع من الامتعة وصفوها فلما صار الى الشام سار الى معاوية سرا وذكر له من الامر ما جرى فابتيع له جميع ماطلب منه وماعلم أن رغبتهم فيه وتقدم اليه فقال ان ذلك البطريق اذا عدت الى كرتك هذه سيعذلك عن تخلفك عن بره واستهانتك به فاعتذر اليه ولاطفه بالتقصد والهدايا واجعله القيم بأمرك والمتفقد لاحوالك وانظر ماذا يطلب منك حين أوبك الى الشأم فان نزلتك ستعلو وأحوالك تزداد عندهم فاذا أتقنت جميع ما أمرتك به وعلمت غرض البطريق منك وأى شئ يأمرك بابتياعه لتكون الحيلة بحسب ذلك فلما رجع الصورى الى القسطنطينية ومعه جميع ماطلب منه والزيادة على مالم يطلب منه زادت منزلته وارتفعت أحواله عند الملك والبطارقة وسائر الحاشية فلما كان فى بعض الايام وهو يريد الدخول الى الملك قبض عليه ذلك البطريق فى دار الملك وقال له ماذنبى اليك وعماذا استحق غيرى أن تقصده وتقضى حوائجه وتعرض عنى فقال له الصورى أكثر من ذكرت ابتدانى وأنا غريب أدخل الى هذا الملك والبلد كالمتنكر من أسارى المسلمين وجواسيسهم لئلا ينموا بخبرى ويعنوا بأمرى الى المسلمين فيكون فى ذلك فقدى واذ قد علمت ميلك الى فلست أحب أن يعتنى أمرى سواك ولا يقوم به عند الملك وغيره غيرك فأمرنى بجميع حوائجك وجميع مايعرض من أمورك بارض الاسلام وأهدى الى البطريق هدية حسنة من الزجاج المخروط والطيب والجواهر والطرائف والثياب ولم يزل هذا فعله يتردد من الروم الى معاوية ومن معاوية الى الروم ويسأل الملك والبطريق وغيره الحوائج والحيلة لاتتوجه لمعاوية حتى مضى على ذلك سنين فلما كان فى بعضها قال البطريق للصورى وقد أراد الخروج الى دار الاسلام قد اشتهيت أن تغمرنى بقضاء حاجة وتمن بها على أن تبتاع لى بساطا سوسنجرى بمخاده ووسائده يكون فيه من أنواع الالوان من الحمرة والزرقة وغيرهما ويكون من صفته كذا وكذا ولو بلغ ثمنه كل مبلغ فأنعم له بذلك وكان من شأن الصورى اذا ورد الى القسطنطينية تكون مركبه بالقرب من موضع ذلك البطريق وللبطريق ضيعة سرية وفيها قصر مشيد ومنتزه حسن على أميال من القسطنطينية راكبة على الخليج وكان البطريق أكثر أوقاته فى ذلك المنتزه وكانت الضيعة مما يلى فم الخليج مما يلى بحر الروم والقسطنطينية فانصرف الصورى الى معاوية سرا وأخبره بالحال فأحضر معاوية بساطا بوسائد ومخاد ومجلس فانصرف به الصورى مع جميع ماطلب منه من دار الاسلام وقد تقدم اليه معاوية بالحيلة وكيفية ايقاعها وكان الصورى فيما وصفنا من هذه المدة قد صار كأحدهم فى المؤانسة وفى العشرة وفى الروم طمع وشره فلما دخل من البحر الى خليج القسطنطينية وقد طابت له الريح وقد قرب من ضيعة البطريق أخذ الصورى خبر البطريق من أصحاب القوارب والمراكب فأخبر أن البطريق فى ضيعته وذلك أن الخليج طوله نحو من ثلثمائة ميل وخمسين ميلا بين هذين البحرين وهما الرومى ومانطس على حسب ماقدمنا فيما سلف من

هذا

هذا الكتاب والضياع والعمائر على هذا الخليج من حافتيه والمراكب تختلف والقوارب
بأنواع المتاع والاقوات الى القسطنطينية وهذه المراكب لا تحصى فى هذا الخليج كثرة فلما
علم الصورى ان البطريق فى ضيعته فرش ذلك البساط ونضد ذلك الصدر والمجالس
بالوسائد والمجاذف فى صحن المركب ومجلسه والرجال تحت المجلس بأيديهم المجاذف مشكلة قائمة
غير قاذفين بها ولا يعلم بهم أنهم فى بطن المركب الا من ظهر منهم فى المركب يعمله والريح
فى القلع والمركب مار فى الخليج كأنه سهم قد خرج من كبد قوس لا يستطيع القائم على الشط
أن يملأ بصره منه لسرعة سيره واستقامته فى جريه فأشرف على قصر البطريق وهو جالس فى
مستشرفه مع حرمه وقد أخذت منه الخمر وعلاه الطرب وذهب به الفرح والسرور فلما رأى
البطريق مركب الصورى غنى طربا وصاح فرحا وسرورا وابتهاجا بقدومه فدنا من
أسفل القصر وحط القلع وأشرف البطريق على المركب فنظر الى ما فيه من حسن ذلك البساط
ونظم ذلك الفرش كأنه رياض تزهر فلم يستطع اللبث فى موضعه حتى نزل قبل أن يخرج
الصورى من مركبه اليه فطلع المركب فلما استقرت قدمه فى المركب ودنا من المجلس ضرب
الصورى بعقبه على من تحت البساط من الوقوف وكانت علامة بينه و بين الرجال الذين فى
بطن المركب فما استقر دقه بقدمه حتى اختطف المركب بالمجاذيف فاذا هو فى وسط البحر
لا يلوى على شئ وارتفع الصوت ولم يدر ما الخبر لمعاجلة الامر فلم يكن الليل حتى خرج من
الخليج وتوسط البحر وقد أوثق البطريق كتافا وطابت له الريح وأسعده الجد وجلة المجاذيف
فى ذلك الخليج فتعلق اليوم السابع بساحل الشأم ورأى البر وحمل الرجل فكانوا اليوم
الثالث عشر حضورا بين يدى معاوية بالفرح والسرور لاتلاججه بالامر وتمام الحيلة
وأيقن معاوية بالظفر وعلو الجد فقال على بالرجل القرشى فأتى به وقد حضره خواص الناس
فأخذوا مجالسهم وانغص المجلس بأهله فقال له معاوية انظر لا تتعدى ما جرى عليك
منه واقتص منه على حسب ما صنع بك ولا تتعدى وراع ما أوجب الله عليك من المماثلة
فلطمه القرشى لطمات ووكزه فى حلقه ثم انكب القرشى على يد معاوية وأطرافه يقبلها
وقال ما أضاع من سودك ولا خاب فيك أمل من أملك أنت ملك لا تضام تمنع حماك وتصون
رعيتك وأغرق فى دعائه ووصفه وأحسن معاوية الى البطريق وخلع عليه وبره وحمل معه
البساط وأضاف الى ذلك أمورا كثيرة وهدايا الى الملك وقال له ارجع الى ملكك وقل له
تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ويقتص لرعيته فى دار مملكتك وسلطانك وقال
للصورى سر معه حتى تأتى الخليج فتطرحه فيه ومن كان أسر معه ممن بادر فصعد المركب من
غلمان البطريق وخاصته فحملوا الى صور مكرمين وحملوا فى المركب فطابت لهم الريح فكانوا
فى اليوم الحادى عشر متعلقين ببلاد الروم وقربوا من فم الخليج واذا به قد أحكم بالسلاسل
والمنعة من الموكلين به فطرح البطريق ومن معه وانصرف الصورى راجعا وحمل البطريق من
ساعته الى الملك ومعه الهدايا والامتعة فتباشرت الروم بقدومه وتلقوه مهنين له من الاسر
فكافأ الملك معاوية على ما كان من فعله بالبطريق والهدايا فلم يكن يستضام أسير من المسلمين
فى أيامه وقال الملك هذا أمكر الملوك وأدهى العرب ولهذا قدمته العرب عليها فساس أمرها

والله لو همّ بأخذى لتمت له الحيلة على (وقد أتينا) على خبر معاوية فيما سلف من هذا الكتاب وأتينا على مبسوطه وأخبارا لوافدين والوفدات عليه من الامصار فيما سلف من كتبنا وان كنا قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من أخبار معاوية جملا وللملوك الروم وبطارقتها ممن سلف وخلف الى هذا الوقت أخبار حسان مع ملوك بنى أمية والخلفاء من بنى العباس فى المغازى والسرايا وغيرها وكذلك لاهل الثغور الشامية والجزرية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا وقدمنا فى هذا الكتاب جملا من أخبارهم ومقادير أعمارهم وأيامهم ولمعا من سيرهم وكذلك أخبرنا عن ملوك الامم وسيرهم (قال المسعودى) وكان المعتمد مشغوفا بالطرب والغالب عليه المعاقرة ومحبة أنواع اللهو والملاهى وذكر عبد الله بن خرداديه أنه دخل عليه ذات يوم وفى المجلس عدة من ندمائه من ذوى العقول والمعرفة والحجى فقال له أخبرنى عن أول من اتخذ العود قال ابن خرداديه قد قيل فى ذلك يا أمير المؤمنين أقاويل كثيرة أول من اتخذ اللهو لمك بن متوشلخ بن محويل ابن عاد بن خنوخ بن فاد بن آدم وذلك أنه كان له ابن يحبه حبا شديدا فمات فعلقه بشجرة فتقطعت أوصاله حتى بقى منه فخذه والساق والقدم والاصابع فأخذ خشبا فرققه وألصقه فجعل صدر العود كالفخذ وعنقه كالساق ورأسه كالقدم والملاوى كالاصابع والاوتار كالعروق ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود قال الجدونى

وناطق بلسان لاضمير له * كأنه فخذ نيطت الى قدمى

يبدى ضمير سواه فى الحديث كما * يبدى ضمير سواه منطق القدم

واتخذ موسك بن لمك الطبول والدفوف وعملت ضلال بنت لمك المعازف ثم اتخذ قوم الطنابير يستميلون بها الغلمان والاكراد نوعا مما يصفر به فكانت أغنامهم اذا تفرقت صفروا فاجتمعت ثم اتخذ الفرس الناى للعود والشانى للطبلوت والسريانى للطبل والسنج والصنج وكان غناء الفرس بالعيدان والصنوج وهى لهم ولهم النغم والايقاعات والمقاطع والطروق الملوكية وهى سبع طرق فأولها سكاف وهو أكثرها استعمالا لتفعل الانهار وهو أفصحها مقاطع وأمرسه وهو أجمعها لمحاسن النغم وأكثرها تصعدا وانحدارا وماداروسنان وهو أثقلها وسابكاد وهو المحبوب للارواح وسسم وهو المجلس المنقل وحوبران وهو الدرج الموقوف على نغمة وكان غناء أهل خراسان وما والاها بالزنج وعليها سبعة أوتار وايقاعه يشبه ايقاع الصنج وكان غناء أهل الرى وطبرستان والديلم بالطنابير وكانت الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاهى وكان غناء النبط والجرامقة بالعيروارات وايقاعها يشبه ايقاع الطنابير وقال قندروس الرومى جعلت الاوتار أربعة بازاء الطبائع فجعلت الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء المرة السوداء وللروم من الملاهى الاوعر وعليه ستة عشر وترا وله صوت بعيد المذهب وهو من صنعة اليونانيين والسلبان وله أربعة وعشرون وترا وتفسيره الغصون ولهم اللورا وهى الرباب وهى من خشب ولها خمسة أوتار ولهم القيثاوة ولها اثنا عشر وترا ولهم الصليج وهو من جلود العجاجيل وكل هذه معازف مختلفة الصنعة ولهم الارغين وهو منافخ من الجلود والحديد وللهند الكنكلة وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام

قوله وهى سبع ذكر ستا اه

العود والصنج قال وكان الحداء فى العرب قبل الغناء وقد كان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعير فى بعض أسفاره فانكسرت يده فجعل يقول يايداه يايداه وكان من أحسن الناس صوتا فاستوسقت الابل (١) وطاب لها السير فاتخذه العرب حداء برجز الشعر وجعلوا كلامه أول الحداء فمن قول الحادى

يا هاديا يا هاديا * ويا يداه يا يداه

فكان الحداء أول السماع والترجيع فى العرب ثم اشتق الغناء من الحداء ونوح نساء العرب على موتاها ولم تكن أمة من الامم بعد فارس والروم أولع بالملاهى والطرب من العرب وكان غناؤهم النصب ثلاثة أجناس الركبانى والسناد الثقيل والهزج الخفيف (وكان أول من غنى من العرب الجرادتان وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العليقى وكانت العرب تسمى القينة الكرينة (٢) والعود المزهر وكان غناء أهل اليمن بالمعازف وايقاعها جنسا من واحد وغناؤهم جنسان حنفى وحميرى والحنفى أحسنهما ولم تكن قريش تعرف من الغناء الا النصب حتى قدم النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى من العراق وافدا على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء عليه فقدم مكة فعلم أهلها فاتخذوا القينات (والغناء) يرق الذهن ويلين العريكة ويبهج النفس ويسرها ويشجع القلب ويسخى البخيل وهو مع النبيذ تعاون على الحزن الهادم للبدن ويحدثان له نشاطا ويفرجان الكرب والغناء على الانفراد يفعل ذلك وفضل الغناء على المنطق كفضل المنطق على الخرس والبرء على السقم وقد قال الشاعر

لا تبعثن على همومك اذ نوت * غير المدام ونغمة الأوتار

فلله در حكيم استنبطه وفيلسوف استخرجه أى غامض أظهر وأى مكنون كشف وعلى أى فن دل والى أى علم وفضيلة سبق فذلك نسيج وحده وقريع دهره (وقد كانت الملوك) تنام على الغناء ليسرى فى عروقها السرور وكانت ملوك الاعاجم لا تنام الا على غناء مطرب وهمهمة لذيذة والعربية لا تنوم ولدها وهو يبكى خوف أن يسرى الهم فى جسده ويدب فى عروقه ولكنها تنازعه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور فينمو جسده ويصفو لونه ودمه ويشف عقله والطفل يرتاح الى الغناء ويستبدل ببكائه ضحكا وقد قال يحيى بن خالد بن برمك الغناء ما أطربك فأرقصك وأبكاك فأشجاك وما سوى ذلك فبلاء وهم (قال المعتمد) قد دققت وأحسنت ووصفت وأطنبت وأقمت فى هذا اليوم سوقا للغناء وعلم أنواع الملاهى وأنتجت كلاما مثل الثوب الموشى يجتمع فيه الاحمر والاصفر والاخضر وسائر الالوان فصف صفة المغنى الحاذق قال ابن خرداذبه المغنى الحاذق يا أمير المؤمنين من تمكن من أنفاسه ولطف فى مخارجه وتفرغ فى أجناسه (قال المعتمد) فعلى كم تنقسم أنواع الطرب قال على ثلاثة أوجه يا أمير المؤمنين فمنها طرب محرك مستخف لاريحية تنعش النفس ودواعى الشيم عند السماع وطرب شجى وحزن لا سيما اذا كان الشعر فى وصف أيام الشباب والشوق الى الاوطان والمراثى لمن عدم صبره من الاحباب وطرب يكون فى صفاء النفس ولطافة الحس لسماع غناء مع جودة تأليف واحكام الصنعة اذ كان من لا يعرفه ولا يفهمه لا يسره بل تراه متشاغلا عنه كأنه لم يسمعه

(١) قال الجوهرى استوسقت الابل اجتمعت قال الراجز
ان لنا قلائصا حقائقا
مستوسقات لو يجدن سائقا
اه

(٢) الكران ككتاب العود أو الصنج والكرينة المغنية بالجمع كران قاله المجد

والجماد الصلد سواء وجوده وعدمه وقد قال يا أمير المؤمنين بعض الفلاسفة المتقدمين وكثير من حكماء اليونانيين من عرضت له آفة فى حاسة الشم كره رائحة الطيب ومن غلظ حسه كره سماع الغناء وتشاغل عنه وعابه وذمه (قال المعتمد) فما منزلة الايقاع وأنواع الطرق وفنون الغناء قال قد قال فى ذلك يا أمير المؤمنين من تقدم ان منزلة الايقاع من الغناء بمنزلة العروض من الشعر وقد أوضحوا الايقاع ورسموه بسمات ولقبوه بألقاب وهو أربعة أجناس ثقيل الاول وخفيفه وثقيل الثانى وخفيفه والرمل الاول وخفيفه والهزج وخفيفه والايقاع هو الوزن ومعنى أوقع وزن ولم يقع خرج من الوزن والخروج ابطاء عن الوزن أو سرعة فالثقيل الاول نقره ثلاثة ثلاثة اثنتان ثقيلتان بطيئتان ثم نقرة واحدة وخفيف ثقيل الثانى نقره اثنتان متواليتان وواحدة بطيئة واثنتان مردودتان وخفيف الرمل نقره اثنتان اثنتان مزدوجتان وبين كل زوج وقفة والهزج نقره واحدة واحدة مستويتان ممسكة وخفيف الهزج نقره واحدة واحدة متساويتان فى نسق واحد أخف قدرا من الهزج والطرائق ثمان الثقيلان الاول والثانى وخفيفاهما وخفيف الثقيل منهما يسمى بالماخورى وانما سمى بذلك لان ابراهيم بن ميمون الموصلى وكان من أبناء فارس وسكن الموصل كان كثير الغناء فى هذه المواخير (١) بهذه الطريقة والرمل وخفيفه ويتفرع من كل واحد من هذه الطرائق مرموم ومطلق وتختلف مواقع الاصطلاح فيها فيحدث لها ألقاب تميزها كالمحصور والمخبول والمحثوث والمخدوع والارواح والعود عند أكثر الامم وجل الحكماء يونانى صنعة أصحاب أهل الهندسة على هيئة طبائع الانسان فان اعتدلت أوتاره على الاقدار الشريفة جانس الطبائع فأطرب والطرب ردة النفس الى الحال الطبيعية دفعة وكل وتر مثل الذى يليه ومثل ثلثه والرسان الذى يلى الانف موضوع على خط النسع من جملة الوتر فهذه يا أمير المؤمنين جوامع فى صفة الايقاع ومنتهى حدوده ففرح المعتمد فى هذا اليوم وخلع على ابن خرداذبه وعلى من حضره من ندمائه وفضله عليهم وكان يوم لهو وسرور (فلما كان) فى صبيحة تلك الليلة دعا المعتمد من حضر فى اليوم الاول فلما أخذوا مراتبهم من المجلس قال لبعض من حضره من ندمائه صف لى الرقص وأنواعه والصفة المحمودة من الرقاص واذكر لى شمائله فقال المسؤل يا أمير المؤمنين أهل الاقاليم والبلدان مختلفون فى رقصهم من أهل خراسان وغيرهم فجملة الايقاع فى الرقص ثمانية أجناس الخفيف والهزج والرمل وخفيف الرمل وثقيل الثانى وخفيفه وخفيف الثقيل الاول وثقيله والرقاص يحتاج الى أشياء فى طباعه وأشياء فى خلقته وأشياء فى عمله فأما ما يحتاج اليه فى طباعه فخفة الروح وحسن الطبع على الايقاع وأن يكون طالبه مرحا الى التدبير فى رقصه والتصرف فيه وأما ما يحتاج اليه فى خلقته فطول العنق والسوالف وحسن الدل والشمائل والتمايل فى الاعطاف ودقة الخصر وحسن أقسام الخلق واقع المناطق واستدارة الثياب (٢) من أسافلها ومخارج النفس والاراحة والصبر على طول الغاية ولطافة الاقدام ولين الاصابع وامكان لينها فى نقلها وفيما يصرف فيه من أنواع الرقص من الابل ورقص الكرة وغيره ولين المفاصل وسرعة الانتقال فى الدوران ولين الاعطاف وأما ما يحتاج اليه فى عمله فكثرة التصرف فى ألوان الرقص واحكام كل جزء من حدوده وحسن الاستدارة

(١) الماخور بيت الريبة ومن يلى ذلك البيت ويقود اليه معرب مى خورا وعربيته من مخرت السفينة لتردد الناس اليه الجمع مواخر ومواخير اه قاله المجد

(٢) قوله واستدارة الثياب فى عده مما يحتاج اليه فى خلقته نظر ظاهر اه مصححه

وثبات القدمين على مدارهما واستواء ما تعمل يمنى الرجل ويسراها حتى يكون فى ذلك واحدا ولوضع القدم ورفعها وجهان أحدهما أن يوافق بذلك الايقاع والآخر ان يتبسطه فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الايقاع فهو من الحب والحسن سواء وأما ما يتبسط به فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الايقاع مترافعا وما يتبسط به متسافلا (قال المسعودى) وللمعتمد مجالسات ومذاكرات ومجالس قد دونت فى أنواع من الادب منها مدح النديم وصفاته وعفافه وأمن عبثه والتداعى فى المنادمات والمراسلات فى ذلك وعدد أنواع الشرب فى الكثرة وهيئة السماع وأقسامه وأنواعه وأصول الغناء ومباديه فى العرب وغيرها من الامم وأخبار الاعلام من مشهورى المغنين المتقدمين والمحدثين وهيئة المجالس ومنازل التابع والمتبوع وكيفية مراتبهم وتعبية مجالس الندماء والتحيات كما قال العطوى فى ذلك

حى التحية أصحاب التحيات * القائلين اذا لم تسقهم هات
أما الغداة فسكرى فى نعيمهم * وبالعشى قصرى غير أموات
وبين ذلك قصف لا يعادله * قصف الخليفة فى لهو ولذات

وقد أتينا على وصف جميع ذلك فى كتاب أخبار الزمان مما لم يتقدمه ذكره كصنوف الشراب والاستعمال لانواع النقل اذا وضع ذلك فى المناقل والاطباق فنضد تنضيدا ورصف رصفا والابانة عن المراتب فى ذلك ووصف جميل لذات الطبيخ مما يحتاج التابع الى معرفته والاريب الى قيمته من المتولدات فى معرفة الالوان ومقادير التوابل والابزار وأنواع المحادثات وغسل اليدين بحضرة الرئيس والمقام عن مجلسه وادارات الكاسات وما حكى فى ذلك عن الاسلاف من ملوك الامم وغيرهم وما قيل فى الاكثار والاقلال من الشراب وما ورد فى ذلك من الاخبار وطلب الحاجات والاستماحات من أهل الرياسة على المعاقرات وهيئة النديم وما يلزمه لنفسه وما يلزم الرئيس لنديمه والفرق بين التابع والمتبوع والنديم والمنادم وما قال الناس فى العلة التى من أجلها سمى النديم نديما وكيفية الادب فى لعب الشطرنج والفرق بينها وبين النرد وما ورد فى ذلك من الاخبار وانتظمت فيه من الدلائل والآثار وما ورد عن العرب فى أسماء الخمر وورود التحريم فيها وتنازع الناس فى رد غيرها من أنواع الانبذة عليها قياسا ووصف أنواع آنيتها ومن كان يشربها فى الجاهلية ومن حرمها ووصف السكر وما قال الناس فى ذلك وكيفية وقوعه أمن الله أم من خلقه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب واتصل بهذه المعانى وانما نذكر هذه اللمع منبهين بها على ما قدمنا فيما سلف من كتبنا (وكان أبو العباس) المعتضد محبوسا فلما خرج أبوه الموفق خلفه بدار الوزير اسمعيل بن بلبل وكان مضيقا عليه الى أن وفى الموفق من أذربيجان عليلا مدنفا وربما فى بيت من الخشب قد اتخذ له مبطنا بالخز والحرير وفى أسفله حلق قد جعل فيها الدهن فحمله الرجال على أكتافهم نوائب وكان وصوله الى بغداد يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين فأقام بمدينة السلام أياما فاشتدت علته وأرجفت بموته وانصرف اسمعيل بن بلبل وقد يئس منه فوجه اسمعيل بن بلبل الى كفهمن وقيل الى بكتمن وكانه وكلا بالمعتضد بالمدائن على أقل من يوم من مدينة

السلام أن ينصرف بالمعتضد والمفوض الى الله الى بغداد فدخل المعتضد الباقى يومه واتصل باسمعيل صلاح الموفق فانحدر ومعه المعتضد والمفوض فى طيارة الى ولده وقد كان أنس الخادم ومؤنس الخادم وصاف الحرمين وغيرهم من خدم الموفق وغلمانه أخرجوا أبا العباس من الموضع الذى كان فيه محبوسا وساروا به الى الموفق ولما أحضر اسمعيل بن بلبل الموفق والمعتضد معه وكثر اضطراب القواد والموالى وأسرعت العامة وسائر الخدم فى النهب فانتهبوا دارا اسمعيل بن بلبل ولم تبق دار جليل ولا كاتب نبيل الا انتهبوها وفتحت الجسور وأبواب السجون ولم يبق أحد فى المطبق ولا فى الحديد الا أخرج وكان أمرا فاظعا غليظا وخلع على أبى العباس وعلى اسمعيل بن بلبل وانصرف كل واحد منهما الى منزله فلم يجد اسمعيل فى داره ما يقعد عليه حتى وجه اليه الشاه بن ميكال ما قعد عليه وقام بأمر طعامه وشرابه وقد كان اسمعيل أسرع فى بيوت الاموال وأسرف فى النفقات والجوائز والخلع وأمد العرب وأجزل لهم الانزال والارزاق واصطنع بنى شيبان من العرب وغيرهم من ربيعة وكان يزعم أنه رجل من بنى شيبان وطالب بخراج سنة مبهمة فثقل على الرعية وكثر الداعى عليه ومكث الموفق بعد ذلك ثلاثة أيام ثم توفى يوم الخميس لثلاث بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ومات وله تسع وأربعون سنة وأمه أم ولد رومية يقال لها اسحق وكان اسم الموفق طلحة وفيه يقول الشاعر

لما استظل بظل الملك واجتمعت * له الامور فغنى قادر ومقسور
حطت عليه لمقدار منيته * كذاك تصنع بالناس المقادير

فلما مات الموفق قام المعتضد بأمور الناس فى التدبير كان أبيه الناصر وهو الموفق وخلع جعفر المفوض من ولاية العهد وقام اسمعيل بن بلبل فى الوزارة بعد شغب كثير كان فى مدينة السلام وكان لابى عبد الله بن أبى الساج ولخادمه وصيف خطب جليل وقيد اسمعيل بن بلبل ووجه أبو العباس الى أبى عبد الله بن سليمان بن وهب فأحضره وخلع عليه ورد اليه أمر كتابته وذلك فى يوم الثلاثاء لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ولم يزل اسمعيل بن بلبل يعذب بأنواع العذاب وجعل فى عنقه غل فيه رمانة حديد والغل والرمانة مائة وعشرون رطلا وألبس جبة صوف قد صبغت فى ودك الاكارع وعلق معه رأس ميت فلم يزل على ذلك حتى مات فى جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين ومائتين ودفن بغله وقيوده وأمر المعتضد بضرب جميع الآنية التى كانت فى خزانته فضربت وفرقت فى الجند (قال المسعودى) وقد كان المعتمد قعد للغداء واصطبح يوم الاثنين لاحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين فلما كان عند العصر قدم الطعام فقال يا موشكير للموكل به ما فعلت الرؤس بأرقابها وقد كان قدم من الليل أن يقدم له رأسا جديين وقد فصل فيهما أرقابهما فقدمتا وكان معه على المائدة رجل من ندمائه يعرف بقفا الملقم ورجل آخر يعرف بجلف المضحك فأول من ضرب بيده الى الرؤس الملقم فانتزع أذن واحد منهما وأما المضحك فانه يقتلع اللهازم والاعين فأكلوا وأكل المعتمد وأتموا يومهم فأما الملقم صاحب اللقمة الاولى فانه تهرى فى الليل وأما المضحك فانه مات قبل الصباح وأما المعتمد فأصبح ميتا قد لحق بالقوم ودخل

اسمعيل

اسمعيل بن حماد القاضى الى المعتضد وعليه السواد فسلم عليه بالخلافة وكان أول من سلم عليه بها وحضر الشهود منهم أبو عوف والحسين بن سالم وغيرهم من العدول حتى أشرفوا على المعتمد ومعهم بدر غلام المعتضد يقول هل ترون بمن بأس أو أثر مات فجأة وقتله مداومته لشرب النبيذ فنظروا اليه فاذا ليس به من أثر فغسل وكفن وحمل فى تابوت قد أعد له الى سامرا فدفن بها (وذكروا) والله أعلم أن سبب وفاته أنه سقى نوعا من السم فى شرابهم الذى كانوا يشربونه وهو نوع يقال له البيش يحمل من بلاد الهند وجبال الترك والتبت وربما وجدوه فى سنبل الطيب وهو ألوان ثلاثة وفيه خواص عجيبة (وللمعتمد) أخبار حسان وما كان فى أيامه من الكوائن والحوادث مما كان من حروب الصفار وما كان بديار بكر من بلاء وأسر وغيرهما من أحمد بن عيسى بن الشيخ وما كان باليمن قد أتينا على مبسوطها وجميع ذلك كله والغرر منه وما حدث فى كل سنة من أيامه من الحوادث فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الكتاب

(ذكر خلافة المعتضد بالله)

وبويع أبو العباس أحمد بن طلحة المعتضد بالله فى اليوم الذى مات فيه المعتمد على الله عمه وهو يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وأمه أم ولد رومية يقال لها ضرار وكانت وفاته يوم الاحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ويومين وتوفى بمدينة السلام وله سبع وأربعون سنة وقيل انه ولى الخلافة وهو ابن احدى وثلاثين سنة وتوفى سنة تسع وثمانين على ما ذكرنا وله أربعون سنة وأشهر على تباين أصحاب التواريخ فى كتبهم وما أرخوه فى أيامهم والله الموفق

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

ولما أفضت الخلافة الى المعتضد بالله سكنت الفتن وصلحت البلدان وارتفعت الحروب ورخصت الاسعار وهدأ الهرج وسالمه كل مخالف وان كان مظفرا قد دانت له الامور وانفتح له الشرق والغرب وأديل له فى أكثر المخالفين عليه والمنابذين له وظفر بهرون الشارى وكان صاحب المملكة والقيم بأمر الخلافة بدر مولاه واليه جميع المعارف فى جميع الآفاق واليه أحمل الجيوش وسائر القواد وخلف المعتضد فى بيوت الاموال تسعة آلاف ألف دينار ومن الورق أربعون ألف ألف درهم والدواب والبغال والحمير والجمال اثنى عشر ألف رأس وكان مع ذلك شحيحا بخيلا ينظر فيما لا ينظر فيه العوام (وحكى عبد الله بن حمدون) وكان نديمه وخاصته وممن كان يأنس به فى خلواته أنه أمر أن تنقص حشمه ومن كان يجرى عليه من الاتراك من كل رغيف أوقية وأن يبتدأ بأمر خبز لا تقل للوصائف عددا من الرغفان فيها ثلاث وأربع كذ وأكثر من ذلك قال ابن حمدون فتعجبت من ذلك فى أول أمره ثم تبينت القصة فاذا أنه يتوفر من ذلك فى كل شهر مال عظيم وتقدم الى خزانه أن يختار له من الثياب التسترية والدبيقية (١) أحسنها لتقطيعها لنفسه (وكان) مع ذلك قليل الرحمة كثير الاقدام سفاكا للدماء شديد الرغبة

(١) الدبيق كأمير بلدة بمصر ... الثياب الدبيقية وله ...

في أن يمثل بمن يقتله (وكان) اذا غضب على القائد النبيل والذي يختصه من غلمانه أمر أن تحفر له
حفيرة ثم يدلى على رأسه فيها ويطرح التراب عليه ونصفه الاسفل ظاهر على التراب ويداس
التراب فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره (وذكر) من عذابه أنه كان يأخذ الرجل
فيكتف ويقيد فيؤخذ القطن فيحشى في أذنه وخيشومه وفمه وتوضع المنافخ في دبره حتى ينفخ
ويعظم جسمه ثم يسد الدبر بشيء من القطن ثم يفصد وقد صار كالجمل العظيم من العرقين اللذين
فوق الحاجبين فتخرج النفس من ذلك الموضع وربما كان يقيم الرجل في أعلى القصر مجردا
موثقا ويرمى بالنشاب حتى يموت (واتخذ) المطامير وجعل فيها صنوف العذاب وجعل عليها
الحرمي المتولي لعذاب الناس ولم يكن له رغبة الا في النساء والبناء فانه أنفق على قصره المعروف
بالثريا أربعمائة ألف دينار وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ (وأقر عبيد الله) بن
سليمان على وزارته فلما مات استوزر القاسم بن عبيد الله (وقد كان المعتضد) في هذه السنة
وهي سنة تسع وسبعين ومائتين ركب يوم الفطر وهو يوم الاثنين الى مصلى اتخذه بالقرب من داره
وكبر في الركعة الاولى ست تكبيرات وفي الآخرة تكبيرة واحدة ثم صعد المنبر فحصر
ولم تسمع له خطبة (ففي ذلك) يقول بعض الشعراء*

حصر الامام ولم يبين خطبة * للناس في حل ولا احرام
ما ذاك الا من حيلة لم يكن * ما كان من عي ولا افحام

(وفي هذه السنة) قدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسولا من مصر لخمارويه بن
أحمد ومعه هدايا كثيرة وأموال جليلة فوصل الى المعتضد يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال
وخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ثم سعى في تزويج ابنة خمارويه من علي المكتفي فقال المعتضد
انما أراد أن يتشرف بنا وأنا أزيد في تشريفه أنا أتزوجها فتزوجها وتولى ابن الجصاص أمرها
وحمل جهازها فيقال انه حمل معها جوهرا لم يجتمع مثله عند خليفة قط فاقتطع ابن الجصاص
بعضه وأعلم قطر الندى بنت خمارويه أن ما أخذ مودع لها عنده الى وقت حاجتها اليه فماتت
والجوهر عنده فكان ذلك سبب غناه واستقلاله وقد كانت لابن الجصاص محن بعد ذلك في أيام
المقتدر وما كان من القبض عليه وما أخذ منه من الاموال بهذا السبب وغيره وحمل المعتضد
صداق قطر الندى وهو بمدينة بلد(١) الى أبي الجيش وكان الصداق ألف ألف درهم وغير ذلك
من المتاع والطيب ولطائف الصين والهند والعراق وكان مما خص به أبا الجيش في نفسه
وحماه به بدرة من الجوهر الثمين فيها در وياقوت وأنواع من الجوهر ووشاح وتاج وأكاليل وقيل
قلنسوة وكردف وكان وصولهم الى مصر في رجب سنة ثمانين ومائتين وانحدر المعتضد من
مدينة بلد والموصل بعد أن حمل ما وصفنا الى مدينة السلام في الماء (وحدث أبو سعيد) أحمد
ابن الحسين بن منقذ قال دخلت يوما على الحسين بن الجصاص واذا بين يديه سفط (٢) خيار
مبطن بالحرير فيه جوهر قد نظم منه سبح فرأيت شيأ حسنا ووقع في نفسي أن عددها يجاوز
العشرين فقلت له جعلني الله فداك كم عدد كل سبحة فقال لي مائة حبة وزن كل حبة كوزن
صاحبتها لا تزيد ولا تنقص قد عدلت كل سبحة وزن صاحبتها واذا بين يديه سبائك ذهب توزن
بقبان كما يوزن الحطب فلما خرجت من عنده تلقاني أبو العيناء فقال لي يا أبا سعيد على أي حال

تركت

(١) قال المجد البلد بالتحريك مدينة الجزيرة وبفارس وقرية ببغداد اهـ

(٢) السفط محركة كالجوالق أو كالقفة الجمع أسفاط قاله المجد

(وفاة أبى العيناء)

تركت هذا الرجل فوصفت له ما رأيت فقال رافعا رأسه الى السماء اللهم انك لتساوى بينى وبينه
فى العمى ثم اندفع يبكى فقلت يا أبا عبد الله ما شأنك فقال لا تنكر ما رأيت منى لو رأيت ما رأيت
لسعفت ثم قال الحمد لله على هذه الحالة وقال يا أبا سعيد ما حمدت الله تعالى على العمى الا فى وقتى
هذا فقلت لمن يخبر حال ابن الجصاص بأى شئ ختم هذا السجع فقال بياقوتة حمراء لعل قيمتها
أكثر مما تحتها (وكانت وفاة أبى العيناء) سنة اثنتين وثمانين ومائتين بالبصرة فى جمادى الآخرة
وكان يكنى بأبى عبد الله وكان قد انحدر من مدينة السلام الى البصرة فى زورق فيه ثمانون نفسا
فى هذه السنة فغرق الزورق ولم يتخلص مما كان فيه الا أبو العيناء وكان ضريرا تعلق بطلال
الزورق فأخرج حيا وتلف كل من كان معه فبعد أن سلم ودخل البصرة مات (وكان) لابى
العيناء من اللسان وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن عليه أحد من نظرائه وله أخبار حسان
وأشعار ملاح مع أبى العيبر وغيره وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (وحضر) مجلس
بعض الوزراء فتفاوضوا حديث بعض البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود فقال الوزير
لابى العيناء وقد كان أمعن فى وصفهم وما كانوا عليه من البذل والافضال قد أكثرت من
ذكرهم ووصفك اياهم وانما هذا من تصنيف الوراقين وتأليف المحسنين فقال له أبو العيناء
فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير بالبذل والجود فأمسك عنه الوزير وتعجب الناس
من اقدامه عليه (واستأذن) يوما على الوزير صاعد بن مخلد فقال له الحاجب الوزير مشغول
فانتظر فلما أبطأ اذنه قال للحاجب ما صنع الوزير قال يصلى قال صدقت لكل جديد لذة يعيره بأنه
حديث عهد بالاسلام (وقد كان أبو العيناء) دخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى
وذلك فى سنة ست وأربعين ومائتين فقال له كيف قولك فى دارنا هذه فقال ان الناس بنوا الدور
فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك فاستحسن ذلك ثم قال له كيف شربك النبيذ فقال أعجز عن
قليله وأفتضح من كثيره فقال له دع هذا عنك ونادمنا فقال أنا امرؤ محجوب والمحجوب تختطف
اشارته ويجوز قصده وينظر منه الى ما لا ينظر اليه وكل من فى مجلسك يخدمك وأنا أحب
أن أخدم وأخرى لست آمن أن تنظر الى بعين راض وقلبك غضبان أو بقلب غضبان وعينك
راضية ومتى لم أميز بين هاتين هلكت فأختار العافية على التعرض للبلاء والمحنة فقال بلغنا
عنك بذاء قال يا أمير المؤمنين قد مدح الله تعالى وذم فقال نعم العبد انه أواب وقال جل ذكره
هماز مشاء بنميم الآية فان لم يكن البداء بمنزلة العقرب يلدغ النبى والذمى فلا خير فى ذلك
قال الشاعر

اذا أنا بالمعروف لم أثن صادقا * ولم أشتم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه * وشق لى الله المسامع والفما

قال من أين أنت قال من البصرة قال ما تقول فيها قال ماؤها أجاج وحرها عذاب وتطيب
فى الوقت الذى تطيب فيه جهنم وكان وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان واقفا على رأسه فقال
ما تقول فى عبيد الله بن يحيى بن خاقان قال نعم العبد منقسم بين طاعة الله تعالى وخدمتك ودخل
ميمون بن ابراهيم صاحب ديوان البريد فقال له ما تقول فى ميمون قال يد تسرق واست تضرط وهو
بمنزلة يهودى قد سرق نصف جزيته له اقدام ومعه احجام احسانه تكلف واساءته طبيعة

فأفضل ذلك ثمنه ووصله وصرفه (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين وردت هدايا من قبل عمرو بن الليث الصفار مائة دابة من مهارى خراسان وجمازات كثيرة وصناديق كثيرة وأربعة آلاف ألف درهم وكان معها صنم من صفر على مثال امرأة لها أربعة أيد وعليها وشاحان من فضة مرصعان بالجوهر الاحمر والابيض وبين يدى هذا المثال أصنام صغار لها أيد ووجوه وعليها الحلى والجوهر وكان هذا التمثال على عجل قد عمل على مقدارها تجره الجمازات فصير بذلك أجمع الى دار المعتضد ثم رد هذا التمثال الى مجلس الشرطة فى الجانب الشرقى فنصب للناس ثلاثة أيام ثم رد الى دار المعتضد وذلك يوم الخميس لاربع خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة فسمت العامة هذا التمثال شغلا لاشتغالهم عن أعمالهم بالنظر اليه عدة هذه الايام وقد كان عمرو ابن الليث قد حمل هذا الصنم من مدن افتتحها من بلاد الهند ومن جبالها مما يلى بلاد دبسط ومعبر (١) وبلاد الدوار وهى ثغور فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مما يليها من الاكابر والامم المختلفة حضر وبدو من الحضر بلاد كابل وبلاد ماحان وهى بلاد متصلة ببلاد رابستان والرخج وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار الامم الماضية والملوك الغابرة أن رابلستان تعرف ببلاد فيروز بن كنك ملك رابلستان (وقد كان) عيسى بن على بن ماهان دخل فى طلب الخوارج فى أيام الرشيد الى السند وجبالها والقندهار والرخج ورابلستان يقتل ويفتح فتوحا لم يتقدم مثلها فى تلك الديار (فى ذلك يقول) الاعمى الشاعر المعروف بابن القذافى القمى

كاد عيسى يكون ذا القرنين * بلغ المغربين والمشرقين
لم يدع كابلا ولا رابلستا * ن فما حولها الى الرخجين

وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الاخبار عن قلاع فيروز بن كنك الملك ببلاد رابلستان التى ليس فى قلاع العالم على ما ظهر للناس من ذوى العناية والتنقير ومن أكثر فى الارض المسير أحصن منها ولا أمنع ولا أعلى فى الجو ولا أكثر عجائب منها وذكرنا عجائب تلك الديار الى بلاد الطبسين وبلاد خراسان واتصالها بسجستان وعجائب المشرقين والمغربين من عامر وغامر وما فى العامر من الامم المختلفة الخلق والخلق (وقد كان) أهل البصرة وردوا على المعتضد فى مراكب بحرية بيض مشحمة بالشحم والنورة على ما فى بحرهم ووفد فيها خلق من خطبائهم ومتكلميهم وأهل الرياسة والشرف والعلم منهم أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى وكان مولى آل جمح من قريش وكان ولى القضاء بعد ذلك يشكون الى المعتضد ما نزل بهم من محن الزمان وجدب لحقهم وجور من العمال اعتورهم وألحوا بالصياح والضجيج فى مراكبهم فى دجلة فجلس لهم المعتضد من وراء حجاب وأمر الوزير القاسم بن عبيد الله وغيره من كتاب الدواوين بالجلوس لهم من حيث يسمع المعتضد خطابهم فيقضون لهم بما يشكونه من حكم الدواوين ثم أذن للبصريين فدخلوا وأبو خليفة فى أولهم عليهم الطيالسة الزرق والاقناع على رؤسهم ذوو عوارض جملة وهيئة حسنة فاستحسن المعتضد ما رأى منهم وكان المبتدئ منهم بالنطق أبو خليفة فقال غمر العامر ودثر الظاهر واختلفت الهواء وخسفت الجوزاء وأناخت علينا المصائب واعتورتنا المحن وقام كل رجل منا فى ظلمة واصطلمت الضياع وانخفضت القلاع فنظر الينا بعين الامام

(١) معبر بالفتح بلد بساحل بحر الهند قاله المجد

تستقيم لك الايام وتنقاد لك الانام والافضل البصريون لاندفع عن فضيلة ولا تنافس عن
جليلة وسجع فى كلامه وأغرق فى خطابه فقال له الوزير أحسبك مؤدبا أيها الشيخ فقال له
أيها الوزير المؤدبون أجلسوك هذا المجلس قال له الوزير كم فى خمس من الابل قال له أبو خليفة
للخبير سألت فى خمس من الابل شاة وفى العشر شاتان ثم مضى فى وصف فرائض الابل واصنافها
يجب فيها ذاكرا التنازع فى موضعه منها ثم شرع فى البقر والغنم بلسان فصيح وخطاب حسن فى
ايجاز من خطاب وبيان من الوصف فبعث المعتضد وقد أعجبه ما سمع وأكثر لذلك من الضحك
بخادم الى الوزير فقال له اكتب لهم عما يريدون وأجبهم الى ما سألوه ولا تصرفهم الا شاكرين فهذا
شيطان قذف به البحر ومثله فلينفق على الملوك (وكان) ابو خليفة لا يتكلف الاعراب بل قد
صار له كالطبع لدوام استعماله اياه من عنفوان حداثته وكان ذا محل من الاسناد (وله أخبار
ونوادر حسان قد دونت (منها) أن بعض عمال الخراج بالبصرة كان مصروفا من عمله وابو خليفة
مصروفا عن قضائه فبعث العامل الى أبى خليفة أن مبرمان (١) النحوى صاحب أبى العباس
المبرد قد زارنى فى هذا اليوم الى بعض الانهار والبساتين فأتوه متنكرين مع من حضرنا من
أصحابنا وسألوه الحضور معهم فجلسوا فى سمارية متفكهين قد غيروا ظواهر زيهم حتى أتوا نهرا
من أنهار البصرة وقدم اليهم ما حملوا معهم من الطعام وكان أيام ابتداء وهى الايام التى يتمر فيها
التمر والرطب فيكبسونه فى القواصر تمرا وتكون حينئذ البساتين مشحونة بالرجال ممن يعمل
فى التمر من الاكرة وهم الزراع وغيرهم فلما أكلوا قال بعضهم لابى خليفة غيره وكان له خوفا
أن يعرفه من حضر ممن ذكرنا من الاكرة والعمال فى النخل أخبرنى أطال الله بقاءك عن قول الله
عزوجل قوا أنفسكم وأهليكم نارا هذه الواو ما موقعها من الاعراب قال أبو خليفة موقعها
رفع وقوله قوا هو أمر للجماعة من الرجال قال له كيف تقول للواحد من الرجال وللاثنين قال
يقال للواحد من الرجال ق وللاثنين قيا وللجماعة قوا قال كيف تقول للواحدة من النساء
وللاثنين منهن وللجماعة منهن قال أبو خليفة يقال للواحدة قى وللاثنتين قيا وللجماعة قين قال
فأسألك أن تجمل بالجملة كيف يقال للواحد من الرجال والاثنين والجماعة والواحدة من النساء
والاثنتين منهن والجماعة منهن قال أبو خليفة مجملا ق قيا قوا قى قيا قين وكان بالقرب منهم
جماعة من الاكرة فلما سمعوا ذلك استعظموه وقالوا يا زنادقة أنتم تقرؤن القرآن بحرف الدجاج
وغدوا عليهم فصفعوهم فما تخلص أبو خليفة والقوم الذين كانوا معه من أيديهم الا بعد كد
طويل (وقد أتينا) على نوادر أبى خليفة وأخباره ومخاطبته لغلامه حين أتته وما تكلم به حين
دخول اللص الى داره وغير ذلك فى كتابنا الاوسط (وكانت) وفاة أبى خليفة بالبصرة فى سنة خمس
وثلثمائة (وفى سنة) ست وثمانين ومائتين فى ربيع الاول نزل المعتضد على آمد وذلك بعد وفاة
أحمد بن عيسى ابن الشيخ عبد الرزاق وقد تحصن بها ولده محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الرزاق
فبث جيوشه حولها وحاصرها فحدث علقمة بن عبد الرزاق قال حدثنا رواحة بن عيسى بن عبد
الملك عن شعلة بن شهاب اليشكرى قال وجهنى المعتضد الى محمد بن أحمد بن عيسى ابن الشيخ
لآخذ بالحجة عليه فلما سرت اليه واتصل الخبر أم الشريف أرسلت الى فقالت يا شهاب كيف
خلفت أمير المؤمنين قال فقلت خلفته والله ملكا جذلا وحكما عدلا آمرا بالمعروف فعالا للخير

(١) قال المجد ومبرمان لقب أبى بكر الازمى وقال فى مادة (أزم) أزم محركة ناحية بسيراف منها محمد بن يحيى بن بحر وموضع بين الاهواز ورامهرمز منه محمد بن على النحوى المعروف بمبرمان اه

(وفاة أبى خليفة القاضى)

متعززا على أهل الباطل متذللا للحق لا تأخذه فى الله لومة لائم قال فقالت لى هو والله أهل لذلك ومستحقه ومستوجبه وكيف لا يكون كذلك كذلك وهو ظل الله الممدود على بلاده وخليفته المؤتمن على عباده أعزبه دينه وأحيا به سنته وثبت به شريعته ثم قالت لى وكيف رأيت صاحبنا تعنى ابن أخيها محمد بن أحمد قال فقلت رأيت غلاما حدثا معجبا قد استحوذ عليه السفهاء فاستمد بآرائهم وأنصت لاقوالهم فهم يزخرفون له الكلام ويوردونه الندم فقالت لى فهل لك أن ترجع اليه بكتاب فلعلنا أن نحل ما عقده السفهاء قال قلت أجل فكتبت اليه كتابا لطيفا حسنا أجزلت فيه الموعظة وأخلصت فيه النصيحة وكتبت فى آخره هذه الابيات

اقبل نصيحة أم قلبها وجع * عليك خوفا واشفاقا وقل سددا
واستعمل الفكر فى قولى فانك ان * فكرت ألفيت فى قولى لك الرشدا
ولا تثق برجال فى قلوبهم * ضغائن تبعث الشنآن والحسدا
مثل النعاج خمول فى بيوتهم * حتى اذا أمنوا ألفيتهم أسدا
وداو ذلك والادواء ممكنة * واذ طبيبك قد ألقى اليك يدا
واعط الخليفة ما يرضيه منك ولا * تمنعه مالا ولا أهلا ولا ولدا
واردد أخايشكر ردا يكون له * ردءا من السوء لا تشمت به أحدا

قال فأخذت الكتاب وسرت به الى محمد بن أحمد فلما نظر فيه رمى به الى ثم قال يا أخايشكر ما بآراء النساء تساس الدول ولا بعقولهن يساس الملك ارجع الى صاحبك فرجعت الى أمير المؤمنين فأخبرته الخبر عن حقه وصدقه فقال وأين كتاب أم الشريف قال فأظهرته فلما عرض عليه أعجبه شعرها وعقلها ثم قال والله انى لارجوا أن أشفعها فى كثير من القوم فلما كان فى فتح آمد ما كان ونزل محمد بن أحمد على الامان لما عظم القتال وجه الى أمير المؤمنين فقال يا شعلة بن شهاب هل عندكم علم من أم الشريف قال قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال امض مع هذا الخادم فانك تجدها فى جملة نسائها قال فمضيت فلما بصرت بى أسفرت عن وجهها وأنشأت تقول

ريب الزمان وصرفه * وعتوه كشف القناعا
وأذل بعد العز منا الصعب والبطل الشجاعا
ولقد نصحت فما أطعـ * ـت وكم حرصت بأن أطاعا
فأبى بنا المقدور الا أن نقسم أو نباعا
ياليت شعرى هل نرى * يوما لفرقتنا اجتماعا

قال ثم بكت وضربت بيدها على الاخرى ثم قالت لى يا شهاب كأنى والله كنت أرى ما أرى فانا لله وانا اليه راجعون قال فقلت لها ان أمير المؤمنين قد وجهنى اليك وما ذاك الا لحسن رأى منه فيك قالت فهل لك أن توصل اليه كتابى هذا بما فيه قلت نعم فكتبت اليه بهذه الابيات

قل للخليفة والامام المرتضى * رأس الخلائق من قريش الابطح
بك أصلح الله البلاد وأهلها * بعد الفساد وطالما لم تصلح
وتزحزحت بك قبة العزاتى * لولاك بعد الله لم تتزحزح

وأراك ربك ما تحب فلا ترى * ما لا تحب فجد بعفوك واصفح

يا بهجة الدنيا وبدر ملوكها * هب ظالمي ومفسدي لمصلح

قال فأخذت الكتاب وسرت به الى أمير المؤمنين فلما عرضت عليه الابيات أعجبته وأمر أن يحمل اليها تخوت من الثياب وجملة من المال والى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك وشفعها في كثير من أهلها ممن عظم جرمه واستحق العقوبة عليه (وكتب) المعتضد الى أحمد بن عبد العزيز ابن أبي دلف بمواقعة رافع بن هرثمة وذلك في سنة سبع وسبعين ومائتين فسار أحمد بن عبد العزيز الى رافع والتقوا بالري لسبع بقين من ذي القعدة من هذه السنة وأقامت الحرب بينهم أياما ثم كانت على رافع بن هرثمة فولى وركب أصحاب ابن أبي دلف أكتافهم واستولوا على عسكرهم وكان وصول هذا الخبر الى بغداد لست خلون من ذي الحجة من هذه السنة (وفي سنة ثمانين ومائتين أخذ ببغداد رجل يعرف بمحمد بن الحسن بن سهل ابن أخي ذي الرياستين الفضل ابن سهل يلقب بشميلة وسمعه عبيد الله بن المهتدي ولمحمد بن الحسن بن سهل هذا تصنيفات في أخبار المبيضة وله كتاب مؤلف في أخبار علي بن محمد صاحب الزنج على حسب ما ذكرنا من أمره فيما سلف من هذا الكتاب فأقر عليه جماعة من المستأمنة من عسكر العلوي وأصيبت له جرائد فيها أسماء رجال قد أخذ عليهم البيعة لرجل من آل أبي طالب وكانوا قد عزموا على أن يظهروا ببغداد في يوم بعينه ويقتلوا المعتضد فأدخلوا الى المعتضد فأبى من كان مع محمد بن الحسن أن يقروا وقالوا أما الرجل الطالبي فانا لا نعرفه وقد أخذت علينا البيعة له ولم نره وهذا كان الواسطة بيننا وبينه يعنون محمد بن الحسن فأمر بهم فقتلوا واستبقى شميلة طمعا في أن يدله على الطالبي وخلى عبيد الله بن المهتدي لعلمه ببراءته ثم أراد المعتضد بالله محمد بن الحسن بجميع الجهات أن يدله على الطالبي الذي أخذ له العهد على الرجال فأبى وجرى بينه وبين المعتضد خطب طويل وكان في مخاطبته للمعتضد أن قال لو شويتني على النار ما زدتك على ما سمعت مني ولم أقر على من دعوت الناس الى طاعته وأقررت بامامته فاصنع ما أنت له صانع فقال له المعتضد لسنا نعذبك الا بما ذكرت فذكر أنه جعل في حديدة طويلة أدخلت في دبره وأخرجت من فمه وأمسك بأطرافها على نار عظيمة حتى مات بحضرة المعتضد وهو يسبه ويشتم فيه العظائم والاشهر أنه جعل بين رماح ثلاثة وشد أطرافها وكتف وجعل فوق النار زمنا غير أن يماسها وهو في الحياة يدار عليها ويشوى كما تشوى الدجاج وغيرها الى أن تنفرقع جسمه وأخرج فصلب بين الجسرين من الجانب الغربي (وفي هذه السنة) كان خروج المعتضد في طلب الاعراب من بني شيبان وكانوا عتوا وأكثروا الفساد وأوقع بهم مما يلي الجزيرة والمغرب في الموضع المعروف بوادي الذئاب فقتل وأسر وساق الذراري وسار الى الموصل (وفي هذه السنة) افتتح أبو عبيد الله بن أبي الساج المراغة من بلاد اذربيجان فقبض على عبد الله بن الحسن واستبقى أمواله ثم أتى عليه بعد ذلك (وفي هذه السنة) كانت وفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف (وفي هذه السنة) افتتح أحمد بن ثور عمان وكان مسيره اليها من البحرين فأوقع بالشراة من الاباضية (١) وكانوا في نحو من مائتي ألف وكان امامهم الصلت بن مالك بنزوى من أرض عمان وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وحمل كثيرا من رؤسهم الى بغداد وفيها

(١) قوله الشراة من شرى يشرى بمعنى غضب ولج يقال تشرى زيد غضب ولج ومنه الشراة الخوارج لانهم شروا أنفسهم في الطاعة ... قاله الجوهري وقوله الاباضية منسوبة الى عبد الله بن اباض ... من الخوارج ... اهـ

دخل المعتضد بغداد منصرفا من الجزيرة (وفى هذه السنة) كان دخول عمرو بن الليث نيسابور (وفى هذه السنة) نقلت ابنة محمد بن أبى الساج الى بدر غلام المعتضد وقد أتينا على خبر ابن أبى الساج وما كان من تزويجه ابنته لبدر بحضرة المعتضد وما كان من خبر ابن أبى الساج ورحلته عن باب خراسان متوجها الى اذربيجان فى الكتاب الاوسط (وفى هذه السنة) سار اسمعيل بن أحمد بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد واستيلائه على امرة خراسان الى أرض الترك ففتح المدينة الموصوفة من مدنهم بدار الملك وأسر خاتون زوجة الملك وأسر خمسة عشر ألفا من الترك وقتل منهم عشرة آلاف ويقال ان هذا الملك يقال له طفكس وهذا الاسم سمة لكل ملك ملك هذا البلد من ملوكهم وآرا من الجنسين المعروفين بالخدلجية وقد أتينا فيما سلف من هذا الكتاب على جمل من أخبار الترك وأجناسهم وأوطانهم وكذلك فيما سلف من كتبنا (وفى سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت الحرب بين وصيف خادم ابن أبى الساج وعمرو بن عبد العزيز ببلاد الجبل وكان من أمره ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا وكان المعتضد خرج فى هذه السنة الى الجبل لامور بلغته منها قصة محمد بن زيد العلوى الحسنى صاحب بلاد طبرستان فولى ولده عليا المكتفى الرى وأنزله بها وأضاف اليه قزوين وزنجان وأبهر وقم وهمدان وانصرف المعتضد الى بغداد وقد قلد عمرو بن عبد العزيز اصبهان وكرخ بعد ابن أبى دلف وفيها استأمن الى المكتفى على كوره وسار الى المعتضد فى عدة كثيرة وفيها سار طغج بن شيث بن الاخشيد صاحب مصر فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى عساكر كثيرة من دمشق فدخل طرسوس غازيا وافتتح لوريه مما يلى بلاد برغوث ودرب الراهب (وفى هذه السنة) نزل المعتضد على حمدان بن حمدون وقد تحصن فى القلعة المعروفة بالصوارة نحو عين الزعفران وسارع اسحق بن أيوب العنبرى ومن كان معه من أصحابه الى المعتضد وقد أتينا على خبر حمدان بن حمدون وما كان من أمره وصعوده الجبل الجودى وعبوره دجلة وكاتبه النصرانى ودخول عسكر المعتضد الا الى اسحق بن يعقوب حتى أتى به الى المعتضد واخراب المعتضد لهذه القلعة وقد كان حمدان أنفق عليها أموالا جليلة وهو حمدان بن حمدون بن الحرث بن منصور بن لقمان وهو جد أبى محمد الحسن بن عبد الله الملقب بناصر الدولة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما كان من الحسن بن حمدان فى طلبه هرون الشارى وما كان من أخذ الحسين بن حمدان اياه بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب (قال المسعودى) وفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ذبح أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون بدمشق فى ذى القعدة وقد كان بنى فى سفح الجبل أسفل من دير مروان قصرا وكان يشرب فيه فى تلك الليلة وعنده طغج وكان الذى تولى ذلك خادما من خدمهم وأتى بهم على أميال فقتلوا وصلبوا ومنهم من رمى بالنشاب ومنهم من شرح لحمه من أفخاذه وعجزته وأكله السودان مماليك أبى الجيش وقد أتينا على أخبار الخدم من السودان والصقالبة والروم والصين وذلك أن أهل الصين يخصون كثيرا من أولادهم كفعل الروم بأولادهم وما اجتمع عليه الخصيان من التضاد وذلك لما حدث بهم من قطع هذا العضو فى كتابنا أخبار الزمان وما أحدثته الطبيعة عند الفلاسفة فيهم عند ذلك كما قاله الناس فيهم وما ذكروه من الصفات (وذكر المدايني) أن معاوية ابن أبى سفيان دخل ذات يوم على امرأته فاختة وكانت ذات عقل وحزم ومعه خصى وكانت

مكشوفة الرأس لما رأت معه الخصي غطت رأسها فقال لها معاوية انه خصي فقالت يا أمير المؤمنين أترى المثلة به أحلت له ما حرم الله عليه فاسترجع معاوية وعلم أن الحق ما قالته فلم يدخل بعد ذلك على حرمه خادما وان كان كبيرا فانيا (وقد تكلم) الناس فيهم وذكروا الفرق بين المجبوب والمسلوب وأنهم رجال مع النساء ونساء مع الرجال وهذا خلف من الكلام وفاسد من المقال بل هم رجال وليس في عدم عضو من أعضاء الجسد ما يوجب الحاقهم بما ذكروا ولا عدم نبت اللحية محيلا لهم عما وصفوا ومن زعم أنهم بالنساء أشبه فقد أخبر عن تغيير فعل البارى جل وعز لانه خلقهم رجالا ذكرانا لا اناثا وليس في الجناية عليهم ما يقلب أعيانهم ويزيل خلق البارى جل وعز وقد قلنا في علة عدم نتن الآباط في الخدم وما قالته الفلاسفة فيما سلف من كتبنا لان الخادم بطىء لا يوجد لآباطه رائحة وهذا من فضائل الخدم (وحمل أبو الجيش) في تابوت الى مصر وورد الخبر بذلك الى مصر فأخرج من التابوت وجعل على السرير وذلك على باب مصر وخرج ولده الامير جيش وسائر الامراء والاولياء فتقدم القاضى أبو عبيد الله محمد بن عبدة المعروف بالعبدانى وصلى عليه وذلك في الليل فحكى أبو بشر الدولابى عن أبى عبد الله البخارى وكان شيخا من أهل العراق وكان يقرأ في دور آل طولون ومقابرهم أنه كان بات في تلك الليلة ممن يقرأ عند القبر وقد قدم أبو الجيش ليدلى في القبر ونحن نقرأ جماعة من القراء سبعة سورة الدخان فأحدر من السرير ودلى في القبر وانتهينا من السورة في هذا الوقت الى قوله عز وجل خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم قال فخفضنا أصواتنا وأذعرنا حياء ممن حضر (ومما ذكر) من خبر المعتضد وحزمه في الامور وحيله أنه أطلق من بيت المال لبعض الرسوم في الجند عشر بدر فحملت الى منزل صاحب عطاء الجيش ليصرفها فيهم فنقب منزله في تلك الليلة وأخذت العشر البدر فلما أصبح نظر الى النقب ولم ير المال فأمر باحضار صاحب الحرس وكان على الحرس يومئذ مؤنس العجلى فلما أتاه قال له ان هذا المال للسلطان والجند ومتى لم تأت به أو بالذى نقبه وأخذ المال ألزمك أمير المؤمنين غرمه فجد في طلبه وطلب اللص الذى جسر على هذا الفعل فصار الى مجلسه وأحضر التوابين والشرط والتوابون هم شيوخ أنواع اللصوص الذين قد كبروا وتابوا فاذا جرت حادثة علموا من فعل من هى فدلوا عليه وربما يتقاسمون اللصوص ما سرقوه فتقدم اليهم في الطلب وتهددهم وأوعدهم وطالبهم فتفرق القوم في الدروب والاسواق والغرف والمواخير ودكاكين الرواسين ودور القمار فما لبثوا أن أحضروا رجلا نحيفا ضعيف الجسم رث الكسوة هين الحالة فقالوا يا سيدى هذا صاحب الفعلة وهو غريب من غير هذا البلد وأطبق القوم كلهم على أنه صاحب النقب ولص المال فأقبل عليه مؤنس العجلى فقال له ويلك من كان معك ومن أعانك وأين أصحابك ما أظنك تقدر على عشر بدر وحدك في ليلة ما كنتم الا عشرة وأقل ذلك خمسة فاقرلى بالمال ان كان مجتمعا وعلى أصحابك ان كان المال قد قسم فما زاده على الانكار شيأ فأقبل يترفق به ويعده أن يثيبه ويرزقه ويعظم جائزته ويعده بكل جميل على رده والاقرار به ويتوعده بكل مكروه على جحوده وانكاره فلما غاظه ذلك وأنكره ويئس من اقراره أخذ في عقوبته ومساءلته فضربه بالسوط والقلوس والمقارع والدرة على

ظهره وبطنه وقفاه ورأسه وأسفل رجليه وكعابه وعضله حتى لم يكن للضرب فيه موضع وبلغ به ذلك الى حالة لا يعقل فيها ولا ينطق فلم يقر بشئ فبلغ ذلك المعتضد فأحضر صاحب الجيش فقال له ما صنعت فى المال فأخبره الخبر فقال له ويلك تأخذ لصا قد سرق من بيت المال عشر بدر فتبلغ به الموت والتلف حتى يهلك الرجل ويضيع المال فأين حيل الرجال فأتى به وقد حمل فى جمل فوضع بين يديه وقد عقل فسأله فأنكر فقال له ويلك ان مت لم ينفعك وان برئت من هذا الضرب لم أدعك تصل اليه فلك الامان والضمان على ما تصلح به حالتك ويحمد به أمرك فأبى الا الانكار فقال على بأهل الطب فأحضروا فقال خذوا هذا الرجل اليكم فعالجوه بأرفق العلاج وواظبوا عليه بالمراهم والغذاء والتعاهد واجتهدوا أن تبرؤه فى أسرع وقت فأخذوه اليهم وأخرج ما لا مكان المال وأمر بتفريقه على الجند فيقال انه برئ وصلح فى أيام يسيرة ثم واظبوا عليه بالطعام والشراب والوطاء والطيب حتى صح وقوى جسمه وظهر لونه ورجعت اليه نفسه ثم ذكر به فأمر باحضاره فلما حضر بين يديه سأله عن حاله فدعا وشكر وقال أما بخير ما أبقى الله أمير المؤمنين ثم سأله عن المال فعاد الى الانكار فقال له ويلك لست تخلو من أن تكون أخذته وحدك كله أو وصل اليك بعضه فان كنت أخذته كله فانك تنفقه فى أكل وشرب ولهو ولا أظنك تفنيه قبل موتك وان مت فعليك وزره وان كنت أخذت بعضه سمحنا لك به فأقر على أصحابك فانى أقتلك ان لم تقر ولا ينفعك بقاء المال بعدك ولا يبالى أصحابك بقتلك ومتى أقررت دفعت اليك عشرة آلاف درهم وأخذت لك من أصحاب الجسر مثل ذلك ورسمتك من التوابين وأجريت لك فى كل شهر عشرة دنانير تكفيك لاكلك وشربك وكسوتك وطيبك وتكون عزيزا وتنجو من القتل وتخلص من الاثم فأبى الا الانكار فاستحلفه بالله وأظهر له مصحفا فحلف عليه فقال انى سأظهر على المال فان أنا ظهرت عليه بعد هذه اليمين قتلتك ولم أستبقك فأبى الا الانكار فقال له فضع يدك على رأسى واحلف بحياتى فوضع يده على رأسه وحلف بحياته انه ما أخذه وانه مظلوم متهم وان التوابين قد تبرؤا به فقال له المعتضد فان كنت قد كذبت قتلتك وأنا برىء من دمك قال نعم فأمر باحضار ثلاثين أسود بحيث يراهم ويرونه وأمرهم أن يتناوبوا فى ملازمته فأتت عليه أيام وهو قاعد لا يتكئ ولا يستلقى ولا يضطجع وكلما خفق خفقة وجئ فكه ووقع رأسه حتى اذا ضعف وقارب التلف أمر باحضاره فأعاد عليه ما كان خاطبه به واستحلفه بالله وبغير ذلك من الايمان فحلف على ذلك كله وعلى ما يستحلفه به انه ما أخذ المال ولا يعرف من أخذه فقال المعتضد لمن حضر قلبى يشهد أنه برىء وأن ما يقول حق وان التوابين قد عرفوا صاحبه وقد أثمنا فى هذا الرجل وسأله أن يجعله فى حل ففعل ثم أمر باحضار مائدة عليها طعام وأحضر بارد الشراب وأمره بالجلوس والاكل والشرب فاقبل يأكل ويشرب ويحث على الاكل ويلقم ويعاد الشراب عليه ويكرر حتى لم يبق للاكل والشرب موضع ثم أمر ببخور وطيب فبخر وطيب وأتى له بحشية ريش فوطئ له ومهد فلما استلقى واستراح وغفا أمر بازعاجه وسرعة ايقاظه فحمل من موضعه حتى أقعد بين يديه وفى عينيه الوسن فقال له حدثنى كيف صنعت وكيف نقبت ومن أين خرجت والى أين ذهبت بالمال ومن كان معك قال ما كنت الا وحدى وخرجت من النقب الذى دخلت منه

وكان

وكان مقابل الدار حمام له كوم شوك وقد به فأخذت المال ورفعت ذلك الشوك والقماش
والقصب فوضعته تحته وغطيته وهو هنالك فأمر برده الى فراشه فردوه وأضجعوه عليه ثم
أمر باحضار المال فأحضر عن آخره وأحضر مؤنس العجلي وأحضر الوزير والجلساء وقد غطى
المال بالبساط ناحية من المجلس ثم أمر بايقاظ اللص وقد اكتفى في النوم وذهب عنه الوسن
فقال له بحضرة الجميع مثل قوله الاول فجحد وأنكر فأمر بكشف البساط وقال له ويلك أليس
هذا المال أليس فعلت كذا وكذا يصف له ما كان حدثه به فأسقط في يد اللص ثم أمر
فقبض على يديه ورجليه وأوثق ثم أمر بمنفاخ فنفخ في دبره وأتى بقطن فحشى في أذنيه وفمه
وخيشومه وأقبل ينفخ وخلى عن يديه ورجليه من الوثاق وأمسك بالايدي وقد صار كأعظم
ما يكون من الزقاق المنفوخة وقد ورم سائر أعضائه وعظم جسمه وعيناه قد امتلأتا
وبرزتا فلما كاد أن ينشق أمر بعض الاطباء فضربه في عرقين فوق الحاجبين وهما في الجبين
فأقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولها صوت وصفير الى أن خمد وتلف وكان ذلك أعظم منظر
رؤى في ذلك اليوم من العذاب وقيل ان البدر كانت عينا وان عددها كان أكثر مما
وصفنا (وقد كان ببغداد رجل) يتكلم على الطريق ويقص على الناس بأخبار ونوادر ومضاحك
ويعرف بابن المغازلي وكان في نهاية الحذق لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه أن لا يضحك
قال ابن المغازلي فوقفت يوما في خلافة المعتضد على باب الخاصة أضحك وأنادر فحضر حلقتي
بعض خدمة المعتضد فأخذت في حكاية الخدم فأعجب الخادم بحكايتي وأشغف بنوادري ثم
انصرف عني فلم يلبث ان عاد وأخذ بيدي وقال اني لما انصرفت عن حلقتك دخلت فوقفت
بين يدي المعتضد أمير المؤمنين فذكرت حكايتك وما جرى من نوادرك فاستضحكت فرآني
أمير المؤمنين فأنكر ذلك مني وقال ويلك مالك فقلت يا أمير المؤمنين على الباب رجل يعرف بابن
المغازلي يضحك ويحاكي ولا يدع حكاية أعرابي وتركي ومكي ونحوي ونبطي وزنجي وسندي
وخادم الا حكاها ويخلط ذلك بنوادر تضحك الثكول وتصبي الحليم وقد أمرني باحضارك ولي
نصف جائزتك فقلت له وقد طمعت في الجائزة السنية ياسيدي أنا ضعيف وعلي عيلة وقد من
الله علي بك فما عليك ان أخذت بعضها سدسها أو ربعها فأبى الا نصفها فطمعت في النصف
وقنعت به فأخذ بيدي وأدخلني عليه فسلمت وأحسنت ووقفت في الموضع الذي أوقفت فيه
فرد علي السلام وقد كان ينظر في كتاب فلما نظر في أكثره أطبقه ثم رفع رأسه الي وقال أنت
ابن المغازلي قلت نعم يا أمير المؤمنين قال قد بلغني أنك تحكي وتضحك وتأتي بحكايات عجيبة
ونوادر ظريفة قلت نعم يا أمير المؤمنين الحاجة تفتق الحيلة أجمع بها الناس وأتقرب الى قلوبهم
بحكايتها ألتمس برهم وأتعيش بما أناله منهم قال فهات ما عندك وخذ في فنك فان أضحكتني
أجزتك بخمسمائة درهم وان لم أضحك فمالي عليك فقلت للجبن والخذلان ما معي الا قفاي
فاصفعه ما أحببت وكم شئت وبما شئت فقال لي قد أنصفت ان أضحكتني فلك ما ضمنت وان
أنا لم أضحك صفعتك بهذا الجراب عشر صفعات فقلت في نفسي ملك لا يصفع الا بشيء
خفيف هين ثم التفت واذا أنا بجراب أدم ناعم في زاوية البيت فقلت في نفسي ما أخطأ حزري
ولا أخلف ظني وما عسى أن يكون من جراب فيه ريح ان أضحكته ربحت وان لم

أضحكه فأمر بعشر صفعات بجراب منفوخ هين ثم أخذت فى النوادر والحكايات والنفاسة
والعبارة فلم أدع حكاية أعرابى ولا نحوى ولا مخنث ولا قاض ولا زطى ولا نبطى (١) ولا سندى
ولا زنجى ولا خادم ولا شاطرة ولا عبارة ولا نادرة ولا حكاية الا أحضرتها وأتيت بها حتى نفد
جميع ما عندى وتصدع رأسى ولم يبق ورائى خادم الا هرب ولا غلام الا ذهب لما استفزهم
الضحك وورد عليهم من الامر فقلت يا أمير المؤمنين قد نفد والله ما معى وتصدع رأسى وذهب
معاشى وما رأيت قط مثلك وما بقيت لى الا نادرة واحدة فقال هاتها فقلت يا أمير المؤمنين
وعدتنى أن تصفعنى عشرا وجعلتها مكان الجائزة فاسألك أن تضعف الجائزة وتضيف اليها عشرا
فأراد أن يضحك فاستمسك ثم قال نفعل يا غلام خذ بيده فأخذ بيدى ومددت قفاى فصفعت
بالجراب صفعة فكأنما سقط على قفاى قلعة واذا فيه حصى مدور كأنه صنجات فصفعت به
عشرا كادت أن تنفصل رقبتى وينكسر عنقى وطنت أذناى وقدح الشعاع من عينى فلما
استوفيت العشرة صحت يا سيدى نصيحة فرفع الصفع عنى بعد أن عزم على ايفاء ما كنت سألته
من اضعاف جائزتى فقال ما نصيحتك قلت يا سيدى انه ليس فى الدنيا أحسن من الامانة ولا أقبح
من الخيانة وقد ضمنت للخادم الذى أدخلنى عليك نصف هذه الجائزة على قلتها أو كثرتها وأمير
المؤمنين أطال الله بقاءه بفضله وكرمه قد أضعفها فقد استوفيت نصفها وبقى لخادمك نصفها
فضحك حتى استلقى واستفزه ما كان قد سمعه منى أولا وتحامل له وصبر عليه فما زال يضرب
بيده ويفحص برجله ويمسك بمراق بطنه حتى اذا سكن ضحكه ورجعت اليه نفسه قال علىّ بفلان
الخادم فأتى به وكان طوالا فأمر بصفعه فقال يا أمير المؤمنين أى شئ قضيتى وأى جناية
جنايتى فقلت له هذه جائزتى وأنت شريكى وقد استوفيت نصفها وبقى نصيبك منها فلما أخذه
الصفع وطرق قفاه الصافع أقبلت عليه أقول له أقول لك انى ضعيف معيل وشكوت اليك
الحاجة والمسكنة وأقول يا سيدى لا تأخذ نصفها لك سدسها لك ربعها وأنت تقول ما آخذ
الا نصفها ولو علمت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جوائزه صفع وهبتها لك كلها فعاد الى الضحك
من قولى للخادم وعتابى له فلما استوفى صفعه وسكن أمير المؤمنين من ضحكه أخرج من تحت
تكأته صرة قد كان أعدها فيها خمسمائة درهم ثم قال له وقد أراد الانصراف قف هذه
كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك حتى أحضرت لك شريكا فيها ولعلى كنت أمنعه منها
فقلت يا أمير المؤمنين وأين الامانة وقبح الخيانة ووددت أنك كنت تدفعها كلها اليه وتصفعه مع
العشرة عشرة أخرى وتدفع له الخمسمائة درهم فقسم الدراهم بيننا وانصرفنا (وفى سنة) اثنتين
وثمانين ومائتين كانت وفاة اسمعيل بن اسحق القاضى والحرث بن أبى أسامة وبلال بن العلاء
الرقى (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين نزل المعتضد تكريت (٢) وسار الحسن بن حمدان
فى الاولياء لحرب هرون الشارى فكانت بينهم حرب عظيمة كانت للحسن بن حمدان عليه فأتى به
المعتضد أسيرا بغير أمان ومعه أخوه فدخل المعتضد بغداد وقد نصبت له القباب وزينت له
الطرقات وعبى المعتضد بالله جيوشه بباب الشماسية أحسن ما يكون من التعبية وأكمل هيئة
فاشتقوا بغداد الى القصر المعروف بالحسنى ثم خلع المعتضد على الحسن بن حمدان خلعا شرفه
بها وطوقه بطوق من ذهب وخلع على جماعة من فرسانه ورؤسا أصحابه وأهله وشهرهم فى الناس

كرامة

(١) الزط جيل من الناس الواحد زطى مثل الزنج وزنجى والروم ورومى قاله الجوهرى وقال المجد الزط بالضم جيل من الهند معرب جت بالفتح والقياس يقتضى فتح معربه أيضا الواحد زطى اه والنبط محركة جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين كالنبيط والانباط وهو نبطى محركة ونباطى مثلثة ونباط كثمان قاله المجد اه

(٢) تكريت بفتح أوله بلد سميت بتكريت بنت وائل قاله المجد

كرامة لما كان من فعلهم وحسن بلائهم ثم أمر بالشارى فأركب فيلا وعليه دراعة ديباج وعلى رأسه برنس خز طويل وخلفه أخوه على جمل فالج وهو ذو السنامين وعليه دراعة ديباج وبرنس خز وسيرهم فى أثر الحسن بن حمدان وأصحابه ثم دخل المعتضد فى أثره عليه قباء أسود وقلنسوة محدودة على فرس ضاف بين يساره أخوه عبد الله بن الموفق وخلفه بدر غلامه وأبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره وابنه القاسم بن عبد الله فأكثر الناس الدعاء له وتكاثف الناس فى منصرفهم من الجانب الشرقى الى الغربى فانخسف بهم كرسى الجسر الاعلى وسقط على زورق مملوء ناسا فغرق فى هذا اليوم نحو من ألف نفس ممن عرف دون من لم يعرف واستخرج الناس من دجلة بالكلاليب والغاصة وارتفع النجيج وكثر الصراخ من الجانبين جميعا فبينما الناس كذلك اذ أخرج بعض الغاصة صبيا عليه حلى فاخرة من ذهب وجوهر فبصر به شيخ من النظارة طرار (١) فجعل يلطم وجهه حتى دمى أنفه ثم تمرغ فى التراب وأظهر أنه ابنه وجعل يقول ياسيدى لم تمت اذ أخرجوك صحيحا سويا لم تأكل السمك ولم تمت حبيبى اذ كحلت عينى بك مرة قبل الموت وأخذه فحمله على حمار ثم مضى به فما برح القوم الذين رأوا من الشيخ ما رأوا حتى أقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار حين بلغه الخبر وهو لا يشك الا أن الصبى فى أيديهم وليس يهمه ما كان عليه من حلى وثياب وانما أراد أن يكفنه ويصلى عليه ويدفنه فخبره الناس بالخبر فبقى هو ومن معه من التجار متعجبين مبهوتين وسألوا عنه واستحثوا فاذا لا عين ولا أثر وعرف توابو هذا الجسر هذا الشيخ المحتال فأيأسوا أبا الغريق منه وذكروا أنه شيخ قد أعياهم أمره وحيرهم كيده وأنه بلغ من حيله وخبثه ودهائه أنه أتى يوما من أول الصباح الى باب بعض العدول الكبار المشهورين بالرياسة واليسار ومعه جرة فارغة على عاتقه وفأس وزنبيل فقام فى ثوب خلق ولم يتكلم حتى وضع الفأس فى الدكاكين التى على باب ذلك العدل فهدمها وجعل ينقى الآجر ويعزله فسمع ذلك العدل بهدمها ووقع الفأس والهدم فخرج لينظر فاذا الشيخ دائب بهدم دكاكينه التى على باب داره فقال ياعبد الله أى شئ تصنع ومن أمرك بهذا فجعل الشيخ يعمل عمله ولا يلتفت الى العدل ولا يكلمه فاجتمع الجيران وهم فى المحاورة فأخذوا بيد الشيخ فوكزه هذا ودفعه هذا فالتفت اليهم فقال ويلكم أى شئ تريدون منى أما تستحيون تعبثون بى وأنا شيخ كبير فقالوا أمالنا وانعبث بك ويحك من أمرك بهذا قال ويحكم أمرنى صاحب الدار فقالوا هذا صاحب الدار يكلمك قال لا والله ما هو هذا فلما سمعوا كلامه وغفلته رحموه وقالوا هذا مجنون أو مخدوع خدعه بعض جيران هذا العدل ممن قد حسده على ما أنعم الله تعالى به عليه وهم الذين حملوا هذا الشيخ على هذا الفعل فلما منعوه من الهدم مضى الى الجرة التى جاء بها وقد كان وضعها الى جانب الباب فأدخل يده فيها كأنه قد خبأ ثيابه فيها فصرخ وبكى فلم يشك العدل أن محتالا خدعه وأخذ ثيابه فقال وأى شئ ذهب لك قال قميص جديد اشتريته أمس وملحفة ابنتى وسراويل فرقوا له جميعا ودعاه العدل فكساه ووهب له دراهم كثيرة ووهب له الجيران دراهم كثيرة وانصرف غانما وهذا الشيخ كان يعرف بالعقاب ويكنى بأبى الباز وله أخبار عجيبة وحيل وهو الذى حتال على المتوكل حين... عن بختيشوع الطبيب أنه ان سرق من داره شيأ يعرفه فى ثلاث ليال... ذكرت من ذلك شيرا...

(١) الصحيح طرار من باب قتل شققته ومنه الطرار وهو الذى يقطع النفقات ويأخذها على غفلة من أهلها اهـ

أن يحمل الى خزانة أمير المؤمنين عشرة آلاف دينار وان خرجت هذه الليالى ولم يتم عليه ماذكرنا فله الضيعة المعين ذكرها فى المبايعة فأتى بهذا الشيخ فى عنفوان شبابه الى المتوكل فضمن للمتوكل أن يأخذ من دار بختيشوع شيأ لا ينكره وقد كان بختيشوع حرس داره وحصنها فى هذه الليالى فاحتال هذا الشيخ المعروف بالعقاب بحيل لطيفة الى أن سرق بختيشوع وجعله فى صندوق وأتى به المتوكل فى خبر ظريف وأنه رسول لعيسى بن مريم نزل الى بختيشوع بشمع أسرجه وتخليط عمله وبنج فى طعام اتخذه وأطعمه الحراس لداره فى تلك الليلة وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وهذا الشيخ قد برز فى مكايده وما أورده من حيله على دالة المحتالة وغيرها من سائر المكارين والمحتالين ممن سلف وخلف منهم (ولطلاب صنعة الكيمياء) من الذهب والفضة وأنواع الجواهر من اللؤلؤ وغيره وصنعة أنواع الاكسيرات من الاكسير المعروف بالفرار وغيره وإقامة الزئبق وصنعته فضة وغير ذلك ممن خدعهم وحيلهم فى القرع والمغناطيس والتقطير والتكليس والبوادق والحطب والفحم والمنافخ أخبار عجيبة وحيل قد أتينا على ذكرها ووجوه الخدع فيها وكيفية الاحتيال بها فى كتابنا أخبار الزمان وماذكروه فى ذلك من الاشعار وما عزوه الى من سلف من اليونانيين والروم مثل قلونطرة الملكة ومارية وماذكره خالد بن يزيد بن معاوية فى ذلك وهو عند أهل الصنعة من المتقدمين فيهم فى شعره الذى يقول فيه

خذ الطلق مع الاشق * وما يوجد فى الطرق
وشيأ يشبه البرقا * فدبره بلا حرق
فان أحببت مولاكا * فقد سودت فى الخلق

(وقد صنف) يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندى رسالة فى ذلك وجعلها مقالتين يذكر فيها تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وحيلهم وترجم الرسالة بابطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة من غير معادنهما وقد نقض هذه الرسالة على الكندى أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الفيلسوف صاحب الكتاب المنصورى فى صناعة الطب الذى هو عشر مقالات وأرى القول أن ماذكره الكندى فاسد وان ذلك قد يتأتى فعله ولابى بكر بن زكريا فى هذا المعنى كتب قد صنفها وأفرد كل واحد منها بنوع من الكلام فى هذه الصنعة فى الاحجار المعدنية وغير ذلك من كيفية الاعمال وهذا باب قد تنازع الناس فيه من فعل قارون وغيره ونحن نعوذ بالله من التهوس فيما يخسف الدماغ ويذهب بنور الابصار ويكسف الالوان من بخار التصعيدات ورائحة الزاجات وغيرها من الجمادات (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كان الفداء بالاسر بين المسلمين والروم فى شعبان وكان بدوه يوم الثلاثاء وفيه كان مسير جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون من الشأم الى مصر فى جيوشه فخالفه طغج بدمشق بعد ذلك (وفيها) خرج عن جيش بن خمارويه خاقان المفلحى وبدفة بن كسجور وابن كنداج فساروا الى وادى القرى ودخلوا مدينة السلام فخلع عليهم المعتضد (وفيها) كان الشغب بمصر وقتل أحمد الماوردى بن محمد بن على الماردانى المقبوض عليه فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بمصر وقبض على جيش بن خمارويه ونصب أخوه هرون بن خمارويه

مكانه

مكانه وكانوا قد نقموا على جيش تقدمه لغلامه نجح المعروف بالطولوني وأخيه سلامة المعروف بالمؤتمن وقد كان أخو مسلامة هذا بعد ذلك صحب جماعة من الخلفاء منهم القاهر والراضي وأراه مع المتقي في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي عمرو مقدام بن عمرو الرعيني بمصر ليومين بقيا من شهر رمضان وكان من جلة الفقهاء ومن كبار أصحاب مالك (وفيها) ولي المعتضد يوسف بن يعقوب القضاء بمدينة السلام وخلع عليه وانتدبه للجانب الشرقي (وفي هذه السنة) وهي سنة ثلاث وثمانين ومائتين قبض المعتضد على أحمد بن الطيب بن مروان السرخسي صاحب يعقوب بن اسحق الكندي وسلمه الى بدر غلامه ووجه الى داره من قبض على جميع ماله وقرر جواريه على المال حتى استخرجوه فكان جملة ما حصل من العين والورق وثمن الآلات خمسين ومائة ألف دينار وكان ابن الطيب قد ولي الحسبة ببغداد وكان موضعه من الفلسفة لا يجهل وله مصنفات حسان في أنواع من الفلسفة وفنون من الاخبار (وقد تنازع الناس) في كيفية قتله والسبب الذي من أجله كان قتل المعتضد اياه وقد أتينا على ما قيل في ذلك في كتابنا المترجم بالاوسط فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب (وفيها) ورد الخبر بقتل عمرو بن الليث ورافع بن هرثمة (وفي سنة) أربع وثمانين ومائتين أدخل الى بغداد رأس رافع بن هرثمة ثم صلب ساعة من نهار ثم رد الى دار السلطان (وفي هذه السنة) كان لاهل بغداد نورة مع السلطان لصياحهم بالخدم السودان ياعقيق صب ماء واطرح دقيق ياعاق ياطويل الساق وذلك أن الخدم في دار السلطان منهم اجتمعوا فكلموا المعتضد بما يلحقهم في الازقة والشوارع والدروب وسائر الطرق من الصغير والكبير من العوام فأمر المعتضد بجماعة من العامة فضربوا بالسياط فتشعب العامة لذلك (وفي هذه السنة) ظهر للمعتضد شخص في صور مختلفة في داره فكان تارة يظهر في صورة راهب ذي لحية بيضاء وعليه لباس الرهبان وتارة يظهر شابا حسن الوجه ذا لحية سوداء بغير تلك البزة وتارة يظهر شيخا أبيض اللحية ببزة التجار وتارة يظهر بيده سيف مسلول وضرب بعض الخدم فقتله فكانت الابواب تؤخذ وتغلق فيظهر له أين كان في بيت أو صحن أو غيره وكان يظهر له في أعلى الدار التي بناها فأكثر الناس القول في ذلك واستفاض الامر واشتهر في خواص الناس وعوامهم وسارت به الركبان وانتشرت به الاخبار والقول في ذلك على حسب ما كان يقع لكل واحد منهم فمن قائل ان شيطانا مريدا صحبه يظهر فيؤذيه ومنهم من يقول ان بعض مؤمني الجن رأى ما هو عليه من المنكر وسفك الدماء فظهر له رادعا وعن المنكر زاجرا ومنهم من رأى أن ذلك بعض خدمه كان قد هوى بعض جواريه فأحتال بحيلة فلسفية من بعض العقاقير الخاصة فيضعها في فمه فلا يدركه بحاسة البصر وكل ذلك ظن وحسبان فاحضر المعتضد المعزمين واشتد قلقه واستوحش وحار عليه أمره فقتل وغرق جماعة من خدمه وجواريه وضرب وحبس جماعة منهم وقد أتينا على الخبر في ذلك وما حكي عن افلاطون في هذا المعنى وعلى خبر سغب أم المقتدر بالله والسبب الذي من أجله حبسها المعتضد وأراد قطع أنفها والتشويه بها في كتابنا أخبار الزمان (وفي هذه السنة) ورد الخبر بقتل أبي الليث الحرث بن عبد العزيز بن أبي دلف بسيفه لنفسه في الحرب وذلك أن سيفه كان على عاتقه

مستهزا فكابه فرسه فذبحه بسيفه فأخذ عيسى النوشرى رأسه وأنفذه الى بغداد (وفى سنة خمس وثمانين ومائتين وقع صالح بن مدرك الطائى فى نبهان وسنبس (١) وغيرهم من طى بالحاج وعلى الحاج يحيى الكبير وكانت ليحيى مع صالح ومن معه من الطالبيين حرب عظيمة فى الموضع المعروف بقاع الاجفر وتشوش الحاج وأخذهم السيف فمات عطشا وقتلا خلائق من الحاج وأصاب يحيى ضربات كثيرة وكانت العرب ترتجز فى ذلك اليوم وتقول

ما إن رأى الناس كيوم الاجفر * الناس صرعى والقبور تحفر

وأخذ من الناس نحو من ألفى ألف دينار (وفى هذه السنة) وهى سنة خمس وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى اسحق ابراهيم بن محمد الفقيه المحدث فى الجانب الغربى وله خمس وثمانون سنة وكانت يوم الاثنين لسبع بقين من ذى الحجة ودفن مما يلى باب الانبار وشارع الكبش والاسد وكان صدوقا عالما فصيحا جوادا عفيفا وكان زاهدا عابدا ناسكا وكان مع ما وصفنا من زهده وعبادته ضاحك السن ظريف الطبع سلس القياد ولم يكن معه تجبر ولا تكبر وربما مزح مع أصدقائه بما يستحسن منه ويستقبح مع غيره وكان شيخ البغداديين فى وقته وظريفهم وناسكهم وزاهدهم ومسندهم فى الحديث وكان يتفقه لاهل العراق وكان له مجلس يوم الجمعة فى المسجد الجامع الغربى (وأخبرنا) أبو اسحق بن جابر قال كنت أجلس يوم الجمعة فى حلقة ابراهيم الحربى وكان يجلس الينا غلامان فى نهاية الحسن والجمال من الصورة والبزة من أبناء التجار من الكرخيين وبرتبهما واحدة كانهما روحان فى جسد إن قاما قاما معا وان قعدا قعدا معا فلما كان فى بعض الجمع حضر أحدهما وقد بان الاصفرار بوجهه والانكسار فى عينيه فتوسمت أن غيبة الآخر لعلة قد لحق الحاضر من أجل ذلك الانكسار فلما كان الجمعة الثانية حضر الغائب ولم يحضر الذى كان فى الجمعة الأولى منهما وان الصفرة والانكسار أبين فى لونه ونشاطه فعلمت أن ذلك للفراق بينهما ولاجل الالفة الجامعة لهما فلم يزالا يتسابقان فى كل جمعة الى الحلقة فأيهما سبق صاحبه الى الحلقة لم يجلس الآخر فصح عندى ما كان تقدم فى نفسى جواز كونه فلما كان فى بعض الجمع حضر أحدهما فجلس الينا وجاء الآخر فأشرف على الحلقة فاذا صاحبه قد سبق واذا المسبوق المطلع على الحلقة قد خنقته العبرة فتبينت ذلك فى جمالبق عينيه واذا فى يسراه رقاع صغار مكتوبة فقبض بيمينه رقعة من تلك الرقاع وحذف بها فى وسط الحلقة وانساب بين الناس مارا مستحيا وأنا أرمقه ببصرى وكذلك جماعة ممن كان جالسا فى الحلقة وكان الى جانبى على اليمين أبو عبد الله على بن الحسين بن جويرية وذلك فى عنفوان الشباب وأوان الحداثة فوقعت الرقعة بين يدى ابراهيم الحربى فقبض عليها ونشرها وقرأها وكان من شأنه فعل ذلك اذا وقعت فى يده رقعة فيها دعاء أن يدعو لصاحبها مريضا كان أو غير ذلك ويؤمن على دعائه من حضر فلما قرأ الرقعة أقبل يتأمل ما فيها تأملا شافيا لانه رأى ملقيها ثم قال اللهم اجمع بينهما وألف بين قلوبهما واجعل ذلك مما يقرب منك ويزلف لديك وأمنوا على دعائه كما جرت العادة منهم بفعله ثم أدرج الرقعة بسبابته وابهامه وحذفنى بها فتأملت ما فيها وقد كنت مستطلعا نحوها التبين الملقى لها فاذا فيها مكتوب

عفا الله عن عبد أعان بدعوة * لخلين كانا دائمين على الود

(١) قال الجوهرى نبهان أبو حى من طى وهو نبهان بن عمرو اه وسنبس بالكسر ابن معاوية ابن جرول أبو حى من طى قاله المجد

الى أن وشى واشى الهوى بنميمة * الى ذا الذى من هذا الاعن العهد

فكانت الرقعة معى فلما كانت الجمعة الثانية حضرا معا واذا الاصفرار والانكسار قد زال فقلت لابي جويرية انى لارى الدعوة قد سبقت لهما بالاجابة من الله تعالى وان دعاء الشيخ كان على التمام ان شاء الله تعالى فلما كان فى تلك السنة كنت ممن حج فكانى أنظر اليهما بين منى وعرفات محرمين جميعا فلم أزل أراهما متألفين الى أن كهلا وأرى أنهما فى صف أصحاب الديباج فى الكرخ أو غيره من الصفوف (قال المسعودى) وهذا الخبر سمعته من ابراهيم ابن جابر القاضى قبل ولايته القضاء وهو يومئذ ببغداد يعالج الفقر ويتلقاه من خالقه بالرضا ناصرا للفقر على الغنى فما مضت أيام حتى لقيته بحلب من بلاد قنسرين والعواصم من أرض الشام وذلك فى سنة تسع وثلثمائة واذا هو بالضد عما عهدته متوليا القضاء على ما وصفنا ناصرا ومشرفا للغنى على الفقر فقلت له أيها القاضى تلك الحكاية التى كنت تحكيها عن الوالى الذى كان بالرى وأنه قال لك ان الخواطر اعترضتنى بين منازل الفقراء والاغنياء فرأيت فى النوم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال لى يا فلان ما أحسن تواضع الاغنياء للفقراء شكرا لله تعالى وأحسن من ذلك تعزز الفقراء على الاغنياء ثقة بالله تعالى فقال لى ان الخلق تحت التدبير لا ينفكون من أحكامه فى جميع متصرفاتهم وكنت كثيرا ما أسمعه فيما وصفنا من حال فقره يذم ذوى الحرص على الدنيا ويذكر فى ذلك خبرا عن على كرم الله وجهه وهو أن عليا عليه السلام كان يقول ابن آدم لا تحمل هم يومك الذى لم يأت على يومك الذى أنت فيه فانه ان يكن من أجلك يأت الله فيه برزقك واعلم أنك لن تكتسب شيأ فوق قوتك الا كنت خازنا فيه لغيرك فركب بعد ذلك الهماليج من الخيل (ولقد أخبرت) أنه قطع لزوجته أربعين ثوبا تستريا وقصبا وأشباه ذلك من الثياب على مقراض واحد وخلف مالا عظيما لغيره (وفى هذه السنة وهى سنة خمس وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى العباس محمد بن يزيد النحوى المعروف بالمبرد ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من ذى الحجة وله تسع وسبعون سنة ودفن بمقابر باب الكوفة من الجانب الغربى بمدينة السلام (وفى سنة) ست وثمانين ومائتين مات محمد بن يونس الكوفى المحدث ويكنى بأبى العباس يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة وله مائة سنة وست سنين ودفن بمقابر الكوفة من الجانب الغربى وكان عالى الاسناد (وفى هذه السنة) كان الفزع من أبى سعيد الجبائى بالبصرة ومن معه بالبحرين خوفا من أن يكبسها وكتب الواثق وهو أحمد بن محمد وكان على حربها الى المعتضد بذلك فأطلق لسورها أربعة عشر ألف دينار فبنيت وحصنت (وفى هذه السنة) ظفر ابو الاغر خليفة بن المبارك السلمى بصالح بن مدرك الطائى بناحية فيد مكرا فى ذهابهم الى مكة وقد كانت الاعراب جمعت لابى الاغر ليستنقذوا ما حازه من يده فواقعهم وقتل رئيسهم جحش بن ديال وجماعة معه وأخذ رأسه فلما علم صالح بن مدرك بقتل جحش بن ديال يئس من الخلاص من يد أبى الاغر فلما نزل المنزل المعروف بمنزلة القرشى أتاهم غلام بطعام فاستلب منه سكينا وقتل نفسه فأخذ أبو الاغر رأسه وأظهره بالمدينة فتباشر الحاج وكانت لابى الاغر فى رجوعه وقعة عظيمة اجتمع هو ونحرير وغيرهما من أمراء قوافل الحج مع الاعراب وكانت الاعراب قد اجتمعت وتحشدت من طىء وأحلافها وكانت رجالتها نحو من

(وفاة المبرد)

(وفاة محمد بن يونس المحدث)

ثلاثة آلاف راجل والخيل نحو من ذلك فكانت الحرب بينهم ثلاثا وذلك بين معدان القرشى والحاجز ثم انهزمت الاعراب وسلم الناس وكان ممن تولى مع أبى الاغر الحيلة على صالح بن مدرك سعيد بن عبد الاعلى (ودخل) أبو الاغر مدينة السلام وقدامه رأس صالح وجحش ورأس غلام لصالح أسود وأربعة أسارى وهم بنو عم صالح بن مدرك فخلع السلطان فى ذلك اليوم على أبى الاغر وطوقه بطوق من ذهب ونصب الرؤس على الجسر من الجانب الغربى وأدخل الاسارى المطبق (وفى هذه) السنة مات اسحق بن أيوب العبدى وكان على حرب ديار ربيعة (وفيها) شخص العباس بن عمرو الغنوى الى البصرة لحرب القرامطة بالبحرين (وفى هذه السنة) كانت الحرب بين اسمعيل بن أحمد وعمرو بن الليث صاحب بلخ فأسر عمرو وقد أتينا على كيفية أسره فى الكتاب الاوسط (وفى سنة) سبع وثمانين ومائتين كان خروج العباس بن عمرو من البصرة فى جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجر فالتقى هو وأبو سعيد الجنابى فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب العباس وأسر وقتل من أصحابه نحو سبعمائة صبرا دون من هلك من الرمل والعطش فأحرقت الشمس أجسادهم ثم ان أبا سعيد من على العباس بن عمرو بعد ذلك فأطلقه فصار الى المعتضد فخلع عليه وبعد هذه الوقعة افتتح أبو سعيد مدينة هجر بعد حصار طويل وقد أتينا على مبسوط هذه الحروب والسبب الذى كان من أجله تخلية أبى سعيد العباس بن عمرو الغنوى مع من بالبحرين من قومه وعصبتهم له (وفى هذه السنة) وهى سنة سبع وثمانين ومائتين كان مسير الداعى العلوى من طبرستان الى بلد جرجان فى جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم فلقيته جيوش المسودة من قبل اسمعيل بن أحمد وعليها محمد بن هرون فكانت وقعة لم ير مثلها فى ذلك العصر وصبر الفريقان جميعا وكانت للمبيضة على المسودة ثم كانت مكيدة من محمد بن هرون لما رأى من ثبوت الديلم على مصافها فلم ينقض صفوفه وولى فأسرعت الديلم ونقضت صفوفها فرجعت عليهم المسودة وأخذهم السيف فقتل منهم بشر كثير وأصاب الداعى ضربات وذلك أن أصحابه لما نقضوا صفوفهم فى الغنيمة ولم يعرجوا عليه ثبت مع من وقف لنصره فكرت عليهم الجيوش فأسفرت الحرب وقد أثخن بالكلوم وأسر ولده زيد بن محمد بن زيد وغيره وبقى محمد الداعى أياما يسيرة وتوفى لما ناله فدفن بباب جرجان وقبره هنالك معظم الى هذه الغاية (وقد أتينا) على خبره بطبرستان وغيرها وما كان من سيرته وخبر بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف حين دخل اليه مستأمنا فى كتابنا أخبار الزمان وكذلك ذكرنا خبر يحيى بن الحسين الحسنى الرسى باليمن وتظافره هو وأبو سعد بن يعفر على ما كان من حروبهم باليمن مع القرامطة وما كان من أمرهم مع على بن الفضل صاحب المذيخرة وما كان من قصته وخبر وفاته وقصة شيخ لاعة صاحب قلعة نحل (١) وخبر ولده الى هذا الوقت بها وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ونزول يحيى بن الحسين الرسى مدينة صعدة من بلاد اليمن وخبر ولده أبى القاسم وخبر ولد ولده الى هذه الغاية وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا منبهين على ما قدمنا من تصنيفنا مما بسطناه من أخبار من ذكرناه وشرحنا من قصصهم وسيرهم وما كان منهم (وفى هذه السنة) وهى سنة ثمان وثمانين ومائتين كان دخول المعتضد الى الثغر الشامى فى طلب وصيف الخادم وراسله مع رشيق المعروف بالحرمى واستأمن الى المعتضد وصيف البكتمرى وغيره من القواد قواد الخادم وأصحابه وقد كان وصيف الخادم

(١) لاعة التى فى جبل صبر وعدن قرية تضاف اليها ونخل قرية منها منهم شيخ بن سيف الحلى قاله المجد اهـ

لما أخذ

لما أخذ الاكثر من أصحابه أراد الدخول الى أرض الروم والتعلق بالدروب وقد كان
المعتضد أسرع فى السير من بغداد وستر أخباره ولم يعلم بذلك وصيف مع شدة حذره وتفقده
لامره حتى عبر المعتضد الفرات وسار الى الشأم فلم يفلح جهد المعتضد لذلك لما أتعب نفسه
فى سرعة السير وقد كان المعتضد لما توسط الثغر الشامى خلف سواده بالكنيسة السوداء
وجرد القواد فى طلب وصيف فساروا فى طلبه خمسة عشر ميلا الى أن أدركوا قبل الليل
وفيهم خاقان المفلحى ووصيف موشكير وعلى كوره وغيرهم من القواد فقاتلهم وصيف وذلك
فى الموضع المعروف بدرب الحب فلما أشرف المعتضد ووصيف قد خذله أصحابه وتفرق عنه جمعه
أسر وأتى به المعتضد فسلمه الى مؤنس العجلى وأمن جميع أصحاب الاتفر الذين صاروا اليه من الثغر
الشامى وغيره وأحرق المعتضد المراكب الحربية وحمل من طرسوس أبا اسحق امام الجامع وأبا
عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقى صاحب مدينة أذنة من الثغر الشامى وغيرهم من البحريين مثل
اسمعيل وابنه وكان دخول المعتضد الى مدينة السلام فى الماء لسبع خلون من صفر سنة ثمان
وثمانين ومائتين ودخل جعفر بن المعتضد وهو المقتدر وبدر الكبير وسائر الجيش على الظهر وقد
زينت الطرق وبين أيديهم وصيف الخادم على جمل فالج وعليه دراعة ديباج وبرنس وخلفه على
جمل آخر البغيل وخلف البغيل ابنه على جمل آخر وخلف ابن البغيل على جمل آخر رجل من
أهل الشأم يعرف بابن المهندس وقد لبسوا الدراريع من الحرير الاحمر والاصفر وعلى رؤسهم
البرانس وطوق وسور خاقان المفلحى وغيره من القواد ممن ابلى فى ذلك اليوم الذى كان فيه أسر
وصيف الخادم وقد كان المعتضد أراد استحياء وصيف وأسف على موت مثله لشهامته وشجاعته
وحسن حيله واقدامه ثم قال ليس فى طبع هذا الخادم أن يرأسه أحد بل فى طبعه أن يرؤس
فى نفسه وقد كان بعث اليه بعد أن قبض عليه وأوثق بالحديد هل لك من شهوة قال نعم باقة من
الريحان أشمها وكتب من سير الملوك الغابرة أنظر فيها فلما رجع الرسول الى المعتضد وأخبره أنه
يديم النظر فى سير الملوك وسرهم بها ومجتهدون سائر ما حمل الى حضرته من الدفاتر فتعجب المعتضد
وقال هو يهون على نفسه الموت (وفى هذه السنة) كانت وفاة أبى عبيد الله محمد بن أبى الساج
باذربيجان واختلفت كلمة أصحابه وغلمانه بعده فمنهم من انحاز الى اخيه يوسف بن أبى الساج ومنهم
من انحاز الى ابنه بودار (وفى هذه السنة) أدخل عمرو بن الليث الى مدينة السلام فى جمادى
الأولى قدم به عبد الله بن الفتح رسول السلطان فشهر عمرو وأركب على جمل فالج وقد ألبس
دراعة ديباج وخلفه بدر والوزير القاسم بن عبيد الله فى الجيش فأتوا به الثريا فرآه المعتضد
ثم أدخل المطامير وقد كان فى هذا الوقت سارت عساكر الشاكرية من قبل طاهر بن محمد بن عمرو
ابن الليث غضبا لجده عمرو ولحقته ببلاد الاهواز وخرجت عن حدود فارس واضطرب الامر
وبعث المعتضد بعبد الله بن الفتح واستأمن الى اسمعيل بن أحمد بهديا امنها مانه بدلة ديباج
منسوجة بالذهب مرصعة بالجوهر ومنطقة ذهب مرصعة بالجوهر وغير ذلك من الجواهر
وثلثمائة ألف دينار ليفرقها فى أصحابه ويبعثهم الى بلاد سجستان الى حرب طاهر بن محمد بن عمرو بن
الليث وأمر عبد الله بن الفتح أن يحمل فى طريقه من خراج ما يجتاز به من بلاد الجبل عشرة
آلاف ألف درهم ويضيفها الى الثلثمائة ألف دينار وسار بدر غلام المعتضد بالله فى عساكره الى

بلاد فارس من هذه السنة فنزل شيراز وانكشف عن البلد اليشكرية (وفي أول يوم) من المحرم وهو يوم الثلاثاء من سنة تسع وثمانين ومائتين توفي وصيف الخادم فأخرج وصلب على الجسر بدنا بلا رأس وقد كان الخدم سألوا المعتضد أن يستروا عورته فأباح لهم ذلك فألبس ثيابا ولف عليه ثوب جديد وخيط على مكان الثياب من سرته الى الركبتين وطلي بدنه بالصبر وغيره من الاطلية القابضة والماسكة للاجزاء جسمه فقام مصلوبا على الجسر لا يبلى الى سنة ثلثمائة في خلافة المقتدر بالله (وفي هذه السنة) تشعب الجند والعامة فعمدت العامة اليه تماجنا وحطوه من فوق الخشبة وقالوا قد وجب علينا حق الاستاذ أبي علي وصيف الخادم لطول مجاورته لنا وصبره علينا لا يبلى على هذه الخشبة فلفوه في رداء بعضهم وحملوه على أكتافهم وهم نحو من مائة ألف من الناس يرقصون ويغنون ويصيحون حوله الاستاذ الاستاذ فلما ضجروا من ذلك طرحوه في دجلة وذلك أنهم شيعوه في الماء سباحه فغرق منهم في جرية الماء خلق كثير (وفي هذه السنة) أتى بجماعة من القرامطة من ناحية الكوفة منهم المعروف بأبي الفوارس وبعد أن قطعت يداه ورجلاه صلب الى جانب وصيف الخادم ثم حول الى ناحية الكناس مما يلي الناشرية من الجانب الغربي فصلب مع قرامطة هنالك (وقد كان لاهل بغداد) في قتل أبي الفوارس هذا أراجيف كثيرة وذلك أنه لما قدم لضرب عنقه أشاعت العامة أنه قال لمن حضر قتله من العوام هذه عمامتي تكون قبلك فاني راجع بعد أربعين يوما فكان يجتمع في كل يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويحصون الايام ويقتتلون ويتناظرون في الطرق في ذلك فلما تمت الاربعون ليلة وقد كان كثر لغطهم واجتمعوا فكان بعضهم يقول هذا جسده ويقول آخر قد مر وانما السلطان قتل رجلا آخر وصلبه موضعه لكي لا يفتتن الناس فكثر تنازع الناس في ذلك حتى نودي بتفريقهم فترك التنازع والخوض فيه (وكان ورد مال) من محمد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرق في آل أبي طالب سرا فغمز بذلك الى المعتضد فأحضر الرجل الذي كان يحمل المال اليهم فأنكر عليه اخفاء ذلك وأمره باظهاره وقرب آل أبي طالب وكان السبب في ذلك قرب النسب ولما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن علي الوراق الانطاكي الفقيه المعروف بابن الغنوي بانطاكية قال أخبرني محمد بن يحيى ابن أبي عباد الجليس قال رأى المعتضد بالله وهو في سجن أبيه كأن شيخا جالسا على دجلة يمد يده الى ماء دجلة فيصير في يده وتجف دجلة ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت قال فسألت عنه فقيل لي هذا علي بن أبي طالب عليه السلام قال فقمت اليه وسلمت عليه فقال يا أحمد ان هذا الامر صائر اليك فلا تتعرض لولدي ولا تؤذيهم فقلت السمع والطاعة يا أمير المؤمنين وعم الناس تأخر الخراج عنهم وكان انعام المعتضد عليهم فقالت الشعراء في ذلك وأكثرت ووصفت في أشعارها ذلك وأطنبت فأحسن يحيى بن علي المنجم فقال

يا محيي الشرف اللباب * ومجدد الملك الخراب

ومعمد ركن الدين فينا * ثابتا بعد اضطراب

فت الملوك مبرزا * فوت المبرز في الحلاب

اسعد بنيروز جعلت * الشكر فيه الى الثواب

قدمت فى تأخيرما * قد قدموه الى الصواب

وقوله

يوم نيروزك يوم * واحد لا يتأخر

من حزيران يوافى * أبدا فى أحد عشر

(وكان) وصول قطر الندا بنت خمارويه الى مدينة السلام مع ابن الجصاص فى ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين ففى ذلك يقول على بن العباس الرومى

ياسيد العرب الذى زفت له * باليمن والبركات سيدة العجم

اسعد بها كسعودها بك انها * ظفرت بما فوق المطالب والهمم

ظفرت بملأى ناظريها بهجة * وضميرها نبلا وكفيها كرم

شمس الضحى زفت الى بدر الدجى * فتكشفت بهما عن الدنيا الظلم

(ولما أدخل) عمرو بن الليث الى مدينة السلام من المصلى العتيق رافعا يديه يدعو وهو على جمل فالج وهو ذو السنامين وكان أنفذه الى المعتضد فى هدايا تقدمت له قبل أسره فقال فى ذلك الحسن بن محمد بن مهر

ألم تر هذا الدهر كيف صروفه * يكون عسيرا مرة ويسيرا

وحسبك بالصفار نبلا وعزة * يروح ويغدو فى الجيوش اميرا

حباهم بأجمال ولم يدر أنه * على جمل منها يقاد أسيرا

وفى ذلك يقول محمد بن بسام

أيها المغتر بالدنـ * ـيا أما أبصرت عمرا

مقبلا قد أركب الفا * لج بعد الملك قسرا

وعليه برنس السخـ * ـطة اذلالا وقهرا

رافعا كفيه يدعو الله * اسرارا وجهرا

أن ينجيه من القتـ * ـل وأن يعمل صفرا

(ولما قتل) محمد بن هرون لمحمد بن زيد العلوى أظهر المعتضد لذلك النكير والحزن تأسفا على قتله (وكانت) وفاة نصر بن أحمد صاحب ما وراء نهر بلخ فى أيام المعتضد وذلك فى سنة تسع وثمانين ومائتين وصار الأمر الى أخيه اسمعيل بن أحمد (وكانت) وفاة أحمد بن أبى طاهر الكاتب صاحب كتاب أخبار بغداد سنة ثمانين ومائتين (وفيها كانت) وفاة أحمد بن محمد القاضى الذى يحدث (وفى سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى مؤدب المكتفى بالله فى المحرم وهو صاحب الكتب المصنفة فى الزهد وغيره (وفى سنة) اثنتين كانت وفاة أبى سهل محمد بن أحمد الرازى المحدث وانما نذكر وفاة هؤلاء لدخولهم فى التاريخ وحمل الناس العلم عنهم من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكانت) وفاة عبيد الله بن شريك المحدث فى سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد (وفيها) وفاة بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف بطبرستان (وفيها) مات محمد بن الحسين بن الجنيد (وفى سنة) ثمان وثمانين ومائتين مات أبو على بشر بن عمير الاسدى وله نيف وتسعون سنة وقبض ولده وهو ابن تسع وتسعين سنة وفيها مات أبو المثنى معاذ بن المثنى بن معاذ العمدى فى أيام المعتضد (قال المسعودى) وقد ذكرنا من أشهر من الفقهاء والمحدثين وغيرهم

من أهل الآراء والادب فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعاً ملوحين على ماسلف (وكانت) وفاة المعتضد لاربع ساعات خلت من ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين فى قصره المعروف بالحسنى بمدينة السلام وقيل ان وفاته كانت بسم اسمعيل بن بلبل قبل قتله اياه فكان يسرى فى جسده ومنهم من ذكر أن جسمه تحلل فى مسيره فى طلب وصيف الخادم على ماذكرنا ومنهم من رأى أن بعض جواريه سمته فى منديل أعطته اياه يتنشف به وقيل غير ذلك مما عنه أعرضنا (وقد كان) أوصى أن يدفن فى دار محمد بن عبدالله بن طاهر فى الجانب الغربى من الدار المعروفة بدار الرخام فلما اعتراه الغشى ووقع للموت شكوا فى وفاته فتقدم الطبيب الى بعض أعضائه يجسه فأحس به وهو على مابه من السكرات فأنف من ذلك وركله برجله ذقلبه أذرعا فيقال ان الطبيب مات منها ومات المعتضد من ساعته وسمع ضجة وهو على مابه من الحال ففتح عينيه وأشار بيديه كالمستفهم فقال له مؤنس الخادم ياسيدى الغلمان قد ضجوا اعندا القاسم بن عبيدالله فأطلقنا لهم العطاء فقطب وهمهم فى سكرته فكادت أنفس الجماعة أن تخرج من هيبته وحمل الى دار محمد بن عبدالله بن طاهر فدفن بها (قال المسعودى) وللمعتضد أخبار وسير وحروب ومسير فى الارض غير ماذكرنا قد أتينا على ذكرها والغرر من مبسوطها فى كتاب أخبار الزمان والاوسط

(ذكر خلافة المكتفى بالله)

وبويع المكتفى بالله وهو على بن أحمد المعتضد بمدينة السلام فى اليوم الذى كانت فيه وفاة أبيه المعتضد وهو يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وأخذ له البيعة القاسم بن عبيدالله والمكتفى يومئذ بالرقة وللمكتفى يومئذ نيف وعشرون سنة ويكنى بأبى محمد فكان وصول المكتفى الى مدينة السلام يوم الاثنين لسبع ليال بقين من جمادى الأولى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان دخوله فى الماء ونزل قصر الحسنى على دجلة وكانت وفاته يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وهو يومئذ ابن احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر فكانت خلافته ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما وقيل ست سنين وستة أشهر وستة عشر يوما لى تباين الناس فى تواريخهم والله أعلم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

ولم يتقلد الخلافة الى هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقى لله من اسمه على الاعلى بن أبى طالب والمكتفى ولما نزل المكتفى قصر الحسنى فى اليوم الذى كان دخوله الى مدينة السلام خلع على القاسم بن عبيدالله ولم يخلع على أحد من القواد وأمر بهدم المطامير التى كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس واطلاق من كان محبوسا فيها وأمر برد المنازل التى كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير الى أهلها وفرق فيهم أموالا فمالت قلوب الرعية اليه وكثر الداعى له بهذا السبب وغلب عليه القاسم بن عبيدالله وفاتك مولاه ثم غلب عليه بعد وفاة القاسم بن عبيدالله وزيره العباس بن الحسين وفاتك وقد كان القاسم بن عبيدالله

أوقع بمحمد بن غالب الاصبهانى وكان يتقلد ديوان الرسائل وكان ذا علم ومعرفة وأوقع بمحمد بن يسار وابن منارة لشئ بلغه عنهم فأوثقهم بالحديد وأحدرهم الى البصرة فيقال انهم غرقوا فى الطريق ولم يعرف لهم خبر الى هذه الغاية ففى ذلك يقول على بن بسام

عذرناك فى قتلك المسلمين * وقلنا عداوة أهل الملل

فهذا المنارى ماذنبه * ودينكما واحد لم يزل

وقد كانت الحال انفرجت بين القاسم بن عبيدالله وبدر قبل هذا الوقت فلما استخلف المكتفى أغراه القاسم ببدر وكان ميل جماعة من القواد الى بدر فساروا الى حضرة السلطان وسار بدر الى واسط فأخرج القاسم المكتفى الى نهر ديال فعسكر هنالك وجعل فى نفس المكتفى من بدر كل حالة يقدر عليها من الشر وأغراه به فأحضر القاسم أبا حازم القاضى وكان ذا علم ودراية فأمره عن أمير المؤمنين بالمسير الى بدر فيأخذ له الامان ويجئ به معه ويضمن له عن أمير المؤمنين ما أحب فقال أبو حازم ما كنت أبلغ عن أمير المؤمنين رسالة لم أسمعها منه فلما امتنع عليه أحضر أبا عمرو بن يوسف القاضى فأرسل به الى بدر وفى سر فأعطاه الامان والعهود والمواثيق عن المكتفى وضمن له أنه لا يسلمه عن يده الا عن رؤية أمير المؤمنين فخلى عسكره وجلس معه فى السمرا مصعدين فلما انتهوا الى ناحية المدائن والسيب (١) تلقاه جماعة بالحذر فأحاطوا بالسمرا وتنحى أبو عمرو عنه الى طيار فركب فيه وقرب بدر الى الشط وسألهم أن يصلى ركعتين وذلك فى يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين وقت الزوال فأمهلوه للصلاة فلما كان فى الركعة الثانية قطعت عنقه وأخذ رأسه فحمل الى المكتفى فلما وضع الرأس بين يدى المكتفى سجد وقال الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة ودخل المكتفى الى مدينة السلام يوم الاحد لثمان خلون من شهر رمضان ففى محمد بن يوسف القاضى يقول بعض الشعراء فى ضمانه لبدر العهود والمواثيق عن المكتفى

قل لقاضى مدينة المنصور * بم أحللت أخذ رأس الامير

بعد اعطائه المواثيق والعهـ * ـد وعقد الامان فى مسطور

أين ايمانك التى يشهد الله على أنها يمين فجور

أين تأكيدك الطلاق ثلاثا * ليس فيهن نية التضمير

ان كفيك لا تفارق كفيـ * ـه الى أن ترى مليك السرير

يا قليل الحياء يا أكذب الامة يا شاهدا شهادة زور

ليس هذا فعل القضاة ولا يحـ * ـسن أمثاله ولاة الجسور

قد مضى من قتلت فى رمضان * راكعا بعد سجدة التكبير

اى ذنب أتيت فى الجمعة الزهـ * ـراء فى خير خير خير الشهور

فأعد الجواب للحكم العا * دل من بعد منكر ونكير

يا بنى يوسف بن يعقوب أضحى * أهل بغداد منكم فى غرور

شتت الله شملكم وأرانى * بكم الذل بعد ذل الوزير

أنتم كلكم فداء أبى حا * زم المستقيم كل الامور

(١) قال المجد السيب بالكسر مجرى الماء ونهر بخوارزم وبالبصرة وآخر فى ذنابة الفرات وعليه بلد منه صباح بن هرون ويحيى بن أحمد المقرى وهبة الله بن عبد الله مؤدب المقتدر وأحمد بن عبد الوهاب وهو مؤدب المتقى لا أبوه اه

قالوا وكان بدو سرا وهو بدر بن خير من موالى المتوكل وكان بدر فى خدمة ناشى غلام الموفق صاحب ركابه ثم اتصل بالمعتضد وقرب من قلبه وخف بين يديه فى أيام الموفق وكان للمعتضد غلام يقال له فاتك وكان من أعلى غلمانه فبعد من قلبه وانحطت مرتبته وكان السبب فى ذلك أن المعتضد غضب على بعض جواريه فأمر ببيعها فدس فاتك من ابتاعها له فكان السبب فى ابعاده من قلب المعتضد عند نمو ذلك اليه وزاد أمر بدر وعلت مرتبته حتى كان يلتمس الحوائج به من المعتضد وكانت الشعراء تقرن مدح بدر بمدح المعتضد وكذلك من خاطبه فيما عدا المنظوم من الكلام (قال المسعودى) وأخبرنى أبو بكر محمد بن يحيى الصولى النديم الشطرنجى بمدينة السلام قال كان لى وعد على المعتضد فما ظفرت به حتى عملت قصيدة ذكرت فيها بدرا أولها

أيها الهاجر مزحا لا مجد * أجزاء الودان يلقى بصد

لامير المؤمنين المعتضد * بحر جود ليس يعدوه أحد

وأبو النجم لمن يقصده * جدول منه الى البحر يرد

قد مضى الفطر الى الاضحى وقد * آن أن يقرب وعد قد بعد

ما اقتضانى الوعد أن لست على * ثقة من انه أخذ بيد

غير أن النفس تهوى عاجلا * وسوا أعطى كريم أو وعد

قال فضحك وأمر لى بما وعدنى به (وأخبرنا) محمد بن النديم بمدينة السلام قال سمعت المعتضد يقول انا آنف من هبة القليل ولا أرى الدنيا لو كانت لى أموالها وجمعت عندى تفى بقدر جودى والناس يزعمون أنى بخيل أتراهم لا يعلمون أنى جعلت أبا النجم بينى وبينهم أعرف ما مبلغ ما ينفقه يوما فيوما لو كنت بخيلا ما أطلقت ذلك له (وأخبرنا) أبو الحسن محمد بن على الفقيه الوراق الانطاكى بمدينة انطاكية قال أخبرنى ابراهيم بن محمد الكاتب عن يحيى بن على المنجم النديم قال كنت يوما بين يدى المعتضد وهو مقطب فأقبل بدر فلما رآه من بعيد ضحك وقال لى يا يحيى من الذى يقول من الشعراء

فى وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

فقلت يقوله الحكم بن مرة المازنى فقال لله دره أنشدنى هذا الشعر فأنشدته

ويلى على من أطار النوم فامتنعا * وزاد قلبى على أوجاعه وجعا

كأنما الشمس فى أعطافه لمعت * حسنا أو البدر من أزراره طلعا

مستقبل بالذى يهوى وان كثرت * منه الذنوب ومعذور بما صنعا

فى وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

قال وأخذ قوله أو البدر من أزراره طلعا أحمد بن يحيى بن العراف الكوفى فقال

بدا وكأنما قمر * على أزراره طلعا

يحث المسك عن عرق الـ * جبين بنانه ولعا

(وفى سنة) تسع وثمانين ومائتين ظهر القرمطى بالشام وكان فى حروبه مع طغج وعساكر المصريين ما قد اشتهر خبره وقد أتينا على ذكره فيما سلف وما كان من خروج المكتفى الى الرقة وأخذ القرامطة

وذلك في سنة احدى وتسعين ومائتين وكذلك ما كان من ذكرويه بن مبرويه ووقوعه بالحاج في سنة أربع وتسعين ومائتين الى أن قتل وأدخل الى مدينة السلام (قال المسعودي) وكان فداء الغدر في ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين ومائتين بالامنين بعد أن فادوا بجماعة المسلمين ثم ان الروم قد غدروا وبعد ذلك وكان فداء تمام بالامنين بين المسلمين على التمام في شوال من سنة خمس وتسعين ومائتين والامير في الفداء مين جمعا ... وكان على الثغور الشامية فكان عدة من فدى به من المسلمين في فداء ابن طغان في سنة ثلاث وثمانين ومائتين على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكره ألفي نفس وأربعمائة وخمسا وتسعين نفسا من ذكر وأنثى وكان عدة من فدى به من المسلمين في الغدر ألفا ومائة وأربعا وخمسين نفسا وعدد من فودى به في فداء التمام ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين نفسا ومات المكتفي وقد خلف في بيوت الاموال ثمانية آلاف ألف دينار ومن الورق خمسة وعشرين ألف ألف درهم ومن الدواب والبغال والجمارات وغيرها تسعة آلاف رأس وكان مع ذلك بخيلا ضيقا (وأخبرنا) أبو الحسن أحمد ابن يحيى المنجم المعروف بابن النديم وكان من حذاق أهل النظر والبحث وأهل الرياسة من أهل التوحيد والعدل وفي ابنه علي بن يحيى يقول أبو هفان

لربيع الزمان في الحول وقت * والابن يحيى في كل وقت ربيع
وجل عنده المكارم سوق * يشترى دهره ونحن نبيع

قال وكانت وظيفة المكتفي بالله عشرة ألوان في كل يوم وجدي في كل جمعة وثلاث جامات حلوا وكان يرد عليه الحلوا ووكل على مائدته بعض خدمه وأمره أن يحصي ما فضل من الخبز فما كان من المكسر عزله للثريد وما كان من الصحاح رد الى مائدته من الغد وكذلك كان يفعل بالنوادر والحلوا وأمر أن يتخذ له قصر بناحية الشماسية بازاء قطربل فأخذ بهذا السبب ضياعا كثيرة ومزارع كانت في تلك النواحي بغير ثمن من ملاكها فكثر الداعي عليه فلم يستتم ذلك البناء حتى توفي وكان هذا الفعل مشاكلا لفعل أبيه المعتضد في بناء المطامير (وكان وزيره) القاسم ابن عبيد الله عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكا للدماء وكان الكبير والصغير على رعب منه لا يعرف أحد منهم لنفسه نعمة معه (وكانت) وفاته عشية الاربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين ومائتين وله نيف وثلاثون سنة ففي ذلك يقول بعض أهل الادب وأراه عبيد الله بن الحسن بن سعد

شربنا عشية مات الوزير * ونشرب يا قوم في ثالثه
فلا قدس الله تلك العظام * ولا بارك الله في وارثه

(وكان) ممن قتل القاسم بن عبيد الله عبد الواحد بن الموفق وكان معتقلا عند مؤنس فبعث اليه حتى أخذ برأسه وذلك في أيام المكتفي وقد كان المعتضد يعزه ويميل اليه ميلا شديدا ولم يكن لعبد الواحد همة في خلافة ولا سمو الى رياسة بل كان همته في اللعب مع الاحداث وقد كان المكتفي أخبر عنه أنه أرسل عدة من غلمانه اليه خاصة فوكل به من يراعي خبره وما يظهر من قوله اذا أخذ الشراب منه فسمع منه وقد طرب وهو ينشد شعر العتابي حيث يقول

تلوم على ترك الغناء باهله * طوى الدهر عنها من طريف وتالد

رأت حولها النسوان يمشين حلقة * مقلدة أجيادها بالقلائد

يسرك أني نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد

وأن أمير المؤمنين أغصني * مغصهما بالمرهفات البوارد

ذريني تجئني ميتتي مطمئنة * ولم أتجشم هول تلك الموارد

فان نفيسات الأمور مشوبة * بمستودعات في بطون الاساود

وان الذي يسمو الى درك العلا * ملقى باسباب الردى والمكايد

فقال له بعض ندمائه وقد أخذ منه الشراب ياسيدي أين أنت عما تمثل به يزيد بن المهلب

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد * حياة لنفسي مثل أن أتقدما

فقال له عبد الواحد مه لقد أخطأت الغرض وأخطأ ابن المهلب وأخطأ قائل هذا البيت وأصاب أبو فرعون التميمي حيث يقول قال النديم حيث يقول ماذا قال قال

ومالي شئ في الوغى غير أنني * أخاف على مجراي أن يتحطما

ولو كنت مبتاعا من السوق مثلها * لدى الدرع ما باليت أن أتقدما

فلما انتهى ذلك الى المكتفي ضحك وقال قد قلت للقاسم ليس عمي عبد الواحد ممن تسمو همته اليها هذا قول من ليس له همة غير فرجه وجوفه وأمرديعانقه وكلاب يهارش بها وكباش يناطح بها ودبوك يقاتل بها أطلقوا لعمي كذا وكذا فلم يزل القاسم بعبد الواحد حتى قتله (وقد كان) المكتفي لما أن مات القاسم وتبين قتله لعبد الواحد أراد نبش القاسم من قبره وضربه بالسوط وحرقه بالنار وقد قيل غير ذلك والله أعلم (ومن أهلك) القاسم بن عبيد الله على ما قيل بالسم في خشكنانجة علي بن العباس بن جريج الرومي وكان منشؤه ببغداد ووفاته بها وكان من مختلق معاني الشعراء والمجودين في القصير والطويل متصرفا في المذاهب تصرفا حسنا وكان أقل أدواته الشعر ومن محكم شعره وجيده قوله

رأيت الدهر يجرح ثم يأسو * يعوض أو يسلي أو ينسي

أبت نفسي الهلاك لفقد شئ * كفى حزنا لنفسي فقد نفسي

(ومن قوله) العجيب الذي ذهب فيه الى معاني فلاسفة اليونانيين ومن مهر من المتقدمين قوله في القصيدة التي قالها في صاعد بن مخلد

لما تؤذن الدنيا به من زوالها * يكون بكاء الطفل ساعة يوضع (١)

والا فما يبكيه منها وانها * لأفسح مما كان فيه وأوسع

ومما دقق فيه فأحسن وذهب الى معنى لطيف من النظر على ترتيب الجدليين وطريقة حذاق المتقدمين قوله

غموض الشئ حين تذب عنه * يقلل ناصر الخصم المحق

تضيق عقول مستمعيه عنه * فيقضى للمجل على المدق

(ومما أجاد) فيه في وصف القناعة قوله

اذا ما شئت أن تعلم يوما كذب الشهوه

فكل ما شئت يصدرك * عن المزة والحلوه

(١) روى الزمخشري في الكشاف

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وفي شواهده بعد هذا البيت

والا فما يبكيه منها وانها * لأفسح مما كان فيه وأرغد

اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

وبحذائه أخرى

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يوضع

والا فما يبكيه منها وانها * لأروح مما كان فيه وأوسع

اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * يرى ما سيلقى من أذاها ويسمع

اهـ

وطأ ماشئت يحصنك * عن الحسناء والدره
وكم أنسالك ماتهوا * ه نيل الشئ لم تهوه

وقوله
بأبى حسن وجهك اليوسفى * ياكفى الهوى وفوق الكفى
فيه ورد ونرجس وعجيب * اجتماع الشتوى والصيفى

وقوله فى العنب الرازقى
ورازقى مخطف الخصور * كأنه مخازن البلور
ألين فى المس من الحرير * لوأنه يبقى على الدهور
* لقرطوه الحسان الحور *

(ولابن الرومى) أخبار حسان مع القاسم بن عبيد الله وأبى الحسن على بن سليمان الاخفش النحوى وأبى العباس الزجاجى النحوى وكان ابن الرومى الاغلب عليه من الاخلاط السوداء وكان شرها نهما وله أخبار تدل على ماذكرنا من هذه الجمل مع أبى سهل اسمعيل بن على النوبختى وغيره من آل نوبخت (وفى سنة) تسعين ومائتين مات عبد الله بن أحمد بن حنبل يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة (وفى سنة) احدى وتسعين ومائتين كانت وفاة أبى العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ليلة السبت لثمان بقين من جمادى الاولى ودفن فى مقابر الشأم فى حجرة اشتريت له وخلف احدى وعشرين ألف درهم وألفى دينار وغلة بشارع باب الشأم قيمتها ثلاثة آلاف دينار ولم يزل أحمد بن يحيى مقدما عند العلماء منذ أيام حداثته الى أن كبر وصار اماما فى صناعته ولم يخلف وارثا الا ابنة لابنه فرد ماله عليها وكان هو وأحمد بن المبرد عالمين قد ختم بهما تاريخ الادباء وكانا كما قال بعض الشعراء من المحدثين

أيا طالب العلم لاتجهل * وعذ بالمبرد أو ثعلب
تجد عند هذين علم الورى * فلاتك كالجمل الاجرب
علوم الخلائق مقرونة * بهذين فى الشرق والمغرب

(وكان) محمد بن يزيد المبرد يحب أن يجتمع فى المناظرة مع أحمد بن يحيى ويستكثر منه وكان أحمد بن يحيى يمتنع من ذلك (وأخبرنا) أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلى الفقيه وكان صديقهما قال قلت لابى عبد الله الدينورى ختن ثعلب لم يأب أحمد بن يحيى الاجتماع مع المبرد فقال لى أبو العباس محمد بن يزيد حسن العبارة حلو الاشارة فصيح اللسان ظاهر البيان وأحمد بن يحيى مذهبه مذهب المعلمين فاذا اجتمعا فى محفل حكم لهذا على الظاهر الى أن يعرف الباطن (وأخبرنا) أبو بكر القاسم بن بشار الانبارى النحوى أن أبا على الدينورى هذا كان يختلف الى أبى العباس المبرد يقرأ عليه كتاب سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر فكان ثعلب يعزله على ذلك فلم يكن ذلك يردعه وقيل ان وفاة أحمد بن يحيى ثعلب كانت فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين (وفى هذه السنة) مات محمد بن محمد الجذوعى القاضى وله أخبار عجيبة فيما كان به من المذهب قد أتينا على وصفه ونوادره فيها وما كان به من التعزز فى الاوسط (وفى سنة) اثنتين وتسعين ومائتين كانت وفاة أبى حازم عبد العزيز بن عبد الحميد القاضى يوم الخميس لسبع ليال خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة ببغداد وله نيف وتسعون سنة (وفى هذه السنة) تغلب ابن

(وفاة عبد الله بن أحمد بن حنبل)
(وفاة ثعلب)

الخليجي فى ستة آلاف وتسعين بمصر وأبوه على مصر (وفيها) وقع الحريق العظيم فأحرق الغلة بباب الطاق نحوا من ثلثمائة دكان وأكثر وظفر بابن الخليجي فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين بمصر وأدخل الى بغداد وقد أشهر وقدامه أربعة وعشرون انسانا من أصحابه منهم العراجى الخادم الاسود وذلك للنصف من شهر رمضان من هذه السنة (وفى سنة) أربع وتسعين ومائتين مات موسى بن هرون بن عبد الله بن مروان البزار المحدث المعروف بالجمال فى يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان ببغداد ويكنى أبا عمران وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن فى مقابر باب حرب الى جانب أحمد بن حنبل وقد قدمنا العذر فيما سلف من هذا الكتاب لذكرنا وفاة هؤلاء الشيوخ اذ كان الناس فى أغراضهم مختلفين وفى طلبهم الفوائد متباينين وربما قد يقف على هذا الكتاب من لا غرض له فيما ذكرناه فيه ويكون غرضه معرفة وفاة هؤلاء الشيوخ (وكانت) وفاة أبى مسلم ابراهيم بن عبد الله الكجى البصرى المحدث فى المحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكان مولده فى شهر رمضان سنة مائتين (وقبض) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وهو فى سن أبى مسلم على ماذكرنا من تنازع الناس فى تاريخ وفاته (وقد كان) أبو العباس أحمد بن يحيى قد ناله صمم وزاد عليه قبل موته حتى كان المخاطب له يكتب ما يريده فى رقاع (وأخبرنا) محمد بن يحيى الصولى الشطرنجي قال كنا يوما نأكل بين يدى المكتفى فوضعت بين أيدينا قطائف رفعت من بين يديه فى نهاية النضارة ورقة الخبز واحكام العمل فقال هل وصفت الشعراء هذا فقال له يحيى بن على نعم قال أحمد بن يحيى فيها

قطائف قد حشيت باللوز * والسكر المازى حشو الموز
تسبح فى أزى دهن الجوز * سررت لما وقعت فى حوزى
* سرور عباس بقرب فوز *

قال وانشدت لابن الرومى

وأتت قطائف بعد ذاك لطائف

فقال هذا يقتضى ابتداء فأنشدنى الشعر من أوله فأنشدته لابن الرومى

وخبيصة صفراء دينارية * ثمنا ولونا زفها لك جوذر
عظمت فكادت أن تكون أوزة * وثوت فكاد إهابها يتفطر
طفقت تجود بوبلها جوزابه * فاذا اللباب اللوز فيها السكر
نعم السماء هنالك ظل صبيبها * يهمى ونعم الارض ظلت تمطر
ياحسنها فوق الخوان وبنتها * قدامها بصهيرها تتغرغر
ظلنا نقشر جلدها عن لحمها * وكأن تبرا عن لجين يقشر
وتقدمتها قبل ذاك ثرائد * مثل الرياض بمثلهن يصدر
ومرققات كلهن مزخرف * بالبيض منها ملبس ومدثر
وأتت قطائف بعد ذاك لطائف * ترضى اللهاة بها ويرضى الحنجر
ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها * دمع العيون مع الدهان يعصر

فاستحسن المكتفى بالله الابيات وأومأ الى أن أكتبها له فكتبتها له (قال محمد) بن يحيى الصولى

(وفاة موسى بن هرون)

وأكلنا يوما بين يديه بعد هذا بعقد او شهر فجاءت لوزينجة فقال هل وصف ابن الرومي اللوزينج فقلت نعم فقال أنشدنيه فأنشدته

لا يخطئني منك لوزينج * اذا بدا أعجب أو أعجبا
لم تغلق الشهوة أبوابها * الا أبت زلفاه أن تحجبا
لو شاء أن يذهب في صحنه * لسهل الطيب له مذهبا
يدور بالنفحة في جامه * دورا ترى الدهن له لولبا
عاون فيه منظر مخبرا * مستحسن ساعد مستعذبا
كالحسن المحسن في شدوه * تم فأضحى مغربا مطربا
مستكثف الحشو ولكنه * أرق جلدا من نسيم الصبا
كأنما قدت جلابيبه * من أعين القطر الذي طنبا
تخال في رقة خرسانه * شارك في الاضحية الجندبا
لو أنه صور من خبزه * ثغر الكان الواضح الاشنبا
من كل بيضاء يود الفتى * أن يجعل الكف لها مركبا
مدهونة أرقاء مدفونة * شهباء تحكي الاورق الاشهبا
دين له اللوز فلا مرة * مرت على الذائق الاأبا
وانتقد السكر نقاده * وشارفوا في نقده المذهبا
فلا اذا العين رأتها نبت * ولا اذا الطرس علاها نبا

فحفظها المكتفي فكان ينشدها (ومما استحسن) من شعر المكتفي لنفسه

اني كلفت فلا تخلو بجارية * كأنها الشمس بل زادت على الشمس
لها من الحسن أعلاه فرؤيتها * سعدي وغيبتها عن ناظري نحسي

وللمكتفي أيضا

بلغ النفس ما اشتهت * فاذا هي قد اشتفت
انما العيش ساعة * أنت فيها وما انقضت
كل من يعذل المحب اذا ما هدا سكت

وله أيضا

من لي بأن تعلم ما ألقى * فتعرف الصبوة والعشقا
ما زال لي عبدا وحبي له * صيرني عبدا له رقا
أعتق من رقي ولكنني * من حبه لا أملك العتقا

(وأخبرنا) ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه قال أخبرنا أبو محمد عبد بن حمدون قال تذاكرنا يوما بحضرة المكتفي فقال فيكم من يحفظ في نبيذ الدوشاب شيأ فأنشدته قول ابن الرومي

اذا أخذت حبه ودبسه * ثم أخذت ضربه ومرسه
ثم أطلت في الاناء حبسه * شربت منه البابلي نفسه

فقال المكتفى قبحه الله ما أشرهه لقد شوقنى فى هذا اليوم الى شرب الدوشابى وقدم الطعام فوضع بين أيدينا طيفورية عظيمة فيها هريسة وقد جعل فى وسطها مثل السكرجة الضخمة فيها دسم الدجاج فضحكت وخطر ببالى خبر الرشيد مع أبان القارى فلحظنى المكتفى وقال يا أبا عبد الله ما هذا الضحك فقلت خبر ذكرته فى الهريسة يا أمير المؤمنين ودهن الدجاج مع جدك الرشيد فقال ما هو قلت نعم يا أمير المؤمنين ذكر العتبى والمدائنى أن أبان القارى تغذى مع الرشيد فجاؤا بهريسة عجيبة فى وسطها مثل السكرجة الضخمة على هذا المثال من دهن الدجاج قال أبان فاشتهيت من ذلك الدسم وأجللت الرشيد من أن أمد يدى فأغمس فيه قال ففتحت باصبعى فيه فتحا يسيرا فانقلب الدسم نحوى فقال الرشيد يا أبان أخرقتها لتغرق أهلها فقال أبان لا يا أمير المؤمنين ولكن سقناه لبلد ميت فضحك الرشيد حتى أمسك صدره (وفى سنة) خمس وتسعين ومائتين وردت الى مدينة السلام هدية زيادة الله بن عبد الله ويكنى أبا مضر وكانت الهدية مائتى خادم أسود وأبيض ومائة وخمسين جارية ومائة من الخيل العربية وغير ذلك من الطرائف وقد كان الرشيد فى سنة أربع وثمانين ومائة وذلك بالرقة قلد ابراهيم ابن الاغلب أمر افريقية من أرض المغرب فلم يزل آل الاغلب أمراء افريقية حتى أخرج عنها زيادة الله بن عبد الله هذا فى سنة ست وتسعين ومائتين وقيل فى سنة خمس وتسعين ومائتين أخرجه من المغرب أبو عبد الله المحتسب الداعية الذى ظهر فى كتامة وغيرها من البربر فدعا الى عبيد الله صاحب المغرب وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب تولية المنصور للاغلب بن سالم السعدى المغرب (قال) واشتدت علة المكتفى بالله بالدرب فأحضر محمد بن يوسف القاضى وعبد الله بن على بن أبى الشوارب فأشهدهما على قضيته بالعهد الى أخيه جعفر وقد قدمنا ذكر وصيته فيما سلف من هذا الكتاب فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع (قال المسعودى) وللمكتفى بالله أخبار حسان وما كان فى عصره من الكوائن فى قصة ابن الخلنجى بمصر وأمر القرمطى بالشأم وأمر ذكرويه وخروجه على الحاج وغير ذلك مما كان فى خلافته قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط فأغنى ذلك عن اعادة ذكره

(ذكر خلافة المقتدر بالله)

وبويع المقتدر جعفر بن أحمد فى اليوم الذى توفى فيه أخوه المكتفى بالله وكان يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ويكنى أبا الفضل وأمه أم ولد يقال لها شغب وكذلك أم المكتفى أم ولد يقال لها ظلوم وقيل غير ذلك وكان له يوم بويع ثلاث عشرة سنة وقتل ببغداد بعد صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة فكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وستة عشر يوما وبلغ من السن ثمانيا وثلاثين سنة وخمسة عشر يوما وقد قيل فى مقدار عمره غير ما ذكرنا والله أعلم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

وبويع المقتدر وعلى وزارته العباس بن الحسن الى أن وثب الحسين بن حمدان ووصيف بن سوارتكين وغيرهما من الاولياء على العباس بن الحسن فقتلوه وفاتكا معه وذلك فى يوم السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وكان من أمر

عبد الله بن المعتز ومحمد بن داود وغيرهما ما قد اتضح في الناس واشتهر وأتينا على ذكره في الكتاب الاوسط وغيره من أخبار المقتدر (وقد صنف جماعة من الناس أخبار المقتدر مجتمعة مع أخبار غيره من الخلفاء ومفردة وعمل ذلك في أخبار بغداد وقد صنف أبو عبد الله بن عبدوس الجهشاري أخبار المقتدر في ألوف من الاوراق ووقع لي منها أجزاء يسيرة (وأخبرني) غير واحد من أهل الدراية أن ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر في ألف ورقة وانما نذكر من أخبار كل واحد منهم لمعا وانما الغرض جوامع من أخبارهم تبعث على درسه وحفظ ما فيه ونسخه (وكان) عبد الله بن المعتز أديبا بليغا شاعرا مطبوعا مجودا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الاقتراح للمعاني فمن ذلك قوله

يقول العاذلون تعزعنها * وأطف لهيب قلبك بالسلو
وكيف وقبلة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

(وقوله)
ضعيفة أجفانه * والقلب منه حجر
كأنما ألحاظه * من فعله تعتذر

(وقوله)
تولى الجهل وانقطع العتاب * ولاح الشيب وافتضح الخضاب
لقد أبغضت نفسي في مشيبي * فكيف تحبني الخود الكعاب

(وقوله)
عجبا للزمان من حالتيه * وبلاء دفعت منه اليه
رب يوم بكيت فيه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

وقوله في أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات الوزير

أباحسن ثبت في الارض وطأتي * وأدركتني في المعضلات الهزاهز
وألبستني درعا على حصينة * فناديت صرف الدهر هل من مبارز

(وقوله)
ومن شر أيام الفتى بذل وجهه * الى غير من خفت عليه الصنائع
متى يدرك الاحسان من لم تكن له * الى طلب الاحسان نفس تنازع

(وقوله)
فان شئت عادتني السقاة بكأسها * وقد فتح الاصباح في ليلة فما
نخلت الدجا والفجر قد مد خيطه * رداء موشى بالكواكب معلما

(وقوله)
وأبكي اذا ما غاب نجم كأنني * فقدت صديقا أو رزئت حميما
فلو شق من طرف الليالي كواكب * شققت لها من ناظري نجوما

ومما أحسن فيه قوله في عبيد الله بن سليمان

لآل سليمان بن وهب صنائع * الي ومعروف لدى تقدما
هم وعلموا الايام كيف تنوبني * وهم غسلوا من ثوب والدي الدما

وقوله عند وفاة المعتصم بالله

قضوا ما قضوا من حقه ثم قدموا * اماما يؤم الخلق بين يديه
وصلوا عليه خاشعين كأنهم * صفوف قيام للسلام عليه

وقوله في فصادة المعتضد بالله

يادما سال من ذراع الامام * أنت أذكى من عنبر ومدام

قدظننا الّا اذجريت الى الطشت * دموعا من مقلتى مستهام
انما غرّق الطبيب شبا المبضع * فى نفس مهجة الاسلام

(وقوله) اصبر على حسد الحسود * فان صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها * ان لم تجد ما تأكله

(وقوله) يطوف بالراح بيننا بشر * محكم فى القلوب والمقل
يكاد لحظ العيون حين بدا * يسفك من خده دم الخجل

(وقوله) رشأ يتيه بحسن صورته * عبث الفتور بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من نار وجنته

(وقوله) اذا اجتنى وردة من خده فه * تكونت تحتها أخرى من الخجل

(قال) وكانت وفاة أبى بكر محمد بن داود بن علىّ بن خلف الاصبهانى الفقيه سنة ست وتسعين ومائتين وكان ممن قد علا فى رتبة الادب وتصرّف فى بحار اللغة وتفنن فى موارد المذاهب وأشفى على أغراض المطالب وكان عالما بالفقه منفردا وواحدا فيه فريدا وألف فى عنفوان صباه وقبل كماله وانتهائه الكتاب المعروف بالزهرة ثم تناهت فكرته ونسقت قوته فصنف الفقهيات ككتابه فى الوصول الى معرفة الاصول وكتاب الانذار وكتاب الاعذار والابحار وكتابه المعروف بالانتصار على محمد بن جرير وعبد الله بن شرشى وعيسى بن ابراهيم الضرير (ومما قال) فيه فأحسن فى عنفوان شبابه وأثبته فى كتابه المترجم بالزهرة وعزاه الى بعض أهل عصره وان كان محسنا فى سائر كلامه من منظومه ومنثوره قوله

على كبدى من خيفة البين لوعة * يكاد لها قلبى أسى يتصدّع
يخاف وقوع البين والشمل جامع * فيبكى بعين دمعها متسرع
فلو كان مسرورا بما هو واقع * كما هو محزون بما يتوقع
لكان سواء برؤه وسقامه * ولكن وشك البين أدهى وأوجع

(وقوله)

تمتع من حبيبك بالوداع * الى وقت السرور وبالاجتماع
فكم جربت من وصل وهجر * ومن حال ارتفاع واتضاع
وكم كأس أمرّ من المنايا * شربت فلم يضق عنها ذراعى
فلم أر فى الذى لاقيت شيأ * أمرّ من الفراق بلا وداع
تعالى الله كل مواصلات * وان طالت تؤل الى انقطاع

(وقوله) لا خير فى عاشق يخفى صبابته * بالقول والشوق فى زفراته بادى
يخفى هواه وما يخفى على أحد * حتى على العيس والركبان والحادى

(وفى سنة) ثلاث وثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله كانت وفاة علىّ بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام وكان شاعرا لسنا مطبوعا فى الهجاء ولم يسلم منه وزير ولا أمير ولا صغير ولا كبير وله فى هجاء أبيه واخوته وسائر أهل بيته فمما قال فى أبيه

بنى أبو جعفر دارا فشيدها * ومثله لخيار الدور بناء

فالجوع داخلها والذل خارجها * وفى جوانبها بؤس وضراء

(وله فيه) ما ينفع الدار من تشييد حائطها * وليس داخلها خبز ولا ماء

(وله فيه) هبك عمرت عمر عشرين نسرا * أترى أننى أموت وتبقى

فلئن عشت بعد يومك يوما * لأشقن جيب مالك شقا

(وله فيه) رأى الجوع طبا فهو يحمى ويحتمى * فلست ترى فى داره غير جائع

ويزعم أن الفقر فى الجود والسخا * وأن ليس حظ فى اكتساب الصنائع

لقد أمن الدنيا ولم يخش صرفها * ولم يدر أن المرء رهن الفجائع

(وأنشدنى) أبو الحسن محمد بن على الفقيه الوراق الانطاكى بانطاكية لعلى بن محمد بن بسام يهجو الموفق والوزير أبا الصقر اسمعيل بن بلبل والطائى أمير بغداد وعبدون النصرانى أخا صاعد وأبا العباس بن بسام وحامد بن العباس وزير المقتدر بالله بعد ذلك واسحق بن عمران أمير الكوفة يومئذ

أيرجو الموفق نصر الاله * وأمر العباد الى دانية

ومن قبلها كان أمر العباد * لعمر أبيك الى زانية

فان رضيت رضيت أنه * كذا لية فوقها دالية

وظل ابن بلبل يدعى الوزير * ولم يك فى الاعصر الخالية

وطحان طى تولى الجسور * وسقى الفرات وزرقامية

ويحكم عبدون فى المسلمين * ومن ضله موجد الحالية

وأحول بسطام ظل المشير * وكان يحوك ببرزاطية

وحامد ياقوم لو أمره * الى لأنزلته الراوية

نعم ولأرجعته صاغرا * الى بيع رمان حصراوية

واسحق عمران يدعى الامير * لداهية أيها داهية

فهذى الخلافة قد ودعت * وظلت على عرشها خاوية

نخل الزمان لاوغاده * الى لعنة الله والهاوية

فارب قد ركب الارذلون * ورجلى فى رجلهم عالية

فان كنت حاملنا مثلهم * والافارحل بنى الزانية

جمع فى شعره هذا جميع رؤساء أهل الدولة فى ذلك العصر (وأنشد) أبو اسحق الزجاج النحوى صاحب المبرد فى المعتضد وقد ختن ابنه جعفر المقتدر

انصرف الناس من ختان * يدعون من جوعهم حزاما

فقلت لا تعجبوا لهذا * فهكذا تختن اليتامى

(وله أيضا فى المعتضد)

الى كم لا نرى ما نرتجيه * ولا ننفك من أمل كذوب

لئن سمولك معتضدا فانى * أظنك سوف تعضد عن قريب

(وله فى الوزير) العباس بن الحسن وابن عمرويه الخراسانى وكان أمير بغداد يومئذ

لعن الله الذى قلد عباس الوزاره
والذى ولى ابن عمر * وبه بغداد الاماره
لو زير سمج الوجـ * ـه بطين كالقواره
وقفافيه سناما * ن ورأس كالخياره
لم يزل يعرف بالزفـ * ـن قديما والعياره
وأمير أعجمى * كحمار ابن حماره
رحل الاسلام عنا * بتوليه الوزاره

(وأنشدنى فى أبى الحسن جحظة البرمكى المغنى)

لجحظة المحسن عندى يد * أشكرها منه الى المحشر
لما أرانى وجه برذونه * وصاننى عن وجهه المنكر

(وله فى أبيه محمد بن نصر بن منصور بن بسام)

خبيصة تعقد من سكره * وبرمة تطبخ فى قنبره
عندفتى أسمح من حاتم * يطبخ قدرين على مجمره
وليس ذا فى كل أيامه * لكنه فى الدعوة المنكره
فى يوم لهو وقطع هائل * وجمع اللذات والقرقره
يقول للآكل من خبزه * تعسا لهذا البطن ما أكبره

(وله فى أبيه أيضا)

خبز أبى جعفر طباشير * فيه الادويه والعقاقير
فيه دواء لكل معضلة * للبطن والصدر والبواسير
وقصعة الاكل مثل مدهنة * يرهق من حولها النواظير
ونيل ما تجتبيه من يده * ماليس تجرى به المقادير

(وله فيه) بعثت لأستهديه عيرا ولم أكن * لاعلم أن العير صار لنا صهرا
فوجه لى كى نستوى فى ركوبه * فيركبه بطنا وأركبه ظهرا

(وقال فى جماعة من الرؤساء)

قل للرؤس ومن ترجى نوافلهم * ومن يؤمل فيه الرفد والعمل
ان تشغلونى بأعمال أصيرها * شغلا والافى أعراضكم شغل

وقوله مالى رأيتك دائبا * مستسخطا أبدا الرزقك
ارجع الى ما تستحق فان قوتك فوق حقك

(وله فى عبيد الله بن سليمان الوزير)

عبيد الله ليس له معاد * ولا عقل وليس له سداد
رددت الى الحياة فعدت عنها * لقول الله لو ردوا لعادوا

(وله فى القاسم بن عبيد الله بن سليمان)

قل للمولى دولة السلطان * عند الكمال توقع النقصان

كم من وزير قد رأيت معظما * أضحى بدار مذلة وهوان

(وله في عبيد الله بن سليمان)

لابد يا نفس من سجود * في زمن القرد للقرود
هبت لك الريح يا ابن وهب * فخذ لها أهبة الركود

(وله في اسمعيل بن بلبل الوزير)

لابي الصقر دولة * مثله في التخلف
مزنة حين ألمعت * أذنت بالتكشف

(وله في العباس بن الحسن الوزير)

تحمل أوزار البرية كلها * وزير بظلم العالمين يجاهر
ألم تر أسباب الذين تقدموا * وكيف أتتهم بالبلاء الدوائر

(وله في الوزير صاعد بن مخلد)

سجدنا للقرود رجاء دنيا * حوتها دوننا أيدي القرود
فما نالت أناملنا بشيء * علمناه سوى ذل السجود

(وله في العباس بن الحسن الوزير)

بنيت على دجلة مجلسا * تباهي به فعل من قد مضى
فلا تفرحن فكم مثل ذا * رأيناه ماتم حتى انقضى

(وله في الوزير علي بن محمد بن الفرات)

وقفت شهورا للوزير أعدها * فلم تثنه نحوي الحقوق السوالف
فلا هو يرعى لي رعاية مثله * ولا أنا أستحيي الوقوف وآنف

(وله في أبي جعفر محمد بن جعفر الفوملي)

سألت أبا جعفر * فقال يدي تقصر
فقلت له عاجلا * يكون كما تذكر

(وله فيه)

لحية كثة أضربها النتف * ووجه مشوه ملعون
قلت لما بدا يجمجم في القو * ل ويهذي كأنه مجنون
صدق الله أنت من ذكر الله * مهين ولا يكاد يبين

(وله في ابن المرزبان وقد كان سأله دابة فمنعه)

بخلت عني بعقرف عطب * فلم تراني ما عشت أركبه
وان تكن صنته فما خلق الله مصونا وأنت تركبه

(وله مما أحسن فيه)

تضمن لي في حاجة ما أحبه * فلما اقتضيت الوعد قطب واعتلى
وصرت عذرا شغله واتصاله * ولولا اتصال الشغل ما كان أشغلا

(ولعلي بن محمد بن بسام) في هذه المعاني أشعار كثيرة اكتفينا بذكر البعض عن ايراد ما هو أكثر منه في هذا الكتاب لما قدمنا ذكره فيما سلف قبله من الكتب وقد كان أبو محمد بن جعفر في غاية الستر

والمروأة وكان رجلا مترفا حسن الزى ظاهر المروأة مشغوفا بالنساء (ويذكر) أبو عبد الرحمن العتبى قال دخلت عليه يوما شاتيا شديد البرد ببغداد فاذا هو فى قبة واسعة قد طليت بالطين الاحمر الارمنى وهو يلوح بريقا فقدرت أن تكون القبة عشرين ذراعا فى مثلها وفى وسطها كانون بزرافين اذا اجتمع ونصب كان مقداره عشرة أذرع فى مثلها وقد ملئ بجمر الغضى وهو جالس فى صدر القبة عليه غلالة تسترية وما فضل عن الكانون مفروش بالديباج الاحمر فأجلسنى بالقرب منه فكدت أتلظى فدفع الى جام ماء الورد وقد مزج بالكافور فمسحت به وجهى ثم رأيته قد استسقى ماء فأتوه بماء رأيت فيه ثلجا فلم يكن لى وكد الا قطع ما بينى وبينه ثم خرجت من عنده الى برد مانع وقد قال لى لا يصلح هذا البيت لمن يريد الخروج منه (قال) ودخلت عليه فى بعض الايام وهو جالس فى موضع فى آخر داره وقد رفعه على بركة وفى صدره صفة وهو يشرف منها على البستان وعلى حيز الغزلان وحظيرة القمارى وأشباهها فقلت له يا أبا جعفر أنت والله جالس فى الجنة قال فليس ينبغى لك أن تخرج من الجنة حتى تصطبح فيها فجلست واستقربى المجلس حتى أتوه بمائدة جزع لم أر أحسن منها وفى وسطها جام جزع ملونة قد لوى على جنباتها الذهب الاحمر وهى مملوأة من ماء ورد وقد جعل ساقا على ساق كهيئة الصومعة من صدور راندجاج وعلى المائدة سكرجات جزع فيها الاصباغ وأنواع الملح ثم أتينا بشنبوشق بلور وبعده جامات اللوزينج ورفعت المائدة وقمنا من فورنا الى موضع الستارة فقدم بين أيدينا اجانة صينى بيضاء قد كرمت بالبنفسج والخيرى وأخرى مثلها قد عبى فيها التفاح الشامى قدرنا مقدار ما حضر فيها ألف حبة فما رأيت طعاما ألطف منه ولا ريحا أظرف منه فقال لى هذا حق الصبوح فما أنسى الى الساعة طيب ذلك اليوم (قال المسعودى) وانما ذكرنا هذا الخبر عن محمد بن جعفر ليعلم أن على بن محمد ابنه أخبر بضد ما كان عليه وأنه لم يسلم من لسانه انسان وله أخبار وهجو كثير فى الناس قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا وما كان من قوله فى القاسم بن عبيد الله ودخوله الى المعتضد وهو يلعب بالشطرنج ويتمثل بقول على بن بسام

حياة هذا كموت هذا * فليس يخلو من المصائب

فلما شال رأسه نظر الى القاسم فاستحيا فقال يا قاسم اقطع لسان ابن بسام عنك فخرج القاسم مبادرا ليقطع لسانه فقال له المعتضد بالبر والشغل ولا تعرض له بسوء فولاه القاسم البريد والجسر جسر قنسرين والعواصم من أرض الشام وما كان من قوله فى أسد بن جهور الكاتب وخبره معه وما عم بهجائه أسدا وغيره من الكتاب وهو

تعس الزمان لقد أتى بعجائب * ومحا رسوم الظرف والآداب

أو ما ترى أسد بن جهور قد أتى * متشبها بأجلة الكتاب

وأتى بأقوام لو انبسطت يدى * فيهم رددتهم الى الكتاب

(ولما قتل) العباس بن الحسن استوزر المقتدر على بن محمد بن موسى بن الفرات يوم الاربعاء لاربع ليال خلون من ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين فكانت وزارته الى أن سخط عليه ثلاث سنين وتسعة اشهر وأياما واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان فى اليوم الذى سخط فيه على على بن محمد بن موسى بن الفرات وهو يوم الاربعاء لاربع خلون من ذى الحجة وخلع

عليه ولم يخلع على أحد غيره وقبض عليه يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم سنة احدى وثلثمائة وخلع على الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وثلثمائة وقبض عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة أربع وثلثمائة واستوزر على بن محمد بن الفرات ثانية وخلع عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة أربع وثلثمائة وقبض عليه يوم الخميس لاربع بقين من جمادى الاولى سنة ست وثلثمائة وخلع على الوزير حامد بن العباس يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ست وثلثمائة وأطلق على بن عيسى فى اليوم الثانى من وزارته وهو يوم الاربعاء وفوضت الامور اليه وقبض على حامد بن العباس واستوزر على بن محمد بن الفرات وهى الثالثة من وزارته وقد كان ولده محسن بن على هو الغالب على الامور فى هذه الوزارة فأتى على جماعة من الكتاب واستوزر المقتدر عبد الله بن محمد بن عبد الله الخاقانى ثم استوزر بعده احمد بن عبيد الله الخصيبى ثم استوزر على بن عيسى ثانية ثم استوزر على بن محمد بن على بن مقلة ثم استوزر بعده سليمان بن الحسن بن مخلد ثم استوزر بعده عبيد الله بن محمد الكلواذى ثم استوزر بعده الحسن بن القاسم ابن عبيد الله بن سليمان بن وهب وهو المقتول بالرقة ثم استوزر بعده الفضل بن جعفر بن موسى ابن الفرات (وقتل المقتدر بالله) ببغداد وقت صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وكان قتله فى الوقعة التى كانت بينه وبين مؤنس الخادم بباب الشماسية من الجانب الشرقى وتولى دفن المقتدر العامة وكان وزيره فى ذلك اليوم أبا الفتح الفضل بن جعفر (وذكر) أن الفضل أخذ الطالع فى وقت ركوب المقتدر بالله الى الوقعة التى قتل فيها فقال له المقتدر أى وقت هو فقال وقت الزوال فقطب له المقتدر وأراد أن لا يخرج حتى أشرفت عليه خيل مؤنس فكان آخر العهد به من ذلك الوقت وكل سادس من خلفاء بنى العباس مخلوع مقتول فكان السادس منهم محمد بن هرون المخلوع والسادس الآخر المستعين والسادس الآخر المقتدر بالله (وللمقتدر أخبار حسان) وما كان فى أيامه من الحروب والوقائع وأخبار ابن أبى الساج وأخبار مؤنس وأخبار سليمان بن الحسن الجبارى وما كان منه بمكة فى سنة سبع عشرة وثلثمائة وغيرها وما كان فى المشرق والمغرب قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان مفصلا وفى الكتاب الاوسط مجملا وذكرنا منه فى هذا الكتاب لمعا وأرجو أن يفسح الله لنا فى البقاء ويمد لنا فى العمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنون الاخبار وأنواعا من ظرائف الآثار على غير نظم من تأليف ولا ترتيب من تصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الاخبار ويوجد من نوادر الآثار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الاخبار ومخلط الآداب تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا لما تقدم من تصنيفنا (وكانت) وفاة موسى بن اسحق القاضى فى خلافة المقتدر وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة الكوفى ودفن فى الجانب الشرقى وكان هذا من علماء أهل الحديث وكبار أهل النقل وورد الخبر الى مدينة السلام بأن أركان البيت الحرام الاربعة غرقت حتى عم الغرق الطواف وفاضت بئر زمزم وان ذلك لم يعهد فيما سلف من الزمان (وفيها) كانت وفاة يوسف بن يعقوب بن اسمعيل بن حماد القاضى وذلك فى شهر رمضان بمدينة

السلام وهو ابن خمس وتسعين سنة وقيل ان فى هذه السنة كانت وفاة محمد بن داود بن خلف الاصبهانى الفقيه وقد قدمنا ذكره وان وفاته كانت فى سنة ست وتسعين ومائتين وانما حكينا الخلاف فى ذلك (وفى هذه السنة) وهى سنة سبع وتسعين ومائتين كانت وفاة ابن أبى عوف البزورى المعدل ببغداد وذلك فى شوال وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن فى الجانب الغربى وانما نذكر هؤلاء لنقلهم السنن واشتهارهم بذلك وحاجة أهل العلم وأصحاب الآثار الى معرفة وقت وفاتهم (وفيها) مات أبو العباس أحمد بن مسروق المحدث وهو ابن أربع وثمانين سنة ودفن بباب آل حرب من الجانب الغربى وقد قدمنا فى هذا الكتاب أخبار من ظهر من آل أبى طالب فى أيام بنى أمية وبنى العباس وفى غيره مما سلف من كتبنا وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو حرب وقد كان ظهر بصعيد مصر أحمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر من ظهر من آل أبى طالب واللمع من أخبارهم فى هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا ان اذكرهم ومقاتلهم وغير ذلك من أخبارهم من منذ أمير المؤمنين الى الوقت الذى ينتهى اليه تصنيفنا لهذا الكتاب (وكانت) وفاة يحيى بن الحسين الرسى بعد أن قطن بمدينة صعدة من أرض اليمن فى سنة ثمان وسبعين ومائتين وقام بعده ولده الحسين بن يحيى وكان ظهور أبى الرضا وهو محسن بن جعفر بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد فى أعمال دمشق فى سنة ثلثمائة وكانت له مع أبى العباس أحمد بن كيغلغ وقعة فقتل صبرا وقيل قتل فى المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربى وظهر ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن على وأخرج عنها المسودة وذلك فى سنة احدى وثلثمائة وقد كان ذا فهم وعلم ومعرفة بالآراء والنحل وقد كان أقام فى الديلم سنين وهم كفار على دين المجوسية ومنهم جاهلية وكذلك الجيل فدعاهم الى الله عز وجل فاستجابوا وأسلموا وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين وغيرها وبنى فى الديلم مساجد والديلم زعم كثير من الناس من ذوى المعرفة بالنسب أنهم من ولد باسل بن ضبة بن أد وان الجيل من تميم وقد قيل ان دخول الاطروش الى طبرستان كان فى أول يوم من المحرم سنة احدى وثلثمائة وان فى هذا اليوم دخل صاحب البحرين البصرة وقتل أميرها عسكر المفلحى وقد أتينا على خبر الاطروش العلوى وخبر ولده وخبر أبى محمد الحسن بن القاسم الحسنى الداعى واستيلائه على طبرستان ومقتله وما كان من الجيل والديلم فى أمره فى كتابنا أخبار الزمان (وكانت) وفاة أبى العباس أحمد بن شريح القاضى فى سنة ست وثلثمائة (وكانت) وفاة أبى جعفر محمد بن ابراهيم بن جابر القاضى بحلب وأدخل الليث بن على بن الليث ابن أخى الصفار الى مدينة السلام على الفيل فى سنة سبع وتسعين ومائتين وقدامه الجيش وحوله وقد شهر وقيل ان الليث أدخل الى مدينة السلام فى سنة ثمان وتسعين ومائتين (وفى هذه السنة) وهى سنة ثمان وتسعين ومائتين مات ببغداد أبو بكر محمد بن سليمان المروزى المحدث صاحب الجاحظ وقيل أيضا ان وفاته كانت فى سنة ثمان وتسعين (وفى هذه السنة) كان دخول فارس صاحب مراكب الروم وحربها الى ساحل الشأم فافتتح حصن القبة بعد حرب طويل وعدم مغيث يغيثهم من المسلمين وافتتح مدينة

اللاذقية

اللاذقية فسبى منها خلقا كثيرا ووقع فى الكوفة برد عظيم الواحدة رطل بالبغدادى وريح مظلمة وذلك فى شهر رمضان وانهدم كثير من المنازل والبنيان وكان فيها رجفة عظيمة هلك فيها خلق كثير من الناس هكذا كان بالكوفة فى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان بمصر فى هذه السنة زلزلة عظيمة وفيها طلع نجم الذنب (وفيها) غزا وهنانة صاحب الغزو البحر الرومى فى مراكب المسلمين جزيرة قبرس وقد كانوا نقضوا العهد الذى كان فى صدر الاسلام أن لا يعينوا الروم على المسلمين ولا المسلمين على الروم وأن خراجه نصفه للمسلمين ونصفه للروم وأقام وهنانة فى هذه الجزيرة أربعة أشهر يسبى ويحرق ويفتح مواضع قد تحصن فيها وقد أتينا على خبر هذه الجزيرة فيما سلف من هذا الكتاب عند اخبارنا عن جمل البحار ومبادى الانهار ومطارحها فمنع ذلك من اعادة وصفها (وفى سنة) احدى وثلثمائة مات عبد الله بن ناجية المحدث بمدينة السلام وكان مولده فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وكان القبض على ابن الجصاص الجوهرى بمدينة السلام فى سنة اثنتين وثلثمائة والذى صح مما قبض من ماله من العين والورق والجوهر والفرش والثياب والمستغلات خمسة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار (وفيها) مات القاسم بن الحسن بن الاشيب ويكنى أبا محمد يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الأولى وكان من كبار العلماء والمحدثين ودفن فى الجانب الغربى فى الشارع المعروف بشارع الجماليق وحضر جنازته محمد بن يوسف القاضى وأبو جعفر محمد بن اسحق بن البهلول القاضى وغيرهم من الفقهاء والعدول والكتاب وأهل الدولة وهو أبو أبى عمران موسى بن القاسم بن الحسن المعروف بابن الاشيب وهو كبير من فقهاء الشافعيين فى هذا الوقت (وفى هذه السنة) وهى سنة اثنتين وثلثمائة ورد الجيش من الغرب فكان لاهل مصر من أصحاب السلطان معهم حروب عظيمة وقتل فيها خلق كثير واستأمن رجل من وجوه البرابرة يعرف بأبى حزة الى السلطان وسار الى مدينة السلام فخلع عليه (وفى سنة) سبع عشرة وثلثمائة أدخل يوسف بن أبى الساج الى مدينة السلام وقد شهر على الجمل الفالج وعليه دراعة الديباج التى لبسها عمرو بن الليث ووصيف الخادم وعلى رأسه برنس طويل بشقائق وجلاجل وحوله الجيوش ومؤنس الخادم وراءه مع أرباب الدولة من أصحاب السيوف وقد أتينا على خبر هذه الوقعة التى أسر فيها مؤنس الخادم ابن أبى الساج بناحية أردبيل ومن حضرها من الامراء مثل ابن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وعلى بن حسان وأبى الفضل المروى وأحمد بن على بن صعلوك وغيرهم من الامراء والقواد وذكرنا تخلية المقتدر لابن أبى الساج وخروجه من ديار ربيعة ومضر الى بلاد اذربيجان التى هى من أعماله وأرمينية وما كان من غلامه مسك واستيلائه على عمل مولاه ومفارقته الفارقى وما كان من سائر أخبار ابن أبى الساج ومسيره الى واسط ثم مسيره الى الكوفة وما كان من خبره فى حربه لابى طاهر سليمان بن الحسن الجبائى وأسره اياه وقتله له نحو الانبار وهيت حين أشرف على سواده بليق ونظيف غلام ابن أبى الساج وما كان فى هذه الوقعة وهزمه لبليق ونظيف ومسير القرمطى ونزوله على هيت وغير ذلك وذلك فى سنة خمس عشرة وثلثمائة فيما سلف من كتبنا وكذلك ذكرنا ما كان من مؤنس الخادم ومن كان معه من أولياء السلطان من القتال لجيش صاحب المغرب بمصر وذلك فى سنة تسع وثلثمائة

(ذكر خلافة القاهر بالله)

وبويع القاهر محمد بن أحمد المعتضد بالله يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة ثم خلع يوم الاربعاء لخمس خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وسملت عيناه وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام ويكنى بأبي منصور وأمه أم ولد

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

واستوزر القاهر أبا علي محمد بن علي بن مقلة في سنة احدى وعشرين وثلثمائة ثم عزله واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله الخصيبي وكانت أخلاقه لا تكاد تحصى لتقلبه وتلونه وكان شهما شديد البطش بأعدائه وأباد جماعة من أهل الدولة منهم مؤنس الخادم وبليق وعلي بن بليق فهابه الناس وخشوا صولته واتخذ حربة عظيمة يحملها في يده اذا سعى في داره ويطرحها بين يديه في حال جلوسه يباشر الحرب بتلك الحربة لمن يريد قتله فسكن من كان يستعدي على من قبله من الخلفاء والتشعب والوثب عليهم وكان قليل التثبت في أمره مخوف السطوة فاداه ما وصفنا من فعله الى أن احتيل عليه في داره فقبض عليه وسملت كلتا عينيه وهو حي هذا في الجانب الغربي في دار ابن طاهر على ما نمي الينا من خبره واتصل بنا من أمره وذلك أن الراضي بالله غيب خبره وقطع ذكره فلما بويع ابراهيم المتقي لله أصيب القاهر معتقلا في بعض المقاصير فأمر به الى دار ابن طاهر فاعتقل بها الى هذه الغاية التي وصفنا (وذكر) محمد بن علي العبدي الخراساني الاخباري وكان القاهر به آنسا قال خلا بي القاهر فقال أصدقني أو هذه وأشار الى بالحربة فرأيت والله الموت عيانا بيني وبينه فقلت أصدقك يا أمير المؤمنين فقال لي انظر يقولها ثلاثا فقلت نعم يا أمير المؤمنين قال عما أسألك عنه ولا تغيب عني شيأ ولا تحسن القصة ولا تسجع فيها ولا تسقط منها شيأ قلت نعم يا أمير المؤمنين قال أنت علامة بأخبار بني العباس من أخلاقهم وشيمهم من أبي العباس فمن دونه فقلت على أن لي الامان يا أمير المؤمنين قال ذلك لك قال قلت اما أبو العباس السفاح فكان سريعا الى سفك الدماء واتبعه عماله في الشرق والغرب من فعله واستنوا بسيرته مثل محمد بن الاشعث بالمغرب وصالح بن علي بمصر وحازم بن خذيمة وحميد بن قحطبة وكان مع ذلك بحرا سمحا وصولا جوادا بالمال وسلك من ذكرنا ممن كان في عصره سبيله وذهبوا مذهبه مؤتمين به قال وأخبرني عن المنصور قلت الصدق يا أمير المؤمنين قال الصدق قلت كان والله أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبد المطلب وبين آل أبي طالب وقد كان قبل ذلك أمرهم واحدا وكان أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم وكان معه نوبخت المجوسي المنجم وأسلم على يديه وهو أبو هؤلاء النوبختية وابراهيم الفزاري المنجم صاحب القصيدة في النجوم وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك وعلي بن عيسى الاسطرلابي المنجم وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية الى العربية منها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السندهند وترجمت له كتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس وكتاب الارثماطيقي وكتاب اقليدس وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية وخرجت الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها وفي أيامه

وضع محمد بن اسحق كتاب المغازى والسير وأخبار المبتدا ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة
ولا مصنفة وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرفهم فى مهماته وقدمهم على العرب
فاتخذت ذلك الخلفاء من بعده من ولده فسقطت وبادت العرب وزال بأسها وذهبت مراتبها
وأفضت الخلافة اليه وقد نظر فى العلوم وقرأ المذاهب وارتاض فى الآراء ووقف على النحل
وكتب الحديث فكثرت فى أيامه روايات الناس واتسعت عليهم علومهم قال القاهر قد قلت
فأحسنت وعبرت فبينت فأخبرنى عن المهدى كيف كانت خلافته قلت كان سمحا سخيا كريما
جوادا فسلك الناس فى عصره سبيله وذهبوا فى أمرهم مذهبه واتسعوا فى مساعيهم وكان من
فعله فى ركوبه أن يحمل معه بدر الدنانير والدراهم فلا يسأله أحد الا أعطاه وان سكت ابتدأه
المفرق بين يديه وقد تقدم بذلك اليه وامعن فى قتل الملحدين والمداهنين عن الدين لظهورهم
فى أيامه واعلانهم باعتقاداتهم فى خلافته لما انتشر من كتب مانى وابن ديصان ومرقيون مما
نقله عبد الله بن المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية الى العربية وما صنف فى ذلك ابن
أبى العرجاء وحماد عجرد ويحيى بن زياد ومطيع بن اياس من تأييد المذاهب المانية والديصانية
والمرقونية فكثر بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم فى الناس وكان المهدى أول من أمر
الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين
وغيرهم وأقاموا البراهين على المعاندين وأزالوا شبه الملحدين فأوضحوا الحق للشاكين وشرع
فى بناء المسجد الحرام ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم على ما هما عليه الى هذه الغاية وبنى
بيت المقدس وقد كان هدمته الزلازل قال فأخبرنى عن الهادى على قصر أيامه كيف كانت
أخلاقه وشيمه قلت كان جبارا عظيما وأول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والاعمدة
المشهورة والقسى الموتورة فسلكت عماله طريقته ويمموا منهجه وكثر السلاح فى عصره قال
لقد أجدت فى وصفك وبالغت فيما ذكرت من قولك فأخبرنى عن الرشيد كيف كانت طريقته
قلت كان مواظبا على الحج والغزو واتخاذ المصانع والآبار والبرك والقصور فى طريق مكة وأظهر
ذلك بها وبمنى وعرفات ومدينة النبى صلى الله عليه وسلم فعم الناس احسانه مع ما قرن به من
عدله ثم بنى الثغور ومدن المدن وحصن فيها الحصون مثل طرسوس وأذنه وعمر المصيصة
ومرعش وأحكم بناء الحرب وغير ذلك من دور السبيل والمواضع للمرابطين واتبعه عماله
وسلكوا طريقته وقفته رعيته مقتدية بعمله مستنة بامامته فغمط الباطل وأظهر الحق
وأنار الاسلام وبرز على سائر الامم وكان أحسن الناس فى ايامه فعلا أم جعفر زبيدة بنت جعفر
ابن المنصور لما أحدثته من بناء دور السبيل بمكة واتخاذ المصانع والبرك والآبار بمكة وطريقها
المعروف الى هذه الغاية وما أحدثته من الدور للتسبيل بالثغر الشامى وطرسوس وما وقفت
على ذلك من الوقوف وما ظهر فى أيامه من فعل البرامكة وجودهم وافضالهم وما اشتهر عنهم
من أفعالهم وكان الرشيد أول خليفة لعب بالصولجان فى الميدان ورمى بالنشاب فى البرجاس
ولعب بالاكرة والطبطاب وقرب الحذاق فى ذلك فعم الناس ذلك الفعل وكان أول من لعب
بالشطرنج من خلفاء بنى العباس والنرد وقدم اللعاب وأجرى عليهم الرزق فسمى الناس أيامه
لنضارتها وكثرة خيرها وخصبها أيام العروس وكثير مما يجب وزان نعت زينتها وتفنيه بوصف قال

القاهر فأراك قد قصرت فى تفصيل أم جعفر فلم ذلك قلت يا أمير المؤمنين ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز قال فتناول الحربة وهزها فرأيت الموت الاحمر فى طرفها ثم برق عينيه مع ذلك فاستسلمت وقلت هذا ملك الموت ولم أشك أنه يقبض روحى فأهوى بها نحوى فزغت منها فاسترجع وقد أخطأتنى فقال ويلك أبغضت مافيه عيناك ومللت الحياة قلت ماهو يا أمير المؤمنين قال أخبار أم جعفر وددنى منها قلت نعم يا أمير المؤمنين كان من فعلها وحسن سيرتها فى الجد والهزل مابرزت فيه على غيرها فأما الجد والآثار الجليلة التى لم يكن فى الاسلام مثلها مثل حفرها العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز فانها حفرتها ومهدت الطريق لمائها فى كل خفض ورفع وسهل وجبل ووعر حتى أخرجتها من مسافة اثنى عشر ميلا الى مكة فكان جملة ما أنفق عليها مما ذكر وأحصى ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وما قصدت ذكره من المصانع والدور والبرك والآبار بالحجاز والثغور وانفاقها الالوف على ذلك دون ما كان فى وقتها من البذل وما عم أهل الفاقة من المعروف والخصب وأما الوجه الثانى مما تباهى به الملوك فى أعمالهم وينعمون به فى أيامهم ويصونون به دولهم ويدونون فى أفعالهم وسيرهم فهو أنها أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر وصنع لها الرفيع من الوشى حتى بلغ الثوب من الوشى الذى اتخذ لها خمسين ألف دينار وهى أول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجوارى يختلفون على الدواب فى جهاتها ويذهبون فى حوائجها برسائلها وكتبها وأول من اتخذ القباب الفضة والابنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشى والسمور والديباج وأنواع الحرير من الاحمر والاصفر والاخضر والازرق واتخذت الخفاف المرصعة بالجوهر وشمع العنبر وتشبه الناس فى سائر أفعالهم بأم جعفر ولما أفضى الامر الى ولدها يا أمير المؤمنين قدم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم ككوثر وغيره من خدمه فلما رأت أم جعفر شدة شغفه بالخدم واشتغاله بهم اتخذت الجوارى المقدودات الحسان الوجوه وعممت رؤسهن وجعلت لهن الطرر والاصداغ والاقفية وألبستهن الاقبية والقراطق والمناطق فبانت قدودهن وبرزت أردافهن وبعثت بهن اليه فاختلفن فى يديه فاستحسنهن واجتذبن قلبه اليهن وأبرزهن للناس من الخاصة والعامة واتخذ الناس من الخاصة والعامة الجوارى المطمومات وألبسوهن الاقبية والمناطق وسموهن الغلاميات فلما سمع القاهر ذلك الوصف ذهب به الفرح والطرب والسرور ونادى بأعلى صوته يا غلام قدح على وصف الغلاميات فبادر اليه جوار كثيرة قدهن واحد توهمتهن غلمانا بالقراطق والاقبية والطرر والاقفية ومناطق الذهب والفضة فأخذ الكأس بيده فأقبلت أتأمل صفاء جوهر الكأس ونورية الشراب وشعاعه وحسن أولئك الجوارى والحربة بين يديه وأسرع فى شربه فقال هيه فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم أفضى الامر الى المأمون فكان فى بدء أمره لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره يستعمل النظر فى أحكام النجوم وقضاياها وينقاد الى موجباتها ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كاردشير بن بابك واجتهد فى قراءة الكتب القديمة وأمعن فى درسها وواظب على قراءتها فافتن فى فهمها وبلغ درايتها فلما كان من الفضل بن سهل ذى الرياستين ما اشتهر وقدم العراق فانصرف عن ذلك كله وأظهر

القول بالتوحيد والوعد والوعيد وجالس المتكلمين وقرب اليه كثيرا من الجدليين والنظارين كأبى الهذيل وأبى اسحق ابراهيم بن سيار النظام وغيرهم ممن وافقهم وخالفهم وألزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الادباء وأقدمهم من الامصار وأجرى عليهم الارزاق فرغب الناس فى صنعة النظر وتعلموا البحث والجدل ووضع كل فريق منهم كتبا ينصر فيها مذهبه و يؤيد بها قوله وكان أكثر الناس عفوا وأشدهم احتمالا وأحسنهم مقدرة وأجودهم بالمال الرغيب وأبذلهم للعطايا وأبعدهم من التسافه واتبعه وزراؤه وأصحابه فى فعله وسلكوا سبيله وذهبوا مذهبه ثم المعتصم فانه يا أمير المؤمنين سلك فى النحلة رأى أخيه المأمون وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بالملوك الاعاجم فى الآلة ولبس القلانس والشاشيات فلبسها الناس اقتداء بفعله وائتماما به فسميت المعتصميات وعم الناس افضاله وامنت به السبل فى أيامه وشمل احسانه ثم هرون بن محمد الواثق فانه اتبع ديانة أبيه وعمه وعاقب المخالف وامتحن الناس وكثر معروفه وأمر القضاة فى سائر الامصار أن لا يقبلوا شهادة من خالفه وكان كثير الاكل واسع العطاء سهل الانقياد متحببا الى رعيته ثم المتوكل يا أمير المؤمنين فانه خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد ونهى عن الجدل والمناظرة فى الآراء وعاقب عليه وأمر بالتقليد وأظهر الرواية للحديث فحسنت أيامه وانتظمت دولته ودام ملكه وغير ذلك يا أمير المؤمنين مما اشتهر من أخلاقه قال القاهر قد سمعت كلامك وكأنى مشاهد للقوم على ما وصفت معاين لهم فيما ذكرت ولقد سرنى ما سمعت منك ولقد فتحت أبواب السياسة وأخبرت عن طرق الرياسة ثم أمر لى بجائزة عجل لى عطاءها فى وقتها ثم قال لى اذا شئت فقم فقمت وقام على أثرى بحربته فخيل والله لى أن يرمينى بها من ورائى ثم عطف نحو دار الحدم فما مضت الأيام يسيرة حتى كان من أمره ما ظهر (قال المسعودى) وهذا الرجل الذى أخبرت عنه بهذا الحديث له أخبار حسان وهو حى يرزق الى هذه الغاية وهى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة مداحا للملوك شاعر الاهل الرياسات حسن الفهم جيد الرأى (وفى خلافة القاهر بالله) وهى سنة احدى وعشرين وثلثمائة كانت وفاة أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد ببغداد وكان ممن قد برع فى زماننا هذا فى الشعر وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها وأورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين وكان يذهب فى الشعر كل مذهب فطورا يجزل وطورا يرق وشعره أكثر من أن نحصيه أو يأتى عليه كتابنا هذا فمن جيد شعره قصيدته المقصورة وأولها

وفاة ابن دريد

أما ترى رأسى حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجى

واشتعل المبيض فى مسوده * مثل اشتعال النار فى جزل الغضى

(ومنها) ان الجديدين اذا ما استوليا * على جديد أدنياه للبلى

لست اذا ما أنهضتنى غمرة * ممن يقول بلغ السيل الربى

(ومنها) وان ثوت بين ضلوعى زفرة * تملأ ما بين الرجا الى الرجا

وقد عارضه فى هذه القصيدة المقصورة جماعة من الشعراء منهم أبو القاسم على بن محمد بن داود ابن الفهم التنوخى الانطاكى وهو فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بالبصرة فى جملة

المزيديين وأول قصيدته المقصورة التي يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة

لولا انتهائي لم أطع نهي الهوى * مدى الصبا نطلب من حاز المدى
ان كنت أقصرت فما أقصر قلـ * ـب داميا ترميه الحاظ الدمى
ومقلة ان مقلت أهل القضا * أغضت وفي أجفانها جمر الغضى

(وفيها يقول) وكم ظباء رعيها ألحاظها * أسرع في الانفس من حد الظبى
أسرع من حرف الى جزومن * حب الى حبة قلب وحشى
فصاعد من ملك ابن حمير * ما بعده للمرتقين مرتقى

وقد سبق الى المقصورة أبو المقاتل نصر بن نصر الحلواني بن محمد بن زيد الداعي بطبرستان بقوله

قفا خليلي على تلك الربى * وسائلاها أين هاتيك الدمى
أين اللواتي ربعت ربوعها * عليك باستنجادها تشفي الجوى

(ولابن ورقاء في المقصورة أيضا)

ماشئت قل هي المهاهي القنا * جواهر يكبن اطراف الدمى

وممن تأخر بعد موت ابن دريد العماني أبو عبد الله المفجع وكان كاتبا شاعرا بصيرا بالغريب وهو صاحب الباهلي المصري الذي كان يناقض ابن دريد فما جود فيه المفجع قوله

ألا طرب الفؤاد الى ردين * ودون مزارها ذوا الحلمتين
ألم خيالها وهنا برحلي * فولي رعيه الشرطين عيني

وقد أتينا على ما كان في أيام القاهر مع قصر مدته من الكوائن في الكتاب الاوسط فمنع ذلك من ذكره في هذا الكتاب

(ذكر خلافة الراضي بالله)

وبويع الراضي بالله محمد بن جعفر المقتدر ويكنى أبا العباس يوم الخميس لست خلون من جمادي الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة فأقام في الخلافة الى أن مضى من ربيع الاول عشرة أيام سنة تسع وعشرين وثلثمائة ومات حتف أنفه بمدينة السلام وكانت خلافته ست سنين واحدى عشر شهرا وثلاثة أيام وأمه أم ولد يقال لها ظلوم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

واستوزر الراضي أبا علي محمد بن علي بن مقلة ثم استوزر أبا علي عبد الرحمن ابن عيسى بن داود ابن الجراح ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي ثم أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد ثم أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ثم أبا عبد الرحمن بن محمد اليزيدي وكان الراضي أديبا شاعرا ظريفا وله أشعار حسان في معان مختلفة ان لم يكن ضاهى بها ابن المعتز فما نقص عنه فمن ذلك قوله في حاله وحال معشوقه اذا التقيا

يصفر وجهي اذا تأمله * طرفي ويحمر وجهه خجلا
حتى كأن الذي بوجنته * من دم وجهي اليه قد نقلا

(ومن جيد شعره قوله) يارب ليل قد دنا مزاره * يسترني وتنسى أزراره

ساق مليح القد كدباره * سراجه ووجهه مناره
يشهد لي بذله زناره * تاه بخد ظهر احمراره
ماس مع الحمرة جلناره * أي كثيب قد حوى ازاره
وأي نور ضمنت أزراره * طوع الكؤس غرة عذاره
اخفاؤه تعتاده امراؤه * لا كان لهو لم يثر غباره

(وقد كان) أبو بكر الصولي يروي كثيرا من أشعار الراضي ويذكر حسن أخلاقه وجميل أخباره وارتياضه بالعلم وفنون الادب واشرافه على علوم المتقدمين وخوضه في بحار الجدليين من أهل الدراية والمتفلسفين (وذكر) أن الراضي رأى في بعض متنزهاته بالبونابستا نامونقا وزهرا اتقا فقال لمن حضر هل رأيتم أحسن من هذا فكل قال أشياء ذهب فيها الى مدحه ووصف محاسنه وانها لا يفي بها شيء من زهرات الدنيا فقال لعب الصولي بالشطرنج والله أحسن من هذا ومن كل ماتصفون (وذكر) أن الصولي في بدء دخوله الى المكتفي وقد كان ذكر له بجودة لعبه الشطرنج وكان الماوردي اللاعب معجبا بلعبه فلعبا جميعا بحضرة المكتفي فحمل المكتفي حسن رأيه في الماوردي وتقدم الخدمة والالفة على نصرته وتسميعه حتى أدهش ذلك الصولي في أول وهلة فلما اتصل اللعب بينهما وجمع له الصولي غايته غلبه غلبا لا يكاد يرد عليه شيأ وتبين حسن لعب الصولي للمكتفي فعدل عن هواه ونصره للماوردي وقال له صار ماء وردك بولا (قال المسعودي) وقد تناهى بنا الكلام وتغلغل بنا التصنيف الى جمل من أخبار الشطرنج وماقيل فيها مع ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الاخبار الهند ومبادي اللعب بالشطرنج والنرد واتصال ذلك بالاجسام العلوية والاجرام السماوية فلنذكر جملا مما ذكر في ذلك مما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من هذا الكتاب وذكر عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه في تفصيل صنعة الكلام وهي الرسالة المعروفة بالهاشمية أن الخليل بن أحمد من أجل احسانه في النحو والعروض وضع كتابا في الايقاع وتراكيب الاصوات وهو لم يعالج وتراقط ولامس بيده قضيبا قط ولا كثرت مشاهدته للمغنين وكتب كتابا في الكلام ولو جهد كل بليغ في الارض أن يتعمد ذلك الخطا والتعقيد لما وقع له ولو أن ممرورا استغرق قوامرته في الهذيان لماتهيأ له مثل ذلك منه ولا يتأتى مثل ذلك لاحد الا بخذلان الله الذي لا يفي منه شيء قال الجاحظ ولولا أن أسخف الكتاب وأهجر الرسالة وأخرجها من حد الجد الى الهزل لحكيت صدر كتابه في التوحيد وبعض ماوصفه في العدل قال ولم يرض بذلك حتى عمد الى الشطرنج فزاده في الدولاب جملا فلعبت به أناس من حاشية الشطرنجيين ثم رموا به وقد ذكر الناس ممن سلف وخلف أن جميع الآلات على هيآتها ست صور لم يظهر في اللعب غيرها فأولها آلة المربع المشهورة وهي ثمانية في مثلها ونسبت الى قدماء الهند ثم الآلة المستطيلة وأبياتها أربعة في ستة عشر والامثلة تنصب فيها في أول وهلة في أربعة صفوف من كلا الوجهين حتى تكون الرقاب منها في صفين والبيادق أيضا أمامها صفين ومسيرها كسير أمثلة الصورة الأولى والآلة المربعة وهي عشرة في مثلها والزيادة في امثلتها قطعتان تسميان الدباسين ومسيرهما كسير الشاه الا أنهما يأخذان ويؤخذان ثم الآلة المدورة المنسوبة الى الروم ثم الآلة النجومية التي تسمى الفلكية وأبياتها على عدد

نجوم الفلك مقسومة نصفين ويتقل فيها سبعة أمثلة مختلفة الالوان على عدد الخمسة الانجم والنيرين وعلى ألوانها (وقد بينا) فيما سلف من أخبار الهند كيفية اتصالها بالاجسام السماوية وقد قيل فى عشقها للاشخاص العلوية أو تحرك الفلك بعشقه لما فوقه وقولهم فى النفس ونزولها فى عالم العقل الى عالم الحس حتى نسيت بعد الذكر وجهلت بعد العلم وغير ذلك من تخاليطهم مما يتصل علمه عندهم بمنصوبات الشطرنج ثم آلة أخرى تسمى الجوارحية استحدثت فى زماننا هذا وهى سبعة أبيات فى ثمانية وأمثلتها اثنا عشر فى كل جهة منها ستة كل واحد من الستة يسمى باسم جارحة من جوارح الانسان التى بها يميز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسعى وهى سائر الحواس والخامس المشترك وهو الذى من القلب (وقد ذكرت) الهند وغيرها من اليونانيين والفرس والروم وغيرهم ممن لعب بها كيفية صورها ومباديها ووجوه عللها والغرائب فيها وتصنيف القوائم والمفردات وأنواع طرائف المنصوبات (وقد استعمل) نصاب الشطرنج عليها فنون الهزل والنوادر المدهشة فزعم كثير منهم أن ذلك مما يبعث على لعبها واتصاب المواد وصحيح الافكار اليها وان ذلك بمنزلة الارتجاز الذى يستعمله أهل القتال عند اللقاء والحادى عند الاعياء والماتح للعرب عند الاستقاء وان ذلك عدة للاعب كما ان الشعر والارتجاز من عدة المحارب (وقد قيل) فيما وصفنا أشعار كثيرة مما قاله بعض اللعاب فمن ذلك

نوادر الشطرنج فى وقتها * أحر من ملتهب الجمر
كم من ضعيف اللعب كانت له * عونا على مستحسن القمر

(ومما قيل فيها) وبالغ فى وصف اللعب بها المأمون

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين الفين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها * من غير أن يسعيا فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحرب لم تنم
فانظر الى الخيل قد جاشت بمعركة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

ومما قيل لها وبولع فى وصفها واستوعب النظر لاكثر معانيها ما قاله أبو الحسن بن أبى البغل الكاتب وكان من جلة الكتاب وكبار العمال ومما اشتهر بمعرفتها واللعب بها وهو

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها * عواقب لا يسمو بها غير جاهل
وأبصر أعقاب الاحاديث فى غد * بعينى مجد فى مخيلة هازل
ليجرى على السلطان فى ذاك أنه * أراه بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته * شبيه بتصريف القنا والقنابل

(قال المسعودى) فأما ما قيل فى النرد وأوصافها فقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كيفية نصبها والحدث للعبها على ما حكى من التنازع فى ذلك عند ذكرنا أخبار الهند وفيها عند ذوى المعرفة بها ضروب من اللعب وفنون من الترتيب ووجوه من النصب الا ان عدد البيوت واحد لا زيادة فيها ولا نقصان على ما تقدم فى ذلك من عملها والمعهود فى أصولها وان الفصين فيها محكمان واللاعب بهما وان لم يكن مختارا ولا خارجا عن حكم الفصين فيها وقضائهما محتاج الى أن يكون صحيح النقل وسابقه صحيح الحساب حسن الترتيب جيده (وقد قيل) فى لعبها ووصفها واحكام

الفصين فيها وقضائهما على لعابها أشعار كثيرة بالغوا بالقول فيها وأغرقوا في استيعاب معانيها (من ذلك) قول بعضهم

لاخير في النرد لا يغني ممارسها * حسن الذكاء اذا ما كان محروما
تريك أفعال فصيها بحكمهما * ضدين في الحال ميمونا ومشؤما
فما تكاد ترى فيها أخا أدب * يفوته القمر الا كان مظلوما

(وأخبرني) أبو الفتح محمد بن الحسن السندي بن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم وكان من أهل العلم والرواية والمعرفة والادب انه كتب الى صديق له يذم النرد وكان بها مشتهرا أبياتا وهي

أيها المعجب المفاخر بالنر * د ليزهو بها على الاخوان
فلعمري حرصت جهدا على قمـ * ـرك لولم تواتك الفصان
غير ان الاديب يكفيه الظن * ويبكي لشدة الحرمان
واذا ما القضاة جاءت بحكم * لم يحد عن قضائها الخصمان
ولعمري ما كنت أول انسا * ن تمنى فأخلفته الاماني

وأنشدني أبو الفتح أيضا لابي نواس

ومأمورة بالامر تأتي بغيره * ولم تتبع في ذاك غيا ولا رشدا
اذا قلت لم تفعل وليست مطيعة * وافعل ما قالت فصرت لها عبدا

(وقد قدمنا) في أخبار ملوك الهند فيما سلف من هذا الكتاب قول من قال في النرد والفصين انها جعلت مثلا للمكاسب وانها لاتنال بالكيس ولا بالحيل وما ذكر عن أردشير بن بابك في ذلك أنه أول من لعب بها وأرى تقلب الدنيا بأهلها وجعل لبيوتها اثني عشر على ترتيب عدد الشهور وان كلابها ثلاثون كلبا بعدد أيام الشهور وان الفصين مثال القدر وتلعبه بأهل هذا العالم وغير ذلك مما وصفنا من أحوالها مما قدمنا من ذكرها في هذا الكتاب وغيره مما سلف من كتبنا (وذكر) بعض أهل النظر من الاسلاميين أن واضع الشطرنج كان عدليا مستطيعا فيما يفعل وان واضع النرد كان مجبرا فبين باللعب بها انه لا صنع له فيها بل تصرفه فيها على ما يوجبه القدر عليه بها (وذكر) العروضي وهو ممن كان له أدب الراضي وغيره من الخلفاء وأبنائهم قال حدثت الراضي ذات يوم خبرا ألفيته عن مسلم الباهلي في الكبر وغيره من الخصال التي توجد في أهل الرياسات مما يحمد فيهم ويكره منهم من الاخلاق فكتب ذلك مني في حال صباه وعنفوان حداثته ولقد رأيته مواظبا على درسه الى أن استكمل اتقانه في مجلسه فداخله عند ذلك طرب وفرح وأريحية لم أعهدها منه ثم قال لي وقد أقبل علي لعل الزمان أن يبلغ بي ان أتأدب بهذه الخصال وأكون في مرتبة من يرتاض بهذه الآداب وهو أنه قيل لقتيبة بن مسلم وهو وال على خراسان للحجاج محارب للترك لو وجهت فلانا لرجل من أصحابه الى حرب بعض الملوك على الجيش فقال قتيبة انه رجل عظيم الكبر ومن عظم كبره اشتد عجبه ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيا ولم يؤامر نصيحا ومن تبجح بالاعجاب وفخر بالاستبداد كان من الصنع بعيدا ومن الخذلان قريبا والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة ومن تكبر على عدوه حقره واذا حقره تهاون بأمره ومن تهاون بأمر عدوه وثق بأمر قوته وسكن الى جميع عدته ومن سكن الى جميع عدته

قل احتراسه ومن قل احتراسه كثر عثاره وما رأيت عظيم تكبر على صاحب حرب قط الا كان منكوبا ومهزولا ومخذولا لا والله حتى يكون أسمع من فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاة وأحذر من عقعق وأشد اقداما من أسد وأوثب من فهد وأحقد من جمل وأروغ من ثعلب وأسخى من ديك وأشح من ظبي وأحرس من كركي وأحفظ من كلب وأصبر من ضب وأجمع من النمل وان النفس انما تسمح بالعناية على قدر الحاجة وتتحفظ على قدر الخوف وتطمع على قدر السبب وقد قيل على وجه الدهر ليس لمعجب رأي ولا لمتكبر صديق ومن أحب أن يحب تحبب (قال العروضي) وتذاكرنا يوما بحضرة الراضي بالله في حال صباه وقد حضر جماعة من ذوي العلم والمعرفة بأخبار الناس من غير فانتهى بنا الامر الى خبر معاوية بن أبي سفيان حين ورد عليه كتاب من ملك الروم أن يرسل اليه سراويل أجسم رجل عنده فقال معاوية لا أعلمه الا قيس بن سعد فقال لقيس اذا انصرفت فابعث الي سراويلك فخلعها ورمى بها فقال معاوية هلا بعثت بها من منزلك فقال قيس

أردت لكيما يعلم الناس أنها * سراويل قيس والوفود شهود

وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه * سراويل عاد قد نمته ثمود

فقال قائل ممن حضر قد كان جبلة بن الايهم أحد ملوك بني غسان طوله اثنا عشر شبرا فاذا ركب مسحت قدماه الارض فقال له الراضي بالله قد كان قيس بن سعد هذا المذكور تخط قدماه الارض واذا مشى بين الناس يتوهمون أنه راكب وقد كان جدي علي بن عبد الله بن العباس طويلا جميلا يتعجب الناس من طوله وكان يقول كنت الى منكب عبد الله بن عباس وكان عبد الله الى منكب جدي العباس وكان العباس بن عبد المطلب اذا طاف بالبيت يرى كأنه فسطاط أبيض قال فتعجب والله من حضر من ايراده هذا الخبر مع صغر سنه ثم تذاكرنا عجائب البلدان وما خص به كل صقع من الارض من أنواع النبات والحيوان والجماد من أحجار أنواع الجواهر وغيرها فقال لي قائل ممن حضر ان أعجب ما في الدنيا يكون بأرض طبرستان على شاطئ الانهار شبيه بالباشق وأهل طبرستان يسمونه بالككم وهو صياحه الذي يصيح به ولا يصيح في السنة الا في هذا الفصل فاذا صاح اجتمعت عليه العصافير وصغار الطيور مما يكون في المياه وغيرها فتزقه من أول النهار حتى اذا كان في آخره أخذوا احدا مما قرب من الطير فأكله وكذلك يفعل في كل يوم الى أن ينقضي هذا الفصل الربيعي فاذا انقضى ذلك انعكست عليه الطيور فلا تزال تجتمع عليه وتضربه وتطرده وهو يهرب منها ولا يسمع له صوت الى الفصل الربيعي وهو طير حسن موشى حسن العينين قال وذكر علي بن يزيد الطبيب الطبري صاحب كتاب فردوس الحكمة أن هذا الطائر ليس يكاد يرى ولم ترقط قدماه على الارض معا بل يطأ على الارض باحدى قدميه على البدل لا يطأ الارض بهما في حالة واحدة قال وقد ذكر الجاحظ ان هذا الطير من احدى عجائب الدنيا وذلك أنه لا يطأ الارض بقدميه بل باحداهما خوفا على الارض أن تخسف به من تحته قال والعجب الثاني دودة تكون من المثقال الى الثلاثة تضيء بالليل كضوء الشمع وتطير بالنهار ويرى لها أجنحة خضراء ملساء لا اجنحة لها غذاؤها التراب لا تشبع منه قط خوفا أن يفني تراب الارض فتهلك جوعا وفيها خواص كثيرة ومنافع واسعة قال والعجب

الثالث أعجب من الطير والدودة من يكرى نفسه للقتل يعني المرتزقة من الجند فاستحسن هذا الخبر من حضر فقال أبو العباس الراضي معارضا لهذا الخبر الذي أخبر بالخبر الاول قد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ أن أعجب ما في الدنيا ثلاث البوم لا يظهر بالنهار خوفا أن تصيبها العين لحسنها وجمالها ولما قد تصور في نفسها أنها أحسن الحيوان فتظهر بالليل والعجب الثاني الكركي لا يطأ بقدميه الارض بل باحداهما فاذا وطئ باحداهما لا يعتمد عليها اعتمادا قويا ومشي بالتأني خوفا من أن تخسف الارض من تحته لثقله والعجب الثالث الطائر الذي يقعد على سوق الماء من الانهار اذا انحزنت الذي يعرف بمالك الحزين (١) على شبه الكركي خوفا من الماء أن يفنى من الارض فيموت عطشا قال العروضي فتفرق من حضره وكل متعجب من الراضي مع صباه وصغر سنه كيف تأتى منه هذه المذاكرات مع أن من حضره من أهل الرأي والسن والمعرفة (قال المسعودي) وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على عجائب الارض والبحار وما فيها من عجائب البلدان والحيوان والجماد والمائع والرجراج فأغنى ذلك عن ايرادها في هذا الموضع وانما ذكرنا أخبار الراضي وما كان من أمره في صباه وما أخبره عنه مؤدبه ونطمنا من أخباره ما نأتي لما نذكره في هذا الكتاب (وأخبرنا) العروضي قال سمرت عند الراضي في ليلة شاتية صها كيته فرأيته قلقا متمللا فقلت له يا أمير المؤمنين أرى منك خصالا لم أعهدها وضيق صدر لم أعرفه فقال له دع عنك هذا وحدثني بحديث فان أنت أزلت بحديثك ما أجده من الهم فلك ما علي وما تحتي على أن أشترط عليك ازالة الهم بالضحك قلت يا أمير المؤمنين رحل رجل من بني هاشم الى ابن عمه بالمدينة فأقام عنده حولا لم يدخل مستراحا فلما كان بعد الحول أراد الرجوع الى الكوفة فحلف عليه أن يقيم عنده أياما أخر فأقام وكان للرجل قينتان فقال لهما أما رأيتما ابن عمي وظرفه أقام عندنا حولا لم يدخل الخلاء فقالتا له فعلينا أن نصنع له شيأ لا بد معه بدا من الخلاء قال شأنكما وذلك فعمدتا الى خشب العشر (٢) فدقتاه وهو مسهل وطرحتاه في شرابه فلما حضر وقت شرابهما مدتاه اليه وسقيا مولاهما من غيره فلما أخذ الشراب منهما تناوم المولى وتعص الفتى فقال للتي تليه ياسيدتي أين الخلاء فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه

خلا من آل فاطمة الديار * فمنزل أهلها منها قفار

فغنته فقال الفتى أظنهما كوفيتين وما فهمتا ثم التفت الى الاخرى فقال لها ياسيدتي أين الحش فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه

أوحش المقرات والدبر منها * فعناهما بالمنزل المعمور

فغنته فقال الفتى أظنهما عراقيتين وما فهمتاعني ثم التفت الى الاخرى فقال لها أعزك الله أين المتوضأ فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه

توضأ للصلاة وصل خمسا * وأذن بالصلاة على النبي

فغنته فقال أظنهما حجازيتين وما فهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها ياسيدتي أين الكنيف قالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك ان تغنيه

تكنفني الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانيا

(١) مالك الحزين قال الجوهري انه من طير الماء وقال ابن بري في حواشيه انه البلشون قال وهو طائر طويل العنق والرجلين اه قال الجاحظ من أعاجيب الدنيا أمر مالك الحزين لانه لا يزال يقعد بقرب المياه ومواضع نبعها من الانهار وغيرها فاذا نشفت يحزن على ذهابها ويبقى حزينا كئيبا وربما ترك الشرب حتى يموت عطشا خوفا من زيادة نقصها بشربه منها وهذا الطائر لما كان يقعد عند المياه التي انقطعت عن الجري وصارت مخزونة سمي مالكا ولما كان يحزن على ذهابها سمي بالحزين وهو عطف بيان لمالك كما قال أبو حفص عمر قاله الدميري في حياة الحيوان اه

(٢) العشر ويقال عشار شجرة سبطة دقيقة الورق كثيرة الاغصان لها زهر الى الصفرة يتحول كأنه كيس مملوء قطنا يقال انه من أجود حراق القدح اذا طبخت بالزيت حتى تتهرى أبرأت من الفالج والتشنج والخدر طلاء ولبنها يأكل اللحم الزائد وينفع من القراع يسقط الباسور طلاء وأهل مصر يقولون انها تطرد البق بخورا وفرشا ولم يبعد وهي تقرح وتسحج وتقتل بالاسهال ويصلحها الادهان والالبان والتسقية بالقيء وشربتها نصف درهم وفي لبنها اصلاح للارواح الصاعدة في الصناعة بن تذكرة داود اه

فغنته فقال أطنهما عيانيتين وما فهمتا عنى ثم التفت الى الاخرى فقال لها يا هذه أين المستراح فقالت انها صاحبتها ما قال لك قالت يسألك أن تغنيه

ترك الفكاهة والمزاحا * وقلا الصبابة واستراحا

فغنته والمولى يسمع ذلك وهو متناوم فلما اشتد به الامر أنشأ يقول

تكفيني السلاح وأضجروني * على ما بي بشكر الاغاني

فلما ضاق عن ذاك اصطباري * ذرقت به على وجه الزواني

ثم انه حل سراويله وسلح عليهما فتركهما آية للناظرين وانتبه المولى فى أثر ذلك فلما رأى ما نزل بجواريه قال يا أخى ما حملك على هذا الفعل قال يا ابن الفاعلة لك جوار يرون المخرج صراطا مستقيما الا يدلننى عليه فلم أجد جزاء غير هذا ثم رحل عنه قال فذهب بالراضى الضحك كل مذهب وسلم الى كل ما كان عليه وتحته من لباس وفرش فكان مبلغ ثمن ذلك نحوا من ألف دينار (وذكر) الصولى قال قال الراضى ما كان السبب فى لبس المأمون الخضرة ورقعة السواد ثم لبسه السواد بعد ذلك قلت هو ما أخبرنا به محمد بن زكريا العلائى قال حدثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان قال لما قدم المأمون بغداد اجتمع الهاشميون الى زينب بنت سليمان بن على وكانت أقعد ولد العباس نسبا وأكرمهم بيتا فسألوها أن تكلم أمير المؤمنين فى تغييره الخضرة فضمنت لهم ذلك وجاءت الى المأمون فقالت يا أمير المؤمنين انك على بر أهلك من ولد على بن أبى طالب أقدر منك على برهم لنا من غير أن تزيل سنة من مضى من آبائك فدع لباسك الخضرة ولا تطمعن أحدا فيما كان منك قال لها يا عمة ما كلمنى أحد فى هذا المعنى بكلام أوقع من كلامك ولا أقصد لما أردت لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فولى الامر أبو بكر فقد عرفت ما كان من أمره فينا أهل البيت ثم وليها عمر فلم يتعد فيها فعل من تقدمه ثم وليها عثمان فأقبل على بنى أمية وأعرض عن غيرهم ثم آل الامر الى على بن أبى طالب من غير صفو كصفوها لغيره بل مشوبة بالاكدار فولى مع ذلك عبد الله بن العباس البصرة وولى عبيد الله بن العباس اليمن وولى قثم البحرين وما أحدا منهم الا ولاه فكانت هذه فى أعناقنا حتى كافأته فى ولده بما فعلت ولا يكون بعد هذا الا ما تحبون ثم رجع الى لبس السواد وللمأمون يا أمير المؤمنين شعر يشا كل معنى ما ذكرت من هذا الخبر وهو قوله

ألام على شكر الوصى أبى الحسن * وذلك عندى من عجائب ذا الزمن

خليفة خير الناس والاول الذى * أعان رسول الله فى السر والعلن

ولولاه ما عدت لهاشم امرة * وكانت على الايام تقضى وتمتهن

فولى بنى العباس ما اختص غيرهم * ومن منه أولى بالتكرم والمنن

فأوضح عبد الله بالبصرة الهدى * وفاض عبيد الله جودا على اليمن

وقسم أعمال الخلافة بينهم * فلا زلت مربوطا بذا الشكر مرتهن

وكان القاهر قد عمد الى كثير من الاموال عند قتله لمونس وبليق وابنه على وغيرهم فغيبها بالمقاصير عليه وسملت عيناه وأفضت الخلافة الى الراضى طولب القاهر بالاموال فأنكر أن يكون عنده شىء من ذلك فأوذى وعذب بأنواع من العذاب وكل ذلك لا يزيده الا انكارا

فأخذه الراضى وقربه وأدناه وطالت مجالسته اياه واكرامه له وأعطاه حق العمومية والسن
والتقدم فى الخلافة ولاطفه وأحسن اليه غاية الاحسان وكان للقاهر فى بعض الحصون بستان
من ريحان وغرس من النارنج قد حمل اليه من البصرة وعمان مما حمل الى أرض الهند قد
اشتبكت أشجاره ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر وبين ذلك أنواع الغروس والرياحين
والزهر وقد جعل مع ذلك فى الصحن أنواع الاطيار من القمارى والدباسى والشحارير والببغاء
مما قد جلب اليه من الممالك والامصار وكان فى غاية الحسن وكان القاهر كثير الشرب
عليه والجلوس فى تلك المجالس فلما أفضت الخلافة الى الراضى اشتد شغفه بذلك الموضع فكان
يداوم الجلوس والشرب فيه ثم ان الراضى رفق بالقاهر وأعلمه بما هو فيه من مطالبة الرجال
بالاموال والحاجة اليها ولا شئ قبله منها وسأله أن يسعفه بما عنده منها اذ كانت الدولة له وأن يدبر
تدبيره ويرجع فى كل الامور الى قوله وحلف له بالايمان المؤكدة أن لا يسعى فى قتله
ولا الاضرار به ولا بأحد من ولده فأنعم له القاهر بذلك وقال ليس لى مال الا فى بستان النارنج
فسار به الراضى الى البستان وسأله عن الموضع فقال له القاهر قد حجب بصرى فلست أعرف
موضعه ولكن مر بحفره فانك تظهر على الموضع ولا يخفى عليك فكان ذلك فحفر البستان وقلع
تلك الاشجار والغروس والازهار حتى لم يبق منه موضع الا حفره وبولغ فى حفره فلم يجد شيأ
فقال له الراضى فها هنا شئ مما ذكرت فما الذى حملك على ما صنعت فقال له القاهر وهل عندى
من المال شئ انما كانت حسرتى جلوسك فى هذا الموضع وتمتعك به وكان لذتى من الدنيا فتأسفت
على أن يتمتع به بعدى غيرى فتأسف الراضى على ما فرط منه اليه من الحيلة فى أمر ذلك البستان
وندم على قبوله منه وأبعد القاهر فلم يكن يدنيه منه خوفا على نفسه أن يتناول بعض أطرافه وكان
الراضى كثير الاستعمال للطيب حسن الهيئة سخيا جوادا حسن المذاكرة باخبار الناس وأيامهم
مقربا لاهل العلم والادب والمعرفة كثير الدنو منهم فائضا بجوده عليهم ولم يكن ينصرف عنه
أحد من ندمائه فى كل يوم الا بصلة أو خلعة أو طيب وكانوا عدة ندماء منهم محمد بن يحيى
الصولى وابن حمدون النديم وغيرهما فعوتب على كثرة افضاله على من يحضره من الجلساء
فقال أنا أستحسن فعل أمير المؤمنين أبى العباس لانه كانت فيه فضائل لا تكاد تجتمع فى أحد
لا يحضره نديم ولا مغن ولا قينة فينصرف الا بصلة أو كسوة قلت أو كثرت وكان لا يؤخر احسان
محسن لغد ويقول العجب من انسان يفرح انسانا فيتعجل السرور ويؤخر ثواب من سره
تسويفا وعدة فكان أبو العباس فى كل ليلة أو يوم يقعد لشغله لا ينصرف أحد ممن حضره
الا مسرورا ونحن وان لم تتأت لنا الامور كتأتيها لمن سلف فانا نواسى جلساءنا بل اخواننا ببعض
ما حضرنا وكان سخيا على سائر الاشياء لا يستكثر لاحد من ندمائه كثرة ما يصل اليه على طول
الايام حتى كان بعضهم ربما يتأخر عن الحضور لما يترادف عليه من فضله وكان الغالب عليه من
الخدم راغب الخادم وزيرك ومن الغلمان ذكى وغيره (وحدث) أبو الحسن العروضى مؤدب
الراضى قال اجتزت فى يوم مهرجان بدجلة بدار بجكم التركى فرأيت من الهرج والملاهى واللعب
والفرح والسرور ما لم أر مثله ثم دخلت الى الراضى بالله فوجدته خاليا بنفسه قد اعتراه هم
فوقفت بين يديه فقال لى ادن فدنوت فاذا بيده دينار ودرهم فى الدينار نحو من مثاقيل

وفى الدرهم كذلك عليه صورة بحكم شاك فى سلاحه وحوله مكتوب

انما العز فاعلم * للامير المعظم * سيد الناس بحكم

ومن الجانب الآخر الصورة بعينها جالس فى مجلسه كالمفكر المطرق فقال الراضى أما ترى صنع هذا الانسان وما تسمو اليه همته وما تحدثه به نفسه فلم أجبه بشئ وأخذت به فى أخبار من مضى من ملوك الفرس وغيرها وما كانت تلقى من اتباعها وصبرهم عليهم وحسن سياستهم لذلك حتى تصلح أمورهم وتستقيم أحوالهم فسلا عما عرض لنفسه ثم قلت يمتع الله أمير المؤمنين أن يكون كالمأمون فى هذا الوقت حيث يقول

صل الندمان يوم المهرجان * بصاف من معتقة الدنان

بكأس خسروانى عتيق * فان العيد عيد خسروانى

وجنبنى الزبيب بن طرا * فشأن ذوى الزبيب خلاف شان

فأشربها وأزعمها حراما * وأرجو عفو رب ذى امتنان

ويشربها ويزعمها حلالا * وتلك على الشقى خطيئتان

فطرب وأخذته أريحية فقال لى صدقت ترك الفرح فى مثل هذا اليوم عجز وأمر باحضار الجلساء وقعد فى مجلس التاج على دجلة فلم أر يوما كان أحسن منه فى الفرح والسرور وأجاز فى ذلك اليوم من حضر من الندماء والمغنين والملهين بالدنانير والدراهم والخلع وأنواع الطيب وأتته هدايا بحكم وألطافه من أرض العجم فسر فى ذلك اليوم وجميع من حضره (قال المسعودى) وقد أتينا على ما كان فى أيام الراضى من الكوائن والحوادث مجملا ومفصلا فى كتابنا أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وما كان من أمره حال خروجه مع بحكم الى بلاد الموصل وديار ربيعة وما كان بين بحكم وأبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان المسمى بعد ذلك بناصر الدولة وقصدنا فيما ذكرناه فى هذا الكتاب الى الاختصار دون الشرح والاكثار اذ كان فى الاكثار من الاخبار ثقل على القلوب وملل للسامع وقليل الاخبار يغنى عن كثير الاقتدار

(ذكر خلافة المتقى لله)

وبويع المتقى لله وهو أبو اسحق ابراهيم بن المقتدر لعشر خلون من ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسملت عيناه يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وكان خلافته ثلاث سنين واحدى عشر شهرا وثلاثة وعشرين يوما وأمه أم ولد

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

ولما أفضت الخلافة الى المتقى لله أقر على الوزارة سليمان بن الحسن بن مخلد ثم استوزر أبا الحسين أحمد بن محمد بن ميمون وكان كاتبه قبل الخلافة ثم استوزر أبا اسحق محمد بن أحمد القراريطى ثم استوزر أبا العباس أحمد بن عبد الله الاصبهانى ثم استوزر أبا الحسن على بن مقلة وغلب على الامر أبو الوفاء تورون التركى واشتد أمر البزيديين بالبصرة ومنعوا السفن أن تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم جيشان جيش فى الماء فى السدوات والطيارات والسمار يات

والدياريب وهذه أنواع من المراكب يقاتل فيها اصغار وكبار وجيش فى البر عظيم واصطنعوا الرجال وبذلوا الرغائب فانضاف اليهم جريدة السلطان وغلمانه وصار جيش السلطان الاتراك والديلم والجيل ونفرا من القرامطة وكل ذلك مع توزون وكان توزون من نقباء بجكم والخواص من أصحابه فانحدر توزون الى واسط لحرب البريديين وكانوا ملكوا واسط وتغلبوا عليها فكانت بينهم حروب سجالا والمتقى لله لا أمر له ولا نهى فكاتب المتقى أبا محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة وأخاه أبا الحسن على بن عبد الله سيف الدولة أن يحدوه ويستنقذوه مما هو فيه ويفوض اليهما الملك والتدبير وقد كان قبل ذلك خرج اليهم وتوزون فى جلتهم منضاف وغيره من الاتراك والديلم وذلك عند قتلهم محمد بن رائق فى سنة ثلاثين وثلثمائة وانحدارهم الى مدينة السلام واستيلائهم على الملك والقيام له وحربهم البريديين وما كان بينهم من الوقائع الى أن توجه عليهم ما ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان من خروج أبى محمد الحسن بن عبد الله عن الحضرة الى الموصل ولحوق أخيه أبى الحسن على بن عبد الله وخلاصه مما دبر عليه توزون وجحجح التركى فخرج المتقى الى الموصل فلما بلغ توزون ذلك رجع الى بغداد وقصد بنى حمدان فكان التقاؤهم بعكبرا فكانت بينهم سجالا ثم كانت لتوزون عليهم فرجع الى بغداد ثم أجمعوا له أيضا ورجعوا اليه فتركهم حتى قربوا الى بغداد فخرج عليهم فلقيهم فهزمهم بعد مواقعات كانت بينهم وسار هو حتى دخل الموصل وخرج عنها الى مدينة بلد فصالحوه على مال حملوه اليه فرجع الى بغداد وهو مستظهر بمن معه من الاتراك والجيل والديلم وكمال العدة والكراع وسار المتقى الى نصيبين ورجع عنها الى الرقة فنزلها وذلك لايام بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكاتب الاخشيد محمد بن طغج فسار الى الرقة وحمل اليه مالا كثيرا وأهدى اليه غلمانا وأثاثا وضم اليه قائدا من قواده وجمل أمره وزاد فى حاله وبر جميع من معه من وزيره أبى الحسن على بن مقلة وقاضى القضاة أحمد بن عبد الله بن اسحق الحرقى وسلام الحاجب المعروف بأخى نجح الطولونى وجماعة الوجوه والغلمان ثم لم يعبر الاخشيد محمد بن طغج الى الرقة ولا الى شئ من جانب الجزيرة وديار مصر وعبر المتقى وسار الى معسكره من الجانب الشامى فكانت بينهم خطوب وايمان وعهود وأبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان مقيم بحران طول مقام المتقى بالرقة وقد كان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان سار عن حلب وبلاد حمص عند مسير الاخشيد الى بلاد قنسرين والعواصم فانفض جمعه وتفرق جنده عنه وانضافوا الى الحسن بن على بن عبد الله واتصلت كتب توزون بالمتقى وتواترت رسله يسأله الرجوع الى الحضرة وأشهد توزون من حضره من القضاة والفقهاء والشهود وأعطى العهود والمواثيق بالسمع والطاعة للمتقى والتصرف له بين أمره ونهيه وترك الخلاف عليه وأنفذ اليه كتب القضاة والشهود مما بذل من الايمان وأعطى من العهود وأشار بنو حمدان على المتقى أن لا ينحدر وخوفوه من توزون وحذروه أمره فانه لا يأمنه على نفسه فأبى الا مخالفتهم والثقة بما ورد عليه من توزون وقد كان بنو حمدان انفقوا على المتقى نفقة واسعة عظيمة طول مقامه عندهم واجتيازه بهم يكثر وصفها ويعسر علينا فى التحصيل ايرادها لاكثار المخبرين لنا بتحديدها وانصرف الاخشيد عن الفرات متوجها نحو مصر وانحدر المتقى فى الفرات فتلقاه أبو جعفر بن سيرار كاتب توزون بأحسن لقاء

وأقام الاتراك الموصلي في انحداره حتى دخل النهر المعروف بنهر عيسى وسار الى الضيعة المعروفة بالسندية على شاطئ هذا النهر فتلقاه توزون هنالك وترجل له ومشى بين يديه فأقسم عليه أن يركب ففعل حتى وافى به الى المضرب الذى كان ضرب له على الشط من نهر عيسى وذلك على شوط من مدينة السلام فأقام هنالك وأنفذ رسلا الى دار طاهر ليحضر المستكفي فلما حصل المستكفي في المضرب قبض على المتقي ونهب جميع ما كان معه وقبض على وزيره أبي الحسين علي بن محمد بن مقلة وعلى قاضيه أحمد بن عبد الله بن اسحق ونهب جميع العسكر وانصرف القائد الذى كان الاخشيد ضمه الى المتقي ومن معه الى صاحبهم وأحضر المستكفي فبويع له وبكى المتقي وصاح النساء والخدم لصياحه فأمر توزون بضرب الدبادب حول المضرب لخفي صراخ الخدم وأدخل الى الحضرة مسمول العينين وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم وسلم الى المستكفي بالله وبلغ ذلك القاهر فقال قد صرنا بحقيق نحتاج الى صدر يعرض بالمستكفي بالله

(وحدث) محمد بن عبد الله الدمشقي قال لما نزل المتقي الرقة كنت فيمن يتصرف بين يديه وأقرب منه في الخدمة لطول صحبته فقال لى في بعض الايام في الرقة وهو جالس في داره على الفرات اطلب لى رجلا اخباريا يحفظ أيام الناس أتفرج اليه في خلواتي واستريح به في الاوقات قال فسألت بالرقة عن رجل بهذا الوصف فأرشدت الى رجل بالرقة كهل لازم لمنزله فصرت اليه ورغبته في الدخول الى المتقي لله فقام معي كالمكره وصرنا الى المتقي فأعلمته احضارى للرجل الذى طلبه فلما خلا وجهه دعا به واستدناه فوجد عنده ما أراد فكان معه أيام مقامه بالرقة فلما انحدر كان معه في الزورق فلما صار الى نهر سعيد وذلك بين الرقة والرحبة أرق المتقي ذات ليلة فقال للرجل ما تحفظ من أشعار المبيضة وأخبارها فمر الرجل في أخبار آل أبي طالب الى أن صار الى أخبار الحسن بن زيد وأخيه محمد بن زيد بن الحسن وما كان من أمرهما ببلاد طبرستان وذكر كثيرا من محاسنهما وقصد أهل العلم والادب اياهما وما قالت الشعراء فيهما فقال له المتقي أتحفظ شعر أبي المقاتل نصر بن نصر الحلواني في محمد بن زيد الحسني الداعي قال لا يا أمير المؤمنين لكن معي غلام لى قد حفظ بحداثة سنه وحدة مزاجه وغلبة الهمة لطلب العلم والادب عليه ما لم أحفظ من أخبار الناس وأيامهم وأشعارهم قال أحضره ولم أخفيت عني خبر مثل هذا فيكون حضوره زيادة في أنسنا فأحضر الغلام من زورق آخر فوقف بين يديه فقال له صاحبه أتحفظ قصيدة أبي المقاتل في ابن زيد قال نعم قال المتقي أنشدنيها فابتدأ ينشده اياها

لا تقل بشرى وقل لى بشريان * غرة الداعي ويوم المهرجان
خلقت كفاه موتا وحياة * وحوت أخلاقه كمه الجنان
فهو فصل في زمان بدوى * وابن زيد مالك رق الزمان
فهو للكل بكل مستقل * بالعطايا والمنايا والامان
أوحد قام بتشييد المعالى * فبه استنبط أجناس المعان
مسرف في الجود من غير اعتذار * وعظيم البر من غير امتنان
وهو من أرسى رسول الله فيه * وعلياه المعلى والحسان

سيد عرق فيه السيدان * والذى يكبر عن ذكر الحصان
محتف فكرته فى كل شئ * فهو فى كل محل ومكان
يعرف الدهر على ماغاب عنه * فيرى المضمر فى شخص العيان
تتناهى الفاظنا عنه ولكن * هو بالاوصاف فى الاذهان دان
أخرجت ألفاظه مافى الخفايا * وكفاه الدهر نطق الترجمان
كافر بالله جهرا والمثانى * كل من قال له فى الخلق ثان
واذا ماأسبغ الدرع عليه * وانكفت يمناه بالسيف اليمان
بعثت سطوته فى الموت رعبا * أيقن الموت بأن الموت فان
يحدق الابطال بالالحاظ حتى * يترك المقدام فى شخص الجبان
ملك الموت يناديه أجرنى * منك كم تغزو بضرب وطعان
لاتكلفنى فوق الوسع وارفق * فلقد ملكك الله عنان
ياشقيق القدر المحتوم كم قد * رضت بالضيم عمادا وحزان
لك يومان فيوم من لبان * يقتنى يوم أرون أوريان
انجزت كفاك وعدا ووعيدا * وأحاطت لك بالدنيا اليدان
فاذا ماأروت اليمنى حباء * همت اليسرى بارواء السنان
جدتا فى النفع والضر بدارا * فهما فى كل حال ضرتان
أرخت كفاك فى الآفاق حتى * ماتلاقى بسوالك الشفتان
قدمتك المدح الغر وصالت * لك أيضا فى أعاديك الهجان
أنت لاتحوى بعقول كاب * لك شأن خارج عن كل شان
لك اثقال اياد مثقلات * عجزت عن حملهن الثقلان
انما مدحك وحى وزبور * والذى ضمت عليه الدفتان
هاكها جوهرة تبرىء تو * لى وجوه الموت تكفين الحنان
ياامام الدين خذها من امام * ملكت أشعاره سبق الرهان
واستمع للرمل الاول ممن * كشف المحنة من غير امتحان
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن * ستة أجزاؤها عز الوزان
كرة الآفاق لاتطلع الا * صارت الريح لها كالصولجان
حليت فى صنعة الالفاظ مما * بريحيه كل ذى عفو وبيان
أنت تحكى جنة الخلد طباعا * والقوافى فيك كالحور الحسان
وابق للشعر بتاء الشعر والشكر * مع الدهر فنعم الباقيان
عمر رضوى بل ثبير وشآم * وارام وشمما ربخ أبان
شهد الله على مافى ضميرى * فاستمع لفظى ترجيع أذان
حسنات ليس فيها سيآت * مدحة الداعى لا كتبا كاتبان

فلم يزل المتقى كلما مر به بيت استعاده ثم أمر الغلام بالجلوس فلما كان فى اليوم الذى لقيه

فيه ابن سيرابار الكاتب سمعه ينشد هذا البيت * لا تقل بشرى وقل لى بشريان * فقال له الغلام وقد
كان أنس به يا أمير المؤمنين * دامت البشرى فقل لى بشريان * وقد كان أنشده أولا القصيد
لا تقل بشرى وأنشده هذا الوجه دامت البشرى فقل لى وذكر له خبر أبى المقاتل مع الداعي
فوالله ما زال المتقى يقول لا تقل بشرى ولا يختار فى ذلك الوجه غيره فقال له الرقى والغلام
والله لتطيرنا لأمير المؤمنين من اختياره انشاد هذا البيت على هذا الوجه فكان من أمر
ما ذكرنا (وحدث) محمد بن عبد الله الدمشقى قال لما انحدرنا مع المتقى من الرحبة وصرنا الى
مدينة عانة دعا بالرقى وغلامه فحادثه وتسلسل بهم القول الى فنون من الاخبار الى أن صاروا
الى ذكر الخيل فقال المتقى أيكم يحفظ خبر سلمان بن ربيعة الباهلى فقال الغلام ذكر عمرو بن
العلاء يا أمير المؤمنين أن سلمان بن ربيعة الباهلى كان يهجن الخيل ويعديها فى زمن عمر بن
الخطاب فجاءه عمرو بن معديكرب بفرس كميت هجينا فاستعدى عليه عمر وشكاه اليه فقال سلمان
ادع باناء رجراج قصير الجدر فدعا به فصب فيه ماء ثم أتى بفرس عتيق لا شك فى عتقه فأسرع ونزل
وشرب ثم أتى بفرس عمرو الذى كان هجين فأسرع سنبكه ومد عنقه كما فعل العتيق ثم ثنى أحد
السنبكين قليلا فشرب فلما رأى ذلك عمر بن الخطاب وكان ذلك بحضرته قال أنت سلمان الخيل
فقال المتقى فما عندكم عن الاصمعى وغيره من علماء العرب فى صفاتها قال الرقى ذكر الرياشى عن
الاصمعى قال اذا كان الفرس طويل أوظفة اليدين قصيرا أوظفة الرجلين طويل الذراعين قصير
الساقين طويل الفخذين طويل العضدين منفرج الكتفين لم يكد يسبق وقال اذا سلم من
الفرس شيآن لم يضره عيب سواهما مغروز عنقه فى كاهله ومغروز عجزه فى صلبه واذا جادت
حوافره فهو هو وأنشدنا المبرد

ولقد شهدت الخيل تحمل سكتى * عنه كسرحان القصيمة منهب
فرس اذا استقبلته فكأنه * فى العين جرع من أوائل مشرب
واذا اعترضت له استوت اقطاره * فكأنه مستدبر المتصوب

وسأل يا أمير المؤمنين معاوية مطر بن دراج أى الخيل أفضل وأوجز فقال الذى اذا استقبلته
قلت نافر واذا استدبرته قلت زاخر واذا استعرضته قلت زافر سوطه عنانه وهواه أمامه قال
فأى البراذين شر قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذى اذا أرسلته قال أمسكنى واذا
أمسكته قال أرسلنى قال الغلام أحسن ما قيل فى الفرس ووصفه قول بعضهم

خير ما يركب الشجاع اذا ما * قيل يوما ألا اركبوا للغوار
كل نهد أقب معتدل الخلـ * ـق متين الشظى عتيق النجار
سلجم اللحى واسع المنخر حد الاذن وافى الدماغ والوجه عار
ما جنته الحرار واشتد علبا * ء فأكدى محدودبا بالعوار
محضر القص مكرب الرسغ دامى الابط ساعى الجفون والاشفار
مسرف مقتل نجيب اذا ما أد * بر مستدبر كركر صغار
فهو فى خلقه طوال ورحب * وعراض الى سداد قصار
طال زاهيه والذراعان والاضـ * ـلاع منه قسم فى اخفار

ثم طالت وأيدت نخذاه * فهو كفت الوثوب بيت الذيار
والرحيب القروح والجلد والمشعر قدام منحر كالوجار
والعريض الوظيف والجنب والاو * راك والجبهة العريض الفقار
والحديد الفؤاد والسمع والعير * قوب والطرف حدة فى وقار
فهو صافى الاديم والعين والحا * فر غمر بديهة الاحضار
والقصير الكراع والظهر والرسغ العصيب العسيب والصلب وار
لم تخن شكله القطاة ولم يسلمه تركيبها الى استئثار
مطمئن النسور بين حزام * كل لام أحم كالمنقار
يكفت المشى كالذى يتخطى * طنبا أو يستل كالمسمار
واذا ما استمر من غير ما بأ * س به ما نع من استمرار
لان فاهتز مقبلا فاذا ما * أدبر أهوى متابع الادبار
فى تعاقيب كالتماثيل أو كالشجن أو كالظباء أو كالجوار
فاذا ما طحابه الجرى فالعقبان تهوى كواسر الاعسار

فلما كان فى الليلة الثانية دعا بهما فقال عودا الى ما كنتما عليه البارحة واشرعا فى أخبار الحلائب ومراتب الخيل فيها قال الغلام يا أمير المؤمنين أذكر قولا جامعا أخبرنى به كلاب بن حمزة العقيلى قال كانت العرب ترسل خيلها عشرة عشرة أو أسفل والقصب تسعة ولا يدخل الحجر المحجر من الخيل الاثمانية وهذه أسماؤها الاول السابق وهو المجلى قال أبو الهندام كلاب انما سمى المجلى لانه جلى عن صاحبه ما كان فيه من الكرب والشدة وقال الفراء انما سمى المجلى لانه يجلى عن وجه صاحبه والثانى المصلى لانه وضع جحفلته على قطاة المجلى وهى صلاة والصلا عجب الذنب بعينه والثالث المسلى لانه كان شريكا فى السبق وكانت العرب تعدمن كل ما يحتاج ثلاثة أو لانه سلى عن صاحبه بعض همه بالسبق والرابع التالى سمى بذلك لانه تلا هذا المسلى فى حال دون غيره والخامس المرتاح وهو المفتعل من الراحة لان فى الراحة خمس أصابع لا بعد منها غيرهن واذا أومأت العرب من العدد الى خمس فتح الذى يومئ بهايده وفرق أصابعه الخمس وذلك أيضا ما يومؤن به من غير عقد الحساب ثم يكون بعدها الى أن تكون عشرة فيفتح الذى يومئ بها يديه جميعا ويقابل الخمس أصابع بالخمس فلما كان الخامس مثل خامسة الاصابع وهى الخنصر سمى مرتاحا وسمى السادس حظيا لان له حظا وقيل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس قضة وهى آخر حظوظ خيل الحلبة فله حظ وسمى السابع العاطف لدخوله الحجرة لانه قد عطف بشئ وان قل وحسن اذ كان قد دخل المحجور وسمى الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سموا الفلاة مفازة واللديغ سليمان وكنوا الحبشى أبا البيضاء ونحو ذلك فكذلك سموا الخائب المؤمل أى أنه يؤمل وان كان خائبا لانه قرب من بعض ذوات الحظوظ بعد والتاسع اللطيم لانه لورام الحجرة للطم دونها لانه أعظم جرما من السابع والثامن والعاشر السكيت لان صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت حزنا وعيا فكانوا يجعلون فى عنق السكيت حبلا ويحملون عليه قردا ويدفعون للقرد سوطا فيركضه القرد ليعير

بذلك صاحبه وأنشد في ذلك الوليد بن حصن الكلبي

اذا أنت لم تسبق وكنت مخلفا * سبقت اذا لم تدع بالقرد والطبل
وان تك حقا بالسكيت مخلفا * فتورث مولاك المذلة بالنبل

أما ذكره النبل فان بعضهم كان يفعل ذلك ينصب فرسه ثم يرميه بالنبل حتى يتجعف وقد فعل ذلك النعمان بفرسه النهب قال كلاب بن حمزة ولم نعلم أحدا من العرب في الجاهلية والاسلام وصف خيل الحلبة العشرة بأسمائها وصفاتها وذكرها على مراتبها غير محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان وكان بالجزيرة بالقرية المعروفة بحصن مسلمة من اقليم بلخ من كورة الرقة من ديار مضر فانه قال في ذلك

شهدنا الرهان غداة الرهان * بجمعية ضمها الموسم
نقود اليها مقاد الجميع * ونحن بصنعتها أقوم
غدونا بمقودة كالقداح * غدت بالسعود لها الانجم
مقابلة نسبة في الصريح * نماهن للأكرم الأكرم
كميت اذا ما تباطى بسيل * يفوت الخطوط اذا يلجم
فمنهن أحوى عمر أغر * وأجود ذو غرة أرثم
تلألأ في وجهه فرجة * كأن تلألؤها المرزم
فقيدت لمدخور ما عندها * لمستطرى أنها تجسم
عليهن سحم صغار الشخوص * عمائم لطام الى تنعم
كأنهم فوق اشباحها * زرازير في نقق حوم
فصفت على الخيل في محضر * يلى أمره ثقة مسلم
تراضوا به حكما بينهم * فبالحق بينهم يحكم
وربك بالسيف عن ساعة * من الناس كلهم أعلم
فقلت ونحن على جدة * من الارض نيرها مظلم
لقد فرغ الله مما يكون * ومهما يكن فهو لا يكتم
فأقبل في أمرنا نافر * كما يقبل الوابل المثجم
واتبع فوضى ومرفضة * كما ارفض من سلكه المنتظم
أو السرب سرب القطا راعه * من الجوشوذانق مظلم
فواصل من كل سقط له * كأن عنابيها العندم
وللمرء من فرح ما تستثير * سنا بكهن سنا يحزم
فجلى الاغر وصلى الكميت * وسلى فلم يذم الادهم
وأرد فها رابع تاليا * وأين من المنجد المتهم
وما ذم مرتاحها خامسا * وقد جاء يقدم ما يقدم
وجاء الحظى لها سادسا * فأسهمه حظه المسهم
وسابعها العاطف المستجير * يكاد لغيرته يحرم

وجاء

وجاء المؤمل فيها يخيب * وغني له الطائر الاشيم
وباء المطيم لها تاسعا * فمن كل ناحية يلطم
يخب السكيت على اثره * وذفراه من قبة أعظم
كان جوانبه بين ذي * جمانة نيط بها قمقم
اذا قيل من رب ذا لم يجز * من الخزى بالصمت يستعصم
ومن لا يعد الحلاب الجواد * وشيك لعمرك ما يندم
وماذ واقتضاب لمحمولها * كمن ينتقيها ويستلزم
فرحنا بسبق شهر نابه * ونيل به الفخر واغنم
وأحرزن عن قصبات الرهان * رغائب أمثالها تقسم
برود من القصب موشية * وأكيسة الخز والملحم
فراحت عليهن منشورة * كأن حوا شيهن الدم
ومن ورق صامت بدرة * ينوء بها الاغلب الاعصم
ففضت لهن خوا تيمها * وبدرتنا الدهر لا تختم
نوزعها بين خدامها * ونحن لها منهم أخدم
وانا لنرتبط المعربا * ت في اللدنات فما ترزم
يعد لها المحض بعد الثليث * كما يصلح الصبية المعظم
ويخلطها بصميم العيال * بمن لم يخب وهو المحرم
مشاربها الصافيات العذاب * ومطعمها فهو المطعم
فهن بأكناف أبياتنا * صوافن يصهلن أو حوم

وقال محمد بن يزيد في كلمته هذه الى انه لاحظ للثامن وجعل للسابع حظا في السبق والهندسة اجراء الخيل وتجربتها فيما دون الغاية وانما سميت الحلبة حلبة لان العرب تحلب اليها خيولها من كل مكان (قال المتقي) أثبتنا ما يجري في هذه الاوقات ودوناه فلم يزل الامر في ذلك يجدد لهما البرالى أن كان من أمره ما قد اشتهر وقد تناهى بنا الكلام الى هذا الموضع من خلافة المتقي فلنذكر الآن بعض من اشتهر شعره في هذا الوقت واستفاض في الناس وظهر فنهم أبو نصر القاسم بن أحمد المروروذي وهو أحد المطبوعين المجودين في البديهة المعروفين بالغزل فمن جيد شعره قوله

أضنى الهوى جسدي وبدلني به * جسدا تكون من هوى منجد
ما زال ايجاد الهوى عدمي الى * أن صرت لو أعدمته لم أوجد

ومن جيد شعره ما عاتب به ابن لنكك الشاعر وهو

لم لا ترى لصداقتي تصديقا * فينا ولم تدع الصديق صديقا
ذو العقل لا يرضى بوسم صداقة * حتى يرى لحقوقها تحقيقا
فلمن يرجى الحب أن يدعى أخا * وعلى الرفيق بأن يكون رفيقا
ان غاب غاب محافظا أو حل كا * ن مداعبا أو قال كان صدوقا

وفى هذا الشعر يقول

ويكاد من علق الهوى بفؤاده * مما تفكر أن يرى زنديقا

وقوله

أعليك أعتب أم على الايام * بدأت وكنت مؤكدا بتمام

قطع التواصل قربنا بتواعد * وقطعت أنت تواصل الاقلام

هلا ألفت اذا الزمان مشتت * والالف للارواح لا الاجسام

وفى هذا الشعر يقول

عذرا أبا عيسى عسى لك فى القلا * عذرا وذا علم بلا اعلام

من غابت الاخبار عنه ودينه * دين الامامة قال بالاوهام

خذ من فرائدك الذى أعطيتنى * فالدر درك والنظام نظامى

حكم معانيها معانيك التى * فصلتها لى والكلام كلامى

وشعره فى الهذل وغيره أكثر من أن نأتى عليه وأكثر الغناء المحدث فى وقتنا هذا من شعره وقد أشيع بموته وأن البزيدى غرقه لانه كان هجاه وقيل بل هرب من البصرة ولحق بهجر ولجأ بأبى طاهر بن سليمان بن الحسن صاحب البحرين (قال المسعودى) وقد أتينا على أخبار المتقى وما كان فى ايامه من الكوائن والاحداث على الشرح والايضاح فى الكتاب الاوسط الذى كتابنا هذا تال له وانما نذكر من أخبارهم فى هذا الكتاب لمعا لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والايجاز وكذلك أتينا على خبر مقتل بحكم التركى وكان مقتله فى رجب سنة تسع وعشرين وثلثمائة وما كان من أمره مع الاكراد بناحية واسط وما كان من كونكار الديلى واستيلائه على جيش بحكم وانحدار محمد بن رائق من الشأم ومحاربته كونكار ومكير ومخاتلته اياه ودخوله الحضرة وما كان بينهم من الوقعة بالحضرة الى أن انهزم كونكار واستولى محمد بن رائق على الامر وما كان من البزيديين وموافقتهم الحضرة وخروج المتقى عنها مع محمد بن رائق الموصلى فى كتابنا المترجم باخبار الزمان فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الكتاب والله الموفق للصواب

(ذكر خلافة المستكفى بالله)

وبويع المستكفى بالله وهو أبو القاسم عبد الله بن على المكتفى يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وخلع فى شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة لسبع بقين من هذا الشهر فكانت خلافته سنة وأربعة أشهر الا أياما وأمه أم ولد

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

قد قدمنا عند ماذكرنا خلع المتقى لله أن المستكفى بويع له بالسبق على نهر عيسى من أعمال قادور بازاء القرية المعروفة بالسندية فى الوقت الذى سملت فيه عينا المتقى بايع له أبو الوفاء توزون وسائر من حضره من القواد وأهل الدولة وأهل عصره من القضاة منهم القاضى أبو الحسن محمد بن الحسين بن أبى الشوارب وجماعة من الهاشميين فصلى بهم فى يومهم ذلك المغرب والعشاء وسار حتى نزل فى يوم الاحد بالشماسية فلما كان فى يوم الاثنين انحدر فى الماء راكبا فى الطيار

الذي يسمى المغزالة وعليه قلنسوة طويلة محددة وتذكر أنها كانت لابيه المكتفي بالله وعلى رأسه توزون التركي ومحمد بن محمد بن يحيي شيرزاد وجماعة من غلمانه وسلم اليه المتقي ضريرا وأحمد ابن يحيي القاضي مقبوضا عليه وحضر بعد ذلك سائر القضاة والهاشميين فبايعوا الله واستوزر أبا الفرج محمد بن علي السامري مدة ثم غضب عليه وغلب على أمره محمد بن شيرزاد وجلس للناس وسأل عن القضاة وكشف عن أمر شهود الحضرة فأمر باسقاط بعضهم وأمر باستتابة بعضهم من الكذب وقبول بعضهم لاشياء كان قد علمها منهم قبل الخلافة فامتثل القضاة ما أمر به من ذلك واستقضى على الجانب الشرقي محمد بن عيسى المعروف بابن أبي موسى الحنفي وعلى الجانب الغربي محمد بن الحسن بن أبي الشوارب الاموي الحنفي فقالت العامة الى ههنا انتهى سلطانه وانتهى في الخلافة أمره ونهيه وقد كان بينه وبين الفضل بن المقتدر الذي يسمى بالمطيع قبل ذلك محاورة في دار ابن طاهر وعداوة في اللعب بالحمام وتطييرها واللعب بالكباش والديولة والسمان وهو الذي يسمى بالشأم الفتح فلما حل المستكفي الى نهر عيسى ليبايع له هرب المطيع من داره وعلم أنه سيأتي عليه فلما استترت للمستكفي طلب المطيع فلم يقف له على خبر فهدم داره وأتى على جميع ما قدر عليه من بستان وغيره (وذكر) أبو الحسن على بن أحمد الكاتب البغدادي قال لما استخلف المستكفي ضم اليه توزون غلاما تركيا من غلمانه يقف بين يديه وكان للمستكفي غلام قد وقف على أخلاقه ونشأ في خدمته فكان المستكفي يميل الى غلامه وكان توزون يريد من المستكفي أن يقدم المضموم اليه على غلامه الاول فكان المستكفي يبعث بالغلام التركي في حوائجه ابتغاء لمرضاة توزون فلا يبلغ له ما يبلغ غلامه (قال) وأقبل المستكفي يوما على محمد بن محمد بن يحيي بن شيرزاد الكاتب فقال له أتعرف خبر الحجاج بن يوسف مع أهل الشأم قال لا يا أمير المؤمنين قال ذكروا أن الحجاج بن يوسف كان قد اجتبى قوما من أهل العراق وجد عندهم من الكفاية ما لم يجد عند مختصيه من الشاميين فشق ذلك على الشاميين وتكلموا فيه فبلغ اليه كلامهم فركب في جماعة من الفريقين وأوغل بهم في الصحراء فلاح لهم من بعد قطار ابل فدعا برجل من أهل الشأم فقال له امض فاعرف ما هذه الاشباح واستقص أمرها فلم يلبث أن جاء وأخبره أنها ابل فقال أمحملة هي أم غير محملة قال لا أدري ولكني أعود وأتعرف ذلك وقد كان الحجاج أتبعه برجل آخر من أهل العراق وأمره بمثل ما كان أمر الشامي فلما رجع العراقي أقبل عليه الحجاج وأهل الشأم يسمعون فقال ما هي قال ابل قال وكم عددها قال ثلاثون قال وما تحمل قال زيتا قال ومن أين صدرت قال من موضع كذا قال ومن ربها قال فلان فالتفت الى أهل الشأم فقال

ألام على عمرو ولومات أوناى * لقل الذي يغني غناءك يا عمرو

فقال ابن شيرزاد فقد قال يا أمير المؤمنين بعض أهل الادب في هذا المعنى

شر الرسولين من يحتاج مرسله * منه الى العود والامران سيان

كذاك ما قال أهل العلم في مثل * طريق كل أخي جهل طريقان

قال المستكفي ما أحسن ما وصف البحتري الرسول بالذكاء بقوله

وكان الذكاء يبعث منه * في سواد الامور شعلة نار

وعلم ابن شيرزاد استثقال المستكفي لغلام توزون فأخبر توزون بذلك فأعفاه منه وأزاله عن خدمته (وحدث) أبو اسحق ابراهيم بن اسحق المعروف بابن الوكيل البغدادي قال كان أبي قد يماً في خدمة المكتفي فلما كان من أمره ما اشتهر صرت في خدمة أخيه عبد الله بن المكتفي فلما أفضت الخلافة اليه كنت أخص الناس به فرأيته في بعض الايام وعنده جماعة من ندمائه ممن كان يعاشرهم قبل الخلافة من جيرانه بناحية دار ابن طاهر وقد تذاكروا الخمر وأفعالها وما قال الناس فيها من المنثور والمنظوم وما وصفت به فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين ما رأيت أحدا وصف الخمرة بأحسن من وصف بعض من تأخر فانه ذكر في بعض كتبه في الشراب ووصفه انه ليس في العالم شئ واحد أخذ من أمهاته الاربع فضيلتها وابتزها أكرم خواصها الا الخمرة فلها لون النار وهو أحسن الالوان ولدونة الهواء وهي ألين المجسات وعذوبة الماء وهي أطيب المذاقات وبرد الارض وهي ألذ المشروبات قال وهذه الاربع وان كن في جميع المآكل والمشارب متركبة فليس الغالب عليه ما وصفنا من الغالب على الخمر قال وأصفها قد قلت في اجتماع الصفات التي ذكرنا فيها

لست أرى كالراح في جمعها * لاربع هن قوام الورى
عذوبة الماء ولين الهوا * وسخنة النار وبرد الثرى

ولما كانت الراح بالموضع الذي وصفناها به من الفضل على سائر ما ينال ويوصف من صنوف اللذات والمدح بها بما ينفع من فنون الشهوات قال فأما شعاع الخمر فانه يشبه بكل شئ نوري من شمس وقمر ونجم ونار وغير ذلك من الاشياء النورية فأما لونها فيحتمل أن يشبه بكل أحمر في العالم وأصفر من ياقوت وعقيق وذهب وغير ذلك من الجواهر النفيسة والحلي الفاخرة قال وقد شبهها الاولون بدم الذبيح ودم الجوف وشبهها غيرهم بالزيت والرازقي وغيرهما وتشبيهها بالجوهر الاكرم أفضل لها وأحسن في مدحها قال فأما صفاؤها فيحتمل أن يشبه بكل ما يقع عليه اسم الصفاء وقد قال بعض الشعراء المتقدمين في صفائها

* تريك القذى من دونها وهي دونه * وهذا أحسن ما قاله الشعراء في وصف الخمر قال وقد أتى أبو نواس في وصفها ووصف طعمها وريحها وحسنها ولونها وشعاعها وفعلها في النفس وصفة آلاتها وظروفها وأدنانها وحال المنادمات عليها والاصطباح والاغتباق وغير ذلك من أحوالها بما يكاد يعلو به باب وصفها لولا اتضاع الاوصاف لها واحتمالها اياها وأنها لا تكاد تحصر ولا يبلغ الى غاياتها قال وقد وصف أبو نواس نورها فقال

فكأنه في كفه * شمس وراحته قمر

(وقال)

فعلت في البيت اذ مزجت * مثل فعل الصبح في الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها * كاهتداء السفر بالعلم

(وقال أيضا)

اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل في داج من الليل كوكبا
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا * وما لم تكن فيه من البيت مغربا

(وقال أيضا)

وكان

وكأن شاربها الفرط شعاعها * في الكأس يكرع في ضيا مقباس

(وقال أيضا)

فقلت له ترفق بي فاني * رأيت الصبح من خلل الديار
فقال تعجبا مني أصبح * ولا صبح سوى ضوء العقار
وقام الى الدنان فسد فاها * فعاد الليل مصبوغ الازار

(وقال أيضا)

وحمراء قبل المزج صفراء دونه * كأن شعاع الشمس يلقاك دونها

(وقال) كأن نارا بها محرشة * تهابها تارة وتختشلها

(وقال أيضا)

حمراء لولا انكسار الماء لاختطفت * نور النواظر من بين الحماليق

(وقال أيضا)

ينقض منها شعاع كلما مزجت * كالشهب تنقض في اثر العفاريت

(وقال) عتقت في الدنان حتى استفادت * نور شمس الضحى وبرد الظلام

(وقال) يجودها حتى عيانا يرى لها * الى الشرف الاعلى شعاعا مطنبا

(وقال) قال ابغني المصباح قلت له اتئد * حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا
فسكبت منها في الزجاجة شربة * كانت لنا حتى الصباح صباحا

قال وله في هذا الفن أشياء كثيرة قد وصفها في مشابهة النار ومحاكاتها الانوار والرفع للظلام وتصيير الليل نهارا والظلم أنوارا مما دوا عراق الواصف واشتطاط المادح قال وادي الى صفة لونها ونورها ما هو أحسن مما وصفها اذ ليس بعد الانوار شئ في الحسن قال فداخل المستكفي سرور وفرح وابتهاج بما وصف فقال ويحك فرج عني من هذا الوصف قال نعم يا سيدي (قال) عبد الله بن محمد الدمشي وقد كان المستكفي ترك النبيذ حتى أفضت الخلافة اليه فدعا بها من وقته ودعا الى شربها وقد كان المستكفي حين أفضت الخلافة اليه طلب الفضل بن المقتدر على حسب ما قدمنا لما كان بينهما من العداوة وفيما ذكرنا وغير ذلك مما عنه أعرضنا فهرب الفضل وقيل انه هرب الى أحمد بن بويه الديلمي منتصرا وأحسن اليه أحمد ولم يظهره فلما مات توزون ودخل الديلمي الى بغداد وخرج الاتراك عنها صاروا الى ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وانحدر معه هو وابن عمه أبو عبد الله بن العلاء فكان بينه وبين ابن بويه الديلمي من الحرب ما قد اشتهر وانحاز الديلمي الى الجانب الغربي ومعه المستكفي والمطيع مختف ببغداد والمستكفي يطلبه أشد الطلب وأنزل المستكفي في بيعة النصارى المعروفة بدرنا من الجانب الغربي فذكر أبو اسحق ابراهيم بن اسحق المعروف بابن الوكيل ومنزلته من خدمة المستكفي ما قدمنا قال كان المستكفي في سائر أوقاته فازعا وجلا من المطيع أن يلي الخلافة ويسلم اليه فيحكم فيه بما يريد فكان صدره يضيق لذلك فيشكو ذلك في بعض الاوقات لي ومن ذكرنا ممن كان يألفه من ندمائه فيشجعونه ويهونون عليه أمر المطيع الى أن قال لهم في بعض الايام قد اشتهيت أن نجتمع في مكان كذا وكذا فنتذاكر أنواع الاطعمة وما قال الناس في ذلك

سنقلوما فاتفق معهم على ذلك فلما كان فى اليوم الذى حضروا القبل المستكفى فقال هاتوا ما الذى أعده كل واحد منكم فقال واحد منهم قد حضرنى يا أمير المؤمنين أبيات لابن المعتز يصف سلة سكارج كوامخ فقال

امتع بسلة قضبان أتتك وقد * حفت جوانبها الجامات أسطار
فيها سكارج أنواع مصففة * حمر وصفر ومافيهن انكار
فيهن كامخ طرخون مبوهرة * وكامخ أحمر فيها وتيار
أعطته شمس الضحى لونا لجاءبه * كأنه من ضياء الشمس عطار
فيهن كامخ من زنجوش قابله * من القرنفل نوع منه مختار
وكامخ الدار صينى فليس له * فى الطعم شبه ولا فى لونه عار
كأنه المسك ريحا فى تنسمه * حريف فى طعمه والريح معطار
وكامخ الزعتر البرى ان له * لونا حكاه لدينا المسك والقار
وكامخ الثوم لما أن بصرت به * أبصرت عطرا له بالاكل أمار
كأن زيتونها فيها ظلام دجى * فى الجيب منه من المحضور أسفار
اذا تأملت مافيهن من بصل * كأنهن لحسن حشوه نار
وسلجم مستديرا لقد خالطه * طعم من الخل قد حازته أسطار
كأن أبيضه فيه وأحمره * دراهم صففت فيهن دينار
فى كل ناحية منها يلوح لنا * نجم الينا يصفو الفجر نظار
كأنها زهرة البستان قابلها * بدر وشمس وأظلام وأنوار

قال المستكفى تحضر هذه الجونة بعينها على هذا الوصف وهاتوا فليس نأكل اليوم الامانصفون فقال آخر من الجلساء يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين الكاتب المعروف بكشاجم فى صفة سلة نوادر

متى تنشط للاكل * فقد أصلحت الجونه
وقد زينها الطاهى * لنا أحسن مازينه
لجاءت وهى من أطيب * ما يؤكل مشحونه
فمن جدى شويناه * وعصبنا مصارينه
ونضدنا عليه نعـ * ـنع الفلفل وطرخونه
وفرخ وافر الزور * أجدنا لك تسفينه
وطيهوج وفروج * أجدنا لك تطجينه
وسنبوسجة مقلوقة فى اثر طريونه
وحمراء من البيض * الى جانب زيتونه
وأوساط سطيرات * بزيت الماء مدهونه
يولدن لذى التخمـ * ـة جوعا ويشهينه
ريوع بكور الند * بالعنبر معجونه

وحريف من الخبز * به الاوساط مقرونه
وطلع كالاَ لى فى * سموط العبد مكنونه
ونخل ترعف الاَ نا * ف منه وهى مختونه
وباذنجان بوران * به نفسك مفتونه
وهليون وعهدى بـ * ـك تستعذب هليونه
ولوزينجة فى الدهـ * ـن والسكر مدفونه
وعندى لك رشتيجـ * ـه مطبوسوخ وقنينه
وساق واعد بالوصـ * ـل منه عطفة النونه
له شدة ألحاظ * وفى ألفاظه لينه
وقمرى يغنيك * لحونا غير ملحونه
ألا يا من لمحزون * نأى عن دار محزونه
فاعذرك فى أن لا * ترى من سكره طينه

فقال المستكفى أحسنت وأحسن القائل فيما وصف ثم أمر باحضار كل ما يجرى فى وصفه مما يمكن احضاره ثم قال هاتوا من معه شئ فى هذا المعنى فقال آخر فى هذا المعنى لابن الرومى فى صفة وسط

يا سائلى عن مجمع اللذات * سألت عنه أنعت النعات
فهاك ما أنشأته من قصه * مسلما من سوئه ونقصه
خذ يا مريد المأكل اللذيذ * جردقتى خبز من السميذ
لم تر عينا ناظر مثليهما * فقشر الحرفين عن وجهيهما
حتى اذا ما صار تا طفاطفا * فاضف على احداهما تأنفا
من لحم فروج ولحم فرخ * تدوب جوزا باهما بالنفخ
واجعل عليها أسطرا من لوز * معارضات أسطرا من جوز
اكفافحها الجبن مع الزيتون * وشكلها النعنع بالطرخون
حتى ترى بينهما مثل اللبن * مقسومة كانها وشى اليمن
واعمد الى البيض السليق الاحمر * فدرهم الوسط به ودثر
ورتب الاسطر بالملح ولا * تكثر ولا تزل معتدلا
وردد العينين فيه لحظا * فان للعينين منه حظا
ومتع العينين به مليا * وأطبق الوسط وكل هنيا
وامسك بنابيك وأكدم كدما * تشرع فيما قد بنيت هدما
طورا ترى حلقة الدولاب * حروفه ودوره كالداب
وتارة مثل الرحى بلا سغب * قد شذبت عنها بنابيك الشذب
لهفى عليها وأنا الزعيم * بعدة شيطانها الرجيم

وقال آخر يا أمير المؤمنين لاسحق بن ابراهيم الموصلى فى صفة سنبوسج

يا سائلي عن أطيب الطعام * سألت عنه أبصر الانام
اعمد الى اللحم اللطيف الاحمر * فدقه بالشحم غير مكثر
واطرح عليه بصلا مدورا * وكرنبا طريا جنيا أخضرا
والق السذاب بعده موفرا * ودار صيني وكف كزبرا
وبعده شئ من القرنفل * وزنجبيل صالح وفلفل
وكف كمون وشئ من مرى * وملء كفين بملح تدرى
فدقه ياسيدى شديدا * ثم اوقد النار له وقودا
واجعله فى القدر وصب الماء * من فوقه واجعل له غطاء
حتى اذا الماء فنى وقللا * ونشفته النار عنك كلا
فلفه ان شئت فى رقاق * ثم احكم الاطراف بالالزاق
أو شئت خذ جزأ من العجين * معتدل التقريك مستكين
فابسطه بالسويق مستديرا * ثم اطقرن أطرافه تطفيرا
وصب فى الطابق زيتا طيبا * ثم اقله بالزيت قليا عجبا
وضعه فى جام له لطيف * ووسطه من خردل حريف
وكله أكلا طيبا بخردل * فهو ألذ المأكل المعجل

فقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين بن السندى كشاجم الكاتب فى وصف هليون

لنا رماح فى أعاليها أود * مثقلات الجسم قتلا كالمسد
مستحسنات ليس فيها من عقد * لها رؤس طالعات فى جسد
مكسورة من صنعة الفرد الصمد * منتصبات كالقداح فى العمد
ثوب من السندس من فوق برد * قد أشربت حمرة لون يتقد
كأنها ممزوجة حمرة خد * قد فرضت حمرته كف حرد
تخالطه حمرة خد ويد * كأنها فى صحن جام أو برد
منضدات كتنا ضيد الزرد * تسابح العسجد حسنا متضد
كأنها مطرف خز قد نضد * لو أنها تبقى على طول الابد
كانت فصوصا بخواتيم الخرد * من فوقها مودى عليها يطرد
يجول فى جانبها جود مرد * مكشوفة من فوقها ثوب زبد
كأنه من فوقه حين لبد * شراك تبرا وللجبين قد مسد
فلو رآها عابد أو مجتهد * أفطر مما يشتهيها وسجد

فلما فرغ منها قال له المستكفى هذا مما يتعذر وجوده فى هذا الوقت بهذا الوصف فى هذا البلد الآن نكتب الى الاخشيد محمد بن طغج يحمل اليناس ذلك البر من دمشق فأنشدونا فيما يمكن وجوده قال آخر يا أمير المؤمنين لمحمد الوزير المعروف بالحافظ الدمشقى فى صفة أرزية

لله در أرزة وافى بها * طاه كحسن البدر وسط سماء
أنقى من الثلج المضاعف سحه * من صنعة الاهواء والانداء

وكأنها في صحفة مقدودة * بيضاء مثل الدرة البيضاء
تهرب عيون الناظرين بضوئها * وتريك ضوء البدر وقت مساء
وكأن سكرها على أكنافها * نور تجسد فوقها بضياء

فقال آخر يا أمير المؤمنين أنشدت لبعض المتأخرين في هريسة

ألذ ما يأكله الانسان * اذا أتى من صيفه نيسان
وكانت الجديان والخرفان * هريسة يصنعها النسوان
لهن طيب الكف والاتقان * يجمعن فيها الطير والجلان
وتلتقي في قدرها الادهان * واللحم والالية والشحمان
وبعده أوز ه السمان * والحنطة البيضاء والجلبان
وبعده الارز والنبات * جودها بطحنه الطحان
وبعده الملح وخولنجان * كأنها ريد وترسيان
تخجل من رؤيتها الالوان * اذا بدت يحملها الغلمان
تغنها الصحفة والخوان * وفوقها كالقنو خيزران
يمسكه سقف له حيطان * مقبب وماله أركان
أبرزها للآكل الولدان * يفتر من لهيبها العينان
والمرء فيها فله مكان * يؤثرها الجائع والشبعان
ويشتهيها الاهل والضيفان * لها على أضرابها السلطان
تصفو بها العقول والاذهان * وانتفعت بأكلها الابدان
أبدعها في عصره ساسان * وأعجبت كسرى أنوشروان
اذا رآها الجائع الغرثان * لم يعط صبرا معها الجيعان

وقال آخر يا أمير المؤمنين لبعض المتأخرين في صفة المضيرة

ان المضيرة في الطعام * كالبدر في ليل التمام
اشراقها فوق الموا * ئد كالضياء على الظلام
مثل الهلال اذا بدا * للناس في خلل الغمام
في صحفة مملوءة * للناس من جرع الهمام
قد أعجبت لابي هريرة اذ أتت بين الطعام
حتى لقد مال الهوى * بهواه عن طلب الصيام
ولقد رأى في أكلها * حظا فبادر بالقيام
ولقد تنكب أن يكو * ن مؤاكلا عند الامام
اذ ليس ثم مضيرة * تشفي السقيم من السقام
لا عذر في اتيانها * من غير اتيان الحرام
فهي اللذيذة والغريبة * والعجيبة في الانام

فقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين في صفة جوذابة

جوزابة من أرز فائق * مصفرة فى اللون كالعاشق
عجيبة مشرقة لونها * فى كف طاه محكم حاذق
نسيجة كالتبر فى حمرة * وردية من صنعة الخالق
بسكر الاهواز مصنوعة * فطعمها أحلى من الرائق
غريقة فى الدهن رجراجة * تزود بالنفخ من الراتق
لينة ملمسها زبدة * وريحها كالعنبر الفائق
كأنها فى جامها اذ بدت * تزهر كالكوكب فى الغاسق
عقيقة صفرتها فاقع * فى جيد خود بضة عاتق
أحلى من الامن أتى مومنا * الى فؤاد قلق خافق

(وقال آخر يا أمير المؤمنين معى لبعض المحدثين فى صفة جوزابة أخرى)

وجوزابة مثل لون العقيق * وفى الطعم عندى كطعم الرحيق
من السكر المحض معمولة * ومن خالص الزعفران السحيق
مغترقة بشحوم الدجاج * وبالشحم أكرم بها من غريق
لذيذة طعم اذا استعملت * وفى اللون منها كلون الخلوق
عليها اللآلئ من فوقها * تضم جوانبها ضم ضيق
يرددها فى الاناء نفخه * ومافى حلاوتها من مطيق

(وقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين كشاجم فى صفة قطائف)

عندى لأصحابى اذا اشتد السغب * قطائف مثل أضابير الكتب
كأنه اذا ابتدى من كثب * كوافر النحل بياضا قد ثقب
قد ميج دهن اللوز مما قد شرب * وابتل مما عام فيه ورسب
وجاء ماء الورد فيه وذهب * فهى عليه حبب فوق حبب
اذا رآه واله القلب طرب * مدرج تدريج أبناء الكتب
أطيب منه أن تراه ينتهب * لكل امرئ لذته فيما أحب

فأقبل المستكفى على معلم كان يعلمه فى صباه طيب النفس وكان يضحك منه ويستظرفه فقال له أنشدنا ما سمعت فقال أنشدنا أنت قال لا أدرى ما قال هؤلاء وما أنشدوا وغير أنى مضيت فى أمس يومنا هذا أدور حتى أتيت باطرنجا فرأيت رياضها فذكرت من أمرها فقلت

نوم عينيك يا ابن وهب غرار * ولنار الهوى بقلبك نار
من حديثى انى مررت بها يو * ما وقلبى من الهوى مستطار
وبها ترجعن بشادى علانا * قف فقد أدركت لدينا العقار
وتغنى دراج واستمطر اللهو * وجادت بنورها الازهار
فاثنينا الى رياض عيون * ناظرات ما ان بهن احورار
وكان الجفون منها بياض * وكان الاحداق منها اصفرار
بينما نحن عندها صرخ الور * د الينا يا معشر السمار

عندنا قهوة تغافل عنها * دهرها فالوجوه منها اخضرار
واثنينا للورد من غير أن * تنبوا عن النرجس المضاعف دار
فرأى النرجس الذي صنع الورد * فنادى مستصرخا يابهار
ورأى الورد عسكرين من الصفر * فنادى بجاه الجلنار
واستجاشا تفاح لبنان لما * جيشت من وطيسها الاوتار
واستجاش البهار جيشا من الاترج * فيه صغاره والكبار
فرأيت الربيع في عسكر الصفر * وقلبي يشفه الاحمرار
ليس الا حمرة من خدود * من أناس بغوا علينا وجاروا

فلم أر المستكفي منذ ولي الخلافة أشد سرورا منه في ذلك اليوم وأجاز جميع من حضر من الجلساء والمغنين والملهين ثم أحضر ما حضره في وقته من عين وورق عن ضيق الامر اليه فوالله ما رأيت له بعد ذلك يوما مثله حتى قبض عليه أحمد بن بويه الديلمي وسمل عينيه وذلك أن الحرب لما طالت بين أبي محمد الحسين بن عبد الله بن حمدان وكان في الجانب الشرقي ومعه الاتراك وابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان وابن أحمد بن بويه الديلمي في الجانب الغربي والمستكفي معه اتهم الديلمي المستكفي بمماثلة بني حمدان ومكاتبتهم بأخباره واطلاعهم على اسراره مع ما كان قد تقدم له في نفسه فسمل عينيه وولي المطيع وأعمل الديلمي الحيلة في البيات بالديلم فحملهم في السفن مع بوقات ودبادب في الليل وألقاهم في مواضع كثيرة من الشارع الى الجانب الشرقي فتوجهت له على بني حمدان الحيلة فخرجوا نحو الموصل من بعد أحداث كثيرة بين الاتراك وبينهم ببلاد تكريت واستوثق الامر لاحمد بن بويه الديلمي وشرع في عمارة البلد وسد البثوق على حسب ما يمنو الينا من أخباره واتصل بنا من أفعاله على بعد الدار وفساد السبل وانقطاع الاخبار وكوننا ببلاد مصر والشأم (قال المسعودي) ولم يتأت لنا من أخبار المستكفي مع قصر أيامه غير ما ذكرنا والله الموفق للصواب

(ذكر خلافة المطيع لله)

وبويع المطيع لله وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وقيل انه بويع في جمادى الاولى من هذه السنة وغلب على الامر ابن بويه والمطيع في يده لا أمر له ولا نهي ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر وقد كان أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد يدبر الأمر بحضرة الديلمي فيما يأمر الوزارة برسم الكتبة ولم يخاطب بالوزارة الى أن استأمن الحسين بن علي بن حمدان الى الجانب الغربي وخرج معه عند خروجه الى ناحية الموصل الى أن اتهمه بتغريته الاتراك عليه فسمل عينيه وقد قيل ان أبا الحسن محمد بن علي بن مقلة يعرض الكتب على الديلمي والمطيع ويتصرف برسم الكتابة لا برسم الوزارة في هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ولم نفرد بجوامع تاريخ المطيع بابا مفصلا عن أخباره كافرادنا لغيره مما سلف ذكره في هذا الكتاب لانا في خلافته بعد (قال المسعودي) وقد كنا شرطنا في صدر كتابنا هذا أن نذكر مقاتل آل أبي طالب

ومن ظهر منهم فى أيام بنى أمية وبنى العباس وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو ضرب ثم
ذكرنا ما تأتى لنا ذكره من أخبارهم من قتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه (وبقى)
علينا من ذلك مالم نورده وقد ذكرناه فى هذا الموضع وفاء بما تقدم من شرطنا فى هذا الكتاب (فمن)
ذلك أنه قام بصعيد مصر أحمد بن عبد الله بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن
ابن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا على
ذكرها فيما سلف من كتبنا وذلك نحو سنة سبعين ومائتين وكان خروج ابن عبد الرحمن العمرى
على أحمد بن طولون بصعيد مصر وما كان من أمره الى أن قتل (ومن ذلك) ظهور ابن الرضا وهو
محسن بن جعفر بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى
الله عنهم فى أعمال دمشق سنة ثلثمائة فكانت له مع أميرها أحمد بن كيغلغ فقتل صبرا وقيل قتل
فى المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربى (وظهر)
ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن على بن محمد بن على بن أبى طالب رضى الله
عنهم وأخرج عنها المسودة وذلك فى سنة احدى وثلثمائة وقد كان أقام فى الديلم والجبل
سنين وهم جاهلية ومنهم مجوس فدعاهم الى الله تعالى فاستجابوا واسلموا الا قليلا منهم فى مواضع
من بلاد الجبل والديلم فى جبال شاهقة وقلاع وأودية ومواضع خشنة على الشرك الى هذه
الغاية وبنى فى بلادهم مساجد وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين وسالوس وغيرهما من
بلاد طبرستان وقد كان بمدينة شالش حصن منيع وبنيان عظيم بنته ملوك فرس يسكن
فيه الرجال المرابطون بازاء الديلم ثم جاء الاسلام فكان كذلك الى أن هدمه الاطروش والحسن
ابن القاسم الحسنى الداعى وافى الرى وذلك فى سنة سبع عشرة وثلثمائة فى جيوش كثيرة من
الجبل والديلم ووجوههما فأخرج عساكر أحمد بن اسمعيل بن أحمد وصاحبه عنها واستولى
عليها وعلى قزوين وزنجان وقم واغار وغير ذلك مما اتصل بالرى فكتب المقتدر كتابا الى نصر بن
أحمد بن اسمعيل بن أحمد صاحب خراسان ينكر عليه ذلك ويقول انى ضمنتك المال والدم
فأهملت أمر الرعية وأضعفت البلد حتى دخلته المبيضة وألزمه اخراجهم عنه فوقع اختيار
نصر صاحب خراسان على انفاذ رجل من أصحابه بالجبل يقال له اسفار بن شيرويه وأخرج معه
ابن النساج وهو أمير من امراء خراسان فى جيش كثير لحارب من مع الداعى وما كان بن كالكى
من الديلم لما بين الجبل والديلم من الضغائن والتنافر فسار اسفار بن شيرويه الجبلى فيمن معه
من الجيوش الى حدود الرى فكانت الوقعة بين اسفار بن شيرويه الجبلى وبين ما كان بن كالكى
الديلمى فاستأمن اكثر أصحاب ما كان بن كالكى الديلمى وقواده مثل مستر وتايجين
وسليمان بن سلكة والاسكرى ومرداالاشكرى وهشونة بن أومكن فى آخرين من قواد الجبلى
فحمل عليهم ما كان فى نفر يسير من غلمانه سبع عشرة حملة ومدت له عساكر خراسان ومن معه من
الاتراك فولى ما كان ودخل بلاد طبرستان وانهزم الداعى بين يديه وما كان على حاميته
فلحقته خيول خراسان والجبل والديلم والاتراك فيهم اسفار بن شيرويه ومضى ما كان لكثرة
الخيول وانحاز الداعى وقد لحق بقرب بلاد طبرستان الى ناحية هنالك وقد تخلى عنه
ما كان معه من الانصار فقتل هنالك ولحق ما كان بالديلم واستولى اسفار بن شيرويه على بلاد

طبرستان

طبرستان والرى وجرجان وقزوين وزنجان وابهر وقم وهمدان والكرج ودعا لصاحب خراسان واستوثقت له الامور وعظمت جيوشه وكثرت عدته فتجبر وطغى وكان لا يدين بملة الاسلام وعصى صاحب خراسان وخالف عليه وأراد أن يعقد التاج على رأسه وينصب بالرى سريرا من ذهب للملك ويتملك على ما فى يده مما قد ذكرنا من البلاد ويحارب السلطان وصاحب خراسان فسير المقتدر هرون بن غريب فى الحال نحو قزوين فكانت له معه حروب فانكشف هرون وقتل من أصحابه خلق كثير وذلك بباب قزوين وقد كان أصحاب قزوين عاونوا أصحاب السلطان فقتلوا منهم عدة فكانت لهم بعد هزيمة هرون بن غريب مع الديلم حروب وسار اليهم اسفار بن شيرويه فأتى على خلق عظيم بها وملك القاعة التى فى وسط قزوين وتدعى بالفارسية مكثرين وهو الحصن الذى كان للمدينة أولا فى نهاية المنعة مما كانت الفرس جعلته ثغرا بازاء الديلم وشحنته بالرجال لان الديلم والجبل مذ كانوا لم ينقادوا الى ملة ولا استصحبوا شرعا ثم جاء الاسلام وفتح الله على المسلمين البلاد فجعلت قزوين للديلم ثغرا هى وغيرها مما أطاف ببلاد الديلم والجبل وقصدها المطوعة والغزاة فرابطوا وغزوا ونفروا منها الى ان كان من أمر الحسن بن على العلوى الداعى والاطروش واسلام من ذكرنا من ملوك الجبل والديلم على يديه ما تقدم ذكره فى صدر هذا الباب من خبره والآن فقد فسدت مذاهبهم وتغيرت آراؤهم وألحد أكثرهم وقد كان قبل ذلك جماعة من ملوك الديلم ورؤسائهم يدخلون فى الاسلام وينصرون من ظهر ببلاد طبرستان من آل أبى طالب مثل الحسن بن محمد بن زيد الحسينى وخرب اسفار بن شيرويه قزوين لما كان من فعل أهلها ومعاونتهم أصحاب السلطان على رجاله وقلع أبوابها وسبا وأباح الفروج وسمع المؤذن يؤذن على صومعة الجامع فأمر أن ينكس منها على أم رأسه وخرب المساجد ومنع الصلوات فاستغاث الناس فى المساجد فى أمصار المشرق واستفحل أمره وسار صاحب خراسان يريد الرى لحرب اسفار بن شيرويه فى عساكره وانفصل عن مدينة بخارى وهى دار مملكة صاحب خراسان فى هذا الوقت وعبر نهر بلخ فنزل مدينة نيسابور وسار اسفار ابن شيرويه الى الرى وجمع عساكره وضم اليه رجاله من الاطراف وعزم على محاربة صاحب خراسان فأشار عليه وزيره وهو مطرف الجرجانى وكان يخاطب بالوزير الرئيس أن يلاطف صاحب خراسان ويراسله ويطمعه فى المال واقامة الدعوة فان الحرب تارات وأوقاتها سجال والانفاق عليها من رأس المال فان جنح الى ما دعوته وراسلته به والا فالحرب بين يديك لان من معك من الاتراك وأكثر فرسان خراسان انما هم رجاله وانما قد تملكتهم بالاحسان اليهم ولا يدرى عليه اذا قرب منك صاروا مع صاحبهم فقبل قوله وأمر بمكاتبته فلما وردت الكتب على صاحب خراسان أبى أن يقبل شيأ من ذلك وعزم على المسير اليه فأشار عليه وزيره أن يقبل منه وأن يرضى منه بما يحمل من الاموال واقامة الدعوة فان الحرب عثراتها لا تقال ولا يدرى الى ما تؤول لان الرجل قوى بالمال والرجال فان هزم لم يكن فى ذلك كبير فتح اذ كان رجلا من رجالك انتدبته لحرب عدوك وضمت اليه عساكرك وغلمانك فخالف عليك وان كانت وعائذا بالله عليك لم تستقل من ذلك فشاور صاحب خراسان ذوى الرأى من قواده وأصحابه فيما قال وزيره فسددوا رأيه وصوبوا قوله فجنح الى قولهم وما أشير عليه

فأجاب اسفار بن شيرويه الى ما سأل وأعطاه ما طلب من بعد شروط اشترطها عليه من حمل أموال وغير ذلك فلما ورد الكتاب على اسفار بن شيرويه قال لوزيره هذه أموال عظيمة قد اشترط علينا حملها ولا سبيل الى اخراجها من بيت المال قالوا جب أن نستفتح خراج هذه البلاد فقال له وزيره ان فى استفتاح الخراج فى غير وقته مضرة على أرباب الضياع وخراب البلاد وخللا للكبير من أهل الخراج قبل ادراك الغلات تهم قال له اسفار فما الوجه قال الوزير الخراج انما يخص بعض الناس من أرباب الضياع خاصة وههنا وجه يعم سائر الناس من أرباب الضياع وغيرهم من المسلمين وسائر الملل من أهل هذه البلاد وغيرهم من الغرباء من غير ضرر عليهم ولا كثير مؤنة بل اعطاء شئ يسير وهو أن تجعل على كل رأس دينارا فيكون فى ذلك ما اشترط علينا من المال وزيادة عليه كثيرة فأمره اسفار بذلك فكتب أهل الاسواق والمحال من المسلمين وأهل الذمة حتى استوفى الاحصاء الى من فى الفنادق والخانات من الغرباء من التجار وغيرهم وحشر الناس الى دار الخراج بالرى وسائر أعمالها فطولبوا بهذه الجزية فمن أدى كتب له براءة بالاداء مختومة على حسب ما تكتب براءة أهل الذمة عند أدائهم الجزية فى سائر الامصار فأخبرنى جماعة من أهل الرى وغيرهم مما طرأ عليهم من الغرباء والتجار والكتاب وغيرهم وأنا يومئذ بالاهواز وفارس أنهم أدوا هذه الجزية وأخذوا هذه البراءة بادائها فاجتمع من ذلك أموال عظيمة حمل منها ما اشترط حمله وكان الباقى من ذلك ألف ألف دينار ونيفا وقيل أضعاف ما ذكرنا على حسب الخلائق الذين بالرى وأعمالها ورجع صاحب خراسان الى بخارى وعظم أمر اسفار على خلاف ما عهد وبعث برجل من أصحابه يقال له مرداويج بن زياد الى ملك من ملوك الديلم مما يلى قزوين وهو صاحب الطرم من أرض الديلم وهو ابن أسوار المعروف بسلام الذى ولده فى هذا الوقت صاحب أذربيجان وغيرها ليأخذ عليه البيعة لاسفار بن شيرويه والعهد والدخول فى طاعته فسار مرداويج الى سلام فتشاكيا ما نزل بالاسلام من اسفار بن شيرويه واخرابه البلاد وقتله الرعية وتركه العمارة والنظر فى عواقب الامور فتحالفا وتعاقدا على التظافر على أسفار والتعاون على حربه وقد كان أسفار سار فى عساكره الى قزوين وقرب من نحو الديلم من أرض الطرم من مملكة ابن اسوار منتظرا لصاحبه مرداويج بن زياد وانه ان لم ينقد ابن اسوار الى طاعته ورجع اليه رسولا بما لا يحب وطئ بلاده وسلام هذا هو خال على بن دهشوذان المعروف بابن حسان ملك آخر من ملوك الديلم وهو الذى قتل بالرى قتله ابن اسوار هذا فى خبر يطول ذكره فلما قرب مرداويج من عساكر أسفار راسل قواده وكاتبهم فى معاونته على الفتك باسفار وأعلمهم مظافرة سلام عليه وقد كان القواد وسائر أصحابه سئموا وملوا دولته وكرهوا سيرته فأجابوا مرداويج الى ذلك فلما دنا من الجيش استشعر اسفار بن شيرويه البلاء وعلم توجه الحيلة عليه وان لا ناصر له من أصحابه ولا غيرهم لما تقدم من سوء سيرته فهرب فى نفر من غلمانه فوافى مرداويج وقد فاته اسفار فاستولى على الجيش وحاز الخزائن والاموال وأحضر وزير اسفار المعروف بمطرف الجرجانى فاستخرج منه الاموال وأخذ البيعة على القواد والرجال وفرق فيهم الاموال من الارزاق والجوائز وزاد فى انزالهم وأحسن اليهم

بما لم يكونوا يعرفونه من اسفار ومضى اسفار الى نحو مدينة السارية من بلاد طبرستان فلم يجد له ملجأ يقصده وحار في أمره فرجع يريد قلعة من قلاع الديلم منيعة تعرف بقلعة الموت وكان فيها شيخ من شيوخ الديلم يعرف بأبي موسى مع عدة من الرجال قبله ذخائر اسفار بن شيرويه من خزائنه وأمواله وكان مرداويج لما توجه له ذلك وملك الجيش والاموال خرج يتصيد على أميال من قزوين نحو الطريق الذي سلكه اسفار ليستعلم أمره وأي البلاد سلك والى أي القلاع لجأ فمال الى القلعة فنظر الى خيل يسيرة في بعض الاودية فأسرع أصحابه نحوها ليأخذوا خبرها فوجدوا اسفار بن شيرويه في عدة يسيرة من غلمانه يؤم القلعة ليأخذ ماله فيها من الاموال ويجمع الرجال والديلم والجبل ويعود الى حرب مرداويج بن زياد فأتى عليه مرداويج فلما وقعت عينه عليه نزل فذبحه من ساعته وأقبل رجال الديلم والجبل نحو مرداويج لما ظهر من بذله واحسانه الى جنده وتسامع الناس بادراره الارزاق على جنده فقصدوه من سائر الامصار فعظمت عساكره وكثرت جيوشه واشتد أمره ولم يسعه ما في يديه من الامصار ولا كفى رجاله ما فيها من الاموال ففرق قواده الى بلاد قم وخرج أبو دلف الى البرج وهمدان والنهروزنجان فكان من أنفذ الى همدان ابن أخت له في جيش كثيف مع جماعة من قواده ورجاله وكان بها جيش السلطان مع أبي عبد الله محمد بن خلف الدينوري السرماني ومعه خفيفا غلام أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان في جماعة من قواد السلطان فكانت لهم مع الديلم حروب متصلة ووقائع كثيرة وعاون أهل همدان أصحاب السلطان فقتل من رجال مرداويج خلق كثير من الديلم والجبل أربعة آلاف وقتل ابن أخت مرداويج صاحب الجيش المعروف بأبي الكراديس بن علي الطلحي وكان من وجوه قواد مرداويج وولت الديلم نحو مرداويج أوحش هزيمة فلما أتاه الخبر وضجت أخته ورأى ما نزل بها من أمر ولدها سار عن الري في جيوشه حتى نزل مدينة همدان على الباب المعروف بباب الاسد وانما سمي هذا الباب بباب الاسد لان أسدا من حجارة كان على أعمدة من هذا الباب على الطريق المؤدي الى الري وجادة خراسان أعظم ما يكون من الاسد كالثور العظيم كأنه أسد حي يدنو الانسان منه فيعلم أنه حجر قد صور أحسن صورة ومثل أقرب ما يكون من تمثيل الاسد فكان أهل همدان به يتوارثون أخبارهم عن أسلافهم مستفيضا فيهم أن الاسكندر بن فيليبس بنى همدان حين انصرف من بلاد خراسان ورجوعه من مطافه من الهند والصين وغيرهما وأن ذلك الاسد جعل طلسما للمدينة وسورها وأن خراب البلد وفناء أهله وهدم سوره والقتل الذريع يكون عند كسر ذلك الاسد وقلعه من موضعه وأن ذلك من وجه الديلم والجبل وكان أهل همدان يمنعون من يجتازهم من العساكر والسابلة والمتولفة من أحداثهم أن يقلبوا ذلك الاسد أو يكسروا شيئا منه ولم يكن ينقلب لعظمه وصلابة حجره الا بالخلق الكثير من الناس وقد كان عسكر مرداويج الذي سير مع ابن أخته نزلوا على هذا الباب وانبسطوا في تلك الصحراء قبل الوقعة بينهم وبين أصحاب السلطان فقلب على ما ذكر هذا الاسد فكسر فكان من أمر الوقعة ما ذكرنا وذلك على طريق الولع من الديلم فلما سار مرداويج ونزل على هذا الباب ونظر الى مصارع أصحابه وقتل أهل همدان لابن أخته اشتد غضبه لذلك فكانت بينه وبين أهل همدان ثورة ثم ولى القوم وقد

أسلمهم قبل ذلك أصحاب السلطان فدخلوا فقتلوا في اليوم الاول في قول المقلل من الناس على ما أدركه الاحصاء ممن حمل السلاح في المعركة نحوا من أربعين ألفا وأقام السيف يعمل فيها ثلاثة أيام والنار والسبي ثم نادى برفع السيف في اليوم الثالث وأمن بقيتهم ونادى أن تخرج شيوخ البلد ومستورو اليه فلما سمعوا النداء أملوا الفرج فخرج من وثق بنفسه من الشيوخ وأهل الستر ومن لحق بهم فخرجوا الى المصلى فدخل اليه صلحب عذابه وكان يقال له الشقطيني فسأله عن أمره فيهم فأمره أن يطوف بهم الديلم والجبل بحرابهم وخناجرهم فيوثق عليهم فأطافت بهم الرجال من الديلم فأتى على القوم جميعا وألحقوا بمن مضى منهم وبعث منها بقائد من قواده يعرف بابن علان القزويني وكان يلقب بخواجه وذلك أن أهل خراسان اذا عظموا الشيخ فيهم سموه خواجه في عسكر من عساكره الى مدينة الدينور ومن همدان اليها ثلاثة أيام فدخلها بالسيف وقتل من أهلها في اليوم الاول سبعة عشر ألفا في قول المقلل والمكثر يقول خمسة وعشرين ألفا فخرج اليه رجل من مشهور أهل الدينور وصوفيتها وزهادها يقال له ممشاد وبيده مصحف قد نشره فقال لابن علان المعروف بخواجه أيها الشيخ اتق الله وارفع السيف عن هؤلاء المسلمين فبلا ذنب لهم ولا جناية يستحقون ما قد نزل بهم فأمر بأخذ المصحف من يده فضرب به وجهه ثم أمر به فذبح وسبى وأباح الاموال والدماء والفروج وبلغت عساكر مرداويج وجنوده الى الموضع المعروف بالسحوس وهو فرز بين الجبل وأعمال حلوان مما يلي العراق وذلك من بلاد طرزو والمطامير ومرج القلعة قبلا وسبيا وغنم الاموال ثم ولت جيوشه راجعة وقد غنمت الاموال وقتلت الرجال وملكت الاولاد وأخذوا الغلمان وتملكوهم وسبوا من بلاد الدينور وقد ساسين والربذة الى حيث ما بلغوا مما وصفنا من البلاد مما أدركه الاحصاء من الجوار لعتق العواتق والغلمان في قول المقلل خمسين ألفا وفي قول المكثر مائة ألف فلما تم لمرداويج ما وصفنا وحملت اليه الاموال والغنائم بعث بهم الى اصبهان بجماعة من قواده في قطعة من عساكره فملكوها وأقيمت لهم الانزال والعلوفات وعمرت لهم قصور أحمد ابن أبي دلف العجلي وهيئت له البساتين والرياض وزرع له فيها أنواع الرياحين على حسب ما كان في آل عبد العزيز فسار مرداويج الى اصبهان فنزلها وهو في نحو من خمسين ألفا وقيل أربعين سوى ماله بالري وقم وهمدان وسائر أعماله من العساكر وقد كان أنفذ جماعة من قواده وعساكره مع أبي الحسن محمد بن وهبان الصنعاني وهو الذي استأمن بعد ذلك الى السلطان ثم قصد الى محمد بن رائق وهو بالرقة من بلاد ديار مضر قبل دخول الشأم ومحاربته الاخشيد محمد بن طغج فاحتال عليه رافع القرمطي وكان من قواد ابن رائق حتى فرق بينه وبين عسكره وغرقه في الفرات وذلك نحو رحبة مالك بن طوق وقد أتينا على خبره وما كان من الحيلة في أمره ومدة بقائه في الماء مقيدا الى أن خرج ثم قتل بعد ذلك في الكتاب الاوسط في أخبار محمد بن رائق وسار ابن وهبان فيمن معه من العساكر الى أوسع كور الاهواز وذلك على طريق مناذر والعش ونوح واحتوى على هذه البلاد وجبى أموالها وحمل ذلك الى مرداويج فتكبر وعظمت جيوشه وأمواله وعساكره وضرب سريرا من الذهب رصع له بالجوهر وعملت له قبلة وتاج من الذهب وجمع في ذلك أنواع الجواهر وقد كان سأل عن تيجان الفرس

وهيأتها

وهيأتها فصورت له ومثلت فاختار منها تاج أنوشروان بن قباذ (وكان) نمى اليه من كاتبه ومن أطاف به من أتباعه من دهاة العالم وشياطينه أن الكواكب ترى شعاعاتها الى بلاد اصبهان فيظهر بها ديانة وينصب بها سرير ملك ويجبى له كنوز الارض وأن الملك الذى يليها يكون مصفر الرجلين ويكون من صفته كيت وكيت وأن مدة عمره فى الملك كذا وكذا ثم يتلوه من بعده فى هذه المملكة أربعون ملكا وقربوا له الزمان فى ذلك وحددوه وتقربوا اليه بأشياء من هذه المعانى مما مال اليه هواه واستدعاه منهم واستهواه وأنه المصفر الرجلين الذى تملك الارض وكان معه من الاتراك نحو أربعة آلاف مماليك دون من فى عسكره من الاتراك مع ما عنده من الامراء والاتراك وكان سيء الصحبة لهم كثير القتل فيهم فعملوا على قتله وتحالفوا وقد كان على المسير الى مدينة السلام والقبض على الملك وتولية أصحابه مدن الاسلام بأسرها فى شرق البلاد وغربها مما فى يد ولد العباس وغيرهم فأقطع الدور ببغداد لاهله ولم يشك أن الامر فى يده والملك له فخرج ذات يوم الى الصيد وهو فرح مسرور لما قد تم له من الامر وتأتى له من الملك فدخل الحمام بعد رجوعه فى قصر أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى باصبهان فدخل اليه غلام من وجوه الاتراك وهو بجكم وكان من خواص الغلمان ومعه ثلاثة نفر من وجوه الاتراك أرى أحدهم توزون مدبر الدولة بعد بجكم فقتلوه فخرج بجكم ومن معه وقد كان أعلم الاتراك بذلك فكانوا له متأهبين فركبوا من فورهم وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى خلافة الراضى وتفرق الجيش عند وقوع الضجة ونهب بعض الناس بعضا وأخذت الخزائن وانتهبت الاموال ثم ان الجبل والديلم ثابوا واجتمعوا وتشاوروا وقالوا ان بقينا على ما نحن عليه من التحزب بغير رئيس تنقاد اليه هلكنا فجمع أمرهم على مبايعة وشمكير أخى مرداويج وتسمير مرداويج معلق لرجال وقد يكتب مرداويج بازاى فبايعوا وشمكير بعد أن تفرق كثير من الجيش ففرق فيهم كثيرا مما بقى من الاموال وأحسن اليهم وتوجه فيمن معه من العساكر الى الرى فنزلها وسار بجكم التركى فيمن معه من الاتراك وقد جمعوا أنفسهم الى أن يخلصوا من الديلم وسار الى بلاد الدينور وجبى منها الخراج وأخذ كثيرا من الاموال وسار الى النهروان على أقل من يومين من مدينة السلام فراسل الراضى وكان الغالب على امره الساجية وعدة من الغلمان الحجرية فأبوا أن يتركوه يصل الى الحضرة خوفا أن يغلب على الدولة فمضى بجكم لما منع من الحضرة الى واسط الى محمد بن رائق وكان مقيما بها فأدناه وحباه وغلب عليه وقوى أمر بجكم واصطنع الرجال وضعف أمر ابن رائق عنه فكان من أمره ما قد اشتهر وقد قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من اختفائه وخروج بجكم مع الراضى الى الموصل ومعهم على بن خلف بن طباب الى ديار بنى حمدان من بلاد الموصل وديار ربيعة وظهور محمد بن رائق ببغداد ومعاونة الغوغاء له ومسيره الى دار السلطان وقتله لابن بدر الشرابى وخروجه من الحضرة ومن تبعه من الجبل والقرامطة مثل رافع وعمارة وغيرهما وكانوا أنصاره ومسيره الى ديار مضر ونزوله الرقة وما كان بينه وبين غمر ودخول يانس المونسى وجلته ومسيره الى جند قنسرين والعواصم واخراجه طريفا اليشكرى عنها وتوليته الثغر الشامى (وقد أتينا) فى الكتاب الاوسط الذى كتبناه هذا تاليه والاوسط لكتابنا أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك

الدائرة على ما كان منه ومحاربته الاخشيد بن محمد بن طغج بالعريش من بلاد مصر وانكشافه ورجوعه الى دمشق وما كان من قتله لاخيه الاخشيد محمد بن طغج باللجون من بلاد الاردن وما كان قبل وقعة العريش بينه وبين عبد الله بن طغج وما كان معه من القواد وانكشافهم عنه واستئمان من استأمن منهم اليه مثل محمد بن بكسين الخاصة وبكير الخاقانى غلام خاقان المفلحى وغيرهما وغير ذلك من أخباره وأخبار غيره وذكرنا مقتل ظريف اليشكرى فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة على باب طرسوس وما كان من وقيعته مع الثملية وهم غلمان ثمل الخادم فأغنى ذلك عن اعادته مبسوطا فى هذا الكتاب وانما تغلغل بنا الكلام فى التصنيف فيما ذكرنا من أخبار الديلم والجبل وما كان من أمر اسفار بن شيرويه ومرداويج عند ذكرنا لآل أبى طالب وأمر الداعى الحسن ابن القاسم الحسنى صاحب طبرستان ومقتله وخبر الاطروش الحسن بن على بن الحسن (قال المسعودى) وقد أتينا على ذكر سائر الاحداث والكوائن فى أيام من ذكرنا من الخلفاء والملوك فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وذكرنا فى هذا الكتاب ما يكتفى به الناظر فيه وانتهى التصنيف فيه الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ونحن بفسطاط مصر والغالب على أمر الدولة والحضرة أبو الحسين أحمد بن بويه الديلمى المسمى معز الدولة وأخوه الحسن بن بويه صاحب بلاد اصبهان وكور الاهواز وغيرها المسمى ركن الدولة وأخوهما الاكبر والرئيس المعظم على بن بويه الملقب بعميد الدولة المقيم بأرض فارس والمدبر منهم لامر المطيع أحمد بن بويه معز الدولة وهو المحارب للبريديين بأرض البصرة والمطيع معه على حسب ما نمى الينا من أخبارهم ودللنا فى كتابنا هذا بالقليل على الكثير وبالجزء القليل على الجليل الخطير وذكرنا فى كل كتاب من هذه الكتب ما لم نذكره فى الآخر الا ما لا يسع تركه ولم نجد بدا من ايراده لما دعت الحاجة الى وصفه وأتينا على أخبار أهل كل عصر وما حدث فيه من الاحداث وما كان فيه من الكوائن الى وقتنا هذا مع ما أسلفناه فى هذا الكتاب من ذكر البر والبحر والعامر منهما والغامر والملوك وسيرها والامم وأخبارها وأرجو أن يفسح الله تعالى لنا فى البقاء ويمدنا بالعمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنونا من الاخبار وأنواعا من ظرائف الآثار على غير نظم من التأليف ولا ترتيب من التصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الاخبار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الاخبار ومختلط الآثار تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا بما تقدم من تصنيفنا وجميع ما أوردناه فى هذا الكتاب لا يسع ذوى الدراية جهله ولا يعذر فى تركه والتغافل عنه فمن عد أبواب كتابى هذا ولم ينعم النظر فى قراءة كل باب منه لم يبلغ حقيقة ما قلنا ولا عرف للعلم مقداره فلقد جمعناه فى عدة السنين باجتهاد وتعب عظيم وجولان فى الاسفار وطواف فى البلدان من الشرق والغرب وكثير من الممالك غير مملكة الاسلام فمن قرأ كتابنا هذا فليتدبره بعين المحبة وليتفضل هو باصلاح ما أنكر منه مما غيره الناسخ وصحفه الكاتب وليرع لى نسبة العلم وحرمة الادب وموجبات الرواية مما تجشمت من التعب فيها فان منزلتى فيه وفى نظمه وتأليفه بمنزلة من وجد جوهرا منثورا ذا أنواع مختلفة وفنون متباينة فنظم منها سلكا واتخذ عقدا نفيسا ثمينا باقيا للطالبه وليعلم من نظر فيه أنى لم أتعصب فيه لمذهب

ولا تخيرت الى قول ولا حكيت عن الناس الامجالس أخبارهم ولم أعرض فيه لغير ذلك فلنذكر الآن الباب الثانى من جامع التاريخ على حسب ماقدمنا الوعد بايراده فى صدر هذا الكتاب

(ذكر جامع التاريخ الباقى من الهجرة الى هذا الوقت)

وهو جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة الذى فيه انتهينا من الفراغ من هذا الكتاب قد أفردنا فيما سلف من هذا الكتاب بابا للتاريخ فى تاريخ العالم والانبياء والملوك الى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه الى هجرته ثم ذكرنا هجرته الى وفاته وأيام الخلفاء والملوك الى هذا الوقت على حسب ما يوجبه الحساب وما فى كتب السير وأصحاب التواريخ ممن عنى باخبار الخلفاء والملوك ولم نعرض فيما ذكرنا من ذلك لما فى كتب الزيجات مما ذكره أصحاب النجوم على حسب ما يوجبه تاريخهم فلنذكر فى هذا الباب جميع ما أثبتوه فى كتب زيجات النجوم من الهجرة الى هذا الوقت المؤرخ ليكون ذلك أكثر لفائدة الكتاب وأجمع لمعرفة تباين أصحاب التواريخ من الاخباريين والمنجمين وما اتفقوا عليه من ذلك فالذى وجدناه من ذلك فى كتاب الزيجات أن الابتداء فى يوم الجمعة مستهل المحرم سنة احدى للتروية وذلك يوم ستة عشر من تموز سنة تسعمائة وثلاثة وثلاثين لذى القرنين وكانت هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة سنة احدى بعد أن مضى منها شهران وثمانية أيام فمكث بها حتى قبض صلى الله عليه وسلم تسع سنين واحدى عشر شهرا واثنين وعشرين يوما فذلك عشر سنين وشهران (أبو بكر) الصديق رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام فذلك اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوما (١) فذلك اثنتان وعشرون سنة (عثمان بن عفان) رضى الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وتسعة عشر يوما (على) بن أبى طالب رضى الله عنه أربع سنين وسبعة أشهر فذلك تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة عشر يوما والى بيعة معاوية بن أبى سفيان ستة أشهر وثلاثة أيام فذلك أربعون سنة وشهران وعشرون يوما (معاوية) بن أبى سفيان رضى الله عنه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما فذلك تسع وخمسون سنة وستة أشهر وخمسة وعشرون يوما (يزيد) بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر (معاوية) بن يزيد بن معاوية ثلاثة اشهر واثنين وعشرين يوما (مروان) ابن الحكم اربعة أشهر (عبد الله) بن الزبير ثمان سنين وخمسة أشهر (عبد الملك) بن مروان حتى قتل ابن الزبير سنة وشهرين وستة أيام

(ذكر أيام بنى مروان)

عبد الملك بن مروان بن الحكم اثنتى عشرة سنة وأربعة أشهر وخمسة أيام (الوليد) بن عبد الملك تسع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما (سليمان) بن عبد الملك سنتين وسبعة أشهر وعشرين يوما (عمر) بن عبد العزيز بن مروان سنتين وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما (يزيد) بن عبد الملك اربع سنين ويوما واحدا (هشام) بن عبد الملك تسع عشرة سنة وثمانية اشهر وسبعة

(١) قوله فذلك اثنتان وعشرون سنة هذه الفذلكة غير مستقيمة وكذلك الفذالك الآتية فتأمل وقد بيض فى الاصل لما تركناه اه مصححه

ايام فذلك مائة سنة وأربعة وعشرون سنة وثلاثة اشهر وستة أيام (الوليد) بن يزيد بن عبد الملك حتى قتل سنة وشهرين وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرون يوما وكانت الفتنة بعد مقتله بشهرين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وثمانية أشهر واثنتان وعشرون يوما (يزيد) بن الوليد بن عبد الملك شهرين وسبعة ايام فذلك مائة وخمس وعشرون سنة واحد عشر شهرا ويوم واحد (ابراهيم) ابن الوليد بن عبد الملك حتى خلع شهرين واحد عشر يوما فذلك مائة سنة وست وعشرون سنة وشهر واثنا عشر يوما (مروان) بن محمد حتى قتل خمس سنين وشهرين فذلك مائة سنة واحدى وثلاثون سنة وثلاثة أشهر واثنا عشر يوما

(ذكر الخلفاء من بني هاشم)

أبو العباس عبد الله بن محمد أربع سنين وثمانية أشهر ويومين فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة واحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما حتى انتهت البيعة الى المنصور أربعة عشر يوما فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة واحدى عشر شهرا وثمانية وعشرون يوما (أبو جعفر) عبد الله بن محمد المنصور احدى وعشرين سنة واحدى عشر شهرا وستة أيام حتى انتهى الخبر الى المهدى اثنى عشر يوما فذلك مائة وسبع وخمسون سنة واحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما (المهدى) عشر سنين وشهرا واحدا وخمسة أيام فذلك مائة وثمان وستون سنة وثلاثة عشر يوما حتى انتهى الخبر الى الهادى ثمانية أيام فذلك مائة وثمان وستون سنة وشهر واحد ويوم واحد (الهادى) سنة وثلاثة أشهر فذلك مائة وتسع وستون سنة وشهران وستة عشر يوما (الرشيد) ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يوما فذلك مائة واثنتان وتسعون سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما (الامين) حتى خلع وحبس ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة وخمس وتسعون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما وأخرج وبويع له وحارب وحوصر حتى قتل سنة وستة أشهر وثلاثة عشر يوما (المأمون) عشرين سنة وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما فذلك مائتان وسبع عشرة سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوما (المعتصم) ثمان سنين وثمانية أشهر ويوما فذلك مائتان وستة وعشرون سنة وشهران وتسعة عشر يوما (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام فذلك مائتان واحدى وثلاثون سنة واحد عشر شهرا وأربعة وعشرون يوما (المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام فذلك مائتان وست وأربعون سنة وتسعة أشهر ويوم واحد (المنتصر) ستة أشهر فذلك مائتان وسبعة وأربعون سنة وثلاثة أشهر ويوم واحد الى أن انحدر المستعين الى مدينة السلام سنتين وتسعة أشهر وثلاثة أيام فذلك مائتان وخمسون سنة وأربعة عشر يوما والى أن خطب للمعتز بمدينة السلام احد عشر شهرا وعشرين يوما فذلك مائتان واحدى وخمسون سنة وأربعة أيام والى أن خلع ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما فذلك مائتان وأربعة وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة وعشرون يوما والى بيعة المهتدى يومين فذلك مائتان وأربع وخمسون سنة وسبعة أشهر (المهتدى) احد عشر شهرا وثمانية وعشرين يوما فذلك مائتان وخمس وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوما (المعتمد)

أسقط بين المستعين والمهتدى المعتز وأسقط بين المعتمد والمقتدر المعتضد والمكتفي وبالجملة فهذا المحل محتاج الى التنقيح والتحرير فعليك بالتفتيش والتنقير وما أثبتناه بين يديك هو ما في النسخ اه مصححه

ثلاثا

ثلاثا وعشرين سنة وثلاثة أيام فذلك مائتان وثمان وثمانون سنة وثلاثة أشهر واثنان وعشرون يوما (المقتدر) حتى خلع احدى وعشرين سنة وشهرين وخمسة أيام فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وتسعة عشر يوما (ابن المعتز) حتى خلع يومين فذلك ثلثمائة سنة وستة عشر سنة واحدى وعشرون يوما (المقتدر) حتى قتل ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام فذلك ثلثمائة وتسع عشرة سنة وعشرون يوما (القاهر) حتى خلع سنة وستة أشهر واثنى عشر يوما فذلك ثلثمائة سنة واحدى وعشرون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام (الراضى) ست سنين واحد عشر شهرا وثمانية أيام فذلك ثلثمائة وثمانية وعشرون سنة وسبعة عشر يوما (المتقى) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما فذلك ثلثمائة واثنتان وثلاثون سنة وشهر واحد وثلاثة أيام (المستكفى) سنة وثلاثة أشهر فذلك ثلثمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة وسبعة أشهر واثنا عشر يوما (المطيع لله) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلثمائة وخمسة وثلاثون سنة وأربعة أشهر الاثلاث ليال (قال المسعودى) وسنو الهجرة قرية وبين هذا التاريخ وتاريخ أصحاب الاخبار والسير تفاوت من زيادات الشهور والايام ومعولنا فيما ذكرنا من التاريخ من الهجرة الى هذا الوقت على ما وجدنا فى كتب الزيجات وكان أهل هذه الصناعة يراعون هذه الاوقات ويحيطون علما على التحديد والذى نقلناه من التاريخ فمن زيج أبى عبد الله محمد ابن جابر السانى وغيره من الزيجات الى هذا الوقت فأما ما قدمنا ذكره فى هذا الوقت من الهجرة الى هذا الوقت فانا نعيد ذكره مفصلا فى هذا الكتاب لكى يقرب تناوله على الطالب له ولا يبعد عما ذكرناه من الزيجات (فالذى صح) من تاريخ أصحاب السير والاخبار من أهل النقل والآثار انه بعث صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم (أبو بكر) سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام (عمر) بن الخطاب عشر سنين وتسعة أشهر وأربع ليال (عثمان) بن عفان احدى عشرة سنة (على) بن أبى طالب أربع سنين (الحسن)

بيض له فى الاصل

ابن على ستة أشهر وعشرة أيام (معاوية) بن أبى سفيان سبع عشرة سنة وثمانية أشهر (يزيد) ابن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر الاثمان ليال (معاوية) بن يزيد شهرا واحدا واحد عشر يوما (مروان) بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيام (عبد الملك) بن مروان احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا (الوليد) بن عبد الملك سبع سنين وثمانية أشهر ويومين (سليمان) بن عبد الملك سنتين وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوما (عمر) بن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام (يزيد) بن عبد الملك أربع سنين وشهرا ويومين (هشام) بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر واحدى عشرة ليلة (الوليد) بن يزيد سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما (مروان) بن محمد خمس سنين وعشرة أيام (عبد الله) بن محمد السفاح أربع سنين وتسعة أشهر (المنصور) اثنتين وعشرين سنة الاتسع ليال (المهدى) عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما (الهادى) سنة وستة أشهر (الرشيد) ثلاثة وعشرين سنة وستة أشهر (الامين) اربع سنين وستة أشهر (المأمون) احدى وعشرين سنة سواء (المعتصم) ثمان سنين وثمانية

أشهر (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام (المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسع ليال (المنتصر) ستة أشهر (المستعين) ثلاث سنين وثمانية أشهر (المعتز) أربع سنين وستة أشهر (المهتدى) احدى عشر شهرا (المعتمد) ثلاثا وعشرين سنة (المعتضد) تسع سنين وتسعة أشهر ويومين (المكتفى) ست سنين وسبعة أشهر ويومين (المقتدر) أربعا وعشرين سنة واحد عشر شهرا وستة عشر يوما (القاهر) سنة وستة أشهر وستة أيام (الراضى) ست سنين واحد عشر شهرا وثمانية أيام (المتقى) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما (المستكفى) سنة وثلاثة أشهر (المطيع) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية اشهر وخمسة عشر يوما (ونحن نؤمّل من الله) تعالى البقاء والزيادة فى العمر لنزيد فى هذا الكتاب ما يحدث فى أيامهم وما يكون فى المستقبل من دولتهم فهذا جمل التاريخ من الهجرة الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة وقد أوردنا فى الكتاب ماذكر الفريقان جميعا لكى لا يبعد فهم ذلك على مريده والطالب له ان شاء الله تعالى والتاريخ من المولد الى هذا الوقت معلوم ومن المبعث الى الوفاة معروف غير مجهول ولا يتعذر تناوله على ذى الدراية من هذا الكتاب الآن معول الناس أن بدء التاريخ من الهجرة على حسب ما بينا فيما سلف فى كتبنا من مشاورة عمر الناس فى التاريخ عند حدوث بدئه وما قاله الناس من كل فريق منهم وأخذه بقول على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه أن يؤرّخ بهجرة النبىّ صلى الله عليه وسلم وتركه ارض الشرك وان ذلك كان من عمر رضى الله عنه فى سنة سبع عشرة او ثمانى عشرة على حسب التنازع فى ذلك والله اعلم

* (ذكر تسمية من حج بالناس أول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة) *

(قال المسعودى) فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة ورجع الى المدينة واستعمل عتاب بن أسيد بن ابى العيص بن امية على مكة فحج بالناس سنة ثمان وقيل بل حج الناس اوزاعا ليس عليهم احد ثم كانت سنة تسع فحج بالناس ابو بكر الصدّيق رضى الله عنه حين خرج من المدينة مع ثلثمائة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بدنة ثم ارسل على اثره على بن ابى طالب رضى الله عنه فادركه بالعرج ومعه سورة براءة فاذن بها يوم النحر عند العقبة فأقام ابو بكر الحج وخطب ابو بكر بمكة قبل التروية بيوم ويوم عرفة بعرفة ويوم النحر بمنى ثم كانت سنة عشر فحج بالناس سيد المرسلين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كانت سنة احدى عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم كانت سنة اثنتى عشرة فحج بالناس أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ثم كانت سنة ثلاث عشرة فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة أربع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم كانت سنة خمس عشرة فحج بالناس

بياض له فى الاصل

ثم كانت سنة ست عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة سبع عشرة فحج بالناس عمر ابن الخطاب ثم كانت سنة ثمان عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة تسع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة عشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم

كانت سنة احدى وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة اثنتين وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة ثلاث وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم قتل رضى الله عنه آخر ذى الحجة ثم كانت سنة أربع وعشرين فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة خمس وعشرين فحج بالناس عثمان بن عفان الى سنة أربع وثلاثين ثم كانت سنة خمس وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس بأمر عثمان وهو محصور ثم كانت سنة ست وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس ثم كانت سنة سبع وثلاثين بعث على بن أبى طالب على الموسم عبد الله بن العباس وبعث معاوية بن أبى سفيان سمرة الرهاوى فاجتمعا بمكة وتنازعا الامارة ولم يسلم أحدهما لصاحبه فاصطلحا على أن يصلى بالناس شيبة بن عثمان الجمحى ففعل ذلك ثم كانت سنة ثمان وثلاثين حج بالناس قثم بن عباس نائب مكة ثم كانت سنة تسع وثلاثين حج شيبة بن عثمان ثم كانت سنة أربعين والتنازع مع معاوية والحسن بن على فى الخلافة فحج بالناس المغيرة بن شعبة عن كتاب يقال انه افتعله لما قيل ثم كانت سنة احدى وأربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم حج بعده مروان بن الحكم ثم كانت سنة أربع وأربعين حج معاوية بن أبى سفيان ثم كانت سنة خمس وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة ست وأربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة سبع وأربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة ثمان وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة تسع وأربعين حج بالناس سعيد بن العاص ثم كانت سنة خمسين حج بالناس معاوية بن أبى سفيان ثم كانت سنة اثنين وخمسين حج بالناس سعيد بن العاص عامين ثم كانت سنة أربع وخمسين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة خمس وخمسين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة ست وخمسين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة سبع وخمسين حج بالناس الوليد بن عتبة عامين ثم كانت سنة تسع وخمسين حج بالناس عثمان بن أبى سعيد ثم كانت سنة ستين حج بالناس عمرو ابن سعيد بن العاص ثم كانت سنة احدى وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة اثنتين وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة ثلاث وستين حج بالناس عبد الله بن الزبير الى سنة احدى وسبعين حج بالناس الحجاج بن يوسف وقتل عبد الله بن الزبير ثم كانت سنة أربع وسبعين حج بالناس الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة خمس وسبعين حج بالناس عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة ست وسبعين حج بالناس الى سنة ثمانين أبان بن عثمان ابن عفان ثم كانت سنة احدى وثمانين حج بالناس سليمان بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة اثنتين وثمانين حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان ثم كانت سنة ثلاث وثمانين حج بالناس الى سنة خمس وثمانين هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوليد بن مغيرة المخزومى ثم كانت سنة ست وثمانين حج بالناس العباس بن الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز بن مروان ثم كانت سنة ثمان وثمانين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة تسع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة احدى وتسعين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت

قوله الحجاج بن يوسف لعل المراد عامين غير مدخول الغاية كما يعلم مما بعده اه

سنة اثنتين وتسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثلاث وتسعين حج بالناس عثمان ابن الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة أربع وتسعين حج بالناس مسلمة بن عبد الملك ثم كانت سنة خمس وتسعين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة ست وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ثم كانت سنة سبع وتسعين حج بالناس سليمان بن عبد الملك ثم كانت سنة ثمان وتسعين حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العاص بن أمية ثم كانت سنة تسع وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ثم كانت سنة مائة حج بالناس أبو بكر أيضا ثم كانت سنة احدى ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة ثم كانت سنة اثنتين ومائة حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك القهرى ثم كانت سنة ثلاث ومائة حج بالناس عبد الله بن كعب بن عمير بن سبع بن عوف بن نضر بن معاوية النضرى ثم كانت سنة أربع ومائة حج فيها أيضا ثم كانت سنة خمس ومائة حج بالناس ابراهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومى ثم كانت سنة ست ومائة حج بالناس هشام بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع ومائة حج بالناس ابراهيم بن هشام المخزومى الى سنة اثنتى عشرة ومائة ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائة حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك ثم كانت سنة أربع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم بن العاص بن أمية ثم كانت سنة خمس عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام ابن اسمعيل بن الوليد بن المغيرة ثم كانت سنة ست عشرة ومائة حج بالناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو ولى عهده ثم كانت سنة سبع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل ثم كانت سنة تسع عشرة ومائة حج بالناس مسلمة بن هشام بن عبد الملك أبو شاكر وقيل بل مسلمة بن عبد الملك ثم كانت سنة عشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل ثم كانت سنة احدى وعشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل الى سنة أربع وعشرين ومائة ثم كانت سنة خمس وعشرين ومائة حج بالناس يوسف ابن أخى الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة ست وعشرين ومائة حج بالناس عمر بن عبد الله بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسع وعشرين ومائة حج بالناس عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان أبو حمزة المختار بن عوف الخارجى من الازد داعية المعروف بطالب الحق قد وقف وخرج تلك السنة فكلمه الناس حتى نزل عبد الواحد يصلى بالناس ويخرج الى منزله ثم كانت سنة ثلاثين ومائة حج بالناس محمد بن عبد الملك ابن مروان ثم كانت سنة احدى وثلاثين ومائة حج بالناس عروة بن محمد بن عطية السعدى بكتاب افتعله على لسان عمه عبد الملك بن محمد وهو والى الحجاز واليمن لمروان بن محمد

(قال المسعودى) فهذا آخر ما حج بنو أمية ثم كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة حج بالناس داود بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ثم كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة حج بالناس زياد ابن عبد الله الحارثى ثم كانت سنة أربع وثلاثين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن على

بن

ابن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمس وثلاثين ومائة حج بالناس سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور وفيها بويع لأبي جعفر المنصور ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائة حج بالناس اسمعيل بن علي بن عبد الله ابن العباس ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائة حج بالناس الفضل بن صالح بن علي ثم كانت سنة تسع وثلاثين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن علي ثم كانت سنة أربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة احدى وأربعين ومائة حج بالناس صالح بن علي ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائة حج بالناس اسمعيل بن علي ثم كانت سنة ثلاث وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة أربع وأربعين ومائة حج بالناس ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائة حج بالناس السري بن عبد الله ابن الحرث بن العباس بن عبد المطلب ثم كانت سنة ست وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي بن علي بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة سبع وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور وقيل محمد بن ابراهيم الامام وقيل في سنة ثمان ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي ثم كانت سنة خمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن علي ثم كانت سنة احدى خمسين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائة حج بالناس المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن علي ثم كانت سنة ست وخمسين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن علي ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائة حج بالناس ابراهيم ابن يحيي بن محمد بن علي ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائة حج بالناس ابراهيم بن يحيي أيضا ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائة حج بالناس يزيد بن منصور بن عبد الله بن شهر بن يزيد بن مشوب الحميري ثم كانت سنة ستين ومائة حج بالناس (١) الهادي بن موسى بن المهدي وهو ولي عهد ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائة حج بالناس ابراهيم بن جعفر بن أبي جعفر ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائة حج بالناس علي بن المهدي ثم كانت سنة أربع وستين ومائة حج بالناس صالح ابن أبي جعفر ثم كانت سنة خمس وستين ومائة حج بالناس صالح أيضا ثم كانت سنة ست وستين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ثم كانت سنة سبع وستين ومائة حج بالناس ابراهيم بن يحيي بن محمد بن علي ثم كانت سنة ثمان وستين ومائة حج بالناس علي بن محمد المهدي ثم كانت سنة تسع وستين ومائة حج بالناس سليمان بن أبي جعفر المنصور ثم كانت سنة سبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة احدى وسبعين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن علي ثم كانت سنة اثنتين وسبعين ومائة حج بالناس ثم كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد خرج محرما من عسكره الى مكة ثم كانت سنة أربع وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد الى سنة تسع وسبعين ومائة ثم كانت سنة ثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ثم كانت

بياض في الاصل

(١) قوله حج بالناس الهادي بن موسى لعل المراد عاما اهـ مصححه

بياض بالاصل

سنة احدى وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة اثنتين وثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى ثم كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة حج بالناس العباس بن محمد المهدى ثم كانت سنة أربع وثمانين ومائة حج بالناس ابراهيم بن المهدى ثم كانت سنة خمس وثمانين ومائة حج بالناس منصور بن المهدى ثم كانت سنة ست وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة سبع وثمانين ومائة حج بالناس عبد الله بن العباس بن على وقيل منصور بن المهدى ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائة حج بالناس العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن على ثم كانت سنة تسعين ومائة حج بالناس على بن الرشيد ثم كانت سنة احدى وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ثم كانت سنة اثنتين وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله أيضا ثم كانت سنة ثلاث وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ثم كانت سنة أربع وتسعين ومائة حج بالناس على بن الرشيد ثم كانت سنة خمس وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى ابن موسى ثم كانت سنة ست وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن موسى الى ثمان وتسعين ثم كانت سنة تسع وتسعين ومائة حج بالناس محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن على ووثب ابن الافطس العلوى بمكة فقبض عليها فتنحى محمد بن داود ولم يمض الى عرفة وخرج الناس فوقفوا بغير امام فلما كانوا بالمزدلفة طلع عليهم ابن الافطس فأقام لهم باقى حجهم ثم كانت سنة مائتين حج بالناس المعتصم بن اسحق ثم كانت سنة احدى ومائتين حج بالناس اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ثم كانت سنة اثنتين ومائتين حج بالناس ابراهيم بن موسى بن جعفر ابن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو أول طالبى اقام للناس الحج فى الاسلام على أنه اقام متغلبا عليه لا مولى من قبل خليفة وكان ممن سعى فى الارض بالفساد وقتل أصحاب ابراهيم بن عبيد الله الحجبى وغيره فى المسجد الحرام ويزيد بن محمد بن حنظلة المخزومى وغيره من أهل العبادة ثم كانت سنة ثلاث ومائتين حج بالناس سليمان بن عبد الله ابن جعفر بن سليمان بن على ثم كانت سنة أربع ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله ثم كانت سنة خمس ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن أيضا ثم كانت سنة ست وسبع ومائتين حج بالناس أبو عيسى بن الرشيد ثم كانت سنة ثمان ومائتين حج بالناس صالح بن الرشيد ومعه زبيدة الى سنة عشر ومائتين ثم كانت سنة احدى عشرة ومائتين حج بالناس اسحق بن العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة اثنتى عشرة ومائتين حج بالناس المأمون ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائتين حج بالناس أحمد بن العباس ثم كانت سنة أربع عشرة ومائتين حج بالناس عبيد الله بن عبد الله ثم كانت سنة خمس عشرة ومائتين حج بالناس عبد الله بن عبيد الله أيضا ثم كانت سنة ست عشرة ومائتين حج بالناس

بياض بأصله

ثم كانت سنة سبع عشرة ومائتين حج بالناس سليمان بن عبد الله بن على ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائتين حج بالناس صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة تسع عشرة ومائتين حج بالناس صالح ابن العباس بن محمد ثم كانت سنة عشرين ومائتين حج بالناس صالح بن العباس أيضا

ثم

ثم كانت سنة احدى وعشرين ومائتين حج بالناس أيضا صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة اثنتين وعشرين ومائتين حج بالناس محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ثم كذلك الى سنة ست وعشرين ومائتين ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائتين حج بالناس جعفر المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائتين حج بالناس الى سنة خمس وثلاثين ومائتين محمد بن داود بن عيسى ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائتين حج بالناس محمد المنتصر ومعه جدته شجاع ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائتين حج بالناس علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائتين الى سنة احدى وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى ابن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائتين حج بالناس الى سنة أربع وأربعين ومائتين عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وأربعين ومائتين محمد ابن سليمان بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم الامام ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمسين ومائتين حج بالناس جعفر بن الفضل بن موسى بن عيسى بن موسى ويلقب بشاشات ثم كانت سنة احدى وخمسين ومائتين وقف بالناس اسمعيل بن يوسف العلوي المقدم ذكره فيما مضى من هذا الكتاب وبطل الحج الا اليسير الان اسمعيل هذا اطلع على الحاج وهم بعرفة في جموعه فقتل من المسلمين خلقا عظيما حتى زعموا أنه كان يسمع بالليل تلبية القتلى وكان شأنه في الفساد عظيما ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله الرسي ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائتين حج بالناس علي بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد بن علي ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائتين حج بالناس علي بن الحسين أيضا ثم كانت سنة ست وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد بن علي ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائتين حج بالناس ابراهيم بن محمد بن اسمعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن بويه ثم كانت سنة ستين ومائتين حج بالناس ابن بويه أيضا ثم كانت سنة احدى وستين ومائتين حج بالناس الفضل ابن العباس بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائتين حج بالناس الفضل ابن العباس أيضا ثم كانت سنة أربع وستين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وسبعين ومائتين خمس عشرة سنة متوالية هرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة تسع وسبعين ومائتين حج بالناس الى سنة سبع وثمانين ومائتين تسع حجج متوالية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن داود بن عيسى بن موسى

ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائتين حج بالناس محمد بن هرون بن العباس بن ابراهيم بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائتين حج بالناس الفضل بن عبد الملك ابن عبد الله بن العباس بن محمد بن علي ولم يزل يحج بالناس كل سنة الى سنة خمس وثلثمائة ثم كانت سنة ست وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس بن محمد بن عيسى بن سليمان بن محمد بن ابراهيم الامام وهو المعروف بأخي أم موسى الهاشمية قهرمانة شغب أم المقتدر بالله ثم كانت سنة سبع وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس أيضا ثم كانت سنة ثمان وثلثمائة حج بالناس الى سنة احدى عشرة وثلثمائة اسحق بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد ثم كانت سنة اثنتي عشرة وثلثمائة حج بالناس الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة حج بالناس أبو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد خليفة لعمه الحسن ثم كانت سنة أربع عشرة وثلثمائة حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن سليمان بن محمد الاكبر ثم كانت سنة خمس عشرة وثلثمائة حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد المعروف بأبي أحمد الازرق خليفة الحسن بن عبد العزيز بن العباس ثم كانت سنة ست عشرة وثلثمائة حج بالناس أبو أحمد الازرق أيضا ثم كانت سنة سبع عشرة وثلثمائة دخل سليمان بن الحسن صاحب البحرين مكة وقد حضر عمر بن الحسن بن عبد العزيز المقدم نسبه اليه لاقامة الحج خليفة لابيه فكان من أمر الناس ما كان فيما قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ولم يتم حج في موسم سنة سبع عشرة وثلثمائة هذه من أجل حادثة القراءطة لعنهم الله الا القوم يسير غدروا فتم حجهم دون امام وكانوا رجالة ثم كانت سنة ثمان عشرة وثلثمائة حج بالناس عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي خليفة لابيه الحسن بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسع عشرة وثلثمائة حج بالناس فيها جعفر بن علي بن سليمان خليفة الحسن بن عبد العزيز ثم كانت سنة عشرين وثلثمائة حج بالناس فيها عمر بن الحسن بن عبد العزيز خليفة لابيه أيضا ولم يزل يحج بالناس الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وهو على قضاء مكة في هذا الوقت وهو جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثلثمائة واليه قضاء مصر وغيرها

(قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي رحمه الله) قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب أنواعا من الاخبار وفنونا من العلم من أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام والملوك وسيرها والامم وأخبارها وأخبار الارض والبحار وما فيهما من العجائب والآثار وما اتصل بذلك ليستدل به على ما سلف من كتبنا ومدخلا الى ما تقدم من تصنيفنا في أنواع العلوم مما قدمنا ذكره ولم نترك نوعا من العلوم ولا فنا من الاخبار ولا طريقا من الآثار الا أوردناه في هذا الكتاب مفصلا أو ذكرناه مجملا أو أشرنا اليه بضرب من الاشارات أو لوحنا اليه بفحوى من العبارات من أخبار العجم والعرب والكوائن والاحداث في سائر الامم فمن حرف شيأ من معنى هذا الكتاب أو أزال ركنا من مبناه أو طمس واضحة من معانيه أو لبس شاهرة من تراجمه أو غيره أو بدله أو انتحله أو اختصره أو نسبه الى غيرنا أو أضافه الى سوانا أو أسقط منه ذكرنا فوافاه من غضب الله وسرعة نقمته وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله

مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين وسلبه الله ما أعطاه وحال بينه وبين ما أقام به عليه من قوة ونعمة مبدع السموات والارض من أى الملل كان والآراء انه على كل شئ قدير وقد جعلنا هذا التخويف فى أول كتابنا هذا وآخره وكذلك نقول فى سائر ما تقدم من تصنيفنا ونظمناه من تأليفنا فليراقب امرؤ ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير (وقد قدمنا) الاعتذار فى مواضع مما سلف من هذا الكتاب من سهو ان عرض أو تصحيف أو تغيير من الكاتب ان وقع ولما قد دفعنا اليه من الاسفار المتواترة والحركة المتصلة تارة مشرقين وتارة مغربين وطورا متيامنين وطورا متشائمين وما يلحقنا من سهو الانسانية ويصحبنا من عجز البشرية عن بلوغ الغاية وتقضى النهاية ولو كان لا يؤلف كتابا الا من حوى جميع العلوم اذن ما ألف أحد كتابا ولا تأتى له تصنيف لان الله عز وجل يقول وفوق كل ذى علم عليم جعلنا الله ممن يؤثر طاعته ويوفق لرشده ونسأله أن يمحو بخير شرا وبجد هزلا ثم يعود علينا بعد ذلك بعفوه ويتغمدنا بفضله انه جواد منان لا اله الا هو رب العرش العظيم

(قال مصحح دار الطباعه * كمل الله بالكمال طباعه)

الحمد لله الذى أتم نظام الوجود وأفاض نعمه على كل موجود والصلاة والسلام على سيد الانام الذى قص عليه من الاخبار أنفسها ومن الحكم أحسنها وعلى آله الذين اتبعوا أثره وصحبه الذين أرخوا سيره (وبعد) فقد أتم الله سبحانه نعمه بطبع هذا الكتاب الازهر المسمى بمروج الذهب ومعادن الجوهر وهو اسم طابق مسماه ولفظ تحقق معناه فلقد أخبر عن المخبآت ودل على الآيات البينات وأخبر عما كان حتى كأنه حاضر للعيان وحكى من السير ما فيه معتبر وأشار باخبار الملوك الى حسن السياسة والى تعلم كيفية الفراسة تفجرت عن ينابيع الحكمة أنهاره وفاضت بعوارف المعارف بحاره وانسجمت بالبركات أمطاره وصدحت أطياره وتفتحت بحسن شمائله أزهاره وطابت بنفحات عرف سيرته أثماره وهو من جملة المحاسن التى تم ظهورها وابتهج سرورها فى أيام صاحب السعادة وحليف المجد والسيادة من أشرقت شمس عدالته فى الحكومة المصرية وانتشر فى أرجائها نشر عواطفه العلية سعادة أفندينا المحروس بعناية ربه العلى اسمعيل ابن ابراهيم بن محمد على لازال جيد الدهر حاليا بعقود مواكبه وفم الافق ناطقا بسعود كواكبه حفظ الله دولته كما حفظ رعيته وأدام مجده وخلد جده وحرس أشباله الكرام وجعلهم غرة فى جبين الايام ثم ان هذا الطبع الظريف والوضع اللطيف بدار الطباعة العامرة ببولاق مصر القاهرة ذات الشهرة الباهرة والاحاسن الزاهرة ملحوظة بنظر ناظرها المشمر عن ساعد الجد والاجتهاد فى تدبير نضارها من لا تزال عليه أخلاقه باللطف تثنى حضرة حسين بك حسنى ثم ان كمال تصحيح هذه المبانى من هذا الجزء الثانى

بمعرفة الفقير الى الله سبحانه محمد الصباغ أسبغ الله عليه النعم أتم اسباغ وتضوع عرف
ختامه وتم سلك نظامه في العشر الاول من ذي القعدة
الحرام من عام ثلاث وثمانين بعد الالف
والمائتين من هجرته عليه الصلاة
والسلام وعلى آله وصحبه
وأنصاره وحزبه ماهبت
نسمات وهدأت
حركات
تم

